

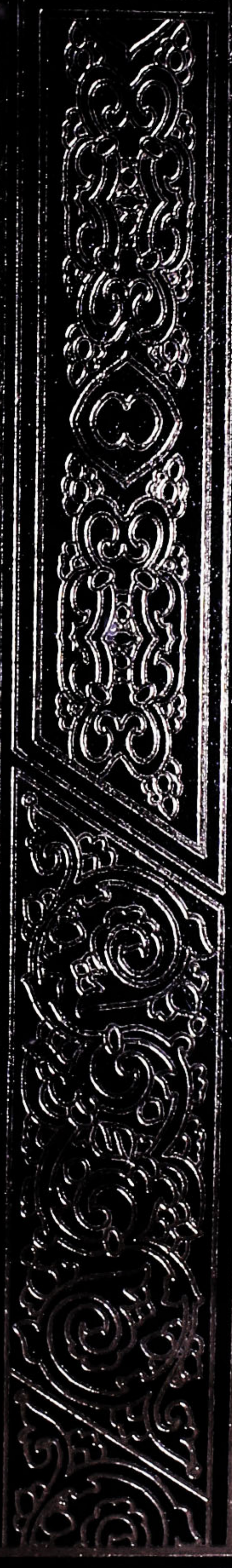
THE UNIVERSITY OF CHICAGO

PHYSICS DEPARTMENT

PHYSICS 354

LECTURE 1

1998



**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



“

الإشارة في أخبار غزاة طبرستان

ليدي الوزارثين لسان الدين بن الخطيب

حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه



محمد عبد الله عثمان

المجلد الرابع

الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة

131968

الطبعة الأولى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الحقوق كلها محفوظة

Copyright, Cairo, 1977

القاهرة

الشركة المصرية للطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذا هو المجلد الرابع والأخير من كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة»، نختم به بحمد الله، هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى.

ويضم هذا المجلد بقية السفر العاشر من «الإحاطة» ابتداء من ترجمة (عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد الحضرمي)، الواردة في اللوحة 276 إسكوريال. وينتهي هذا السفر في اللوحة 337 إسكوريال بترجمة (علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري). محتويًا على أربع وخمسين ترجمة. ويتلوه السفر الحادي عشر في اللوحة 338 إسكوريال مبتدئًا بترجمة (عمر بن علي ابن غفرون الكلبي)، ومنتهيًا في اللوحة 415 إسكوريال بترجمة (يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري) المعروف بابن الصيرفي، ومحتويًا على خمس وستين ترجمة. ثم يتلوه السفر الثاني عشر والأخير في اللوحة 420 إسكوريال، مبتدئًا بترجمة (يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلي) ومنتهيًا في اللوحة 424 بترجمة (يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي)، ومحتويًا على ثمان تراجم فقط، وهو بذلك يعتبر أصغر أسفار «الإحاطة». وبه يختم كتابه الإحاطة بعبارة: «كامل كتاب الإحاطة» في بداية اللوحة 425 إسكوريال، محتويًا في مجلداته الأربعة على أربعمائة وثلاث وتسعين ترجمة، وعلى عشرات الوثائق التاريخية، والرسائل والظواهر السلطانية. الأندلسية والمغربية، ومئات القطع من مختار المنظوم والمنثور.

ثم تبدأ بعد ذلك ترجمة ابن الخطيب لنفسه. في قسم مستقل، مبتدئًا باللوحة 425 إسكوريال، ويفتحه ابن الخطيب بقوله «يقول مؤلف هذا الديوان، تغمد الله خطله في ساعات أضعافها. وشهوة من شهوات اللسان أطاعها، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه، استبدلها للهو لما باعها» ومنتهيًا باللوحة 500، تتبعها لوحة أخرى 501، وبها قصيدة أوردناها تنمة لختم المخطوط.

وقدر جمعنا في تحقيق هذا المجلد الأخير من « الإحاطة » إلى المخطوطات الآتية :
 أولاً - مخطوط « المكتبة الزيدانية » المحفوظ بمكتبة دير سان لورنزو
 بالإسكوريال برقم ١٦٨٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور .
 ثانياً - مخطوط جامع الزيتونة بـ نس ، المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية
 التونسية . الجزء الثالث ؛ ويحمل رقم 8136 .

ثالثاً - مخطوط السفر الثالث من كتاب « نفاضة الحراب في علالة الاغتراب »
 المحفوظة بخزانة الرباط العامة برقم 256 ك (المكتبة الكتانية) .

رابعاً - مخطوط كتاب « ريحانة الكتاب » المحفوظ بمكتبة الإسكوريال
 برقم 1825 الغزيري ، وكذلك مخطوط « الريحانة » المحفوظ بالخزانة الملكية
 بالرباط برقم 2195 .

واعتمدنا في المراجعة والتحقيق ، إلى جانب هذه الأصول المخطوطة ، على
 عدة من المراجع الجامعة ، مثل « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » للمقرئ ،
 و « الذيل والتكملة » للقاضي ابن عبد الملك المراكشي ، و « جذوة الاقتباس »
 لابن القاضي ، و « التعريف بابن خلدون » ، و « صبح الأعشى » لأبي العباس
 القلقشندي وغيرها .

ويمتاز هذا المجلد الرابع والأخير من « الإحاطة » بأمرين ، الأول بالاستيعاب
 والتبسط في التراجم الواردة به ، حيث تشغل تراجمه المائة سبع وعشرون ،
 مائة وخمسين لوحة مزدوجة من المخطوط ، أعني ثلاثمائة صفحة حاشدة منه ،
 وهو ما لم يتوفر في المجلد الثالث حسبما سبق أن شرحناه في مقدمته . والثاني باحتوائه
 على عدد كبير من التراجم الهامة سواء ، من رجال التفكير والأدب ، أو من
 رجال التاريخ .

ويمكننا أن نذكر من رجال الصنف الأول ، عبد المهيمن الحضرمي ،
 وعبد الحق بن سبعين العكي ، وابن الباذش الأنصاري ، والإمام ابن حزم
 القرطبي (علي بن أحمد بن سعيد) ، وابن الحباب (علي بن محمد بن سليمان
 الأنصاري) ، والقاضي عياض بن موسى اليحصبي ، وأبو الربيع بن سالم
 (سليمان بن موسى) ويحيى بن هذيل التجيبي .

ومن رجال الصنف الثاني . عمر بن حفصون ، وعلى بن حمود الحسني ،
وعلى بن يوسف بن تاشفين ، وسوار بن حمدون بن عبده ، وسليمان بن الحكم
ابن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وسليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ،
ويحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، ويوسف بن تاشفين ، ويوسف بن
عبد المؤمن بن علي ، ويوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، وعدة من أمراء
بني نصر ملوك غرناطة . منهم السلطان يوسف أبو الحجاج ، وولده محمد
الغني بالله . وقد خص ابن الخطيب هذه المجموعة من رجال التاريخ الأندلسي
والمغربى بتراجم قوية . تغلب عليها الصبغة التاريخية النقدية . وضمنها كثيراً من
الوقائع والوثائق . التي يجد فيها المؤرخ مادة غزيرة نفيسة .

وأما عن الترجمة التي خص بها ابن الخطيب نفسه . والتي تلت السفر
الثاني عشر من «الإحاطة» ، فهي في الواقع ترجمة موجزة . ولكن بليغة قوية ،
تتناول نسبه ، ونشأته ، وحياته العامة ، وتقلده الوراثة لسلطان يوسف أبي الحجاج
ثم لولده الغني بالله ، ونكبته حينما وقعت الثورة وفقد الغني بالله عرشه ، وهجرته
إلى المغرب ، وانضوائه تحت حماية سلاطينه . ثم عوده إلى تولي الوزارة بعودة
الغني بالله إلى ملكه في سنة ٧٦٣ هـ . وسيرته في الوزارة بمنتهى الإيجاز ، ثم مشيخته ،
ومؤلفاته ، وإيراده لمجموعة من عيون قصائده . ومنها عدة في الأمداح النبوية ،
وعدة كبيرة من المقطوعات الشعرية . في مختلف الأغراض . وعدد من الرسائل
والمراسيم (الظواهر) التي صدرت إليه ، ورسائل عن بعض فتوح مليكه ، وبعض
رسائل خاصة . ويختتم ابن الخطيب ذلك كله بإيراد المقامة التي وضعها في «السياسة»
وبها يختتم مخطوط الإسكوريال .

بيد أنه قد فات ابن الخطيب ، أن يحدثنا في ترجمته عن جهوده السياسية ،
وقد تولى تدبير شئون مملكة غرناطة ، وتوجيه سياستها زهاء ثمانية أعوام متواصلة .
وقد كان بوسعه أن يقدم إلينا أعضاء كثيرة عن علائق مملكة غرناطة . بجارتها
الكبيرة مملكة قشتالة النصرانية ، وقد كان السلام بسود بين المملكتين طوال
صنّاعه بأعداء الوراثة . وما من شك في أن ذلك كان راجعاً إلى جهوده
السياسية في هدمه مملكة النصرانية . وحط ودها . أما عن سياسة مملكة غرناطة

إزاء المغرب وسلاطين بنى مرين ، فقد تناولها ابن الخطيب فى العديد من رسائله السلطانية ، وشرح لنا الكثير من جوانب اعتمادها على نصره المغرب . ونزعه سلاطينه فى احتضان قضية الأندلس ، واعتبارها نوعاً من الجهاد . وقد ألفت الرسائل التى تضمنها كتابه «نفاضة الجراب» ، وكتابه «كناسة الدكان» الكثير من الضوء على هذه العلاقات الأندلسية المغربية .

هذا وقد جرينا فى هذا المجلد الختامى لكتاب «الإحاطة» على نفس الأسلوب الذى اتبعناه فى المجلدات السابقة ، من التعريف بالأعلام الجغرافية والتاريخية الواردة به ، أو الإحالة على ما تم التعريف به منها فى المجلدات السابقة ، وذلك نظراً لسبق التعريف بالكثير منها ، وتحاشى التكرار فى ذلك .

وإننا نرفع إلى المولى القدير أكف الضراعة والحمد ، إذ وفقنا إلى إخراج هذه الموسوعة الأندلسية الكبرى ، بعد أن بذلنا فى إعدادها وتحقيقها جهوداً شاقة ، استمرت أعواماً طويلة فى مدريد والإسكوريال والرباط وفاس وتونس والقاهرة ، راجين أن تكون ذخيرة جلية بين أيدي طلاب البحوث الأندلسية والمغربية .

القاهرة فى ١٦ شوال سنة ١٣٩٦

الموافق ١٠ أكتوبر سنة ١٩٧٦

محمد عبده عنان

رموز المخطوطات

نشير إلى المخطوطات التي رجعنا إليها في تحقيق هذا المجلد الرابع من «الإحاطة» في حواشي الكتاب على النحو الآتي :

- ١ - مخطوط مكتبة دير الإسكوريال المحفوظ برقم ١٦٨٨ الغزيري ، ورقم ١٦٧٣ ديرنبور ، ونرمز له بكلمة «الإسكوريال» .
- ٢ - مخطوط جامع الزيتونة بتونس المحفوظ الآن بدار الكتب الوطنية ، برقم 8136 (الجزء الثالث) ونرمز له بكلمة « الزيتونة » .
- ٣ - مخطوط كتاب « ريحانة الكتاب ونجعة المتاب » ، المحفوظ بمكتبة دير الإسكوريال برقم 1825 الغزيري . وكذلك مخطوط نفس الكتاب ، المحفوظ بالخرانة الملاكية بالرباط برقم 2195 ، ونرمز له بكلمة «الريحانة» .
- ٤ - مخطوط السفر الثالث من كتاب « نفاضة الحراب في علالة الاغتراب » المحفوظ بخرانة الرباط العامة برقم 256 ك ، ونرمز له بكلمة « النفاضة » .

الإحاطة في أخبار غرناطة

—
المجلد الرابع

ومن الذرباء

عبد المهيمر بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن
عبد الله بن محمد الحضرمي

يكنى أبا محمد ، شيخنا الرئيس صاحب القلم الأعلى بالمغرب .

حاله

من «عائد الصلة» : كان رحمه الله خاتمة الصدور ، ذاتاً وسلماً وتربية
وجلالة . له القِدْحُ المغلّي في علم العربية ، والمشاركة الحسنة في الأصليين ،
والإمامة في الحديث ، والتّبريز في الأدب والتاريخ واللغة ، والعروض
والمُماصة في غير ذلك . نشأ فارس الحلبّة ، وعروس البوليمة ، وصدر
المجلس . وبيت القصيد ، إلى طيب الأبوة . وقدم الأصالة ، وفضل
الطُّعمة ، ووفور^(١) الجاه ، والإغراق في النُّعمة . كثير الاجتهاد والملازمة ،
والتفنن والمطالعة ، مقصور الأوقات على الإفادة والاستفادة ، إلى أن دعت
الدولة المرينية بالمغرب ، إلى كتابة الإنشاء ، فاشتملت عليه اشتمالا ،
لم يفضل عنه من أوقاته ، ما يلتبس فيه ما لديه . واستمرت حاله ،
موصوفا بالنزاهة والصدق ، رفيع الرتبة ، مشيد الحظوة ، مشارك للضيف
فاضلا . مختصر الطُّعمة والحليّة . يغلب عليه ضجر يكاد يُخلُّ به .
متصل الاجتهاد والتقييد ، لا يفتر له قلم . إلى أن مضى بسبيله .

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» من تأليفنا بما نصه : تاج المفرق
وفجر المغرب على المشرق . أطلع منه نور أضياء الآفاق . وأثرى منه

() وردت في الإسكوريال (ووفوه) وهو تحريف اقتضى التصويب

بذخيرة حَمَلت أحاديثها الرُّفاق . ما شِيت من مجد سامى المصاعد والمرَاقِب ،
 عزيز عن لحاق المجد الثَّاقِب ، وسَلَفِ زُيْنت سماؤه بنجوم المناقب . نشأ
 بسبْنة بين علم يُفِيدُه ، وفخر يُشِيدُه . وطهارة يَلْتَحِفُ مطارِقَها ، ورياسة
 يتفِيئاً وارِقَها ، وأبوه رحمه الله قُطِبَ مدارها ، ومُقام حجَّها واعْتِمَارها ،
 فسلك الوُعوْث من المعارف والسُّهول ، وبذَّ على حدائث سنَّه الكهول ،
 فلما تحلَّى من الفوائد العَلْمِيَّة بما تحلَّى ، واشتهر اشتهار الصبّاح إذا تجلَّى ،
 تنافست فيه هِمَمُ الملوك الأَخاير ، واستأثرت به الدول على عاداتها في
 الاستِثْثار بالذَّخاير ، فاستقلَّت بالسياسة ذراعُه ، وأخدم الذوابل والسيوف
 يراعُه ، وكان عَيْنَ المَلِكِ التي بها يُبصر ، ولسانُه الذي به يُسهب أو
 يَخْتصر . وقد تقدَّمت له إلى هذه البلاد الوفاة ، وجلَّت به عليها الإفاة ،
 وكتب عن بعض ملوكها ، وانتظم في عقودها الرِّفِعة وسلوكها ، وله
 في الأدب الرِّاية الخافقة ، والعقود المُتناسقة .

مشيخته

قرأ ببلده [سبنة] على الأستاذ الإمام أبي إسحق الغافقي المديوني ،
 وعلى الأستاذ المُقري أبي القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن
 الطيب ، والأستاذ النحوي أبي بكر بن عُبيدة الإشبيلي ، وعلى الأستاذ
 العارف أبي عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمساني ، وعلى ابن خال
 أبيه الأمير الصالح أبي حاتم العزفي ، والعدل الرضا أبي فارس عبد الرحمن
 ابن إبراهيم الجزيري .

وقرأ بفرنطة على الشيخ العلامة أبي جعفر بن الزبير ، وروى عن
 الوزير الراوية أبي محمد عبد الله المرادي ابن المؤذن وعلى الأستاذ أبي بكر
 القللوسي . وأخذ عن الشيخ الورير أبي الوليد الحضرمي القرطبي . وعالقة

عن الإمام الولي أبي عبد الله الطنَّجالي . وببيلش عن الخطيب الصالح
 أبي جعفر بن الزيات ، وعن الخطيب أبي عبد الله بن شعيب المروى ،
 والعلامة أبي الحسين بن أبي الربيع ، وأبي الحكم بن منظور ، وابن الشَّاطِ
 وابن رُشيد ، وابن خميس ، وابن بُرطال ، وابن ربيع ، وابن البنا ،
 وسميه ابن البنا الملقى ، وابن خميس النحوى ، وأبي أمية بن سعد
 السُّعود بن عُفير الأمدى . هؤلاء كلهم لقيهم وسمع منهم ، وأجازوا له
 ما عندهم . ومن أجاز له مشافهة أو مكاتبة من أهل المغرب ، الأستاذ
 أبو عبد الله محمد بن عمر الأنصارى التلمسانى ابن الدراج ، والكاتب
 أبو على الحسين بن عتيق ، وتناول تواليفه ، والأديب الشهير أبو الحكم
 مالك بن المُرَحَّل ، والشريف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الشرف
 الحسينى ، وأبو بكر بن خليل السُّكونى ، وأبو العباس المطرى ، والجزارى ،
 وشرف الدين بن معطى ، وابن الغمَّاز ، وابن عبد الرفيق القاضى ،
 وأبو الشمل جماعة بن مهيب ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد التُّجاني
 وأبناء عمه عمر وعلى ، وابن عَجَلان ، ومحمد بن إبراهيم القيسى السلولى
 ومحمد بن حماد اللبيدى ، وابن سيد الناس ، وابنه أبو الفتح ، وابن
 عبد النور ، والمومنانى ، والخطيب ابن صالح الكتَّانى ، وابن عياش الملقى ،
 والمشدالى ، وابن هرون ، والخلاسى ، والدبَّاغ ، وابن سِماك ، وابن
 أبي السَّداد ، وابن رُزين ، وابن مَسْتَقور ، وأبو الحسن بن فضيلة ،
 وأبو بكر بن مُحزَز . وكتب له من أهل المشرق جماعة منهم : الأبرقيشى
 وابن أبي الفتح الشيبانى ، وابن حمادة ، وابن الطاهرى ، وابن الصابونى ،
 وابن تيمية ، وابن عبد المنعم المفسر ، وابن شَيْبَان ، وابن عساكر ،
 والرضى الطبرى ، وابن المخزومى ، وابن النحاس . قلت من أراد استيفاءهم

ينظر الأصل . فقد طال على استيحاء ما ذكره الشيخ . حمه الله وقد ذكر جماعة من النساء ، ثم قال بعد تمام ذلك ، ولو قصدنا الاستقصاء لضاق عن مجاله المتبع .

شعره

وشعره مُتَخَلٌّ عن محلّه من العلم والشهرة ، وإن كان داخلا تحت طور الإجابة .

فمن ذلك قوله (١) :

تراعى سُحَيْرًا والنسيم عليل	وللنجم طَرْفٌ بالصباح كليل
وللفجر بحر خاضه الليل فاعتلت	شَوَى أدهم الظلماء منه خجول
بُرَيْقٍ بِأَعْلَى الرَقْمَتَيْنِ كَأَنَّهُ	طلائع شهبٍ في السواد تجول
فمزقٌ ساجي الليل منه شرارة	وخرقٌ ستر الغيم منه نُصول
تبسم ثغرُ الروض عند ابتسامه	وفاضت عيون للغمام هُمُول
ومالت غصون البان نشوى كأنها	يُدَارُ عليها من صباه (٢) شَمُول
وغنّت على تلك الغصون حمائمٌ	لهن حفيف فوقها (٣) وهديسل
إذا سَجعت في لحنها ثم قرقرت	يطيح خفيفٌ دونهَا وثقيل
سقى الله ربعًا لا تزال تشوقني	إليه رسوم دونه وطلول
وجاد رياه كلما ذر شارق	من الودق هتان أجشٌ هطول
ومالي استسقى الغمام ومدمعي	سفوحٌ على تلك العِراض هُمُول
وعاذلةٌ ظلت (٤) تلوم على السرى	وتكثر من تغذالها وتطيل

(١) واضح من خلال القصيدة أنها مديح من الشاعر للوزير لكاتب والشاعر الكبير . ابن الحكيم

الرندي .

(٢) وردت و يسكو . (ج) و تصوب من سح

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخة و و بص آخر (دونهَا)

(٤) هكذا وردت في إسكوريال و و النفع (بانت)

ونأى على ما خيلت ورحيل
 سناء وتبقى الذكر وهو جميل
 نحيلاً فحدُّ المشرقِ نحيل
 تزين وفي قدِّ القناة ذبول
 ولا بات منه للسعود نزيل
 لما كان نحو المجد منه وصول
 لأصبح ربُّع المجد وهو مُحيل
 وليس له إلا النجوم قبيل
 هضاب وأما في الندى فسيول
 وطابت فروع منهم وأصول
 مرَّتْها شمال مرجف وقبول
 من البرق عنها للعيون كلول
 شقاشقها عند الهياج فحول
 إذا ما توالى للسنين محول
 ينم عليها إذخِرٌ وجليل
 تعطر منها للنسيم ذبول
 ترددها أجفانها وتُحيل
 تفاقم خطبٌ للزمان يهول
 تفوتُ يداً من رامها وتطول
 ونائلُ يُمناك الكريمة نيل

تقول إلى كم ذا فراقٌ وغربة
 ذريني أسعى لنتي تُكسب العلا
 فإما تريني من مُمارسة الهوى
 وفوق أنابيب اليراعة صفرة^(١)
 ولولا السرى لم يُجتل البدرُ كاملاً
 ولولا اغتراب المرء في طلب العلا
 ولولا نوال ابن الحكيم محمد
 وزير سما فوق السماك جلاله
 من القوم أما في الندى فإنهم
 حووا شرف العلياء إرثاً ومكسباً
 وماجونة هطالة ذات هيدب
 لها زجل من رعدِها ولوامع
 كما هدّرت وسط القلاص وأرسلت
 بأجود من كفّ الوزير محمد
 ولولا روضة بالحسن^(٢) طيبة الشدا
 وقد أذكيت للزهر فيها مجامر
 وفي مُقل النوار للظل عبّرة
 بأطيب من أخلاقه الغرُّ كلما
 حويت أبا عبد الآه مناقبها
 فغرناطة مصرُ وأنت خصيبها

(١) هكذا والإسكوريال وفي النفع (صعوة).

(٢) وردت في الإسكوريال (بالخرنوب) والتصويب من النفع وهو أنسب للسياق.

فذاك رجالٌ حاولوا دَرَكُ العِلا
تخيرك المولى وزيراً وناصحاً
وألقى مقاليد الأمور مُفوضاً
وقام بحفظ المُلْك منك مؤيداً
وساس الرعايا منك أروع^(١) باسل
وأبلغُ وقَّاد الجبين كأنما
تهيم به العلياء حتى كأنها
له عَزَمَات لو أُعير مضاءها
سَرَى ذِكْرُهُ في الخافقين فأصبحت
وأعدى قَرِيضِي جودُهُ وثناؤه
إليك أيا فخر الوزارة أَرَقَلْت
فَلَيْتُ إلى لقبك ناصية الفلا
تسدُّدُنِي سهماً لكل ثنِيَّة
وقد لَفَظْتُنِي الأرض حتى رَمَت إلى
فقيدت أفراسي به وركائسي
وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة
ويَهْوَى^(٤) العَلا حَظِّي ويَغْرَى^(٤) بضدِّ
وتأبى لي الأيام إلاَّ إدالة

بُبْخَلِي وهل نال العلاء بخيل
فكان له مما أراد حصول
إليك فلم يَعمد يمينك سؤل
نَهوضُ بما أعيأ سواك كفيل
مُبِيد العِدا للمعتفين مُنِيل
على وجنتيه للنُّصار مَسِيل
بُثِينته في الحبِّ وهو جميل
حُسامٌ لما نالت ظُبَاه قُلُول
إليه قلوب العالمين^(٢) تميل
فأصبح في أقصى البلاد يجول
بِرَحْلِي هوجاء النَّجاء ذلول
بأيدي ركابٍ سيرهُنَّ ذَمِيل
ضوامرُ أشباهُ القسيِّ نحول
ذراك برَجْلِي هوجَلُّ وهَجُول
ولذَّ مقامٌ لي به وحُلُول
عليها لأحداث الزمان ذحول^(٣)
لذالك اعترته رِقَّةٌ ونحول
فصونك^(٥) لي إن الزمان مُدِيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (أشوس) .

(٢) وردت في الإسكوريال (العلمين) . والتصويب من النفع .

(٣) وردت في الإسكوريال (دخول) وفي النفع (دخول) . والتصويب أنسب للسياق .

والذحول الحقد والعداوة .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النفع (. تهوى . وتغرى) .

(٥) وردت في الإسكوريال (بصونك) والتصويب من النفع .

فكل خضوع في حمايك عزة^(١) وكل اعتزاز قد عدك خمول
وهي طويلة . ومن شعره [في الحنين إلى وطنه سبتة]^(٢) .

سقى ثرى سبتة بين البلاد وعهدتها المحبوب صوب العهاد
وجاد منهل الحيا ربعتها وبوبله تلك الربى والوهاد
وكم لنا في طور سينائها من رائح للأنس في إثر غاد
وعينها البيضاء كم ليلة بيضاء فيها قد خلت لو تعاد
وبالمنارة التي نورها لكل من ضل دليل وهاد
نروح منها مثلما نغتندي للأنس والأفراح ذات ازدياد
في فتية مثل نجوم الدجى ما منهم إلا كريم جواد
ارتشفوا كأس الصنا بينهم وارتضعوا أخلاف محض الوداد
ويا الأيام بنيولش^(٣) لقد عدت عنها صروف العواد
أدركت من لبني بها كلما لبانة وساعدتني سعاد
ونلت من لذات دهرى الذى قد شيته وللأماني انقياد
منازل ما إن على مبدل هاء مكان اللام فيها انتقاد
سلوتها مذ ضمنى بعدها نادى الوزير ابن الحكيم الجواد

ومن المقطوعات قوله :

أبت همتى أن يرانى امرؤ على الدهر يوما له ذا خضوع
وما ذاك إلا لأنى اتقيت بعز القناعة ذل القنوع^(٤)

ومن ذلك في المشط والنشفة من آلات الحمام :

(١) وردت في الإسكوريال (عزة) والتصويب من النسخ .

(٢) أضفت هذه لعمارة من عند

(٣) سيوش . صاحبة حميله من ضواحي سبتة

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص آخر (اخشوع) .

إني حسدت المشط والنشف الذي لهما مزايا القرب دوني مُخلصه
فأناملُ من ذا تباشر صدغه ومراشفُ من ذا تقبَّل أخصه

نثره

وقع هنا بياض مقدار وَجْهَة في أصل الشيخ .

مولده

ولد ببليده سبتة في عام ستة وسبعين وستماية .
وتوفي بتونس في الثاني عشر لشوال من عام تسعة وأربعين وسبعماية
في وقية الطاعون العام ، بعد أن أصابته نبوة من مخدومه السلطان
أبي الحسن^(١) . ثم استغثبه وتلطف له . وكانت جنازته مشهورة ، ودفن
بالزلاج من جبانات خارج تونس رحمه الله .

عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلدوذي

نزيل مراکش .

حاله

من كتاب « المؤتمن »^(٢) ، قال ، كان شاعراً مُكثراً ، سهل الشعر ،
سريعه ، كثيراً ما يستجدي به ، وكان يتقلد مذهب أبي محمد علي بن حزم
الفقيه الظاهري ، ويصول بلسانه علي من نافره . دخل الأندلس ، وجال

(١) الإشارة هنا إلى السلطان الكبير أبي الحسن المريني ، علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق .
تولى عرش المغرب سنة ٧٣١ هـ وتوفي سنة ٧٥٢ هـ . وكان من أعظم ملوك بني مرين همة وعزماً وصيتاً
وجهاداً في الأندلس . وقد أشار المقرئ في نفع الطيب إلى ذلك الحادث الذي أساء فيه السلطان أبو الحسن
مخاطبة كاتبه عبد المهيم الحضرمي (ج ٣ ص ٢٤٣)

(٢) هو من تأليف أبي البركات بن الحاج . وقد سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من
الإحاطة ص ٣٧٢ حاشية) .

في بلادها . بعد دخوله مراکش . وكان أصله من بلنوذ . ورد مالقة أيام قضاء أبي جعفر بن مسعدة ، وأطال بها لسانه ، فحمل عليه هنالك حملاً أذاه ، إلى أن كان مآل أمره ما أخبرني به شيوخ مالقة ، وأنسيته الآن ، فتوصل إلى مآل أمره من جهة من بقى بها الآن من الشيوخ ، نقلت اسمه ونسبه من خطه .

شعره

أما على ذى شرك	في صيدنا من درك
تصيدنا لواحظ	وما لها من حرك
والبدر إن غاب فمن	يجلو ظلام الحلك
قد تاب القلب فما	يدرى إن لم تدرك
عدا السقام أو عدا	وعد الذي لم يافك
أو لن يكن حل دى	فلتبطنى أو أترك
حاربت من لا قدرة	لديه في المعترك
يفل غرب سيفه	سيف لحاظ فتك
يا لفتى يا قبلتى	يا حجتى يا نسك
إن عظم الحزن فما	أرجل حسن فلك
أو أهديت الحى	فلا بن عبد الملك
خطيب ومران للذى	سلك على سلك
رُكن التقا محمد	ذو النبيل والطبع الزك
منفرد في جوده	بماله المشترك
يا بوق هذا بابُه	فهو أجل مبرك
وأنت يا حادية	قربت ما أسعدك

فبركى وكبرى وابركى وبسرك
 فقد أتينا بشرا له صفات الملك
 كفك يهمنى ملكت كأنها لم تملك
 قصيدتى لو لم تنل منك حلّى لم تُسبك
 أبكيت ديمة النداء فزهرها ذو ضحك
 لكننى يا سيدى من فاقى فى شرك

وشعره على هذه الوتيرة . حدثنى أبى ، قال رأيت رجلا طوالا ، شديد الأذمة ، حليق الرأس ، دمينه ، عاربه ، كثير الاستجداء ، والتهاتر مع المحابين من أدباء وقته ، يناضل عن مذهب الظاهرية بجهد .

وفاته

من خط الشيخ أبى بكر بن شبرين ، وفى عام سبعة وتسعين وستماية توفى بفاس الأديب عبد المهيمن المكناسى ، المكنى بأبى الجيوش البلذوى ، وكان ذا هذر وخرق ، طوفا على البلاد ، ينظم شعرا ضعيفا ، يستمنح به الناس ، وآلت حاله إلى أن سعى به لأبى فارس عزوز الملووزى ^(١) الشاعر ، شاعر السلطان أبى يعقوب وخديمه ، وذكره أنه هجاه ، فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه ، ثم ضربت عنقه صبورا ، نفعه الله ^(٢)

عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملووزى ^(٣)

من أهل العُدوة الغربية ، يكنى أبا فارس ، ويعرف بعزوز .

(١) وردت فى الإسكوريال (الملووزى) . وهو تحريف اقتضى التصويب حسبما يتبين بعد

فى ترجمته التالية

(٢) وردت هذه الترجمة فى الإسكوريال ولم ترد فى الزيتونة

(٣) وردت هذه النسبة فى مخطوط الإسكوريال كالاتى (عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد =

حاله

كان شاعراً مكثراً سيال القريحة ، مُنحطُ الطبقة ، مُتَجَنِّداً ، عظيم الكفاية والجرأة ، جسوراً على الأُمرا ، علق بخدمة الملوك من آل عبد الحق وأبنايهم ، ووقف أشعاره عليهم ، وأكثر النظم في وقايِعهم وحروبهم ، وخلط المُعَرَّبُ باللسان الزناتى في مخاطباتهم ، فعُرف بهم ، ونال عريضاً من دُنْيَاهم ، وجماً من تقريبيهم . واحتلُّ بظاهر غرناطة في جُملة السلطان ، أمير المسلمين أبى يعقوب ، وأمير المسلمين أبيه ، واستحق الذكر بذلك .

شعره

من ذلك أرجوزة نظمها بالخضراء في شوال سنة أربع وثمانين وستماية ، ورفعها إلى السلطان أمير المسلمين أبى يوسف بن عبد الحق ، سماها : « بنظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك » لم يقصر فيها عن إجادة . ومن شعره . قال مخبراً عن الأمير أبى مالك عبد الواحد ابن أمير المسلمين أبى يوسف :

دعاني يوماً والسماقدارتدت بالسحاب	والغيث يبكى بالدموع السواكب
كأنه عاشقٌ صُدُّ عنه حبيبه	ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبه
ولم يُرَقْ له مدمع	كأنه لم يبق له فيه مطمع
فكان الوعدُ حَسْرَتَه	والبرق لَوَعَتَه وزَفْرَتَه
فقال لي ما أحسن هذا اليوم	لو كان في غير شهر الصوم
فاقترح غاية الاقتراح على	وقال قل فيه شعرا بين يدي

(= الملزوم) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه نقلاً عن أقدم مخطوط لأرجوزة الشاعر المسماة (نظم السلوك) وقد نشرت محققة بعناية العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، ووردت في صدره صفحة المخطوط التي تحمل الاسم الصحيح للشاعر (الرباط سنة ١٩٦٢) والملزوم نسبة إلى قبيلة ملو ، وهو من بطون رتبة الكمر ،

فأنشدته هذه الأبيات :

اليوم يوم نزهة وعُقار
أوما ترى شمس النهار قد اختفت
والغيث سَح غمامه فكأنه
والبرق لاح من السماء كأنه
لا شيء أحسن فيه من نيل المنا
لولا صيام عاقني عن شربها
لو كان يمكن أن يُعار أعرتة
لكن تركت سروره ومُدامه حتى
ونديرها في الكأس بين نواهد
فجفونها تغنيك عن أكواسها
فشكره لما سمعه غاية الشكر ، وقال أسكرتنا بشرك من غير سُكر .

قال ، وأتيته هذه الأبيات :

أعلمت بعدك زفرتي وأزيني
أودعت إذودعت وجدأفي الحشا
ورقيب شوقك حاضر مترقب
من بعد بُعدك ما ركنت لراحة
قد كنت أبكى الدمع أبيض ناصعا
قل للذين قد ادعوا فرط الهوى
إني أخذت كثيره عن عروة
هذي روايتنا عن أشياخ الهوى
يا ساكني أكناف رملة عالج
وصبابتي يوم النوى وشجون
ما إن تزال سهامه تُصمين
إن رمت صبرا بالأسى يُغرين
يوما ولا غاضت عليك شؤون
فاليوم تبكى بالدماء جفون
إن شيتم علم الهوى فسلون
ورويت سايره عن المجنون
فإن ادعيتم غيرها فأرون
ظفرت بظبيكم الغرير يمين

131968

كم بات في جنح المظلام مُعانتى
 في روضة نمّ النسيم بعرفها
 والورق من فوق الغصون ترنمت
 تصغى الغصون لما تقول فتثنى
 والأرض قد لبست غلابيل سندس
 تاهت على زهر السماء بزهرها
 قال أبو فارس ، وكان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة
 سلا ، فبوع بها ولده أبو يعقوب ، وذلك في اليوم الثاني عشر من
 شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستماية ، يوم مولد النبي صلى الله
 عليه وسلم ، فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعته إليه :

يا ظبية الوغساء قد برح الخفا
 كم قد عصيت على هواك عواذلى
 حملتني ما لا أطيق من الهوى
 وكسوتني ثوب النحول فمَنْظرى
 هذا قتيلك فارحميه فإنه
 لهفى على زمن تقضى بالحما
 أترى يعود الشمل كيف عهدته
 لله درك يا سلا من بلدة
 قد حُزت براً ثم بحرأ طاميا
 فإذا رأيت بها القطائع خلتها
 إني صبرت على غرامك^(١) ما كفى
 وأنا ب بالتباعد منك وبالجمفا
 وسقيتني من غنج لحظك فرقفا
 للناظرين عن البيان قد اختفا
 قد صار من فرط النحول على شفا
 وعلى محل بالأجيرع قد عفا
 ويصير بعد فراقه مُتألقا
 من لم يُعاین مثل حُسنك ما اشتفا
 وبذاك زدت ملاحه وتزخرُفا
 طيراً يحوم على الورد مرفرفا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نسخة الرباط من نظم السلوك (فراقك)

قوم قد اتخذوا إماماً مُسرفاً
وأتى ليشرع في السجود مُخففاً
فتظنه فوق المنازل مُسرفاً
غض العنان عن السرى وتوقفاً
قد جاء مزدحماً يُبايع يُوسفاً
وبه تجدد في الرياسة ما عفاً
إن سل في يوم الكريهة مرهفاً
ملك لنا بالجد أضحى متحفاً
عن كل خطب في الورى ما استنكفاً
الماجد الأوفى الرحيم الأرفاً
يعقوب يعقوب ويوسف يوسفاً
والويل منه لمن غدا متوقفاً
فاقتل بسيفك من أبا وتخلفاً
لليوم عاد مؤملاً متشوقاً
ويعود من يسطو بها متعطفاً
لم يخش خلق في علاك تخوقاً
طبعاً وغيرك لا يزال تكلفاً
اليوم أعلم أن دهرى أنصفاً
واعلم بأن الملك يصلح بالوفاً
كهفياً وكن ببعيدهم مستعطفاً
وسواه يُفسد في الخلافة ما صفاً
فاحذر فديتك إن تكون معنفاً

والجاذفين على الرُكيم كأنهم
جعل الصلاة لهم ركوعاً كلها
والموج^(١) يأتى كالجبال عبابه
حتى إذا ما الموج أبصر حده
فكانه جيش تعاضم كثرة
ملك به ترضى الخلافة والعلا
من لم يزل يسبى الفوارس في الوغى
ألفت محبته القلوب لأنه
ألقى إليه الأمر والده الذى
يعقوب الملك الهمام المُجتبا
يهواه من دون البنين كأنما
طوبى لمن في الناس قبل كفه
أعطاك ربك وارتضاك لخلقه
وامد يد يمينك للوفود فكلهم
فاليوم لا تخشى النعاج ذيابها
صلح الزمان فلا عدو يتقى
لم لا وعدك للبرية شامل
يا من سررت بملكه وعلايه
فإذا ملكت فكن وفيها حازماً
وأفرض بذلك للوجود وكن لهم
فالجود يصلح ما تعلم في العلا
إن البرية في يدك زمامها

(٢) وردت في الإسكوريال (والموت) والتصويب من « نظمه السلون »

يا من تسربل بالمكارم والاعلا
خذها إليك قصيدة من شاعر
خضع الكلام له فصار كعبده
لا زالت الأمجاد تخدم مجدكم
ومن شعره في رثاء الأمير أبي مالك :
سَهْمُ المنيَّةِ أين منه فرار
حَكَمَ الزمان على الخلايق بالفنا
عِش ما تشاء فإن غايتك الردى
فاحذر مُسالمة الزمان وأمنه
رانظر إلى الأمراء قد سكنوا الثرى
تركوا القصور لغيرهم وترحلوا
قد وسدوا بعد الحرير جنادلاً
منعوا السرى للقباب وأسكنوا
لم تنفع الجرود الجياد ولا القنا
في موت عبد الواحد الملك الرضا
أن ليس يبقى في الملوك مُملك
ناديته والحزن خامر مهجتي
يا مَنْ ببطن الأرض أصبح أفلاً
أين الذين عهدت صفو وداهم
تركوك في بطن الثرى وتشاغلوا
ما زال حاسدكم يزيد تأسفا
في نظم فخر ك كيف شا تصرفا
ما شاء يصنع ناظماً ومؤلفا
ما زارت الحجاج مرؤة والصفا
من في البرية من رجاء يُجار
فالدار لا يبقى بها ديار
يبلى الزمان وتذهب الأعمار
إن الزمان بأهله غدار
وعليهم كأس المنون تدار
ومن اللُحود عليهم أستار
ومن اللحود عليهم أستار (١)

بطن الثرى حكمت بذاك عليهم الأقدار
يوم الردى والعسكر الجرار
لجميع أملاك الورى إنذار
إلا أته منية وبوار
والقلب فيه لوعة وأوار
أتغيب في بطن الثرى الأعمار
هل فيهم بعد الردى لك جار
بعلا سواك فهجرهم إنكار

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال وكسابقها في البيت السابق . والظاهر أن هناك

لما وقفتُ بقبره مُترحماً حان العزا وهاجني استيعبار
فبكيتُ دمعاً لو بَكَتْ بمثاله غرُّ السحاب لم تكن أمطار
يا زايريه استغفروا لمليكم ملكُ الملوك فإنه غفار

وفاته

توفي خنقاً بسجن فاس بسعايةٍ سُعيت به ، جَناها تهوره في وسط عام
سبعة وتسعين وستماية ، وقد كان جعل له النظر في أمور الحسبة ببلاد
المغرب^(١) .

(ومن العمّال)

عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي

من أهل وادي آش ، نزل سلفه طرش من أحوازها ، وجدّه استوطنها ،
وذكروا أنه كان له بها سبعون غلاماً . وجدّه للأم أبو الحسن بن عمر
شارح الموطأ ومُسلم ، ومُصنّف غير ذلك . كذا نقلته عن أبي عبد الله
العراقي ، قريبه .

حاله

كان طبيباً ، شاعراً مجيداً ، حسن الخط ، طريف العمل ، مشاركاً في
معارف . تولى أعمالاً نبيلة .

شعره

نقلته من خطّه ما نصه :

صرفت لخير صدر في الزمان عريق في أصالته عِنان
كريم المنتمى من خير بيت سليل مجادة ورفيع شان
رحيبٌ بنا فضل غير وان عن الأفضال في هذا الأوان

(١) وردت هذه الترجمة في الإسكوريال ولم ترد في الزيتونة

ومن هذا أذاك هو ابن عيسى
 أبو عبدلي إنه المنتمى من
 ذراني في مجادته محبا
 فأنس ثم بشر بالأماني
 سر لله ما أولى لير
 ويوجب ذوالفضائل كل فضل
 وكم زهر رآه وسط روض
 بمالقة وبالأقطار أضحت
 فأيدو الآله لسوف يأتي
 قواف من الحكم قواف
 يفوق نظيمها من كل معنى
 متى خف ازدحام من هموى
 شكرت الله ثم صفا فوادي
 فهانذا ببركم غداي ولي
 محبك حيث كنت بلا سلو
 ثنائى ثابت يبقى بقاى
 وما تهب الأكف قراك فان
 هنيئا بالنزاهة فى سرور
 فلا زالت مسرته توالى
 « وفاته » : ببلدة وادى آش عام خمسة عشر وسبعماية .
 محمد المعان على المعان
 مساوى الفضل فى سرى العنان
 فهش لما به يحوى جنان
 ورفع بعد تأنيس مكان
 وليس كمن رآنى فازدران
 بما فيها ترشحت الأوان
 وكم هاذ يدى بين الدنان
 معاليكم مشيدة المبان
 لكم منى سوابق فى الرهان
 محامد للسمع وللعيان
 سلوك الدر من حلى الحسان
 ورُجيت الأمان مع أمان
 وأملى ما تحب على لسان
 منكم على بعدى تدان
 وضيفك فى البعاد وفى التوان
 ومن بعدى على طول الزمان
 وما تهب الطروس فغير فان
 ومع من لا له فى الفضل ثان
 ولا زالت تزف لك التهان

عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار المحاربي

حاله

هذا الرجل دَمِثُ الأخلاق ، سَكُونٌ ، وقور . خدم أبوه بقرنطة كاتبا للغزاة ، منوهاً به ، مشهوراً بكرم وظرف . وانتقل إلى العُدوة ، ونشأ ابنه المذكور بها ، وارتسم بخدمة ولي العهد الأمير أبي زيَّان ، وورد على الأندلس في وسط عام سبعة وخمسين وسبعماية في بعض خدمه ، وأقام بقرنطة أياماً يحاضر محاضرة يُتَّانَسُ به من أجلها الطالب ، وينتظم بها مع أولى الخصوصية من أهل طريقه ، وينقل حكايات مُسْتَطْرِفة . فمن ذلك أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن القروى الفاسى كان مع أبي القاسم الزياني بجامع القرويين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فدخل^(١) عليهم ابن عبدون المكناسى ، فتلقاها الزياني وتأيده ، وتوجهوا إلى الثريا بالقرويين وقد أوقدت ، وهى تحتوى على نحو ألف كاس من الزجاج ، فأنشد الزياني :

أنظر إلى نارِيَّةٍ نورها يَصْدَعُ بالألإِ حَجَبُ الفَسَقِ

فقال ابن عبدون :

كأنها فى شكلها زهرةٌ انتظم النور بها فاتسق

وحكى قصة للأديب الشهير أبي الحكم مالك بن المرحل ،

فقال لو حضرت أنا لقلتُ :

أعيدها من شرٍّ ما يُتَّقَى من فجأة العين بربِّ الفلق

واستنشد من شعره فى الثامن والعشرين لربيع الآخر من العام بقصر

(١) وردت فى الإسكوريال (دخل) فاتنقى التصويب .

نَجْد ، فقال من حكايات ، إن السلطان أمير المسلمين وَجَد يوماً على رجل
أمر بتنكيله ، ثم عَطَف عليه في الحال وأحس إليه ، وكان حاضراً مجلسه
أبو الحسن المزدغى رحمه الله ، فأنشده بديهة :

لا تَوَيْسَنَّكَ من عِثْمَن سَطْوَتُهُ وإن تَطَاير من أثوابه الشرر
فإن سَطْوَتَهُ والله يَكْلَأُهُ كالبرق والرعد يأتي بعده المطر

قال المترجم به ، فحدثني بذلك والدي ، فتعقبْتُها عليه عام تسعة
وعشرين وسبعماية ، لموجب جر ذلك بقولي :

لا تَيَاسَّن من رجا كَهْف الملوک أبي سَعِيد المرتجى للَنفَع والضُرر
وإن بدا منه سَخَطٌ أو رأيت له من سَطْوَة أَقْبَلت تَرْمِيكَ بالشرر
فإنما شيءٌ مثل الرَّعْد يتبعُهُ برقٌ ومن بعده يَنْهَل المَطَر

وأنشدني لبعض الأحداث من طلبة فاس ، يخاطب صاحبنا الفقيه
الكاتب أبا عبد الله بن جُزَى ، وقد توعدده على مَطْلٍ باستِنْسَاخ كتاب
كان يتناول له وهو بديع :

إذا ما أَتتْ أبطالُ قيس وعامر وأقيال عبس من بَغمام وقصور
تُصادمني وسط الفلا لا تهولني فكيف أبالي بابن جزء مُصَغَّر
« مولده » : بفاس في العشر الأول لذي حجة عام تسعة وسبعماية .

ومن الزهاد والصلحاء وأولا الأصليون

عبد الأعلى بن معل

يكنى أبا المعلى الإلبيري ، من قرى القلعة^(١) ، ونشأ بالحاضرة .

(١) القلعة بفسد ها قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد وقد سبق التعريف ها (راجع المجلد الثالث
من الإحاطة ص ٢١٢ وكذلك المجلد الأول ص ١١١ حاشية) .

وكان ينسب إلى خولان . ويذكر أنه أسلم على يدى رجل من خولان ، فتولاه وانتسب إليه ، وخرج إلى البيرة ، ونشأ بها ، وشُغِف بكتب عبد الملك بن حبيب ، ولم يكن أحد في عصره يشبهه في فضله وزهده وورعه ، وتواضعه وانقباضه ، وتستره . أرسل إليه حسين بن عبد العزيز أخو هاشم بن عبد العزيز ، وهو بالبيرة يرغب إليه في أن يشهد جنازة ابنة توفيت له ، كان يُشغِف بها ، فتعذر عليه إذ خشى الشهرة .

وقال لبعض جلسائه ، ما علمت أن حُسَيْنًا يعرفنى ، وعمل على الخروج من البيرة ، وتهباً للخروج للحج ، فحج ، فلما كان مُنصرفه ، ونزل في بعض السواحل ، وجد هنالك مركبين يُشحنان ، فرغب كل من أصحاب المركبين ، أن يركب عنده ، وتنافسوا في ذلك ، حتى خشى أن تتم الفتنة بينهم ، فاهتم لذلك ، ثم اضطلع أرباب المركبين ، على أن يُخرج كل واحد منهما قاربه إلى البر ، فمن سبق قاربه إليه دخل عنده . ونزل في مُنصرفه ببجاية وسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

عبد المنعم بن على بن عبد المنعم بن إبراهيم بن سدرى بن حنظل

يكنى أبا العرب ، ويشهر بالحاج ، ويُدعى بكنيته

حاله

كان عالماً فاضلاً صالحاً ، منقطعاً متبتلاً ، بارع الخط ، مجتهداً في العبادة ، صاحب مكاشفات ، وكرامات . نبذ الدنيا وراء ظهره . ولم يتلبس منها بشيء . ولا اكتسب مالا ولا زوجة . وورث عن أبيه مالا خرج عن جسيمة . وقطع زمن فتايه في السياحة وخدمة الصالحين ، وزمان

شيخوخته . في العزلة والمراقبة . والتزام الخلوة . ورحل إلى الحج ،
 وقرأ بالمشرق ، وخدم مشايخ من الصالحين . منهم الفخر الفارسي ،
 وأبو عبد الله القرطبي وغيرهما ، وكان كثير الإقامة بالعدوة ، وفشا أمره
 عند ملوكها ، فكانوا يزورونه ، ويتبركون به ، فيعرض عنهم ، وهو
 أعظم الأسباب في جواز أهل المغرب لنصرة من بالأندلس في أول الدولة
 النصرية ، إذ كان الروم قد طمعوا في استخلاصها ، فكان يحرض على
 ذلك ، حتى عزم صاحب العدوة على الجواز ، وأخذ في الحركة ، بعد
 استدعاء سلطان الأندلس إياه . وعندما تعرف يغمور بن زيان ملك تلمسان
 ذلك كله على بلاده بما منع من الحركة ، فخاطبه الحاج أبو العرب
 مخاطبته المشهورة ، التي كفت عدوانه ، واقتصرته عما ذهب إليه .
 وكان حيا في صفر عام ثلاثة وستين وستماية ، وهو تاريخ مخاطبته
 أبا يحيى يغمور بن زيان .

ومن الطارئين وغيرهم

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين المكي^(١)
 مرسى ، رقوطى^(٢) الأصل ، سكن بآخرة مكة ، يكتى أبا محمد ،
 ويعرف بابن سبعين .

حاله

قال ابن عبد الملك ، درس العربية والأدب بالأندلس ، عند جماعة

(١) هكذا الإسكوريال وفي الزيتونة (الحكى)

(٢) رقوطى نسبة إلى رقوطة ، وهي بلدة أندلسية صغيرة تقع شمال غرب مرسية على مقربة

من هرشور . وبالإسبانية « Ricate » .

من شيوخها . ثم انتقل إلى سبته ، وانتحل التصوف . بإشارة بعض أصحابه ، وعكف برهة على مطالعة كتبه ، وتعرض بعد لإسماعها ، والتكلم على بعض معانيها ، فمالت إليه العامة ، وغشيت محله . ثم فصل عن سبته ، وتجول في بلاد المغرب منقطعا إلى طريقة التصوف ، داعيا إليها ، محرضا عليها . ثم رحل إلى المشرق ، وحج خيَجْجاً ، وشاع ذكره ، وعظم صيته هنالك ، وكثر أتباعه على مذهبه ، الذي يدعو إليه من التصوف نحلة . ارتسموا بها من غير تحصيل لها ، وصنف في ذلك أوضاعا كثيرة ، تلقوها منه ، وتقلدوها عنه ، وبثوها في البلاد شرقا وغربا ، ولا يخلو أحد منها بطايل ، وهي إلى وساوس المخبولين ، وهذيان الممروضين أقرب منها إلى منازع أهل العلم ، ولفظه غير ما بلد وصقع ، لما كان يُرمى به من بلايا الله أعلم بحقيقتها ، وهو المطلع على سريرته فيها . وكان حسن الأخلاق ، صَبُورا على الأذى ، آية في الإيثار ، أبدع الناس خطأ .

وقال أبو العباس الغُبَريني في كتاب «عنوان الدراية»^(١) عند ذكره ، وله علم وحكمة ومعرفة ، ونباهة وبلاغة وفصاحة . ورحل إلى العُدوة ، وسكن بجاية مدة ، ولقيه من أصحابنا ناس كثير ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به في فنون خاصة له ، مشاركة في معقول العلوم ومنقولها ، ووجاهة لسان ، وطلاقة قلم ، وفهم جنان . وهو آخر الفضلاء ، وله أتباع كثيرة من الفقراء . ومن عامة الناس . وله موضوعات كثيرة ، موجودة بأيدي الناس ، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أبي جاد . وله تسميات مخصوصات في كُتبه هي نوع من الرموز . وله تسميات ظاهرة كالأسمى^(٢) المعهودة ،

(١) واسمه الكامل (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)

(٢) وردت في الإسكوريال (كالأسارى) والتصويب من الزيتونة

وله شعر في التحقيق . وفي مرافق أهل الطريق ، وكتابته مُستحسنة في طريقة^(١) الأدباء . وله من الفضل والمزية ، ملازمته لبيت الله الحرام ، والتزامه الاعتِمَار على الدوام . ووَخَّجْتَهُ مع الحجاج في كل عام ، وهذه مزية لا يُعرف قدرها ولا يُرام . ولقد مشى به للمغاربة بحظ في الحرم الشريف ، لم يكن لهم في غير مُدَّتِهِ . وكان أصحاب مكة شرفها الله ، يهتدون بأفعاله ، ويعتمدون على مقاله .

قلت ، وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة ، بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المؤمن^(٢) المُكفِّر . ومنهم المقلد المُعظَّم ، وحصل لطرقي هذين الاعتقادين من الشهرة والذِّبَاع ما لم يقع لغيره . والذي يقرب من الحق ، أنه كان من أبناء الأصالة ببلده ، ووُلِّي أبوه خُطَّة المدينة ، وبيته نبيه ، ونشأ تَرَفًا مُبجَّلًا ، في ظل جاه ، وعزُّ نعمة ، لم تفارق معها نفسه البلد . ثم قرأ وشدا . ونظر في العلوم العقلية . وأخذ التحقيق عن أبي اسحق ابن دهاق . وبرع في طريقة الشَّوْذِيَّة^(٣) . وتجرد واشتهر ، وعظُم أتباعه ، وكان وسيما جميلا ، ملوكي البزة ، عزيز النفس ، قليل التصنع ، يتولى خدمته الكثير من الفقراء السَّفارة . أولى العبا والدقاقيس ، ويحفون^(٤) به في السُّكك ، فلا يَعْدَم ناقدًا ، ولا يفقد متحاملا . ولما توفرت دواعي^(٥) النقد عليه من الفقهاء زِيًّا وانتِباذًا ونِحْلَةً وَصُحْبَةً واصطلاحا ، كثر عليه التَّأويل ، ووُجِّهت لألفاظه المعارض ، وفُليت

(١) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (طريق) . والأولى أنسب .

(٢) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المرهق) . والأولى أنسب .

(٣) الشوذية هم إحدى الطرق الصوفية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يمتفوا) .

(٥) ورد في الإسكوريال (داعي) . والتصويب من الزيتونة .

موضوعاته ، وتعاورته الوحشة ، ولقيه فحول من مُنتابى تلك النحلة ،
 قَصُر أكثرهم عن مداه في الإدراك والاضطّلاع ، والخوض في بحار تلك
 الأغراض. وساءت منه لهم في الملاطفة السيرة ، فانصرفوا عنه مكظومين
 يُنَدِّرون^(١) في الآفاق عليه من سوء القيلة ، مالا شيء فوقه. ورحل إلى المشرق ،
 وجرت بينه وبين الكثير من أعلامه خطوب . ثم نزل مكة شرفها الله تعالى
 واختارها قرارا ، وتلمذ له أميرها ، فبلغ من التعظيم الغاية . وعاقه
 الخوف من أمير المدينة المعظمة النبوية ، عن القدم عليها ، إلى أن توفي ،
 فعظم عليه الحَمَل لأجل ذلك ، وقَبُحت الأُحدوثه .

شهرته ومحلّه من الإدراك

أما اضطّلاعه ، فمن وقف على « البُدُّ » من كُتبه ، رأى سعة ذرّعه
 وانفِتاح مدى نظره ، لما اضطّلع به من الآراء والأوضاع والأسماء ، والوقوف
 على الأقوال ، والتعمق في الفلسفة ، والقيام على مذاهب المتكلمين ، بما
 يقضى منه العجب . ولما وردت على سبّته المسائل الصّقلية^(٢) ، وكانت
 جملة من المسائل الحِكْمِيّة ، وجهها علماء الروم تبيكيتاً^(٣) للمسلمين ، انتدب
 إلى الجواب عنها ، على فتى من سنّه ، وبديهة من فكرته . وحدثني شيخنا
 أبو البركات ، قال حدثني أشياخنا من أهل المشرق ، أن الأمير أبا عبد الله بن
 هود ، سالم طاغية النصراني ، فنكث عهده ، ولم يفِ بشرطه ، فاضطّه
 ذلك إلى مخاطبته إلى القومس الأعظم برومة ، فوكل أبا طالب بن سبعين ،
 أنحا أبي محمد ، المتكلم عنه ، والاستظهار بالعقود بين يديه . قال فلما
 بلغ باب ذلك الشخص المذكور برومة ، وهو بلد لاتصل إليه المسلمون ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يتندرون) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (العقلية) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تنكيتا) .

ونُظر إلى ما بيده ، وسُئل عن نفسه ، كلم ذلك القس من دنا منه محله من علمائهم بكلام ، تُرجم لأبي طالب بما معناه ، اعلموا أن أخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه .

دعواه وإزراؤه

وقد سُهر عنه في هذا الباب كثير والله أعلم باستحقاقه رتبة ما ادعاه أو غير ذلك . فقد ذكروا أنه قال ، وقد مر ذكر الشيخ أبي مدين رحمه الله ، شعيب عبد عمل ، ونحن عبید حضرة . وقال لأبي الحسن الشُّشتری عندما لقيه ، وقد سأله عن وجهته ، وأخبره بقصده الشيخ أبا أحمد ، إن كنت تريد الجنة فشأنك ومن قَصَدت ، وإن كنت تريد رب الجنة فهلُم إلينا ، وفي كتاب « البُدُّ » ما يُتَشوف إليه من هذا الغرض عند ذكره حكماء الملة . وأما ما يُنسب إليه من آثار السِّمياء والتصريف فكثير .

تواليفه

وتواليفه كثيرة تشذ عن الإحصاء ، منها كتابه المسمى بالبُدُّ «بُدُّ العارف» ، وكتاب الدرّج ، وكتاب الصفر ، والأجوبة اليمينية ، والكلُّ والإحاطة . وأما رسايله في الأذكار ، كالنورية في ترتيب السلوك ، وفي الوصايا والعقائد فكثير ، يشتمل على ما يشهد بتعظيم النبوة ، وإيثار الورع ، كقوله من رسالة : « سلام الله عليك ورحمته . سلام الله عليك ثم سلام مناجاتك . سلام الله ورحمته الممتدة على عوالمك كلها ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله عليك كصلاة إبراهيم من حيث شريعته ، وكصلاة أعز ملائكته من حيث حقيقتك ، وكصلاته من حيث حقه ورحمانيته . السلام عليك يا حبيبه . السلام عليك يا قياس

الكمال ، ومقدمة السعد ، ونتيجة الحمد ، وبرهان المحمود ، ومن إذا نظر الذهن إليه قد أنعم العيد ، السلام عليك يا من هو الشرط في كمال الأولياء ، وأسرار مشروطات الأزكياء الاتقياء . السلام عليك يا من جاوز في السماء مقام الرُّسل والأنبياء ، وزاد رفعة ، واستولى على ذوات الملائكة الأعلى ، ولم يسعه في وُجهته تلك إلا ملاحظة الرفيق الأعلى ، وذلك قوله ، سُبِّح اسم ربك الأعلى إلى الأخرى والأولى ، لا إلى الآخرة والأولى ، وبلغ الغاية والمطلوب ، التي عجزت عنه قوة ماهية النهي ، وزاد بعد ذلك ، حتى نظر تحته من ينظر دونه سِدْرَةَ الْمُنتَهَى ، إلى استغراق كثير ، أفضى إلى حال من مقام .»

ومن وصاياه يخاطب تلاميذه وأتباعه : حَفِظْكُمْ اللَّهُ ، حافظوا على الصلوات ، وجاهدوا النفس في اجتناب الشهوات ، وكونوا أوأبين ، توأبين ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الإخلاق ، واعملوا على نيل الدرجات السنية ، ولا تَغْفَلُوا عن الأعمال السنية ، وحصلوا مخصص الأعمال الإلهية ومهملها ، وذوقوا مُفَصَّلَ الذات الروحانية ومحملها ، ولازموا المودة في الله بينكم ، وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا فرص الشريعة على الحقيقة ، ولا تفرقوا بينهما ، لأنهما من الأسماء المترادفة ، واكفروا بالحقيقة التي في زمانكم هذا ، وقولوا عليها وعلى أهلها لعنة الله ، لأنها حقيقة كما سمي اللدِّيع سلبا ، وأهلها مُهْمِلُونَ حَدَّ الحلال والحرام ، مستخفون بشهر الصوم والحج وعاشوراء والإحرام ، قاتلهم الله أنى يُؤفكون .

ومنها : واعلموا أن القريب إلى منكم ، من لا يخالف سنة أهل السنة ويوافق طاعة رب العزة والمِنَّة ، ويؤمن بالحشر والنار والجنة ، ويفضل

الرؤية على كل نعمة ، ويعلم أن الرضوان بعدها ، أجل كل رحمة ،
ثم يطلب الذات بعد الأدب مع الصفات والأفعال ، ويغبط نفسه بالمشاهدة
في النوم والبرزخ والأحوال ، وكل مخالف سخييف : مُتَّهِم منه الفساد ،
وإن كان من إخوانكم ، فاهجروه في الله ، ولا تلتفتوا إليه ، ولا تُسلموا
له في شيء ، ولا تُسلموا عليه حتى يستغفر الله العظيم بمحضر الكل
منهم ، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم ، ويخرج من صفاته المذمومة ،
ويترك نظام دعوته المحرومة . وأنا مذ أشهدت الله العظيم ، أنى قد خرجت
من كل مُخالف متخلف العقل واللسان ، ولا نسبة بيتى وبيته في الدنيا
والآخرة ، فمن زلَّ قدمه يستغفر الله ، ولا يخذعه قدمه ، وأمثال هذا كثير .

دخوله غرناطة

أخبرني غير واحد من أصحابنا المعتنين بهذا ، أنه دخل غرناطة في
رحلته ، وأظنه يجتاز إلى سبته ، وأنه حل وسطه ، على اصطلاح الفقراء ،
برابطة العقاب^(١) من خارجها ، في جملة من أتباعه .

شعره

وشعره كثير ، مما حضرني منه الآن قوله :

كم ذا تموه بالشعبين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
وكم تعبر عن سلع وكاظمة وعن زرود وجيران بذي سلم
ظلمت تسئل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل متهم
في الحى حتى ولا سوى ليلي وتساءلها عنها سؤالك وهم جرّ للعدم

(١) هي إحدى الربط التي كانت تخصص للعبادة . وكانت تقع على مقربة من شرق غرناطة .
وقد سبقت الإشارة إليها (الإحاطة المجلد الثاني ص ١٥٥ حاشية) .

« وفاته » ، توفي بمكة شرفها الله تعالى يوم الخميس التاسع لشوال من عام تسعة وستين وستماية .

وفيما يسمى بإحدى عيون الإسلام من الأسماء العينية
 وهم عتيق وعمر وعثمان وعلي ، وأولا الأمراء والملوك
 وهم ما بين طاريء وأصلى وغريب

عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الاسلامي بن كسهم^(١) بن دميان^(٢)
 ابن فرغلوش بن أذفونش^(٣)

كبير الثوار ، وعظيم المنتزين ، ومنازع الخلفاء بالأندلس .

أوليته وحاله

قال صاحب التاريخ ، أصله من رُنْدَة ، من كورة تاكُرْنَا ، وجدّه
 جعفر إسلامي^(٤) ، وانتقل إلى رندة ، لأمر دار عليه بها في أيام الحكم بن
 هشام ، فسكن قرية طرجيلة من كورة ريه المجاورة لحصن أوطة ، فاستوطن
 بها ، وأنسل بها عمر ، ثم أنسل بها عمر حفصاً ، وفُخْم فقييل حفصون .
 ثم أنسل عمر هذا الشاير مع أخوة له ، منهم أيوب وجعفر . ولما ترعرع
 عمر ، ظهر له من شراسته وعتوه ، ما لم يعدم معه أبواه هرباً عن مواضعهما
 فزالا عن وطنهما ، فذكر أنه لم يُمسك من حين كان عن أحد ممن ناظره ،

(١) هذا الاسم زائد في مخطوط الإسكوريال . ولم يرد في نسبة عمر بن حفصون المعروفة لنا .

(٢) وردت في الإسكوريال (ذبيان) . وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه .

(٣) وردت في الإسكوريال (اريوس) وهو تحريف والصحيح ما أثبتناه .

(٤) المقصود هنا بأن جده جعفر هو أول من أسلم من أسلافه .

ولا سكت عن أقبح ما يمكن من السب لمن عاتبه ، وأنه قتل أحد جيرانه على سبب يسير دافعه عنه ، فتغرب لذلك عن الموضع زمانا .

وذكر ابن القوطية ، أن عامل ربه ، عاقبه في جناية ، وفر إلى العُدوة ، وصار يتهرَّب عند خياط كان من أهل ربه ، فبينما هو جالس في حانوته يوما ، إذ أتاه شخص بثوب يقطعه ، فقام إليه الخياط ، فسأل ذلك الشخص الخياط عن عمر ، فقال له هو رجل من جيراني ، فقال الشيخ متى عهدك بربه ، فقال له ، منذ أربعين يوما ، فقال له ، أتعرف جبلا يقال له بُبشتر^(١) ، فقال أنا ساكن عند أهله ، فقال أله حركة ، قال لا ، قال الشيخ قد أذن ذلك . ثم قال ، تعرف فيما يجاوره رجلا يقال له عمر بن حفصون ، ففزع من قوله ، فأحدَّ الشيخ النظر فيه وقال ، يا منحوس ، تُحارب الفقر بالإبرة ، إرجع إلى بلدك ، فأنت صاحبُ بني أمية ، وستملك ملكاً عظيماً ، فقام من فورهِ ، وأخذ خُبزة في كُمَّه ، ورجع إلى الأندلس . فداخل الرجال ، حتى ضبط الجبل المذكور ، وانضوى إليه كل من يتوقَّع التهمة على نفسه ، أو تشهره إلى الانتزاع بطبعه ، وضمَّ إلى القلعة كل من كان حولها من العجم والمولدين . ثم تملك حصن أوطه وميجش ، ثم تملك قمارش وأرجدونه^(٢) . ثم اتسع نظره ، حتى تملك كورة ربه ، والخضراء ، وإلبيرة ، إلى بسطة وأبدة وبياسة وقبرة ، إلى حصن بلى ، المطل على قرطبة . وأشرق الخلافة بريقها ، وقطع الزمان من استكانة إلى عهد ، وكشف الوجه في ختر ، وتشمير الساعد عن حرب ، وحسر اللثام عن أيد وبسطة . وشد الحزام على جهد وصبر ، ونازله

(١) جبل ومدينة ببشتر ، يقمان شمال غربي مالقة في قلب كورة رية . والإسبانية « Bobastro »

(٢) تقع قارش على مقربة من شمال مالقة ، وتقع أرشدونه أو أرجدونه في شمالها ، وفي شمال =

الخلايف والقواد ، فلم يحل بطايل ، وأصابته جراحات مُشخنة في الوقايح وأصبحت فتنته سمر الركاب ، وحديث الرفاق . شدة أسر ، وثقل وطأة ، وسعة ذرع ، واتصال جبل ، وطول إملاء . استغرق بها السنين ، وطوى الأعمار ، وأورث ذلك ولده بعده . وعند الله جزاء وحساب ، وإن امتدّ المآب ، لا إله إلا هو .

دخوله عرناطة وإلبيرة

قال ابن الفياض وغيره ، ودخل إلبيرة مرات . عندما ثار بدعوته ، قاتل ، وانضوى إلى حصن منتشافر^(١) ، من إقليم برجيلة قيس ، في نحو ستة آلاف ، وتغلب على يحيى بن صيقالة ، ثم نازله سوار بن حمدون أمير العرب بغرناطة ، حتى غلبه ، وأخذه أسيرا ، ثم أوقع بجعد ومن معه من أهل إلبيرة وقايح مُستأصلة ، وتملك بعدها بياسة وأبدة ، في أخبار تطول . قال أبو مروان ، قصد ابن حفصون حاضرة إلبيرة وحصونها ، وناصب الحرب سواراً ، وقد استمد سوار رجالات العرب ، من كورتى جيان وريه وإلبيرة . ف وقعت الهزيمة على ابن حفصون . وجرح جراحات مُشخنة ، وأصيب جماعة من فرسانه ، وانقلب منهزماً . فغضب عند ذلك على أهل إلبيرة فأغرمهم مغرماً فدحهم ، واستعمل عليهم . حفص بن المرّة ، فلم يزل يعمل الحيل على سوار . حتى أوقع به . وأتى بجثته إلى إلبيرة . وحمل رأسه إلى بيشتر . واستشرى داؤه . وأعيا أمره . فاتصل ملكه بالقواعد والأقطار ، وغلب أكثر المدن . ما بين الوسطة والغرب . وأحرق

== شرق بيشتر بنفس الولاية ، وهي بالإسبانية على التوالي « Comares Archidona » .

(١) هذه تسمية ابن حيان لهذا الحصن . وفي تسمية أخرى حصن منت شفند .

ملكه بقرطبة ، وحجر عليها الخيل من حصن بُلَى^(١) . من حصون قِبْرَة ،
فجلت الكَنْبَانِيَّة^(٢) ، وامتدَّ إلى بنيان المعقل . ولما رأى الأمير حمد^(٣)
ما أحاط به منه ، تَأَهَّب إلى غزوه . ونزل حصن بُلَى ، وناهضه . فأوقع
به . وهزمه وألجأه إلى أن سَلَّمَ في حصنه . فلما خرج منه بن معه ،
تطيرهم ريح الفرار والسيوف تأخذهم . استولى الخليفة على الحصن .
وفي ذلك يقول أحمد بن عبد ربه ، شاعر دولتهم :

وله يسوم بُلَى وقعة لم تدع للكفر رأساً في ثَبَج
لم يجد إبليس في حَوْمَتِهَا نفعا من رهبة حيث بَلَج
دفعتهم حملة السَّيْلِ إلى كافح الأمواج مخضَّ اللَّجَج
فتح الله على الدِّين به وعلى الإسلام يا عامر تنج
وكان هذا الفتح سنة سبع وسبعين ومائتين^(٤) . ثم استخلص مدينة
إِسْتِجَّة .

وفاته

قال ، ومن هذا العهد ، أذبر أمر ابن حفصون . وتوقف ظهوره ،

(١) حصن بلى أو بولى أو بلاى وبالاسبانية « Poley » أو « Polei » ، يقع شمال غربى
لوشة ، وشرقى قبرة على مقربة من نهر شليل . وتسمى البلدة التى قامت مكانه اليوم ببلدة أجيلار «Aguilar»
(راجع المجلد الأول ص ١١١ حاشية) .

(٢) الكنبانية هم الفلاحون أو الزراع الذين يزرعون الأرض المنبسطة وأصلها من الإسبانية
« Campesino » .

(٣) هذا خطأ تاريخى من ابن الخطيب ، لأن الأمير محمد بن عبد الرحمن أمير الأندلس المتوفى
في ربيع الأول سنة ٢٧٢ هـ لم يكن هو الذى اضطلع بمعركة بلى ضد ابن حفصون . وإنما الذى
اضطلع بها هو ولده الأمير عبد الله الذى جلس على العرش في شهر صفر سنة ٢٧٥ هـ .

(٤) وهذا خطأ تاريخى آخر لابن الخطيب . لأن معركة بلى التى نشبت بين جيش الأمير
عبد الله وقوات ابن حفصون عند حصن بلى وأحرر فيها الأمير نصره الباهر على ابن حفصون .
وقعت في ربيع الأول سنة ٢٧٨ هـ . وليس في سنة ٢٧٧ هـ . (راجع كتابي ده له الإسلام في الأندلس
الطبعة الرابعة ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

بعد تخبُّط شديد ، ولجَّاج كبير ، وشرُّ مُبِير ، وكانت وفاته ببُشتر ، موضع انتزائه على عهد الخليفة عبد الرحمن في سنة ست وثلاثمائة ، بعد مرض شمل النَّفخُ به جسده ، حتى تشقَّق جِلده ، وانتقل أمره إلى ولده جعفر ، ثم إلى ولده سليمان ، ثم إلى ولده حفص . وعلى حفص انقرض أمرهم .

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي

بَطْلِيوسِي ، مِكناسِي الأَصْل ، من مِكناسة الجوف ، الأمير بالشعر الغربي ، الملقب من ألقاب السلطنة بالمتوكل على الله ، المكنى بأبي محمد ، المُنْبِزُ بابن الأَفطس .

أوليته

قال ابن حيان ، كان جدُّهم عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأَفطس ، أصله من فحص البلوط^(١) ، من قوم لا يدعون نباهة ، غير أنه كان من أهل المعرفة التامة ، والعقل ، والدهاء ، والسياسة . ثم كان هذا الصُّقع الغربي ، بطليوس وأعمالها ، وشتَّرين والأشبونة ، وجميع الشعر الجوفي في أمر الجماعة ، رجل من عبید الحكم المستنصر^(٢) ، يسمى سابور . فلما وقعت الفتنة ، وانشقت العصا ، انتزى سابور على ما كان بيده . وكان عبد الله يدبر أمره إلى أن هلك سابور ، وترك ولدين لم يبلغا الحُلُم ، فاشتمل عبد الله على الأمر ، واستأثر به علي ولديه ، فحصل على

(١) فحص البلوط وبالاسبانية « Las Pedroches » هو موضع يقع على مقربة من قرطبة في واد منبسط تكثر به أشجار البلوط . وكانت تسكنه بعض طوائف البربر .

(٢) وردت في الإسكوريال (المتنصر) . وهو تحريف ، وصوابه الحكم المستنصر .

مُلك غرب الأندلس ، واستقام أمره ، إلى أن مضى بسبيله ، وأعقبه
إبنه المظفر محمد بن عبد الله ، وكان ملكا شهيرا عالما شجاعا أديبا ، وهو
مؤلف الكتاب الكبير المسمى بالمظفرى ، فاستقامت أموره إلى أن ثوى
فقام بأمره ولده عمر هذا المترجم به .

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان أديبا بارعا الخط ، حافظا للغة ، جوادا ،
راعيا حقوق بلده ، مؤاخيا لهم ، مُحَبِّبا فيهم ، مرَّت لهم معه أيام هُدنة
وتفضُّل إلى حين القبض عليه .

وقال الفتح في قلائده : ملك جند الكتاب والجنود ، وعقد الألوية
والبنود ، وأمر الأيام فانتمرت ، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت ، إلى
لسن وفصاحة ، ورَحِب جناب للوافدين وساحة ، ونظم يُزرى بالدرّ النظيم ،
ونثر تسرى رفته سُرى النسيم ، وأيام كأنها من حسنها جُمع ، وليال كان
فيها على الأنس حضور ومجتمع ، راقت إشراقا وتبُلُّجا ، وسالت مكارمه
فيها أنهارا وخلُّجا ، إلى أن عادت الأيام عليه بمعهد العُدوان ، ودبت إليه
دبيبها لصاحب الإيوان ، وانبرت إليه انبراءها لابن زهير وراء عمان .

شعره

بلغه أنه ذكر في مجلس المنصور يحيى أخيه بسوء ، فكتب إليه بمأنصه
فما بالهم لا أنعم الله بالهم ينيطون بي ذمًا وقد علموا فضلى
يسيئونلى فى القول جهلا وضلّة وإنى لا أرجو أن يسيئهم فعلى
لئن كان حقا ما أذاعوا فلا مشت إلى غاية العلياء من بعدها رجلى
ولم ألق أضيافى بوجه طلاقة ولم أمنح العاقين فى زمن المَحَل

وكيف وراحي درس كل غريبة
 ولي خلق في السخط كالشري طعمه
 فيا أيها الساق أخاه على النوى
 لنطيق نارا أضرمت في صدورنا^(١)
 وقد كنت تشكيني إذا جئت شاكيا
 فبادر إلى الأولى وإلا فإنني
 وكتب جوابا لأبي محمد بن عبدون مع مركوب عن أبيات ثبتت في
 القلايد :

بعثت إليك جناحا فطر
 على ذلك من نتاج البروق
 على خفية من عيون البشر
 في ظل من نسيج الشجر
 فحسبي ممن نأى ومن دنا
 فمن غاب كان كمن قد حصر

قال الفتح ، أخبرني الوزير أبو أيوب بن أمية ، أنه مر في بعض
 أيامه بروض مُفتر المباسم ، معطر الرياح^(٢) النواسم ، فارتاح إلى الكون به
 بقية نهاره ، والتنعّم بينفسجه وبهاره . فلما حصل من أنسه في وسط
 المدى ، عمد إلى ورقة كرنب قد بللها الندى ، وكتب فيها بطرف غضن ،
 يستدعي الوزير أبا طالب [بن غانم] أحد ندمائه ، ونجوم سمائه :
 أقبل أبا طالب إلينا [واسقط سقوط الندى علينا]^(٤)

(١) هكذا وردت في قلائد العقبان . ووردت في الإسكوريال (بنفوسنا) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . وقد وردت في القلائد على النحو الآتي
 (فشك لا يقل ومثل لا يقل) .

(٣) هذه الكلمة واردة في القلائد وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في القلائد كآلاتي (وقع وقوع

الندى علينا) .

فنحن عقْد بغير وسطى ما لم تكن حاضراً لدينا

نشره

وهو أشْفُ من شعره ، وإنَّه لطَبَقَة تتقاصر عنها^(١) أفذاذ الكتاب ،
ونهاية من نهاية الآداب ، قال ، كان ليلة مع خواصّه للأنس مُعاطيا ،
ولمجلس كالشمس واطيا ، قد تفسرُغ للسرور ، وتفرغ عيشا كالأمل
المزور ، والمنى قد أفصحت وزقُّها ، وأومض برقُّها ، والسعد تطلع
مخايله ، والمملك يبدو زهوّه وتخايله ، إذ ورد عليه كتاب بدخول أشبونة
في طاعته ، وانتظامها في سلك جماعته ، فزاد في مسرته ، وبسط من أسرته
وأقبل خدامه ، وأسبل نداءه على جلسائه ونُدَّامه ، فقال له ابن خيرة ،
وكان يُدُلُّ بالشباب ، وينزل منه منزلة الأحياب ، لمن تولَّيها ، ومن
يكون واليها ، فقال له ، أنت ، فقال فاكتب الآن^(٢) بذلك ، فاستدعى
الدواة والرق ، وكتب وما جفَّ له قلم ، ولا توقَّف له كليم : لم يسوِّغ
أولياء النعم ، مثل الذى سوَّغتموه من التزام الطاعة ، والدخول فى نهج
الجماعة ، وذلك لا آلوكم [ونفسى فيكم]^(٣) نصحا فيمن أتخيره ،
للنيابة عنى فى تدبيركم ، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم ، وقد
ولَّيت عليكم ، من لم أوثر [والله]^(٤) فيه دواعى التقريب ، على بواعث
التجريب ، ولا فوات التخصيص ، على لوازم التمهيص ، وهو [الوزير]^(٥)
القائد أبو عبد الله بن خيرة ، ابْنى دُرْبَة ، وبعضى صُحْبَة ، ونشأتى سَكَّة

(١) وردت فى الإسكوريال (افراد) . ونعتقد أن التصويب أرجح بالنسبة للمعنى .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى القلائد (لى) .

(٣) هذه الزيادة من القلائد .

(٤) الزيادة من القلائد .

(٥) الزيادة من القلائد .

وَقَرِيَّة ، وقد رسمت له من وجوه الذُّب والحماية ، ومعالم الرُّفق والرُّعاية ، ما التزم الاستيفاء بعَهده^(١) ، والوقوف بجَدِّه عند حده^(٢) ، والمسؤول في عَوْنه من لا عون إلا من عنده ، ولن أعرفكم من حميد خصاله ، وسديد فعاله ، إلا بما سيَبْدو للعيان ، ويزكرو مع الامتحان . ويفشو^(٣) من قبلكم إن شاء الله على كل لسان ، وقد حدَّدت له أن يكون لناشئكم أباً ولكهلكم أخاً . ولذى النفوس والكبرة إبناً ، ما أَعْتَمُوهُ على هذا المراد ، ولزوم الجواد ، ورُكوب الانقياد . وأما من شق العصا ، وبيان عن الطاعة ، وظهر منه المراد والهوى ، فهو القَصِيُّ منه ، وإن مَتَّ إليه بِالرَّحْمِ الدُّنْيَا ، فكونوا خير رعيَّة ، بالسمع والطاعة في جميع الأحوال ، يَكُنْ لَكُمْ بِالْبِرِّ وَالْمَوَالَاةِ خَيْرَ وَال [إن شاء الله عز وجل] ^(٤) .

وصوله إلى غرناطة

وَصَلَّهَا صُحْبَةَ حَلِيفِهِ ابْنِ عِبَاد ، لما قبض يوسف بن تاشفين على صاحبها ونزل بالمشيخة من خارجها في رجب من عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ورايهما الأمر ، كما تقدم في ذكر المعتمد بن عباد ، فتعجلاً الرجوع إلى وطنهما بحيلة دبراهما .

نكبته ووفاته

ولما اشتدَّ خوفه من أمير لمتونة ، ورأى أنه أسوة ابن عباد في الخلع عن مُلْكِهِ ، وَضَيَّقَت الخيل على أطرافه وانتزعتها ، داخل طاغية الرُّوم ، وملَّكه من مدينة الأَشْبُونَةِ ، رغبة في دفاعه عنه ، فاستوحشت لذلك رعيته ،

(١) هكذا في القلائد . وفي الإسكوريال (مجده) .

(٢) هكذا في القلائد . وفي الإسكوريال (جهده) .

(٣) هكذا في القلائد . وفي الإسكوريال (ويفشى) .

(٤) هذه الزيادة من القلائد .

وراسلت اللّمتونيين، واقتحمت عليه مدينة بَطْلَيْوس، واعتصم بالقَصْبَة،
 وخنانه المُحارِبَة، فدُخِلت عليه عَنوَةٌ، وتُقْبُض عليه وعلى بنيه وعبيده،
 وتحصّلوا في ثقاف قائد الجيش اللّمتوني. وبادر إعلام الأمير سير بن
 أبي بكر، فلاحق بها. واستخرج ما كان عند المتوكل من المال والذخيرة،
 وأزَعَجَه إلى إشبيلية مع إبنين له، فلما تجاوز وبعد عن حضرته، أنزل
 وقيل له تأهب للموت، فسأل أن يقدم ابناه يَحْتَسِبهما عند الله، فكان
 ذلك، وقتلاً صبراً بين يديه، ثم ضُرب عنقه، وذلك صدر سنة سبع
 وثمانين وأربعمائة، وانقرضت دولة بني الأَظْطَس.

ومن رثاهم، فبلغ الأمد وفاء وشهرة وإجادة، أبو محمد عبد المجيد
 ابن عبدون^(١) بقصيدته الفريدة:

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ	فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ
أَنْهَكَ أَنْهَكَ لَا آتُوكَ مَوْعِظَةٌ ^(٢)	عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ
فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبَدَى مُسَالِمَةٌ	وَالْبَيْضُ وَالسُّمْرُ مِثْلَ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
وَلَا هَوَادَةَ بَيْنَ الرَّأْسِ تَأْخُذُهُ	يَدِ الضَّرَابِ وَبَيْنَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
فَلَا تَغْرَنَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتِهَا	فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهْرِ
مَا لِلْيَالِي أَقَالَ اللَّهُ عَشْرَتَنَا	مِنَ اللَّيَالِي وَخَانَتِهَا يَدُ الْغَيْرِ
فِي كُلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ	مِنَّا جِرَاحٌ وَإِنْ زَاغَتْ عَنِ الْبَصْرِ
تُسْرٌ بِالشَّيْءِ لَكِنْ تَغْرِبُهُ	كَالْأَيْمِ ثَارٍ إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهْرِ

(١) هو الفقيه والكاتب والشاعر الكبير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون وزير بني الأَظْطَس
 وكاتب دولتهم. وأصله من يابرة من أعمال البرتغال. وقد ترك لنا رسالته الشهيرة عن «القضاء والحسبة»
 وفيها يقدم إلينا صوراً هامة عن شئون القضاء والحسبة في عصره - عصر الطوائف - وعن مجتمع
 الطوائف، نبدو فيه روح النقد والتشاؤم وقد توفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م).

(٢) هكذا في الإسكوريال والمعجب. وفي القلائد (معدرة)

لم تُبْق منها وسلّ ذكراك من خبر
 وكانت غَضبا على الأملاك ذا أثر
 ولم تدعُ لبني يونان من أثر
 عادٍ وجرهم منها ناقص العير
 ولا أجمارت ذوى الغايات من مضر
 فما التقى رائح منهم بمبتكر
 مهلهلا بين سمع الأرض والبصر
 ولا ثنت أسدا عن ربها حجر
 عبسا وعضت بني بدر على النهر
 يد ابنه أحمر العينين والشعر
 بيزد جرد إلى مرو فلم يجر [(٢)]
 والحقت (٣) طلحة الفياض بالغمر
 من غيلة حمزة الظلام للجور
 عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
 ذى حاجب عنه سعدا (٤) فى ابنة الغير
 إلى الزبير ولم تستحي من عمر
 ولم تزوده إلا الضح فى الغمر
 وأمكنت من حسين راحتي شمر
 فدت عليا بمن شاءت من البشر

كم دولة وُلّيت بالنصر خدمتها
 هوت بدارا وفلت غرب قاتله
 واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت
 وأتبع (١) أختها طسما وعاد على
 وما أقالت ذوى الهيئات من يمن
 ومزقت سببا فى كل قاصية
 وأنفذت فى كليب حكما ورمت
 ولم ترد على الضليل صحته
 ودوخت آل ذبيان وإخوتهم
 وألحقت بعدى بالعراق على
 [وأهلك أبرويزا بابنه ورمت
 وأشرفت بحبيب فوق قارعة
 ومزقت جعفر بالببيض واختلست
 وبلغت يزدجرد الصين واختزلت
 ولم ترد مواضى رستم وقنسا
 وخصبت شيب عثمان دما وخطت
 وما رعت لأبي اليقظان صحبته
 وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن
 وليتها إذ فدت عمرا بخارجة

(١) كذا فى الإسكوريال والقلائد . وفى المعجب (والحقت) .
 (٢) هذا البيت وارد فى المعجب وساقط فى القلائد والإسكوريال .
 (٣) هكذا فى الإسكوريال وفى القلائد والمعجب (والصقت) .
 (٤) هكذا فى الإسكوريال والمعجب . وفى القلائد (سما) .

أنت بمعضلة الألباب والفكر
 وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر
 ولم ترد الردى عنه قنا زفر
 يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر
 كانت بها مهجة المختار في وزر
 [راعت عيادته بالبيت والحجر] (١)
 ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
 تبق الخلافة بين الكاس والوتر
 وأحمر قطرته نفحة القمطر] (٢)
 عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
 دم يشج (٣) لآل المصطفى هدر
 والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
 لجعفر بابنه بالأعبد الغدر
 وأسلمت كل منصور ومنتصر
 بذيل زبأء من بيض ومن سمر
 بما تأكد للمعتز من مسرر
 وأشرقت بقذاها كل مقتدر
 مراحل والورى منها على سفر

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن
 فبعضنا قائل ما اغتاله أحد
 وعمت بالردى (١) فودى أبي أنس
 وأردت ابن زياد بالحسين فلم
 وأنزلت مصعباً من رأس شاهقة
 ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا
 [ولم تدع لأبي الزيان قاضية
 وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم
 حباة حب رمان ألم بها
 ولم تعد قصب السفاح نابية
 وأسبلت دمة الروح الأمين على
 وأشرقت جعفرأ والفضل ينظره
 وأخضرت في الأمين العهد وانتدبت
 وروعت كل مأمون ومؤتمن
 وأعشرت آل عباس لعالمهم
 ولا وقت بعهود المستعين ولا
 وأوثقت في عراها كل معتمد
 بنى المظفر والأيام [ما برحت] (٥)

(١) هكذا في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (بالظبي) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في القلايد والمعجب . ووردت في الإسكوريال (ولم تبق الخلافة بين الكاس والوتر) وهي شطرة بيت آخر يأتي بعد .

(٣) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة في الإسكوريال وواردة في القلايد والمعجب .

(٤) هكذا وردت في القلايد . وفي الإسكوريال والمعجب (بفخ) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (لا نزلت) .

سحقاً ليومكم يوماً وما حملت
 من للأسرة أو من للأعنة أو
 من للبراعة أو من للبراعة أو
 من للظبي^(٢) وعوالى الخط قد عقدت
 وطوقت بالمنايا السود بيضهم
 أو رفّع كارثة أو دفّع حادثة
 وبيح السماح وويح الجود^(٤) لوسلما
 سقت ثرى الفضل والعباس هامية
 ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا
 ثلاثة كذوات الدهر منذ ناوا
 ومرّ من كل شيء فيه أطيبه
 من للجلال^(٦) الذى عمّت مهابته
 أين الإباء الذى أرسوا قواعد
 أين الوفاء الذى أصفوا شرائعه
 كانوا رواسى أرض الله منذ ناوا^(٨)

بمثله ليلة [فى سالف العمر]^(١)
 من للأسنة يهديها إلى الثغر
 من للسماحة أو للنفع والنضر
 أطراف أسننها بالعى والحصر
 أعجب بذاك وما منها سوى ذكر
 أو قمع آزفة تعي على القدر^(٣)
 وحسرة الدين والدنيا على عمر
 تعزى إليهم سماحاً لا إلى المطر
 وكل ما طار من نسر ولم يطر
 عن مضى الدهر لم يربح ولم يحر^(٥)
 حتى التمتع بالأصاال والبكر
 قلوبنا^(٧) وعيون الأنجم الزهر
 على دعائم من عز ومن ظفر
 فلم يرد أحد منهم على كدر
 عنها استطارت بمن فيها ولم تقر

(١) هكذا . . . دت فى الإسكوريال . وردت فى القلايد (فى مقتيل السر) . وفى المعجب (فى غابر العمر) .

(٢) هكذا وردت فى القلايد والمعجب . وفى الإسكوريال (القدا) .

(٣) هكذا ورد هذا البيت فى الإسكوريال . وورد فى المعجب والقلايد كالأتي (أودفع كارثة أو ردع رادفة أو وقع حادثة تعين على القدر) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . ووردت فى القلايد والمعجب (الباس) .

(٥) ورد هذا البيت فى المعجب ، ولم يرد فى الإسكوريال ولا القلايد .

(٦) هكذا وردت فى الإسكوريال والقلايد . وفى المعجب (أين الجلال) .

(٧) هكذا وردت فى القلايد والمعجب . وفى الإسكوريال (ميوننا) .

(٨) هكذا وردت فى الإسكوريال والقلايد . وفى المعجب (مضوا) .

كانوا مصابيحها دهر اقمند خبوا^(١) هذى الخليفة تالله في سدر^(٢)
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع من لى ولا من بهم ان اظلمت نوب
من لى ولا من بهم ان طبقت^(٣) محن من لى ولا من بهم ان عطلت سنن
ويلمنه من طلوب الشار مذكر كه على الفضائل الا الصبر بعدهم
يرجو عسى وله في أختها طمع^(٧) قرطت آذان من فيها بفاضحة
[سيارة في أقاصى الأرض قاطعة مطاعة الأمر في الباب قاضية^(٨)
هذى الخليفة تالله في سدر^(٢) منه بأحلام عاد في خطا الخضر
ولم يكن ليئله يفضى إلى سحر ولم يكن ورودها يفضى^(٤) إلى صدر
وأخفيت السن الآثار^(٥) والسير لو كان ديناً على الأيام ذى عسر
تسليم^(٦) مرتقب للأجر منتظر والدهر ذو عقب شتى وذو غير
على الحسان حصى الياقوت والدرر شقاشقا هذرت في البدو والخضر
من المسامع ما لم يقض من وطراً^(٨)

ومن الغرباء

عم بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن

الدليل بتلمسان ، يكنى أبا سعيد .

حاله

- (١) هكذا وردت هذه الشطره في الإسكوريال ، ووردت في القلايد والمعجب كالاتى (كانوا مصابيحها فذخبوا غبرت - عثرت) .
- (٢) هكذا وردت في المعجب . وفي الإسكوريال والقلايد (سرر) والأولى أرجح .
- (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والمعجب . وفي القلايد (اطنت) .
- (٤) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (يدعو) .
- (٥) هكذا وردت في القلايد والمعجب ، وفي الإسكوريال (الأيام) .
- (٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي القلايد والمعجب (سلام) .
- (٧) هكذا وردت في الإسكوريال والقلايد . وفي المعجب (أمل) .
- (٨) هذان البيتان الختاميان وردا فقط في المعجب . ولم يردا في الإسكوريال ولا في القلايد .

كان شيخاً مَخِيلاً بِسِمَةِ الخير ، متظاهراً بالنَّسَف ، بقية آل زِيَان ، متقدِّماً في باب الدهاء والذِّكر ، بالغاً أقصى المبالغ في ذلك . سكن غرناطة ووادي آش ، وولد بغرناطة . وكان أبوه ممن هلك في وقعة فُرتونة ، فارتزق مع الجند الغربي بديوانها في حجر أبيه وبعده ، ثم ثنى عِنانَه إلى وطنه ، وتخطَّته المتالف عند تغلب السلطان صاحب المغرب على بلده تلمسان ، وغاص في عِرْض من تَهْنَأُ الإبقاء من قبيله . وكان ممن شمله حصار الجزيرة ، ووصل قبله ممداً مع الجيش الغربي بجيش غرناطة عند مُنازلة القلعة . ولما جرت على وائيرهم السلطان أبي الحسن الهزيمة بظاهر القَيْرُوان ، وبعُد الطمع في انتِشاله وجبَّره ، ولحق كل بوطنه ، حوم الفلِّ من بني زِيَان على ضعفهم ، ومذ رحل عنه السلطان القايم بمُلك المغرب أبو عنان ، إلى محل الأمر ودار الملك ، وسدَّ تلمسان بشيخ من قبيلهم يعرف بابن حرار ، له شهرة وانتفاخ لتنسيق رياح الاختلاف ، فذ في إدارة الحيلة ، وإحالة قِداح السياسة ، رأس الرُّكب الحجازي غير ما مرة ، وحلَّ من الملوك ألطف محلَّة . ولما نهَد القوم إلى تلمسان ، ناهضهم ابن الحرار بمن استرُكب من جنده ، وانضم إليه من قومه ، فدارت عليهم الهزيمة ، وأحيط به ، فتملَّك البلد ، وتُحصِّل في الثُّقاف ، إلى أن هلك به مُغتالاً ، واستولى عثمان بن يحيى على المدينة ، وانقاد إليه ما يرجع إليها من البلاد والقبائل ، فثاب لهم مُلكٌ لم تكد شُعلته تَقِد حتى خَبَتْ ، وعلى ذلك فبلغوا في الزمان القريب ، من وفور العُدَّة ، واستجادة الآلة ، وحُسن السَّيرة ، ما يقضى منه العجب . وانفرد عثمان بالأمر ، وعيَّن أخاه أبا ثابت الزعيم إلى إمارة الجيش ، فاستقام الصفُّ ، وانضم النُّشر ، وترتبت الألقاب ، واستأنفوا الدولة ، وتلقفوا الكُرَّة ،

وقل ما أدبر شيئا فأقبل . وبادر السلطان بالاندلس مُفاتيحه مهنيا ،
وللجلف مجددا ، بكتاب من إنشائي من فصوله :

« بعد الصدر والتحميد ، ولا زايد بفضل الله المرجو في الشدايد ،
لجميل العوايد ، إلا ما شرح الصدور ، وأكد السرور ، وبسط النفوس ،
وأضحك الرسن العبوس ، من اتساق أمور ذلك الملك لديكم ، واجتماع
كلمته عليكم ، وما تعرفنا أن الدولة الزبانية ، وصل الله لبُدورها استيناف
الكمال ، وأعلى أعلامها في هضاب اليمن والإقبال ، تذكرت الرسائل
القديمة والأدمة ، وألقت إلى قومها بالأزمة ، وحنّت إلى عهدهم على طول
النوى ، وأنشد لسان حالها ، « نقل فؤادك حيث شئت من الهوى » ، فأصبح
شيتك بأهلها مجموعا ، وعلم عليائها بأيدي أوليائها مرفوعا ، وملابس
اعتزازها بعد ابتزازها جديدة ، وظلال سُعودها على أغوارها ونُجودها مديدة ،
وقبيلها قد أنجح الله في ائتلافه أمل الآمل ، ومبتداها مرفوعا مع وجود
العوامل ، والكثير من أوطانها قد سلكت مسلكها في الطاعة ، وتبادرت
إلى استياف فضيلة الوفاق بحسب الاستطاعة ، فعظم الاستبشار بأن كان
لكم مالها ، وفي إيالتكم انتيالها ، من غير أن يعلّق بأسبابها من ليس من
أربابها ، ويطمع في اكتسابها من لم يكن في حسابها . وقلنا موارث وجب ،
وعاصب حجب ، وركب عُلج من بعد القفول ، وشمس طلعت من بعد
الأفول ، وجيد حلّ بعد ما اشتكى العطل ، وغريم قضى بعد ما مطل ،
وطرف تنبه بعد ما سجع ، ودري استقام سيره عقب ما رجع ، وقضية
انصرف دليلها عن حدود القواطع ، وطرحت عليه أشعة السُعود السواطع ،
لا بل عبْدُ أبق لقدّر سبق ، حتى إذا راجع نهاه ، وعذله العقل ونهاه ،
جنح بعد هجره ، إلى كنف من نشأ في حجره . وعلمنا أن الدولة التي

عَرَفْنَا مَكَارِمَهَا ، قَدْ دَالَتْ ، وَالغَمَامَةُ الَّتِي شَكَرْنَا مَوَاقِعَهَا قَدْ انْثَالَتْ ، فَجَرِينَا فِي الْمَسْرَةِ مَلءَ الْأَعْنَةَ ، وَشَارَكْنَا فِي شُكْرِ هَذِهِ الْمَنَّةِ ، وَأَصْدَرْنَا إِلَيْكُمْ هَذَا الْخِطَابَ مُهْنِيًّا ، وَعَنِ الْوَدِّ الْكَرِيمِ وَالْوَلَاءِ الصَّمِيمِ مُنْبِيًّا ، وَفِي تَعْزِيزِ مَا بَيْنَ الْأَسْلَافِ ، جَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلَابِسَ الرُّضْوَانِ مُعِيدًا مُبِيدًا ، وَإِنْ تَأَخَّرَ مِنْهُ الْغَرَضُ ، وَقَضِيَ بِهَذَا الْعَهْدِ وَاجِبُهُ الْمُفْتَرَضُ ، وَالْأَعْذَارُ وَاضِحَةٌ ، وَأَدِلَّتْهَا رَاجِحَةٌ ، وَلِلْمُضْمَرِ أَحْكَامٌ تُمْضِي ، وَالْفُرُوضُ لِلْفَوَاتِ تُقْضَى ، فَكَيْفَ وَالْإِعْتِقَادُ الْجَمِيلُ مُسِيرٌ مُسَكِّنٌ ، وَالْوَقْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتِمِّكِنٌ ، وَمَا بَرِحْنَا فِي مَنَاطِ اجْتِهَادٍ ، وَتَرْجِيحِ اسْتِشْهَادٍ ، وَالْأَخْبَارِ يَضْطَرِدُ مَفْهُومُهَا ، وَالْأَلْفَاظُ لَا يَتَخَصَّصُ عَمْرُومَهَا ، وَالْأَحَادِيثُ يَجُولُ فِي مُتَعَارَضِهَا النَّظْرُ ، وَلَا يَلْزِمُ الْعَمَلُ مَا لَمْ يَصْحُ الْخَبِيرُ . فَلَمَّا تَحَدَّثْنَا الْأَمْرَ مِنْ قَصِّهِ ، وَتَعَاوَدَ قِيَاسَهُ بِنَصِّهِ ، لَمْ نُقَدِّمِ عَلَى الْمَبَادِرَةِ عَمَلًا ، وَبَيَّنَّا لَكُمْ مِنْ حَسَنِ اعْتِقَادِنَا مَا كَانَ مُجْمَلًا ، فَلْيَهْنُ تِلْكَ الْإِيَالَةَ مَا اسْتَأْنَفْتَهُ مِنْ شِبَاهِهَا ، وَتَسَرَّبَلْتَهُ مِنْ جَدِيدِ أَثْوَابِهَا ، وَلْيَسْتَقْبَلِ الْعَيْشُ خَضِيرًا ، وَالذَّهْرُ مُعْتَدِرًا ، وَالسَّعْدُ مُسِيرًا .

وَتَمَادَى مُلْكُهُ مِنْ الثَّمَانِ وَالْعِشْرِينَ لِحِمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ عَامِ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَوْسَقَ مُلْكُ الْمَغْرِبِ لِلسُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ ، وَاسْتَأْثَرَ إِلَيْهِ أَبِيهِ ، وَتَحَرَّكَ إِلَى مُنَازَلَةِ تَلْمَسَانَ فِي جِمَادَى الْآخِرَةِ عَامِ ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَكَسَرَ جَمْعَهُمْ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مَلِكِهِمْ حَسْبَمَا يَأْتِي ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ سُلْطَانُهَا الْمَذْكُورُ ، مَوْثِرًا الْإِضْحَارَ عَلَى الْاجْتِنِحَارِ ، وَاللِّقَاءَ عَلَى الْإِنْحِصَارِ ، وَكَانَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ حَرْبٌ ضُرُوسٌ ، نَاشَبَ الزِّيَّانِيُّونَ مَحَلَّاتِ الْمَغْرِبِ الْقِتَالِ ، بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِإِنْكَادٍ ، عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْ شُرُوعِ فِي تَنْقُلِ وَسُكُونِ ، وَتَفَرُّقٍ مِنَ الْحَامِيَةِ فِي ابْتِدَاءِ الْخَلَا ، وَابْتِغَاءِ الْمَاءِ ، فَلَمْ يَرُعِ إِلَّا إِطْلَالَ الرَّايَاتِ ، وَطَلُوعِ نَوَاصِي الْحَيْلِ ، فَوَقَعَ الصَّرَاخُ ، وَعَلَا النُّدَاءُ ، وَارْتَفَعَ الْقَتَامُ ،

وبادر السلطان بمن معه من الخالصة ، وروم الركاب الصدمة ، ومضى
 قُدماً ، وقد طاش الخبر بهزيمته ، فعانت العربان في محلته ، وكانوا على
 الأموال أعدى من عدوه ، وفر الكثير إلى جهة المغرب بسوء الأحدثوة .
 ولما تقاربت الوجوه ، وصدق المصاع ، قذف الله في قلوب الزبانيين
 الرعب ، واستولى عليهم الإذبار ، فانهزموا أقبح هزيمة ، وتفرقوا شذر مذر ،
 واختفى سلطانهم عثمان المترجم به ، وذهب متنكراً وقد ترجل ، فغثر
 عليه من الغد ، وأوتى به فشداً وثاقه ، وأسرع السلطان اللحاق بتلمسان ،
 وقد تلتماه أهلها مُعلنين بطاعته . ولا يُذنب بجناب عفوهُ ، وتنگبها الجيش
 المفلول ، لنظر الأمير أبي ثابت ، فاستفر بأحواز جزاير بني مزغناي^(١) .
 ودخل السلطان تلمسان في يوم الأحد ، الحادي عشر من ربيع الأول عام
 ثلاثة وخمسين وسبعماية ، وتدامر بنومرين^(٢) ، واستدركوا دحض الوصمة
 في أتباع أضدادهم المحروبين ، فكان اللقاء بينهم ، وبين الجيش المفلول
 وحكم الله باستيصالهم ، فمضى عليهم السيف ، وأوتى بزعيمهم الزعيم ،
 فاحتمل مع أخيه في لمة من أوليائهم ، ونفذ الأمر لأقتالهم من بني حرار
 بأخذ حتمهم ، فقتل عثمان والزعيم رحمهما الله بخارج تلمسان ذبحاً ،
 وألحق بهما عميد اللولة يحيى بن داود ، بعد أن استحضر عثمان بين
 يدي السلطان ، وأسمع تائباً ، حَسُنَ عنه جوابه ، بما دلَّ على ثباتٍ وصبر .
 وانقضى أمر كرتهم الثانية ، ونخلت منهم الأوطان ، ونخلت لبني مرين
 الجهة ، وصفت العِمالة . والله يعطي مُلكه من شاء سبحانه لا إله إلا هو ،

(١) جزائر بني مزغناي هو الاسم القديم الذي كان يطلق على مدينة الجزائر الحالية ، وذلك
 باسم القبيلة التي كانت تنزل بها (بنو مزغناي) .

(٢) وردت في الإسكوريال (بنو مروان) . ومن الواضح أن هذا تحريف ، وأن المقصود
 هو (بنو مرين) حسبما يبدو ذلك جلياً من اضطراد النص .

وكان مقتل عثمان وأخيه في أوائل شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وخمسين وسبعماية .

علي بن حمود بن ميون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن

إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب

أول ملوك بني هاشم بالأندلس ، يكنى أبا الحسن ، ويلقب من الألقاب السلطانية ، بالناصر لدين الله .

حاله

كان شهماً لبيباً ، جرى اللقاء ، باطش السيف ، شديد السطوة ، أسمر ، أعين ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، حادّ الذهن ، من أولى الحزم والعزم .

خلافته

ذكروا أن هشام بن الحكم ، لما ضيق به الحجر ، كتب إليه في السر بعهد ولايته ، وأهله للأخذ بشاره ، فكان كذلك ، وأجاز البحر من سبته ، مظهراً القيام بنصر هشام عندما خلع ، فانحاش إليه كثير من الناس ، وقصد قرطبة ، وبرز إليه الخليفة سليمان خالع هشام ومغتاله ، فظهر عليه علي بن حمود وهزمه ، ودخل قرطبة ، فقتل سليمان ، وبحث عن هشام ، وقد فات فيه الأمر ، وتسمى بأمير المؤمنين . وأنس به أهل قرطبة ، لقهره من كان لنظره من البرابرة ، وإمضاء الأحكام عليهم . قال المؤرخ ، فبرقت للعدل يومئذ بارقة ، لم تكيد تقيد حتى نجبت . وكان الأغلب عليه السخاء والشجاعة .

ومدحه الكثير من الشعراء ، منهم أبو عمر^(١) بن درّاج ، وفيه يقول :

لعلك يا شمس عند الأصيل تحنّ بشجّو الغريب الذليل

فكوني شفيعى إلى أين الشفيح وكوني رسولى إلى أين الرسول

فأما شهدت فأزكى شهيد وأما دللت فأهدى دليل

إلى الهاشمى إلى الطّالبي إلى الفاطمى العطوف الوصّول

وصوله إلى البيرة

قل ، ولما استوسق الأمر ، واضطرب عليه خيران صاحب ألمرية ، أغراه وأذن لحربه ، فخرج من قرطبة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة نخلت من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربع مائة ، وسار إلى أن بلغ وادى آش ، وترادفت عليه الأمطار والسيول ، وانصرف إلى البيرة ثم إلى قرطبة .

وفاته

قال المؤرخ ، وفي سنة ثمان وأربعمائة كان مقتل على بن حمود ، وذلك أن صقالبته قتلوه بموضع أمنه . فى حمام قصره ، وكانوا ثلاثة من أغمار^(٢) صبيان قصره ، منهم نجح وصاحباه ، وسدّوا باب الحمام عليه ، وتسللوا ، ولم يحس أحدّ بهم ، واستطال نساؤه بقاءه ، فدخلوا عليه ، ودمه يسيل فصح خبر مقتله ، وبعثت زناتة إلى أخيه بإشبيلية ، فخاف أن يكون حيلة ، حتى كشف عن الأمر ، ولحق بقرطبة ، فأخرج جسده ، وصلى عليه ، وأنفذه إلى سبتة ، فدفن بها ، وبُنى عليه مسجد هو الآن بسوق الكتان ، وقبض من قاتليه على صبيبين عذّبا بأنواع العذاب ، ثم قُتلا وصلبا .

(١) وردت فى الإسكوريال (أبو عمرو) . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت فى الإسكوريال (أعمار) . والتصويب أنسب لسياق .

علي بن يوسف بن تاشفين بن توحرت^(١)

وينظر اتصال نسبه في اسم أبيه .

هو أمير المسلمين بالعدوة والأندلس بعد أبيه ، يكنى أبا الحسن ،
تصير إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة وتسعين وأربعمائة^(٢) ،
ثم ولى أمره يوم وفاته وهو يوم الإثنين مستهل محرم عام خمسمائة .

حاله

وكان ملكاً عظيماً على الهمة رفيع القدر ، فسيح المعرفة شهير الحلم ،
عظيم السياسة ، أنفذ الحق ، واستظهر بالأزكياء ، ووالى الغزو ، وسدَّ
الشغور ، إلى أن دهمه من أمر الدولة الموحدية ما دهمه ، وكل شيء إلى
مدى ، فأمهل السرح ، وحالف الإديبار ، وجاز إلى الأندلس ، وغزا فيها
بنفسه ، ودخل غرناطة وباشرها .

قال ابن عذارى ، تقدم الأمير أبو الحسن لذلك فاستعان بالله واستنجده
وسأله حسن الكفاية فيما قلده ، فوجده ملكاً مؤسساً ، وجُنُداً مُجَنِّداً ،
وسلطاناً قاهراً ، ومالاً وافراً ، فاقتفى إثر أبيه ، وسلك سبيله ، في عضد
الحق ، وإنصاف المظلوم ، وأمن الخائف ، وقمع المظالم ، وسدَّ الشغور ،
ونكابة العدو ، فلم يعدم التوفيق في أعماله ، والتسديد في حسن أفعاله .

دخوله غرناطة

وفي سنة خمس وخمسمائة ، جاز البحر إلى الجهاد . قال المؤرخ ، قدم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نسبة يوسف بن تاشفين المعروفة لنا ، أنه يوسف بن تاشفين

بن إبراهيم بن ترقوت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية الحميري الصنهاجي المتوفى .

(٢) في هذا التاريخ الذي يورده ابن الخطيب عن إصدار يوسف بن تاشفين ولاية عهده لابنه علي

شيء من التحريف . والصواب هو أن وثيقة تولية عهد يوسف لعل ، صدرت بحضرة قرطبة في

شهر ذي الحجة سنة ٤٩٦ هـ .

على بن يوسف غرناطة مرات مع أبيه . وفي سنة خمس وخمسمائة تلوم بها
ريتا تلاحقت حشوده ، وتأهبت مطوَّعته وجنوده ، فافتتح مدينة طَلْبيرة عنوة
ثم عبر البحر عام أحد عشر وخمسمائة ، فغزى قولمرية (١) .

ظهور الموحدين في أيامه

قال ابن عذارى ، في سنة أربع عشرة وخمسمائة ، كان ابتداء أمر
الشاير على الدولة ، الجالب للفتن الجمة ، الجارُّ لها منذ ثلاثين سنة ،
حتى أقفر المعمور ، وأصار الضياع كالديجور ، محمد بن ترمّرت السوسى
الملقب بالمهدى . قلت ، وأخباره عجيبة ، وما زال أمره في ظهور ، وأمر
هذه الدولة ، في ثبار وإدبار ، إلى أن محا رسومها ، وقطع دابرها ،
والمُلك لله ، يُؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، سبحانه .

وفاته

قال ، وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، توفي أمير المسلمين على
ابن يوسف ، لسبع خلون من رجب ، ولم يُشهر موته إلا لخمس خدون
من شوال ، فكانت مدته من حين قدمه أبوه ، تسعا وثلاثين سنة وأشهرًا .
وعمره إحدى وستون سنة ، قال ابن حماد ، ولما يئس من نفسه ، عهد
أن يُدفن بين قبور المسلمين ، ودُفن بها في جملتهم ، رحمه الله .

(٢) رسم هذه المدينة بهذه الصورة تحريف . وصوابه قلمورية أو قلمرية . وهي مدينة كبيرة
تقع شمال البرتنال . وقد غزاها على بن يوسف بنفسه وافتتحها عنوة في صفر سنة ٥١١ هـ (يونيه ١١١٧م)
وقد تبادها المسلمون والنصارى مراراً . وبالبرتغالية «Coimbra» .

الأعيان والوزرا والأماثل والكبرا

عتيق بن زكريا بن مؤل التجيبي

قرطبي الأصل ، يمتُّ إلى الإمارة النصرية بقُرْبى صِهْر ، يكنى أبا بكر .

حاله

كان شهما جرياً مقداما ، جهوريا ، ذا أنفه وشارة ، مليح التجنُّد ، ظاهر الرجولية ، معروف الحق ، نبيه الولاية ، فصيح اللسان ، مطبوعا ، ذكيا ، مؤثرا للفكاهة . وُلِّي القيادة بمدينة وادي آش ، عَقِب الرئيس المنتزى بها ، ثم عُزل عنها بسعاية رُفعت فيه إلى ذى الوزارتين أبي عبد الله ابن الحكيم ، فساء ما بينهما لذلك ، وأعمل عليه التدبير ، بمداخلة الامير نصر ، وإغرايه بالأمر . فتم له التوثب على ملك أخيه ، وخلعه يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعماية ، وقُتل الوزير ابن الحكيم بين يديه ، وانتهبت منازلهم ، واستقل بعد بالتدبير والوزارة ، وحصل من صنائع الحارين ، ومتوقفي الضغط ، على مال عريض ، وقام بوظيف الوزارة محذور الشبا ، مرهوب المذية ، مسنؤ الفتكة ، فلم ينشب أن عُين للرسالة إلى باب السلطان ملك المغرب ، وسُد باب الإياب لوجهته ، وأقام بالعُدوة ، تحت الحظوة ، مشارا إليه في وجوه الدولة ، وزير المداخلة والرُتبة . وقد كان في ريان حدائنه ، لحق بطاغية الروم ، وركب في جملته ، وعلقته جارية من بنات زعماء الروم ، لفضل جماله ، وزين شببته ، ففر بها تحت حماية سيفه ، ولحق ببلاد المسلمين ، وكانت من أهل الاصاله والجمال ، فاتصل بمحلة أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ، وقد

جاز إلى الاندلس غازيا . فاستخلصت منه لمزية الحُسن ، واستقرت بقصر السلطان ، حظيةً لطيفةً المحل ، وجدُّ أثر رِفدها وانتفع ، هو وبنوه بعايد جاهها ، وقد هلك السلطان . وقامت لمن خلفه مقام الأمومة ، فنالوا بها دنيا عريضة ، وباشر بالمغرب أهوالاً ، وخاض في فِتْن ، إلى أن أسن ، وقيده الكُبرة ، واستولت على بَصْره الزمانة ، ولما وُلِّي الوزارة ولده على عهد سادس الأمراء من بني نصر ، استقامه في ربيع الثاني من عام تسعة وعشرين وسبعماية ، فقدم شيخا ، قد استثن أديمه واحقَّوب ، ومَسْحَةُ الظَّرْف واللوزعية ، تتعلق منه بطلالٍ بايد . ثم اقتضى تقلُّص ظل الولاية عن ولده ، انصراف جميعهم إلى العُتوة ، فكان ذلك في رجب أو أول شعبان من العام ، وبها هلك .

وفاته

توفي بمدينة فاس رابع محرم عام ثلاثين وسبعماية . وكان كثيرا يتمثل بقول الشاعر :

نصحتُ فلم أفلح وخانوا فأفلحوا فانزلني نصحي بدار هـوان
فإن عشتُ لم أنصح وإن متُّ فالعنوا دون النصح من بعدى بكل لسان
أخبرني بذلك شيخنا أبو الحسن بن الجياب وغيره .

عمر بن يحيى بن مُحَلَّى البَطْوِي

يكنى أبا علي .

حاله

كان يمتُّ إلى السلطان ملك المغرب رحمه الله ، بالخوولة ، وله جرأة

وجرّم واضطّاع بالمهمة ، إلى نكراء وخُفوف إلى الفتنة ، واستسهال العظيمة ، ولما تصيرت مالقة إلى إيالة السلطان أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق من قبل رؤسائها من بني إشقيلولة ، استنظر عليها من عمر هذا بحجاج رجاله ، وقدمه بقصبتها ، وجعل لنظره جيشاً أخشن ، يقوده رجل من كبار عُنفانه . وداخل السلطان ثاني الملوك من آل نصر ، عمر بن مُحلّي هذا بوساطة أخيه طلحة السابق إلى إيالته ، فأحكم بينهما صرف مالقة إليه ، وانتقال عمر إلى خدمته ، مُعوضاً عن ذلك بمال له بال ، مُسلماً إليه حصن شلوبانية^(١) ، ولأخيه طلحة مدينة المنكب^(١) ، على أرزاق مقررة ، وأحوال مرتبة مقدرة . فتم ذلك ، وتحمل ثقات السلطان بقصبة مالقة ليلاً مع عمر ، واستدعى للغداة قائد الجيش ومثله من الوجوه ، مُورياً بمعارضتهم ، فسقط الغشاء بهم على سرحان ، وأخذهم اعتقاله ، رهينة استخلص بها من كان من عياله بالعُدوة ، وجاء بها جَلْوَاة عارية ، أغرّبت عن لُومه وخُبث أمانته ، وانتقل له مُوفى له بعهدده ، فحل بحصن شلوبانية منتصف عام سبعة وستين وسبعماية ، حسبما كتب لي بعض الشيوخ من مُسنّي بقمية أهله ، واحتل أخوه طلحة بمدينة المنكب ، ولم يلبث أن خرج عنها للسلطان مُعوضاً بالمال ، وأعمل الانصراف إلى الحج . وأقام عمر بشلوبانية وما يليها من العِمالة ، مظهراً للطاعة تمام العام المذكور ، وفسد ما بينه وبين السلطان المذكور ، وظهر الخلاف وأخيفت الطرق ، وتحرك السلطان إلى مُنازلته لأشهر ثلاثة من خلافه ، وحاصره أياماً شد فيها مُخنقه ، فلما رأى عزمه ، خاطب سلطانه ، الذي نزع عنه

(١) سبق التعريف بشلوبانية Salobrenas (المجلد الأول ص ١١٢ حاشية) وكذلك بالمنكب

Almunear (المجلد الأول ص ١٠٠ حاشية) .

أمير المسلمين أبا يوسف ، وعرض الحصن عليه ، فبادر إليه بالأسطول ، فلما احتل
بمرمى حصنه ، واتصلت به يده ، ونشرت عنده بُنوده ، أفرج عنه
السلطان ، وانبت طمعه فيه ، وصرف وجهه إلى حضرته ، وبدا لعمر في
أمره ، فصرف الأسطول متعللاً ببعض الأعذار ، وأقام على سبيله ، واتصل
ذلك بالسلطان ، فرتب عليه الحصن ، وضيق السبل ، وتحرك في صايفة
العام إلى مُنازلته في عُدّة عظيمة ، وحاصره ورماه بالمجانيق ، وتتبع بها
مجاثه ، فأعياه الصبر ، وأعمل الحيلة بإظهار الإنابة . وعرض على السلطان
التخلي عن الحصن ، وطلب منه أن يُوجه لقبضه وزيره ، وأحظى الرؤساء
لديه ، وصاحب بِنده ، فوجههم السلطان في طايفة من حاشيتهم ، وقد
أمن لهم عمر بممرجات الطريق ، بين يدي باب القلعة . فلما توسطوا
الكمنا ، وبرز عمر ليسلم عليهم ، ثار بهم رجاله الأسود وغيرهم ،
وقبضوا عليهم بمزأى من السلطان ، وأدخلوهم الحصن وعاد السلطان
إلى قتاله ، فتوعد بقتلهم ، وجعلهم بأعلى السور . ورى عليه بحجور
فطرح أحدهم الحين ، وعلا صراخهم يسترحمون السلطان ، فكف عنه
وانصرف مكظوما . ولأيام وقعت المهادنة على تخليه من شلوبيانية في
شروط صعبة ، منها العقْدُ له على بنت السلطان المسماة بشمس ، والتمس
إلى مدينة المنكب ، فتم ذلك في وسط ثمانية وستين بعده ، وتمادت المهادنة
شهورا أربعة ، ثم تاب خلفه ، وضيق عليه الحصص المرتبة ، وخرج
للسلطان عن منكب على مال وعهد ، وصرف بعد وجهه إلى سلطانه ،
وتطارح عليه ، وهو بجزيرة طريف ، بعد أن أخذ أمانه ، زعموا ، وقد

كان أخوه طلحة سبق إليه ، فاعتقل يسيرا . ثم حُلَّ اعتقاله إشاراً للعفة ، ورغياً للدمتات . ولما توفي السلطان أبو يوسف ، اضطره حاله ، وآل أمره إلى العود إلى الأندلس ، وبها الأشياخ من بني عبد الله بن عبد الحق ، مطالبو أبيه بدم عمهم ، سبقوا مقدمه على السلطان بإيعاز^(١) منه ، وقد نزل بقرية أرملة^(٢) على وادي أفلم ، واعتصم منهم ببرج فقاتلوه واستنزلوه فقتلوه ، فانقضى أمره على هذه الوتيرة ، والبقاء لله سبحانه .

طامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق

شيخ الغزاة بالأندلس ، وابن شيخها ، يكنى أبا ثابت ، أجرى مجرى الأصليين لولادته بالأندلس
« أوليته » . تأتي في اسم أبيه .

حاله

كان رئيساً جليلاً ، فذاً في الكفاية والإدراك ، نسيج وخذ في الدماء والنكراء ، مشاراً إليه في سعة الصدر ، ووفور العقل ، وانفساح الذرع . وبعد الغور ، باسلاً مقداماً ، صعب الشكيمة على الهمة ، لين الكلمة ، ريش جناح العز ، وافر أسباب الرياسة ، مجرباً ، مُحْتَنَكاً ، عارفاً بلسان قومه وأغراضهم . جاعلاً جفوات أخلاقهم دُبُرَ أذنه ، مهيباً على دماثة وإلحاح سيقام . تولى الأمر بعد أبيه فقام به أحمد قيام ، مُسَلِّماً لبقية من مُسِنِي القمراية وأكابر الإخوة ، اعترافاً بالفضل ، وإشاراً لمزية العتاقة

(١) وردت في الإسكوريال (باينار) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) هي قرية صغيرة تقع على الضفة اليسرى من شليل على مقربة من غرناطة وبالإسبانية « Armilla »

على الهجئة . فحلُّ أرفع النحال . وتبينك على حال الضنا نعيما ، وغزا
غزوات شهيرة . إلى أن تناسى الأمر . وكبايهم الجدد ، وحملهم قرب
مُخيفهم بالشار الحنيم ملك المغرب . لما اقتحم فُرْضة المجاز إلى الجهاد
على المبايعة ومراسلة الطاغية . فسَاءت القالة ، وفَسَد ما بينهم وبين
سلطانهم ، وأعمل عليهم التدبير .

نكبته

ثبت في الكتاب المسمى « بطرفة العصر » : ولما اتَّصَلت لِيَدَيِ
المسلمين ، وفَصَلَ أميرهم من مُلْك المغرب ، تنمَّر أصدادهم المناوؤن له المعاندون
قدرة الله فيه ، المتهيئون إلى القاصِمة بمشاحنته ، فأظهروا النُّفور والحذر ،
وكانوا قد داخلوا ملك قشتالة وواعدوه اللحاق به ، إن راعهم رابع ،
ووصلتهم مخاطبته بقبولهم . فلما تخلَّف المسلمون عن اللحاق به ،
نسب لهم الفشل والتكاسل ، فانطلقت الألسن ، وملَّت القلوب ، وتُشُوف
إلى الفتك بهم ، وهم عصابة بأسها شديد ، أشهروا فروسية ونجدة وأتباعا ،
فعظم الخطب ، وأعملت الشورى في أمرهم ، وصُرفت الحيل إلى كف
عاديتهم ، ومُعالجة أمرهم ، فتمَّ ذلك . ولما كان يوم السبت التاسع
والعشرون من ربيع الأول ، قعد لهم السلطان على عادته ، ووجه عنهم في
غرض الاستشارة في حال السَّفَر إلى إمداد ملك المغرب ، وقد عبر ونازل
جزيرة طريف ، وفاوضهم فيما عليه الناس من إنكار التلوم ، ثم قام
السلطان من مجلسه ، وثارَت بهم الرجال ، فأحيط بهم ، ونزعت سيوفهم
عن عواتقهم ، وطارت الخيل في ضمٍّ من شدِّ عنهم ، فتقبَّض على طايفة
من أعلامهم ، كانوا بين غرِّ يباشر قنصا ، أو مُفلت لم يجد مهربا ،
وطارت الكتب إلى مالقة في شأن من بها منهم ، فشملهم الاعتقال ، ثم

نقلوا إلى مدينة المنكب ، فجعلوا في مُطَبِّقِ الأَسْرَى بها ، إبلاغا في النكال ،
وتناهيا في المثلثة ، فلم تجر عليهم مصيبة أعظم منها ، لا اضطرارهم إلى
قضاء حاجة الإنسان برأى عين من أخيه ، خطة خَسَفَ سَيِّمُوهَا ، مع العلم
بنفور نفوسهم عن مثلها ، وفيهم صدور البيت وأعلامه ، كَأَبِي ثَابِتِ
المرجم به ، وأخيه كبيره إبراهيم ، وابن عمهم زين المواكب ، وقريع
السيوف ، وعروس الخيل ، حَمُو بن عبد الله ، وسواهم ، وقانا الله شر
الهلكات ، وأشْرَابِ مُخِيفِهِم للسلطان صاحب المغرب ، وولى الثَّورَةَ ، إلى
صرفهم إليه ، وقد استوجب من مَلِكِ الأَنْدَلُسِ المِلاطفة لالتفاتة لسيء
البُرْدِ ، واقتحامه باب القُطْرِ . وَأَخْفَقَ السَّعْيُ ، ووضنَّ بهم موقع النُّقْمَةِ عن
إسلامهم إليه ، سيرة أحسنها في جنسهم من أولى الجهالف ، فأجلاهم
عما قريب في البحر إلى إفريقية ، فاستقروا ببجاية ، ثم استقدموا إلى
تونس تحت إرصاد ورقبة ، وأخفر فيهم ملكها الذمة ، وهم لديه ،
فوجههم على بعد الدار ، ونزوح المزار ، إلى السلطان صاحب المغرب ،
مُصْحِبِينَ بِشَفَاعَةِ فِيهِمْ ، كانت قُصَارَى ما لديه ، فاستقروا في الجملة
تحت فلاح وكفاية ، لا تلفت إليهم عين ، ولا يتشبَّث بذمل حُظوتهم
أمل . ثم نكبوا بظاهر سبته نكبة ثقيلة البرك ، [مغارة البرك الحمل] ،
وأودعوا شرَّ السجون بمدينة مكناسة ، فأصبحوا رهن قيود عديدة ، ومسلحة
مرتبة ، جرَّ ذلك عليهم ذرَّة من القول في باب طمُوحهم إلى الثورة ،
وعملهم على الانتزاع بسبته ، الله أعلم بحقِّه من مَينِه . ولما صيرَّ الله مُلْكَ
المغرب إلى السلطان ، أمير المؤمنين أبي عنان ، واضطره الحال إلى الاستظهار
بمثلهم ، انتشلهم من النكبة ، وجبرهم بعد الصَّدْعَةِ ، وأغلق يد كبيرهم
المرجم به بعُرْوَةِ العزَّة ، واستعان بآرائه على افتراع الهضبة ، فألقى منه

نقاباً قد هذبتة التجربة ، وأزهفته المحنة ، وأخلصته الصنعة ، فسل منه سيفاً على أعدايه ، وزعموا أنه انقاد إلى هوى نفسه ، واستفزته قوة الشرّة ، ولذّة التّشفي ، وذهب إلى أن يكل للسلطان ناكبه . المجاراة صاعاً بصاع ، فانتدب إلى ضبط ما بالأندلس من عمالة راجعة إلى ملك المغرب ، فانقلب يجر وراءه الجيش ، ويجنب القوة ، فقطع به عن أمله القاطع بالامال ، وأحانه الله ببعض مراحل طريقه مطعوناً لطفاً من الله به ، وبمن استهدف إلى النّصب بمجادته . وهو سبحانه مليء بالمغفرة عن المُسرفين ، سبحانه .

« وفاته » ، في الأخريات من عام تسعة وأربعين وسبعماية .

علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

يكنى أبا الحسن .

حاله

هذا الرجل نسيج وّخده في الفضل والتخلق ، والوفاء ، ونُصح العجيب ، وسلامة الصدر ، وحسن الخلق ، راجع العقل ، سرى الهمة ، جميل اللقاء ، رفيع البزة ، كريم الخصال ، يكتب ويُشعر ، ويحفظ ويطلع غرائب الفنون ، صادق الموقف ، معروف البسالة ، ملوكي الصّلات ، غزل ، كثير الفكاهة ، على تيقور وحشمة ، قدّمة السلطان شيخ الغزاة بمدينة وادي آش ، فلما وقعت به المحنة ، وركب الليل مُفلتاً إليها . اتفق لقاؤه إياه صباحاً على أميال منها ، وجاء به ، وأدخله المدينة على حين غفلة من أهلها ، فاستقر بقصبتها وما كاد ، وأخذ له صفقة أهلها ، وشمر في الذب عنه تشميراً نبأ فيه سمعه عن المصانعة ،

ودفعه عن الجملة ، وكفه عن قبول الأعواض ، فلم يلف فيه العدو مغمزا ،
ولا المكيدة معجما ، ولا استأثر عنه بشيء مما لديه . إلى أن كان انتقال السلطان
ولا المكيدة معجما ، ولا استأثر عنه بشيء مما لديه ، إلى أن كان انتقال السلطان
عنها إلى المغرب ، فتبعه مشيئا إلى مأمنه ، فتركها غريبة في الوفاء ، شاع خبرها
وتعوطى حديثها ، على حين نكر المعروف ، وجحدت الحقوق ، وأخوت
بروق الأمل . ثم قلق المتغلب على الدولة بمكانه ، فصرفه إلى العدو الغربية ،
فاستقرت به الدار هنالك ، في أوائل عام ثلاثة وستين أو أواخر العام قبله .

وخاطبته من مدينة سلا لمكان الود الذي بيني وبينه بما نصه :

يا جملة الفضل والوفاء ما بمعاليك من خفاء
عندي بالود فيك عقد صححه الدهر باكتفاء
ما كنت أقضي علاك حقا لوجيت مدحا بكل فاء
فأول وجه القبول عذرى وجنب الشك في صفاء

سيدي ، الذي هو فضل جنسه ، ومزية يومه على أمسه ، فإن افتخر
الدين من الله ببدره ، افتخر منه بشمسه ، رحلت عن المنشأ والقرارة ،
ومحل الصبوة والغرارة ، فلم تتعلق نفسي بذخيرة ، ولا عهد حيرة خيرة ،
كتعلقها بتلك الذات ، التي لطفت لطافة الراح ، واشتملت بالمجد
الصراح ، شفقة أن تصيبها معرة ، والله يقبها ويحفظها ويبقيها ، إذ
الفضائل في الأزمان الرذلة غوامل ، والضد عن ضده منحرف بالطبع
ومايل . فلما تعرفت خلاص سيدي من ذلك الوطن ، وإلقاء وراء الفرضة
بالعطن ، لم تبق لي تعلقة ، ولا أجرصتني علة ، ولا أوتى جمعي من قلة .
فكتبت أهني نفسي الثانية ، بعد هناء نفسي الأولى ، وأعترف للزمن باليد
الطولى . فالحمد لله الذي جمع الشمل بعد شتاته ، وأحيا الأنس بعد مماته ،

سبحانه لا مُبدّل لكلماته . وإياه أسئّل أن يجعل العِصمة حظّ سيدي
ونصيبه ، فلا يستطيع حادث أن يصيبه ، وأنا أخذُج عن بثّ كمين ،
ونصح أذابه قمين ، بعد أن أسبر غوره ، وأخبر طوره ، وأرصد دوره ،
فإن كان له في التّمرّيق أمل . وفي ركب الحجاز ناقة وجمل . والرأى
فيه ، قد نجحت منه نية وعمل ، فقد غني عن عوف والبقرات ، بأزكى
الثمرات ، وأطفأ هذه الجمرات برمي الجمرات ، وتانس بوصل السرى ،
ووصل السراه ، وأناله إن رضى أرضى مُرافق ، ولو أغرى به خافق .
وإن كان على السكون بناؤه ، وانصرف إلى الإقامة اعتناؤه ، فأمر له ما بعده ،
والله يحفظ من الغير سعده . والحق أن تحذف الأبهة وتختصر ، وتحفظ
اللسان وبغيض البصر ، وينخرط في الغمار ، ويخلى عن الميضار ، ويجعل
من المحذور مُداخلة من لا خلاق له ، ممن لا يقبل الله قوله ولا عمله ،
فلا يكتُم سرا ، ولا يتطرّق من الرجولة زمرا ، ورفض الصّحبة زمام السلامة ،
وترك النّجاة علامة . وأما حالى فما علمتم مُلازم كين ، ومبهوظ تجربة
وسن ، أزجى الأيام ، وأروم بعد التفرّق الالتئام ، خالى اليد ، مالى
القلب والخلد ، بفضل الواحد الصّمد . عامل على الرّحلة الحجازية التى
أختارها لكم ولنفسى ، وآمل فى إلتماس الإعانة عليها يومى بأمنسى ،
أوجب ما قررتكم لكم ما أنتم أعلم به من ودّ قررتكم الأيام والشهور ،
والخلوص المشهور ، وما أطلتُ فى شىء عند قدومى على هذا الباب الكريم ،
إطالتي فيما يختص بكم من موالاته . وبذل مجهود القول والعمل فى
مُرضاته . وأما ذكركم فى هذه الأوضاع ، فهو مما يقر عين الحّجادة ،
والوظيفة التى تنافس فيها أولو السيادة . والله يصل بقاءكم . ويبسّر
لقاءكم والسلام .

وهذا الفاضل ممن جال فيه لاختيار الإمارة أيام مقامه بالعدوة الغربية ،
لذِياع فضله ، وكرم خِلاله . وقفل إلى الأندلس ، عند رجوع الدولة ،
فجنى ثمرة ما أسلفه ، وقُدِّم شيخ الغزاة بمالقة . ثم نُقل إلى التي لا فوقها ،
من تقديمه شيخ الغزاة بحضرته ، منة لا على ميادين حُظوته ، مُقطعا جانب
تَجِلَّتْه ، فبَلَى الناس على عهد ولايته الفتوح الهنيئة ، والنعم السنية .
ولما قفل السلطان أيده الله ، من فتح قاعدة جيان ، أصابه مرض ، تُوفى منه
في ثالث صفر من عام تسعة وستين وسبعماية . فتأثر الناس لفقده ،
لما بَلَّوهُ من يُمن طائره ، وحُسن موارده ، ومصادره . وكان فد صدر له
المنشور الكريم ، من إملائي ، بما ينظر في اسم المؤلف ، في آخر هذا الديوان

على بن مسعود بن علي بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود المحاربي

الوزير ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان من أعيان أهل الحضرة ، وذوى الهيآت والنباهة من بيوتها ،
أيّدا ، حسن الشكل ، جهير الصوت ، فصيح اللسان ، ثرثاره ، جيد
الخط ، حلو الدُعاة ، طيب النفس ، لبقًا ، ذكيا ، أديبا ، فاضلا ،
لوذعيًا ، مُدركا . وزرَ للسلطان أبي الوليد ، نزع إليه لما دعا إلى نفسه
بمالقة من إيالة مخلوعه بعد اضطِناعه ، وصَرَف وُجهته إلى جهته ، فتغاب
على هواه ، وأشركه في الوزارة ، مع القايد الوزير أبي عبد الله بن أبي الفتح
الفهري ، وقد مرّ ذكره ، فأبرَّ عليه بمزيد المعرفة بالأمور الاشتغالية ، وجماح
عنان اللسان والجرأة ، في أبواب المُداخلات الوزارية . فلم يزل يضم أذبال

الخُطَّة ، ويقلِّصُها عن قَسمه ، إلى أن لم يبق له منها إلا الاسم إلى حين وفاته .

وفاته

واستمرت حاله على رَسْمه من القيام بالوزارة إلى أن فَتَكَ بسلطانه قرابته بباب داره كما تقدم في اسم السلطان أبي الوليد في حرف الألف فكر^(١) أدراجه وهاج بالباطشين ، وسلَّ سيفه ، يدافع عنه ، فمالت إليه الأيدي ، وانصرفت إليه الوجوه ، وأصيب بجراحات مُثخنة ، أتى عليه منها جُرح دِماغى لأيام . وعلى ذلك فلم يبرح من سدة السلطان ، حتى تعجَّل ثأره ، وشمل السيف قتلته . وأخذ البيعة لولده . وكانت وفاته في السابع والعشرين لشعبان من عام خمسة وعشرين وسبعماية . ودفن بباب البيرة . وكان الحفل في جنازته عظيما ، والثناء عليه كثيرا ، والرحمة له مُستفيضة .

ورثاه شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب رحمه الله بقوله :

أيا زفرتي زیدی ویا عبرتی جودی	على فاضل الدنيا على ابن مسعود
على الشامخ الأبيات في المجد والعلا	على السابق الغايات في البأس والجود
على غرة العصر التي جمعت إلى	مهابة مرغوب طلاقة مودود
على من له في الملك غير منازع	وزارة ميمون النقيبة محمود
على من إذا عد الكرام فإنه	بواجب حق الفضل أول معدود
ومن كعلي ذي الشجاعة والرضا	لإصراخ مذعور وإيواء مطرود
ومن كعلي ذي السماحة والندا	لإسباغ إنعام وإنجاز موعود
ومن كعلي للوزارة قائما عليها	بتصويب عليها وتضعيد
ومن كعلي للإدارة سالكا لها	نهج تليين مشوب بتشديد

(١) وردت في الإسكوريال (كر) . والتصويب أرجح .

ومن كعلی للسیاسة منفضا
 ومن كعلی فی رضا الله حاکما
 ومن كعلی واصیل الرحم التي
 ومُسدی الأیادی البیض بدأ وعودة
 آیا کافی السلطان كل عظیمه
 ویا حامی الملك المشید بناؤه
 ویا كافل الأیتام یجری علیهم
 ذكرتك فی نادى الوزارة صادعا
 ذكرتك فی صدر الكتیبة^(١) قائما
 ذكرتك فی المحراب واللیل دامس
 ودمعك مرفض وقلبك واجب
 عنفا على الدنيا ولا در درها
 فمهما حلت منها لديك مسرة
 ألھنا على الوجه الجمیل معطرا
 وعهدى به مستبشرا ومبشرا
 لأظلمت الدنيا على لفمقده
 وقلص من ظل الرجا فراقه
 وكم سبحت فلك المنا فی بحارها
 وهرن عندى كل خطب مصابه
 ولا ادعى أنى وفیت بعهده
 فلا یشمتن الأعداء إن حان حینه

أوامر تنفیذ وأحكام توطید
 بإنجاد معدوم وإعدام موجود
 تمت بتقريبك أو بتبعید
 مرددة تمحو دجا الثوب السود
 بآراء تسدید وأعمال تمهید
 بصولة مخذور وغرة مقصود
 جرایة نعى بابها غیر مسدود
 بأمر مطاع حكمه غیر مردود
 بخدمة مولى بعد طاعة معبود
 تردد آى الذکر أطیب ترديد
 لخشية يوم بین عينيك مشهود
 فما جمعها إلا رهین بتبديد
 فنى إثرها فارق مرارة تنكيد
 بدار البلى رهین الأسود والدود
 بتفريج مكروب وراحة مجهود
 فها أنا أرهاها بمقلة مرصود
 فظل رجائى بعده غیر ممدود
 مواخر فالیوم استوت بی على الجود
 فبعد على لست أبكى لمفقر
 فلم أرع عهدا حین أودى ولم أود
 فما بالردى عار فكل امرى مود

(١) وردت فی الإسكوریال (الكتيبة) . وهو تحریف اقتضى التصویب

ولا سيما إذا مات ميتة عزّة
وفياً لمولاه مطيعاً لرّبّه وقد
فبشرى له أن فاز حياً وميتاً
عليه سلام الله ما ذرّ شارق
وجادت ثرى اللحد الزكى سحاب
بعيدا شهيدا ماضيا غير رعيد
بطلت ذُعراً رِقَاب الصناديد
بميتة مفقود وعيشة محسود
وما صدعت ورقاء في فرع أمْلُود
مجددة الرّحْمى بأحسن تجديد

على بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي

غرناطى ، قلعي (١)

حاله

كان ظريفا . مليح الخط . حار التّندير . عينا من عيون القطر ووزرائه

شعره

حدّث أبو الحسن بن سعيد . قال . تمشينا معا أيام استيلاء النهب
والتهدم . على معظم ديار مرأكش بلفتة المتصلة . قال ، فانتبهنا إلى
قصر من قصور أحد كبرايهم . وقد سجدت حيطانه . وتداعت أركانه ،
وبقايا النهب والأضغّة والمقربسات ، تشير الكمد . ولا تبقى جلدًا لأحد ،
فوجدنا على بعضها مكتوباً بفخّم :

ولقد مررت على رسوم ديارهم
وذكرت مجرى الجور في عزّصاتهم
فبكيّتها والرّبع قاع صّفصف
فعلمت أنّ الدهر منهم مُنصف

فتناول أبو الحسن بياضا من بقية جيار ، وكتب تحتها ما يصفه :
لطفى عليهم رعدهم فمثّالهم
من ذا يجيب مادياً لو سيلة
بالله قل لي في الورى هل يُخلف
أم من يُجير من الزمان ويعطف

(١) قلعي أعنى ينسب إلى القلعة ، قلعة بنى سعيد أو قلعة نخع . وقد سبق التمرير لها
(راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ١١١ حاشية)

إن جار فيهم واحدٌ من جُملة كم كان فيهم من كريم يَنْصِف
توفي بمراكش سنة سبع وعشرين وستماية .

على بن يوسف بن محمد بن كماشة

القايد والوزير بين القَتادة والخَرْط ، يكنى أبا الحسن

أَوْلِيَّتُهُ

كان جدُّه من المُنتزِين ببعض حصون الأندلس ، طَلِيَاطِيَه (١) ، وخدم
طاغية الروم ببعضها ، وانخرط في جُمَلته ، يشهد بذلك مكتوبات تلقاها
بشماله ، ووراء ظهره ، صانها حافِدُه المترجم به ، في خِرقة من السَّرَق
لا يزال ، يعرضها في سبيل الفخر ، على من يصل إلى باب السلطان من
رسل الروم . ولقد عرضها أيام سفارته إلى ملك قشتالة على وزيره شمويل
اللبى اليهودى ، وطلب تجديدها ، فقال له هذا يتضمن خدمة جدك
للسلطان مولاي جدِّ مولاي السلطان بجُملة من بلاد المسلمين ، وفيها
الشكره والرعاية على ذلك ، فاذهب أنت هذا المذهب ، الذى ذهبه جدك ،
يتجدد لك ذلك إن شاء الله ، فلما هلك وورى بين مدافن الروم ، بعد
أن عُلقَ زمانا من سور الحصن فى وعاء ، توفيةً لشرط لا أحققه الآن .
ولحق ولده بباب السلطان ، فتفيسوا ظل كفالتة ، ونشثوا فى عداد صبيته ،
ولما صلحوا للاستعمال ، استخلم منهم عليا كبيرهم فى العمل ، فاستظهر
به على حفزه بحمى ألمرية ، وما إليها ، فأثرى ورآه استغنى ، وطالت
مدَّة ولايته ، واستعمل أخاه يوسف والد المترجم به ، فى القيادة ، وكان
(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . ويرجح أنه يقصد هنا أن هذا الحصن كان يقع فى منطقة
طلياطة « Tliata » وهى بلدة أندلسية تقع فى ولاية الغرب غربى إشبيلية .

رجلا مضعوفاً ، فاستمرت حاله إلى أن فقد بصره ، وجنى عليه شؤم ولده ، الجلا شيخاً زَمِيناً . ثم عاد إلى الأندلس فتوفى بها ، حسبما يذكر في إسميهما . وكانوا يتبعجحون بنسبة إلى معن بن زائدة . طَوَّقَ جَدَّهُمْ بتلك النسبة ، بعضُ أولى التَّنْفِقِ والكُذْيَةِ ، فتعلَّلوا منها بنسيج العناكب ، وأكذَّبوها بالخلُّقِ المقوتِ ، والبُخْلِ بفتاتِ القوتِ ، والتعبُدُ لعبدة الطَّاغوتِ ، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم .

حاله

هذا الرجل حسن الشكل ، كثير الهشَّة ، جيّد الرِّياش ، كثير التعلُّق والتوسُّل ، لَصِقَتْ بشجرات الدول صَمغته ، وثبَّت بأسبابها قُراده ، شديد الملاطفة لحجبة الأبواب ، والمداخلة لأذيال الأمراء ، مُتصامم على أغراضهم ، مُكذِّبٌ لمحسوس جفوتهم ، مُتَنفِقٌ بالسَّعاية ، مُتَبَدِّلٌ في أسواق الخدمة ، يسبق في الطيَّالِس ، ويلفظ الزبير ، ويصرخ بالإطراء ، ويولول بالدعاء ، مدلٌّ في الأخونة ، محكم في نفسه للنَّادرة التي تضحكهم ، بذى مهذار ، قليل التصنُّع ، بعيد عن التُّسَمْت ، أطمع خلق الله وأبخلهم بما لديه ، وأبعدهم في مهاوى الخسَّة ، أما فلسه فمخزون ، وأما خوانه فمحبوب ، وأما زاده فممنوع محجور ، وأما رِفده فمدوم العين والأثر . وأما ثوبه فحبس التُّحْت إلى يوم القيامة ، قد جعل لكل فصل من فصول معاشه ، ونفاضة مخالیه ، وسور دوابه مؤنة ما . فالنُّخالة بينة المصرف ، وللسرجين معين الجهة ، وفتات المنديل موقفة على فطور الغد ، ودهن الاستصباح جارٍ في التَّجَلَّة والادخار مجرى دهن البَلَّسان .

أخباره

في هذا الباب مُغْرِبَةٌ ، ولزمت كعبة المنحسة ، وعَلِقَ في عنقه طائر الشُّوم ، فلم تنجح له وُجْهَةٌ ، ولا سَعِدَتْ له حَرَكَةٌ ، واستقرَّ عند الكابنة

على الدولة ، بباب السلطان بالمغرب ، خاطباً في حَبْلِ الغادر ، المُتَوَثَّبِ
على المُلك ، ومُعِيناً للدهر على الأَحَبِّ الحق وولى النُّعْمَةَ . ثم بدا له في
المقام بالمغرب أمنا واضطرابا . ولما رحل السلطان أبو عبد الله بن نصر
المذكور ، إلى طلب حَقِّهِ ، وقد أَعْتَبَهُ ، سَدَّدَ به رسم الوزارة في طريقه ،
كما اضطر صيادٌ إلى صُحْبَةِ كَلْبٍ مُخَابِتِ آماله ، ولحقت به المَشَامَةُ ،
وتَبَّرَ الجَدُّ ، واشتهر ذلك ، فعَلِقَتْ به الشَّفَقَةُ ، إلى أن خاطب السلطان
بعض من يهَمُّهُ أمره هذه الأبيات :

كَمَا شَكِمَ مِنْ أَجَلِهِ انْكَشَى السَّعْدُ إِذَا مَا اطَّرَحْتُمْ سُومَهُ نَجَزِ الوَعْدُ
وَمَنْ لَمْ تَكُنْ لِلسَّعْدِ فِي بَدءِ أَمْرِهِ مَخِيلَةَ نَجْحٍ كَيْفَ تُرْجَى لَهُ بَعْدُ
وَتَصْرِيفُهُ المَشْتُومَ فَلتَتَذَكَّرُوا وَمَا قَلْتِ إِلَّا بِالتِّي عَلِمْتَ سَعْدُ

واقْتَضَى أمره تَبَرُّماً به ، أن صُرف من رُنْدَةٍ ، وقد استقرَّ أمره بها
رسولا إلى باب ملك المغرب ، لأُمُورٍ مِنْهَا استخلاص ولده وإيصاله إليه .
فتَعَذَّرَ القَصْدُ ، وَسُدَّتْ الأبواب ، وَأزْفَتِ بَدَارُ المغرب عهداً بَدَأَ الآزِفَةَ .
وتراخى مُخَنَّقٌ مُرْسِلُهُ لخلو دَسْتِهِ مِنْهُ ، فثاب الرجاء وقرب الفتح ،
وساعد السَّعْدُ بما طال مِنْهُ التَّعْجِبُ . ولما بلغ خَبْرُ صُنْعِ اللَّهِ ، وإفاقة
الأيام ، وَجَبَرَ اللَّهُ السلطان بدخول مالقة في طاعته ، لحق به ، وقد قَلِقَتْ
به الجوانب ، وتَنَكَّرَتْ الوجوه ، وساءت لَطِيرَتُهُ الظُّنُونُ . فتدوَّرَ العزم
على صَرْفِهِ عن الأندلس في أوليات رمضان عام ثلاثة وستين وسبعماية ،
فقبض عليه ، وصُرف إلى البلاد الشرقية ، وقد شرع في إغراء سلطان
قشتالة بالمسلمين ، وكان آخر العهد به ، وذكروا أنه حجَّ وقفل والعودة
تتبعه ، والنفوس لمتوقع شُومِهِ مُكْرِهَةٌ . ورُجِيَ أن يكون ماء زمزم . وضوء
النقع ، أو أن مشاهدته الآثار الكريمة ، تُصلح ما فسد من حاله . فآب

شرَّ إِيَاب ، وربما نَبَضَ له شِرِيَان من جَدِّه ، الذى تقدم فى خدمة النصارى ذكره . فَأَجَاز البحر إلى ملك برجلونة . فجعل تقبيل كانه ، لاستلام الحجر الأسود ، وسيلة ثانية ، وقُرْبَة مُزْلَفَة ، والقول بفضل وطنه حجة صادقة ، ثم قَلِقَ لَخَيْبَة قصده ، واخلُوَّ يده ، من الزَّقُوم ، الذى كان قد احتجته للمُهم من أمره ، واستيلاء النُحس على بيت سَعْدِه ، فصرف وجهه المشُوم إلى المغرب ، فاحتلَّ به ، وجعل يُطَوِّق كل من أسلف له بِدَا الدَّام ، ويشيع عنه سوء القيلة ، ويَجْهر فى المجتمعات والدُّكَاكين ، بكل شنيع من القول ، بالغًا فى ألفاظ السُّغيلة ، أقصى مبالغ الفُحش ، لطف الله بنا أجمعين .

عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو

من قبيل بنى مَرِين ، يكنى أبا سعيد ، شيخ الغزاة بجزيرة الأندلس على عهده .

أوليتهم

جدُّ هؤلاء الأقبال الكرام ، الذى يشترك فيه الملوك الغرُّ من بنى مَرِين بالعُدوة ، مع هؤلاء القرابة ، المُنتسبين عنهم أضرار التُّراث ، ودواعى المنافسات ، عبد الحق بن مَحْيُو ، وكان له من الولد إدريس وعثمان وعبد الله ومحمد وأبو يحيى ويعقوب ، فكان الملوك بالمغرب من ولد يعقوب ، وهؤلاء من ولد عبد الله ، وإدريس ويعقوب ورحو . ولما قتل جدُّهم يعقوب ، بيد ابن عمه عبد الحق بن يعقوب ، أجفل أخواه ومن معهم ، وانتبذوا ، واستقرُّوا بتلمسان ، بعد أمور يطول شرحها . ثم اجتاز الشيخ أبو سعيد فى جملة من اجتاز منهم إلى الأندلس ، فنال بها العِزَّة والشُّهرة .

حاله

كان رجل وقته جلاله وأصاله ، ودهاءه وشهره وبساله ، مرمى لاختيار
عناقه وقراهه ، واجد الزمن أبهة ورؤاه . وخلقا ورجاحة ، أيدا ، عظيم
الكراديس ، طوالا ، عريض المنكب ، أفتى الأنف ، تقع العين منه على
أسد عيص ، وفحل هجمة ، بعيد الصيت ، ذائع الشهرة ، منجب الولد ،
يحمي السرح ، ويزين الدست . لحق بتلمسان مع زوج أمه وعمه ،
موسى بن رحو ، عندما فروا من الجبل بأحواز ورغة ، شابا كما اجتمع ،
وأجاز البحر منها ، وخدم مرتزقا بها . ثم عاد إلى العذوة برضا من عمه
السلطان بها . ثم فر عنه ولحق بالأندلس ، واستقر بها ، وولى خطة الشياخة
العامه ، وهى ما هى ، من سمو الهضبة ، وورود الرزق ، وانفساح الإقطاع ،
فشارك ، وتبنت النعيم ، وأقبل ما استظهر به على ما وراء مدينة سبته ،
عند انتظامها فى الإيالة النصرية . فشن الغارة ، ودعا إلى نفسه ، وخلا
فطلب النزال ، فغلبت غارته أحواز وادى سبو . ثم رجع أدراجه إلى
الأندلس ، وذمر السلطان أبا الوليد ، منفق حذوته على طلب الملك ،
فهازت به قداحه ، واستولى على الجم من ريق دنياه ، وسل الكيثر من
ماله وذخيرته فى أبواب من العبادة ، والاشترضا والاشتهداء . ولما توفى ،
تضاعف لطف محله من ولده ، إلى أن ساء ما بينه وبين مدبر أمره
ابن المحروق ، ونفر عنه ، مؤاخذا بألقيات ، كانت سلما إلى تجنيه ،
يحب أن الافتقار إليه ، يُعبد له كل وعث . فاغتنم المذكور نفرتة ،
واستبصر فى الانتباز عنه ، مطيعا دواعى الخور والرهبية ، من شؤوب
حاله ، وأجلى الأمير عن رحيله وولده إلى ساحل ألمرية ، موادعا ، مزبعا
الرحيل عن الأندلس ، وارتاد الجهات ، وراسل الملوك بالعذوة ، فكل صم

عن ندايه ، وسُدَّ السبيل إليه ، فداخل قرما من مَشِيخَة حصن أندَرَش حاضرة وطن الجباية ، فاسنولى عليه ، وانتقل إليه بعُملته ، وراسل الطاغية ، فتحرك إلى منازل حصن وبُرة من الحصون التاكرونية . ففازت به قِداحه ، واستدعى عم السلطان ، وهو الرئيس أبو عبد الله بن فرج ابن نصر من تلمسان ، فدعا إليه ، وشَمَلت الفِتنَة ، وكانت بينه وبين جيش الحَضرة وقايع ، تناصَف فيها القوم خِطَّتى المُساجلة إلى أن نَفِد صبره وماله ، وَسَمَت فتنته الدولة ، واقتضت مُسالمة المصلحة ، فعُهد على التخلُّى عن الحصن ، وصُرف أميره إلى مُتَبَوِّئه الأَقصى ، وانتقاله إلى مدينة وادى آش ، ليكون سكنه بها ، تحت جرايات مُقدِّرة ، وذلك فى شهر رمضان ثمانية وعشرين وسبعماية ، وعلى تفية ذلك ، عدا على مناويه أميره ، ففتك به ، واستقدم الشيخ أبا سعيد فأعاده إلى محلّه ، واستمرت على ذلك حياته إلى مدة حياته ، إلى أن توفى فى أخريات أيامه .

وفاته

ولما نزل العدو ثغر أطيبة ، ونهض جيش المسلمين إلى مضايقته ، أصابه المرض . ولما أشفى ونقل إلى مالقة ، فكانت بها وفاته يوم الأحد ثانى ذى حجة من عام ثلاثين وسبعماية عن سن عالية تنيف على الثمانين سنة ، ونُقل إلى غرناطة ، فوورى بها ، وبُنيت عليه بُنية ضخمة ، وصار أمره إلى ولده . ونقش على قبره فى الرخام :

« هذا قبر شيخ الحماة ، وصدر الأبطال الكماة ، واحِدُ الجلالة ، ليثُ الإقدام والبَسالة ، علَمُ الأعلام ، حامى ذِمار الإسلام ، صاحبُ الكتايب المنصورة ، والأفعال المشهورة ، والمغازى المسطورة ، وإمام الصفوف ، القايم بباب الجنة تحت ظلال السيوف ، سيف الجهاد ،

وقاصم الأعداء ، وأسد الآساد ، العالى المهيم ، الثابت القدم ، الإمام المجاهد الأَرْضَى ، البطل الباسل الأَمْضَى ، المقدم ، المرحوم ، أبى سعيد عثمان ، ابن الشيخ الجليل ، الإمام الكبير ، الأصيل الشهير ، المُقَدَّس ، المرحوم أبى العلاء إدريس ، ابن عبد الله بن عبد الحق . كان عمره ثمانيا وسبعين سنة ، أنفق ما بين رَوْحَة فى سبيل الله ، وغَدْوَة ، حتى استوفى فى المشهور . سبع مائة واثنين وثلاثين غَزْوَة ، وقطع عُمره جاهدا مُجاهدا ، فى طاعة الرب ، مُحْتَسِباً فى إدارة الحرب ، ماضى العزائم فى جهاد الكفار ، مُصَادِماً من تدفُّق التيارات ، وصنَّع الله له فيهم ، من الصَّنَائِع الكبار ، ما صار ذكره فى الأقطار ، أشهر من المثل السَّيَّار ، حتى توفى رحمه الله ، وغُبار الجهاد طيُّ أثوابه ، وهو مراقبٌ لطاغية الكفار وأحزابه ، فمات على ما عاش عليه ، وفى مَلْحَمَة الجهاد قَبَضَهُ اللهُ إليه ، واستأثر به ، سعيداً مُرْتَضِياً ، وسيفه على رأس ملك الروم مُنْتَضِياً ، مقدِّمة قَبُول وإسعاد ، ونتيجة جهاد وجلاد ، ودليلاً عن نيته الصالحة ، وتجارته الراححة ، فارتجت الأندلس لفقدِهِ ، أتخفه الله رحمةً من عنده ، توفى يوم الأحد الثانى لذي الحجة من عام ثلاثين وسبعماية .

القضاة الأصليون

عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الفسائى

غرناطى ، يكنى أبا بكر ، ويعرف بابن الفراء ، ويعرف عقبه ببني الوادى آثى ، وقد مر ذكر ولده أبى الفرج ، ويُنبز بقرنيات .

حاله

حدثنى أبى رضى الله عنه ، وكان صديقا لأبيه ، أنه كان من أهل

الجلالة والفضل ، حسن السمات ، عظيم الوقار ، جميل الرواء ، فاضلا ،
حسن العشرة . وقال القاضي ابن عبد الملك ، كان جاسعا لفنون من المعارف ،
معروف الفضل في كل ما يُناول من الأمور العلمية ، وقيد كثيرا ، وعنى
بالعلم العناية التامة ، واستقصى بالمنكب ، وعُرف في ذلك بالعدالة
والنزاهة .

توالياه : صنف « نزهة الأبصار في نسب الأنصار » ، و« نظم الحلي
في أرجوزة أبي علي » ، يعنى ابن سينا .

شعره

قال ومما نظمته ووجهته به صُحبة رسالتين :

ياراكبا يبغي الجناب الأشرفا	ومناه أن يلتقى الكريم المُسعفا
عرج بطيبة مرة لترى بها	علمى قبول رحمة وتعطفا
وإذا حللت بها فقبل تُربها	وارغب جلالهم عسى أن يُسعفا
وأسيل دموعك رغبة وتضرعا	وأطل بها عند التضرع موقفا
واذكر ذنوبك واعترف بعظيمها	فعسى الذى ترجوله أن يعطفا
واجعل شفيعك إن قصدت عناية	قبرا تقدس تُربة وتشرفا
قبر تضمن نور هدى واضحا	لم يَحْتَجِبْ عن مُبصره ولا اختفا
قبر حوى النور المبين ونوره	يهدى به سُبُل السلام من اقتفا
قبر به الهاشمى محمد أبهى	الأنام سنا وأوفى من وفا
خير الورى علمُ التقى شمس الهدى المنتقى والمجتبا والمُصطفا	
سلم عليه وخصه بتحية	واقرا عليه من السلام مُضاعفا
واذكر هُديت أخا البطالة عمره	كم نقض العهود وأخلفا
ولكم تيقن بالدليل فماله	ركب العناد لجاجة وتعسفا
وعصى فأسلم للقطيعة والجوى	حق على من خان أو لا يعرفا

هل للنفوس تنفح نحوه يوماً
وأعد حديث مشوق قلب عنده
فبيضحى بالرضا متعرفاً
من لم يذب شوقاً له ما أنصفا
تفديك عطفة نفسي مخبراً ومعرفاً
وتشك من جاء إليه فإن لي

مولد : بغرناطة في ذي حجة خمس وثلاثين وسماية .
وفاته : ذكر أنه كان حياً سنة خمس وثمانين وسماية .

على بن محمد بن توبة

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان من العلماء الجلة الفقهاء الفضلاء . وُلِّي قضاء غرناطة لباديس ابن حبوس ، وعلى يديه كان عمل منبر جامعها ، وكان عمله في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وكان من قضاة العدل ، وإليه تنسب قنطرة القاضي بغرناطة ، والمسجد المتصل بها في قبيلتها . وكان كاتبه الزاهد أبا إسحق الإلبيري^(١) ، وفيه يقول :

بعلى^(٢) بن توبة فاز قِذْحِي وَسَمَتْ هَمِّي عَلَى الْجُوزَاءِ^(٣)
فهنياً لنا وللدين قاض
يَحْمِي الأَمْرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَدْلَ كَحَسْمِ^(٤) الحُسَامِ لِلأَمَاءِ
لو أنا سيرناه قال اعترافاً غَلِطَ الوَاصِفُونَ لِي بِالذِّكَاةِ
أو رأى أحنف وأكبر منه جِلْمُهُ مَا انْتَمَوْا إِلَى الحُلَمَاءِ

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يا على) .

(٣) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد من القصيدة في الزيتونة .

(٤) وردت في الإسكوريال (لحم) فاقتضى التصويب .

أورأى المُنصفون بحرَ نداه
هو أوفى من الشُّمول عهدا
وحيا المزن وحيا أخاه
يشهد العالمون في كل فن
وقضاة الزمان أرضُ لديهم
لتعرضت مدحه فكأنني
فأنا مُعجم على أن خيلي
لكسائي مخبرا ثوب فخري
ولو أنصفتُه وذاك قليل
فأنا عبده وذاك فخاري
وثناءً وقف عليه وشكري
جعلوا حاتماً من البحر لاء
ولما زال مُغرماً بالوفاء
أهملت كفه بوبل العطاء
أنه كان كالشهاب في العلماء
وهو من فوقهم كمثل السماء
رمت بحراً مساجلا بالدلاء
لاتجارى في حلبة الشعراء
طال حتى حررته من وراء
كان خدي لنعله كالجداء
وجمالي بين الوري وبهاء
ودعائي له بطول البقاء

على بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن
الغريب بن يزيد بن الشعر بن عبد شمس بن الغريب الهمداني
والغريب بن يزيد هو أول مولود ولد للعرب اليمانيين بالأندلس يكنى
أبا الحسن .

ولي غرناطة^(١) . وكان من أهل العلم والفهم ، والمشاركة في الطب ،
والكفاية الجيدة ، والشعر في ذروة همدان ، وذوايبيهما ، حسن الخط ،

(١) اقتصر ابن الخطيب على هذه الإشارة بالنسبة لحركة القاضي ابن أضحى . ونضيف نحن
إلى ذلك أن ابن أضحى كان من زعماء الثورة ضد المرابطين ، حينما تضعف سلطانهم بالأندلس ، وظهر
عليهم الموحدون بالمغرب . وقد كان ابن أضحى يومئذ قاضياً لغرناطة ، فاعلن الثورة ودعا لنفسه ،
وآزره أهل المدينة وتعاونوا على إخراج المرابطين ، فاعتصموا بالقصبة . ولما أعياه أمرهم ، بعث
فريق من أهل المدينة في استدعاء سيف الدولة بن هود ليأتي لولايتها ، فجاء من جيان في بعض قواته .
ولكن المرابطين اشتد أمرهم وهزموا خصومهم . وفي تلك الأثناء توفي ابن أضحى بتناوله لقدح مسموم .
كان قد أعد لاغتيال ابن هود وذلك في سنة ٥٤٠ هـ . وكان مولده بالمرية سنة ٤٩٥ هـ .

كريم النفس ، جواد بما يمارى ، عطاياه جزلة ، ومواهبه سنية ، وخلقه
سهلة ، كثير البشاشة ، مليح الدعابة ، موطأ الأكتاف ، على خلق الأشراف
والسادة .

مشيخته

روى بالمرية عن القاضى أبى محمد بن سمحون وبه ، تفقه . وقرأ
الأدب على ابن بقة ، وعلى الإمام الأستاذ أبى الحسن على بن أحمد بن
البادش ، وسمع الحديث على الحافظ أبى بكر بن غالب بن عبد الرحمن
ابن عطية وغيره .

شعره

من شعره يخاطب الوزير ابن أبى ويعتذر إليه ، وكان الفقيه أبو جعفر
المذكور ، قد خاطبه شافعاً فى بعض الأعيان ، فتلقى شفاعته بالقبول ،
ثم اعتقد أنه قد جاء مقصراً ، فكتب إليه :

ومستشفع عندى بخير الورى	عندى وأولاهم بالشكر منى وبالحمد
وصلت فلما لم أقم بجزايه	للفت له رأسى حياءً من المجد
وكتب يخاطب أبا نصر بن عبد الله ،	وقد كان أبو نصر خاطبه قبل ذلك :
أتتنى أبا نصر نتيجة خاطر	سريع كرجع الطرف فى الخطرات
فأعربت عن وجد كمين طويته	بأهيف طاور فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتين عرفته	نحيف منى للحسن أو عرفات
رماك فأصمى والقلوب رمية	لكل كحيل الطرف ذى فتكات
وظن بأن القلب منك محصب	فلباك من جنابه بالجمرات
تقرب بالنسك فى كل منسك	وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مشوى فأصبحت	ضلوعك مشواه بكل فلات

يعزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَهِيمَ فَتَنْطَوِي كَبِيْبَا عَلِي الْأَشْجَانِ وَالزُّفْرَاتِ
 فَلَوْ قُبِلَتْ لِلنَّاسِ فِي الْحَبِّ فِدْيَةٌ فَدَيْنَاكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْبُشْرَاتِ
 وَخَاطَبَ أَحَدَ أَوْلِيَاءِهِ شَافِعًا فِي رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ، ثُمَّ عَلَّقَتْ بِهَا نَفْسَهُ ،
 فَلَمْ تُسْعِفْهُ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَلَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الْمُجْتَبَى وَيَا أَيُّهَا الْأَمْعَى الْعَلَمَ
 أَتَنَى أَبْيَاتِكَ الْمُعْجَزَاتِ بِمَا قَدْ حَوَتْ مِنْ بَدِيعِ الْحِكْمِ
 وَلَمْ أَرْ مِنْ قَبْلِهَا بَابِلًا وَقَدْ نَفَثَتْ سِحْرَهَا فِي الْكَلِمِ
 وَلَكِنَّهُ الدِّينَ لَا يُشْتَرَى بِنَثْرِ وَلَا بِنِظَامِ نُظْمِ
 وَكَيْفَ أُبَيِّحُ حِمًّا مَانِعًا وَكَيْفَ أُحِلُّ مَا قَدْ حُرِّمَ
 أَلَسْتُ أَخَافُ عِقَابَ الْإِلَهِ وَنَارًا مُوْجِجَةً تَضْطَرِّمُ
 أَأَصْرَفُهَا طَالِقَةً بِنَّةً عَلَيَّ أَنْوَكَ قَدْ طَعَنِي وَاجْتَرَمَ
 وَلَوْ أَنَّ ذَاكَ الْغَبِيَّ الْخَمُولَ تَشَبَّتَ فِي أَمْرِي مَا نَدِمَ
 وَلَكِنَّهُ طَاشَ مُسْتَعْجَلًا فَكَانَ أَحَقَّ الْوَرَى بِالنَّدَمِ

ومن شعره أيضا قوله رحمه الله :

يَا عَلِيمَا بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ أَنَا عَبْدٌ مُثْقَلٌ بِالذَّنْبِ
 فَاعْفُ عَنِّي وَتُبْ عَلَيَّ وَفَرِّجْ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَلِيمِ الْكُرُوبِ
 حَالَمَا أَشْتَكِي سِوَاكَ طَبِيبُ كَيْفَ أَشْجَى بِهِ وَأَنْتَ طَبِيبُ
 أَنَا مِمَّنْ دَعَا قَرِيبٌ مُجِيبُ فَارْحَ مَا بَمَهْجَتِي عَنْ قَرِيبِ

تواليفه

قال أبو القاسم بن خلف الغافقي ، حدثني عنه الفقيه أبو خالد
 ابن يزيد بن محمد وغيره بتواليفه ، منها كتاب « قوت النفوس » ،

« وأنس الجَلِيس » وهو كتاب حسن ، ضمن فيه كثيراً من شمائل النبي عليه الصلاة والسلام .

توفي بقرناطة في سنة أربعين وخمسة ، وهو يحاصر المثلثين^(١) بقصبة قرناطة حسبما ثبت في اسم ابن هود أحمد^(٢) .

ومن الطاريين والغرباء

عثمن بن يحيى بن محمد بن منظور القيمي

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو ، ويعرف بابن منظور ، الأستاذ القاضي من بيت بني منظور الإشبيليين أحد بيوت الأندلس المعمور^(٣) بالنباهة .

حاله

كان رحمه الله صَدْرًا في علماء بلده ، أستاذًا ممتعا من أهل النظر والاجتهاد والتحقيق ، ثاقب الذهن ، أصيل للبحث ، مضطلعا بالمشكلات ، مشاركًا في فنون ، من فقه وعربية ، برز فيهما ، إلى أصول وقراءات وطب ومنطق . قرأ كثيراً ، ثم تلاحق بالشادين ، ثم غَبَّرَ^(٤) في وجوه السوابق . قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار ، ولازم الأستاذ أبا محمد بن أبي السداد الباهلي ، وتزوج إبنة الفقيه أبي علي بن الحسن ، فاستقرت

(١) أعي المرابطين

(٢) وردت في أعلى هامش المخطوط (لوحه ٣٠٢) هذه الفقرة من كلام المختصر : « وما ينبغي أن يتنبه له بما قد يشبه في فتاوى هذا المترجم ، وفتاوى القاضي أبي عمرو بن منظور قاضي قرناطة ، وهو متأخر عن هذا من أهل المائة الثامنة من معاصري الفقيه أبي عبد الله المواق . وفتاوى هذين الرجلين مسطورة في « المعيار » . والمعيار هو كتاب « المعيار المعرب عن فتاوى إفريقية والمغرب » للفقيه المغربي أحمد بن يحيى الوشريشي المتوفى سنة ٩١٤ هـ .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المعروف) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عري) .

عنده كتب والدها ، فاستعان بها على العلم والتبحر في المسائل ، وقيد بخطه الكثير ، واجتهد وصنف ، وأقرأ ببلده ، متحرراً بصناعة التوثيق ، فعظم به الانتفاع ، وقعد للتدريس [خلفاً للراوية] ^(١) أبي عثمان بن عيسى في شوال عام تسعة وسبعماية وولى القضاء ببليش وقمارش ، وملتماس ^(٢) ، ثم ببلده مالقة ، وتوفي قاضياً بها . لقيته ، وانتفعت بلقايه ، وبلوت منه أحسن الناس خلقاً ، وأعذبهم فكاهة .

شعره

وكان قليلاً ما يصدُر عنه ، كتب على ظهر الكتاب الذي ألفه للوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم ، مُقتدياً بغيره من الأعلام في زمانه :

قد جمع الحكم وفضل الخطاب	ما ضمه مجموع هذا الكتاب
من أدب غض ومن علية	تسابقوا للخير في كل باب
فجاء فذاً في العلى والنهى	ومنتقى صفو لباب اللباب
ألفه الحبر الجليل الذى	حاز العلا إرثاً وكسباً فطاب

توالياه

ألف كتاب « اللمع الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية » . وله تقييد في الفراض حسن ، سماه ، « بُغية المباحث في معرفة مقدمات الموارد » ، وآخر في المسح على الأنماق ^(٣) الاندلسى .

وفاته : توفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لذي حجة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية ، ولم يخلف بعده مثله .

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (خلفاً من الرواية) . والتصويب أنسب للسياق .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (منماش) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة .

على بن أحمد بن الحسن المذحجي

من أهل حصن ملتاس^(١) ، وابن وزيره الفقيه المحافظ القاضي ،
يكنى أبا الحسن ، ويعرف بجده .

حاله

من أولى الأصالة والصيانة والتعفف ، والعكوف على الخير ، والآوين
إلى طعمة متوارثة ، ونباهة قديمة ، صنّاع اليد ، متقن لكل ما يحاوله
من تسعير ونيجارة ، مبدول المودة ، مطعم للطعام بدار له معدة للضيّفان
من فضلاء من تطوّه الطريق ، ويغشاه [من] أبناء السبيل . ولى قضاء بلده
في نحو عشرين سنة ، فحمدت سيرته ، ثم ولى قضاء مالقة ، فظهرت
دُرْبته ومعرفته بالأحكام . فأعفى وعاد إلى ما كان بسبيله من القضاء
بموضعه والخطابة .

مشيخته : قرأ على الشيخين الصالحين ، أبي جعفر بن الزيات ، وأبي
عبد الله بن الكماد ببلده ، بلّش ، وأخذ عنهما .

توالياً : له أجوبة حسنة في الفقه . وصنف على كتاب البراذعي تصنيفاً
حسناً ، بلغ فيه إلى آخر رزمة البيوع ثلاثة عشر سفراً ، واستمرت على
ذلك حاله .

توفي ببلده بلّش في^(٢) من عام ستة وأربعين وسبعماية .

على بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي

صاحبنا أبو الحسن .

(١) هكذا في الإسكوريال . وهي نفس البلدة التي وردت في الترجمة السابقة .

(٢) بياض في المخطوط .

أُولَيْتَهُ

تنظر فيما تقدم من أهل بيته والمذكورين فيه من سلفه^(١) .

حاله

هذا الرجل ، وُلِّي قضاء الحضرة ، وخطابة جامع السلطان ، وعرض له تقزز فيما يقف عليه من مُنتخب وصفه ، وعدم رضاً بما يُجتهد فيه من تحلّيته ، فوكلنا التعريف بخصايصه ، إلى ما اشتهر من حميدها ، تخرجاً مما يجرُّ عتبه ، أو يثير عدم رضاه^(٢) .

مشيخته

ذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ الْخَطِيبِ أَبِي بَكْرِ الطَّنْجَالِيِّ ، قَرِيبَ أَبِيهِ ،

(١) سبق أن أورد ابن الخطيب ترجمة لأحد أجداده ، وهو الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي (المجلد الأول ص ٤٦٥ - ٤٧٦) .

(٢) نود أن نضيف إلى هذه الفقرة الموجزة التي أوردتها المختصر ، ما ذكره ابن الخطيب من أوصاف النباهي في ترجمته الأصلية له ، وهي التي نقلها إلينا المقرئ في نفع الطيب . وذلك فيما يأتي : « على بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي ، أبو الحسن ، ويعرف بالنباهي . هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة ، وبقية تعين وأصالة ، عف النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، خاطب للشيخوخة ، مستعجل للشيبة ، ظاهر الحياء ، متحرك مع السكون ، بعيد الغور ، مرهف الجوانب مع الانكماش ، مقتصد في الملبس والآلة ، متظاهر بالسذاجة ، برى من النوك والغفلة ، يقظ للمعاريض ، مهتد إلى الملاحن ، طرف في الجود ، حافظ ، مقيد ، طلعة ، إخباري ، قائم على تاريخ بلده . شرع في تكميل ما صنف فيه ، ولازم للتقيد والتطريف ، متفرعن الإجازات والفوائد . استفدت منه في هذا الغرض وغيره كثيراً . حسن الخط ، ناظم ، ناثر ، نثره يشف على نظمه ، ذاكر للكثير ، استظهر محفوظات منها النوادر للقال ، وناهيك به محفوظاً مهجوراً . ومسلكاً غفلاً ، فما ظنك بسواه . نشأ ببلده حر الطعمة ، فاضل الأبوة ، وقرأ به ، ثم ولى القضاء بملابس ثم ببلش وعملها ، فسيح الخطبة ، مطلق الجراية ، بعيد المدى في باب النزاهة ، ماضياً غير هيوب . حتى أربى في الزمن القريب على المحتنكين وغير في وجوه أهل الدربة ، وجرت أحكامه مستندة إلى الفتيا ، جارية على المسائل المشهورة . ثم نقل منها إلى النظر في أمور الحل والعقد بمالقة ، مضافاً إليه الخطط النبوية . وصدر له منشور من إملائي » . (نفع الطيب ج ٣ ص ٤٦٩) .

والناظر عليه بعده بوصاته . وكان من أهل الدراية والرواية ، وعن الشيخ الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد الغساني ، شهر بابن حفيد الأمين ، وقرأ عليه الفقه والقرآن ، وسمع عليه ، وتلا على الشيخ الأستاذ المقرئ أبي محمد بن أيوب ، وسمع عليه الكثير . وهو آخر من حدث عن أبي بن أبي الأحوص . وعلى الشيخ المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد ابن درهم ، وأخذ عن قريبه القاضي ، نسيج وحده أبي بكر عبد الله بن بكر الأشعري . ومن أشياخه صهره القاضي الأستاذ أبو عمرو بن منظور ، والأستاذ الحافظ المتكلم أبو عبد الله القطان ، والصوفي أبي الطاهر محمد ابن صفوان ، والقاضي الكاتب أبو القاسم محمد البناء . وصحب الشيخ أبا بكر بن الحكيم ، ولازمه وروى عنه . ولقى الخطيب المقرئ أبا القاسم ابن جزي ، وأخذ نسبه عن الشيخ أبي القاسم بن عمران . وبرئدة عن القاضي المحدث المقيد أبي الحجاج يوسف المنتشافي . ورحل فلقى بتلمسان عمران أبا موسى المشدالي ، وحضر مجلسه ، والأخوين الإمامين أبا زيد وأبا موسى ابني الامام . وبياجة^(١) ، أبا العباس أحمد بن الرباعي ، وأبا عبد الله بن هرون . وبتونس أعلاما ، كقاضي الجماعة أبي عبد الله ابن عبد السلام . قال ومن خطه نقلت ، وأجازني من أهل المشرق والمغرب ، عالم كبير .

شعره

قال ، نظمت مقطوعتين ، موطنًا بهما على البيتين المشهورين .

الأولى منهما قولي :

بنفسى من غزلان غزوى وغزالة جمالٌ مُحيّاها عن النسك زاجر

(١) المقصود هنا باجة الواقعة بشمال إفريقية (تونس) ، وليس باجة الواقعة في غربي الأندلس .

ولو أنه النسر الذي هو طائر
هواها بقلبي في المهامه ساير
من الحب ميعاد السلو المقابر

تصيد بلحظ الطرف من رام صيدها
معطرة الأنفاس رائقة الحلى
إذا رمت عنها سلوة قال شافع
والأخرى قولى :

لئن ملت عن سلمى فعذرك ظاهر
وهل لك بعد الشيب في الحب عاذر
فما لهواها عند مثلى آخِر
سريرة ود يوم تبلى السراير

وقائلة لما رأت شيب لمتى
زمان التصابي قد مضى لسبيله
فقلت لها كلا وإن تلف الفتى
ستبقى لها في مضمرة القلب والحشا
وكتب مع شكل يحذو على النعل الكريم ، من شأنه أن يكتب ذلك لكل
مزعم سفر :

حديث نبي الله خاتم رسله
به الأثر الماثور في شأن نعله
له نال ما بهواه ساعة حمله
فقد ظفرت يميناه بالأمن كله
مثالا كريما لا نظير لمثله

فديتك لا يهدى إليك أجل من
ومن ذلك الباب المثال الذى أتى
ومن فضله مهما يكن عند حامل
ولا سيما إن كان ذا سفر به
فدونك منه أيها العلم الرضا
ومن ذلك قوله :

من يافث كان أصلا أو من الياس
فلا أضر على عبد من الياس

لا تلجان لمخلوق من الناس
وثق بربك لا تياس ترى^(١) عجباً

ومن قوله يمدح السلطان ويصف الإعدار :

هذا الزمان لمولانا ابن مولانا

أبدي لنا من ضروب الحسن أفنانا

يقول فيها لطف الله بنا وبه :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجد) .

بريِّمِ رامةٍ إن وفِّي وإن خانا
من الجفون أو الأحشاء عريانا

ثم قال فيها بعد كثير يُرجى عفو الله فيه :

عن الإمام يُنيل المرء رضوانا
يُجنيك للسؤل أفنانا فأفنانا

ولا تحرك لسانا يا أخا ثقةٍ
يظلُّ ينشر ميث الوجد عن جدث

فما النسب أولى من حديث علا
يُممه تحظ بما أملت من أمل

ومنها في المدح :

على وقار يرى كالعين ثملانا
على السعادة في الدارين فرقانا
تخال فيه لها روحاً وريحانا
إذا سألت منه لوجه الرشد هانا
قضاعن منكبي صرفه ظلما وعدوانا
لا يستطيع له المدعو عصيانا

ملك يخف لراجيه بنايله
ملك ينص له الآلاء عزته
العاطر الذكر ترتاح النفوس له
الساحر المنطق في شتى العلوم
كسا الزمان ثياب الفضل حتى
وعظم الشرع حتى أن داعيه

ومنها في ذكر الإعذار :

شيدت بالحق للإسلام بُنيانا
يعم بالفضل ولدانا وبلداننا
بسنة الدين إكمالا وإتقاننا
مقلداً من نطاق المجد شُباننا
على بساط مُلكك بالإعذار جذلانا
من العلى بل الحسن منه قد باننا
منا وكانت على الإبلال قُرباننا
بين الدماء طهوراً طيباً زانا

لله درك يا مولاي من ملك
ولم تُبال ببذل المال في غرض
وقمت في الولد الميمون طائرته
بدا لنا قمراً ترنو العيون له
وقام يسحب أذيال الجمال على
خجلان بالقصور عن بلوغ مدا
فدته أنفسنا لو كان يقبلها
فيادماً سال عن تقوى فعاد له

ولا دليل على الغفلة المعبر عنها بالسلامة والذهول كقوله : وقمت في

الولد الميمون طائرُهُ . ومن ذلك قوله يخاطب صاحب العلامة بالمغرب
أبا القاسم بن رضوان :

لك الله قلى في هـواك رهين
ملكك بحكم الفضل كلى خالصاً
فهب لي من نطقى بمقدار ما به
فقد شملتنا من رضاك ملابس
أعنت على الدهر الغشوم ولم تنزل
وقصر من لم تعلم النفس أنه
وإني بحمد الله [عنه]^(٢) لى غنى
أبى لى مجد عن كرام ورثته
ونفسى سمّت فوق السماكين همّة
ولما رأت عيني محياك أقسمت
وعاد لها الأنس الذى كان قدمضى
بحيث نشأنا لابسين حلى التوى
أما وسنى تلك الليالى وطيبها
وفتيان صديق كالشموس وكالحيا
لئن نرحت تلك الديار فوجدنا
إذا مر حين زاده الشوق جدّة
لقد عبثت أيدى الزمان بجمعا

وروحى عنى إن رحلت ظعين
وملكك للحر الصريح يزين
يترجم سر في الفؤاد دفين
وسح لنا^(١) من نذاك معين
بدنياك فى الأمر المهم تعين
خذول إذا خان الزمان يخون
وحسبى صبر عن سواك يصون
وقوقاً بباب للكرام^(٣) يهين
وما كل نفس بالهوان تدين
بانك للفعل الجميل ضمين^(٤)
برية إذ شرخ الشباب خدين
وكل بكل عند ذاك ضنين
ووجد غرامى والحديث شجون
حديثهم ماشئت عنه يكون
عليها له بين الضلوع أنيس
وليس يُعاب للربوع حنين
وحان افتراق لم نخله يحين

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (لدينا) .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (للكرام) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (ضنين) والتصويب من النفع .

وكل الذي دون الفراق يهون
ومالك في حُسن الصنيع قرين
على شُكرها الربُّ العظيم يُعين
تلذُّ بها عند العِيان عيون
لها وجه حُرُّ بالحياءِ مَصُون
ومَقْدَمك الأَسْنَى بذاك قَمِين
جسومٌ فعند البعد كيف تكون
إليك لكننا باللُّزوم ندين
فراحتُه شَمَلُ الجميع تصون
بما لك في طيِّ القلوب كَمِين
فحبُّك دُنْيَا لِلْمُحِبِّ وِدِين
أقرتُ لها بالصدق منك مَرِين
فأنتِ لديها ما حُبِّيت مَكِين
ولا نطق إلا عن عُلاك مُبِين
صحيحا كما قد صحَّ منك يقين
من الفِكر عن حال المحبِّ تُبِين
وما لسوى الإغضاء منك ركون
ومهدُّ لها بالسَّمح حيث تكون
حديث غريب قد عراه سُكون

وبعد التَّقِينَا في محلِّ تغرُّب
فقابلتَ بالفضل الذي أنتَ أهْلُهُ
وغِبتَ وما غابت مكارمُك التي
بمِينَا لَفْدَ أَوْلَيْتَنَا مِنْكَ نِعْمَةٌ
ويَقْصُرُ عنها الوصفُ إذ هي كلها
ولمَّا قَدِمْتَ الآن زاد سرورنا
لأنك أنتَ الرُّوحُ منا وكلُّنا
ولو كان قَدْرُ الحبِّ فيك لقاءنا
ولكن قَصْدُنَا راحة المجد دوننا^(١)
هنيئًا هنيئًا أيها العَلَمُ الرُّضَا
لك الحسن والإحسان والعِلْمُ والتَّقَى
وكم لك في دار^(٢) الخلافة من يدٍ
وقامت عليها للملوك أدلَّة
فلا وجهٌ إلا وهو بالبشر مُقبِل^(٣)
بقيت لرَبِّع الفضل تحمى ذِمَّارُه
ودونك يا قطبَ المعالي بُنْيَة
أنتك ابن رضوان تَمَّتْ بوُدِّها
فخلَّ انتقاد البحث^(٤) عن هفواتها
وخذاها على عِلَّاتِها فحديثها

ومن شعره قوله في ليلة الميلاد الكريم من قصيدة :

-
- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (جهدنا) .
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (باب) .
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مشرق) .
(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (البحر) .

خَلِيلِي مُرًّا عَلَى أَرْضِ مَأْرَبٍ وَلَا تَعْذِلَانِي إِنِّي غَيْرُ آيِبٍ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ أَثْبَتَتْ فِي الرَّحْلَةِ . فَلْيَنْظُرْهَا هُنَالِكَ مَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ غَرَضِهَا .

نشره

من أمثل ما صدر عنه في غرض غريب ، وهو وصف نخلة بإزاء باب
الحمراء . ونشره كثير ، ولكننا اخترنا له ما اختار لنفسه ، وأشاد بشُفوفه
على أبناء جنسه :

يا أيها الأَخْلَاءُ الَّذِينَ لَهْمُ الصَّنَائِعِ ، الَّتِي تَحْسُدُهَا الْغَمَائِمُ ، وَالْبِدَائِعِ
الَّتِي تَوَدُّهَا بَدَلًا مِنْ أَزْهَارِهَا الْكَمَائِمِ ، بِقِيَّتِمُ وَشَمْلِكُمْ جَمِيعِ ، وَرَوْضِ
أَمْلِكُمْ مَرِيعِ ، وَالْكَلِّ مِنْكُمْ لِلْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنْ حَدِيثِ الْمُحِبِّ سَمِيعِ ،

بَارِضِ النَّخْلِ قَلْبِي مُسْتَهَامِ فَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَنْهَا النُّقَامِ

لِذَاكَ إِذَا رَأَيْتُ لَهَا شَبِهَا أَقُولُ وَمَا يُصَاحِبُنِي مَسَامِ

أَلَا يَا نَخْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقِ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامِ

فَسَلَّمْتُ يَوْمًا تَسْلِيمَ الْمَبْرَةِ ، عَلَى مَدْنِهَا الْحَرَّةِ الْبَرَّةِ ، جَارَةَ حَايِطِ الدَّارِ ،
الْوَاقِفَةَ لِلْخِدْمَةِ كَالْمَنَارِ ، عَلَى سِدَّةِ الْجِدَارِ ، بِيَاضِ النَّهَارِ ، وَسَوَادِ اللَّيْلِ ،
الْمُتَلَفِّعَةَ بِشِعَارِ الْوَقَارِ ، الْمَكْفُولَةَ الذَّلِيلِ ، أَنْيَسَةَ مَشِيخَةَ الْجَمَاعَةِ ، الْقَاطِنَةَ
مِنَ الْحَمْرَاءِ الْعَلِيَّةِ ، بِيَابِ ابْنِ سَمَاعَةَ ، فَحِينَ عَطَفْتُ عَلَيْهَا ، وَصَرَفْتُ
زَمَامَ رَاحِلَتِي إِلَيْهَا ، وَوَقَفْتُ بِإِزَاءِ فَنَائِهَا ، وَلَكِنهَا وَقُوفَ الْمَشْفِقِ مِنْ
فَنَائِي وَفَنَائِهَا ، وَقَلْتُ لَهَا كَيْفَ حَالُكَ أَيَّتْهَا الْجَارَةُ ، السَّاكِنَةُ بِنَجْدَةِ
الْحِجَارَةِ ، الْوَاعِظَةُ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، بِمَقَامِهَا صَامِتَةً عَلَى الصَّعِيدِ .

سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا وَلَا زَلْتِ فِي خَضْرَاءِ غَضِّ نَظِيرُهَا

فَمَا أَحَقُّكَ مِنْ بَاسِقَةٍ بِالْتَرَحِيبِ ، وَأَقْرَبَكَ مِنْ رَحْمَاتِ السَّمِيعِ الْمَجِيبِ ،

خَلَّتْهَا اهْتَزَّتْ عِنْدَ النَّدَاءِ اهْتِزَّازَ السُّرُورِ ، وَتَمَايَلَتْ أَكْمَامُهَا تَمَايُلَ الثَّلِثِ

المسرور ، ثم قالت لساييلها بلسان وسايلها ، عند مشاهدة مثلي تقول
العرب ، عينها فرارها ، واينو جدّها للناظرين اصفرارها ، وجملة
بُخيتي ، بعد إتمام تحيتي ، أن الدهر عَجَمَ قناتي ، ومُسُّ الكِبَرِ كدُر
سِناتي ، وما عسى أن أبث من تُكُناتي ، وجلُّ عُلَاتي من تركيب ذاتي .
ولكنني أجد مع ذلك ، أن وقاري ، حسنٌ لدى الحيِّ احتقاري ، وكثرة
قناعتي ، أثرت إضاعتي ، وكمالُ قُدِّي ، أوجبَ قُدِّي ، فما أنسَم
الأشياء ، لا أنسَ عدوان جُعسوس من لغبوش اليهود أو المجوس ، يفحص
بمُدَيْتِه عن وريدي ، ويحرص على مدُّ جريدي ، ويجدع كل عام بخنجره
أنفِي ، وكلما رُمْتُ كَفَّ إِذائته عني ، كشم كف ، فلو رأيتم صَعَصَعَةَ
أفناني ، وَسَمِعْتُمْ عند جَذْمِ بَنَانِي ، قَعَقَعَةَ جَنَانِي ، والدمع لما جَفَانِي ، يفيض
من أجفاني ، والجُعسوس الخبيث المنحوس ، قد شد ما حدُّ بأمراسه ،
ورفعه لبيعة كفره على راسه . بعد الأمر بوضعه على أسنمة القبور ،
حسباً ثبت في الحديث المشهور ، لِحَمَلَتِكُمْ يَا بَنِي سَامِ وَحَامِ عَلَى الْغَيْرَةِ
وشايح الأرحام ، فقد علمتم بنصُّ الأثر ، أني عمَّتكم القديمة ، وإن لم
أكن لذلك بأهل ، فإنني لكم اليوم خَدِيمَةٌ ، أو من ذُرِّيَةِ الْفَرِيقِ الْمَوْجِبِ ،
المضروب به المثل يوم السَّقِيْفَةِ ، لمن رام من أشرف الأندلس أن يكون
إذ ذاك خليفة . وخالةُ أَبِي كَانَتْ النخلة الْبَرْشَا الْكَبِيرَةَ ، التي حادَّهَا
الأمير عبد الرحمن بالرُّصَافَةِ^(١) القريبة من كورة إلبيرة . فكيف يسهل
اليوم عليكم إهمالي ، وَيَجْمُلُ لَدَيْكُمْ إِخْمَالِي ، وترك إْحْتِمَالِي ، والأيام
والحمد لله مُسَاعِدَةٌ ، وَالْمُلْكُ مُلْكُ بَنِي سَاعِدَةٍ . فلما سمعتُ عِتَابَهَا ، وعلمتُ

(١) يشير هنا إلى أمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، أول أمراء بني أمية بالأندلس ،
وإلى قصيدته التي يخاطب بها نخلة وحيدة رأها بجي الرصافة ، ضاحية قرطبة ، ومطلعها :
تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناوت بأرض الغرب عن بلد النخل

أنا قد شدت للمناضلة أقتابها . قلت لها أهلاً بك وسهلاً . ومهلاً عليك أو بهلاً ، لقد دسَع^(١) بعيرك ، وعادت بالخيبة عيرك . فليست الحقيقة كالمجاز ، ولا جليقية في النيات كالحجاز . هنا جنات من أعناب مُرسلة الذبول ، مُكملة الأطناب ، قد طاب استييارها ، وحمد اختيارها واختيارها ، وعذبت عيون أنهارها ، وتفتحت كمام أزهارها ، عن وزدها ونرجسها وبهارها ، وسرت بطرف محاسنها الرفاق ، حتى قَلِقَت منها الشام واليمن والعراق . فحين كثر خيرها ، سُجِر بالضرورة غيرها ، وأنت لا كنتِ يا خشبة ، قد صرت من المنال عُشبة ، وأصبحت نذلي خالفة ، ورذلي بالهم تالفة ، لا يُجتنى بلحك ولا طلعك ، ولا يُرتجى نفعك ، فالأولى قطعك أو قلحك ، وإلا فأين قنوك أو صنوك ، أو تمرك أو سبرك ، هلا أبقيت يا فسيلة على نفسك ، وراعيته صلحة جنسك . ولقد انتهت بك المحارجة إلى ارتكاب ما لا يجوز ، وفي علمك أن من أمثال الحكماء ، كُل هالك عجوز . حسبك السُّمَح لك بالمقام ، ما دمت حية في هذا المقام . فانقطع كلامها ، وارتفع بحكم العجز ملامها . وما كان إلا أن نُقل مقال . فقال المتكلم بلسان القالي ، أنا أتطوع بالجواب ، وعلى الله جزيلُ الثواب ، ليعلم كلُّ سايل ، أن تفضيل النخل على العنب ، من المسائل التي لايسع فيها جحد جاحد ، وإن كانا أخوين سُقياً بماء واحد . وقد جرى مثلُ هذا الخطاب بين يدي عمر بن الخطاب ، فقيل يا بني حنمة ، أيها أطيب ، الرطب أم العنب ، فقال ليس كالصقر ، في رؤوس الرُّقل ، الراسخات في العقل ، المُطعمات في المَحَل ، تحفة الصَّايِم ، ونُقلة الصَّبِي القادم ، ونزل مريم بنت عمران . والنخلة هي التي مُثلُ بها المؤمن من الإنسان ، ليس كالزَّبِيْب ، الذي

(١) وردت في الإسكوريال (دسج) ، ونعقد أن التصويب أرجح ، وأكثر اتساقاً مع المعنى .

إن أكلته ضَرِسْت ، وإن تركته غربت ، وكفى بهذه الرواية حُجَّة ، لمن أراد سلوك المحجَّة . وعلى كل تقدير ، فقد لزم التفضيل للنخلة على الكَرْمَة ، لزوم الصِّلة للموصول ، والنَّصْب للمُنَادى المَطْوول ، والعجز لِكِتَابِي المُحَصَّل والمَحْصُول . وكم على تَرْجِيح ذلك من قِيَّاس صحيح ، ونقل ثابت صريح . قال ، واعتذاركم بالمَهْرَمَة عن فعل المَكْرَمَة لِأَمَة في تلك الطَّبَاع كَامَنَة ، وسامة للتَّلَف لا للخَلْف ضَامَنَة . وذكرتم الثَّمرة والبُسرة ، والوقت ليس بوقت عُسرة ، فأذكرتم قول القايل ، في بعض المسائل . دَعْنَا من تَمْرَتَان وبُسْرَتَان أو تَمْرَتَيْن وبُسْرَتَيْن ، على الوجهين ، المتوجَّهين في المَسْلَتَيْن ، وفي ضمن ذكركم لذلك أدلَّة صدق على تَطَلُّع النفس الفقيرة ، لِلْأَعْرَاض التَّافِهَة الحَقِيرَة ، والإِمَامَة العَظْمَى ، أَجَلٌ عِنْدَنَا وَأَسْمَى . من أَن تَلْحَظ بعينها تلك المَلاحِظ ، ولو اصل لديها مراتبها وأفكارها ببيانه وتبَيَّانه ، عمرو بن بحر الجاحظ ، إذ هي كافاً الله فضلها ، ولا قَلْص ظلُّها كالسَّحَاب ، نجود بغِيثها على الآكام والضُّراب ، ومنابت الشجر من التُّراب ، فضلا عن الخدمة والأتراب ، فليس يَضِيع مع جميل نَظَرها ، ذو نسب ، ولا يُجْهَل في أيامها السَّعيدة مقدارٌ مُنْتَسَب إلى حَسَب . وإن وقعت هفوة صغيرة ، أعقبت بها حَسَنَة كبيرة ، ومِنَن أثيرة ، ونِعَم كثيرة . ولم لا ، ورُوح أمرها ، ومذهب نُصرة جَمْرها ، عِلْم السادة للقادة الأكابر ، المغرم بجَبْر كل كَسِير ، وناهيك من به جابر الرازي (١) ، ذكر مآثره ، بعرف أطيب الطَّيب . الوزير أبو عبد الله بن الخطيب . والمطلوب منه لهذه الشجرة الثُّرْمَا ، الغريبة الشُّمًا ، التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء ، إنما هو يسير بنا . وظهير اعْتِنَا ، وخنجر يُرْمَا ،

(١) وردت في الإسكوريال (الزاري) .

لعل عباسة أديم دوها أن تذهب . وأكمام كياسة قنوها ، أن تُفضض
بنعيم النضارة ثم تُذهب ، ويعود إليها شرخُ شبابها ، وتستحکم صُفرة
ثيابها ، وخُصرة جلابها ، وذلك كله بنن اللطيف الخبير ، من أسهل
العمل على مجد الأمير ، وفضل الوزير ، إذ هما ، دام عزهما ، على بيّنة
من أن الإحسان ألقاح ، والشكر نتاجه . والثناء إكليل ، وهو في الحقيقة
تاجه . قال المسلم ، ومن يا إخوتي لعلی ، بمعارضة الحافظ أبي علي ، ولو
أني اشتملت شملة النضر بن شميل ، وأصبحت أفصح من عامر بن الطفيل ،
وأخطب من شبيب ، وأشعر من حبيب ، وجُزت من طرق الجدال ، منازل
نقدة ص. دور الابدال . وعلى أنه ما قال إلا حقًا ، فبُعْدًا للامرء وسُحْقًا .
ولكنی أقسم عليكم بمُقَدِّر الضيا والحلك ، ومُسَخِّر نجوم الفلك ،
بإصابة الأعراب ، وأصحاب الإغراب ، وأرباب فنون الإغراب ، ألا ما
تأمّلتُم فصول هذه المقالة ، وأفتيتُم بما يترجّح فيها لديكم من نسخ أو
فسخ ، أو إجادة أو إقالة ، فأنتم علماء الكلام ، وزعماء كُتاب الأعلام ،
والمراجعات بين شقاشق الرجال ، شُنْشنة معروفة ، وطريقة إليها الوجوه
في كثير من المخاطبات مَصْرُوفَة ، لازلتُم مذكورين في أهل البيان ،
مشكورين على بذل الفضل مدى الأحيان . والله سبحانه يجعل التوفيق
حاديكم ، ونور العلم هاديكم ، ومنه نسلٌ جلّ اسمه ، التطهير من كل
مَعَابَة . والسّمح فيما تخلّل هذه المَقامة من دُعابة ، والتحية الكريمة مع
السلام الطيب المُعاد . يُعتمد من يقف عليها من الآن إلى يوم المَعاد ،
والرّحمات والمسرات والبركات والخيرات . من كاتبها على بن عبد الله

ابن الحسن ، أرشده الله^(١) .

المقريون والعلماء

على بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصارى

من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، الشيخ الأستاذ ، إمام الفريضة
بجامع غرناطة .

حاله

من الملاحى ، أوجد زمانه إتقاناً ، ومعرفة ، ومشاركة فى العلوم ،
وانفراداً بعلم العربية . وكان حسن الخط ، كثير الكتب ، ترك منها
بخطه كثيراً جداً ، شارك فى الحديث ، عالماً بأسماء رجاله ونقلته ،
مع الدين ، والفضل ، والزهد ، والانقباض عن أهل الدنيا ، وترك
الملابسة لهم .

مشيخته

قرأ على المقرئ بغرناطة أبى القاسم نعم الخلف بن محمد بن يحيى الأنصارى ،
وأبى على الصّدفى . وغيرهم ممن يطول ذكرهم . وحدث [عنه] القاضى

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الترجمة التى أوردها ابن الخطيب فى الإحاطة لأبى الحسن
النباهى ، وأشاد فيها بجميل صفاته . قد كتبت حوالى سنة ٧٦٩ - ٧٧٠ هـ ، حينما كان ابن الخطيب
فى أوج سلطانه فى الوزارة ، وكان النباهى وهو يشغل يومئذ منصب قاضى الجماعة ، من أصدقائه
وأوليائه . فلما تغيرت الأحوال ، وشعر ابن الخطيب بتغير ملكه عليه ، ونشبت الخصومة بينه
وبين النباهى ، واضطر فى النهاية إلى أن يغادر الأندلس لاجئاً إلى المغرب تحت كنف السلطان
عبد العزيز المرينى ، وكتب بعد ذلك كتابه «الكتيبة الكامنة فىمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»
كتب ترجمة جديدة لأبى الحسن النباهى ، تفيض بالطنن المر ، والهجاء المقذع ، والأوصاف المخدشة
وذلك حسبما أشرنا إليه فى مقدمة المجلد الأول من الإحاطة . (راجع الكتيبة الكامنة - طبع بيروت
سنة ١٩٦٣ - ص ١٤٦ وما بعدها) .

أبو الفضل عياض بن موسى ، والقاضي أبو محمد بن عطية ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، والقاضي أبو بكر جابر بن يحيى التغلبي ، والقاضي أبو خالد عبد الله بن أبي زَمَين ، والقاضي أبو الحسن بن أضحى .

تواليافه

ألف فى النحو كتبا كثيرة ، منها على كتاب سيبويه ، وعلى كتاب المُقتضب ، وعلى الأصول لابن السراج . وشرح كتاب الإيضاح ، وكلامه على كتاب الجمل لأبى القاسم ، وكلامه على الكافى لابن النحاس . مع التنبيه على وَهْمه فى نحو مائة موضع ، إلى غير ذلك .

شعره

قال أبو القاسم ، وله نظم ليس بالكثير . فمن ذلك :

أصبحت تقعد بالهوى وتقوم وبه تقرظ معشراً وتُسديم
تُعنيك نفسك فاشتغل بصلاحها إننى بغير السقام سقيم

وفاته

توفى بفرناطة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه إثر صلاة العصر ، ابنه الأستاذ أبو جعفر ، ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم الناس على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجع الناس على قبره . وقبره مشهور ، يتبرك به الناس .

على بن محمد بن درى

المُقرى الفقيه ، الخطيب أبو الحسن ، الإمام بجامع فرناطة ، أصله من طليطلة .

حاله

كان من خيار الناس وفضلائهم، وأهل المعرفة منهم ، عارفا بإقراء كتاب الله عز وجل ، والرواية للحديث . أخذ الناس عنه ، وكانت عنده مشاركة ، ومسارة لقضاء الحوائج ، والمشى للإصلاح بين الناس ، والإشفاق على المساكين ، كثير الصدقة ، والسعى في فداء الأسرى ، والوسائط الجميلة في مهمات الأمور ومشكلاتها . دخل رجل تاجر غريب الميضاة للوضوء ، فنسى بها وعاء فيه جملة مال ، فتذكر له ، فرجع ولم يجده ، فسقط مغشيا عليه ، فاجتمع عليه الناس ، وهو يقول مالي ، ووافق خروج الأستاذ أبي الحسن المذكور من الجامع ، فسأل عنه ، فجالس أذنه ، فقال مالك عندي وديعة تركته أنت عندي ، وإذا كان بعد صلاة العصر تأخذه . فقام الرجل ، فكأنما نشط من عقال ، ومشى الخطيب في حينه ، إلى مشرف غرناطة ابن مالك ، فقال له ، إني اشتريت لك قصراً في الجنة ، بخمس مائة دينار ، وأنا الضامن لذلك ، فشكره ، وأخبره الخطيب بالقصة ، فدفع إليه المال ، فدفعه إلى الرجل . وكان الناس لا يتوقفون له في أمر .

مشيخته

روى بطليلة عن أبي عبد الله المقامى ، وعن أبي مسلم الضرير المقرئ ، والقاضى أبي الوليد الوقشى ، وأخذ عن أبوى علي الصّديقي والغساني ، وعن أبي مروان بن سراج ، وابنه سراج .

توفي بغرناطة في رمضان ستة وعشرين وخمسمائة ، وصلى عليه القاضى أبو القاسم بن ورد ، ودفن في مقبرة باب البيرة ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجع الناس عليه ، واخلصوا الدعاء له .

ومن رثاه ، أبو عبد الله بن أبي الخِصَال بقوله :

وشكوى كَمَا تشكو الرياح إلى السفن
نَبَّحت ولكن عالم الكون ممتحن
بأن تتخطاه النوايب والمِحن
بَعْمُر فيها عُمرته الآن أو حُضن
ويبقى لسم سره غير مؤتمن
يورثه نُكَل الأُحبة والبَدَن
يروح على بث ويغدو على شجن
وراحته كَرَب وهدنته دَخَن
ومن صار فيه من أحبته فنن
لُزَّت مع الموت في قَرَن
فياويحه مما تحمل واحتضن
نزيد على علم بما ساء حُسن ظن
وكل قباليه بالموت مُرتهن
أرقد بها تلك المعاهد والدمن
وذو كلم ما تحجب السر والعلن
جزاء بما أسلفت من سعيك الحسن
مُحياك في دار الغنا والرُضا سكن
فبِوَأك الرحمن فِرْدَوْسه وطَن
وقد كان حاديه يُغَرِّد بالظعن
تخبرها الأولياء على القِنين
وقد واره أكرم مدفن

عِتَاب وما يُغنى العتاب على الزمن
وما رضيت بعد الغضارة أئبكة
وماذا عليه والسَّلامه حِظُّه
فليتَ كَرِيماً يُنعش للناس خيره
ولكنه يمضى كظل غمامة
يود الفتى طول البقاء وطوله
وأى اغتباط في حياة مرزا
زيادته تَغُصُّ وجدته بلي
إذا فوق السهم المُصِيب فقلبه
فيا عجباً للمرء يلتدُّ عيشه
أرى كلَّ حى للمنية حاملا
إذا زادت الأيام فينا إساءة
ولم أر مثل الموت حقاً كباطل
أإخواننا لم تبق إلا تحية
أإخواننا هل تسمعون تحسيتي
أبا الحسن خلد في الجنان مُنعما
يطير فوادي روعة فإذا رأى
وقد كنت ترتاد المواطن إذ نبت
وبتُ معنى بالجلال فَنِلْتَه
ولم ترض إلا الأرض هجرتك التي
وفي مثلها أن الرسول لسعد

على أنك المدعو من كل بلدة
سيرضيك من أرضيته في عباده
ويبقى كما بقيت بعدك أنه لهم
ويحفظهم حفظ اليتيمين أيّدا
أبا الحسن إن المدى بعد ما بدا
وأسير وجد في فراقك أنه
سقى الله والسقيا بكفيه تجربة
ولا برحمتها ديمة مُستهلة إذا
فلا زلت في روض وروح ورحمة

هلم فإننا دونك الحجب والجنن
وجاهدت فيه بالفروض وبالسنن
فلما استهوتهم روعة سكن
بوقع جدار قد تداعى وقد وهن
طويل ولا يُعتد في جنب ما بطن
سيبقى عليك الوجد ما بقى الزمن
مباركة ضمّتك أسرع ما هتن
ركضتها الريح قام بها جرن
ومقبرة تترى على ذلك الجنن

على بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكِنَانِي القِيبَالِي

يكنى أبا الحسن ، أصله من بسطة ، واستوطن غرناطة ، حتى عدّ من
أهلها قراءة وإقراء ولزوما

حالُه

من «العايد»^(١) ، أوحد زمانه علما وتخلقا وتواضعا وتفننا . ورد على
غرناطة مُستدعى عام اثني عشر وسبعماية ، وقعد بمسجدها الأعظم يُقرئ
فنونا من العلم ، من قراءات وفقه وعربية وأدب . ووئى الخطابة ، وناب
عن بعض القضاة بالحضرة ، مشكور المأخذ ، حسن السيرة ، عظيم النفع .
وقصده الناس ، وأخذ عنه البعيد والقريب . وكان أديبا لوذعيا ، فكها ،
خلوا ، وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب ، إثر قراءة
المكتب^(٢)

(١) العايد ، أى كتاب عايد الصلة ، لابن الخطيب ، وقد سبق التعريف به في المقدمة .

(٢) وردت في الإسكوريال (المنكب) والتصويب من الزيتونة .

مشيخته

قرأ على أبيه ببلده بسطة القرآن ، بالرؤايات السبع . وجمعها في ختمة ،
وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن مساعد الغساني . وقرأ بخرناطة القرآن على
الأستاذ أبي عبد الله بن مستقور^(١) ، والأستاذ أبي جعفر الطباع ، والأستاذ
الشهير أبي الحسن بن الضايح^(٢) . والأستاذ النحوي أبي الحسن الأبدى .
وعلى القاضي أبي عمرو بن الرندي ، والفقيه القاضي أبي علي بن الأحوص ، وعلى
الفقيه النسابة أبي جعفر بن مسعدة ، والأستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير .
ولقى الشيخ الصالح ولي الله أبا إسحق بن عبيدش^(٣) وحضر مجالسه
العامه . وذكر أنه كان يفتتح مجلسه الذي يتكلم فيه بقوله : لا حول
ولا قوة إلا بالله ، كنز من كنوز الجنة ، ررقتنا الله الأدب مع الله ،
واستعملنا فيما يرضيه ، ويرضى رسوله . وجعل حظنا في الدار الآخرة .
ولقى الإمام بجامع بسطة الخطيب الراوية أبا الحسن بن نافع وغيرهم ،
وله توالييف في فنون . وشعر ، ونثر . فمن شعره قوله :

روض المشيب تفتحت أزهاره	حتى استبان ثغامه وبهارة
ودجى الشباب قد استبان صباحه	وظلامه قد لاح فيه نهارة
فأتى حمام لا يعاف وقوعه	ومضى غروب لا نخاف مطاره
والعمر مثل البدر يرمق ^(٤) حسنه	حيناً ويعقب بعد ذلك سراره
للإخفاء تقلصت أفيأوه	ما للصفاء تكدرت آثساره
الحر يصفح إن أخل خليله	والبر يسمع أن تجرأ جاره

(١) وردت في الإسكوريال (مسعود) وفي الزيتونة (مسعود) . وكلاهما تحريف .

(٢) هكذا وردت في المخطوطين ، وربما كانت (الصايغ)

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ابن عبيدس) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الكتيبة الكامنة (يوتق) .

فتراه يدفع إن تمكن جباهه
ولأنت تعلم أنني زمن الصبا
والهجر ما بين الأحبة لم ينزل
ولكم تجافى عن خفاء خليله
ولكم أصر على التدابر مُدبر
فأقام كالكسعي بان نهاره
أنكرتم من حق مُعترف لكم
والشَّرع قد منع التقاطع نصه
والسُّن سن تورع وتبرع
مايومنا من أمسينا قطك^(٢) اتبت
هلاً حظرتم أو حذرتم منه ما
عجبا لمن يجرى هواه لغاية
يأتى ضحى ما كان يأتيه دُجى
فبعد ما تنعى به حسناته
فالنفس قد أجرته مليء عنانه
والمرء من إخوانه فى جنَّة
فاليمين قد مدت إليه يمينه
شعر به أشعرت بالنصح الذى
ولو اختبرتم نقده بمحكِّه

وتراه يرفع^(١) إن علا مقدارُه
ما زلت زندا والحياة سواره
ترك الكلام أو السلام مشاره
فَطِنٌ وقد ظفرت به أظفاره
أفضى إلى ندم به إصراره
أو كالفرزدق فارقت نواره
بالحق ما لا ينبغي إنكاره
قطعا وقد وردت به أخباره
وتسرع لتشرح تختاره
ذهب الشباب فكيف يبق عاره
حق عليكم حظه وحذاره
محدودة أضماره مضماره
فكأنه ما شاب منه عذاره
ويعيد ما تبقى به أوزاره
يشتد فى مضمارها^(٣) إحضاره
بل جنَّة تجرى بها أنهاره
واليسر قد شدت عليه يساره
يهديه من أشعاره إشعاره
لامتاز بهرجه ولاح^(٤) نضاره

- (١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (يرفع) .
(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (قدك) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (إحضارها) .
(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الكتيبة الكامنة (وبان) .

هذا هدى فيه اقتده تنل المنا^(١) أو أنت في هذا وما تختاره
وعليكم منى سلامٌ مثل ما أرّجت بروض يانع أزهاره
ومن شعره في الرثاء قوله من قصيدة .

حَمَامِ حِمَامٍ فَوْقَ أَيْكَ الْأَسَى تَشْدُو
وَذَلِكَ شَجْوٌ فِي حَنَاجِرِنَا شَجِي
أَرَى أَرْجُلَ الْأَرْزَاءِ تَشْتَدُّ نَحُونَا
وَنَحْنُ أَوْلُو سَهْوٍ عَنِ الْأَمْرِ مَا لَنَا
فَإِنْ خَطَرْتُ لِلْمَرْءِ ذِكْرِي بِخَاطِرِ
مَصَابٍ بِهِ قُدَّتْ قُلُوبٌ وَأَنْفُسُ
تَلِينُ لَهُ الصَّمُ الصَّلَابِ وَتَنْهَمِي
فَلَا مُقْلَةً تَرْنُو وَلَا أَذْنَ تَعِي
وَقَدْ كَانَ يَبْدُو الصَّبْرَ مَا تَجَلَّدَا
مولده : عام خمسين وستماية .

وفاته : توفي بغرناطة ضحى يوم السبت التاسع والعشرين من شهر
ذى حجة من عام ثلاثين وسبعماية ، ودفن في عصر اليوم بعد بجبانة
باب البيرة . وكان الحفل في جنازته عظيما ، حضرها السلطان . واحتمل
الطلبة نعشه^(٢) .

ومن الطارئين

عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي

المعروف بالرندي ، من أهل رندة يكنى أبا علي .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الكتيبة الكامنة (الرضا) .

(٢) أورد ابن الخطيب المترجم ترجمة أخرى في كتابه (الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس
من شعراء المائة الثامنة) ، الذي سبقت الإشارة إليه (ص ٣٧ - ٤٠) .

حاله

كان من جملة المُقربين ، وجهابذة الأُستاذين ، مشاركاً في فنون ،
نقاداً ، فاضلاً .

مُشيخته

روى عن أبي زيد السُّهيلي ، وعنه أخذ العربية والأدب ، وبه تفقّه ،
وإياه اعتمد . وعن أبي محمد القاسم بن دحمان ، وأبي عبد الله بن أبان ،
وتلا على هؤلاء القراءات ، بقراءات السبعة . وعن أبي اسحق بن قرقول ،
وأبي عبد الله بن الفخار ، وأبي الحسن صالح بن عبد الملك الأوسى ،
وأبي محمد عبد الحق بن بُونه . وأبي عبد الله الحميري الإستجى ،
وأبي العباس بن اليتيم ، وأبي عبد الله بن مُدرك ، وأبي القاسم بن حُبَيْش
وأبي عبد الله بن حُميد . أخذ عن هؤلاء بمالقة ، من أهلها ، ومن الواردين
عليها . ورحل إلى غرناطة ، فأخذ بها عن يزيد بن رفاعة ، وابن كوثر ،
وابن عروس ، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفَرَس ، وأبي جعفر
ابن حكم . وإلى قرطبة ، فأخذ بها عن ابن بشكّوال ، وأبي القاسم المشراط .
وإلى إشبيلية ، فأخذ بها عن أبي بكر بن الجد ، وأبي عبد الله بن رزق ،
وابن خير ، وابن صاف . وأخذ بسبته عن ابن عُبَيْد الله . وبالجزيرة
الخصراء عن القاضي أبي جعفر بن عَزْرَة . هؤلاء جملة من أخذ عنهم
باللقاء والمشافهة . وأجازته جماعة من أهل المشرق كبيرة ، ذكرهم في
برنامجه ، كالحُشوعى ، والأرحى ، والحرشاني ، وحدث عن السلفى الحافظ
بإجازته العامة .

توالياه

شرح جُمَل أبي القاسم الزُّجاجى ، وردُّ على ابن خروف ، منتصراً

بشيخه أبي زيد السهيلي في مسألة نحوية ، رد فيها ابن خروف عن السهيلي
 وقيد فيما جرى بينه وبين الأستاذ أبي محمد القرطبي ، جزءاً سماه « بالحقبي »^(١)
 في أغاليط القرطبي ، لم يخل فيه عن حمل وتعسف . وألف برنامجاً جامعاً .
 روى عنه أبو عبد الله بن عسكر القاضي ، والشيخ أبو عبد الله بن عبيد
 الأومى ، وأبو عبد الله الطنجالي ، والخطيب ابن أبي ريحانة .
 مولده : سنة سبع وأربعين وخمسمائة .

وفاته : توفى سحر يوم الجمعة الموفى عشرين لشهر ربيع الثاني سنة
 عشر وستماية .

عثمن بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموى

المقرى ، الحافظ المعروف بابن الصيرفى ، قرطبي الأصل ، يكنى
 أبا عمرو ، ويشتهر بالذاني ، لاستيظانه دانية . ودخل البيرة ، وقرأ على
 أبي عبد الله بن أبي زَمَين ، فوجب ذكره لذلك .

حاله

كان أحد الأئمة الأعلام في علم القرآن ، وآياته ، وتفسيره ، ومعانيه
 وإعرابه ، وجمع في ذلك كله التواليف العجيبة التي يكثر تعدادها ،
 ويطول^(٢) إيرادها ، وله معرفة بالحديث وطرقه ، وأسماء رجاله ونقلته .
 وكان حسن الخط ، جيد الضبط ، آية في الحفظ والعلم ، والذكاء والفهم
 ديناً عارفاً ، ورعاً سنياً . قال المغلي^(٣) ، وكان أبو عمرو مُجاب الدعوة .
 وذكره الحميدى فقال محدث مكثراً ، مقرئ متقدم .

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الجبى) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يكثر) .

(٣) هكذا في المخطوطين .

مشيخته

روى عن أبي المطرف عبد الرحمن بن عثمان القشيري بقرطبة ، وعن
أبي بكر حاتم بن عبد الله البزاز ، وأبي عبد الله محمد بن خليفة ، وأحمد
ابن فتح بن الرهان ، وأبي بكر بن خليل ، ويونس بن عبد الله القاضي .
وخلف بن يحيى ، وغيرهم . وبالبيرة عن محمد بن أبي زمنين كثيرا
من رواياته وتواليفه . وسمع بإستجة ، وبجانة وسرقسطة من بلاد الثغر .
ورحل إلى المشرق ، فلقى أبا الحسن بن أحمد بن مراس العنقى . وسمع
بمصر من أبي محمد بن النحاس ، وأبي القاسم بن ميسر ، وخلف بن إبراهيم
ابن خاقان ، وفارس بن أحمد ، وطاهر بن عبد المنعم ، وبالقيروان من
أبي الحسن القانسي . وقدم الأندلس فاستوطن دانية .

شعره

قال أبو القاسم بن بشكوال . ومما ينجح من شعره قوله :
قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما يجرُّ على كل من يُعزى إلى الأدب
لا شيء أبلغ من ذل تجرُّعه أهل الخساسة أهل الدين والحسب
القايمين بما جاء الرسول به والمُبغضين لأهل الزيغ والريب
مولده : قال أبو عمرو ، سمعت والدي يقول إنى ولدت سنة إحدى
وسبعين وثلاثماية ، وابتدأت طلب العلم بعد خمس وثمانين .
وفاته : من خط أبي الحسن المقرئ ، يوم الاثنين منتصف شوال
سنة أربع وأربعين [وأربعمائة]^(١) بدانية ، ودفن عصر اليوم المذكور
ببقيعتها . ومشى السلطان^(٢) راجلا أمام نعشه .

(١) أضفنا هذه الكلمة استكمالا للسياق .

(٢) السلطان المشار إليه هنا هو على إقبال الدولة ابن مجاهد العامري . وقد حكم مملكة دانية
والجزائر أيام الطوائف من سنة ٤٣٦ هـ إلى سنة ٤٦٨ هـ (١٠٤٤ - ١٠٧٦ م) .

علی بن أحمد بن سعید بن حزم بن غالب [بن صالح بن خلف
بن معدان بن سفیان بن یزید]^(۱)

الإمام أبو محمد بن حزم .

أولیته

أصله من الفُرس ، وجدُّه الأَقصى فی الإسلام [اسمه]^(۲) یزید ، مولی لیزید بن أبی سفیان . قال أبو مروان ابن حیان ، وقد كان من عجایبه ، انتمأؤه فی فارس ، وأتباع أهل بيته له فی ذلك بعد حقبة من الدهر ، تولى فیها الوزير ، المفضَّل فی زمانه . الراجح فی میزانه ، أحمد بن سعید ابن حزم ، لبني أمية أولياء نعمته ، لا عن صحة ولاية لهم علیه ، فقد عهدہ الناس مؤلِّد الأرومة من عجم لبَّلة ، جدُّه الأَدنى ، حدیث عهد بالإسلام ، لم يتقدَّم لسلفه نباهة . فأبوه أحمد ، علی الحقيقة ، هو الذى بنى بيت نفسه فی آخر الدهر ، برأس رأیته ، وعمره بالخلال الفاضلة ، من الرِّجاجة والدِّهَاء والمعرفة والرجولة والرأى ، فأسدى جرثومة شرف لمن نماهم ، أغنتهم^(۳) عن الرسوخ فی أولى السابقة ، فما من شرف إلا مسبوق عن خارجته ، ولم يكن إلا كلاً ولا ، حتى تخطى علی هذا أولیته^(۴) لبَّلة . فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس . فالله أعلم كيف ترقاها ، إذ لم يكن يُؤنى من خطل ولا جهالة ، بل وَضَلَهُ بها وَسِعَ علم ،

(۱) تكلمة النسب بین الحاصرتین ، منقولة عن ترجمة ابن حزم الواردة بالوفیات لابن خلكان .

(۲) الزیادة عن الحمیدی (جذوة المقتبس) . وهو الذى اقتبست منه هذه الجملة .

(۳) هكذا وردت فی الإسكوريال . وفى الزيتونة (غنت) .

(۴) هكذا وردت فی الزيتونة . ووردت معرفة فی الإسكوريال (رابته) .

ووشجة رَجِمَ معقومة ، فلها يستأخر الصلوة ، فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وُصف ، وحسابه وحسابهم على الله ، الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة . عزت قدرته .

حاله

قال الحميدى ، كان حافظاً ، عالماً بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً [للأحكام]^(١) من الكتاب والسنة ، متفنناً في علوم جمّة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا ، بعد الرياسة التي كانت له ، ولأبيه من قبله ، في الإدارة^(٢) وتدبير الممالك ، متواضعاً ، ذا فضائل جمّة ، قال ، وما رأينا مثله ، فيما اجتمع له . مع الذكاء وسرعة الحفظ ، وكرم النفس والتدين . قال أبو مروان ابن حيان ، كان أبو محمد حامل فنون ، من حديث وفقه ونسب ، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة . وله في ذلك عدة تواليف .

وقد مال أولاً به النظر في الفقه إلى رأى أبي عبد الله الشافعى ، وناضل عن مذاهبه ، وانحرف عن مذهب غيره ، حتى وُسم به ، واستهدف بذلك إلى كثير من الفقهاء ، وعيب بالشذوذ . ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر ، مذهب داود بن علي ، ومن تبعه من فقهاء الأمصار ، فنقحه ونهجه ، وجادل عنه ، ووضع الكتب في بسطه ، وثبت عليه إلى أن مضى بسبيله . وكان يحمل علمه ، ويجادل عنه لمن خالفه فيه ، على استرسال في طباعه ، واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده ، ليبينه للناس ، ولا يكتُمونه ، فآل أمره إلى ما عُرف .

(١) الزيادة عن الحميدى ، وهو الذي اقتبست منه هذه الفقرة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي جنوة المقتبس (الوزارة) .

مشيخته

قال ، سمع سماعا جما ، وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور قبل الأربع مائة .

تواليافه

قال ، بلغت تواليافه أربع مائة مجلد . وقال ، حمل بعير . فمنها في علم الحديث كتاب كبير سماه « الإيصال إلى فهم الخصال » ، الجامعة لجمل^(١) شرائع الإسلام ، في الواجب والحلال والحرام ، وسائر الأحكام ، على ما أوجبته القرآن والسنة والإجماع . . أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وبيان ذلك كله ، وتحقيق القول فيه . وله كتاب « الإحكام لأصول الأحكام » في غاية التقصي وإيراد الحجاج . وكتاب « الفِصل في الملل والأهواء والنحل » . وكتاب « الإجماع ومسائله » على أبواب الفقه . وكتاب « المُجلى والمُحلى » ، وكتاب « في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض » . وكتاب « إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل » . وهذا مما سبق إليه ، وكتاب « التقريب^(٢) لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية . والأمثلة الفقهية . فإنه سلك في بيانه ، وإزالة سوء الظن عنه ، وتكذيب المنحرفين به ، طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمنا .

شعره

قال ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع ، وباع طويل . وما رأيت

(١) وردت في الإسكوريان والزيتونة (إلى) . والتصويب من جذوة المقتبس والوفيات .
(٢) وردت في الإسكوريال والزيتونة (التعريف) . والتصويب من جذوة المقتبس والوفيات .

من يقول الشعر على البديهة أسرع منه . وشعره كثير ، وقد جمع على حروف المعجم . ومنه قوله :

هل الدهر إلا ما عَرَفْنَا وأدركنا
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة
إلى تبعات في الحساب^(۱) وموقف
حصَلْنَا على همٍّ وإثمٍ وحسرة
حنين لما ولى وشغل لما أتى
كان الذي كنا نسرُّ بكونه
فجائعه تبقَى ولذاته تَفنى
تولت كمر الطرف واستخلفت حزننا
نودُّ لديه أننا لم نكن كنا
وفات الذي كنا نلذُّ به عنا
وغمُّ لما يُرجى فعيشك لا يهنا
إذا حققتَه النفس لفظً بلا معنى

ومن ذلك قوله من قصيدة في الفخر :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ
ولى نحو أكناف العراق صبابة
فإن يُنزل الرحمن رَحلى بينهم
فكم قائل أغفلته وهو حاضر
هنالك يدري أن للبعد قصة
ولكن عيبي أن مَطَلعى الغرب
لجدُّ على ماضع من ذكرى النهب
ولا غرو أن يستوحش الكليف الصب
فحينئذ يبدو التأسف والكرب
وأطلب ما عنه تجيء به الكتب
وأنه كساد العلم آفته القرب

ومنها في الاعتذار عن المدح لنفسه :

ولكن لى نى يوسف خير أسوة
يقول وقال الحق والصدق أنى
وليس على [من سار سيرته]^(۲) ذنب
حفيظ عليم ما على صادق عتب

ومن شعره قوله فيما كان يعتقد من المذهب الظاهرى :

وذى عدل فيمن سباني حسنه
يُطيل ملامى فى الهوى ويقول

(۱) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى الجذوة (المعاد) .

(۲) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . ووردت مكانها فى الجذوة ما يأتى (من

بالذى اتنى) .

أفنى حسن وجهه لاح لم تر غيره
فقلت له أرفقت في اللوم ظالما
ألم تر أنى ظاهري وأنسى
ومن ذلك قوله :

أين وجهه قول الحق في نفس سامع
سيؤنسه رفقا فينسى نفااره
ودعه فنور الحق يسرى ويشرق
كما نسي القيد الوثق مطلق
ومن ذلك قوله :

لئن أصبحت مرتحلا بشخصي
ولكن للعيان لطيف معنى
وفي المعنى :

يقول أخى شجاك رحيل جسم
فقلت له المعاین مطمئن
وروحك ماله عنا رحيل
لذا طلب المعاينة الخليل

دخوله غرناطة

وصل في جملة الإمام المرتضى . ولما جرت عليه الهزيمة واستولى باديس
الأمير بغرناطة على محلته ، كان أبو محمد من عداد أسراه مع مثله ،
إلى أن أطلقه بعد لأى ، وخلّصه الله منه .

محنته

قال ابن حيان ، استهدف إلى فقهاء وقته ، فتألبوا على بغضه ، وردّ
قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ،
ونها أعيانهم عن الدنو إليه ، والأخذ عنه ، فطفيق الملوك يقصونه عن
قربهم ، ويُسَيِّرُونَهُ عَن بِلَادِهِمْ ، إلى أن انتهوا به ، منقطع أثره بتربة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ووردت مكابها في الجدوة والوفيات (سأل).

بلده من بادية لبَّلة ، وبها توفي غير راجع إلى ما أرادوا ، به يَبُث علمه
 فيمن يَنْتابه بباديته من عامة المُقتبسين منه من أصاغر الطلبة ، الذين
 لا يحسُّون فيه الملامة بحدائثهم ، ويفقههم ويدرسهم ، ولا يدع المشابرة
 على العلم ، والمواظبة على التأليف ، والإكثار من التصنيف ، حتى كَمُل
 من مصنفاته في فنون العلم وقربعير ، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية ،
 وفي ذلك يقول :

فإن تحرقوا القِرطاس لا تحرقوا الذي تضمَّنه القِرطاس بل هو في صدري
 يسير معي حيث استقلت ركابي وينزل إن أنزل ويُدفن في قبرى
 مولده : سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة .
 وفاته : توفي سنة ست وخمسين وأربعماية^(۱)

على بن إبراهيم بن على الأنصارى المالقى

يكنى أبا الحسن ، صاحبنا حفظه الله .

(۱) ليس لابن الخطيب شيء تقريباً في هذه الترجمة التي أوردتها للعلامة ابن حزم ، فهي منقولة
 بجملتها من الترجمة التي أوردتها له معاصره وصديقه أبو عبد الله الحميدى في كتابه (جذوة المقتبس)
 (القاهرة ص ۲۹۰ - ۲۹۳) مع بعض فقرات منقولة عن ابن حيان ، وقد أورد له ابن خلكان كذلك
 ترجمة حسنة في وفيات الأعيان (بولاق ج ۱ ص ۴۲۸ - ۴۳۱) .
 والرواية الراجعة هي أن ابن حزم عاش أيامه الأخيرة وتوفى في بلدة أسرته الأصلية « منت ليشم »
 وبالإسبانية « Casa Montijo » من أعمال مدينة لبلة بولاية الغرب الأندلسية ، وذلك في أواخر
 شعبان سنة ۴۵۶ هـ (۱۰۶۴ م) .

هذا ، وقد نظم في شهر ما يوسنة ۱۹۶۳ (من ۱۲ - ۱۸ منه) بمدينة قرطبة مهرجان رسمي
 فخم للاحتفال بذكرى مرور تسعمائة عام على وفاة ابن حزم « القرطبي » . وأقامت له بلدية قرطبة
 تمثالاً (متخيلاً) بالحجم الطبيعي أمام باب إشبيلية على مقربة من الجامع . وأقيمت له كذلك لوحة
 تذكارية باللغة الإسبانية أمام مدخل كنيسة سان لورنتسو التي أقيمت مكان المسجد الذي كان يتوسط
 حى بلاط مغيث ، وهو الحى الذي عاش فيه ابن حزم في صباه . ونظمت بهذه المناسبة عدة ندوات
 دراسية ، وطائفة من الحفلات الاجتماعية والفنية الفخمة . وقد كان محقق هذا الكتاب من شهود هذا
 المهرجان التاريخي العظيم .

حاله

آية الله في الحفظ ، وثقوب الذهن ، والتجابه في الفنون ، وفصاحة الإلقاء ، خريج طبعه ، وتلميذ نفسه ، ومُبَرِّز اجتهاده . إمام في العربية ، لا يُشَقُّ فيها غُبَارُهُ ، حِفْظاً وبحثاً ، وتوجيهاً واطلاعاً ، وعشوراً على سقَطات الأعلام ، ذاكر للغات والآداب ، قايم على التفسير ، مقصود للفتيا ، عاقد للوثيقة ، مشارك في الفنون ، ينظّم وينشر ، فلا يَعدو الإِجادة والسُّداد ، سليم الصدر ، أبا النفس ، كثير المشاركة ، مُجدي الصُّحبة ، بعيد عن التُّسَمُّت . رحل عن بلدة مالقة ، بعد التبريز في العدالة والشهرة بالطلب ، واستقر بالمغرب ، فاقراً بمدينة أنفاً^(١) ، مُنَوَّهاً به ، ثم بسلاً ، واستوطن بها ، رئيس المدرسة بها ، مُجَمَّهاً بكرسيها ، فارعاً بمنبرها ، بالواردة السلطانية ، يفسر كتاب الله بين العشاءين ، شرحاً كثير العيون ، محذوف الفضول ، بالغاً أقصى مبالغ الفصاحة ، مُسمعا على المحال النَّابية ، ويدرس من الغَدوات بالمدرسة ، دولا في العربية والفقهِ ، أخذهُ بزمام النبل ، مترامية إلى أقصى حدود الاضطلاع . وحضر المناظرة ، بين يدي السلطان ، فاستأثر بشِقْص من رَغِيهِ ، وأعجب بقوة جأشه ، وأصالة حِفْظة ، فأنمى جراياته ، ونودَّ به .

مشيخته

قرأ ببلده على الأستاذين ، علَمى القطر ، القاضي العالم أبي عبد الله ابن تَبر ، والقاضي النظار أبي عمرو بن منظور . وتلا القرآن على المقرئ أبي محمد بن أيوب . وذاكر بقرناطة إمام العربية أبا عبد الله بن الفخار ، وربيس الكتاب ، شيخنا أبا الحسن بن الجِيَّاب . وبالمغرب كثيراً من

(١) هي البلدة المغربية الصغيرة ، التي قامت مكانها فيما بعد مدينة الدار البيضاء العظيمة .

أعلامه ، كالرئيس أبي محمد الحضري ، والقاضي أبي عبد الله المقرئ وغيرهم . وهو الآن بحاله الموصوفة قاضياً بشارقي مالقة ، واستاذاً بها متكلماً ، مُعْجَزٌ من مفاخر قُطره .

شعره

كما يؤثر من شعره منقولاً من خطِّ صاحبنا أبي الحسن بن الحسن :

رحمك رحماك في قلب يُقلِّبه	شوقٌ يكاد يلفح الوجد يذهب
هام الفؤاد بمعنى للجمال بندا	عليك في السرِّ للارواح أعجبه
ولاح منك لدى الإشراف جوهرة	ألاحت الحسن عما كان يحجبه
فلو هم الصَّحْبُ أن الروح تبيها	ماضى الجفون برود الثغر أشبه
يظل معتقلاً من خوط قامت	بأسمر غالى منه مؤربسه
وذى يرند يدب الموت في شطب	منه ويوحش في جنح تلهسه
يخاله ذو الصدا ماء فيبصره	يبرد في الحال أن لو كان يشربه
بالهند واثى والذي نددتوشجه	وبالصباية والأرواح ملعبه
كساه سرُّ الجمال المحض حُلته	إذ جاده من نكوب الجود صيبه
وقام يرذل فيها وهى ضافية	فأقبلت نحوه الأرواح تطلبه
هيئات من دونه باب بظاهره	يجرُّ الفنا وجند الروح يرهبه
فمرنا والموت فيه عين عيشته	فأوج مرقي حياة الروح مرقبه
نبتت لوأيحه من بحر جوهره	برقاً يغير على الغيران خلبيه
وتستعير له روحا مظاهره	سرُّ الجمال بها يبدو تحجبه
بدرٌ وفي أفق الأرواح مطله	مهما أفاقت وإلا فهى مغربه
بخاطره منه سر لا يفارقه	وإن غدا بغرام الشوق يُلهبه
لى هواه والبعد ينهاني ويصدقني	في نصحه وصريح الوجد يكذبه

إِلَّا الَّذِي قَدْ غَدَا يُرْضِيهِ مُغْضِبُهُ
 مِنَ الْأُنْسِ أَحْلَاهُ وَأَعْدَبَهُ
 إِلَّا الَّذِي قَدْ تَجَلَّى عَنْهُ غَيْبُهُ
 وَغَرُّ مُسْتَبْشِرِ الْأَضْوَاءِ كَوْكَبُهُ
 طِرْسٌ يَغَالِبُهُ طَوْرًا فَيَغْلِبُهُ
 فَعَلَا يَرُدُّهَا فِي الْحَكِيمِ مَذْهَبُهُ
 فِيهِ النَّفَاسَةُ وَالْأَنْفَاسُ تَعْرِفُهُ
 أَخْرَجَ بَيَانَ مَعَ السَّاعَاتِ يُسْهِبُهُ
 إِلَى سَبِيلٍ مِنَ الزُّلْفَى تُقَرِّبُهُ
 عَنْ رَقَّةٍ بِشُهُودِ الْفَرْقِ تُسَلِّبُهُ
 لَدَى الْوُجُودِ الَّذِي قَدْ عَزَّ مُطْلَبُهُ
 إِلَى السِّقَامِ الَّذِي عِنْدَ بُغْيَتِهِ
 عَنَا يَدٌ نَحْوَ بَابِ الْعِزِّ تَجْذِبُهُ

كُلُّ الْوَرَى حِلْفِ الصَّبَابَةِ فِيهِ
 وَالشُّهْدُ مَمْرُوجٌ بِرَيْقِهِ فِيهِ
 حَتَّى يَكَادُ سِقَامُهُ يُخْفِيهِ
 لَصْدُ لَكَانٍ مِنَ الصِّدَا يَشْفِيهِ
 بِالْيَتَدِ بُوَصَالِهِ رَافِيهِ

لَمَنْ لَمْ يُنْبِئِكَ حَبِكَ لِلْمَمَسَاتِ
 إِلَيْكَ رَهْمِينَ شَوْقٍ وَأَنْبِتَاتِ

سُرُّ الْخِرَامِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَعْلَمُهُ
 وَلِلصَّبَابَةِ أَقْوَامٌ وَمُؤَرِّدُهُمْ بِهَا
 وَلَيْسَ يَعْرِفُ هَذَا حَقًّا مَعْرِفَةً
 وَأَبْصَرَ الْحُسْنَ قَدْ لَاحَتْ لَوَائِحُهُ
 بَدَاتِ أَحْيَفٌ مِنْ سُرِّ الْحَيَاةِ
 وَفِي لُجَيْنِ الْجَمَالِ الْمَحْضِ قَدْ فَعَلَتْ
 أَرْوَمٌ إِعْجَامَهُ هَوْنًا وَتُطْمِعُنِي
 فَمَنْ لِيثْلِي بِكُتْمَانٍ وَمَنْ نَفْسِي
 لُبَانَةُ السَّرِّ أَنْ تَحْظَى بِرَقْبَةِ
 تَسْمُو عَلَى مِنْكَبِ الْجُوزَاءِ ذُرُوتِهَا
 وَفِي مَصَافَاتِ سِرِّ الْقَبْضِ يَبْسُطُهُ
 فَيَرْتَقِي فِي مَرَاقِي الْجَمْعِ مَخْتَطِفًا
 فَذَاكَ أَعْظَمُ مَا يَرْجُوهُ أَنْ سَبَقَتْ
 وَمِنْ مَنْظُومِهِ فِي النَّسِيبِ قَوْلُهُ :

لِمُحَمَّدِ الْبَرْقَاءِ حَسَنٌ بَاهِرٌ
 السَّحَرُ مَفْتُونٌ بِغَنَجٍ لِحَاظِهِ
 فَسَحَرَهُ أَضْنَى الْمُتِيمِ فِي الْهَوَى
 وَلَوْ أَنَّهُ بِالشُّهْدِ جَادَ وَرَشَفَهُ
 بِصُدُودِهِ قَلْبِي يُقَطِّعُ فِي الْهَوَى
 وَصَدْرُ كِتَابِي بِقَوْلِهِ يَخَاطِبُنِي :

أَنْسِيَانَا فِدَيْتِكَ يَا حَيَاتِي
 وَرَجْمًا بِالظَّنُونِ أَخَا حَنْينِ

يميناً بالنهار إذا تجلّى وبالقمر المنير وبالآيات
 لقد أحللتُ حبك من فؤادي محلّ الروح من بثّ الجهات
 وشعره بديع ، وإدراكه عجيب ، وعارضته قوية .

علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي

بكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الضايح : من أهل إشبيلية .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير ، بلغ الغاية في الفن النحوي ،
 وفاق أصحاب الأستاذ أبي علي [الشلوبين]^(١) بأسرهم ، وله في مشكلات
 الكتاب العجايب^(٢) . وقرأ ببليده أيضا علم الكلام ، وأصول الفقه ،
 وكان متقدما في هذه العلوم الثلاثة ، متصرفا فيها . وأما فن العربية ،
 وعلم الكلام ، فلم يكن في وقته من يقاربه في هذين العلمين . وأما فهمه
 وتصرفه في كتاب سيبويه ، فما أراه يسبقه في ذلك أحد . وله إملاء على
 طائفة كبيرة من إيضاح الفارسي . وكان له اعتناء كبير بكلام الفارسي
 على الجملة ، وبحسب ذلك استقصى اعتراضات أبي الحسين بن الطراوة
 على أبي علي بالرد ، واستوفى ما وقع له في ذلك ، حتى لم يبق بيده شيء
 على طريقة من الإنصاف ، ودليل الهدى . لم يسبق إليها . وكذا فعل في رد
 أبي محمد بن السيد ، على أبي القاسم الزجاجي . وكذا فعل في اعتراضات أبي
 الحسين بن الطراوة على كتاب سيبويه . وكان بالجملة إماما في هذا كله
 لا يُجاري . وأما اختيارات أبي الحسن بن عصفور في مغربه وغير ذلك من

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (عجائب) .

تعاليقه ، وما قيّد في ذلك ، فرُدّ عليه معظمها أو أكثرها . ولم يُلق بالأندلس
والعُدوة ، ولا سمعنا بأنبه منه ، ممن وقفنا على كلامه أو شاهدناه ، ولا رأيت
مختلفاً عليه من أهل بلده من أتراه ، ومن فوقهم . وكان إذا أخذ في فن أتى
بعجائب . قال الأستاذ ، لازمته ، وأخذت عليه كتاب سيبويه في عدة
سنين ، وأكثر كتاب الإيضاح ، وجمل الزجّاجي . إلى غير ذلك ، وجميع
التلقيحات للسهر وردى . وطائفة كبيرة من إرشاد أبي المعالي ، ومن كتاب
الأربعين لابن الخطيب ، وغير ذلك .

مشيخته

أجاز له من أهل بلده الراوية المُسن ، أبو الحسن بن السراج ، والقاضي
أبو الخطاب بن خليل . ومن غيرهم ، القاضي أبو بكر بن محرز ، والمُقري
المُعمر أبو بكر الشّماتي المعروف بالمشريثي ، وأبو عبد الله الأزدي ،
وأبو عبد الله بن جوبر وآخرين . وقرأ ببِلده . ولزم الأستاذ أبا علي
الشّلوبين ، حتى كدل عليه إيضاح الفارسي ، وكتاب سيبويه . وسمع
جمل الزجّاجي وغير ذلك من كتب العربية ، ممن كان يقرأ في المجلس ،
وقرأ عليه طائفة كبيرة من تذكّرة الفارسي ، مما يتعلق بمسائل الكتاب ،
بعد أن جرّدها من التذكّرة . وبلغ الغاية في الفن النحوي ، وفاق أصحاب
أبي علي بأسرهم .

وفاته

توفي رحمه الله ، في شهر ربيع الآخر من سنة ثمانين وستاية ، وقد
قارب التسعين . [قلت العجب من الشيخ الخطيب رحمه الله ، كيف
لا يذكر للمترجم به رحمه الله ، شرحه لجمل الزجّاجي ، بل شرحه
الصغير والكبير . ولم يكن اليوم على الزجّاجي أجدي منها ، ولا أنفع ،

ولا أقلّ فضولا ، ولا أفصحَ عبارة ، ولا أوجزَ خطابة ، ولا أجملَ إنصافا ،
ولا أجوّدَ نظرا (١)

الكتاب والشعراء

وأولا الأصليون منهم

علي بن محمد بن عبدالحق بن الصباغ العقيلي

يكنى أبا الحسن من أهل غرناطة .

حاله

صاحبنا أبو الحسن ، من أهل الفضل والسراوة والرجولة والجزالة .
فدّ في الكفاية ، ظاهر السداجة والسلامة ، مُضْعَب لأضداده ، شديد
العصبية لأولى وُدّه ، في أخلاقه حدّة ، وفي لسانه نبلي أخلاّيه ، مشتملٌ على
خلال من خطِّ بارع ، وكتابة حسنة ، وشعر جيد ، ومُشاركة في فقه وأدب
ووثيقة ، ومحاضرة ممتعة . ناب عن بعض القضاة ، وكتب الشروط ،
وارتسم في ديوان الجند ، وكتب عن شيخ الغزاة أبي زكريا بن عمر على
عهده . ثم انصرف إلى العُدوة سابع عشر جمادى الأولى من عام ثلاث
وخمسين وسبعماية ، فارتسم في الكتابة السلطانية مُنوها به ، مستعملا في
خِدم مُجدية ، بان غناؤه فيها ، وظهرت كفايته .

وجرى ذكره في كتاب التاج بما نصه : اللّسن العارف ، والنّاقد
لجواهر المعاني ، كما يفعل بالسّكة الصّيارف ، الأديب المُجيد ، الذي
تملّى به العصر والنّحر والجيد ، إن أجال جياذ براعته ، فضح فرسان
المهّارق ، وأنجل بين بياض طرسه ، وسواد نفسه الطور تحت المفارق .
وإن جلى أبكار أفكاره وأثار طير البيّازين أو كاره ، سلب الرّحيق المُفدّم

(١) من الواضح أن الفقرة المحصورة بين الحاصرتين ، هي من كلام الناسخ أو المختصر .

فضل أبكاره ، إلى نفس لا يفارقها ظرف ، وهمّة لا يرتد إليها طرف ،
 وإبابة لا يفلّ لها غُرب ولا حرف . وله أدب غُضُّ ، زهره عن مجتنبه
 مُرفُض . كسبت إليه انتبجز وعده في الالتحاف برايقه ، والامتاع بزهر
 دواتفه ، وهو قولى :

عندى بلوعدك افتقارٌ مُجوج وعهودك افتقرت إلى إنجازها
 والله يعلم فيك صدق مودتى وحقيقة الأشياء غير مجازها
 فاجابنى بقوله :

يا مهدى الدرّ الثمين منظمًا كلما حلال السحر فى إنجازها
 أدركت حَلَبات الأوايل وانياً ورددت أولها على أعجازها
 أحرزت فى المضمار خصل سباقها ولأنت أسبتمهم إلى إحرازها
 حَلَّيت بالسَّمطين منى عاطلا وبعثت من فكرى متات مفازها
 فلأنجزن مواعدى مستعظفا فاسمح وبالإغضاء منك مجازها
 ومن مقطوعاته قوله :

ليت شعرى والهوى أمل وأمانى الصب لا تقف
 هل لذلك الوصل مُرتجع أو لهذا البحر مُنصرف
 ومن ذلك :

وظي سبا بالطرف والعطف والجيد وما حاز من غنج ولين ومن غيد
 أتيتُ إليه بالدنو مُداعبا فقال أيدنو الظبي من غابة الأسد
 وقال من مبدأ قصيدة مطولة فيما يظهر منها :

حديث المغانى بمدهن شجون وأوجه أيام التباعد جون
 لحا الله أيام الفراق فكم شجت وغادرت الجدلان وهو حزين
 وحيًا ديارا فى رُبى إغرناطة وإننى بذاك القرب فيه ضنين

وعُمرى لدى البيض الحسان ثمين
وغرى على مال العفاف أمين
فعندى إلى تلك الربوع حنين
تضاعف عندي عبء وأنين
حدث نحو قرن بعد ذاك أمون
إلى عهد إخوان للزمان ركون
فقد أجنّ السلسال وهو معين
وللدمع في ترك الشئون شتون
لعانٍ بأيدي الحادثات رهين
فإن مكاني في الوفاء مكين
فخِبُّ وأما خيلُه فخشون
لما كان في عهد الزمان معين

ليالي أنفقتُ الشباب مُطاوعا
فأرخصتُ فيها من شباني ما غلا
مخيلٌ لا أمرٌ بأزبُعها قفا
ألم ترَياني كلما ذرُّ شارق
إذا لم يساعدنِي أخٌ منكما فلا
أليس عجيبا في البرية من لنا
فلما تشغن من ذرى وفاء بعهده
أذلى عذر في فراق ضلوعه
ومن ترك الحزم المعين فإنه
رعى الله أيامي الوثيق ذمامها
ولم أر مثل الدهر أمّا عدوه
ولولا أبو عمرو وجود يمينه
ومن شعره قوله :

لكن لذات الخيال منام
درٌ ومورده الشهى مُندام
فأشيمُ مسكا فُض عنه ختام

زار الخيالُ وياها من لذة
ما زلت أَلثمُ مَبسبا منظومه
وأضم غصن البان من أعطافه

مولده : عام ستة وسبعماية .

وتوفى بمدينة فاس ، وقد تخلفه السلطان كاتب ولده ، عند وجهته
إلى إفريقية ، في شوال عام ثمانية وخمسين وسبعماية ، فتوفى في العشرين
لرمضان منه .

علي بن محمد [بن سليمان]^(١) بن علي بن سليمان بن حسن الأنصاري
من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الجيَّاب ، شيخنا
ورئيسنا العلامة البليغ .

حاله

من عايد الصُّلة : كان رحمه الله ، على ما كان عليه من التفنُّن ،
والإمامة في البلاغة ، والأخذ بأطراف الطلب ، والاستيلاء على غاية الأدب ،
صاحب مجاهدة ، وملازمة عبادة ، على طريقة مثلى من الانقباض والنزاهة ،
وإيثار التقشف ، محبا في أهل الخير والصلاح ، مُنحاشا إليهم ، مُنافرا
عن أصدقاءهم ، شيخ طلبة الأندلس ، رواية وتحقيقا ، ومشاركة في كثير
العلوم ، قائما على العربية واللغة ، إماما في الفرائض والحساب ، عارفا
بالقراءات والحديث ، متبحرا في الأدب والتاريخ ، مشاركاً في علم
التصوف ، فذا في المسائل الأدبية البيانية ، حامل راية المنظوم والمنثور ،
والإكثار من ذلك ، والاقترار عليه ، جلدا على الخدمة ، مغتبطا بالولاية ،
محافظة على الرتبة ، مراقبا لوظائف الأبواب السلطانية ، متوقد الذهن ،
ذليق الجوانب ، مشغوبا بالأنس والمفاوضة في الأدب ، محسنا للنادرة
الظريفة ، مليح الدُّعابة ، غزير الحفظ ، غيوراً على الخطَّة ، كثير
النشاط إلى المذاكرة ، مع استغراق الكلف ، وعلو السن . طال به المرض
حتى أذهب جواهر بدنه ، وعلى ذلك فما اختل تميزه ، ولا تغير إدراكه .
بعثت إليه باكور رمان ، فقال لي من الغد ، نَعِم بالهُدنة زمانك ، يعني
نَعِمَت الهدية رمانك . فعجب الناس من اجتماع نفسه ، وحضور فكره .
وهو شيخى الذى نشأت بين يديه وتأدبت به ، وورثت خُطته عن رضى

(١) هذا الاسم وارد في الزيتونة . وفي نفح الطيب . وساقط في الإسكوريال .

منه . كتب عن الدول النصرية نحواً من خمسين سنة أو ما ينيف عليها ، متين الجاه ، رفيع المكانة ، بعيد الصيت ، وسفر إلى الملوك ، واشتهر بالخير ، والحمل على أهل الظلم ، وجرى ذكره في التاج بما نصه :

صدر الصدور الجلّة ، وعلم أعلام هذه الملة ، وشيخ الكتابة وبنيتها^(١) وهاصر أفنان البدايع رجانيها ، اعتمده الرياسة ، فنأى^(٢) بها على حبل ذراعه ، واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على قطب من شباة يراعه . فتفياً للعناية ظلاظليلا ، وتعاقت الدول ، فلم تر به بديلا ، من ندب على علوه متواضع ، وحبر^(٣) لثدى المعارف راضع ، لا تمر مذاكرة في فن إلا وله فيه التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على محاكاة الأفهام ، إلا وكلامه الإبريز ، حتى أصبح الدهر [راويا لإحسانه]^(٤) وناظماً بلسانه ، وغرب ذكره وشرق ، فأشام وأعرق وتجاوز البحر الأخضر والمخيلج الأزرق ، إلى نفس هذبت الآداب شمايلها ، وجادت الرياض خمائلها ، ومراقبة لربه ، واستباق لروح الله من مهبة . ودين لا يُعجم عوده . ولا تخلف وعوده . [وكل ما ظهر علينا بنيه من شارة تجلى بها العين ، أو إشاره كما سبك اللجين ، فهي إليه منسوبة ، وفي حسناته محسوبة ، فإنما هي أنفس راضها بآدابه ، وأعلقها بأهدابه ، وهذب طباعها ، كالشمس تلقى على النجوم شعاعها ، والصور الجميلة تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها]^(٥) وما عسى أن أقول في إمام الأئمة ، ونور الدياجي المدلّهمة ، والمثل السائر في بعد الصيت ، وعلو الهمة .

هـ شيخته

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (وبانيها) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (فناء) .
 (٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . ووردت في الزيتونة (وجدى) .
 (٤) وردت في الإسكوريال (راوى إحسانه) . والتصويب من النفع . وهو أنسب السياق .
 (٥) هذه الفقرة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

نقلت من خطه ، في بعض ما كتب به إلى من الأشياخ الذين لقيتهم وأجازوني عامة . الشيخ الفقيه الخطيب الصالح الصوفي المحقق صاحب الكرامات والمقامات ، نسيح وحده ، أبو الحسن فضل بن محمد بن علي ابن فضيلة المعافري . قرأت عليه كذا . ومنهم الشيخ الفقيه الأستاذ العالم العلم الكبير ، خاتمة المسنين بالمغرب ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي ، نشأت بين يديه ، وقرأت عليه كثيراً وسمعت ، وأجازني . ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد الخشني البلوطي . قرأت عليه القرآن العزيز بالقرءات السبع وغير ذلك . ومنهم الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عياش الخزرجي القرطبي ، لقيته بمالقة . ومنهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن علي الغساني السعدي الخطيب الصالح ، قرأت عليه وسمعت . ومنهم الشيخ العدل أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مستقور الطائي . ومنهم قاضي الجماعة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد العنسي . ومنهم الشيخ الفقيه الخطيب المحدث الإمام أبو عبد الله محمد ابن عمر بن رشيد . ومنهم الشيخ الخطيب أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري الكحيل . ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد ابن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي . ومنهم الشيخ الوزير الحسين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ، والشيخ الخطيب الأستاذ النظار أبو القاسم بن الشاط ، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن مالك بن المرحل والشيخ المبارك أبو محمد عبد المولى بن عبد المولى الخولاني . هؤلاء كلهم لقيتهم ، وأجازوني إجازة عامة ، وأما من أجازني ولم ألقه ، فعالم كثير من أهل المغرب والشرق ، منهم أبو العباس بن الغمّاز قاضي الجماعة بتونس . وأبو عبد الله بن صالح الكناني خطيب بجاية ، والشريف

أبو علي الحسن بن طاهر بن أبي الشرف بن رفيع الحسني ، وأبو فارس
عبد العزيز الهواري ، وأبو محمد بن هرون القرطبي ، وأبو علي ناصر الدين
المشدالي ، وغيرهم .

شعره

وشعره كثير مدون ، جمعته ودونته ، يشتمل على الأغراض المتعددة
من المعشرات النبويات ، والقصائد السلطانيات ، والإخوانيات ،
والمقطوعات الأدبيات ، والألغاز والأحجيات .

فمن ذلك من المعشرات في حرف الجيم على وجه التبرك :

جربثاً على الزلات غير مفكر	جباناً على الطاعات غير مُعرج
جمعتُ لما يفنى اغترارا بجمعه	وضيعتُ ما يبقى سجية أهوج
جنوناً بدار لا يدوم سرورها	فدعها سدى ليست بعشك فادرج
جياذك في شأو الضلال سوابقُ	تفوت مدى بين الوجيه وأعوج
جهلتُ سبيل الرشد فاقصد دليله	تجد دار سعد بابها غير مُرتج
جنابُ رسول ساد أولاد آدم	وقربُ في السبع الطباق بمعرج
جمالُ أنار الأرض شرقاً ومغرباً	فكلُّ سنى من نوره المتبلج
جلا صدأ المرتاب أن سبح الحصا	لديه ينطق ليس بالمتلجلج
جعلتُ امتداحي والصلاة عليه لي	وسايل تُحظيني بما أنا أرتج

ومن الأغراض الصوفية السلطانية قوله :

هات اسقني صِرْفاً بغير مزاج	واخي التي هي راحتي وعلاجي
إن صُبَّ منها في الزجاج قطرة	شفَّ الزجاج عن السنى الوهاج
فإذا ^(١) الخليع أصاب منها شربة	حاجاه بالسر المصون مُحاج

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي نفع الطيب (وإذا) .

ناجاه بالحق المبين مُنَاج
 فيه لتأديب ولا إدلاج
 غنته بالأرمال والأهزاج
 في فتح^(٢) باب دائم الأرتاج
 سارت به قصدا على المنهاج
 فليبصرن^(٣) لمصرع الحلاج
 فغدا يفيض بمنطقٍ ليجلاج
 فتراه يهبط^(٤) في الظلام الداج
 فرمّت به في بحرها^(٥) المواج
 فليخلصن من بعد طول هياج
 ما شيب عذبُ شرابها بأجاج
 فليرجعن نكساً على الأدرج
 قد أودعت في نطفة أمشاج
 تعرج بها في أرفع المغراج
 فإن اعتصمت به فأنت الناج
 وإلى الغنى امدد يد المحتاج
 دقتان انتجا أصح نتاج
 واقنع من الإسهاب بالإدماج
 من بسط أقوال وطول حجاج

وإذا المرید أصاب منها جرعة
 تاهت به في مهمه لا يهتدى
 يرتاح من طرب بها فكأنها^(١)
 هبت عليه نفحة قدسية
 فإذا انتشى يوما وفيه بقية
 وإذا تمكن منه سكر معربد
 قصرت عبارة فيه عن وجدانه
 أعشاه نور للحقيقة باهر
 رام الصعود بها لمركز أصله
 فلئن أمد برحمة وسعادة
 وليرجعن بغنيمة موفورة
 ولئن تحظاه القبول لما جنى
 ما أنت إلا ذرة مكنونة
 فاجهد على تخليصها من طبعها
 واشدد يدك معا على جبل التقي
 ولدى العزيز ابسط بساط تذلل
 هذا الطريق له مقدمتان صا
 فاجمع إلى ترك الهوى حمل الأذى
 حرفان قد جمعا الذي قد سطروا

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فكأنما) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (قء) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فليصبرن) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يخبط) .
 (٥) وردت في الإسكوريال (نحرها) . والتصويب من النسخ .

فقد اهتدى منه بنور سراج
والكل مضطر إليها لاج
بإشارة المولى أبي الحجاج
وبحلّمه وبجوده الشّجاج
أمن المروع همّ وغيث اللّاج^(١)
والخلق بين تخاذل ولجاج
في وصف بحر زاخر الأمواج
ولن يعادى الدين هول فاج
يأتيك أفواجا على أفواج

والمشرب الأصفى الذي من ذاقه
الأ ترى إلا الحقيقة وحدها
هذي بدائع حكمة أنشأتها
وسيع الأنام بفضله وبعده
من آل نصر نخبه الملك الرضا
من آل قبله ناصري خير الوري
ماذا أقول وكل قول قاصر
منه لباغى العرف در فاخر
دامت سعودك في مزيد والمنى

ومن الأمداح المطولة :

تفلى الفلاة غوادياً وروايحاً
يرمين في الآفاق مرمى نازحاً
بما حملته من سقيا البطاح دوالحاً
أبدت محباً الحق أبلح واضحاً
لبوه شوقاً والحمام هوادحاً
يذكي بنار الشوق منك جوانحاً
أذروا على الأكوار دمعاً سابحاً
ركبوا من العزم المصمم جامحاً
فتركن أعلام المطى روازحاً
أنضاء أسفار قطن منادحاً
وسلكن نحو الأبطحى أباطحاً

لمن المطايا في السراب سوابحاً
عوج كأمثال اللقيى ضوامر
أو كالسحاب تسير مثقلة
ركب يُيمم غاية بل آيسة
لما دعا داعى الرشاد مردداً
فلهم عجيج بالبسيطة صاعد
وإذا حدا الحادى بذكر المصطفى
عيس تهادى بالمحبين الألى
طارت بهم أشواقهم سبابة
رفقاً بهن فهن خلق مثلكم
قد جين للهادى وهاداً جمّة

(١) مكذاف الإسكوريال . وقال النفع (الراجى) .

ألا صرفتَ إلى صرفا طامحا
 وحمدتَ سعيًا من سفارك ناجحا
 لما لمحتَ من الجمال ملامحا
 وامسح بيمنك الجدار مصافحا
 قطعتَ سباسبًا بلقعا وضحا
 وتاملوا النور المبين اللابحا
 بها تلك الرياح لوافحا
 بالبيت أوبا لركن منه ماسحا
 نالواها في الخلد حظا رابحا
 يتسابقون عزايما وجوارحا
 فاضت على الآفاق بحرا طافحا
 بختام مسك طاب عرفا نافحا
 والبأس والعقل الأصيل الراجحا
 أعلى الملوك خواتما وفواتحا
 صارت لمن باري علاه فضايحا
 ما زال للإجمال منها شارحا
 كافي العدو محاربا ومصافحا
 للعرف بالوجود المردد مانحا
 تلق السحاب على البلاد سوابحا
 تلق الأسود لدى العرين كوافحا
 تلق الكواكب في السماء لوابحا
 بعزائم الصدق الأمين الناصحا

ناشدتك الرحمن وافد مكة
 وأخا أتيت القبر قبر محمد
 وذهلت عن هذا الوجود مغيبا
 فاقرا سلاى عند قبر المصطفى
 قسما بوفد يزخرون رواحلا
 حتى أناخوا بالمحصب من منى
 وتعرضوا لعوارض عرفية هبت
 وآووا إلى الحرم الشريف فطافعا
 وسقوا به من ماء زمزم شربة
 ثم انثنوا قصدا إلى دار الهدى
 فتبوؤا المغنى الذى بركاته
 ختموا مناسكهم بزورة أحمد
 إن السماحة والشجاعة والندى
 وقف على شمس المعالى يوسف
 فهو الذى ملأ البلاد فضايلا
 إن أجملت سير الكرام فخلقه
 حامي الذمار مدافعا وموادعا
 للملك بالعزم المؤيد مانعا
 إن تلقه فى يوم جود هامر
 أو تلقه فى يوم بأس قاهر
 أو تلقه فى يوم فخر ظاهر
 من أسرة النصر الألى هم ناصحوا

هم أسسوا الملك المشيد بناؤه
 فاستفهم الأيام عن آثارهم
 كان إذا ضن الغمام سحابيا
 شادوا له مجدا صميما راسخا
 وسما فخر فوق أمن جهادهم
 الأعظمون مغانيا ومناقبا
 يا دولة نصرية قد جدت
 وأمامة سعديّة قد أطلعت
 فاضت جدا فكانما أيامها
 كفت عدا فكانما أوقاتها
 عدلا لأقطار الإيالة كالبا
 بشرى بيوسف ناصر الملك الذي
 جمع المواهب للمواهب مانحا
 ابن الإمام أبي الوليد وحسبنا
 يُهنك عيد النحر أسعد قادم
 وقيته قربانه وصلاته وأقمت
 ورجعت في الجيش الذي أخباره
 أسد ضراغم فوق خيل ترتمي
 طيارة بالدارعين تخالها
 من كل من تحذ القنا خيما له
 والشمس أضرمت السبيكة عندما
 فاهنا به وانعم بدولتك التي

فكفوا به الإسلام خطبا فادحا
 تطلع عليك صحايفا وصفايحا
 يهي وإن جن الظلام مصابحا
 يبتقى على الأعقاب ذكرا صالحا
 سمكوا له سماكا رامحا
 والأكرمون محامدا وممادحا
 نصرا لأبواب المعامل فاتحا
 سعدا ولكن للأعداى ذابحا
 جعلت لأرزاق العباد مفاتحا
 جاءت لآيات الأمان شوارحا
 ولجامحات البغي منها كافحا
 ماء زال عنه مجالدا ومكافحا
 فوق المنى وعن الجرايم صافحا
 مدحا تضمن في الفخار مدايحا
 وافاك من جدوى يمينك ماتحا
 فيه شعائرا وذبايحا
 تُروى غرايبها الحسان صحائحا
 نحو العدو سوانحا وبوارحا
 تنقض في يوم القتال جوارحا
 بلقى العدو مُماسيا ومُصابحا
 لقي الحديد شعاعها المطارحا
 ترضى الوليها وتشجى الكاشحا

يعلو يدا والإفك فيها طالها

هيفاء تخلط بالنفار دلالها
 إذ قَصَرَتْ عن أن تكون مثالها
 قد أدرجت طي العتاب نوالها
 صَحَّتْ دلائل لم تطق إعلالها
 أرجأ كأن المسك فت خلاها
 لو كان ذاك لراضلت أفضالها
 لك لوعة لا تتقى ترحالها
 لتجشمنك في الهوى أهوالها
 إذ قبحت لك في الهوى أفعالها
 لو أتبت من بعدها أمثالها
 أهملت كأسك لم ترد إعمالها
 فافسح لنفسك في مداه مجالها
 واقرن بأسحار المنى (٢) آصالها
 تجلو العروس لدى الزفاف جمالها
 شرف الملوك همامها مفضالها
 ذاتاً وخلقاً سمحها بذالها
 بحر المكارم غيئها سلسالها
 وجرى لغايات الكرام فنالها

دامت ودام الحق فيها ثابتا
 وقال يمدح ويصف مصنعا سلطانيا :

زارت [تجرر نحوه] (١) أذيالها
 والشمس من حسد لها مصفرة
 وافتك تمزج لينها بقساوة
 كم رمت كتم مزارها لكنه
 تركت على الأرجاء عند مسيرها
 ما واصلتك محبة وتفضلا
 لكن توقعت السلو فجددت
 فوحبها قسما بحق بروره
 حسنت نظم الشعر في أوصافها
 يا حسن ليلة وصلها ما ضرها
 لما سكرت بريقها وجفونها
 هذا الربيع أتاك ينشر حسنه
 واخلع عذارك في البطالة جامحا
 في جنة تجلو محاسنها كما
 شكرت أيادي للحيا شكر الوري
 وصمها أصلا وفرعا خيرها
 الطاهر الأعلى الإمام (٣) المرتضى
 حاز المعالي كابرا عن كابرا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجرر نحوه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الهنا) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأمين) .

إن تلقه في يوم بَدَلِ هِبَاتِهِ
 أو تلقه في يوم حربِ عُدَاتِهِ
 ملك إذا ما صال يوماً صَدُولَهُ
 فَبِسَيْفِهِ وبسيفه نال^(١) المَنَا
 الواهب الآلاف قبل سؤَالِهَا
 القاتل الآلاف قبل قِرَاعِهَا
 إن قلت بَحْرُ كَفِّهِ قَصَّرَتْ إِذْ
 مَلَأَ البَسِيطَةَ عدله ونوَالَهُ^(٢)
 وسقى البرية فيضُ كَفِّهِ فقد
 جمع العلوم عناية بِنَفْسِهَا^(٣)
 منقولها معقولها وأصولها
 فإذا عَفَاتِكَ عَيْنُوك تَهَلَّلُوا
 وإذا عُدَاتِكَ أَبْصُرُوك تَيَقَّنُوا
 بددت شملهم ببيضِ صوَارِمِ
 وأباحت أرضهم فأصبح أهلها
 فَتَحَتْ إِمَارَتِكَ السَّعِيدَةَ للورى
 وَبَنَتْ مَصَانِعَ رَايِقَاتٍ ذَكَرَتْ
 وَأَجْلُّهَا قَدْرًا وَأَرْفَعُهَا مَدَى
 هو جنة فيها الأَمِيرُ مَخْلَدُ

تلق الغمايم أرسلت هَطَّالَهَا
 تلق الضراغم فارقت أَشْبَالَهَا
 خِلَّتْ البَسِيطَةَ زلزلت زلزالَهَا
 واستعجلت أعداؤه آجَالَهَا
 فكفى العُفَاةَ سؤَالَهَا ومطَالَهَا
 فكفى العُدَاةَ قِرَاعِهَا ونِزَالَهَا
 شبهت بالملح الأَجَاجِ نوَالَهَا
 فالوحش لا تعدو على من غَالَهَا
 عمَّ البلاد سهولها وجبالها
 آدابها وحسابها وجدالها
 وفروعها تَفْصِيلُهَا إجمالها
 لِمَاءِ رَأَوْا من كَفِّكَ استهلالها
 أن المنيَّةَ سلطت ريبالها
 رويت من عِلْقِ الكَمَاةِ نِصَالَهَا
 جُزْرًا^(٤) تغادر نهبه أموالها
 أبوابُ بُشْرَى واصلت إقبَالَهَا
 دار النعيم جنانها وظلالها
 هذا الذى ساء النجوم فطالها
 بلغت إمارته بها آمالها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نلت) .
 (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أمانه) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بعيونها) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (خورا) .

ولأرض أندلسٍ مفاخر أنتم
فحميتُم أرجاءها وكفيتُم
فبآل نصر فاخرت لا غيرهم
بمحمد ومحمد ومحمد
فهم الألى ركبوا لكل عزيمة
وهم الألى فتحوا لكل مُلَمَّة
متقلدون من السيوف عضابها
الراكبون من الجيادِ عرابها
أولى عهد المسلمين ونخبة الأم
إن العباد مع البلاد مُقرَّة
فتفكُّ عانيها وتحمى سربها

ومن الرثاء قوله يرثي ولده أبا القاسم :

هو البين حتما لا لعل ولا عسى
وما لفؤادى لم يذب منه حسرة
ويا لجفونى لا تفيض موردا
وما للسانى مُفصِّحا بخطابه
أمن بعدما أودعت روحى فى الثرى
وبعد فراق ابنى أبى القاسم الذى
أؤمل فى الدنيا حياة وارتضى
فآها وللمفجوع فيها استراحة
على عُثر أفنيت فيه بضاعتى

فما بال نفسى لم تُفِض عنده أسى
فتبا لهذا القلب سرعان ما قسا
من الدمع يهيمى تارة ومورسا
وما كان لو أوفى بعهد لينبسا
ووسدت منى فلذة القلب مُرُسا
كسانى ثوب الشكلى لا كان مُلبسا
مقيلا لدى أبنائها ومُعرسا
ولابد للمصدر أن يتنفسا
فأسلمنى للمقبر حيران^(١) مُفلسا

(١) وردت فى الإسكوريال (ضريان) والتصويب من النفع .

إلى أن رمى سهم الفراق فقرطسا
 تلبس منه القلب ما قد تلبسا
 فما أغنت الشكوى ولا نفع الأسا
 وقد هدمت ركني الوثيق المؤسسا
 فما زلزلت صبري الجميل وقد رسا
 وأجزع أن يشقى بذنب فينكسا
 حسا من كؤوس البين أفضع ما حسا
 وأشهد لا ينفك وقفاً محبسا
 فليست أبالي أحسن المرء أم أسا
 فصار وجودي مذتورايت حنيسا
 فما أتعب الشكلا نفسا وأنعسا
 له بعد هذا اليوم حولي^(٤) مجلسا
 فأنوحشني أضعاف ما كان أنسا
 فأنعم أحوالي بها صار أبوسا
 كما أسلم السلك الفريد المجنسا^(٥)
 لأكرم من نفسي على وأنفسا
 وماذا عسى أن ينظر الدهر ما عسا
 قياس لعمرى عكسه كان أقيسا
 حَبُونَاهُ أَمْوَالاً كِرَاماً وَأَنْفَسَا
 يسلم فيه من بخير الوري ائتسى

ظلمت به في غفلة وجهالة
 إلى الله أشكو برح حزني فإنه
 وصدمة^(١) خطب نازلتنى عشية
 فقد صدعت شملي وأضمت مقاتلي
 ثبت لها صبراً لشدة وقعها
 وأطمع في أن يلقي برحمته الرضا
 أبا القاسم اسمع شجوا^(٢) والدك الذي
 وقفت فؤادي مذرحلت على الأسي
 وقطعت آمالي من الناس كلهم
 تواريبت يا شمسي وبذري وناظري
 وخلفت لي عبثاً من الشك^(٣) فادحا
 أحقا ثوى ذاك الشباب فلا أرى
 فيا غصنا نضراً ثوى عندما استوى
 ويا نعمة لما تبلغتها انقضت
 فودعته والدمع يهمني سحابه
 وقبلت في ذاك الجبين مودعا
 وخفف من وجدى به قرب رحلتى
 فيارحمة للشيب يبكي شبيبة
 فلو أن هذا الموت يقبل فدية
 ولكنه حكم من الله واجب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وهدة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شكوا) .

(٣) وردت في الإسكوريال (الثقل) . والتصويب من النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (بمدى) والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الخمسا) .

وكرم مشواك الجديد وقدسا
فنشرب تسنينا ونلبس سندسا

أناشدك الرحمن في الرّمق الباقي
عليك وضافت عن زفيرى أطواق

سُلافاً بها قام السرور على ساق
ولا كأس إلا من سطورٍ وأوراق
تمدُّ بروحانية ذات أذواق
وسمعى وحظُّ الروح من حظِّها الباقي
فأثوابه قد جُدِّدت بعد إخلاق
ولا قبيلتها قط نشأة أخلاق
كفى شرّها مولاى فالفضل للواق
بها بعد ما للشبيبة مهراق
فكم بين إثبات لعقل وإزهاق
فكم بين إنجاح لسعى وإخفاق
وهذى تهادى بين عدل وإشراق
شهادة إجماع عليها وإصفاق
بمنهمر من سحُب فكرك غيِّداق
إلى ولم تمنن بخشية إنفاق

تغمذك الرحمن بالعفو والرضا
وألف منا الشمل فى جنة العلا

وكتب إليه قصيدة أولها :

أُستخرجا كنز العقيق بآماق
فقد ضُعت عن حمل صبرى طاقى

فأجابنى رحمة الله عليه عن ذلك :

سَقانى فأهلا [بالسُّقاية والعناق] ^(١)
ولا نُقل إلا من بدايع حِكْمَة
فقد أنشأت لى نشوة بعد نشوة
فمن حظها الفانى متاعٌ لناظرى
أعادت شبابى بعد سبعين حِجَّة
وما كنت يوما للمدامة صاحبا
ولا خالطت لحمى ولا ما زجت دى
وهذا على عهد الشباب فكيف لى
تبصّر فحكما ^(٢) القهوتين تخالفا
وشتان ما بين المُدامين فاعتبر
فتلك تُهادى بين ظلم وظلمة
أيا عَلم الإحسان غير منازع
فضائلك الحُسنى على تواترت
خزائن آداب بعثت بدرّها

(١) هكذا فى الإسكوريال وفى النفخ (بالمدامة والساق) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (فحكم) والتصويب من النفخ .

ولا مثل بكر حُرَّة عربية
فأقسم ما البيض الحسان تبرمت
بدورٌ بدت من أفق أطواقها على
فناظر منها الأفحوان ثغورها
وناسب منها الورد خدًا مورداً
والبسن من صنعاء وشيا مُنمنا
بأحلى لأفواه وأبهى لأعين
رأيت بها شهب السماء تنزلت
ألا إن هذا السحر لا سحر بابل
لقد أعجزت شكرى فضائل ماجد
تقاضى ديون الشعر منى منبها
فلو نشر الصادان من ملحديهما
فخذ زمام الرفق شيخا تقاصرت
فلا زلت تحيى للمكارم رسمها

وكتبت إليه في غرض العتاب والاستعتاب :

أدزنا وضوء الأفق قد صدع الفضا
فلله عينا من رأنا وللحيا حبي^(٢)
نفر إلى عدل الزمان الذى أتى
ونأسو كلوم اللفظ باللفظ عاجلا
فراجعى بقوله :

ألا حبذا ذاك العتاب الذى مضى
وإن جره واش بزور تضمضا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (قطبا) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (جنى) .

ولكنها كانت طلائع للرضا
على معهد الحب الصميم فروضا
وإن ظن سيفنا للقطيعة منتضا
أتى ملك الرحى عليها فبيضا
ليرمى بوسواس الوشاة فيرفضها
تخلص من أدرانه فتحمضا
سناها بآفاق البسيطة قد أضأ
أيخفي شعاع الشمس قد ملأ الفضا
معاقد حب أحكمتها يد القضا
لتشييد مبناها الوثيق تعرضا
على البر والتسكين والحب حرضا
يقلب منها القلب في موقد الغضا
ويا ولدى البر الزكى إن ارتضا
على ما ارتضى حكم المحبة واقتضا
أطال مداه في البيان وأعرضا
كزورة خل بعد ما كان أعرضا
تناظر حسناً مذهبا ومفضضا
مدى العمر في وصفي لها وهو ما انقضا
فذا الليل مسودا وذا الصبح أبيضاً
ورجم لشیطان إذا هو قیضاً
بأبياتك الحسنی وطورا معرضاً

أغارت له خيلٌ فما ذعرت حمى
تألق منها بارق صاب مُزنة
تلاّ نوراً^(١) للصدّاقه حافظا
فإن سود الشيطان منه صحيفة
وما كان حبُّ أحكم الصدق عهده
أعيد وداذا زاكى القصد وافيأ
ونية صدق في رضى الله أخلصت
من الآفك الساعى ليخفى نورها
وكيف يُحلُّ المبطلون بإفكهم
تعرض يبغى هدمها فكأنه
وحرص في تنفيره فكأنما
وأوقد نارا فهو يُضلى جحيمها
أيا واحدى المعدود بالألف وحده
بعثت من الدر النفيس قلايدا
نتيجة آداب وطبع مهذب
ولا مثل بكر باكرتنى آنفا
هى الروضة الغناء أينع زهرها
أو الغادة الحسناء راقت فينقضى
تطابق منها شعرها وجبينها
أو الشهب منها زينة وهداية
أنت ببديع الشعر طورا مُصرحاً

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نورا) .

ولو أنك العجاني لكنت المغيضا
محضت له صدق الضمير فأمحضا
فياحسُن ما أهدى وأسدى وأقرضا
فأبقى يدي تسليمه لي مفوضا
وفضلك منشور وفعلك مُرتضا
بحال وإن رأيت فما أنا معرضا
هوئى ثابتاً يبقى فليس له انقيضا
وما بارقُ جنح الدجنة أومضا

ومهدت الأعذار دون جنابة
لك الله من برٍّ وفى وصاحب
لسانك في شكرى مُفيض تفضلا
وقلبك فاضت فيه أنوار خيلتى
وقصدك مشكور وعهدك ثابت
فهل مع هذا ريبة في مودة
فثق بولائى إننى لك مخلص
عليك سلام الله ما هبت الصبا

وكتب إلى القاضي الشريف وهو بوادى آش :

وأمنأ وقد [ساورتها حية رقطاً] (١)
وسرك أن الموت في سيره أبطا
على عمرك الفانى ركايبه خطأ
بحال ولا قبضاً تطيق ولا بسطاً
وها هو في فؤديك أحرفه خطأ
له القلم الأعلى يخط به وخطا
سفينة هذا العمر قاربت الشطا
خبطت بها في كل مهلكة خبطا
فآونة رفعا وآونة خطأ
تشد عليك الجانبين بها ضغطا
مُلاقٍ أرضواناً من الله أم سخطا
وهذا الهوى المردي على العقل قدغطا

أهزلا وقد جدت بك اللمة الشمطاء
أغرك طول العمر في غير طابيل
رويدا فإن الموت أسرع وافد
فاذ ذاك لا تستطيع إدراك ما مضى
تاهب فقد وافى مشيبك منذرا
فرافقت منه كاتب السرواشيا
معمى كتاب فكه اخذر فهذه
وإن طال ما خاضت بك اللجج التي
وما زلت في أمواجها متقلبا
فقد أوشكت تلقيك في قعر حفرة
ولست على علم بما أنت بعدها
وأعجبُ شئ منك دعواك في النها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ساورت يا حية رقطا) .

قسطت عن الحق المبين جهالةً
وطاوعت شيطاناً تجيب إذا دعا
تناعى عن الأخرى وقد قربت مدى
وتمنحها حباً وفرط صباية
فها أنت تهوى وصلها وهى فارك
صراط هدى نكبت عنه عمايةً
فمالك إلا السيد الشافع الذى
دليل إلى الرحمن فانهج سبيله
محبتة شرط القبول فمن خلت
وما قبلت منه لدى الله قربة
به الحق وضاح به الإفك زاهق
هو الملجأ الأحمى هو الموثل الذى
إليك ابن خير الخلق بنت بديهية
وحيدة هذا العصر وافت وحيدة
وتتلو آيات التشيع إنها
نك الشرف الماثور يا ابن محمد
إلى شرفى دين وعلم تظاهرا
ورهطك أهل البيت بيت محمد
بعثت به عقدا من الدر فاخرا

وقد غالطتك^(١) النفس فادعت القسطا
وتقبل أن أغوى وتأخذ إن أعطا
تداني عن الدنيا وقد أزمعت شحطا
وما منحت إلا القتادة والخرطا
وتأمل قريبا من حماها وقد شطا
ودار ردى أوعيت^(٢) فى سجنها سرطا
له فضل جاه كل ما يرتجى^(٣) يعطى
فمن حاد عن نهج الدليل فقد أخطا
صحيفته منها فقد فقد الشرطا
ولا زكت الأعمال بل حبطت حبطا
به الفوز مرجو به الذنب قد حطأ
به فى غد يستشفع المذنب الخطا
تقبل تبجيلا أناملك السبطا
لتبسط من شتى بدايعها بسطا
لدوثقة عهداً ومحكمة ربطا
وحسبك أن تنمى إلى سبطه سبطا
تبارك من أعطى وبورك فى المعطا
فأعظم به بيتا وأكرم بهم رهطا
وذكر رسول الله درته الوسطا

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (خالفتك) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (أودعت) .

(٣) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (يرتضى) والأولى أرجح

وأهديت منها للسيادة غادة
وحاشيتها من كل ماشأها فإن
وفي الطيبين الظاهرين نظمتها
عليك سلام الله ما درّ شارق
ومن غريب ما خاطبني به قوله :

أقسم بالقيسين والنابعين
وبابن حجر وزهير وابنه
ثم بعشاق الثريا والرقبات
وبأبي الشيص ودعبل ومن
وولد المعنز والرّضى والسرى
وأختم بقسّ وسخبان فإن
وحليتي نشرهم ونظمهم
أن الخطيب ابن الخطيب سابق
وافتنى^(٣) الصحيفة الحسنى التى
تجمع من يراعة المعنى إلى
أشهد أنك الذى سبقت فى
شعر حوى جزالة ورقة
رسايل أزهارها منشورة
يا أحوذياً يانسيج وحده
بقيت فى مواهب الله التى

نظمت من الدر الثمين بها سيمطا
تجعد حوشى تجد لفظها سبطا
فساعدها من أجل ذلك حرف الطا
ومارددت ورقاء فى غصنها^(١) لفظاً

وشاعرى طيىء المولدين
والأعشيين بعد ثم الأعميين
وعزة ومى وبشيسن
كشاعرى خزاعة^(٢) المخضرمين
ثم حسن وابن الحسين
أوجب حق أن يكونا أوليين
فى مشرقى أقطارهم والمغربيين
بنشره ونظمه للحلبتين
شاهدت فيها المكرمات رأى عين
يراعة الألفاظ كلتا الحسينين
طريقى الآداب أقصى الأمدين
تصاغ منه حلية للشعريين
سرور قلب ومتاع ناظرين
شهادة تنزهت عن قول ميين
تقر عينيك وتملاً اليدين

(١) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (غصن) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (خزامة) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (راقنى) .

ومن المقطوعات الموطّئات على المثال :

لله عصر الشباب عصرا
حفظت ما شئت فيه حفظا
حتى إذا ما المشيب وافي
لا تعتنوا بعدها بحفظ
فتح للخير كل باب
كنت أراه بلا ذهاب
ندُّ ولكن بلا إياب
وقيدوا العلم بالكتاب

ومن ذلك قوله :

يا أيها المسك البخيل
إنفق وثق بالإله تريح
وقدم الأقربين واذكر
إلهك المنفق الكفيل
فإن إحسانه جزيل
ما روى أبداً بمن تعول

ومن ذلك قوله :

وقائلة لم عراق المشيب
فقلت لها لم أشب كبرة
وما أن يعهد الصبا من قدم
ولكنه الهم نصف الهرم

ومن ذلك قوله :

هي النفس إن أنت سامحتها
وإن أنت جشمتها خبطة
فإن شئت فوزا فناقض هواها
ولا تعبان بميعادها
ومن المقطوعات أيضا :

من أنت يامولى الورى مقصود
فليشهدنك له فؤاد صادق
وليفنين^(٢) عن نفسه ورسومه
رمت بك أقصى مهاوى الخديعة
تنافى رضاها تجدها مطيعة
وإن واصلتك اجزها بالقطيعة^(١)
فميعادها كسراب بقيعة
طوبى له قد ساعدته سعوده
وشهوده قامت عليه شهوده
طرا وفى ذلك الفناء وجوده

(١) هكذا في الإسكوريال . وفى النسخ (المقطيعة) .

(٢) هكذا وردت في النسخ . وفى الإسكوريال (وليفنين) والأولى أرجح .

وليخطفنه^(١) بارق يرقى به
حتى يظل وليس بدرى دهشة
لكنه ألقى السلاح مسلما
فلقد تساوى عنده إكرامه
في أشرف المعراج ثم يعيده
تقريبه المقصود أو تبعيده
فمراده ما أنت منه تريده
وهوانه ومفيده ومبيده

ومن ذلك قوله في المعنى :

يقينى أن الله جل جلاله
يقينى فراجى الله ليس يخيب

ومن مقطوعاته في الألغاز والأحاجى قوله في حَجَلَة :

حاجيت كل فطن لبيب
ذات كرامات فزرها قربة
تشرکہا في الإسم أنثى لم تنزل
وقد جرى في خاتم الوحي الرضا
وهو إذا ما الفاء منه صحفت
فهاكها واضحة أسرارها
ما اسم الأنثى من بنى يعقوب
فزورها أحق بالتقريب
حافضة لسرها المحجوب
لها حديث ليس بالمكذوب
صبغ الحيا لا الحيا المسكوب
فأمرها أقرب من قريب

وفي آب الشهر :

حاجيتكم ما اسم علم ذو نسبة إلى العجم
يخبر بالرجعة وهو راجع كما زعم
وصف الحميم^(٢) هو بالتصحيح أو بدء قسم
دونكه أوضح من نار على رأس علم

ومن ذلك قوله في كانون :

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وليخطفنه) والأولى أرجح .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الحبيب) .

ولم يجمعهما جنس
فبالآخر لى أنس
وهذا ماله جس (١)
وذا قيمته فلنس
وهذا أصله الشمس
تحيا بها النفس
ومن موضوعه الإنس
ما فى أمره لَبَس

وما اسم لسميين
فهذا كلما يأتى
[وهذا ما له شخص
وهذا ما له سوم
وهذا أصله الأرض
وهذا واحد من سبعة
فمن محموله الجن
فقد بان الذى ألغزت

ومن ذلك قوله فى نمر :

إن اسمه صُحِف فابن العمّة
يريك فى الذكر الحكيم أمة (٢)

ما حيوان ما له من حرمة
وقلبه من بعد تصحيف له

ومن ذلك قوله فى سلم :

مستعمل فى الوصل لا فى القطع
يُعنى به فى الخفض أو فى الرفع
تراه شمالا لم يزل ذا صدع
خامسة من الطوال السبع
مكسر فى غير باب الجمع
آثاره محمودة فى الشرع
والأفضل أصل فى حنين الجذع
لا سيما لكل زاكى الطبع

ما اسم مركب مفيد الوضع
ينصب لكن أكثر استعمال من
وهو إذا خففته مغيرا
فالاسم إن طلبته تجده فى
وهو إذا صحفته يعرب عن
له أخ أفضل منه لم تنزل
هما جميعا من بنى النجار
فهاكه قد سطعت أنواره

(١) هذا البيت وارد فى النفع وساقط فى الإسكوريال .

(٢) هكذا ورد هذا البيت فى الإسكوريال . وورد فى الزيتونة كالآتى :

وقلبه من بعد تصحيفه له يريك فى الذكر الحكيم أمة

ومن ذلك قوله في فنار :

ما اسم إذا حذفت منه [فاءه] ^(١) الممنوعة فإنه بنت الزنا مضافة لأربعة

ومن ذلك قوله في حوت :

ما حيوان في اسمه إن اعتبرته فنون

حروفه ثلاثة والكل منها نون

تصحيفه قطع الفلا أو ما جناه المذنبون

أو أبيض أو أسود أو صفة النفس الخؤون

وقلبه مصحفاً عليه دارت السنون

كانت به في مضي عبدة قوم يعقلون

أودع فيها عنده ^(٢) سر من السر المصون

فهاكه كالنار في الزند لها فيه كمون

ومن ذلك قوله في مائدة :

حاجيتُ كل فطن نظار ما أسم لأنثى من بني النجار

وفي كتاب الله جاء ذكرها فقل ما يغفل عنها القار

في خبر المهدي فاطلبها تجد إن كنت من مطالعي الأخبار

ما هي إلا العيد عيد رحمة ونعمة ساطعة الأنوار

بشركها في الاسم وصف حسن من وصف قُضِبُ الروضة المعطار

فهاكه كالشمس في وقت الضحى قد شف ^(٣) عنها حجب الأستار

ومن ذلك قوله في زيبب :

ما نقي العِرض طاهر الجسد عندما خالطه الما فسَد

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وفي هامش الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زمنا) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (شق) .

خالط الماء القراح فغوى بعد ما كان من أهل الرشد
عجى الأصل تم حسنه عندما صاد الغزاة الأسد
واسمه اسم امرأة مصحفاً ولقد يكون وصفا لولد
هاكه قد بهرت أنواره فارم بالفكر تُصِب قصد الرشد
جميع هذه الأغراض المنسوبة إليه ، بحر لا ينفد مدده ، وقطر لا يبلغ
عدده .

وأما نشره فسلطانيات مطولات ، عرضت بما تخللها من الأحوال
متونها ، وقلّت لمكان الاستعجال والبيهة عيونها . وقد اقتضبت منها أجزاء
سميته « تافها من جَم ونقطة من يَم »

مولده : ولد بقرناطة في جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعين وستماية .

وفاته : ليلة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين
وسبعماية . ودفن بباب البيرة . وكانت جنازته أخذة نهاية الاحتفال ،
حضرها السلطان فمن دونه .

ومارئي به : رثيته بقصيدة أنشدتها على قبره خامس يوم دفنه ثبتت
في غير ما موضع وهي :

ما لليراع خواضع الأعناق طَرَقَ النَّعْيُ فَهَنٌ فِي إِطْرَاقِ
وكانما صبغ الشحوب وجوهها وَالسَّقَمُ مِنْ جِزَعٍ وَمِنْ إِشْفَاقِ
ما للصحائف صوّحت روضاتها أَسْفَا وَكُنْ نَضِيرَةَ الْأَوْرَاقِ
ما للبيان كؤوسه مهجورة غَفَلَ الْمَدِيرُ لَهَا وَنَامَ السَّاقِ (١)
مالي عدمت تجلدى وتصبرى وَالصَّبْرُ فِي الْأَزْمَاتِ مِنْ أَخْلَاقِ
خطب أصاب بنى البلاغة والحجا شَبُّ الزَّفِيرِ بِهِ عَنِ الْأَطْوَاقِ
أما وقد أودى أبو الحسن الرضا فَالْفَضْلُ قَدْ أَوْدَى عَلَى الْإِطْلَاقِ
كنز المعارف لاتبيد نقوده يَوْمًا وَلَا تَفْنَى عَلَى الْإِنْفَاقِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الساق . أخلاق) .

من للبدائع أصبحت سمر السرى
 من لليراع يجيل من خطبها
 قُضِب ذوابل مشمرات بالمنى
 من للرقاع الحمر يجمع حسنها
 تغتال أحشاء العدو كأنها
 وتهز أعطاف الولى كأنها
 من للفتون يجيل فى ميدانها
 من للحقائق أبهت أبوابها
 من للامساعى [الغرى] ^(١) تقصد جاهه
 كم شد من عقْد وثيق حكمه
 رحب الذراع بكل خطب فادح
 صعب المقادة فى الهوادة والهوى
 ركب الطريق إلى الجنان وحوورها
 فاعجب لأنس فى مظنة وحشة
 أمطيبا بمحامد العمل الرضى
 ما كنت أحسب قبل نعشك أن
 ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى
 يا كوكب الهدى الذى من بعده
 يا واحدا مهما جرى فى حلبة
 يا ثاويا بطن الضريح وذكره
 يا غوث من وصل الضريح فلم يجد

(١) واردة فى النسخ . وساقطة فى الإسكوريال .

ما بين شام للورى وعراق
 سم العدا ومفتاح الأرزاق
 وأراقم ينفثن بالترياق
 خجل الخدود وصبغة الأحداق
 صفحات دامية الغرار رفاق
 راح مشعشة براحة ساق
 خيل البيان كريمة الإعراق
 للناس يفتحها على استغلاق
 حرما فينصرها على الإخفاق
 فى الله أو أفتى بحل وثاق
 أعيت رياضته على الحداق
 سهل على العاقين والطراق
 يلقيه بتصافح وعناق
 ومقام وصل فى مقام فراق
 ومكفنا بهكارم الأخلاق
 أرى رضوى تسير على الأعناق
 أن اللهود خزائن الأعلاق
 ركد الظلام بهذه الآفاق
 جلى بغرة سابق السباق
 أبدا رفيق ركاتب ورفاق
 فى الأرض من وزر ولا من واق

ما كنتَ إلا دِيمَةً منشورة
 ما كنتَ الا روضةً ممطورة
 يا مزمعا عنا العشى ركابه
 رفقا أبانا جلُّ ما حملتنا
 واسمح ولو بمزار لقياً^(٢) في الكرى
 وإذا اللقاءُ تصرمت أسبابه
 عجباً لنفس ودعتك وأيقنت
 ما عذرها إن لم تقاسمك الردى
 إن قصرت أجفاننا عن أن ترى
 واستوقفت دهشا فإن قلوبنا
 ثق بالوفاء على المدى من فتية
 سجت بما طوقتها من منة
 تبكى فراقك خلوة عمرتها
 أما الشناء على علاك فذائع
 والله قد قرن الشناء بأرضه
 جادت ضريحك ديمة هطالة
 وتغمدتك من الآله سعادة
 صبيرا بنى الجياب فقيدكم
 وإذا الأسى لفتح القلوب أواره
 وأنشد في هذا الغرض الفقيه أبو عبد الله بن جزي رحمه الله :
 ألم تر أن المجد أقوت معالمه فأظنابه قد قوضت دعائمه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (ثويت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (لوق) .

وخانت جواد المكرمات قوائمه
وفلّت من العز المنيع صوارمه
وعرّى من جود الأنامل حاتم
وثلم غرب الدين والعلم هاجمه
وما للزيم الحزن قصت قوادمه
وما لمحيباً الدهر قُطِبَ باسمه
فواقع زهر والجفون كمائمه
فشتت ذاك الشمل من هو ناظمه
ستنبو عراره ويندق قائمه
وضل طريق الحزم في الرأى حازمه
فلا الجود وواقبه ولا البخل عاصمه
ولا منعت منه الغنى كرايمه
وكل طلوع فالغروب ملازمه
إذا كان بانى مَصْنَع هو هادمه
يُصاخ لشكواه ويمنع ظالمه
يروى بأنواع المعارف هائمه
يحلا عن ورد المآثم حايمه
يواسيه في أمواله ويقاسمه
يكابده أو يومه وهو صائمه
يخلده في صفحة الطرس راقمه

هوى من سماء المعلوات شهابها
وثلّت من الفخر المشيد عروشه
وعُطِّل من حلى البلاغة قسُها
أجل إنه الخطب الذى جل وقعه
وإلاً فما للنوم طار مطاره
وما لصباح الأنس أظلم نوره
وما لدموع العين فُضّت كأنها
قضى الله في قطب الرياسة أن قضى
ومن قارع الأيام سبعين حجة
وفى مثلها أعبي النطاسى طبه
تساوى جواد فى رداه وباخل
وما نفعت ربّ الجياد كرامه
وكل تلاق فالفراق أمامه
وكيف مجال العقل فى غير منفذ
لبئيك علياً مستجير بعدله
لبئيك علياً ماتح^(١) بحر علمه
لبئيك علياً مظهر فضل نصحه
لبئيك علياً معترف جود كفه
لبئيك علياً ليله وهو قائم
لبئيك علياً فضل كل بلاغة

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (ماتح) .

وشخص ضئيل الجسم يرهب نفسه
 تكفل بالرزق المقدر للورى
 يسدده سهما وينضوه صارما
 إذا سال من شقيقه سايل حبرة
 ليك عليه الآن^(٢) من كان باكيا
 تقلد منه الملك عصب بلاغة
 وقلده مثنى الوزارة فاكتفى
 ففى يده وهو الزعيم بحقتها
 سخي على العافين سهل قياده
 إذا ضلت الآراء فى ليل حادث
 وقام بأمر الملك للدين حاميا
 وقد كان نيط العلم والحلم والتقى
 ودوخ أعناق الليالى بهمة
 وزاد على بعد المنال تواضعا
 سقيت الغوادي أى علم وحكمة
 ومازلت^(٤) يستسقى بدعوتك الحيا
 بكت فقدك الكتاب إذ كان شملهم
 وطوقتهم بالبر ثم سقيتهم
 ويبكيك منى ذاهب الصبر موجه
 فنى نال منه الدهر إلا وفاءه
 ليوث الشرى فى خيسها وضر اغمه
 إذا الله أعطى فهو للناس^(١) قاسمه
 ويشرعه رمحا فكل يلائمه
 بما شاء منه سايل فهو عالمه
 فتلك مغانيه نخلت ومعالمه
 يقدر السلوقى المضاعف صارمه
 بها ألمعى حازم الرأى عازمه
 يراعتة والمشرفى وخاتمته
 أنى على العادين صعب شكائمه
 رآها برأى يصدع الحق^(٣) ناجمه
 فذل معاديه وضل مراغمه
 به وهو مانىطت عليه تمايمه
 يبيت ونجم الأفق فيها يزاحمه
 أبى الله إلا أن تتم مكارمه
 ودين متين ذلك القبر كاتمه
 وها هو يستسقى لقبرك ساجمه
 يؤلفه من روح فضلك ناعمه
 نذاك فكنت الروض ناحت حمايمه
 فوقد فى جنبيه للحزن جاحمه
 فما وهنت فى حفظ عهد عزائمه

- (١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (فى الناس) .
 (٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (اليوم) .
 (٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الخطب) .
 (٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (وما زال) .

عليل الذي زرت عليه جيوبه قريح الذي شدت عليه حزامه
فقد كنت ألقى الخطب منه بجنة تعارض دوني بأسه وتصادمه
سأصبر مضطراً وإن عظم الأسي أحارب حزني مرة وأسالمه
وأهديك إذ عز اللقاء تحية وطيب ثناء كالعبير نواسمه

وأنشد القاضي أبو بكر القرشي قوله من قصيدة في ذلك :

هي الآجال غايتها نفاذ وفي الغايات تمتاز الجياد

وأنشد الفقيه الكاتب أبو بكر القاسم بن الحكيم قوله من قصيدة :

لينع الحجا والحلم من كان ناعيا ويرع العلا والعلم من كان راعيا

وأنشد الفقيه القاضي أبو بكر بن جزي قصيدة أولها :

أبثكما والصبر للعهد ناكث حديثا أملته على الحوادث

قصائد مطولات يخرج استقصاؤها عن الغرض ، فكان هذا التابين

غريبا لم يتقدم به عهد بالحضرة لكونها دار ملك ، والتجلة في مثل هذا مقصورة على أولى الأمر . فمضى بسبيله رحمه الله .

علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن

محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن

سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوزم

ابن ثعلب بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن تام بن عبس^(١)

واسمه^(٢) زيد بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الذيل والتكلمة (عنس) .

(٢) هكذا وردت في الذيل والتكلمة . وفي الإسكوريال (والد) والأولى أرجح .

من أهل قلعة يحصب^(١) ، غرناطى قلعى^(٢) ، سكن تونس ، يكنى
أبا الحسن ، ويعرف بابن سعيد .

أوليته

قد تقرر من كرم أوليته ، وذكر بيته ما ينظر فى محله .

حاله

هذا الرجل وَسْطَى عقد بيته ، وَعَلَمَ أهله ، ودرّة قومه ، المصنّف
الأديب ، الرحال ، الطّرفة ، الإخبارى ، العجيب الشّان فى التجول فى
الأوطان ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد
المشرقية والمغربية .

مشيخته

أخذ عن أعلام إشبيلية كالأبى على الشّلوبين ، وأبى الحسن الدباج ،
وأبى الحسن بن عصفور وغيرهم .

تواليافه

وتواليافه كثيرة^(٣) ، منها المُرَقصات والمُطربات ، عزيز الوجود ،
والمقتطف أغرب وأعجب ، والطالع السعيد فى تاريخ بيته وبلده .
والموضوعان الغريبان المتعددا الأسفار ، وهما « المغرب فى حلى المغرب » ،
« والمشرق فى حلى المشرق » ، وغير ذلك مما لم يتصل إلينا ، فلقد حدثنى
الوزير أبو بكر بن الحكيم ، أنه تخلف كتابا يسمى « المرزومة »^(٤) ،
يشتمل على وقر بعير ، لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله

(١) سبق التعريف بها (أنظر المجلد الثالث من الإحاطة ص ٢١٥ و ٤٣٣) .

(٢) أى من سكان القلعة المذكورة .

(٣) هذه الكلمة واردة فى الزيتونة وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (المزيادات) .

شعره

قال ، تعاطى نظم الشعر في حدُّ زمن الشبيبة ، يعجب فيه من مثله ،
فيذكر أنه خرج مع والده ، وقد مر في صحبته إلى إشبيلية ، وفي صحبته
سهل بن مالك ، فجعل سهل يباحثه عن نظمه ، إلى أن أنشده في صفة
النهر والنسيم يردده ، والغصون تميل عليه :

كأنما النهر صفحة كتبت أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها

فطرب أبو الحسن وأثنى عليه ، ثم شدا ، وناب عن أبيه في أعمال
الجزيرة ، ومازج الأدباء ، ودون كثيراً من نظمه ، وحفظ له في المدح :

يا أيها الملك الذي هبته وهبته شدت عرى الإسلام

لما أسال نداه سلّ حسامه فأراك برقاً في متون غمام

لله شيعتك التي ترك العدا أقداحهم بمواطىء الأقدام

طاروا بأجنحة السيوف إليهم مثل الحمام جلبن كل حمام

فهم سهام والجياد قسيهم وعُداهم هدف وسعدك رام

وقال ، ومما نظمته بالحضرة في فرس كان لهم لوبان أغرّ أكحل بحلية :

وأجرد تبرى أثرت به الثرى والفجر في خصر الظلام وشاح

عجبت له وهو الأصيل بعرفه ظلام وبين الناظرين صباح

رحلته المشرقية ، وفيها الكثير من نظمه ، قال في «الطالع» لما قدم الديار

المصرية واشتهر ، كان مما نظمته سلماً لمعرفة الأدباء والظرفاء قوله ، وقد

رأى بساحلها وجوها لا يعرفها ، وألسنا غير ما عهد :

أصبحت أعترض الوجوه ولا أرى من بينها وجها لمن أدريه

ويحُ الغريب توحشت الحاظه في عالم ليس له بشبيهه

عودى على بدنى ضللا بينهم حتى كآنى من بقايا التيه
 ودخل القاهرة ، فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها ، وانتهت بهم
 الفرجة ألى روض نرجس ، وكان فيهم أبو الحسن الجزار ، فجول يدوس
 النرجس ، برجله ، فقال أبو الحسن :

يا واطىء النرجس بالأرجل ما تستحى أن تطأ الأعين بالأرجل
 فتهافتوا بهذا البيت وراموا إجازته .
 فقال ابن أبي الأصبح :

فقال دعنى لم أزل [محرجا] ^(١) على لحاظ الرشاد الأكل

وكان أمثل ما حضرهم ، ثم أبوا أن يجيزه غيره ، فقال :

قابل جفونا بجفون ولا تبئذل الأرفع بالأسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق صاحب الأشغال السلطانية إلى
 مجلس بصفة النيل ، مبسوط بالورد ، وقد قامت حوله شمامات نرجس ،
 فقال في ذلك :

من فضل النرجس فهو الذى يرضى بحكم الورد إذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاءدا وقام فى خدمته النرجس

ووافق ذلك ممالك الترك ، وقوفا فى الخدمة على عادة المشاركة ،
 فطرب الحاضرون ، من حسود ومنصف . ولقى بمصر محيى الدين بن ندا
 واقد التركى ، الإمام زهير الحجارى هاء الدين ، وبالقاهرة جمال الدين
 ابن مطروح ، وجمال الدين بن يغمور ^(٢) ، وتعرف بكمال الدين بن العديم
 رسول سلطان حلب ، فاستصحبه يتحف به الملك الناصر صاحب حلب ،

(١) هذه الكلمة واردة فى النفع وساقطة فى الإسكوريال .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ابن يعمور) وهو تحريف لاسم الشاعر المصرى أحمد بن موسى

ابن يعمور ، المتوفى سنة ٦٧٣ هـ .

فلقى بَحْنَص وبيت المقدس وحماء أعلاما جِلَّة ، وله معهم أخبار يطول
 ذكرها ، ودخل على السلطان بحلب ، وأنشده قصيدة أولها :
 جُنلِي بما ألقى الخيال من الكرى لا بد للطف الملم من الكرا^(۱)
 فقال كمال الدين هذا رجل عارف مذروى لمقصده من أول كلمة ..
 ثم قال بعد أبيات :

الناصر المك الذى عزماته أبدا تكون مع العساكر عسكرا
 ما كان أنبا الفتح يلزم لامة والجمع من أعدائه متكسرا
 فعظم استظراف السلطان لهذه المقاصد ، وأثنى عليه . ثم وصل فقال :
 الدين أصلحه وعم صلاحه الدنيا وأصبح ناصرا ومظفرا
 فكأن كُنَيْته غدت موضوعه من ربه والوصف منه مقورا
 وكانما الأسماء قد عرضت على علياه قبل وجوده متخيرا

فقال السلطان كيف ترون واستعاده . فقال عون الدين العجمي عميد
 المجلس ، وكاتب الإنشاء ، استنباطه ما سمع الملوك بمثله يا خوند . ثم
 أنشد :

من آل أيوب الذين هم هم ورثوا الندى والبأس أكبر أكبرا
 أهل الرياسة والسياسة والعُلا بسيفهم حلوا الذرى منحوا الذرا
 سم العداة على هيافيهم لا تعجبوا فكذاك آساد الشرى
 كادوا يقيلون العداة من الردى لو لم يمدوا كالحجاب العثيرا
 جعلوا خواتم سمرهم من قلب كل معاند عد المثقف خنصرا
 وببيضهم قد توجوا أعداءهم حتى لقد حلوا لكيما تشكرا
 لو لم يخافوا تيسار نحوهم وهبوا الكواكب والصباح المشفرا

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (القرى) .

وهي طويلة . ثم استجلسه السلطان ، وسأله عن بلاده ، ومقصده بالرحلة ، فأخبره أنه جمع كتابا في الحُلَى البلادية والحُلَى العبادية المختصة بالمشرق ، وأخبره أنه سماه « المُشْرِقُ فِي حُلَى الْمَشْرِقِ » . وجمع مثله فسماه « الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ » . فقال نُعَيْنُكَ بِمَا عِنْدَنَا مِنَ الْخَزَائِنِ ، ونوصلك إلى ما لا عندنا . مثل خزائن الموصل وبغداد ، وتضيف لنا المغرب . فخدم على عاداتهم ، وقال أمر مولاي بذلك ، إنعام وتأنيس ، ثم قال له السلطان مُدَاعِبَا ، إن شعراءنا مُلَقَّبُونَ بِأَسْمَاءِ الطُّيُورِ . وقد اخترت لك لقباً يليق بحسن صوتك وإيرادك للشعر ، فإن كنت ترضى به ، وإلا لم يعلمه غيرنا ، وهو البُلبُلُ ، فقال قد رضى المملوك بذلك يا خوند . فتبسم السلطان ، وقال اختر واحدة من ثلاث ، أما الضيافة التي ذكرتها أول شعرك ، وأما جائزة القصيدة ، وإما حق الاسم . فقال يا خوند المملوك ممن لا يختنق بعشر لُقَمٍ ، فكيف بثلاث . فطرب السلطان ، وقال هذا مغربي ظريف ، ثم أتبعه^(١) من الدنانير والخلع الملوكية والتواقيع بالأرزاق ما لا يوصف . ولقى بحضرته عَوْنُ الدِّينِ الْعِجْمِيُّ ، وهو بَحْرٌ لَا تَنْزِفُهُ الدَّلَائِلُ ، والشهاب التلغفري الشهير الذكر ، والتاج بن شُقَيْرٍ ، وابن نجم الموصلي ، والشرف بن سليمان الإربلي . وطائفة من بني الصاحب . ثم تحول إلى دمشق ، ودخل الموصل وبغداد ، ودخل مجلس السلطان المعظم ابن الملك الصالح بدمشق ، وحضر بمجلس خلوته . وكان ارتحاله إلى بغداد في عقب سنة ثمان وأربعين وستائة في رحلته الأولى إليها . ثم رحل إلى البصرة ، ودخل أَرْجَانَ ، وحجَّ . ثم عاد إلى المغرب . وقد صنف في رحلته الأولى إليها مجموعا سماه « بالنفحة

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (تبعته) . والأولى أنسب للسياق .

المسكية في الرحلة المكبية. وكان نزوله بساحل مدينة إقطنية من إفريقية في إحدى جماديين من عام اثنين وخمسين وستائة ، واتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله المستنصر^(١) فنال الدرجة الرفيعة من حظوته ، وقال عند اتصاله به لحين قدومه :

ومازلت أضرب في الخافقين أروم البلاد وأرعى الدول
إلى أن رجعت إلى تونس محل الإمام وأقصى الأمل
فقلت البلاد لهدى قسرى وقلت الأنام لهذا خول

نكبته

وحدثني شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم ، أن المستنصر جفاه في آخر عمره ، وقد أسنَّ لجراه خدعة مالية أسندها إليه ، وقد كان بلاء منه قبل جفوة ، أعقبها انتشار وعناية . فكتب إليه :

يا غزالا في الحشا منزله وبعيني دائما منهله
لا ترعبنى بالجفا ثانية ما بقى في الجسم ما يحمله
فرق له ، وعاد إلى حسن النظر فيه ، إلى أن توفى تحت بر وعناية . رحمه الله مولده : ولد بغرناطة ليلة الفطر في سنة عشر وستائة .
وفاته : توفى بتونس حرسها الله في أحواز عام خمسة وثمانين وستائة .

علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القبسي

الأديب الكاتب يكنى أبا الحسن

(١) هو الخليفة (وليس الأمير) أبو عبد الله المستنصر بالله بن أبي زكريا بن أبي محمد عبد الواحد الحفصي ، عاهل مملكة إفريقية (تونس) ، وقد حكم من سنة ٦٤٧ هـ حتى وفاته في سنة ٦٧٥ هـ .

حاله

من أهل المعرفة بالعلوم القديمة ، وأصله من عمل سَرَقُسطة . وكان صديقا للوزير أبي الحسن بن هاني .

مشيخته

قرأ على الحكيم أبي بكر بن الصايغ، المعروف بابن باجة^(١). وكان خليع الرسن فيما ذكر عنه .

شعره

من شعره :

خليلى من نعمان بالله عرجا
وقولا له ما حال لُبْنى لعله
فعهدى به والظل ينفض دوحه
تُباكره لُبْنى لإتيان موعده
نبث حديثها فنبكى بعبرة
على الأيئك من وادى العقيق فسَلِّما
إذا سمع النجوى بلُبْنى تكلِّما
وقد خضلت عيدانه فتنعما
عزيز عليها أن يُبخان ويُصرما
فترسلها ماءً ونرسلها دما

ومن شعره قوله :

أدر كأس المدام فقد تغنى
وهبَّ على الرياض نسيم صبح
وسال النهر يشكو من حصاه
بفروع الأيئك أوزقها الصدوح
يمر كما ونى سادٍ طليح
جراحات كما أنَّ العجريح

وقال :

سقى الله دهرا ضم شمل مودة
بميناؤِ تعلوها الرياح بليلةً
وجمع إخوان الصفاء بلا وعد
وتنظر منها الشمس بالأعين الرمد

(١) سبق التعريف به (أنظر المجلد الأول من الإحالة ص ١٨٩ حاشية) .

وفاته : توفي بفرناطة في حدود الثلاثين وخمسة .

ومن الطاريين

عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة

من أهل شابس يكنى أبا علي .

حاله

كان فقيها أديبا مكثرا ، شهير المكان بجهته ، مولعا بمكاتبة الأدباء ، وتقييد ما يصدر عنهم ، مؤرخا من أهل النباهة والعناية . ألف كتابا سماه « نُخْبَةُ الْأَعْلَاقِ ، ونزهة الأحداق في الأدباء » ، وحلّى من ذكر فما قصر ن السداد . وله نظم ونثر وخطب ، وبيعات ومراجعات ، تضمنها الكثير من كتبه .

فمن شعره ما قاله يخاطب بعض إخوانه :

خذها إليك أبا اسحق تذكيرة	من ذاكر لك في قُرب وفي شَحَط
يرعى ذمامك لا تنسى لوازمه	ولا يمازجه بالسهُو والغلط
ولا يزال بحفظ العهد مُعْتَنِيَا	ولا يعامل في البحران بالشطط
فأنت عندي أولى من أذمة ربحي	ومن صفوتي في أرفع النمط
قد طال شوقي للإعلام منك بما	لديك إذ فيه لي تأنيس مُغْتَبِط
وقد تيت بنكري في التغافل عن	معهود ما كنت تُوليه لذي الشَّحَط
وقد عفا رسم عرفان الإخاء بما	أوليت من كثرة الإهمال والغلط
جبر أخي وهيه وارجع لصالح ما	عودت في الكتب من مُستحسن الخُطَط
وجد بيسطانبساط أنت تبذله	فإن أقبح شيء قَبْضُ منبسط
خذ سلاما كعرف المسك نفتحته	من ذي ولاء بذاك المجد مغتبط

وفي مفاتحة بعض الأدباء :

أبا جعفر وافتك في صفحة الطرس
لها حُلل الإخلاص زياً وحَلِيُّها
وموجبها ما قد فشي من محامد
وغرُّ علوم حزتها ومعارف غلوت بها
فإن رُزِقَتْ منك القبول تشرفت
خطابك يا قاضي العدالة بُغِيَّتِي

عقيلة ود لم تُشْنِها يد اللمس
عطر ثنا عَرَفَ روض الربى يَنْبَس
حباك بها الرحمن ذو العرش والكرسي
فحيُّ على البدر والشمس
وفازت بتحصيل المسرة والأنس
ورُوحِي وريحاني وقُضِي مَنِي نَفْسِي

إقتضبتها أعلى الله قدرك ، كما أسنى في سماء المعارف والأدب التالد
والطارف بَدْرِك ، عن ود ملك زمامي ، وفضل في سبيل المنافسة في خطبة
ودادك غاية اهتامي ، وقد تقرر لدى من محاسنك وإحسانك بالسماع ما
أوجب علي مخاطبتك عند تعذر المشافهة بالأسنة اليراع ، فانعدت بزمام
ذلك الواجب ، وقصدت أداءه على أصح المذاهب ، راجياً من تجاوزك وإغضاميك
ما يليق بباهر علايك ، وفي جوابك هو الشفاء ، ولدى خطابك يلقي الاعتناء
والاحتفاء ، والله يطلع منك السار ، ويصل لك المبار . وقال يخاطب السلطان :

إلى الحضرة العليا يستبق العبد
إلى حضرة الولي الإيمارية التي
وفيها وجود للدين والدُّنَا
وفي القرب منها والدتو هو القصد
تبلِّح فيها العدل وابتسم السعد
وقد خصَّها بالرحمة الصمد الفرد

وفاته : كان حياً في سنة خمس وستماية

علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني^(١)

(١) ورد في هامش المخطوط (لوحة ٣٢٧) تعليقا على هذه الترجمة ما يأتي : « قلت وستأني قريباً بعد سبعة تراجم ، ترجمة علي بن أحمد الغساني شارح مسلم ، واسمه كاسم هذا المترجم به هنا وكذا اسم أبيه وجده وأبي جد جده . ويوافقه أيضاً في النسب والبلد والكنية والشيوخ والتوالييف . ولا أظنهما إلا شخصاً واحداً ، بل ربما يكاد أن يقطع بذلك . فتأمل ذلك والعلم عند الله . وقد ذكرهما ابن فرحون في « الديباج » شخصين ، وعرفهما كما فعل ابن الخطيب . فتأمل ذلك والعلم عند الله . وكتب أحمد ابن أحمد بن حمد بن عمر المسنوي الأنصاري . وغنم الله تعالى له ولوالده بالخير والحسن . »

من أهل قرية أرينتيرة من قرى سند مدينة وادي آش ، يكنى أبا الحسن

حاله

كان من جلة الطلبة ونيهاتهم وأذكيائهم وصلحائهم . عنده معرفة بالفقة ، ومشاركة في الحديث ، ومعرفة بالنحو والأدب . وحسن نظم ونثر ، من أحسن الناس نظماً للوثائق ، وأتقنهم لها . وأعرفهم بنقدها ، وأقصدتهم لمعانيها يستعين على ذلك بأدب وكتابة ، فيأتي بأشياء عجيبة .

مشيخته

روى عن الراوية أبي العباس الخروبي . والمقرى أبي الحسن طاهر بن يوسف بن فتح الأنصاري . والقاضي أبي محمد بن عبد الرحيم الخزرجي

تواليافه

ألف كتاباً في شرح المُسند الصحيح لمسلم بن الحجاج في أسفار كثيرة ، أجاد فيها كل الإجابة . وله كتاب سماه بالوسيلة في الأسماء الحسنی . ونظم في شمایل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

شعره

له شعر في الزهد وغيره فمنه قوله :

أيا كريما لم يضع	لديك عبد أملك
بالباب من أنت له	وود أن لو كان لك
عبد له أسولة	وليستحي أن يسلك
أفواههم تسله	ولم تحسن عملك
فإن أنت خنته	أمانة قد حملك
ولم تكن تشكرما	من فضله قد خولك

وكلما أهملته من حقه ما أهملك
 إنا كما قالوا سوى أنك أعلى من ملك
 تلك التي تؤنسنى وترتجى بفضلك
 بشرى إن نال الرضا بها تؤسلك

على بن محمد على بن هيضم الرعيني

من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحسن .

حاله

الكاتب البليغ المحدث الراوية . قال الأستاذ ، كان من أهل العلم والمشاركة ، وغلبت عليه الكتابة السلطانية . واعتمدها صناعة . وكتب لجلّة من ملوك الأندلس والعُدوة . وكان انفصاله من الأندلس قبل سنة أربعين وستماية .

قلت ، وكتب للسلطان المتوكل على الله أبي عبد الله بن هود ، ثم للسلطان المتوكل الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر . وسكن بقرناطة مدة (١) مديدة . ثم رحل إلى مراکش . فكتب عن أمير سبتة ، وعن ملوك الموحدين بمراكش . ونمت حاله ونبّهت رتبته ، واستقل بالإنشاء ، بعد شيخة أبي زيد الفازازي ، وكان محدثا عارفا بالراوية ، متعدد المشيخة . فاضلا ، دينيا . مشارك في كثير من المعارف . حسن الخط . جيد الكتابة . متوسط الشعر . قلت هذا الرجل له مشيخة في أصل ابن الخطيب طويلة اختصرتها (٢) .

(١) أضفنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٢) هذا مثل من إشارات المختصر إلى طريقة اختصاراته ، فهو في معظم الأحيان يختصر « المشيخة » أو يغفلها بتاتا .

شعره ونثره

من ذلك ما جمع فيه بين النظم والنثر :

وافى الكتاب وقد تقلد جيده ما أنت تحسن نظمه وتجيده
من كل معنى ضمن لفظه في حلى خطٌ يزيل طلى الطروس فريده
أبا المظرف دعوة من خالص لعلاك غابت وده وشهيدته
أنت الوحيد بلاغة وبراعة ولك البيان طريفه وتليده
فانشر أنت بديعه وعماده وانظم أنت حبيبه ووليده

إيه أيها السيد الذي جلّت سيادته ، وحلّت صميم الفؤاد سعادته ،
ودامت بها ينفع الناس عادته . ألقى إلى كتاب كريم ، خطته تلك اليمنى
التي اليمن فيها تخطه . ونسقت جواهر بيانه ، التي راق بها سبطه ، فلا تسلوا
عن ابتهاجى بأعاجيبه ، وانتهاجى لأساليبه ، وشدة كلنى بالتماح وسيمه ،
وجدة شغفى باسترواح نسيمه . فإنه قدم ، وأنس النفس راحل ، واستعاده
وروض الفكر ماحل ، فجاده ، لاجرم أنه بما حوى من حدق النوى ، وروى
من طرق الهوى ، وبكى الربيع المحيل ، وشكى من صابح الرحيل ،
هيج لواعج الأشواق وأثارها ، وحرك للنفس حوارها ، فحنت ، واستوهبت
العين مدارها فما ضنت . فجاشت لوعة أسكنت ، وتلاشت سلوة عننت ،
وكف دمع كف ، وثقل عدل خف ، واشتد الحنين ، وامتد الأنين ،
وعلا النحيب ، وعرا الوجيب ، والتقى الصب والحين ، وهدى المحب
قدر ما جناه البين ، وطالما أعمل في احتمال المشاق عزيزه ، وشد لاجتياب
الآفاق حيازيمه .

وادع مشوى المقام معتزما لا يرى الغرام ملتزما

وأزعم البابين عن أحبته
وما درى أنه بعزمته
وهل جرى ذاك في تصوره
إلهى ألا نوى مشيئته
وعاذلٌ قال لي يعنتني
ما حيلة في يدي فأعملها
والبين عن داره التي ربما
أشعل البين في الحشى ضرما
فربما أحدث الهوى لمما
شَمَلا من العيش كان منتظما
لا تبد فيما فعلته ندما
عدلٌ من الله كلُّ ما حكما

أما أن القلب لو فهم حقيقة البين قبل وقوعه وعلم قدر ما يشب
من الرُّوع في روعه ، لبالغ في اجتنابه ، واعتقد المَعْفَى عنه من قبيل
المُعْتَنَى به . ولحا الله الأطماع ، فإنها تستدرج المرء وتغرُّه ، وتُغْرِيه بما
يسرُّه . ما زالت تقتل في الغارب والذُّرَّة ، وتخيل بالترغيب والثروة ،
حتى أنات عن الأحباب والحبايب ، ورمت بالغريب أقصى المغارب .
فبالوَحْشة أَلَوَتْ بإيناسة ، وبالغربة أحلت في غير وطنه وناسه ، ويا عجبا
للأيام وإسائتها ، وقرب مسرَّتها من مساتها ، كأنها لم تُتَحَفْ بوصول ،
ولم تُسَعَفْ باتصال ، ولم تمتع بشباب ، ولم تفتح لقضاء أوطار النفس
كل باب .

عجبا للزمان عَقَّ وعاقا
أين أيامه وأين لِيال
كم نعمنا بظلمها فكأننا
كم بغرناطة وحمص وصلنا
وفي رُبِّي نجد تلك أو نهر هدى
في رياض راقَت وراق ولكن
رقَّ فيها النسيم فهو نسيب
وعدِمنا مسرة ووفساقا
كِلال تَلالُؤاً واتساقا
مرقها للصبأ علينا رماقا
باصطباح من السرور اغتباقا
والأمانى تجرى إلينا استباقا
حين زدّ الحيا لها فأراقا
قد سبأ رقة نفوسا رفاقا

وثنا للغصون منها قدودا تتلاقى تصافحاً واعتناقا
 كلما هبَّ من صباه عليل وتداوى بها العليل أفاقا
 حكم السَّعد للأحبة فيه بكووس الوصال أن تنساقا
 ثم كرت للدهر عادة سوء شق فيها خطبُ النوى حين شاقا
 شئت الشمل بعد طول اجتماع وسقى الفراق كأساً دهاقا
 وأعاد الأوطان قفراً ولكن قد أعاد القِطان فيها الرفاقا
 ليت شعري والعيش تطوى بالفيافي أشاماً تبوؤا أم عسراقا
 يا حُداة القلوب رفقا بصب بلغت نفسه السياق اشتياقا
 فآه من شجوة وآه لبين ألزم النفس لوعة واحتراقا
 هذه يا سيدي استراحة من فؤاد ، وقَدته الفرقة والقطيعة ، واستباحته
 لُحْمى الوقار بما لم تحظره الشريعة ، فقدِما تُشوكيت الأحزان ، وتُبوكيت
 الأوطان ، وحنّ المشتاق ، وكنّ له من الوجد ما لا يطاق ، فاستوقف الركب
 يشكو البلايل ، واستوكف السحب لسُقيا المنازل ، وفدى الربع وإن زاده
 كربا ، ومن له إن يلمّ لائماً له تُربا . حسبه دموع تفيض مجاريها ، ونجوم
 يسامرها ويسايرها .

أَلِف السهاد فشأنه إدمانه واستغرقت أحيانه أشجانه
 وشكا جفا الطيف إذ لم يآته هل ممكن من لم ينم إتيانه
 واستعبدته صباية وكذا الهوى فى حكم أحراره عِبدانه
 كم رام كتمان المحبة جهده ودموعه يبدو بها كتمانهُ
 وإذا المحب طوى حديث غرامه كبى الضلوع وشت به أجفانه
 وهى طويلة .

وفاته : بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من رمضان

سنة ستة وستين وستماية . ودفن عقب ظهره ، بجبانة الشيوخ مقاربا باب السادة أحد أبواب قصر مراکش . وكان الحفل في جنازته عظيما . لم يتخلف كبير أحد .

على بن محمد بن علي بن البنا

من أهل وادي آش يكنى أبا الحسن .

حاله

من « الإكليل الزاهر » ، قال فيه ، فاضل يروك وقاره ، وصقرٌ بعد مطاره . قدم من بلده وادي آش يروم اللحاق بكتاب الإنشاء ، وتوسل بنظم أنيق ، وأدب في نسب الإجابة عريق ، تُعرب براعته عن لسان ذليق ، وطبع طليق ، وذكاء بالأثرة خليق ، وبيننا هو يلحم في ذلك الغرض ويسدى ، ويعيد ويبدي ، وقد كادت وسايله أن تنجح ، وليلة رجايه أن تصبح ، اغتاله الحمام ، وخانته الأيام ، والبقاء لله والدوام .

شعره

من شعره يخاطبني لما تقلدت الكتابة العليا :

هو العُلا جرى باليمن طائره	فكان منك على الآمال ناصره
ولو جرى بك ممتدا إلى أمل	لأعجز الشمس ما أمت عساكره
لقد حباه منيع العز خسالقه	بفاضل منك لا تُحصى مآثره
فليزه فخرا فما خلق يُعارضه	ولا علا مدى الدنيا يُفاخره
لله أوصافك الحسنى لقد عجزت	من كل ذي لسن عنها خواطره
هيهات ليس عجيبا عجز ذي لسن	عن وصف بحر رمى بالدر زاخره

هل أنت إلا الخطيب ابن الخطيب
 فإن يقصُر عن الأوصاف ذو أدب
 يا بن الكرام الألى ما شبَّ طفلهم
 مهلا عليك فما العليا قافية
 ولا المكارم طرساً أنت راقمه
 ماذا على سابق يُسرى على سنن
 مير حيث شيت من العليا سيلاً
 أنت الإمام لأهل الفخر إن فخرُوا
 ما بعد ما خُزته من عزة وعُلاً
 نادت بك الدولة الشعري محتدها
 حلية لما برد البر مرتديا
 فالملك يرقل في أبراده مرحا
 فأضاء بها نعمة ما أن يقوم فيها
 وليهننا أنه ألقى مقالدها
 فإنه بدر تم في مطالعها

ومن زانت حلى الدين والدنيا مفاخره
 فما بدا منك في التقصير عاذره
 إلا وللمجد قد شدت مآزره
 ولا العلا بسجع أنت نائره
 ولا المناقب طيباً أنت ماهره
 إن كان من نفعه خل يسايره
 فما أمامك سابق تحاذره
 أنت الجواد الذي عزت مفاخره
 شاو يطارد فيه المجد كابره
 نداء مُستجد أزرأ يسوازره
 وصبح يملك فجر السعد ساجره
 قد عمّت الأرض إشراقاً بشايره
 من اللسان ببعض الحق شاكره
 إلى سرى زكت منه عناصره
 قد طبق الأرض بالأنوار نايره

ومن أطبع ما هز به إلى إقامة سوقه ، ورعى حقوقه ، قوله :

يا معدن الفضل موروثاً ومكتسباً
 بباب مجدكم الأسمى أخو أدب
 ذلّ الزمان له طورا فبلّغه
 ولآن أركبه من كل نايبة
 فحملته دواعى حبكم وكفى
 فهل سرى نسمة من جاهكم

فكل مجد إلى عليائها انتسباً
 مستصرخ بكم يستنجد الأدبا
 من بعض آماله بعض الذى طلبا
 صعب الأعنة لا يألو به نصبا
 بذاك شافع صدق يبلّغ الأربا
 فيها خليفة الله فينا يطر الذهبا

وأهدى إلى قباقيب خشب برسمى ومعها من جنسها صغار للأولاد من

مدينة وادي آش من خشب الجوز وكتب لي معها :

هاكها ضمراً مطايا حسانا	نشأت في الرياض قُضبا لُدانا
وثوت بين روضة وغدير	مُرُضعات من النَّمير لِيانا
ثم لما أراد إكرامها الله	وسنى لها المنى والأمانا
قصدتُ بابك العليُّ ابتدارا	ورجت في قبولك الإحسانا
قد قبلنا جياذك اللهم لما	لما أن بلونا منها العتاقِ الحسانا
أقبلت خلف كل حجر ببيع	خلعت وصفها عليه عيانا
فقبلنا برعيها وفسحنا في	ديار العلي لها ميدانا
وأردنا امتطأها فأفخذنا	من شراك الأديم فيها عنانا
قدمت قبلها كتيبة سحر	من كتاب سبت به الأذهانا
مثما تجنب الجيوش المذاكي	عُدَّة للقاء مهما كانا
لم ترق مُقلتي ولا رق قلبي	كحلاها براعة وبيانا
من يكن مُهديا فمثلك يُهدى	لم أجد للثنا عليك لسانا

وفاته : توفي في الرابع لشعبان من عام خمسين وسبعماية مُعتبطاً في الطاعون لم يبلغ الثلاثين .

علي بن محمد بن علي العبدري

سكن غرناطة ، يكنى أبا الحسن ويعرف بالوراد ، ويشهر أبوه باليربوني .

حاله

بقية مُسنِّي أدباء الأندلس في فن الهزل والمُعرب ، والهزل متولى

شهرته ، وله القِدْحُ المَعْلَى فيه ، والطريقة المثلى ، ظريف المأخذ ، نبيل الأغراض ، حافظ للعيون ، مال بآخرة إلى النُّسك ، وصحبة الصالحين . ولم يزل بحاله الموصوفة إلى أن استولت عليه الكِبَرَة ، وظرفه يتألق خلال النسك . وجرى ذكره في « الإكليل الزاهر » بما نصه : أديب نار ذكايه كأنه يتوقّد ، وأريبٌ لا يُعترض كلامه ولا يُنقد . أما الهزل فطريقته المثلى ، التي ركض في ميدانها وجَلَى ، وطلع في أفقها وتجلّى ، فأصبح عَلَمٌ أعلامها ، وعابر أحلامها . إن أخذ بها في وصف الكاس ، وذكر الورد والآس ، وألمّ بالربيع وفصله ، والحبيب ووصله ، والروض وطيبه ، والغمام وتقطيبه . شقّ الجيوب طربا ، وعلّ النفوس إربا وضربا . وأن اشفق لاعتلال العشية ، في فرش الربيع الموشية ، ثم تعداها إلى وصف الصُّبوح ، وأجهز على الرق المجروح ، وأشار إلى نغمات اليورق يرفلن في الحلل الزُّرق ، وقد اشتعلت الليل نار البرق ، وطلعت بنور الصباح في شرفات الشرق ، سلب الحليم وقاره ، وذكر المخلّيع كأسه وعقاره ، بلسان يتزاحم على مورده الخيال ، ويتدفق من حافاته الأدب السيال ، وبيان يقيم أود المعاني ، ويشيده صانع اللفظ محكمة المباني ، ويكسو حُلل الإحسان جُوم المثالث والمثاني ، إلى نادرة لمثلها يشار ، ومحاضرة يجنى بها الشهد ويُسار .

وقد أثبت من شعره المُعرب . وإن كان لا يتعاطاه الإقليم ، ولا يجاوره الإقليم ، أبياتا لا تخلو من مشحة جمال على صفحاتها ، وهبة طيب ينم في نفعاتها .
فمن ذلك قوله :

يذكرني حُسن الكواعب روضة لها خطر قيد النواظر مُسَوِّق

من النرجس السامى اليها تحديق
وما شقها من جدول الماء مفرق

خدود من الورد النضير وأعين
وخامات زرع يانع كذؤاب
ومن شعره قوله :

أمطت الخبز عن بدر التمام
كحيل ما يفيق من المنام
عن الجفن الكحل بالظلام

أسافرة النقاب سُحرتُ لما
وتيمت الفؤاد بغنج طرف
لعمر أبيك ما بالنوم بعد

ومن معانيه المخترعة وأغراضه المبتدعة . وكلها كذلك :

عنى بمُنْهَمِر كالغيث هتان
إن غبتم غبت فى أمواه أجفان
متى استوى عندكم سرُّ وعلان

مالى إذا غبتم تهى لفرقتكم
أشبهت نيلوفرأ والشمس بهجتكم
السقم يشهد لى والدمع برح بى

وقال من المستحسن الذى رمى فأصاب ، واستمطر طبعه فصاب :

وعن قهوة تصبو لها وتنيب
على صُبح شيبى فالصبح عجيب

بقولون لاح الشيب فاله عن الصبا
فقلت دعونى نصطحبها سلافة

وقال كذلك :

ومن اللبيب يُعد فى الفقراء
وأخو البلاده طبعه كالماء
لشبيهة بطبائع الفطناء

لا تعجبين من اليكيد مخولا
الماء أصل الخصب غير مدافع
والنار مؤثرة الجُدوب وإنها

ومن قصائده الغربية :

فتصرمت دونى حبالُ وصاله
إن العذار لشيبة لجماله

ومُعذّر لحظ المشيب بعارضى
هلاً ثنته نسبة لمجبه

وقال أيضا :

وإن حدثت لا تنقل حديثاً

تحر الصدق إن حدثت يوماً

وكن للسرِّ صَوَانًا كَتَمُوا
وقال مما يكتب في غِمْدِ سيف :

لئن راق مني مَنظَرُ بان حُسْنِه
كان أديمي رُقعة من حديقة

وقال مما يكتب على قوس :

إن كان من وتر الألحان مُنبَعثًا
فإنَّ حُزْنَ العدا ما نال منبَعثًا

وقال في غير هذا الغرض :

الخير كل الخير في سِتَّةٍ لم
الحزم والحلم وحمل الأذى

ومما نختتم به محاسنه قوله :

ألا إنَّ باب الله ليس بمُغْلَقٍ
ولكن بُلِينًا في سلوك طريقه
فمن يَرْمُ بالدنيا إليه كلُّقمة
فخلَّ عن الدنيا ودَعَّ عنك حبيها

وقوله :

أيقنت أن جميع الخلق ليس له
فلا أخاف ولا أرجو مدى عمري

وربما كان سرُّك أو حديثاً

لقد سامني بالمهنَّد باطن
تلقفها صلِّ لدى الروض كامن

سرور قوم مدى الآصال والبُكرُ
منِّي وحينهم في النُّقر في وتر

تُلَفَ إلا في كرام الرجال
والصبر والصُّمت وصدق المقال

ولا دونه من مانع لموفِّق
بكلِّب من الشيطان ليس بمُطْرَق
فذاك الذي من شرِّه ليس يُتَّق
يَدْعُك إلى أوج السعادة ترتق

شبيء من الأمر في شبيء فيصنعه
الأ الذي في يديه الخلق أجمعه

مولده : بمدينة مالقة في اليوم الثالث والعشرين لذي حجة من عام أحد

وثمانين وستماية

وفاته : في أحواز أحد وستين وسبعماية

على بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري

يكنى أبا الحسن ، سرقسطى الأصل ، غرناطى الاستيطان والاستعمال .

حاله

كان وزيراً جليلاً ، معظّم القدر . مبجلاً أثيراً ، ذا معارف جمّة ، أحد كتاب الزمن ، وأهل البلاغة والفصاحة والكرم . وزر للأمير أبى الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين ، صاحب غرناطة فحمدت وزارته ، وكتب للأمير على بن يوسف . وروى عن شيوخ غرناطة .

أخباره فى الجود والجلالة

قال أبو القاسم ، شكى إليه بعض إخوانه من حادث طرّقه ، وأن النفاق أخرجته من بلده ، وحال بينه وبين بلده ، فأنزله أكرم منزل وخرج إلى المسجد الجامع ، وأشهد على نفسه أنه وهبه الربع من أملاكه ، وكتب بذلك عقداً ودفعه إليه ، وقال يا أخى إن ذلك سيصلح من حالك ، وحالى لا يتسع لأكثر من هذا ، فاعذر أخاك . وكان الذى وهبه يساوى فوق الألف دينار مرابطية ، فرحم الله الوزير أبا الحسن : فلقد كان نادرة الزمن .

شعره

من ذلك قوله :

ياليت شعرى والأمانى كلّها زور يغرك أو سراب يلمع
فى كل يوم منزل لأجبة كالظل يلبس للقيل ويخلع

ومن ذلك قوله :

تسموا بالمعارف والمعالي فليس المجد بالرحم البوال

وإن فاتا فبالبيض المواضي وبالسمر المثقفة العسوال
 وإذا المرء تنهضه هذى فليس بنا هضس أخرى الليال
 ومن أسمته أسباب سواها فرفعتها تؤل إلى سفال

ومن المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

على بن ابراهيم بن على بن ابراهيم الجذامى

القاضى المتفنن الحافظ ، من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن .

حاله

من الصلّة ، كان عدّلا فاضلا جليلا ، ضابطا لما رواة ، فقيها حافظا ،
 حسن التقييد .

توالياه : قال اختصر كتاب « الاستذكار » لأبى عمر بن عبد البر .
 وغير ذلك .

مشيخته

روى عن أبى محمد عبد الحق بن بونه ، والقاضى أبى عبد الله بن زرقون ،
 وأبى القاسم بن حُبَيْش ، وأبى خالد بن رفاعة ، وأبى محمد بن عبيد الله ،
 وأبى زيد السُهَيْلى ، وأبى عبد الله بن الفخار ، وأبى الوليد بن رشد .
 مولده : ضحوة يوم الأضحى من عام خمسة وخمسين وخمسمائة .
 وتوفى قريب الظهر من يوم الأربعاء التاسع عشر لذى حجة من عام اثنين
 وثلاثين وستماية .

من روى عنه . روى عنه القاضى أبو على بن أبى الأحوص .

علي^(١) بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى
من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن النفذى .

حاله

قال أبو القاسم الغافقى ، فقيه مُشاور بغرناطة ، محدث متكلم .

مشيخته

أخذ عن أبي الحسن شريح ، وعن الإمام أبي الحسن على بن أحمد بن
الباذش ، وعن أبي القاسم بن ورد ، وعن القاضى أبي الفضل عياض بن
موسى ، وعن الإمام أبي عبد الله المازرى ، وعن أبي الطاهر السلفى ، وعن أبي
مروان بن مسرة ، وأبي محمد بن سِمَاك القاضى ، وعلى بن عبد الرحمن
ابن سمحون القاضى ، والقاضى أبي محمد بن عطية ، والمشاور أبي القاسم
عبد الرحيم بن محمد ، والقاضى أبي القاسم بن أبي جمرة ، وجماعة يطول
ذكرهم .

توالياه

وله توالياه فى أنواع من العلم ، منها كتاب «نزهة الأصفياء وسلوة
الأولياء فى فضل الصلاة على خاتم الرسل وصفوة الأنبياء» إثنى عشر
جزءاً ، وكتاب «زواهر الأنوار وبواهر ذوى البصائر والاستبصار فى
شمايل النبي المختار» ، سفران كبيران ، وكتاب «منهج السداد فى شرح
الإرشاد» ثلاثون جزءاً ، وكتاب «مدارك الحقائق فى أصول الفقه»
خمسة عشر جزءاً ، وكتاب «تحقيق القصد السننى فى معرفة الصمد العلى»
سفر ، وكتاب «نتائج الأفكار فى إيضاح ما يتعلق بمسئلة الأقوال من

(١) وردت فى الإسكوريال (محمد) ، وهو فيما يبدو تحريف من الناسخ لأن القائمة سائرة
باسم (على) من قبل ، ومن بعد ، ويؤيد ذلك كنيته وهى (أبو الحسن) .

الغوامض والأسرار» سفر ، وكتاب «تنبيه المتعلمين على المقدمات والفصول وشرح المهمات منها والأصول» سفر ، وكتاب السباعيات ، وكتاب «تبيين مسالك العلماء في مدارك الأسماء» ، وكتاب «رسائل الأبرار . وذخائر أهل الحظوة والإيثار في انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار والآثار» سفران اثنان ، وكتاب «الإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام» سفران .

وفاته

توفي في الكاينة بغرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة . خرج منها يريد وادي آش ، فلم يصل إليها ، وفقد فلم يوقع له على خبر .

علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن زكريا .

أوليته : قدم في ذكر أبيه وعمه .

حاله

هذا الرجل فاضل ، سكون ، من أهل السداجة والسلامة ، والعفاف والصيانة ، معم مخول في الخير . طاهر النشأة . جانح للعدالة . قعد للعلاج ، وبرز في صناعة الطب ، على فتاً من سنه ، واستيم إليه بهم من نبيه العمل وخطته ، متصف بالإجادة والبيان .

مشيخته

قرأ العربية والفقه وغيرهما من المبادئ على مشيخة وقته . والطب على الوزير أبي يزيد خالد بن خالد من أهل غرناطة . وقعد معه .

شعره

ينتحل من الشعر ما عينه في الشُّرود أو غير ذلك فراره كقوله :
 صعدت نار فؤادي أدمعي
 فلذا ما جفَّ قلبي فأنفطر
 لو أباح الله لي وصلك
 الأنبل صدع القلب مني وانخبر
 أصل داني منك لحظُّ فاتر
 وأشدَّ اللَّحظ ما ما فتَّر
 كيف أرجو منه برأ وعُدت
 قهوة الحُسن تسقيه دُرر
 فانظر قوله ، الأنبل من شعره :

ولي همة من دونها كل همة
 أموت بها عطشان أو يخلص الشُّرب
 يعز على الكريم ورود ماء
 يكدره شوب ويطرقه نهب
 وإني وأن أضحي لو ذك موضع
 من القلب أضحي دون موضعه الخلب
 فتمنعي نفسي لايمان أرواحهم
 على شرب يونقه قشب
 غفر الله له على قشب ، وتجاوز عنه ، فلقد دفع منه فضحها .
 وهو بحاله الموصوفة

ومن الطارئين والغرباء

علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد الخشني

من أهل مالقة ، من قرية يعشيش من عمل ملتماس ، من شرقيها
 يكنى أبا الحسن . ودخل غرناطة ومدح أمراءها وتردد إليها .

حاله

من « عايد الصلة » : من صدور أهل الدين والفضل ، والخير والصلاح
 والنزاهة ، والاقتصاد والانقباض ، تحرف بصناعة التوثيق بمالقة ،
 جاريا على شاكلة مثله من الاقتصاد ، والتبليغ باليسير ، ومصابرة الحاجة ،
 مكيباً على المطالعة والنظر ، مجانبا للناس ، بعيدا عن الرِّيب ، مؤثرا

للزهد في الدنيا . وُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم من قسبة مالقة في عام وفاته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الصالح الخطيب أبي جعفر بن الزيات ، والأستاذ المقرئ رحلة الوقت أبي عبد الله بن الكماد .

شعره

وشعره آخذ بطرف من الإجابة في بعض المقاصد ، فمن ذلك قوله :

أرى لك في الهوى نظراً مُريباً كأن عليك عاذلاً أو رقيباً
ولست بخائف في الحب شيئاً على نفسي مخافتى المشيبا
يريني كل ما تهواه نفسي قبيحاً مالياً عني عيبا
أنا منه ابن قيس لا يراح فذُق مرَّ التأسف مستطيبا
إذا ما كنت تبكي فقد حبُّ فما مثل الشباب به حيبا

وقال في مذهب المدح من المطولات :

الآن تطلب وُدَّها ووصالها من بعد ما شغلت بهجرك بالها
وقد استحالت فيك سِما الصبا حالاً يروع مثلها أمثالها
وأنتيتها متلبسا بروابع نكرٍ بفؤدك أصبحت عُدَّالها
بيضٌ تخيلَ للنفوس نصولها سُمراً تخولُ للنحور نصالها
مثل الأفاعى الرُّقَط تنفُث في الحشا وأرى بفؤدك جنماً أطلها
نار تُضرم في الفؤاد حريقها لكن تُنير بمفريقك ذبالها
جزعت لهذا الشيب نفسي وهي مازالت تهون كل صعب نالها
ولكم صدعتُ بنافذ من عزمي هما لا يهدي العليم ضلالها
صادمت من كَرَب الدنا أشتاتها ما خفت غرْبَتها ولا إقلالها

عنى فلى نَفْسُ تَمُدُّ ظلالها
 عرضت عليه النفس قط سؤالها
 والأسد غير مُجَنَّبٍ أغيالها
 مرًا يطير عن الجياد نسالها
 وتسىءُ فيَّ على عملي أقوالها
 مرَّت على نجدٍ تهزُّ جبالها
 يَرْضَى الحكيم غرامها وخبالها
 والبدر في ليل التمام كمالها
 من حَلِيها وهلالها خلخالها
 ترعى بناظر كالكحيل غرامها
 عَبَّراتها يوم الوداع وصالها
 حطَّت به شهب السما أثقالها
 نصًّا ويضرى في العلى أمثالها
 وجنا تدوى في الدجى إعمالها

ولئن تقلَّص عسرتي فيء الغنا
 ما مزقت ديباجتي غير امرئ
 ألقى الليالى غير هبُّ صرْفها
 أمشى الهوينا والعداة تمر في
 علَّمت لي الخلقَ الجميل محققا
 تبغى انثناءً وهل سمعت بنسمة
 ولربما عرضت لعيني نظرة
 من غادةٍ سرق الصباح بهاءها
 تهوى المجرَّة أن تكون نجومها
 عرضت كما مرَّت بعينك مُظفل
 ما نهنت نفسي وإن ضمَّنت لها
 من كان يأمل أن يقوم بجلس
 معا أحاديث السُّراة أولى النُّها
 ألقى هواه جانباً وسرى به

ومنها في المدح :

أضفت على أسرايه ذلذالها
 حين شكت لكم عذالها
 في الغرْبَتين ومنتهم إنزالها
 وأوت إلى نصر لينصر أليها
 دون الأنام وقودها وسكالها
 بخلافة الله انتى يُعنى لها
 آى الكتاب فمن يردُّ مقالها

ألبست دين الله حلةً أمن
 أنتم بنى نصر نصرتم ملَّة الإسلام
 كنتم لها أهلا ورحبتم بها
 نزلت على سعد ليسعد جدُّها
 أحرزتم يوم السَّقيفة عودها
 لكن حبوتهم من أجرتم منة
 إذ تؤثرون سواكم قالت بذا

حتى إذا عثرت ولم ينهض بها
 أَوَيْتُمْ خَيْرَ البِسرِيةِ كلها
 من ألبس الشرف الرفيع وضيعها
 من أم في السبع العلى أملاكها
 من أنقذ الغرقى وقد شمل الردى
 من فاضت الخيرات من تلقاياه
 من فجر العين الفرات بكفه
 من لا يقاس بالرياح إذا سرت
 معنى وجود الكون علة كونه
 دامت صلاة الله ديمة عارض
 لما تحققت النبوة أنها قد
 وتفاعست عن منعها أعمامها
 فوثبتم مثل الليوث لنصرها
 وأدرتم منها زبونا أصبحت
 بدر وما بدر وردم قلبها
 ولكم بأوطاس وقد حوى الوطيس
 فنزعتهم أزواجها وسببتهم أولادها
 وذهبتهم بالمصطفى لدياركم
 فزتم به فوز المعلى منحة
 يا أيها الملك الذى من ملكه
 ما زال حزبك منهم يعلو على
 حتى حللت من المجادة ذروة

إلاكم بادرتم إنشالها
 ومغيثها ونجاتها وئمالها
 وكسا معصفرة الحجج جبالها
 جبريلها فى الغرب أو ميكالها
 هذا الأنام خيارها وحشالها
 كالصبح فاض على الدجى فأزالها
 يرو الورى ورد القطا سلسالها
 نشرا تقل من السحاب ثقالها
 نفس الحياة منفسا أهوالها
 يهمنى عليه ندى الدنا هطالها
 زلزلت منها الورى زلزالها
 أمت أئمة نصرها أحوالها
 والحرب تُجنب خلفها أشبالها
 ترمى رؤوس الملحدين ثقالها
 بجنادل الطاغوت تملأ جبالها
 على العدا يوم أطاح بحالها
 فنزعتهم أزواجها وسببتهم أولادها
 وحيًا سواكم ساقها وجمالها
 أحرزتم دون الأنام منالها
 جنت الملوك جمالها وجلالها
 مر الدهور ويغتنى أجبالها
 ما حل غيرك فى المجادة حالها

تحمى الهدى تهى الندى تولى
 قعدت شريعته بيمنك ليس من
 ياسيد السادات ياملك الملوك
 يابدرها يابحرها أو غيها أو
 خذها كما دارت بكأس سلافها
 تشى على السحر المبين وشاحها
 لَمِيَاءُ تبرز للعيون كشاطر
 وقفت وذو إحسانها من هاشم
 يرجو رضاك وطالما أرضيتم
 كم من يد بيضا لدينا منكم
 آويستم واسيتم واليستم
 وهجرتم لوصلنا أعداءنا
 فصلوا أحياءنا ما استطعتم وصله
 الجدا وتقى الردى وتُرى العدا أوجالها
 كدر يُشين على العباد زُلالها
 وشمسها وصباحها وهلالها
 ليثها أو حُسنها وجمالها
 حوراء تمزج باللما جريالها
 وتدير من خمر الفتور جلالها
 والعقل يوجب حُكمه إجلالها
 من سبط خير العالمين حيالها
 آل النبي وكنتم أرسالها
 شكرنا له وأولياها فعالها
 اخللتمونا داركم وجلالها
 ووصلتم لصلاتنا أوصالها
 تعطوا من أجزاء الجزاء جزالها

وله تاليف غريب عكف عليه عمره في فضل مكة ، وكأنه يروم
 برهاننا على وجوب كونها بالموضع الذى هى به ، وفضله على سواه ، وتكلم
 على حروف اسمها ، من جهة تناسب أعداد الحروف ، مما الناظر فيه مُخبر
 فى نسبه إلى العرفان أو الهديان .

توفى بمالقة فى أخريات صفر من عام خمسين وسبعماية .

على بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر النسائي
 من أهل وادى آش ، وروى وتردد إلى غرناطة ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان فقيها حافظا ، يقظا ، حسن النظر ، أديبا ، شاعرا مجيدا ،
كاتبا بليغا ، فاضلا .

مشيخته

روى عن أبي اسحق بن عبد الرحيم القيسي ، وأبي الحسن طاهر
ابن يوسف ، وأبي العباس الخروبي . وأبي القاسم بن حَبِيش ، وأبي محمد
عبد المنعم بن الفرس الغرناطي ، ومحمد بن علي بن مَسْرَةَ .
وروى عنه ، أبو بكر بن عبد النور ، وأبو جعفر بن الدلال ،
وأبو عبد الله بن أحمد المذحجي ، وأبو سعيد الطراز ، وابن يوسف
وابن طارق ، وأبو علي الحسن بن سمعان ، وأبو القاسم بن الطيلسان .

توالياه

صنّف في شرح « الموطأ » مُصَنَّفًا سماه « نهج المسالك للتنفقه في مذهب
مالك » في عشرة مجلدات . وشرح صحيح مُسْلِمَ وسماه « اقتباس السراج
في شرح مسلم بن الحجاج » . وشرح تفريع ابن الجلاب ، وسماه
« الترصيع في شرح مسائل التفريع » . وصنّف في الآداب ، منظوماته
ورسايله ، وهي شهيرة ، شاهدة بتبريزه وتقدمه . وله نظم شمائل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، رسالة بديعة ، تشتمل على نظم ونثر ، بعث بها
إلى القبر الشريف . وله كتاب « الوسيلة إلى إصابة المعنى في أسماء
الله الحسنی » .

شعره

من شعره في « الوسيلة » ، وقد ضمّن كل قطعة أو قصيدة إسمًا من
أسماء الله تعالى ، فمنها قوله في اسم الله سبحانه :

قل الله نستفتح من أسمائه الحسنى
هو الله فاذعُ الله بالله تقترب
وآمله مضطرا وقف عند بابه
بباب إله أوسع الخلق رحمة
وقدم من الإخلاص ثم وسيلة
أمولاي هل للخلق غيرك مفضل
ببوابك مضطر شكاً منك فقره
وللفضل والمعروف منك عوايد
فمنها لك الإنعام دأبا خوالدا
وفاته : توفى شهيدا في ربيع الآخر سنة تسع وستماية^(١) .

علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف
طرطوشي ، سكن دانية ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن عز الناس .

حاله

كان عالما بالفقه ، حافظا لمسايله ، متقدما في علم الأصول ، ثاقب
الذهن ، ذكي الفؤاد ، بارع الاستنباط ، مسدد النظر ، متوقد الخاطر ،
فصيح العبارة ، ذا خط مروض .

(١) يبدو بمراجعة هذه الترجمة أن هناك ، حسبها لاحظ الناسخ في ترجمة (علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الفسائي) الواردة في لوحة 327 ، أن هناك شبا كبيرا بينها وبين الترجمة المشار إليها ، سواء في اسم المترجم له ، أو البلد أو المشيخة أو التأليف . بيد أن هناك في نفس الوقت بعض فروق ، أولا في الإسم ثم في التأليف . ومن جهة أخرى فإنه لم يرد في الترجمة الأولى ذكر لتاريخ المولد أو الوفاة ، حتى يمكن القطع بالتطابق بين الترجمتين .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر أسامه بن سليمان ، وسليمان بن محمد ابن خلف ، ويحيى بن عمر بن الفصيح .

دخوله غرناطة

قالوا ، واستخلصه الأمير أبو زكريا يحيى بن غانية^(١) أيام إمارته ببلنسية لمشهور معرفته ونباهته ، ثم سار معه إلى قرطبة ، ولازمه ، إلى أن توفي أبو زكريا بن غانية ، بغرناطة سنة ثلاث وأربعين . فانتقل إلى شرق الأندلس ، واستقر بدانية .

توالياه : وله مصنفات منها كتاب العزلة ، ومنها شرح معاني التحية . ولد بطرطوشة سنة ثمان وخمسمائة ، وتوفي بدانية . قتل مظلوما بإذن ابن سعد الأمير في رمضان سنة ست وستين وخمسمائة .

علي بن أبي جلا الكناسي

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان شيخا ذكيا ، طيب النفس ، مليح الحديث ، حافظا للمسائل الفقهية ، عارفا لها ، قاوما على كتاب المدونة ، تفقه بالشيخ أبي يوسف الجزولي ، وعليه اجتهد في مسائل الكتاب . وكان مضطلعا بمشكلاته . حسن الذاكرة ، مليح المجلس أنيسه ، كثير الحكايات ، إلا أنه كان يحكى غرايب شاهدها تملحا وأنسا ، فينمقها عليه الطلبة ، وربما تعدوا ذلك إلى الافتعال على وجه المزاح والمداعبة ، حتى لجمعوا من ذلك كثيرا

(١) سبق التعريف به (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٩٧ حاشية . والمجلد الثاني ص ٥٧١

حاشية) .

في جزء سموه «بالسُّلك المحلَّ في أخبار ابن أبي جَلَّ». فمن ذلك ما زعموا أنه حدِّث بأنه كانت له هرَّة ، فدخل البيت يوما ، فوجدها قد بليت أحد كفيها ، وجعلته في الدقيق حتى علق به ، ونصبتَه بإزاء كوة فأر في الجدار ورفعت اليد الأخرى لصيده ، فناداها باسمها ، فردت رأسها ، وجعلت أصبعها في فمها على هيئة المشير بالصمت . وأشبه ذلك كثير .
وفاته : في حدود ستة وأربعين وسبعماية .

علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالي

يكنى أبا الحسن .

حاله

كان شيخا جليلا ، فقيها ، عارفا ، نبیلا ، نبیها ، ذا مروءة كاملة ، وخلق حسن ، من بيت حَسْب وعلم ودين . قال أبو القاسم الملاحی ، حدثني صاحبنا الفقيه الخطيب أبو جعفر بن حسان ، قال كنت أجاوره في بعض أملاكی ، وكان له ملك يلا صقني ، أتمنى أن أكتسبه ، فينتظم لي به ما هو مفترق ، فوافقته ذات يوم في القرية ، فسألته المعاوضة به ، وخيرته في مواضع في أرضي ، فضحك مني ، وقال لي أنظر في ذلك إن شاء الله . ثم إنه وجَّه لي بعد ذلك بأيام يسيرة ، بعقد يتضمن البيع وقبض الثمن مني ، فخجلت منه ، وراودته في أخذ الثمن فأبى وقال لي هذا قليل في حقك ، وكان قد لقي شيوخا أخذ عنهم ، وكانت له كتب كثيرة .

وفاته : توفي بالمُنكَب صبح اليوم السادس من رمضان عام مئة

وتسعين وخمسمائة . ولست أحقق أهو القريب أو سلفه ، وعلى كلا التقديرين ، فالفضل حاصل .

على بن محمد بن عبد الحق الزويلى^(١)

يكنى أبا الحسن ، ويعرف بالصُّغَيْرِ ، بضم الصاد وفتح الغين والياء المشددة

حاله

من « المؤتمن »^(٢) . كان هذا الرجل قيما على التهذيب للبرادعي ، حفظا وتفقها ، يشارك في شيء من أصول الفقه ، يطرز بذلك مجالسه ، مُغْرَبًا به بين أقرانه من المدرسين في ذلك الوقت ، لخلوهم من تلك الطريقة بالجملة . حضرت^(٣) مجلس إقرايه ، وكان ربعة آدم اللون ، خفيف العارضين ، يلبس أحسن زى صنعة ، وأحسن ما فيه ليس بحسن . وكان يدرس بجامع الأصدع من داخل مدينة فاس ، ويحضر عليه نحو مائة نفس ، ويقعد على كرسى عال ليسمع البعيد والقريب ، على انخفاض كان في صوته ، حسن الإقراء ، وقورا فيه ، سَكُونًا ، مثبتًا ، صابرا على هجوم طلبية البربر ، وسوء طريقتهم في المناظرة والبحث ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته ، تَرِدُ عليه السؤالات

(١) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (المزروالي) . والأولى أرجح . وهي نسبة إلى قبيلة بني زروال البربرية .

(٢) سبق التعريف بهذا الكتاب (راجع المجلد الثالث من الإحاطة ص ١٩٥ حاشية) .

(٣) هذا القول مما يلفت النظر لأن المترجم له توفي حسبما ورد في آخر ترجمته سنة ٧١٩ هـ ، وقد ولد ابن الخطيب سنة ٧١٣ هـ ، ومن جهة أخرى فإنه لم يزر فاس لأول مرة إلا في سنة ٧٥٥ هـ ، في عهد السلطان أبي عنان ، ويحق لنا أن نتساءل كيف اتفق مع ذلك أن يحضر مجلس قراءة هذا الفقيه في فاس ، في هذا التاريخ المبكر .

من جميع بلاد المغرب ، فيحسن التوقيع على ذلك . على طريقة من الاختصار وترك فضول القول . وُلِّي القضاء بفاس . قدّمه أبو الربيع سلطان المغرب وأقام أوده ، وعضده ، فانطلقت يده على أهل الجاه ، وأقام الحق على الكبير والصغير ، وجرى من العدل على صراط مستقيم . ونُقِم عليه اتخاذ شمام يستنشق على الناس الخمر ، ويحق أن يُنتقد ذلك .

مشيخته

أخذ عن الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي وانتفع به ، وعليه كان اعتماده . وأخذ عن صهره أبي الحسن بن سليم ، وأبي عمران الجورماني ، وعن غيرهم . وقبّدت عنه بفاس على التهذيب وعلى رسالة أبي زيد ، فبدا عنه تلاميذه وأبرزوها تأليفاً كأبي سالم بن أبي يحيى .

وفاته

وفاته يوم الثلاثاء السادس لرمضان عام تسعة عشر وسبعماية ، ودخل غرناطة لما وصل رسولا على عهد مستقضية رحمهما الله .

علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن

يحيى بن عبد الله بن يحيى النافقي

سَبَق سارى الأصل ، انتقل منها أبوه سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، يكنى أبا الحسن ، ويُسَمَّر أهل بيته في سارة بنى يحيى .

حاله

من « التكملة » . كان محدثاً راوية مُكثراً ، عدلاً ثقة ، ناقداً ، ذا كرا للتواريخ وأيام الناس ، وأحوالهم وطبقاتهم ، قديماً وحديثاً ، شديد العناية بالعلم ، والرغبة فيه ، جاعلاً الخوض فيه ، مفيداً ومستفيداً ، ووظيفة

عمره ، جماعة للكتب ، منافساً فيها ، مغالياً في أثمانها ، وربما أعمل الرحلة في التماسها ، حتى اقتنى منها بالإبتىاع والإنتساخ كل علق نفيس . ثم انتقى منها جملة وافرة فحَبَّبها في مدرسته ، التي أحدثها بقرب باب القلصير ، أحد أبواب بحر سبته ، وعين لها من خيار أملاكه ، وجيّد رباعه ، وقفاً صالحاً . سالكا في ذلك طريقة أهل المشرق ، وقعد بها بعد إكمالها لتروية الحديث وإساعه ، في رجب خمس وثلاثين وستماية ، وأكثر الأخذ بها عنه ، واستمر على ذلك مدة . وكان سرى الهمة ، نزبه النفس ، كريم الطبع ، سَمحاً ، مؤثراً ، مُعانا على ما يصدر عنه من المآثر الجليلة ، ونبل الأهراس السنية ، بالجدة المتمكنة ، واليسار الواسع . وكان سنياً ، مُنافراً لأهل البدع ، مُحبا في العلم وطلابه ، سمحاً لهم بأعلاق كتبه ، قوى الرجاء في ذلك . ومما يؤثر عنه من النزاهة ، أنه لم يباشر قط دُنبراً ولا درهما ، إنما كان يباشر ذلك وكلاؤه اللابذون به .

مشيخته

روى عن أبوي الحسن أبيه والتجيبى ، وأبي الحسن بن عطية بن غازى ، وأبي عبد الله محمد بن عيسى ، وابن عبد الكريم ، وابن علي الكتاني ، وأبي إسحق الشُّقورى ، وأبوي بكر بن الفصيح ، ويحيى بن محمد بن خلف البوريني ، وأبي الحسن بن خروف النحوى ، وابن عُبيدس ، وابن جابر ، وابن جبُّير ، وابن زَرْقون ، وابن الصايغ ، وأبي بكر بن أبي رُكب ، وأبي سليمان بن حوط الله ، وأبي العباس القوراني ، وأبي القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم ، وأبي محمد الحجري وأكثر عنه ، وابن حوط الله ، وابن محمد بن عيسى التادلى ، وعبد العزيز بن زيدان ، ويشكر بن موسى ابن الغزلقى هؤلاء ، وأخذ عنهم بين سماع وقراءة ، وأكثرهم أجازته أو

كتب إليه مُجيزاً . ولم يلقه أبو جعفر بن مضاء ، وأبو الحسن بن القطان ونجبه ، وأبو عبد الله بن حماد ، وابن عبد الحق التلمساني ، وابن الفخار ، وأبو القاسم السهيلي ، وابن حبيش ، وأبو محمد عبد المنعم ابن الفرس . واستجاز بآخرة مكثراً من الاستفادة ، أبا العباس بن الرومية ، فأجاز له من إشبيلية .

من روى عنه : روى أبو بكر أحمد بن حميد القرطبي ، وأبو عبد الله الطنجالي ، وابن عياش ، وأبو العباس بن علي الماردي ، وأبو القاسم عبد الكريم بن عمران ، وأبو محمد عبد الحق بن حكيم . وحدث بالإجازة عنه ، أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي .

محنته ودخوله غرناطة

غربه أمير سبته اليانشتي الملقب بالواثق بالله^(١) . غاصاً به لجلالته وأهليته ، وكونه قد عرضت عليه فأبأها ، فدخل الأندلس في شعبان عام أحد وأربعين وستماية ، فنزل ألمرية وأقام بها إلى المحرم من سنة ثمان وأربعين ، وأخذ عنه بها عالم كثير . ثم انتقل إلى مالقة في صفر من هذه السنة ودخل غرناطة ، فأخذ عنه جميع طلبتها إلا النادر . قال الأستاذ أبو جعفر الزبير ، وقرأت إذ ذاك عليه ، وكان يروم من مالقة ، الرجوع إلى بلده ، ويحوم عليه ، فلم يقض له ذلك ، وأقام بها يؤخذ عنه العلم ، إلى أن أتته منيته .

مولده: بسبته يوم الخميس لخمس خلون من رمضان إحدى وسبعين وخمسماية .

(١) وردت في الاسكوريال (اليانشتي) وهو تحريف . وهو أبو العباس أحمد بن محمد اليانشتي أمير سبته وقد ولاه أهلها عليها سنة ٦٣٠ هـ ، وتسمى بالموفق بالله (وليس الواثق بالله) ، واستمر في حكمها حتى سنة ٦٣٥ هـ ، ثم خلعه أهلها ، وبايعوا للخليفة الموحد الرشيد .

وفاته : توفي بمالقة ضحوة يوم الخميس لليلة بقيت من رمضان
تسع وأربعين وستماية . نفعه الله بشهادة الموت غريقا .

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري

فاسي المولد ، أصله منها قديما ، ومن مراكش حديثا ، يكنى أبا
الحسن ويعرف بابن قطرال .

حاله

كان ريان من الأدب ، كاتبا بليغا دمث الأخلاق ، لين الجانب ،
فقيها حافظا ، عاقدا للشروط ، مقدما في النظر فيها ، كتب طويلا
عن قاضي الجماعة بمراكش ، أبي جعفر بن مضاء ، ثم عن أبي القاسم بن
بقي ، وأسنَّ ممنعا بحواسه .

مشيخته

روى عن أبوي بكر بن الجعد ، وابن أبي زمنين ، وأبي جعفر بن
يحيى ولازمه كثيرا . وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبوي الحسن بن كوثر
ونجبه ، وأبي الحسن يحيى بن الصائغ ، وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي
عبد الله بن حفص ، وابن حميد ، وابن زرقون ، وابن سادة الشاطبي ،
وابن عروس ، وابن الفخار ، وأبي العباس ، وابن مضاء ، ويحيى المجريطي ،
وأبي القاسم بن بقي ، وابن رشد الوراق ، وابن سمحون ، وابن غالب ،
وابن جمهور ، وابن حوط الله ، وعبد الحق بن بونة ، وعبد الصمد .
وروى عنه إبناه أبو عبد الله وأبو محمد ، وأبو عبد الله بن الأبار ، وأبو
محمد بن برّطلة ، وأبو محمد بن هارون الطائي ، وأبو يعقوب بن عقاب .

قال ابن عبد الملك ، وحدثنا عنه من شيوخنا أبو الحجاج بن حكيم ،
وأبو الحسن الرعيني ، وأبو الطيب صالح بن شريف ، وأبو القاسم
الغزفي .

محنته

وامتحن بالأسر ، وهو قاض بأبدة ، حين تغلب العدو الرومي
عليها أثر وقعة «العقاب» (١) وذهب لأجل ذلك أصول سماعه ، وافتك
بمشاركة الوزير أبي سعيد بن جامع ، ويسر الله عليه ، فثاب جاهه ، واستقام
أمره ، وقدم للقضاء بمواضع نبهية .

دخوله غرناطة

قال ، دخل غرناطة ، وأقام بها ، وقرأ على أبي محمد عبد المنعم بن
الفرس ، وأبي بكر بن أبي زمنين ، وأبي عبد الله بن عروس .
ولد بفاس سنة ثنتين وستين وخمسمائة . وتوفي عفا الله عنه يوم
الإثنين لإحدى عشرة خلعت من جمادى الأولى عام أحد وخمسين وستماية بمراكش .

«إنتهى اختصار السفر العاشر بحمد الله تعالى يتلوه ،

ومن السفر الحادي عشر ترجمة الطاريين في ترجمة

العمال والأثرا . والحمد لله رب العالمين»

(١) موقعة العقاب هي الموقعة العظيمة الحاسمة التي وقعت بين جيوش اسبانيا النصرانية التي يقودها
ملوك قشتالة ونافار وأراجون، وبين الجيوش الموحدية والأندلسية بقيادة الخليفة محمد الناصر ولد
الخليفة يعقوب المنصور ، في هضاب جبال الشارات (سيرا مورينا) في ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ
(٦ يولييه سنة ١٢١٢م) على مقربة من شمال غربي مدينة أبدة . وقد سميت بموقعة العقاب (جمع عقبة)
لوقوعها بين التلال والربي المانعة . وسميت لذلك بالاسبانية موقعة Las Navas de Tolasa
وقد انتهت بوقوع الهزيمة الفادحة بالجيوش الموحدية والأندلسية ، وفناء معظمها ، وكانت بداية
لانحلال سلطان دولة الموحدين . راجع في تفاصيل غذاء الموقعة العظيمة كتابي : عصر المرابطين
والموحدين في المغرب والأندلس القسم الثاني ص ٢٨٢ - ٣١٧ .

ومن السَّفَر الحادى عشر من ترجمة الطاريين
في ترجمة العمال والأثرا

عمر بن على بن عفرون الكلبى

من أهل مُنتَفِرِيد .

حاله

كان شيخاً مُخْشَوْشِين الظاهر بَدَوِيه ، سريع الجواب ، جَلِيداً على العمل ،
صليباً وقاحاً . له ببلده نباهة ، وخصل من طلب وخطٌ وحساب . أمٌّ
ببلده ، وانتقل إلى الحضرة عند انتزاع ثغره ، وداخل السلطان في سبيل
استرجاعه ، فنشأت له غمامة رزق ببابه ، وأقلته هضبة حظوة ، ناطت
به ديوان الجيش مدة أيام السلطان ، ووُلِيَّ بعده خُططا نبيهة . ثم التأثت
حاله وأسن ، ومات تحت خمول .

وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصه : شيخ خَدَم ، قام له الدهر فيها
على قَدَم ، وصاحب تعريض ، ودهاء عريض ، وفايزٌ من الدولة بأَيَادِ
بيض ، خدم الدولة النصرية ببلده عند انتزاع أهله ، وكان ممن استتزلهم
من حَزَنِهِ إلى سهله ، وحكَمَ الأمر الغالبى في يافعه وكهله ، فاكتسب حظوة
أَرْضَتَهُ ، ووسيلة أَرْهَفَتَهُ وأمَضَّتَهُ ، حتى عظم ماله ، واتسقت آماله . ثم
دالت الدول ، ونكرت أيامه الأول ، وتقلب من يجانسه ، وشقى بكل من
كان ينافسُه ، فجفَّ عوده ، والتأثت سعوده ، وهلك والخمول يطلبه ،
والدهر يقوُّته ، من صُبابة حرث كان يستغله .

شعره

وله شعر لم يشقفه النظر ، ولا وَضَحَتْ منه الغرر . كتب للسلطان
أمير المسلمين مُنْفِق سوق خدمته ومتغمدته بنعمته ، يطلب منه تجديد
بعض عنايته :

ياملكا ساد ملوك الورى فى الحال أوفى الأعصر الخالية
العبد لا يطلب شيئا سوى تجديد خطِّ يدك العالية
ومن شعره يخبر عن وداده ، ويعلن فى جناب الملوك الغالبين بحسن
اعتقاده :

حُبُّ الملوك من آل نصر دينى ألقى به ربى بحسن يقينى
هو عُدَّتى فى شدَّتى وذخيرتى وبه يتحسبى غدا ويقينى
حتى أبى الحشر لم أخدم سوى أبوابهم بوسيلة تكفينى
أرجو نفاذ العُمُر فى أيامهم من تحت ستر رعاية ترُضينى
إن كان دهرى فى نفاذى بعدهم فالله عز وجل لا يُبقينى
وسلم فى أيام خموله ، وانغلق على المتغلب على الدولة أبى عبد الله بن
المحروق . وقد احتقره ببابه ، وأعرض عن جوابه . فكتب إليه ، ولم
يرهب مالىديه :

يامن سؤل وغدا فى كل يوم مرارا
أزدد على سلامى ولا تدعه احتقارا

وفاته

قال شيخنا الكاتب ، أبو بكر بن شبرين رحمه الله ، وفى ذى حجة من عام
أربعة وأربعين وسبعمائة توفى الفقيه أبو على بن غفرون من أهل مُنتفريد
من حصون براجلة غرناطة . قدم قديما بالباب السلطانية فى تنفيذ واجب

العسكر الأندلسي وإشراف الحضرة وحفازةها . وكان ميمون النقيبة ، وجها
في الناس فاضلا ، رحمه الله .

على بن يحيى الفزاري

من أهل مالقة ، بربري النسب فزاريه . يكنى أبا الحسن ، ويعرف
بابن البربري .

حاله

كان من أمثال طريقته عدلا ، وعفافا ، وفضلا ، لين العريكة ،
دَمَث الأخلاق ، حسن الخط ، جيد الشعر ، تغلب عليه السلامة والغفلة ،
تصرف في إشراف مالقة وسواها عمره ، محمود الطريقة ، حسن السيرة .
ومدح الملوك والكبراء .

شعره

مما خاطبني به قوله :

لبابك أمّ الأملون ويمموا	وفي ساحتني رحماك حطوا وخيم
ومن راحتني كفيك جدوا تهمي	فتروى عطاش من ندادك وتنعم
وأنت لما راموه كعبة حجهم	إذا شاهدوا مرآك لبوا وأحرم
يطوفون سبعا حول بابك عندما	يلوح لهم ذاك المقام العظيم
فيمناك يمين الرعايا ومنة	ويشارك يسرا للعفاة ومغتم
ولقياك بشر للنفوس وجنة	تزق بها ورق المنا وترنم
فيا واحد الأزمان علما ومنصبا	ومن به الدنيا تروق وتبسم

وَمَنْ وَجْهَهُ كَالْبَدْرِ يُشْرِقُ نوره
 وَمَنْ ذَكَرَهُ كَالْمَسْكَ فُضَّ ختامه
 لَقَدْ حُزَّتْ خَصَلُ السَّبْقِ غَيْرُ مُعَانِدِ
 حَوِيَتْ مِنْ الْعُلِيَاءِ كُلِّ كَرِيمَةٍ
 وَبَاهَيْتِ أَقْلَامَ الْمَقَامِ بِرَاعَةٍ
 وَإِذَا فَاخِرَ الْأَمْجَادِ يَوْمًا فَإِنَّمَا
 وَإِنْ سَكْتُوا كُنْتَ الْبَلِيغَ لَدَيْهِمْ
 ومنها :

فِي صَاحِبِي نَجْوَى عُوْجَا بِرَامَةٍ
 وَقَوْلَا لَهُ بِيَابِكَ يَسْرَتَجِي
 وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عُلَاكَ وَسَيْلَةٍ
 فَجَدَ بِالذِّي يَرْجُوهُ لَمُنَّكَ فَمَالِهِ
 بَقِيَتْ وَنَجْمُ السَّعْدِ عِنْدَكَ طَالِعِ
 عَلَى رَبْعِهِ حَيْثُ النَّدَى وَالتَّكْرَمِ
 قَضَاءُ لُبَانَاتٍ لَدَيْكَ تَتَمُّ
 وَلَا شَيْءٌ أَسْمَى مِنْ عِلَاكَ وَأَعْظَمِ
 كَعَقْدِ ثَمِينٍ مِنْ ثَنَائِكَ يُنْظَمِ
 يَضِيُّ لَهُ بَدْرٌ وَتَشْرِقُ أَنْجَمُ

وقال مراجعا القاضي أبا عبد الله بن غالب رحمه الله :

وَمَا كُنْتُ عَنْ ذِكْرِ الْأَحَبَّةِ سَالِيَا
 فَلَمَّا أَتَنِي رُقْعَةٌ بُلْبُلِيَّةٌ
 وَقَبَّلْتَهَا أَلْفَاً وَقَلْتِ لَهَا
 فَيَا حَسْنَ خَطٌّ جَاءَ مِنْ عِنْدِ بَارِعِ
 وَإِنَّ قَرِيضًا لَمْ يُحْكِهِ ابْنُ غَالِبِ
 وَلَا عَنْ هَوَى بِيضِ الدِّمَا بِرَغِيْبِ
 شَغَلْتِ بِهَا عَنْ مَنْزِلِ وَحَبِيْبِ
 أَنْعَمِي صَبَاحًا وَمَمْسِي بِالْقَبُولِ وَطَيْبِ
 وَيَاسِحِرِ لَفْظٍ مِنْ كَلَامِ أَدِيْبِ
 لَخَلُّوْا مِنَ الْأَدَابِ غَيْرُ عَجِيْبِ

وفاته : بمالقة في الطاعون عام خمسين وسبعمائة .

الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء

عتيق بن معاذ بن عتيق بن معاذ بن سعيد بن مقدم بن

سعيد بن يوسف بن مقدم اللخمي

من أهل غرناطة يكنى أبا بكر ، الشيخ الصوفي ،

حاله

هذا الرجل فذ الطريقة في الخصوصية والتخلى ، وإيثار الانقطاع والعزلة ، طرفة في الوقار والحشمة . نشأ بغرناطة وطلب بها ، وكتب بالمرية عن بعض ولاة قصبته ، وعنى بمطالعة أقوال الصوفية ، فأثر طريقهم ، وعول عليه ، وتجرد وترك التسبب ، والتزم منزله ، بحيث لا يبرمه إلا لصلاة الجمعة في أقرب محالها وإليه ، نظيف البزّة ، حسن السمت ، مليح الترتيب والظرف ، طيب المجالسة ، طلعة مُتعة ، إخباري ، يصل ماضي الزمان بمستقبله ، مجلس مصلى ، ومُجبل سبحة كثير الزوار ، ممن يلتمس الخير ، وينقر عن أهله ، محظوظ المجلس حتى بالوارد ، ذاكر ، ماثرة من مآثر بلده .

مشيخته

أخذ عن الخطيب الصالح ولي الله أبي عبد الله الطنجالي ، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد ، والأستاذ النظار أبي القام بن الشاط ، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات ، والشيخ الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأركشي نزيل مالقة ، والوزير الراوية أبي عبد الله ابن ربيع الأشعري ، والعدل الراوية أبي الحسن بن مستقور^(١) ، والأستاذ المقرئ أبي جعفر الجزيري الضرير ، والخطيب أبي عبد الله بن الخشاب ،

(١) وردت في الإسكوريال (مسور) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه .

والخطيب المقرئ أبي إسحاق بن أبي العاصي ، والشيخ والمحدث
أبي تمام غالب بن حسن بن غالب الجهاري ، والقاضي المُسِين أبي جعفر
الشاطبي ، والقاضي المحدث أبي المجد يوسف بن الحسن بن أبي
الأحوص ، والأستاذ المحدث أبي القاسم بن جابر ، وأخيه المحدث أبي
جعفر ، والقاضي أبي جعفر بن أبي جبل ، والأستاذ الصوفي أبي محمد بن
سُلمون ، والشيخ الشريف أبي الحسن علي بن جمرة بن القاسم الجهني ،
والأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن بيش العبدري ، والشيخ المكتب أبي
عمرو عبد الرحمن بن يُشت ، والشيخ الراوية المحدث الرحال أبي
عبد الله بن جابر الوادأشي الملقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين ،
والخطيبين أبوي الحسن بن فرحون ، وابن شبيب ، والقاضي أبي الحسن
البلوي ، والأستاذ المقرئ (١) .

محنته

نال امتحان من بعض القضاة ببلده حَمَلًا عليه ، وإنكارا لما امتاز
به من مثلي الطريقة ، أداه إلى سجنه ، ومنع الناس عن لقائه . وهو الآن
بحاله الموصوفة ، قد ناهز السبعين تمر [الناس] (٢) تلتمس بركته ،
وتغشى لطلب الدعاء خلوته .

علي (٣) بن علي بن عتيق بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي
من أهل غرناطة ، ويعرف بالقرشي .

(١) هكذا وقفت « الشيخة » عند هذه الكلمة ولم يرد بعدها شيء .

(٢) اضعنا هذه الكلمة ليستقيم السياق .

(٣) وردت في الإسكوريال (عمر) . ونرجح أن ذلك سهو من الناسخ لأنها وردت ضمن

قائمة (العليين) ومن جهة أخرى فقد وردت في الزيتونة على وهو ما يؤيد هذا الفرض .

حاله

كان رحمه الله على طريقة مثلى حياة، ووقارا وصمتا، وانقباضا وتخلُّقا وفضلا، عاكفا على الخير، كثير الملازمة لكسر البيت، مكباً على المطالعة، مؤثرا للخلوة، كلفا بطريق الصوفية. كتب الشروط لأول أمره، فكان صدراً في الإثبات، وعلماً في العدول، إلى لين الجانب، ودماثة الخلق، وطهارة الثوب، وحسن اللقاء، ورجوح المذهب، وسلامة الصدر. قيد الكثير، ولقى في تشريقه أعلاماً أخذ عنهم. وتقدّم خطيباً وإماماً بالمسجد الأعظم في غرناطة، عام أحد عشر وسبعماية، واستمرت حاله، إلى حين وفاته، على سنن أولياء الله الصالحين.

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي جعفر بن الزبير، ولازمه وتآدب به، وتلا عليه بالقراءات السبع، وسمع كثيراً من الحديث، وعلى الخطيب الولي أبي الحسن بن فضيلة، والشيخ الخطيب أبي عبد الله بن صالح الكنانى. سمع عليه الكثير. قال أنشدنى الخطيب أبو محمد بن برطلة:

أسلمنى للبلاء وحيداً	من هو فى ملكه وحيد
قضا على الفناء حتما	فلم يكن عنه لى محيد
وكيف يبقى غريق نذى	فذاته أولا صعيد
يعيد أحواله إليه	من نعته المبدى المعيد

وأخذ عن الشيخ الراوية المحدث أبي محمد بن هرون الطائى، والشيخ الراوية المعمر أبي محمد الخلاسى، والشيخ الشريف تاج الدين أبي الحسن العرامى، والشيخ المحدث الإمام شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن الدمياطى، والشيخ رضى الدين الطبرى، والمحدث الجافظ

فخر الدين التودرى الميكالى . قال ، وأنشدنى من لفظه بالحرم الشريف
لشيخه الإمام أبى الحسن الخزرجى :

عن أهيل المنحنى لا أصبر فاعذِلونى فيهم أو فاعذروا
هم أحباب وإن هم عذَّبوا ومُنأى وصلوا أم هجروا
والشيخ المحدث المفتى بالحرم الشريف رضى الدين محمد بن أبى
بكر بن خليل . قال ، وأنشدنى لبعض شيوخه :

أنى كل واد شاعر ومطيب وفى كل ناد منبر وخطيب
نعم كثر الأَقوام قلة ناقد لهم فتساوى مُخطيء ومُصيب
والشيخ المحدث الإمام أنس الدين بن الإمام قطب الدين القسطلانى ،
والأديب الواعظ نفيس الدين بن ابراهيم اللمطى . قال وأنشدنى إجازة عن
الشيخ الإمام شرف الدين أبى الفضل السلمى المرسى من قصيدة :

إذا جيتُ ألقى عند بابك حاجبا مُحيّاه من فرط الجهامة حالك
ومن عجيب مَغناك جَنَّهُ قاصد وحاجبها من دون رضوان مالك

والشيخ الإمام تقي الدين بن دقيق العيد ، وأبى العباس بن الظاهرى ،
ومحیی الدين بن عبد المنعم ، ومحمد بن غالب بن سعيد الجياني ،
والخطيب الجليل أبى عبد الله بن رُشيد من أهل المغرب . وكتب له
الشريف أبو على الحسن بن أبى الشرف ، والعدل أبو فارس الهوارى ،
وأبو القاسم بن الطيب ، وأبو بكر بن عبيدة ، وأبو إسحق الغافقى ،
وأبو عبد الله الدراج ، وأبو الحكم مالك بن المرّحل ، وأبو إسحق
التلمسانى ، وغيرهم .

تواليفه

صنّف فى التصوف كتابا سماه «مطالع أنوار التحقيق والهداية» وكتابا

في غرض « الشفا » العياضى . ومن شعره ، ثبت بظهر الكتاب المسمى
« بالموارد المستعذبة » من تاليف شيخنا أبى بكر بن الحكيم ما نصه :

كتابك ذا من هوته المفاخر	سنا وسنا راق منه زواهر
لقد جاء كالعقد المنظم نائرا	فرايد قس عنك فى ذا قاصر
بلاغته فى القوم تشهد عندما	تشكك فيه أنه عنك صادر
فلله من روض أنيق غصونه	بما تتمنا فزاه وزاهر
فما شيته تجده فيه فإنه	لناظره بحر بها هو زاهر
فنهنيكم يا بن الألى شاع مجدهم	قيادكم مجد بذاتك آخر
أتيت بما فيه انبت حياة	من حوته على مر الدهور المقابر
وأبديت فيه سحر لفظك رائقا	تلذبه الأجفان وهى سواهر
ومتعت طرفى فيه لازلت باقيا	ونحابتك ربى يوم تبلى السراير
وخصك منى بالسلام مرددا	عليك مدى الدنيا وماطار طاير

مولده : فى حدود سنة سبع وستين وستماية :

وفاته : فى صفر من عام أربعة وأربعين وسبعماية . وكانت جنازته
بالغة أقصى مبالغ الاحتفال ، وتزاحم الناس على قبره بما بعد العهد به .

ومن رثاه شيخنا أبو الحسن بن الجياب فقال :

قضى الأمر يانفس اصبرى	صبر تسليم لحكم القدر
وعزاء يا فؤادى إنه حُكم	ملك قاهر مُقتدر
حكمة أحكمت تدبيرها	نحن منها فى سبيل السفر
أجمل مقدر ليس بمستقدم	ولامستأخر
أحسن الله عزاء كل ذى	خشية لربه فى عمر
فى إمامنا التقى الخاشع	الطاهر الذات الزكى السبر
قرشى سليمان مستقى من	صميم الشرف المطهر

يشهد الليل أنسه دايماً الذكر طويل السهر
 في صلاة بعثت وفودها زمر المصطفى من مفض
 نايماً وراكعاً وساجداً لطلوع فجره المنفجر
 جمع الرحمن شملنا غداً بحبيب الله خيسر البشر
 وتلقته وفود رحمة الله تأتي بالرضا والبشر

علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشمري

من أهل غرناطة يكنى أبا الحسن. ويعرف بابن المحروق
 أوليته : قد مر ذلك عند ذكر عمه وجده .

حاله

هذا الرجل شيخ الفقراء السفارة والمتسببة بالرباط المنسوب إلى
 جدّه ، وهو مقيم الرسم ، حاج رحال ، عارف بالبلاد ، طواف على كثير
 من مشاهير ما عُرف الإصطلاح . وزار تربة الصالحين . وصحب السفارة ،
 حسن الشكل ، أصيل البيت ، حافظ للترتيب ، غيور على الطريقة ،
 محظوظ العقد ، مجانيب للاغمار ، منافر لأهل البدع ، مكبوح عن غلو
 الصافنة ، أنوف ، مترفع ، كلف بالتجلة ، يرى لنفسه الحق ولا يفارق
 احظ ، خطيب متعاط لمواقف الإطالة ، وسرد الكثير من كلام الخطباء
 عن غير اختيار ، يطبق المفصل ، ويكافي الغرض المقصود ، على شروء
 عن قانون الإعراب ، حسن الحديث ، طبقة للرسم الدنيوى ، من هذا
 الفن كثرة ، وحسن بزة ، ونفاذ أمره ، ونباهة بيته ، وتعاطيا لنتائج
 الحلوة .

محنته

قبض عليه المتغلب على الدولة وأزعجه بعد الثَّقاف في المُطَبق ، إلى مَرَسى المَرِيَّة ، إتهاما بممالأة السلطان ، فامتعض له من أهل مدينة وادي آش ، وتبعهم المشيخة على المجاهرة ، فاستنقذوه ، وكاشفوا المتغلب إذ كانوا على أرقاع الخلاف عليه ، وعاجل الأمر تصير الملك لصاحبه ، فعاد الشيخ إلى حاله ، فهي معدودة عنه من أثر التصريف .

مشيخته

ومن خطه نقلت . قال ، ولدت في اليوم الحادي والعشرين لرجب عام تسعة وسبعماية ، ولبستُ الخِرفة من يد الشيخ الفقيه الخطيب البليغ الولي الشهير ، أبي علي عمر بن محمد بن علي الهاشمي القرشي في أوائل ذي قعدة من عام خمسة وثلاثين وسبعماية . وحدثني بها رحمه الله عن الشيخ الزاهد أبي محمد الخلاسي عن شرف الأئمة أبي عبد الله بن مسدي عن الشيخ الكبير أبي العباس بن العريف عن أبي بكر عبد الباقي بن برال ، عن أبي عمرو الطلمنكي ، عن أبي عمرو بن عون الله وأبي علي الحسن بن محمود الجرجاني عن أبي سعيد بن الأعرابي ، عن أبي محمد سالم محمد بن عبد الله الخراساني ، عن الفضل بن عياض ، عن هشام بن حسان ويونس بن عبيد ، عن أبي الحسن بن الحسن البصري ، عن الحسن البصري ، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . ثم رحلتُ إلى المغرب ، طالبا في لقاء أهل الطريقة راغبا ، فلقيت به من أعلام الرجال جملة يطول ذكرهم ، ولا يجُهل قدرهم . ولما توجهت إلى المشرق ، لقيت به أعلاما وأشياخا كراما ، لهم طرق سُنِّيَّة ، وأحوال سُنِّيَّة ، أودعت ذكرهم هذا طلبا للاختصار ، وخوفا من سامة الإكثار ، وكان اعتمادي فيمن لقيت منهم في أيام تجريدي

واجتهادى ، بعد إيابى من قضاء أربى ، من حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبى ، عليه الصلاة والسلام ، على من بهديه أستنير ، واعتمد عليه فيمن لقيت وصحبت ، وإليه أشير سيدى الشيخ الكبير الجليل الشهير وحيد عصره وفريد دهره ، جمال الدين أبو الحجاج الكوراني جنسا ، والتميمى قبيلة ، والكلورى مولدا ، والسهروردى خرقة وطريقة ونسبة ، وهو الذى لقننى ، وسلكت على يده ، وقطعت مفاوز العزلة عنده ، مع جملة ولده . وحدثنى رضى الله عنه أنه لقنه الشيخ الفقيه العارف أبو على الشمشرى هو والشيخ الإمام نجم الدين الإصبهاني ، والشيخ نجم الدين ، والشيخ بدر الدين الطوسى ، لقنا الفقيه محسنا المذكور ، والشيخ بدر الدين ، لقنه الشيخ نور الدين عبد الصمد النصيرى ، والشيخ عبد الصمد ، لقنه الشيخ نجيب الدين بن مرغوش الشيرازى ، والشيخ نجيب الدين لقنه الشيخ شهاب الدين السهروردى ، والشيخ شهاب الدين ، لقنه عمه ضياء الدين أبو الحسن السهروردى ، والشيخ ضياء الدين فرج الزنجاني . والشيخ فرج الزنجاني ، لقنه أبو العباس النهاوندى ، والشيخ أبو العباس ، لقنه أبو عبد الله بن خفيف الشيرازى ، والشيخ أبو عبد الله لقنه أبو محمد رديم ، والشيخ أبو محمد لقنه أبو القاسم الجنيد ، والشيخ أبو القاسم لقنه سرى السقطى ، والشيخ سرى لقنه معروف الكرخى ، والشيخ معروف لقنه داود الطائى ، والشيخ داود لقنه حبيب العجمى ، والشيخ حبيب لقنه الإمام الحسن البصرى ، والشيخ الحسن لقنه الإمام على بن أبى طالب . ولبيست الخرفة من يد الشيخ أبى الحجاج المذكور بسند التلقين المذكور إلى أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه إلى جعفر الحذا ، إلى أبى عمر الإصطخرى ، إلى شفيق البلخلى ، إلى ابراهيم

ابن أدهم . إلى موسى بن زيد الراعي ، إلى أبي يس القرني ، إلى أمير المؤمنين
عمر وعلى رضي الله عنهما ، ومنها إلى سيد الأولين والآخرين ، صلى الله عليه
وسلم ، وذلك في أوائل عام ثلاثة وأربعين وسبعماية . وقد ألّفت كتابا جمعت
فيه بعض ما صدر من أورادى ، أيام تجريدى واجتهادى ، محتويا على
نظم ونثر ، مُفرغا عن كلام الغير ، إلا مقطوعة واحدة لبعض المتصوفة ،
فإني سقتها على جهة لكونها غاية في الاحتفال وهى :

قل لمن طاف بكاسات الرضا وسقى العشاق مما قد نهل
وسميت الكتاب «بنكت الناجى» ، وإشارات الراجى . ولعل ذلك
يكون اسما وافق مسماه ، ولفظا طابق معناه . وإلى ما ذكرت من النكت ،
أشرت بما نظمت فقلت :

فى كل واحدة منهن أسرار لا تنقضى ولها فى اللفظ أسرار
إن رمت حصر معانيها بما سمعت أذنك ليس لها بالسمع إحصار
فاصحب خبيراً بما يرضى الحجاب سئارها وكذلك الحر سئار
ولعله يكون إن شاء الله كما ذكرته ، وأعرف بما أنشدته .

ولى جملة قصائد وأزجال منظومة على البديهة والارتجال ، نطق بها
لسان المقال ، معربا عما وجدته فى الحال ، قصدت بها الدخول مع ذلك
الفريق ، وأودعتها غوامض أسرار التحقيق . فمن بعض نكت الكتاب ،
ما يعجب منه ذوو الأبواب ، نكتة سر الفقير ، يشير إليه بجميع
الكائنات ، فلا حديث مُعجم ، ولا موجود مُبهم ، فهو إذا يتكلم دون حده
وبلسان وجده ، والفقير يتكلم فوق قدره وبلسان غيره ، وهذا ما حضرنى
فى الوقت ، مع مزاحمة الشواغل ، فتصفحوا ، واصفحوا ، وتلمحوا
واستمحوا . ولكم الفضل فى قبول هذه العجالة واليسير من هذه المقالة .
انتهى .

ومن الطاريين

على بن عبد الله النيرى الششتري

عروس الفقراء ، وأمير ^(١) المتجردين [وبركة الأندلس ، لابس
العباءة الخرفة] ^(٢) أبو الحسن . من أهل شِشْتَر ، قرية من عمل وادي
آش معروفة ^(٣) . وزقاق الشُّشْتري معروف بها . وكان مجوداً للقرآن ،
قاوماً عليه ، عارفاً بمعانيه ، من أهل العلم والعمل .

حاله

قال شيخنا أبو عثمان بن ليون في صدور تهذيبه لرسالته العلمية ،
الإمام الصوفي المتجرّد . جال [البلاد] ^(٤) والآفاق . ولقى المشايخ ،
وسكن الرُّبُط ، وحج حجّات ، وآثر التجرد والعبادة . وذكره القاضي
أبو العباس الغبريني ، قاضي بجاية ، [في كتابه المسمى عنوان الدرّاية
فيمن عُرف في المائة السابعة بمدينة بجاية] ^(٥) وقال ، الفقيه الصوفي
الصالح العابد ، أبو الحسن الشُّشْتري من الطلبة المحصلين ^(٦) ،
والفقراء المنقطعين ، له علم [وعمل] ^(٧) بالحكمة ، ومعرفة بطريق
الصوفية ، وله تقدم في النظم والنثر ، على طريقة التحقيق . وأشعاره

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وإمام) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . وفي الإسكوريال (وبركة لابس الخرقه) .

(٣) نرجح أنها اليوم قرية Charches الإسبانية التي تقع على بعد خمسة عشر كيلو مترا من مدينة وادي آش .

(٤) هذه الكلمة زائدة في الزيتونة .

(٥) هذه العبارة وارده في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في الاسكوريال . وفي الزيتونة (المخلصين) .

(٧) الزيادة من الزيتونة

في ذلك ، وتواشحه ومُقَفِّيَّاته وأزجاله ، غاية في الانطباع . وكان كثيراً ما يُجود عليه القرآن . ونظمه في التحقيق كثير .

مُشِيخْتَه

أخذ عن القاضي سحبي الدين أبي القاسم محمد بن إبراهيم بن الحسين ابن سراقه الأنصاري الشاطبي ، وعن غيره من أصحاب السُّهْرَوَرْدِي صاحب العوارف والمعارف . واجتمع بالنَّجْمِ بن إسرائيل^(١) الدُّمَشْقِي الفقير سنة خمس وستماية . قال أَلْفَيْتُهُ على قدم التجرد ، وله أشعار وأذواق في طريق القوم ، وكان من الأمراء وأولاد الأمراء ، فصار من الفقراء وأولاد الفقراء ، وخدم أبا محمد بن سَبْعِينَ ، وتلمذ له . وكان الشيخ أبو محمد دونه في السن ، لكن استمر^(٢) باتِّباعه ، وعول على ما لديه ، حتى صار يُعبر عن نفسه في منظوماته وغيرها ، بعبد الحق بن سبعين ، وبه استدل أصحاب أبي محمد على فضله . ويقال إنه لما لقيه يُريد المشايخ ، إن كنت تريد الجنة ، فصر إلى الشيخ أبي مدين ، وإن كنت تريد ربَّ الجنة فهلم . ولما مات الشيخ أبو محمد ، انفرد بعده بالرياسة والإمامة على الفقراء والمتجردين والسَّفَّارة ، وكان يتبعه في أسفاره ما ينيف على أربع مائة فقير ، فيقسّمهم الترتيب في وظائف خدمته .

كِرَامَاتِه

قالوا ، نادى يوماً ، وهو مع أصحابه في برية ، يا أحمد ، فقال أحدهم ، ومن هذا ، فقال تُسْرُونَ به غدا . فلما وردوا من الغد قابس ، وجدوا أحمد قد جاء من الأسر ، فقال صافحوا أخاكم المُنادى بالأمس .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (إسراومل)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (استقرا)

قالوا ، ودخل عليه ببجاية . أبو الحسن بن علاّل من أمنائها . وهو يُذكر في العلم ، فأعجبه طريقته ، فنوى^(١) أن يؤثر الفقراء من ماله بعشرين دينيرا . ثم ساق شطرها ، وحبس الباقي ليزودهم به ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، ومعه أبو بكر وعمر ، فقال ادع لي يا رسول الله ، فقال لأبي بكر اعطه ، فأعطاه نصف رغيف كان بيده . فقال له الشيخ في الغد لو أتيت بالكل ، لأخذت الرغيف كله .

توالياه

له كتاب « العروة الوثقى في بيان السنن وإحصاء العلوم » . وما يجب على المسلم أن يعمله ويعتقده إلى وفاته . وله « المقاليد الوجودية^(٢) في أسرار إشارات الصوفية » . وله الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة . والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية . والرسالة العلمية ، وغير ذلك .

دخوله غرناطة

دخلها ونزل برابطة العقاب ، وتكرّر إليها ، إذ بلده من عمالتها

شعره

من ذلك قوله :

لقد تُهت عجباً بالتجرّد والفقر	فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر
وجاءت لقلبي نفحةً قدسية	فغبت بها عن عالم الخلق والأمر
طويتُ بساط الكون والطّي نشره	وما القصد إلاّ الترك للطيّ والنشر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فنودي) .

(٢) وردت في الإسكوريال (الموجدية) .

وغمضتُ عين القلب عن غير مُطلق
وصلتُ لمن لم تنفصل عنه لحظة
وما الوصف إلا دونه غير أننى
وذلك مثل الصوت أيقظ نايما
نقلت له الأسماء تبغى بيانه

فألفيتنى ذاك الملقب بالغير
ونزّهت من أعنى من الوصل والهجر
أريد به التشبيه^(١) عن بعض ما أذر
فأبصر أمرا جلّ عن ضابط الحصر
فكانت له الألفاظ سيرا على ستر

ومن شعره أيضاً قوله فى الغرض المذكور :

من لامنّى لو انه قد أبصرا
وغدا يقول لصحبه إن أنتم
شدّت^(٢) أمور القوم عن عاداتهم

ما ذقته أضحى به متحيراً
أنكرتم ما بي أنيتم مُنكرا
فلاجل ذاك يُقال سحر مُفترا

ومن شعره القصيدة الشهيرة ولها حكاية :

أرى طالبا منّا الزيادة لا الحسنى
وطالبنا مطلوبنا من وجودنا
تر كناحوظاً من حضيض لحوطنا
ولم نلف كون الكون إلا توهُماً
فرفض السوا فرض علينا لأننا
ولكن كيف السبيل لرفضه
فيا قابلا بالوصل والوقفه التى
تبدت لك الأوهام لما تداخلت
وسمّت بأنوار فهمنا أصولها
وقد تحجب الأنوار للعقل مثل ما

بفكر رعى سهما فعدى به عدنا
يهيب به لدى الصّعق إن عنا
إلى المقصد الأقصى إلى المقصد الأسنا
وليس بشىء ثابت هكذا ألفينا
أناس بمحو الشُّرك والشرك قد دنا
ورافضه المرفوض نحن وما كنا
حُجبت بها اسمع وارعى مثل ما أبنا
عليك ونور العقل أورثك الشُّجنا
ومنبعها من أين كان فما سُمنا
تبعده من إظلام نفس حوت ظعنا

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى النسخ (التشيب) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال ، والنسخ . وفى الزيتونة (شردت) .

وأكمل من في الناس لمن صدع الأمانة
لقال لنا الجمهور هانحن ما نجبنا
وكم بئمة من قبل ذلك قد جبنا
فجد السير واستنجد العونا
سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا
سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا
عقال من العقل الذي منه قد تبنا
بأوهامه قد أهلك الخر والبنا
وحجبتنا شلوه ها بها همنا
يود لنا للصعيد قد أخلدنا
كرآ هربن ورؤية ما قلنا
وعقلا وخيرا مقبلا عندما يدنا
له فيه وهو النون فالقلم الأذنا
وحشى لجسم الكل في وصفه حرنا
حاطته القصوى التي فيه أحضرنا
يكيف للأجسام من نحلته أيننا
ونحن ونفس الكل في بحر عمننا
يشكله سر الحروف فحرفنا
ويجمع فرقا من تداخله فزنا
بألفاظ أسماها شئت المعنا

وأنى دجال فى القضية يدعى
فلو كان سر الله يلحق هكذا
وكم دونه من فتنة وبليّة
وكل مقام لا تقيم فيه إنه حجاب
ولا تلتفت فى السير وكل ما
ومهما ترى كل المراتب تجتلى
وقل ليس لى فى غير ذلك مطلب
وسر نحو أعلام اليمين فإنها
أمامك هؤل فاستمع لوصيتى
أيام الورى بالمشكلات وقبلهم
محجبتنا قطع الحجا وهو حجنا
يثبتنا عند الصعود لأنه
تلوح لنا الأطواق منه ثلاثة
ويظهر باسمه للسر والنفس مديرا
ولوح إذا لاحت سطور كتابنا
وعرش وكرسى وبرج وكوكب
تمر خطوط الذهن عند التفاتنا
مقطع بالأزمان للدهر مثل
أقام دوين الدهر مدرة ذاته
وفتق للأملاك جوهره السدى
يفرق مجموع القضية ظاهرا
وعدد شيئا لم يكن غير واحد

وبعرج والمعراج منه ذواته
 فليفل سفليا ويوهم أنه
 يقدر خلا بعد وصل لذاته
 يحل لها طور المغبة شكله
 ويلحقه بالشرط من مثنوية
 فنحن كدود القز يحضرنا الذي
 فكم واقف أردى وكم ساير هذا
 وتيم أرياب الهرامس كلهم
 وجرّد أمثال العوالم كلها
 وهام أرسطو حتى مشى من هيامة
 فكان لدى القرنين عونا على الذي
 ويفحص عن أسباب ما قد سمعتم
 وذوق للحلاج طعم اتّحاده
 فقال له ارجع عن مقالك قال لا
 وانطق للشبلي بالوحدة التي
 أقام لذات الصغرى لنا حولها
 وكان خطأ بابين ذاتين من يكن
 فاضمت للحسنى تجريد خلقه
 تشنى قضيبُ البان من سُكرِ خمرة
 وقد شدّ بالشوذى عن ثوبه
 وأصبح فيه السهرَ وزدى حابراً
 بعمر بن الفارض الناظم الذي

لتطويره العلوى بالوسم أسرينا
 لسفليه المجهول بالذات أسبطينا
 وفرض مسافات يجد لها الدهنا
 وإن لمعت فيه فيلحقه المفا
 يلوح بها وهو الملوح والمبنا
 صنعنا بدفع الحضر سجننا لنا منا
 وكم حكمة أبدى وكم مملق أغنا
 وحسبك من سُقراط أسكنه الدنيا
 وأبدى لأفلاطون في المثل الحسننا
 وبث الذي ألقى إليه وماضنا
 تبدأ به وهو الذي طلّينه العينا
 وبالبحت غطى العين إذ رده عينا
 فقال لنا من لا يحبط به معنا
 شربت مداما كل من ذاقها غنا
 أشار بها لما معا عنده الكونا
 يخاطب بالتوحيد إذ رده خدنا
 فقيراً يرى البحر فيه قد عمنا
 مع الأمر إذا صحت فصاحته لُكنا
 وكان كمثل العمر لكنه ثنا
 فلم يمل نحواً حوازي ولا سكن الدنيا
 يُصيح لما يلقى الوجود له أذنا
 تجرّد للأسفار إذ سهل الحزنا

وليس أخاً طلب من المجد قد تبنا
 لمن زمن الأسرار فاستمطر المزمنا
 لنجل ابن سينا الذي ظن ما ظنا
 ولكنه نحو التصوف قد حنا
 رسالة يقظان^(٢) اقتضت فتحه الجفنا
 فجرّ على حسّاده الذيل والودنا
 بدسكرة الخلاع إذا ذبّ الوهنا
 يبيل ما يهزندا في المقام ولا قرنا
 رأى كتبه ضعفا وتلويحهُ غينا
 ذكرنا وإعراباً كما عنه أعربنا
 وكشف عن أطواره الغيم والدجنا
 عن إعرابها لم ترفع اللبس واللحنا
 فاصبح ظهراً ما رأيتم له بطننا
 لقربه ألبابنا وإله هُدننا
 تقدّس لازباً خُذهُ عنّا

ولابن قسيّ خَلَعُ نَعْلِي^(١) وجوبِ
 أقام على ساق المسرة نحلّه
 ولاح سنّي برق من القرب للسنّي
 وقد قلّد الطوسي بما قد ذكرته
 ولابن طفيل وابن رشد تيقظُ
 كسا لشعيب توب جمع لذاته
 وعنه طوق الطابي بسبط كنانه
 تسمى برفع الروح صبراً ولم
 وباح به نجل الحر إلى عندما
 والأموي النظم والنثر في الذي
 وأظهر منه الغافقي لما خفا
 وبين أسرار العبودية التي
 كشفنا غطاءً من تداخل سرّها
 هوانا الدين الحق من قد تولّته
 فمن كان يبغى السير للجانب الذي

وهذه القصيدة غريبة المنزع ، وإن لم تخل عن شذوذ من جهة اللسان ، وضعف في الصناعة ، أشار فيها إلى مراتب الأعلام من أهل هذه الطريقة . وكأنها مبنية على كلام شيخه الذي خاطبه به عند لقائه حسبما

(١) يشير هنا إلى كتاب « خلع النعلين » الذي وضعه الداعية المتصوف الاندلسي أحمد بن الحسين بن قسي الثائر في أحواز شلب (بالغرب الأندلسي) ضد المرابطين سنة ٥٢٩ هـ ، ومؤسس طائفة المرينيين الشهيرة .

(٢) يشير هنا إلى رسالة « حى بن يقظان » الشهيرة التي وضعها الفيلسوف والطبيب الأندلسي ابن طفيل القيسي . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني من « الإحاطة » (ص ٤٧٨ - ٤٨٢) .

قدمنا ، إذ الحسنى الجنة ، والزيادة مقام النظر ، فقوله أرى طالبا منا
الزيادة لا الحسنى ، إشارة إلى ذلك والله أعلم . والغافق الذى ختم به
هو شيخنا أبو محمد ، وهو مرسى الأصل غافقية ، رحم الله جميعهم ،
ونفعنا بأولى الحظوة لديه .

نشره

وكلامه حسن ، ومقاصده غريبة ، رضى الله عنه ، ونفع به . كتب
إليه الشيخ الصوفى أبو على بن تاذررت لماسافر ولم يودعه ، وكان قد
قال له ، أغيب عنكم أياما قلائل ، وأعود إن شاء الله فابطأ عنه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الله وحده فقط ليس إلا وصلواته على ملاه
المقرب الأعلى ، وعلى سيدهم الخاتم محمد وآله الهداة ، وسلامه الحق
يخص العليم بسرّه ، فى عالم الفرق ، ورحمته وبركاته ، من أخيه
حقيقة فى العوالم الأول ، لافى عالم العلم الحق ، من حيث هو موضوعه بحسب
الإضايه ، بمنزله من مدينة بنى مدار عمرها الله وأرشدهم ، وليس إلا
أنى نعتبكم عرفاً وعادةً ، لسفركم دون مودعة ، بخلاف سيرتكم الأولى
من المشرق الأقصى ، إلى المغرب الأقصى ، وأما بكون حقيقة الأمر الموحد
فلاعتب ، بل نقرأ على الماهية سورة الإخلاص ، التى توحيدها المحض
أحاط وأحصى . ثم وعدتم أنكم ولا بدلاتطول إقامتكم ببيجاية كالأها الله ،
إلآ ليال قلية العدد ، تأخذون فيها كتبكم وتنفصلون قافلين فى أسرع
أمد . ثم ظهر غير ذلك من الإقامة إلى هذه المهلة ، التى نبا كما عندنا الزمان .
وقد ورد من أناس بالتواتر ، أنكم ولا بد تصومون هنالك رمضان
المعظم على الأمان ، فقلنا لحظ البشرية الحيوانية . وعلمنا أن الأمر ليس
سراً لأجل القضايا الحكمية الطلبيه ، والمقادير العلمية السرية . ولا

تتحرك ذرة الا بإذنه ، ولا يُسل عما يفعل ، وهم يُسئلون في دهره وزمنه ،
يمحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب . ولكننا أيضاً نقرأ ، والله
لا يخلف الميعاد . وقد يكون غير الوفاء بالعهد في الخلف لمصالح فيها
وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهراً
من الحياة الدنيا ، والله يفعل ما يشاء . ولا تكن معترضا . فلا تلوم إلا
بحسب فرقنا الأول . وأما من حيث الكمالات الثواني والأول ، فلا لوم
ولا عتب ، لرفع المثنوية ، وإحالة الكثرة والإضافة ، حتى ليس إلا
الوحدة العلمية المعنوية العلية . وبالجملة الله معكم . ولن يترككم أعمالكم
فإن ما يرفع العمد والعماد . قال الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ، وهو
معكم أينما كنتم ، والله علیم بما تصنعون . والرغبة إلى ذاتكم الكاملة
الوجودية ، ذات الكمالات العلمية القدسية ، أن تعجلوا إلى ، إذ وأنتم
مقيمون هنا لك .

وأين يجد في عليين غرفة وإن شغلتم عن نسخها
والحق لا يشغله شأن عن شأن ، فوجهوا إلى بها بعض الفقراء
والإخوان ، وأنا أقسم عليك في ذلك يا أخي وسیدی بالسّر فقط الذي
يشغله أبدا سرّمد الله فقط ، وأن تعجل لي بذلك ، وتحيى مواتي ،
وتجمع أشتاتي ، مع كلام تعتنوا لي به من كلامكم تخصّصوني به في كرّاس
مبارك ، علّمني الله العليم الحكيم منكم سرّ علمه العظيم ، وحكمته المحيطة ،
وكفانا سرّ هذه العوالم الأرضية المركبة الحطّيطة ، ونقلنا من البسيطة لغة
إلى العوالم الریسة النفیسة البسيطة . ويرقينا به عنها إلى أن نتصل
الحظّ المنفصل للتدبير بنقطته الأولى . وإن كان في الحقيقة . ما انفصل ،
ويدخلها حضرة علمنا المحيط الوجودي ، الذي ليس وراءها محيط

إليه يُرقي ويتصل . والسلام الحقُّ محض مظهره ومجلاه ومرآته ، ورحمة الله وبركاته .

فراجعه الشيخ أبو الحسن الشُّشْتَرِي المترجم به رضى الله عنه بما نصه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي محمد ، المرسل بالحق لإدحاض الشُّك ، وإيضاح الغلط ، الموصل على أقرب السَّبِيل للحضرة الآلهية ، ومن شَطَط المختص بجوامع الكلم ، المبكت لكل من موهِّه ومَفَسَّط ، المبعوث بكلمة الإخلاص ، التى حاصلها الله فقط ، ورضى الله عن مَظْهَر الوراثة المحمدية فى كل زمان ، المترجم عن كَنز الوجود الذى طَلَّسَهُ الإنسان ، وسلام الله ورحمته على المستمع بأذن أنيته لذلك التُّرْجَمَان ، المُتَجَوِّه بِمَقَام الإسلام والإيمان والإحسان ، القارى على أخباره المنبعثة فى أرض فُرْقَة ، كلُّ من عليها فان ، بالمعنى الفقير الباطن ، للسَّيَّار الظاهر ، المشير الحايم على سلب الإسمين ، الدَّائِر على دَايِرَة قَاب قَوْسَيْن . المشهور فى العالم الأول ، بِأَبِي عَلَى الحسين من خبر ماسية ، الوارث الطالب لذاته بها للوصول له . وهو به عنه باحث ، المنظور فى ذات كَمَالَاتِهِ ، المَنعُوثُ بِالوَافِي لا بِالنَّاكِث ، المعتصم بِحَبْلِ التَّحْقِيق ، القايل بالحق ، عبده على الشُّشْتَرِي ، ابن إفادتكم عبد الحق بن سَبْعِينَ ، أما قبل من حيث الأَصْل ، ومع من حيث الوَصْل ، وبعد من حيث الفصل ، فَإِنِّي أَقْسَمُ بِالْبَدْرِ إِذَا أَذْبَرَ ، وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ، أَن النصاب واقع من حيث الصور ، لامن حَبَّة حَقِيقَةِ المَظْهَر . فإين هذا أنت أو أنا ، أو قبل أو بعد أو هند أو دَعْد ، أو خِلْف أو وَعْد ، ولا بد من المراح فى ميدان الخطاب وبيان المُتَشَابِه عَلَيْكُمْ ، المُودَع عَلَيْكُمْ ، فى هذا الكتاب . فأول عايق عنكم مرض أحد الأصحاب ، ولا انفكاك عند وجود هذه القضية ، عند كل طائفة سَنِيَّة ، فماظنك بالسَّبْعِينِيَّة ، هذا مع وجود وعد مُبِين ،

وزمان مُعينٌ . ونحن لم نُعينَ للموضوع وقتاً ، ولو عينا لكبير عند الله مقنناً . وإنما قلنا أيام قلائل ، ويدخل في ذلك الجمعة والشهر والعام القابل . بل برزخ العالم وإنايه عند النحرير العاقل . ثم لوعينا يوماً أو يومين أو جمعيتين ، ولم يكن ، فقلبُ المؤمن بين إصبعين . أما علمت أن الوعد المزعوم المراد منه الذي تتضمنه ، صَعَقَه العمود بالبُعد أو بالتواني أو بالحواس أو بالمعاني . والمسكر هو الجريال لا الأواني . وأما قضية الوداع ، فقد ارتفع بين الفقراء فيها النزاع ، ووقع من الصوفية في ذلك الإجماع ، أن الاجتماع من غير ميعاد ، والافتراق عن غير مشورة ، وقول أنه من حيث المذهب لازم بالضرورة ، فإن المودع لا يخلق أن يكون من تربة الفرس والسبع ، أو في مقام الفردانية والجمع ، أو في البرزخ الذي بين المقامين ، المُعَبَّر عنه عند الصوفية بالفناء . فإن كان في الوترية ، فلا أنت ولا أنا ، ولا مُودِع ، ولا مودَّع ، وقلَّة العتب لهذا أليق وأطبع . وإن كان في برزخ الفنا ، فمن المُودِع هنا ، وإن كان في الفرق هنا . وإن كان في الفرق ، فترك المُودِع أقرب إلى الحق لألم التفرقة ، الموجود المحسوس ، المُعْتَرَض عند ذلك للنفوس . واعلم أن الانفصال كان بالطريق عند من يرى بالانفصال والاتصال ، ولا نُقْلَة عند ذوى الاتصال . وأما نكرة عَرِفة فهي عند الشيخ أبي عبد الله التَّوْزِري لا عندي ، ولو كانت ما ضننت بها بحمد الله لا بحمدى . والسلام على موضوعك ومحمولك وسلوكك ووصولك ، وجمعك وفرقك ، وعبوديتك وحقك ، بل على جمَلته الصالحة ، ورحمة الله وبركاته .

وفاته

قالوا إنه لما وصل بالشام إلى ساحل دمياط ، وهو مريض مرضه الذي

توفى منه ، نزل قرية هناك على ساحل البحر الرومي يُصَاد فيها السمك ،
وقال ما اسم هذه القرية ، فقيل الطينة ، فقال حنّت الطينة إلى الطينة ،
ووصى أن يدفن بمقبرة دمياط ، إذ الطينة بالمفازة بالساحل ، ودمياط
أقرب المدن إليها ، فحملة الفقراء على أعناقهم ، فتوفى بها يوم الثلاثاء
سابع عشر صفر عام ثمانية وستماية ، ودفن بمقبرة دمياط .

وفي سائر الأسماء من حرف العين

الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء

عامر بن محمد بن علي المهتاني

رئيس مُتَبَوِّئِ قَبِيلِهِ مِنْ جَبَلِ دَرَنْ ، وَمِرْزَوَارِ الْمَصَامِدَةِ ، وَالْمُطْلَقَةِ يَدُهُ
عَلَى جَبَايَةِ الْوَطَنِ الْمَرَكَشِيِّ ، يَكْنَى أَبُو ثَابِتٍ .

حاله

هذا الرجل حسن الشكل ، حصيف العقل ، ثابت الجأش ، معروف
الأمانة والصدق ، عفيف الفرج ، مؤثر للجد ، ماضى الحذر بأهل
الحكم ، نزيه اليد ، مشهور بالرجاحة ، عين من عيون الحدود الغربية ،
وبقية من بقايا الجلة العلمية ، مُسَدِّدُ اللِّسَانِ لِلإِبَانَةِ عَنِ الْأَغْرَاضِ ،
مختصر البزة والحلية ، متوسط الجود ، مؤثر للخصوصية ، بعيد
النظر ، سديد الرأي .

قَدِمَتْ عَلَيْهِ بِمَحَلِهِ مِنَ الْجَيْلِ ، زَايِرًا مُتَوَفِّئًا السُّلْطَانَ أَبِي
الْحَسَنِ ، مُسْتَجِيرًا جِمَاهِمَ ، فَبَلَّوَتْ مِنْ بَرِّهِ ، وَبِرِ الرَّيِّسِ النَّدِيِّ
عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخِيهِ ، مَا تَقْصُرُ عَنْهُ هَمُّ الْمُلُوكِ ، وَتَقِفُ دُونَهُ آمَالُ الْأَشْرَافِ ،
تَلْقِيًا وَاحْتِفَالًا وَفَرشًا ، وَأَنِيَّةً ، وَطَعَامًا ، وَصَلَةً ، وَانْتِحَابًا ، وَاحْتِشَامًا .

والطافا ، حسبما يتضمن بـُسط ذلك كتاب «الرحلة»^(١) من تأليفى .
 وأنشدتهم عند رحيلى ، وقد رأيت إلى ما يُبقى الذكر ويخلد الآثار
 شيم السادة ، وديدن الروساء :

ياحسَنها من أربُع وديار	أضحت لباغى الأمن دار قرار
وجبال عزُّ لا تذل ^(٢) أنوفها	إلا لعزُّ الواحد القهار
ومقر توحيد وأسُّ خلافة	آثارها تُنبى عن الأخبـار
ماكنت أحسب أن أنهار الندى	تجرى بها فى جُملة الأنهار ^(٣)
ماكنت أحسب أن أنوار الحجا	تلُتاح فى قُنن وفى أحجار
مَجَّت جوانبها البرود وإن تكن	شَبَّت بها الأعداء جَذوة نار
هدَّت بناها فى سبيل وفائها	فكأنها صرعى بغير عُقار
لما توعدّها على المجد العِدا	رَضِيت بعيث النار لا بالعار
عَمَرَت بِحِلَّة عامر وأعزّها	عبد العزيز بُمرف بتار
فرسا رهان أحرزا قَصَب الندى	والبأس فى طلق وفى مضمار
ورثا عن الندب الكريم ^(٤) أبيهما	محض الوفاء ورفعة المقدار
وكذا الفروع تطول وهى شبيهة	بالأصل فى ورق وفى أثمار
أزرت وجوه الصيد من هنتاة	فى جوها بمطالع الأقمـار

(١) لا يوجد بين كتب ابن الخطيب كتاب خاص عنوانه «الرحلة» ولكنه يقصد بالرحلة هنا ما ورد فى أوائل كتابه «نفاضة الجراب فى علاة الإغتراب» (السفر الثانى مخطوط الإسكوريال) . من وصف لرحلته فى عمالات المغرب الغربية . وقد فقدت من هذا المخطوط الصحف الأولى التى تضم بداية الرحلة . وهى تبدأ فى النفاضة بزيارته لجبل هنتاة وزعمائه (وفى النص المطبوع بعناية الدكتور أحمد مختار العبادى القاهرة - ص ٤٣ وما بعدها) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (تمز) . والتصويب من نفاضة الجراب وأزهار الرياض .

(٣) هذا البيت وارد فى نفاضة الجراب وأزهار الرياض وساقط فى الإسكوريال .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والنفاضة . وفى أزهار الرياض (الكبير) . والأولى ارجح .

لله أي قبيلة تركت لها
 نصرت أمير المسلمين وملكه
 وآوت^(١) علياً عند ما ذهب الردى
 وتخاذل الجيش اللهم وأصبح
 كُفِرَتْ صنائعه فيم دارها
 وأقام بين ظهورها لا يتقى
 فكانها الأنصار لما آنت
 لما غدا لحظاً وهم أجفانه
 حتى دعاه الله بين بيوتهم
 لو كان يُمنع من قضاء الله ما
 قد كان يأمل أن يكافيء بعض ما
 ما كان يُقنعه لو امتدّ المدا
 فيعيد ذاك الماء ذائب فيضة
 حتى تفوز على النوى أوطانها
 حتى يلوح على وجوه وجوههم
 ويسوغ الأمل القصي كرامها
 ما كان يُرضى الشمس أو بدر الدجا
 أو أن يتوج أو يقلد هامها
 حق على المولى ابنه إيثار ما
 فلمثلها ذخير الجزاء ومثله

النظراء دعوى الفخر يوم فخر
 قد أسلمته عزائم الأنصار
 والروعُ بالأسماع والأبصار
 الأبطال بين تقاعدٍ وفرار
 مُستظهِراً منها بعز جوار
 وقع الردى وقد ارتمى بشار
 فيما تقدم غربة المختار
 نابت شفارهم عن الأشفار
 فأجاب مُمثلاً لأمر البار
 خلصت إليه نوافذ الأقدار
 أولوه لولا قاطع الأعمار
 إلح القيام بحقها من دار
 ويعيد ذاك الترب ذوب نضار
 من ملكه بجلايل الأوطار
 أثر الرعاية^(٢) ساطع الأنوار
 من غير ما تُنيا ولا استعصار
 عن درهم فيه^(٣) ولا دينار
 ونحورها بأهله ودرارى
 بذلوه من نصرٍ ومن إيثار
 من لا يضيع صنائع الأحرار

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النفاضة (آوت) . وفي الأزهار (وارت) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنفاضة . وفي الأزهار (العناية) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفاضة . وفي الأزهار (فيهم) .

وهو الذي يقضى الديون وبره^(١) يُرضيه في علن وفي إسرار
حتى تحج محلّة رفعوا بها علمَ الوفاء لأعين النظار
فيصير منها البيتُ بيتا ثانيا للطائفين إليه أي بسدار
تُغنى قلوب القوم عن هدى به ودموعهم تكفى لرثى جمار
حُييت من دارٍ تكفل سعيها المحمود بالزلفى وعُقبى السدار
وضفت عليك من الإله عناية باكر ليل فيك إثر نهار^(٢)

دخوله غرناطة

دخل الأندلس ، وحلّ بغرناطة في حدود خمسين وسبعماية ، وأقام بها أياما ، وقد أسند إليه السلطان أبو الحسن لما رحل عن إفريقية حفظ حرمة وأسبابه ، في مراكب كان استقرارها بسواحل الأندلس ، وحضر مجلس السلطان ، فراق الحاضرين مدقاه ، وضمّ لسانه لأطراف الحديث ، وحسن تبويبه للأغراض . ولهذا الرجل في وطن المغرب ذكر بعيد ، وقد أمسك الأمر مرات ، على من استقر لديه من ولد السلطان ، ورتّب له الألقاب والترشيح يُغازله بذلك الوطن . وتنوعت الحال بهذا الرجل ، من بعد وفاة السلطان أبي سالم ملك المغرب ، وانحاز إليه ولده فقام بدعوته ، ورتّب له الألقاب بوطن مراكش ، ونظر لنفسه أثناء ذلك ، فحصّن الجبل ، واتخذ به القلعة ، وأكثر الطعمة والعدّة ، فلما حاقت بأميره الدبّرة ، لجأ إلى ما أعدّه ، وهو الآن يُزجى الوقت مهادنة تشف عن انتزاعه ، والله يهيئ له الخلاص من الورطة ، ويتيح له إلى حزب السلامة الفيئة .

(١) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي النفاضة (متله) .

(٢) وردت هذه القصيدة في كتاب (نفاضة الجراب) مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٥٥

الغزيري لوحة ١-ب و ١٢ . وفي نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٥٥) . وفي أزهار الرياض ج ١ ص

ومن الطاريين في القضاة والغرباء

عاشر بن محمد بن عاشر بن خاف بن رجا^(١) بن حكم الأنصاري
بياسي^(٢) الأصل

حاله

كان رحمه الله حياً حافظاً للمسائل ، مُفتياً بالرأى ، معروفاً بالفهم
والإتقان ، بصيراً بالفتوى ، سُور ببلده وببلنسية ، واستقضاه أبو محمد
ابن سَمْحُون على باغَة^(٣) أيام قضاية بغرناطة . إذ كان يكتب عنه ويلزمه ،
ثم استقضى بمُرسية أعادها الله . وكان حافظ وقته ، لم يعاصره مثله .

مُشِخْتِه

روى عن أبيه ، وتلا بالسبع على ابن ذريرة المُرادى ، ولقى أبا القاسم
ابن النحاس ، وأخذ الحديث عن أبي بحر الأَسدى ، وأبي بكر بن العربي ،
وأبي جعفر بن جحدر ، وأبي الحسن بن واجب وغيرهم .
مولده : ببياسة سنة أربع وقيل ست وثمانين وأربعمائة .
وفاته : توفى بشاطبة ، تسع وستين وخمسمائة .

توَالِيْفِه

شرح المُدَوْنَة مسألة مسألة ، بكتاب كبير سماه « الجامع البسيط » ،
وبغية الطالب النشيط « حشد فيه أقوال الفقهاء » ، ورجح بعضها ،
واحتج له . قالوا ، وتوفى قبل إكماله .

(١) وردت في الإسكوريال (مرجا) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٢) بياسي أى من أهل مدينة بياسة وبالإسبانية Bacza . وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد

الثالث من الإحاطة ص ٢٣١ و ٤٠٤ حاشية) .

(٣) باغَة و بالإسبانية Priego سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٠٩

حاشية والمجلد الثالث ص ٥٢٧ حاشية) .

عِيَاضُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيَاضِ بْنِ مُوسَى الْيَحْصَبِيِّ

من أهل سَبْتَةَ ، حفيد القاضي العالم أبي الفضل ، يكنى أبا الفضل .

حاله

من « الصُّلَّة » : كان من جلة الطلبة ، وذوى المشاركة فى فنون من العلوم العقلية وغيرها ، فصيحاً ، شاعراً ، لساناً ، مَفُوهًا ، مقداماً ، موصوفاً بجزالة وحدة ، امتحن بسببها . وكان مع ذلك كثير التواضع ، فاضل الأخلاق ، سرياً ، مُشاركاً ، معظماً عند الملوك ، مُشاراً إليه ، جليل القدر . حضر الأندلس أيام قضاء أبيه بقرطبة ، وغير ذلك الوقت ، وجال فيها ، وأخذ بقرطبة وإشبيلية وغيرهما ، واستقر أخيراً بمالقة ، وتأنل بها وبجاراتها أصول أملاك إلى ما كان له .

مشيخته

روى عن أبيه أبي عبد الله ، وعن أبي محمد بن عبد الله ، وأبي بكر ابن الحداد القاضي بسبته ، وأبي القاسم بن بشكوال ، وابن حُبَيْش ، وابن حُمَيْد ، وأبي بكر بن بَيْبِش الشُّلْطِيشِي وغيرهم .

من روى عنه : قال الأستاذ ، روى عنه جماعة ممن أخذت عنهم ، منهم ابنه أبو عبد الله قاضى الجماعة ، وأبو العباس بن فُرتون ، أخذ عنه كثيراً بمدينة فاس .

مولده

قال صاحب « الذيل » . سألته عن مولده : فقال ولدت فى اليوم التاسع عشر من محرم عام واحد وستين وخمسمائة بمدينة سبته .

وفاته : توفى فى العشر الوسط من جمادى الآخرة عام ثلاثين وستماية بمالقة . وروضته بها فى جنة كانت له برَبَضِهَا الشُّرْقَى . رحمه الله .

عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض

ابن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي

القاضي الإمام المجتهد ، يكنى أبا الفضل ، سبتي الدار والميلاد ،
أندلسي الأصل ، بسطيه (١) .

أوليته

من كتاب ولده في مآثره ، وهو كُنَّاش نبيه ، قال ، استقرَّ أجدادنا
في القدم بالأندلس بجهة بسطة ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس . وكان لهم
استقرار في القيروان ، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك .
وكان عمرو بن رجلا خيارا من أهل القرآن ، وحجَّ إحدى عشرة حجة ،
وغزا مع ابن أبي عامر غزوات كثيرة . وانتقل إلى سبته بعد سكنى فاس .
وكان موسيرا ، فاشترى بها من جملة ما اشتراه الأرض المعروفة بالمنارة ،
فبنى في بعضها مسجدا ، وفي بعضها ديارا حبسها عليه ، وهو الآن
منسوب إليه ، ووُلد له ابنه عياض ، ثم ولد لعياض ابنه موسى ثم ولد
لموسى القاضي أبو الفضل المترجم به .

حاله

قال ولده في تأليفه النبيل : نشأ على عفة وصيانة ، مرضى الخلال ،
محمود الأقوال والأفعال ، موصوفا بالنبل والفهم والحدق ، طالبا للعلم ،
حريصا عليه ، إلى أن برع في زمانه ، وساد جملة أقرانه ، فكان من
حُفاظ كتاب الله ، مع القراءة الحسنة ، والنغمة العذبة ، والصوت
الجهير . والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه . وكان من أئمة الحديد
في وقته ، أصوليا متكلمًا ، فقيها حافظا للمسائل ، عاقدا للشروط ،
بصيرا بالأحكام ، نحويا ، ريان من الأدب ، شاعرا مجيدا ، كاتبًا غالبا

(١) بسطيه نسبة إلى مدينة بسطة، وبالإسبانية Baza . وقد سبق التعريف بها (راجع المجلد

الأول من الإحاطة ص ١٠٩ حاشية) .

بليغا ، خطيبا ، حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدُّعابة ، صبورا ، حليما ، جميل العشرة جوادا ، سَمُحا ، كثير الصُّدقة دروبا^(١) على العمل ، صَلبا في الحق .

رحلته وولايته

ومنشأ أمره . رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمسية ، فأخذ بقرطبة ومرسية وغيرهما ، ثم عاد إلى سبتة ، فأجلسه أهلها للمناظرة عليه في « المَدُونَة » ، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها . ثم جلس للشُّورى . ثم ولى القضاء ، فسار في ذلك حسن السيرة مشكور الطريقة . وبني الزيادة الغربية في الجامع الأعظم . وبني بجبل الميناء الرابية الشهيرة ، وعظُم صيته . ثم نُقل إلى غرناطة في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، فتقلد خُطَّة القضاء بها . ثم ولى قضاء سبتة ثانية . ولما ظهر أمر الموحدين بادر بالمسابقة إلى الدخول في طاعتهم ، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا ، فأجزل صلته ، وأوجب برّه ، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة ، وحدث على من كان بقصبتها منهم ما هو معلوم من التغلب عليهم واستئصالهم ، ثم من رجوع أمورهم ، فالتأثت حاله ، ولحق بمراكش مُشردا به عن وطنه ، فكانت بها وفاته .

مشيخته

ورتبهم ولده حسبما نقل من فهرسته على الحروف . فمنهم أحمد بن محمد بن بقى ، وأحمد بن سعيد بن مستقر ، وأحمد بن محمد بن مكحول ، وأحمد بن محمد السلفى ، الشيخ أبو الطاهر ، وأحمد بن محمد بن غلبون

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (كروبا) .

ابن البحصار ، وأحمد بن محمد بن عبد العزيز المرحى ، إلى غيرهم
من جملة سبعة عشر رجلا ، والحسن بن محمد الصدفي بن سُكْرَة ،
والحسين بن محمد الفسائي ، والحسين بن عبد الأعلى السفاقي ، والحسن
ابن علي بن طريف ، وخلف بن إبراهيم بن النحاس ، وخلف بن خلف
الأنصاري ابن الأنقر ، وخلف بن يوسف بن فُرتون ، ومحمد بن عيسى
التجيبى القاضي ، ومحمد بن علي بن حمد بن القاصي ، ومحمد بن أحمد
التجيبى القرطبي القاضي ابن الحاج . ومحمد بن أحمد بن رشد ،
ومحمد بن سليمان النَّفْزِي ابن أخت غانم . وأجازه محمد بن الوليد
الطُّرُوشِي ، ومحمد بن علي بن عمر المازري ، ومحمد بن عبد الله المعافري
القاضي ابن العربي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن شبرين القاضي ، ومحمد
ابن علي الأزدي الخطيب الطُّلَيْطَلِي ، ومحمد بن علي الشاطبي ابن الصقيل ،
إلى غيرهم من جملة أحد وثلاثين شيخا . وعبد الله بن محمد الخشني ،
وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ، وعبد الله بن محمد بن أيوب
الفهري ، وعبد الرحمن بن محمد السبتي ابن العجوز ، وعبد الرحمن
ابن محمد بن بقي ، وعلي بن أحمد الأنصاري ابن الباذش ، وعلي بن
عبد الرحمن التجيبى ابن الأخضر من جملة من سبعة وعشرين . وغالب
ابن عطية المحاربي ، وسراج بن عبد الملك بن سراج أبو الحسن ، وسفيان
ابن العاصي الأسدي ، من جملة خمسة من الأشياخ في هذا الحرف .
وشريح بن محمد الرعيني الإشبيلي ، وهشام بن أحمد القرطبي أبو الوليد
ابن العواد ، وهشام بن أحمد الهلالي الغرناطي ، ويونس بن محمد بن مغيث
ابن الصفار ، ويوسف بن موسى الكلبي ، سمع منه أرجوزته ، ويوسف
ابن عبد العزيز بن عتريس الطليطلي .

شعره

قال ، مما كتبت من خطه :

أعوذ بربي من شر ما
وأسئله^(١) رحمة تقتضى
فما للخلان من ناره

يخاف من الإنس والجنّة
عوارف توصل بالجنّة
سوى فضل رحماه من جنّة

ومن شعره ، قال أنشدني غير واحد من أصحابنا ، فوارحمة الله عليه :

أذات الخلال كم ذات تنضيها
بمطلق لي مواعد أقضيها
فقضى وعد مطلق وانجزيه

على سيوف عينيك انتضاه
من التوريد واللمس اقتضاه
خيار الناس أحسنهم قضاة

قال ، ومما كتبت من خطه :

يا من تحمل عنى غير مكثر
تركنتي مستهام القلب ذا خـ
أراقب النجم في جنح^(٢) الدجا ولها
وما وجدت لذيذ النوم بعدكم
ومن ذلك قوله رحمه الله :

لكنه للضنى والسقم أوصاب
فأخا جوى وتباريح وأوصاب
كأنى راصد للنجم أوصاب
إلا جنى حنظل في الطعم أوصاب

الله يعلم أنى منذ لم أركم
فلو قدرت ركب المريخ نحوكم
قال ، وكتبت من خطه :

كطائر خانه ريش الجناحين
فإن بعدكم عنى جنا حسين

يا راحلين وبالفؤاد تحملوا
أما الفؤاد فعندكم أنبساؤه
أترى لكم قبل الممات قفول
ولواعج تتأبه وغليل

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (واسك) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ليل) .

فترى لكم علمٌ بمنترح الكرى عن جفن صب ليله ووصول
أودى بعزته صبره وإبائه طرف أصم ومبسم مصقول
ما ضرركم وأضنكم بتحية يحيي بها عند الوداع قتييل
إن الخليل^(١) بلحظه أو لفظه أو عطفه أو وقفه لبخيل

ومما نسبه إليه الفتح وغيره ، ومن العجب إغفال ولده إياه ، قوله يصف
الزرع والشقائق فيه :

أنظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
[كتيبة خضراء]^(٢) مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

نثره

وهو كثير . فمن خطبه ، وكان لا يخطب إلا بإنشائه :

الحمد لله الذى سبق كل شئ قديماً ، ووسع كل شئ رحمة وعلماً
ونعماً ، وهدى أوليائه ، طريقاً نهجاً أمماً ، وأنزل على عبده الكتاب ،
ولم يجعل له عوجاً قيماً ، لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كثر فيهم أبداً . أحمدته
على مواهبه ، وهو أحق من حمد ، وأسأله أن يجعلنا أجمع ، ممن حظى
برضاه وسعد ، وأستعينه على طاعته ، فهو أعز من استعين واستنجد ،
وأستهديه توفيقاً ، فإن من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له
ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، شهادة فاتحة
لأقفال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا . منزّهة له عن التشبيه والتمثيل

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (النجيل) والأول أراجع .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في قلائد المقبان كالاتي

(كتابا تجفل) .

بنا ، وأنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أنزل عليه الفرقان ، وبعثه بالهدى والإيمان ، وأغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان ، وأبعدهم مقاعد عن السمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً .

أيها السامع ، قد أيقظك صرفُ القدر من سِنَّةِ الهوى وتياراته ، ووعظك كتاب الله بزواجره وعظاته ، فتأمل حدوده . وتدبر مُحكم آياته ، واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ، ولن تجد من دونه مُلتحداً . أين الذين عتوا على الله ، وتعظّموا واستطالوا على عباده وتحكّموا ، وظنوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلموا . وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً . غرهم الأمل وكواذب الظنون ، وذهلوا عن طوارق القبر^(١) ورب المنون . وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . حتى إذا رأوا ما يوعدون ، فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً . فهدّبوأرحمكم الله سراركم بتقوى الله واخلصوا ، واشكروا نعمته ، وإن تعدوا نعمة الله لا تُحصوها ، واحذروا نعمته واتقوه . ولا تعصوا ، واعتبروا بوعيده . قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى وانهضوا لطاعته الهمم العاجزة ، واركضوا في ميدان التقوى ، وحوزوا نصب خصله العابرة^(٢) ، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة ، وانتظروا قوله ، يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم يغادر منهم أحداً ، ذلك يوم تذهل فيه الأبواب ، وترجف القلوب رجفاً ، وتبدل الأرض وتُنسف الجبال نسفاً ، ولا يقبل الله فيه ،

(١) وردت في الإسكوريال (الغير) ، وفي الزيتونة (العين) . ونعتقد ان التصويب انسب

للسياق .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الفايدة) .

من الظالمين عدلاً ولاصراًفا . ونحشر المجرمين يومئذ زُرْفاً، وعرضوا على ربك صفاً ، لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ، اللهم انفعنا بالكتاب والحكمة ، وارحمنا بالهداية والعصمة ، وأوزعنا شكر ما أوليت من النعمة . ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهبنا لنا من أمرنا رشداً .

تواليفه

مما أكمله وقرأ عليه كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ستة أجزاء ، وكتاب « إكمال المعلم في شرح مسلم » تسعة وعشرون جزءاً . وكتاب « المُستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة » عشرة أجزاء . وكتاب « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » خمسة أسفار ، ولم يسمعه . وكتاب « الإعلام بحدود قواعد الإسلام » . وكتاب « الإلماع في ضبط الرواية وتقعيد السماع » سفر . وكتاب « الرأيد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد » . وكتاب خطبه سفر . وكتاب المعجم في شيوخ أبي سُكرة . وكتاب الغنية في شيوخه ، جزء . ومما تركه في الأمبيضة كتاب « مشارق الأنوار على صحيح الآثار » ستة أجزاء ضخمة ، وهو كتاب جليل . وفيه يقول الشاعر :

مشارق أنوار تبتت بسببته ومن عجب كَوْن المشارق بالغرب

وكتاب « نظم البرهان على صحة جزم الأذان » جزء . وكتاب « مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور » جزء . ومما لم يكمله « المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان » . وكتاب « الفنون الستة في أخبار سبته » . وكتاب « غنية الكاتب وبغية الطالب » في الصدور والترسيل . وكتاب « الأجوبة المُحبرة على الأسئلة المتخيرة » وجدت منها يسيراً فضمته إلى ما وجدته في بطايقه

وعند أصحابه . يقول هذا ولده من معان شاذة في أنواع شتى سئل عنها
رحمة الله عليه . فأجاب جمعت ذلك في جزء . وكتاب أجوبة القرطبيين
وجدتها بطابق . فجمعتها مع أجوبة غيرهم . وأجوبته مما نزل في أيام
قضايه ، من نوازل الأحكام في سفر ، وكتاب «سر السراة في أدب القضاة» .

نبد من أخباره

وأولا في ثناء الأعلام عليه . قال ولده ، أخبرني ابن عمي الزاهد ،
أن القاضي أبا عبد الله بن حمدين كان يقول له وقت رحلته إليه ،
وحتى يا أبا الفضل إن كنت تركت ^(١) بالمغرب مثلك . وقال ، وأخبرني
أن أبا الحسين بن سراج قال له ، وقد أراد الرحلة إلى بعض الأشياخ ،
فهو أحوج إليك منك إليه ، وقال إن الفقيه أبا محمد بن أبي جعفر
قال له ، ما وصل إلينا من المغرب مثل عياض . وأمثال ذلك كثير ، ومن
دُعابته ، قال بعض أصحابنا صنعت أبياتا تغزلت فيها ، والتفت إلى
أبيك رضى الله عنه ثم اجتمع بي ، قاستنشدني إياها ، فوجمت ، فعزم
على فأنشدت :

أيامكثرا صدى ولم أت جفوة وما أنا عن فعل الجفاء براض
سأشكو الذى توأيه من سوء عشرة إلى حَكَم الدنيا وأعدل قاض
ولا حَكَم بينك أرتضى قضاياه فى الدينا سوى ابن عياض

قال فلما فرغت حسن ، وقال متى عرفتنى قواداً يافلان ، على طريق
المداعبة . وأخباره حسنة وفضايله جمّة .

مولده : بسبته حسبما نقل من خطّه في النصف من شعبان عام سنة
وسبعين وأربعمائة .

(١) هذه الكلمة واردة بالزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

وفاته : توفي بمراكش ليلة الجمعة نصف الليلة التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وخمسمائة . ودفن بها في باب إيلان من داخل السور .

عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي

من أهل طرطوشة ، يكنى أبا المجد

حاله

كان فقيهاً متطرباً في فنون من العلم ، متقناً لما يتناوله من ذلك ، حسن التهدي ، من بيت طلب . وقد تقدم ذكر جده الأستاذ . وولي عقيل قضاء غرناطة وسجلماسة .

مشيخته

روى عن أبي القاسم بن بشكوال . قرأ عليه وسمع ، وتناول من يده ، وأجازله . وقفت على ذلك بخطه .

شعره

أنشد في «الذيل»^(١) قوله ، مما نظمه لجماعة من السادة :

ملوك دون بابكم وقوف	سَطَّتْ بهم الحوادث والُصُروف
أذلهم الزمان وكان قَدماً	لهم راع وحولهم يطوف
غدوا عِبْرًا لِمُعْتَبِرٍ فَسُحُفًا	للدنيا أمرها أمر سخيف
وطال وحقَّ مجدك ما تبدوا	وحولهم الغواضب والسيوف
أسود يُقَدِّمون أسود حرب	وخلفهم العساكر والصفوف

(١) المقصود به كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والسادة» للقاضي ابن عبد الملك المراكشي

أنى بهم الزمان إليك قصدا حيارى فيه يُعجزهم رغيف
فَعَطْفًا أيها الرسول عليهم وراك السوء باريك اللطيف
فرحمةٌ سيِّدٍ قد ذُلُّ فرضُ يقول به النبي الهادي الشريف
وما يرعى الكرام سوى كريم وأنت الماجد الندى العطوف

تواليفه

قال الأستاذ ، وقفت على تأليف سماه «فصل المقال في الموازنة بين الأعمال» تكلم فيه مع أبي عبد الله الحميدى ، وشيخه أبي محمد بن حزم ، فأجاد فيه وأحسن ، وأنى بكل بديع . وشرح المقامات الحريرية . وفاته : فى صفر سنة ثمان وستماية .

ومن الكتاب والشعراء

عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى
ابن محمد التميمى ثم العبادى الجاهلي

يكنى أبنا المخشبي من أهل البيرة .

حاله

كان شاعرا مُجيدا ، شهير المكان ، بعيد الصبى ، على عهده . قال أبو القاسم ، كان من أعلام الجند ومقدميهم . وقال الرازى ، دخل والده زيد بن يحيى من المشرق إلى الأندلس ، واختط بكورة جند دمشق ، وشهر ابنه عاصم هذا بالشعر ، إذ كان غزير القول ، حسن المعانى ، كثير النادر ، سبَّط اللفظ ، فاغتنى شاعر الأندلس ، وادح بنى أمية ، المخلف فيهم قوافى الشعر المديح الشاردة ، وقد كان فى لسانه بداءة زايدة ، يتسرع به إلى من لم يوافقه من الناس . فيقذع هجوهم ، ويقذف نساءهم ويهتك حرمهم . وكان أفاكا نابيا . لا يعدم متظلما منه ، وداسيا عليه ،

وذاكرآله بالسوء ، وهو مستهزى ، بذلك جارٍ على غلوائه .

محنته

قال ، وكان مع ذلك منقطعا إلى سليمان بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، كثير المدح له . على أنه ما أخلى الأمير هشاما من مدحه ، وهو مع ذلك لا يسئل سخيمته وحقده عليه ، لانحطاطه في شعب سليمان أخيه ، وبينهما من التنافس والمشاحة ، مالا شيبه فوقه . ورؤى أن الذي هاج غضب هشام عليه ، أن قال له الساعى عليه ، قد عرض بك بقوله في مديح أخيك سليمان في شعر له فيه منه :

وليسوا مثل من بان سيل عرفا يقلب مقلة فيها أعونه

وكان هشام أحول ، فاغتاظ لذلك . وركب فيه من المثلة وركبه ، وحقد عليه ، إلى أن استدعاه إلى مدينة ماردة ، وهشام يومئذ واليها في حياة الأمير أبيه ، فخرج إليه أبو المخشبي من قرطبة ، طامعا في نايله ، غير مرتاب بباطنه ، فلما دخل عليه قال له يا أبا المخشبي ، إن المرأة الصالحة التي هجوت ابنها فقدفتها ، فافحشت سبها ، قد أخلصت دعاها لله في أن ينتقم لها منك ، فاستجاب لها ، وسلطنى وتأذن بالاقتصاص لها على يدى منك ، ثم أمر به ففقط لسانه ، وسئلت عيناه ، وعولج من جراحه ، فاستقل منها ، وعاش زمنا مُمَثَّلا به . فأما لسانه فانجبر بعيد وقت إلا قليلا ، واقتدر على الكلام إلا تلعثما كان يعترضه ، واستمر العمى ، فعظم عليه مصابه ، فكثرت في شكواه أشعاره ، قال ، ويذكر أن قصة أبي المخشبي في نيات لسانه ، لما بلغت مالك بن أنس ، أشار

إليها في فتواه في التآني بديّة اللسان طمعا في نبتها ، وقال يُتآني بالحكم
عاما ، فإن نبت أو شيء منه ، عمل في ديتته بحسب ذلك ، فقد بلغني أن
رجلا بالأندلس نبت لسانه أو أكثره بعد ما قطع ، فأمكنه الكلام .

شعره

قالوا وبلغ الأمير [عبد الرحمن] ^(١) بن معاوية صنيع ابنه هشام
بمادحهم أبي المخشبي ، فساءه وكتب إليه يعنفه ، وأوصل أبا المخشبي إليه
عند استيلائه بعد حين ، فاعتذر إليه ورق له ، وأنشده بعض ما أحدثه
بعد ، فكان لا يبين الإنشاد ، فينشده له صبي كان قد علّمه ودرّبه ، فأنشده
قصيدته التي وصف فيها عمّاه وأولها :

خَضَعْتُ أُمَ بِنَاتِي لِلْعَمَدَا	إِذْ قَضَى اللهُ بِأَمْرٍ فَمَضَا
وَرَأَتْ أَعْمَى ضَرِيرًا إِنَّمَا	مَشِيَّهُ فِي الْأَرْضِ لَمَسٌ بِالْعَصَا
فَبَكَتْ وَجَدًّا وَقَالَتْ قَوْلَةً	وَهِيَ حَادَا حَلَّقَتْ مِنِّي الْمَدَا
فَفَوَادِي فَرِحُ مِنْ قَوْلِهَا	مَا مِنَ الْأَدْوَاءِ أَسَّ الْعَمَا
وَإِذَا نَالَ الْعَمَى ذَا بَصِيرٍ	كَانَ حَيًّا مِثْلَ مَيِّتٍ قَدَانَعَا
وَكَانَ لِلنَّاعِمِ الْمُرُورِ لَمْ يَكْ	مَسْرُورًا إِذَا لَاقَى السَّرْدَا
عَانِي بِالْقُرْبِ وَهَنَا طَرْبِ	بَيْنَ لَسِجٍّ فِي الْجِمَا
..... (٢)	كَيْفَ يَعْتَادُ الصُّبَا مِنْ لَا يِرَا
أَبْصُرَتْ مُسْتَبَدَلًا مِنْ طَرْفِهِ	فَأَنْذَا يَسْعَى بِهِ حَيْثُ سَعَا
بِالْعَصَا إِنْ لَمْ يَقْدَهُ فَإِنَّهُ	وَسُؤَالَ النَّاسِ يَمْشِي إِنْ مَشَا

(١) هذا الاسم ساقط في الإسكوريال ، وبإضافته يستقيم السياق .

(٢) بيّاض في الإسكوريال .

وإذا ركب دنوا كأن لهم
 لم يزل في كل مُخشبي الردى
 امتطيناها سمانا بدننا
 وذرتي قد تجاوزت بها
 قاصداً خيراً منافٍ كلها
 وهي ظويلة ، ومن شعره في الواقعة بآبي الأسود الفهري ^(١) ، وكانت
 عظيمة من أعظم فتوحات الأمير عبد الرحمن :

ماذا تُسائل عن مواقع معشر
 رشيد الخليفة إذ غووا فرماهم
 فغدا سليمان السّماح عليهم
 عاداهم متقنعا في مأزق
 أما سليمان السّماح فإنه جلي
 وهو الذي ورث الندى أهل الندى
 بعد القتلى بالمخايض أصبحت
 فالليل فيها للذباب عرايس
 أفناهم سيفٌ مُبيرٌ صارم
 هات عنك ما هربت مخافةً منه
 أودى بهم طلب الذي لم يقدر
 بالموبذى بالحزم والمتازر
 كالليث لا يلوى على مُتعدّر
 في الموت من نجس العوارض المطر
 الدجا وأقام سيل الأضر
 ومحا دجنة يوم وادي الأحمر
 جيفاً تلوح عظامها لم تُقبر
 ونهارها وقفٌ لنهش الأنسر
 في قسطلونة وبل بوادي الأحمر
 فقَع يا ابن اللقيطة أو طر

(١) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاية الأندلس . وكان عبد الرحمن الأموي
 (الداخل) قد حارب يوسف وانتهى الأمر بهزيمة ومقتله (٨١٤٢هـ) ففر ولداه أبو القاسم ، ومحمد الملقب
 بابي الأسود ، ولبت عبد الرحمن يطارد هما وهما يحشدان الجند والنوا لقتاله . وفر أبو الأسود إلى بطليطة
 ونحصر بها فطاده عبد الرحمن . ففر مع انصاره الى قورية فلحق به عبد الرحمن ونشبت بينهما معركة انتهت
 بتمزيق قوات أبي الأسود وفراره (سنة ١٦٩هـ) وهي الواقعة التي يتبر إليها الشاعر في قصيدته . وتوفى
 أبو الأسود بمدد ذلك بقليل في إحدى قرى بطليطة .

وفاته

قال ابن حيان ، قرأت بخط عبادة الشاعر ، قال عمر أبو المخشبي بعد محنته الشنعاء حتى لحق دولة الأمير عبد الرحمن ، فوالى بين مديح أربعة أمراء ، ما بينه وبين جده عبد الرحمن بن معاوية الأمير الداخل . وتوفى بعد ذلك قريبا من تاريخ الثمانين والمائة^(١) . وبعد عليه لحاق دولة الأمير عبد الرحمن لهذا التاريخ .

ومن الأصليين من ترجمة المحدثين والفقهاء والطبابة النجباء

عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المرّي

يكنى أبا الأصبع من أهل البيرة .

حاله

نبيه القدر . وروى عن شيوخ بلده .

وفاته : توفى بعد الأربعمئة . قلت فداعتدت ، وتقدم الاعتذار في

إثبات من أثبته من هذا البيت في هذا الاختصار من هذا النمط . فلينظر هنا لك إن شاء الله .

عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سماعة الأوى

لوثى الأصل ، غرناطى الاستيطان والقراءة ، يكنى أبا موسى ،

الشيخ الطبيب بالدار السلطانية .

(١) في هذه العارة الأخيرة بعض الغروض فيما يتعلق بالتواريخ . ذلك أنه إذا كان عاصم بن زيد المترجم له قد توفى في حدود سنة ١٨٠ هـ وذلك حسبما يقول ابن حيان ، فإنه بذلك لم يلحق سوى دولتى عبد الرحمن بن معاوية الداخل المتوفى سنة ١٧٢ هـ . ودولة والده هشام الذى حكم من سنة ١٧٢ الى سنة ١٨١ هـ ، أو دولة الحكم بن هشام . فقد كانت من سنة ١٨٠ الى سنة ٢٠٦ هـ ، ودولة ولده عبد الرحمن كانت من سنة ٢٠٦ الى ٢٣٨ هـ .

حاله

من « عابد الصلوة » ، بقية أهل العلم ، ونسيج وحده في لين الجانب ،
ونخض الجناح ، وحسن الخلق . وبذل التواضع ، ممتع من معارف قديمة ،
بين طلب وتعليم ، على حال تدين والتزام سنة ، أقرأ الطب ، وخدم
به البلاد السلطانية ، وولى القضاء بلوشة بلده .

مشيخته

قرأ على الأستاذ أبي عبد الله الرقوى المرسي ولازمه ، وأخذ عن
أبي الحجاج بن خالصون ، وأدرك أمة من صلور العلماء .

توابعه

له تأليف كبير متعدد الأسفار سماه كتاب « القفل والمفتاح في
علاج الجسوم والأرواح » ، تضمن كثيراً من العلم الطبى ، وما يتعلق
به ، رأيت أجزاءً من مسودته بيد ولده .
وفاته : توفى بغرناطة ليلة السبت الخامس عشر لجمادى الآخرة عام
ثمانية وعشرين وسبعماية .

حرف الذين من الأعيان

غالب بن أبي بكر الحضرمي

من أهل غرناطة يكنى أبا تمام ، ويعرف بابن الأشقر .

حاله

كان قائداً جزلاً مهيّباً ، مليح التجنّد ، معروف الدربة والثقافة ، مشهور
الافروسية ، ظريف الشكل ، رايق الرّكبة ، حسن الشّيبة ، صليب العود ،
مرهوب السطوة ، ولى قيادة العسكر زماناً طويلاً ، فوقع الإجماع على

اهليته لذلك ، تمييزاً للطبقات ، وانتهاضاً بالخدمة ، وإنفاذاً للعزيمة ،
ومعرفة بالعوايد ، واقتداراً على السهر في تفقد المسالحي ، واختبار المرابدين ،
واختبار الحرس ، وتنظيم المصاف ، وإمساك السيقة ممن يرجع إلى حصيف
رأيه ، ويُركن إلى يمين حنكته ، ويعترف بحقه . لقي الجند منه ضغطاً
لاضطلاعاً باستخدامهم ، وجعل العقاب من وراء تقصيرهم . فقد كان
بعض نقبائه يحمل معه مقصاً لإيقاع المثلة بذقون مضبىي الأسلحة أو
مُتهببىي الملحمة . ولما أوقع بالسلطان أمير المسلمين أبي الوليد قرابته
بباب داره بما هو مشهور ، نُمى عنه أنه اخترط سيفه . وكان ممن أشخن
الوزير يومئذ جراحة [لا يعلم]^(١) ، أحيرةً وغلطاً أم تواطاً وقصداً ،
فقد كان من مَرَج الناس يومئذ ؛ وإعمال بعضهم السلاح في بعض ما هو
معلوم ، فعزل عن الخُطة ، وسُم خطة الخمول ، ففقد مكانه من العنا ،
واضطر إليه .

وفاته

توفي بفرناطة عشية يوم الخميس الثاني والعشرين لشوال عام سبعة
وعشرين وسبعماية ، ودفن قرب باب البيرة .

ومن المقربين

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن
تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي أبو بكر

حاله

(١) الزيادة من الزيتونة . وبها يستقيم السياق .

كان من أهل العلم والعمل ، مُقرباً فاضلاً ، راوية ، حجج وروى .
وكف بصره في آخر عمره .

• شيخته

قرأ القرآن بالسبع على أبي الحسن بن عبد الله الحضرمي ، ودرس
الفقه وناظر فيه ، على سعيد بن خلف بن جعفر الكناني . وروى عن
أبي علي الغساني ، وعن أبيه عبد الرحمن بن غالب ، وأبي عمر بن عبد البر
الإمام الحافظ .

من روى عنه : حدث عنه ذو النوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال ،
وأبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي ، وعبد الله بن طلحة بن أحمد
ابن عطية .

• شعره

قال يحذر من أبناء الزمن :

كن بذي صايد مستأنسا وإذا أبصرت إنسانا ففر

إنما الإنسيُّ بحرٌ ماله سسـاحل فاحذره إياك الغسـرر

واجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذلك الشخص حذِر

وله رحمه الله :

كيف السُّلو ولي حبيب هاجر قاسي الفؤاد يسومني تعديبا

لما ذرى أن الخيال مواصلي جبل السُّهاد على الجفون رقبيا

مولده : ولد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

توفي ليلة الجمعة استبقين من جمادى الآخرة سنة ثمانى عشر وخمسمائة .

غالب بن حسن بن غالب بن حسن بن أحمد بن يحيى

ابن سيدبونه الخزاعي

يكنى أبا تمام .

أوليته وحاله

أصل سلفه من بونه^(١) من بلد إفريقية ، واستوطن جده بالأندلس قرية زنيطة من وادي لسته شرقي الأندلس من عمل قسنطانية^(٢) ، وملك فيها أموالا عريضة . ولما ظهر سبطه ولي الله أبو أحمد شيخ المريدين بذلك الصقع ، وظهرت عليه البركات . وشهدت بولايته الكرامات ، غمرتهم بركته ، ونوّهت^(٣) بهم شهرته ، إلى أن استولى العدو على تلك الجهات ، بعد وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فهاجرت ذريته إلى غرناطة ، بعد استيطانهم مدينة ألس^(٤) ، وبنوا بالرَبَض المعروف بربض البيازين^(٥) واقتطعوا وامتطوا ، واتخذوا دار إقامة ، وانتشرت به نحلتهم الإرادية ، وانضم إليهم مَنْ تَبِعَهُمْ من جالية أهل الشرق ، وتقدم هذا الشيخ بعد ، شيخا ويُعسوباً وقاضياً وخطيباً به ، بعد خاله رحمه الله ، فقام بالأعباء ، سالكا سُنَن الصالحين من أهل الجَلَد والجِدَّة والقوة والرجولة ، من الإيثار والمثابرة على الرباط ، والحفوف إلى الجهاد ، وكان مليح الشَّيْبَة ؛

(١) بونه هي ثغر إفريقي يقع على شاطئ البحر المتوسط في منتصف المسافة بين تونس وبجاية وكان أيام الدولة الحفصية من ثغور مملكة تونس . وهو الآن من ثغور جمهورية الجزائر الديمقراطية ويسمى الآن عنابة اشتقاقاً من اسمه القديم (بلد العناب) .

(٢) قسنطانية وبالإسبانية Cocentaina بلدة صغيرة من أعمال شرق الأندلس تقع غربي ثغر دانية وجنوبي مدينة شاطبة .

(٣) وردت في الإسكوريال (وتوهمت) والتصويب من الزيتونة .

(٤) ألس وبالإسبانية Elche سبق التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة ص ٥٤٩ حاشية) .

(٥) ربض البيازين وبالإسبانية Albaicin سبق التعريف به (راجع المجلد الأول ص ٣٨٧ حاشية) .

كثير التخلق ، جم التواضع ، مألفا للغرباء ، مبدول البشر ، حسن المشاركة ، رافضا للتصنع ، مختصر المطعم والملبس ، بقية من بقايا الجلة ، معتمدا في مجالس الملوك بالتجلة .

مشيخته

يحمل عن والده أبي علي ، وعن خاله ، وعن الخطيب أبي الحسن ابن فضيلة وغيرهم .

توالياه : له تأليف في تحريم سماع البراعة المسماة بالشبابية ، وعلى ذلك درج جمهورهم .

مولده : في ذي القعدة من عام ثلاثة وخمسين وستماية .

وفاته : توفي في عاشر شوال من عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية . وكان الحفل في جنازته يشدُّ عن الوصف . ودفن بمقبرتهم^(١) .

ء

غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا تمام

حاله

كان من أهل الفضل والدماثة ، حسن الخلق ، وسيم الخلق ، مليح الانطباع ، مستطرف الأغراض ، من بيت كسب وخيرية . رحل في شببته إلى المشرق ، فحجَّ ، وقرأ الطب بالمارستان من القاهرة المعزية ، وحذق العلاج على طريقة المشاركة ، وأطرف بكثير من أخبارهم ، وانتصب للمداواة ببجاية بعد مناظرة لها حكاية . وقدم على بلده ، فنبه به قلره ،

(١) أورد ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة ترجمة لأحد أعلام هذه الأسرة وهو (جعفر

ابن عبد الله بن محمد بن سيد بونه الخزاعي ، ص ٤٦١ - ٤٦٣) .

واستدعى إلى باب السلطان فخدم به ، ثم تحول إلى العُدوة ، فاتصل
 بخدمة ملكها السلطان أمير المسلمين أبي سعيد ، مسوغاً ما شاء من قبول ،
 ولطّف محلّه عنده ، لانطباعه ولين عريكته ، وتأنّيه لما يوافق غرضه
 من سبيل الفكاهة ، ووُلّي الحِسبة بمدينة فاس ، وأثرى وخسنت حاله .
 وكان مثالا لأهل بلده ، موسوفا بالجود ، وبذل المشاركة لمتغربيهم .
 وله تواليف طيبة ، كان لا يفتر عن الاشتغال بها ؛ بحسب ما فتح له
 من الإدراك ، فمنها نبيل ووبيل . ولما انتقل الأمر إلى أمير المسلمين
 أبي الحسن ، وصل جبل رَغْمِه ، طاويا بساط الهزل في شأنه ، واتصلت
 خدمته إياه إلى حين وفاته .

وفاته

توفي في أوائل عام أحد وأربعين وسبعماية بسبّة ، عند حركة أميره
 المذكور إلى الجواز للأندلس برسم الجهاد ، الذي مَحَصه الله فيه بالهزيمة
 الكبرى .

مؤاده ... (١)

حرف الفاء : الأعيان والكبراء

فرج بن اسميل بن يوسف بن نصر

الرئيس الجليل ، أبو سعيد ، وكان حقّه أن يفرد له باب في الأمراء ،
 لكنه الأبواب المتعددة الأسماء ، نوثر فيها الجمع والاختصار كما شرطنا .
 أوّليته

(١) وردت بعد هذه الكلمة هذ العبارة في الإسكوريال . (بياض في الأصل المتسخ منه) .
 وأغفلها الزيتونة .

مغروفة . وكان والده [رحمه الله] ^(١) صنو أمير المسلمين الغالب بالله
 أبي عبد الله ، وآثره بمدينة مالقة وما يرجع إليها ، عند تصير الملك إليه
 أو بعده . وكان دونه في السن ، فاستمرت أيامه بها إلى أن توفي رحمه الله ؛
 وتصير أمره إلى الرئيس أبي محمد بن إشقيلولة ، وتخللت ذلك الفتن ،
 حسبما وقع الإلماح به [وتصير أمرها] ^(٢) إلى ملوك المغرب . ثم لما
 انجلت ^(٣) الحال عن عودتها إلى الملك النصري ، ولى عليها الرئيس
 أبا سعيد ، ومكَّنه من ميراث سلفه بها ، وهو كما استجمع شبابه ، وعقد
 له على ابنته الحرة لُبَّاب الملك ، فقام بأمرها خير قيام ، وثبت لزلزال
 الفتنة حسبما هو مذكور في موضعه .

حاله

كان هذا الرئيس نسيج وحده في الحزم والجزالة وفخامة الأحوال ،
 مما يرجع إلى الفتية . ناغى السلطان ابن عمه في اقتناء العقار ، وتخليد
 الآثار ، فيما يرجع إلى الفلاحة والاعتِمَار والازدياد والاستكثار ، وأرَبى
 عليه بإنشاء المراكب الكبار ، فعظمت غلاته ، وضافت المسارح عن
 سائمته ، وعُصت الأهرَاء بحبوبه ، وسالم الخرج دخل ماله ، فبَدَّ الملوك
 جدَّة ويساراً ، تقتمحم العين منه ظاهراً ساذجاً ، عُفلاً من الزينة والتصنع ،
 في طيه ظرف وذكاء وحنكة وحلاوة ، جهوريا ، مرسل عِنان النادرة ،
 باذلا النصفة ، مهيب السُّطا ، خصيب المائدة ، شهير الجلالة ، بعيد
 الصيت . ولى مالقة عام سبعة وسبعين وستماتة ، فعانى بها الشدة والليان .

(١) الزيادة من الزيتونة .

(٢) هذه الزيادة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال . ووجودها ضروري لاستقامة

السياق .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (اجلت) . والأولى أرجح .

حتى رسخت بها قدمه ، وطالت لأهلها صحبته ، وعظم بها قراره وعساكره ، وأينعت غرسانه ، ونمت متاجره ، ونبنتك النعيم حاشيته ، وأضيفت إليه الجزيرة الخضراء ، فاتسعت العِمالة ، وانفسحت الخُطَّة ، إلى أن كان من تغلبه على مدينة سَبْتَة ، واستيلايه عليها ، مما وقع الإلماح به في موضعه من هذا الكتاب ، في شهر شوال عام خمسة وسبعماية ، فساس رعيته ، وتملك جبالها ، وشنَّ الغارة على ما وراءها ، وتملك القصر المضاف لها ، ولم يزل نظره عليها ، إلى أواخر ذي قعدة من عام ثمانية وسبعماية ، فصُرف عنها ، وجُهل قدره ، وأوغر صدره ، وأوعز للولاة بالتضييق على حاشيته ، فدعا بمالقة إلى نفسه في شهر شعبان من عام أحد عشر وسبعماية ، وقدم لطلب الملك وإدته إسماعيل ، وسمَّاه السلطان . ورتَّب له الألقاب ، ودوَّن الدواوين ، فنزع إليه الجند ، وانضافت إلى عمالته الحصون . ثم وقعت المُهادنة ، وأعقبتها المُفاتنة ، وكان من أمره ما وقع التَّنبيه على عيون منه في ذكر ولده .

نكبته

ولما استأصلت القطيعة مُحتججه الراكد في مغابن^(١) الخزاين من لدن عام سبعة وسبعين وستماية ، واستنفدت عتاده المطاولة ، نظر لنفسه فوجَّه كاتبه الوزير أبا عبد الله بن عيسى ، وعاقده على الخروج له عن مالقة ، مُتَعَوِّضًا عنها بمدينة سَلا من عمل ملك المغرب ، وتم ذلك في شهر رمضان من عام ثلاثة عشر وسبعماية ، وذاع خبره ، وضافت بأولياء انتزايه السبل ، إذ تحققوا بإخفاق المسعى ، وسقوط العشيِّ بهم على سرحان من سلطانهم الراغبين عنه ، فداخلوا ولده ، المقدم الأمر ، أبا الوليد ،

(١) هذه الكلمة واردة في الاسكوريال وساقطة في الزيتونة .

واتفق أميرهم على خَلْعِهِ ، ومعالجة^(١) الأمر قبل تمامه ، في من شهر رمضان ، ركب الرئيس رحمه الله في نفر من مماليكه المروقة إلى بعض بساتينه ، فلما قضى وطَرَه ، وهمّ بالمخروج عنه ، اعترضه القوم عند بابه ، فالتفوا^(٢) به ، وأشعروه غرضهم^(٣) فيه ، وجاءوا به إلى بعض القصور بظاهر البلد ، فجعلوه به تحت رَقْبَةٍ ، وقد بادر ولده القصبة ، فاستولى عليها من غير ممانعة ، لعدم استرابة ثقاته به ، إلا ما كان من خاين يتولى القيام ببعض أبوابها همّ بسدّه ، فطاح لحينه ، وتمّ لولده الاستبداد بالأمر ، واستولى على النّصَب والذخيرة وباقى المال^(٤) ، ونقل الرئيس إلى مِعْقَلِ قرطبة ، فلما خلص الأمر لولده ، انتقل إلى مِعْقَلِ شُلوَبانية ، فلم يزل به لا يبرح عن باب قصره ، مرفّها عليه إلى أن قضى نحبه .

وفاته ٤

في الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية ، توفى رحمه الله بشلوَبانية ، وجيء بجنازته محمولا على رؤوس صدور الدولة ووجوه رجالها ، متناغين في لباس شعار الحزن بما لم يتقدم به عهد ، ودفن بمقبرة السَّبِيكة ، وولده أمير المسلمين واقف بإزاء لَحْدِهِ ، مظهر الاكتراث لفقده ، وعلى قبره الآن مكتوب نقشًا في الرخام البديع ما نصه :
« هذا قبر عَلمِ الأعلام ، وعماد دين الإسلام ، جواد الأجواد ، أسد الآساد ، حامى الثغور ومهد البلاد ، المجاهد في ذات الله حقَّ الجهاد ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (معالجة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (فاحتفوا) والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بغزهم) .

(٤) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

شمس الملك وبدره ، وعين الزمان و صدره ، الكريم الأخلاق ، الطاهر
الذات والأعراق ، الذي سار ذكره في الآفاق ، وخلق من فضائله ما تتحلى
به ظهور المنابر وبطون الأوراق ، كبير الإمامة النصيرية ، وعظيم الدولة
الغالبية ، فرع الملك وأصله ، ومن وسع الأنام عدله وفضله ، مخلد
الفخر الباقي على الأعصار ، والعمل الصالح الذي يُنال به الحُسنى
وعُقبى الدار ، بسلالته الطاهرة الكريمة المآثر والآثار ، الإمام الرضى
ناصر دين المختار ، المنتخب من آل نصر ونعم النسب الكريم في
الأنصار . الهمام ، الأكبر ، الأشهر ، المقدم ، المرحوم ، الأطهر ،
أبو سعيد ابن الإمام الأعلى ، ناصر دين الإيمان ، وقاهر عبدة الصليبان ،
صينو الإمام الغالب بالله ، ومجهز الجيوش في سبيل الله ، سهام العدا ،
وغمام الندى ، وضرغام الحروب ، ذى البأس المرهوب ، والجود المسكوب ؛
بطل الأبطال ، ومناخ الآمال ، المجاهد ، الظاهر ، المقدس ، المرحوم
أبى الوليد بن نصر ، قدس الله مضجعه ، ورقاه إلى الرفيق الأعلى ورفع .
كان رضى الله عنه ، وحيد عصره ، وفريد دهره ، علت في سماء المعالى
رتبه ، وكرم من أمير المسلمين صهره ونسبه ، فلا يُزاحم مكانه ، ولا
يُدانى منصبه . نفذت أحكامه في الشرق والغرب ، ومضت أوامره في
العجم والعرب . إلى أن استأثر الله به ، فكانت وفاته ليلة الخميس
الرابع عشر لشهر ربيع الأول من عام عشرين وسبعماية ، وكان مولده
يوم الجمعة الثامن لشهر رمضان المعظم من عام ست وأربعين وستماية ،
فسبحان الله الملك الحق ، الباقي بعد فناء الخلق .

سلام على قبر المكارم والمجد مُقام الرضى والفوز والبشر والسعد
مناسبة إحسانٍ ومعهد رحمةٍ ومُستودع انغليا والسر والعدد

فبأبها القبر الذي هو روضة
 لك الفضل إذ حملت أرضي أمانة
 ففبك من الأنصار من آل نصرهم
 قَسَمُ أمير المسلمين ابن عمه
 وحامى ذمار الدين ناصره أبو سعيد عماد الملك في الحل والعقد
 لبيك أمير العُدوتين بواجب
 وتبكي بلاد كان مالك أمرها
 أقام بها العدل والفضل سنة
 وتبكي أسي ملء العيون لفقده
 فبأبها المولى الذي لمصابه
 لك الله ما أعلى مكارمك التي
 وحسبك أن أورثت خير خليفة
 إمام هدى أعماله لله رحمة
 عليك من الرحمن أزكى تحية
 تفوح شذى أذكى من المسك والذر
 تودي بإكرام إلى جنة الخلد
 همام كريم الذات والأب والجد
 ونخبة بيت الملك واسطة العقد
 من الحق أبناء الوغى وبنو الرُفد
 أفاض بها النعماء سابعة الورد
 بإنصاف مُستعد وإسعاف مُستجد
 وبالحق لو فاضت نفوس من الوجد
 بدا الحزن حتى في المُطَهمة الجرد
 تسير بها الركبان في الغور والنجد
 وأبديت منه للورى علم الرشيد
 تُنال بها الزلفى من الصمد الفرد
 توفيك من إحسانه غاية القصد

فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر

الأمير أبو سعيد ولد أمير المسلمين ثاني الملوك النصريين ابن الغالب بالله .

حاله

كان أميراً جليلاً جميلاً ، بلغ الغاية في حسن الصورة ، وفضل
 الفروسية على صغر سنه ، وكان زناً في الشكل والركض والآلة ، عروس
 الميدان ، وحس الخيل ، يؤثر من شجاعته ، وثبات موقفه ، على

الغرارة ، وعدم الحنكة ، أنه أنشب في اتباع خنزير ضخيم الكراديس ،
عظيم الناب . عريض الغبطة ، طرح نفسه عليه في ضحضاح ، لفضل
شجاعته ، فكبا به الطرف ، واستقبله ذلك الخنزير الفحل صامدا ،
فاستقل ، زعموا ، من السقطة ، وقد اخترط سيفاً عندها كان يتقلده ،
وسبقه بضربة تحت عينيه ، أبانت فكبه ، وأطارت محل سلاحه ،
ونحالطه مع ذلك أعزل ، فلم يُغن ، وتلاحق به فرسانه ، وقد يئسوا بن
خلاصه ، فرأوا ما بهتوا له ، وبُشِّرَ بذلك أبوه ، فهلاً عينه قرة ، وكان
يولع منه بفرع مُلك ، وصقُر بيت ، وسيف دولة . أسف بذلك وليُّ العهد
كبيره ، فاعتبَطَ لأيام من تصير الأمر إليه .

وفاته : توفي معتالاً في الأول من عام اثنين وسبعماية .

مولده : عام ستة وثمانين وستماية .

فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر

الأمير أبو سعيد ولي عهد السلطان العائلي بالله

حاله

كان هذا الأمير فاضلاً ذكياً ، من أهل الأدب والنبل ، قام الأدب
في ملته على ساق ، ولأه أبوه الغالب بالله عنده ، وأمله لمكانه لو أن
الليالي أمهاته

شعره

وأدبه مما يُنسب إليه بالأندلس : وهو عندي ما يبعد قوله :
أيا ربة الحسن التي سلبت منك على أي حال كنت لا بد لي منك

فإما بطل وهو أليق بالمهوى وإما بقر وهو أليق بالملك
 وكان ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم رحمه الله يقول؛ أخبرني
 كاتب هذا الأمير، وهو الوزير أبو عبد الله بن القصيرة الإشبيلي بتونس
 قال . نظم الأمير بيتا وطلبني بإجازته ، وأن يكون المنظوم مشوب النسيب
 بالفخر . والبيت :

أرقت لبرق بالسبيكة لا الخيف وإن كان فيه ما أحاذر من حثف
 فقلت مجيزا

تجورُ على قلبي لواحظ غادة بأنفد من عزمي وأقطع من سيف
 ولي هزة نحو الوصال أو الأما كهزة آبابي الكرام إلى الضيف
 أبيضُ وفيضُ في الجفون وبالْحشا فأشكو بحالي في الشتاء وفي الصيف
 لعمرى لقد وفى العلاحقُ مفخرى لو اتى في الدنيا مُرادى استوف
 قال واستحسن ذلك ووقع عليه « كاتبه » يعني بذلك نفسه

وفاته

عصر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين
 وستمائة ، ابن خمس وعشرين سنة

ومن الكتاب والشعراء

الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب [المشهور]^(١)

من قرية تعرف بصخرة الواد من قرى قلعة يحصب ، يكنى أبا نصر .

ويعرف بابن خاقان .

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الاسكوريال .

حاله

كان آية من آيات البلاغة ، لا يُشَقُّ غُبَّارُه ، ولا يدرك شأوه ، عذب الألفاظ ناصعُها ، أصيل المعاني وثيقُها ، لعوباً بأطراف الكلام ، مُتَجَزِّئاً في باب الحَلْيِ والصفات ، إلا أنه كان مجازفاً ، مقدوراً عليه ، لا يَمَلُّ من المعاقرة والقصف ، حتى هان قَدْرُه ، وابتذلت نفسه ، وساء ذكره ، ولم يدع بلداً من بلاد الأندلس إلا دخله ، مُسْتَرْفِداً أميره ، وواغلا على عِلْيَتِه . قال الأستاذ في « الصلة » ، وكان معاصراً للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال ، إلا أن بطالته أَخْلَدَتْ به عن مرتبته . وقال ابن عبد الملك ، دخل يوماً إلى مجلس قضاء ^(١) أبي الفضل عياض ^(٢) مخمراً ، فتنسّم بعض حاضري المجلس رائحة الخمر ، فأعلم القاضي بذلك ، فاستثبت ، وحده جداً تاماً ، وبعث إليه بعد أن أقام عليه الحد ، بثمانية دنانير وعمامة . فقال اللمتخ حينئذ لبعض أصحابه : عزمت على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من كتابي الموسوم « بقلايد العقيان » قال ، فقلت لا تفعل وهي نصيحة ، فقال ، وكيف ذلك ، فقلت له . قِصَّتْكَ معه من الجايز أن تنسى ، وأنت تريد أن تتركها مؤرخة ، إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والصيت ، فيسل عن ذلك ، فيقال له [اتفق معك كيت وكيت] ^(٣) فيتوارث العلم عن الأكابر الأصاغر . قال ، فتبين له ذلك ، وعلم صحته وأثر اسمه وحدثني بعض الشيوخ ، أن سبب حقه على ابن باجة أبي بكر ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القاضي) والأولى أرجح .

(٢) هذه الكلمة ورادة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه العبارة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال والفتح ، وهي لازمة لاستقامة

آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس ، ما كان من إزرايه به ، وتكذيبه إياه في مجلس إقرابة ، إذ جعل يكثر ذكر ما وصله به أمراء الأندلس ، [ويذكر الفخر بذلك] ^(١) ، ووصف حلياً ، وكانت تبدو من أنفد فضلة خضراء اللون . زعموا ، فقال له ، فمن تارك الجواهر إذا الزمردة التي على شاربك ، فثلبه في كتابه ، بما هو معروف في الكتاب . وعلى ذلك فأبو نصر نسيج وحده ، غفر الله له .

مشيخته

روى عن أبوي بكر بن سليمان بن القصيرة ، وابن عيسى بن اللبانة ، وأبي جعفر بن سعدون الكاتب ، وأبي الحسن بن سراح ، وأبي خالد بن مستقور ، وأبي الطيب بن زرقون ، وأبي عبد الله بن خلصة الكاتب ، وأبي عبد الرحمن بن طاهر ، وأبي عامر بن سرور ، وأبي محمد بن عبدون ، وأبي الزليد بن حجاج ، وابن دريد الكاتب .

توالمفه

ومصنفاته شهيرة منها « قلايد العقيان » ، « ومطوح الأنفس » ، « والمطوح » أيضاً . وترسيه ملون ، وشعره وسَط ، وكتابته فائقة .

شعره

من شعره قوله ، وثبت في قلايده ، يخاطب أبا يحيى بن الحجاج :
 أكعبة علياء وهضبة سؤدد وروضة مجد بالمفاخر تظفر
 هنيئاً لمن زار [نورك أفقه] ^(١) وفي صفحته من مضايك أسطر

(١) هذه الزيادة من الرينة .

(٢) وردت في الاسكوريال (أفكك نوره) . والتصويب من قلايد العقيان . ووردت هذه

للشطرة في النسخ كالاتي . (هنيئاً لمن زار أفكك نوره) .

وإني لخباق الجناحين كلما
وقد كان واشٍ هاجنالتهاجر
فهل لك في وُدِّ زوى لك ظاهرا
ولستُ بِعاقٍ بيعٍ بخساً وإنني
سرى لك ذكر أو نسيمٍ مُعطرٍ
فبتُّ وأحشاني جوى تتفطر
وباطنه يُندي صفاءً ويَقطر
لأرفع أعلاق الزمان وأخطر
فروجع عنه بما ثبت أيضا في قلايده ما أوله :

ثبيت أبا نصر عِناني وربما
ثنت عَزْمَةَ السَّهْمِ المَصْمُومِ أسطر

نثره

ونثره شهير ، وثبت له من غير المتعارف من السلطانيات ظهيرا
[كسبه] ^(١) عن بعض الأمراء لصاحب الشرطة ، ولاخفاء بإدلاله وبراعته :
كتاب تأكيد اعتناء ، وتقليد ذي منة وغناء ، أمر بإنفاذه فلان ،
أيده الله ، لفلان بن فلان صانه الله ، ليتقدم لولاية المدينة ، بفلانة
وجهاتها ، ويصرخ ^(٢) ماتكائف من العدوان في جنباها ، تنويها أحظاه
بعلائه ، وكساه رايق ملاءه ، لما علمه من سنايه ، وتوسمه من غنايه ،
ورجاه من حسن منابه ، وتحققه من طهارة ساحتها وجنابيه ، وتيقن أيده
الله ، أنه مُستحق لما ^(٣) ولاه ، مُستقل بما تولاه ، لا يعتريه الكسل ، ولا
يشنيه عن إمضاء الصوارم والأسل ، ولم يكل الأمر منه إلى وكيل ، ولا ناظه
مناط عجز ولا فشل ، وأمره أن يُراقب الله تعالى في أوامره ونواهيته ،
وليعلم أنه زاجره عن الجور ونواهيته ؛ وسايله عما حكم به وقضاه ، وأنفذه
وأمضاه ، يوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله . فليتقدم
لذلك بحزم لا يَحْمَدُ توقده ، وعزم لا ينفد تفقده ، ونفس مع الخير

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتون وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يصوح) .

(٣) وردت في الإسكوريال (بما) . والتصويب من النسخ .

ذاهبة ، وعلى سنن ^(١) البرِّ والتقوى راقبة ، ويقدم للاحتراس من عُرف
اجتهاده ، وعُلم أرقه في البحث وسُهاده . وُحُمدت أعماله ، وأمن تفريطه
وإهماله ، ويضم إليهم من يحذو حذوهم ، ويقفو شأوهم ، ممن لا يُستراب
بمناحيه ، ولا يصاب خلل في ناحية من نواحيه ، وأن يُذكى العيون على ^(٢)
الجُناة ، وينبئ عنها لذيذ السنات ، ويفحص عن مكانهم ، حتى يُفصَّ
بالرُوع ^(٣) نَفَس آمنهم ، فلا يستقرُّ بهم موضع ، ولا يقرُّ منهم مَخْبُ
ولا موضع ، فإذا ظفر منهم بمن ظفر ، بحث عن باطنه ، وبثَّ السؤال
في مواضع تصرفه ومواطنه ، فإن لاحتُ شُبُهَة أبدأها الكشف والاستبراء
وتعدُّها للبغي والافتراء ، نكَّله بالعقوبة أشدَّ نكال ، وأوضح له منها
ما كان ذا إشكال ، بعد أن يبلغ أناه ، ويقف على [طَرْف] ^(٤) مداه ،
وحدُّ له ألا يكشف بشرة إلا في حدُّ يتعين ، وإن جاءه فاسق أن يتبين ،
وأن لا يطمع في صاحب مال موفور ، وأن لا يسمع من مكشوف في مستور ،
وأن يسلك السنن المحمود ، وينزّه عقوبته من الإفراط ، وعفوه من تعطيل
الحدود . وإذا انتهت إليه قصَّة مُشكلة أخرها إلى غَدِه ، فهو على العقاب
أقدر منه على رده ، فقد يتبين في وقت مالا يتبين في وقت ، والمعالجة
بالعقوبة من المَقْت ، وأن يتعمد هفوات ذوى الهيآت ، وأن يستشِر
الإشفاق ، ويخلع التَّكْبِير ، فإنه من ملابس أهل النفاق ، وليحسن لعباد
الله اعتقاده ، ولا يرفض زمام العدل ولا مَقَّاده ، وأن يعاقب المجرم قَدْرَ
زلته ، ولا يعتز عند ذلته ، وليعلم أن الشيطان أغواه ، وزين له مشواه ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (متن) .

(٢) وردت في الإسكوريال (عن) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (بالريق) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (في طرفه) .

فيشفق من عثاره ، وسوء آثاره ، وليشكر الله على ما وهبه من العافية ،
وأكسبه من ملابسها الضافية ، ويذكره جلّ وتعالى في جميع أحواله ،
ويفكر في الحشر وأهواله ، ويتذكر وعداً يُنجز فيه ، ووعيداً يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير مُخَضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها
وبينه أمداً بعيداً . والأمير أيده الله ، وليُّ له ما عدل وأقسط ، وبريء
منه إن جار وقسط . فمن قرأه فليقف عند حده ورسمه ، وليعرف له حق
قطع الشرِّ وحسنه ، ومن وافقه من شريف أو مشروف ، وخالفه في شيء
مُنكر أو أمرٍ بمعروف ، فقد تعرّض من العقاب لما يذيقه وبال خبلة ،
ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله . وكتب في كذا .

وفاته

بمراكش ليلة الأحد لثمان بقين من محرم من عام تسع وعشرين وخمسمائة ،
ألفى قتيلاً ببیت من بيوت فندق لبیب أحد فنادقها ، وقد ذبح وعُبث
به ، وما شعر به إلا بعد ثلاثة ليال من مقتله .

ومن المقرّيين والعلماء

فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا سعيد .

حاله

هذا الرجل من أهل الخير والطهارة ، والزكا والديانة ، وحسن الخلق .
رأس بنفسه ، وحلّى بفضل ذاته ، وبرز بمزية إدراكه وحفظه ، فأصبح
حامل لواء التحصيل عليه بدار الشورى . وإليه مرجع الفتوى ببلده ،
لغزارة حفظه ، وقيامه على الفقه . واضطّاعه بالمسائل ، إلى المعرفة

بالعربية واللغة ، والمران في التوثيق ، والقيام على القراءات ، والتبريز
في التفسير ، والمشاركة في الأصلين والفرايض والأدب . جيد الحظ ،
ينظم وينثر . قعد بببلده للتدريس على وفور المسجد . ثم استقل بعد ،
وولّى الخطابة بالمسجد الأعظم ، وأقرأ بالمدرسة النُصيرية ، في ثامن وعشرين
من رجب عام أربعة وخمسين وسبعماية ؛ معظما ، عند الخاصة والعامة ،
مقرونا اسمه بالتسويد . وهو الآن بالحالة الموصوفة .

مشيخته

قرأ على الخطيب للقري ، شيخنا أبي الحسن القيجاطي ، والخطيب
الصالح الفاضل أبي إسحق بن أبي العاصي ، والقاضي العدل المحدث العالم
أبي عبد الله بن بكر ، ولازم الشيخ الفقيه أبا عبد الله البياني ، وأخذ
العربية عن شيخ العصر أبي عبد الله بن الفخار ، وروى عن الشيخ الرحال
الراوي أبي عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آثي وغيرهم .

شعره

من شعره في غرض النسب قوله :

خذوا للهوى من فلبى اليوم ما أبقا	فما زال قلبي للهوى كنه رقًا
دعوا القلب يُصلي في لظى الوجداناره	فنار الهوى الكبرى وقلبي هو الأشقا
سَلُوا اليوم أهل الوجد ما ذابه لَقُوا	فكلُّ الذي يلقون بعض الذي ألقا
فإن كان عبْدُ يسَل العِتقُ مالكا فلا	ابتغى من مالكي في الهوى عتقا
بدعوى الهوى يدعو أناس وكلهم	إذا سئلوا طرُق الهوى جهلوا الطرُقا
فطرُق الهوى شتى ولكن أهله	يجوزون في يوم الرهان بها سبُقا
فكم جَعَت طرُق الهوى بين أهله	وكم أظهرت عند السرى بينهم قرنا

بِسِيْمَا الْهُوَي تَسْدُو مَعَارِفْ أَهْلِهِ فَحَيْثُ تَرَى سِيْمَا الْهُوَي فَاعْرِفِ الصَّدَقَا
 فَمَنْ زَفْرَةَ تَزْجِي سَحَابِيبِ زَفْرَةَ إِذَا زَفْرَةَ تَرَقَى فَلَا عَبْرَةَ تَرَقَا
 إِذَا سَكْتُوا عَنْ وَجْدِهِمْ أَغْرَتْ مَهْمٌ بِوَاطِنِ أَحْوَاكِ وَمَا عَرَفْتَ نَطْقَا
 وَمَنْ مَنظُومُهُ فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ قَوْلُهُ :

أَزْمَعْتَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ رَحِيلَا وَقَارِبْتَ يَا بَدْرَ التَّامِ أَفُولَا
 أَجِدُكَ قَدْ جَدَّتْ بِكَ الْآنَ رِحْلَةَ رُوَيْدِكَ امسِكْ لِلدَّوَادِعِ قَلِيلَا
 نَزَلْتَ فَازْمَعْتَ الرَّحِيلَ كَلِمَا نَوَيْتَ رَحِيلَا إِذْ نَوَيْتَ نَزُولَا
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ أَهْلَكَ قَدْ مَضُوا نَفَانُوا فَأَبْصَرْتَ الدِّيَارَ طَلُولَا
 وَقَفْتَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَعَلْ نَادَى لَرُبِّعِ خَلَا يَبْكِي عَلَيْهِ خَلِيلَا
 لَقَدْ كُنْتُ فِي الْأَوْقَاتِ نَاشِئَةَ التَّعْنَى أَشَدَّ بِهِ وَطْئًا وَأَقْوَمَ قِيْلَا
 وَمَا انْجَلَى وَجْهُ الْهُدَى فَيْكَ مُسْفِرًا سَدَلْتُ عَلَيَّ وَجْهَ الضَّلَالِ سُدُولَا
 مَتَى ارْتَادَ مَرْتَادٌ مَقِيلَا لِعَشْرَةَ أَنْتَاكَ فَالْقَى لِلْعِثَارِ مَقِيلَا
 وَنَادَيْتَ فِينَا صُحْبَةَ الْخَيْرِ أَقْبَلُوا بِإِقْبَالِكُمْ حُزْنِي لَدَى قَبُولَا
 لَقَدْ كُنْتُ لَمَّا وَاصِلُوكَ بِيْرُهُمْ خَفِيًّا بِهِمْ بَرًّا لَهُمْ وَوَصُولَا
 أَقَامُوا لِلدِّينِ اللَّهُ فَيْكَ شَعَايِرَا هَدَيْتُهُمْ إِلَى دَارِ السَّلَامِ سَبِيلَا
 فَكُمِ أَطْلَقُوا فِيهَا أَعْنَةَ جَدِّهِمْ وَكُمِ أَرْسَلُوا فِيهَا الدَّمْعَ هَمُولَا
 دَمُوعَا أَثَارَتْ سَحَّهَا رِيحَ زَفْرَةَ فَسَالَتْ وَخَدَّتْ فِي الْخُدُودِ مَسِيلَا
 لَدَيْكَ أَيَا شَهْرِ الْهُدَى قَصَّرُوا الْمَدَى فَكُمِ لَكَ فِي شَأْوَ الْفَضَائِلِ طُولَا
 دَلَائِلُ تَشْرِيفٍ لَدَيْكَ كَثِيرَةٌ كَفِيَّ بَكْتَابِ اللَّهِ فَيْكَ دَلِيلَا^(١)

(١) لم يذكر لنا ابن الخطيب تاريخ وناث ابن اب ، لأنه توفي قبله ، ولكن الناسخ أورد في هامش المخطوط ، نقلا عن ابن فرحون صاحب «الديباج المذهب» وعن الحافظ ابن حجر ان ابن لب قد توفي في سنة ٧٨٣ هـ .

ومن الصوفية والصلحاء

فضل بن محمد بن علي بن فضيلة الماعري

يكنى أبا الحسن من أهل الشرق الأندلسي، أبو الحسن الولي الصالح الصوفي .

حاله

كان ولياً فاضلاً زاهداً ، على سنن الفضلاء ، وأخلاق الأولياء ، غزير العلم ، كثير العمل ، دائم الاعتبار ، مشهور الكرامة ، مُستجاب الدعوة ، صوفياً محققاً ، انتهت إليه الرياسة في ذلك نلى عهده . يدل على ذلك كلامه على أغراض القوم ، وكشفه عن رموزهم وإشاراتهم ، أديباً بليغاً ، كاتباً مرسلًا ، لا يُشَقُّ غباره في ذلك . قائماً على تجويد كتاب الله ، على الرواية ، أسنً وتناهى وازدلف إلى التسعين ، مُمتعاً بجوارحه ، ووليّ الخطابة والإمامة بالمسجد الأعظم ، أقرأ به مدة كبيرة .

قال ابن الزبير في « صلته » : كان جليلاً في ذاته وخلقه ودينه ، معدوم النظر في ذلك ، مشاركاً في فنون من العلم ، أديباً بارعاً ، كاتباً بليغاً ، فصيح القلم ، متقدماً في ذلك ، متصوفاً ، سنياً ، ورعاً ، معدوم القرين في ذلك ، متواضعاً ، مقتصدًا في شئونه كلها ، جارياً في خلقه وأفعاله وأحواله ، على سنن السلف ، أحفظ الناس لسانه وجوارحه وأصدقائه ، وأسلمهم عنياً ومشهداً ، وأشدهم تمسكاً بهدى السلف الصالح ، مؤثراً للخمول ، سريع العبرة ، شديد الخوف لله سبحانه ، تالياً لكتاب الله ، كثير الصوم ، خفيف القدم في حوايج أصحابه ، مشاركاً لهم بأقصى ما يمكنه . له تقايد جوابية عما كان يُسئل عنه في الفن الذي كان يؤثره ،

محرراً ما يلزم التقييد به من كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، غير منافر لمذهب الأشعرية ، مالكي المذهب ، له اختيارات يسيرة لا يُفتى بها ، ولا تتعدى علمه .

مشيخته

روى عن أبي تمام غالب بن حسن بن أحمد بن سيدبونه ، وعن أبي العباس أحمد بن محمد بن شهيد ، وأخذ أيضاً عن أبي بكر بن محرم ، وأجاز له أبو بكر بن المرابط ، وقرأ على القاضي أبي القاسم بن يحيى بن ربيع ، والقاضي أبي عيسى بن أبي السداد المرسي ، وغيرهم .

من أخباره

وكراماته شهيرة ، فمنها أن رجلاً استفتاه ، فأفتاه بجواب لم يحصل له به الإقناع ، فرأى في عالم النوم ، وإثر سؤاله إياه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول له ، الحق ما قال لك فلان في المسألة . قال الحاكي ، فبكر إليه الرجل من الغد ، فلما أقبل عليه بموضع إقرايه ، قال له ، ألم ترد أن تستفتي يا أبا فلان إلا من رأس العين ، فبهت الرجل . وأحواله شهيرة :

مولده : ولد عام سبعة وستماية .

وفاته : في الثامن عشر من محرم عام تسعة وتسعين وستماية . ودفن بمقبرة [ربض]^(۱) البيازين مع قومه من صلحاء الشرق ، وكانت جنازته مشهودة .

(۱) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

ومن العمال الأثرا

فلوج العليج

مولى يحيى بن غانية .

حاله

كان فلوج شهما شجاعا ، مهيبا حازما ، نال من مولاة حظوة ، واستعان به على أموره المهمة . وجرى على يده إغرام أهل قرطبة ، وانطلقت على أموالهم يده ، وأثرى وجمع مالا دبرا من الصامت والذخيرة عظيما .

نكبته

وكان يحيى بن غانية قد ولاه حصن بنى بشير . فثقفه وحصنه ، ونقل إليه أمواله ومتاعه ، وذخيرته . ولما توفى مولاة ، لحق به وملك أمره ، واستعان بجماعة من النصارى ، ثم بدا له لضعف رأيه ، وسوء تدبيره ، أن ألقى بيده إلى ابن أخى مولاة إسحق بن محمد بن غانية ، فأتاب ولحق به ، معتذرا عن توقفه ، فقبض عليه وصدفه . وعرض عليه العذاب ، وأسكنه فى تابوت ، باطنه مسامير ، لا يمكنه معها التصرف ، وأجاعه بمراى من الطعام بمطبخه ، إلى أن مات جوعا وألما . وهو مع ذلك لا يطمعه فى شىء من المال . وتخلّف بالحصن رجلا من جهة سرقسطة ، يعرف بابن مالك ، ويكنى أبا مروان . فلما ذاع خبر القبض عليه . بادر الموحدون الذين بلوثة ، فتغلبوا عليه . واستولوا على ما كان به من مال وذخيرة ، ووجدوا فيه من أنواع الثياب والحلى والذخيرة . كل حطير عظيم ، وشدوا على ابن مالك فى طلب المال فلم يحدوا عنده شيئا . إلى أن فدى نفسه منهم ، بمال كبير . فمضى فلوج على هذا السبيل .

ومن المقررين والعلماء

قاسم بن عبد الله بن محمد الشَّاطِ الأنصاري

نزِيل سبته ، وأصله من بلنسية ، يكنى أبا القاسم . قال ، والشَّاطِ
إسم لجدى ، وكان طُوالاً فجرى عليه الاسم .

حاله

نسيج وحده في إدراك النظر ، ونفوذ الفكر ، وجودة القريحة ،
وتسديد الفهم ، إلى حسن الشمايل ، وعلو الهمة ، وفضل الخلق ، والعكوف
على العلم ، والاقتصار على الآداب السنية ، والتحلّي بالوقار والسكينة .
أقرأ عُمره بمدرسة سبته ، الأصول والفرائض ، متقدماً ، موصوفاً بالأمانة .
وكان موفور الحظ من الفقه ، حسن المشاركة في العربية ، كاتباً ، مُرسلاً ،
ريّان من الأدب ، ذا مِماسة في الفنون ، ونظر في العقليات ، ضرورة لم
يتزوج ، ممن يتحلّى بطهارة وعفاف .

وقال في « المؤتمن » كان مع معارفه ، على الهمة ، نزيه النفس ، ذا
وقار وتؤدة في مشيه ومجلسه ، يُشاب وقاره بفكاهة نظيفة ، لا تنهض إلى
التأثير في وقاره ، ظريف الملبس ، يخضب رأسه بالحناء على كبره .

مشيخته

قرأ بسبته على الأستاذ الكبير أبي الحسن بن أبي الربيع وبه تأدب ،
وعلى أبي بكر بن مشليون ، وعلى الحافظ أبي يعقوب المحاسبي ، وعلى
الطبيب أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي خالد العبدري الأبدى ، وعلى
أبي الحسن البصرى ، وعلى خاليه أبي عبد الله محمد وأبي الحسن إبنى
الطرطاني ، وأجازه أبو القاسم بن البراء . وأبو محمد بن أبي الدنيا ،

وأبو العباس بن علي الغماز ، وأبو جعفر الطباع ، وأبو بكر بن فارس ،
وأبو محمد الأنباري ، وغيرهم . وأخذ عنه الجملة من أهل الأندلس من
شيوخنا كالحكيم الأستاذ أبي زكريا بن هذيل ، وشيخنا أبي الحسن بن
الجياب ، وشيخنا أبي البركات ، والقاضي أبي بكر بن شيرين ، وقاضي
الجماعة أبي القاسم الحسن الشریف ، والوزير أبي بكر بن ذي الوزارتين
أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي أبي القاسم بن سلمون ، وغيرهم .

شعره

وكان يقرض أبياتا حسنة من الشعر ، فمن ذلك قوله يُذِيلُ أبياتا
لأبي المطرف بن عميرة وهي :

فَضَلَ الْجَمَالَ عَلَى الْكَمَالِ بِخَدِّهِ	وَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ وَسَّطَهُ
عَجِبَا لَهُ بَرَهَانَهُ بِشُرُوطِهِ	مَعَهُ فَمَا مَطْلُوبُهُ بِالسَّفْطِهِ
عَلِمَ التَّبَايِنَ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّا	مِنْهَا [مَفْرُطَةٌ وَغَيْرُ مَفْرُطَةٍ] (۱)
فِيهِ رَأَتْ وَجْهَ الدَّلِيلِ وَفَرَّقَهُ	أَصْغَتْ إِلَى الشُّبُهَاتِ فِيهِ مَوْرَطَهُ
فَأَرَادَ جَمْعَهَا مَعًا فِي حِكْمَةٍ	هَذِي بِمُنْتَجَةٍ وَذِي بِمَغْلَطَةٍ

ومن شعره قوله :

وَإِنِّي سَلَكْتُ مِنْ انْقِبَاضِي مَسْلَكًا	وَجَرَيْتُ مِنْ صَدْتِي عَلَى مِنْهَاجٍ
وَتَرَكْتُ أَقْوَالَ الْبَرِيَّةِ جَانِبًا	كَيْ لَا أُمَيِّزُ مَا دَحَا مِنْ هَاجٍ

دخوله غرناطة

ورد على غرناطة عند تصير سبته إلى الإيالة النصرية مع الوفد من
أهلها ببيعة بلدهم ، فأخذ عنه بها الجملة ، ثم انصرف إلى بلده . قال شيخنا

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مفروقة وغير مفروقة) .

أبو البركات ، وأنشدنا لنفسه :

قلت يوما لمن اتخذت هواه
لم تأب الوصال وهو مُباح
قال إني خشيت منك ملاماً
وأنشدنا :

وغزال أنس سلّ من الحاظه
وبخده من ذلك أعدل شاهد
مالي أطلبه فيدحض حجّتي
وأنشدنا الفقيه أبو القاسم الزقاق ، قال أنشدنا الأستاذ أبو القاسم

الشاط ، وقد خرجنا معه مشيعين إياه في انصرافه عن غرناطة آيبا إلى بلده :

يا أهل غرناطة إني أودعكم
تركت قلبي غريباً في دياركم
ودمع عيني من جراكم جار
عساه يلقي لديكم حرمة الجار

توالياه

منها « أنوار البروق في تعقب مسایل القواعد والفروق ». « وغنية
الرابض في علم الفرائض ». وتحرير الجواب في توفير الثواب . وفهرسة
حافلة . وكان مجلسه مألفا للصدور من الطلبة ، والنبلاء من العامة ،
حدثني شيخنا القاضي الشريف أبو القاسم ، قال ، كان يجلس عند رجل
خياط من أهل سبتة ، يعرف بالأجعد من العامة ، فأخذ يوماً يتكلم عن
مسألة ، فقال متمثلاً كما تقول الأجعد الخياط فعل كذا ، ثم التفت
معتذراً يتبسم وقال ، أتمثل بك ، فقال الأجعد بديهية ، إذا يا سيدي أعتق
عليكم ، إشارة إلى قول الفقهاء ، [العبد يُعتق على سيده ، إذا مُثل به] (۱)
فاستظرف قوله .

(۱) هكذا وردت هذه العبارة في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال كالاتي (أن العبد إذا
مثل به عتق) والعبارة الأولى أوضح وأنسب للسياق .

مولده : في ذى قعدة من عام ثلاثة وأربعين وستماية بمدينة سبتة .
وفاته : توفي بها في آخر عام ثلاثة وعشرين وسبعماية ، وقد استكمل
الثمانين .

قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري

من أهل غرناطة ، يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن جابر .

حاله

كان رحمه الله من جلة أهل العلم والفضل ، حسن الأخلاق ، مليح
الحديث ، عذب الفكاهة ، لطيف الحاشية ، على دين والتزام سنة .
رحل إلى المشرق ، فلقى العلماء ، وأخذ عنهم ، وكلف بعلم الجدال ، فقرأه
كثيرا ، وبهر فيه . وورد على غرناطة من رحلته ، فأقرأ بها الأصول وغيرها
من جدل ومنطق وفقه .

مشيخته

قرأ بغرناطة على الخطيب ولي الله أبي الحسن بن فضيلة ، والأستاذ
خاتمة المقرئين أبي جعفر بن الزبير ، وولى القضاء ببسطة ، ثم كلف
بالإقراء وعكف عليه ، فلم ينتقل عنه .

من أخذ عنه : أخذ عنه كراسة الفخر المسماة « بالآيات البينات » .
وكان قائما عليها ، جملة من شيوخنا ، كالأستاذ التعاليمي أبي زكريا بن
هذيل ، والأستاذ المقرئ أبي عبد الله بن البياني .

شعره

وله شعر أنشدنا الشيخ أبو القاسم بن سلمون ، قال أنشدنا في شيخنا ابن جميل قوله :

إن أطلع الشرقُ شمسَ دنيا قد أطلع الغربُ شمسَ دين
وبين شمس وبين شمس ما بين دنيا وبين دين
مولده : ولد بغرناطة عام تسعة وستين وستماية .

وفاته : توفي بها في جمادى الآخرة أو رجب من عام أربعة عشر وسبعماية .

قاسم بن يحيى بن محمد الزروالى

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن دِزهم ، مالتى أصله من جبال تاغسى ، ودخل غرناطة وقرأ بها .

حاله

من تذييل صاحبنا القاضى أبى الحسن ، قال فيه : كان رحمه الله واحد زمانه ، ينبوع الحكمة ، يتفجر من لسانه ، وعنوان الولاية على طيلسانه . ومن « عايد الصلة » : كان رحمه الله علما من أعلام الزهد والورع والديانة ، والتقلل من الدنيا ، والعكوف على تجويد كتاب الله وإقرايه ، منقطع القرين فيه ، كثير المناقشة والتحقيق ، يرى أن ليس فى الأرض من يحكم ذلك حق إحكامه ، مالم يأخذه .

مشيخته

قرأ على جملة من حملة كتاب الله بالمشرق والمغرب والأندلس ، وعنى بذلك . ثم لم يعتمد منهم إلا على الأستاذ أبى إسحق الغافقى بسببته ، والخطيب

أبى جعفر بن الزيات ببُلُش من الأندلس ، واستمرت حاله على سبيلها من الزهد والانقباض والتنطع ، والإغراق فى الصلاح ، والشُدُوذ فى بعض السجايَا إلى أن توفى .

بعض من نوادره مع اخشيَّشانه : حدثنى القاضى أبو الحسن بن الحسن ، أن بعض الطلبة المتسكِّين قال له ، أتيتك أقرأ عليك ، فأستخير الله ، ثم أتاه فقال قد استخرت ، وهمم بالقراءة ، فقال له الشيخ . إمسك حتى أستخير أنا الله ، فى قرائتك على ، فقال الطالب ، وهذا عمل بر ، فقال له الحجة عليك . فانفصل عنه . ثم عاد إليه يسألُ منه القراءة ، فقال ، يا بنى ظهر لى أن لا تقرأ على ، فانصرف .

ومن أخباره فى الكرامة ، قال لى المذكور ، وقد أزمعت السفر إلى ظاهر طريف مع جمع المسلمين ، أنك إن سافرت ^(١) يا ولدى ، تُقاسى مشقة عظمى إن سبق القدر بحياتك ، والله يُرشدك ، وقد كنت شرعت فى ذلك مع رفقاتى . وفى سحر ليلة اليوم ، الذى انهزم فيه المسلمون ، رأيت فى النوم يقول لى منكراً على ، قلت لك لا تسافر يكررها ، فاستيقظت وأوقع الله بقلبى الرجوع إلى الجزيرة ، لأراب أقضيها ، فما بلغ زوال الشمس من اليوم ، إلا ومُقدِّمة الفل على أطواق البلد فى أسوأ حال .

وفاته

توفى ببلدة مالقة خامس صفر ، من عام خمسين وسبعماية فى وقية الطاعون ^(٢) ، توفى وآخر كلامه ، رزقنا الله عملاً صالحاً يقربنا إليه زُلْفى ، وجعلنا ممن يمر على عُقبتي الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى .

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الزيتونة (تدافر) .

(٢) سبق التعريف بوقية الطاعون أو الوباء الكبير (راجع المجلد الأول من الإحاطة ج ١

ص ١٧٣ حاشية) .

ومن الكتاب والشعراء

قرشى بن حارث بن أسد بن بشر بن هندی بن المهلب بن القاسم
ابن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني

حاله

هو أعرق الناس في الشعر ، لأن جده المهلب كان شاعرا ، وولده
هندي كذلك ، وأسد وحارث وقرشى فهم شعراء سنة علي نسق ، ويدل
شعرهم ، على شرف نفوسهم ، وبعدهمهم .

شعره

قال أبو القاسم الغافقي ، من شعره قوله في هاشم بن كعب التميمي
من أنجد الفرسان ، قتل في يوم ، خمسة من أنجاد المولدين :

هجرتُ القوافي والظبا الأوانسا	وودعتُ لذاتي نعم واللواعسا
ورعت فوادي بالمسيب عن الصبا	وأصبحت عن عهد الغواية يانسا
أبا خالد مازلتُ مذ كنت يافعا	لكل سنات المكارم لا بسا
فما حملت أنثى كمثلك سيِّدا	ولا حملت خيلٌ كمثلك فارسا

قاسم بن محمد بن الجد العمري

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بالورسيدي ، من أهل المريّة ، وتكرر وروده
على غرناطة .

حاله

قال شيخنا أبو البركات ، كان حسن الأخلاق ، سليم الصدر ، بعيدا

عن إذابة الناس بيده أو لسانه بالجملة ، له خطأ لا بأس به ، ومعرفة بالعدد ، وسلك الطريقة الزمامية ، وله حظ من قرص الشعر . وجرى ذكره في الإكليل بما نصه : من أئمة أهل الزمام ، خليق برعى الذمام ، ذو حظ كما تفتتح زهر الكمام ، وأخلاق أعذب من ماء الغمام . كان ببلده محاسبا ، في لجة الأعمال راسبا ، صحيح العمل ، يلبس الطروس من براعته أسنى الحلل .

شعره

قال يندح المقام السلطاني :

أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا
وما بال أنفاس الخزامى تعطرت
ونقبت الشمس المنيرة وجهها
وما زالت بأغصان الرجال أريحية
فما ذاك إلا أن بدا وجه يوسف
خليفة رب العالمين الذي به
وجرت على أعلى المجرة ساجبا
وقام بأمر الله يقضى ويقتضى
وأرعى على كل الملوك وفاتهم
وهي طويلة ، ومن شعره أيضا قوله :

من أين أقبلت بانسيم
ولا عدمناه سنك سرى
بلغ سلامى أهيل ودى
قل لهم صببكم مشوق
جادت بساحاتك الغيوم
حبل به عندنا النعيم
بلغك الله ماتروم
أنحلته وجده القديم

اطلما يسهر الليالى
 هبوا رضاكم لذي غرام
 ان غبتم عن سواد عيني
 لو ثر ساعد السعد ان اراكم
 يا حادي العيس نحو ارض
 اذا اتيت اللوى وسلفا
 ولاح بالابرقين بدر
 فقل غريب ثوى بقرب
 قد اثقلت ظهره الخطايا
 ان اعمل الحزم لارتحال
 لهني هذا الشباب ولي
 يارب عفوا لذي اجترام
 مالي شفيع سوى رجائي
 فلا تكلني الى ذنوبي
 وطى أضلاعه جحيم
 مازال قُدماً بكم بهيم
 فحبكم في الحشى مقيم
 لما اشتكى قلبى السقيم
 بنية قدرها عظيم
 وبان للناظر الحطيم
 بسيره تهتدى النجوم
 فى بحر أوزاره يعوم
 وشجبت ذكره الرسوم
 أقعد ذنبه العظيم
 والقلب فى غيه مقيم
 لا تهتك الستر يا حلیم
 وحسن ظنى أيا كريم
 وارحمنى يا الله يا رحيم

وفاته : توفى فى وقية الطاعون عام خمسين وسبعماية .

ومن المحدثين والفقهاء والطلبة النجباء

قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي

من أهل سبتة ،

حاله

من خط صاحبنا القاضي أبى الحسن بن الحسن . قال ، كان شيخا

ينقد ذكاء . رحل عن سبتة إلى الحجاز ، ففرضى الفريضة ، وتطور في البلاد الشرقية نحواً من أربعة عشر عاماً ، وأخذ بها عن جلّة من العلماء . وورد على غرناطة في حدود عام ثمانية عشر وسبعماية ، فأخذ عن بعض أشياخها ، وعاد إلى بلده ، وكان على خزانة الكتب به ، وكان يُقرئ القرآن به ، قال ، وأنشدني لما لقيته بيتاً واحداً ، يحتوى على حروف المعجم ، وهو :

قد ضم نصر وشكا بثه مدسختُ عضُّ على الإبط

مشيخته

أخذ بالمشرق عن جماعة ، منهم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب الدمشقي الحجار ، والشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشيرازي ابن جميل ، قرأ عليه كتاب ابن الحاجب ، وحدثه به عن مؤلفه ، وقرأ على الشيخين المقرئين الجليلين ؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق المعروف بابن الضايح وأبي عبد الله بن يعقوب الجراش المقدسي ، جملة من الكتب الحديثية وغيرها ، وسمع عليهما كتاب « الشاطبية » وحدثاه بها معاً عن المقرئ أبي الحسن علي كمال الدين بن شجاع العباسي الضرير ، عن صهره مؤلفها .

توآلفه : قال : له في القراءات تقييد حسن سماه « الشافي في اختصار التيسير الكافي »

وفاته : توفي أيام الطاعون العام^(١) ببلده .

قاسم بن خضر بن محمد العامري

(١) الطاعون العام حسبما سبق التعريف به اجتاحت الأندلس في سنتي ٧٤٩ و ٨٧٥٠ .

يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن خضر هكذا ، دون تعريف . يعرف سلفه ببني عمرو من أهل المرية .

حاله

من خط شيخنا أبي البركات ، كان هذا الشيخ من وجوه المرية ، ومن تصرف سلفه في خُطَّة القضاء بها . وهو أقدم خطيب أدركته بسني بجامعة الأعظم . وكان شيخا عفيفا من رجال الجد ، ضيق العطن ، سريع الغضب ، غيورا على تلك الخطة ، لا يُحلى بعينه أحد . لما مات رفيقه في الصلاة والخطبة ، الشيخ الشهير عند العامة ، ثالث اثنين ، الخراسي والنطية ، أبو عبد الله بن الضايح ، فكل من عرض عليه أن يكون معه أباه ، فقال أهل البلد ، فما العمل ، فقال يُكتب إلى أبي القاسم ابن الحاج إلى سبته ، ليأتي إلى أرض سلفه ، ويكون رفيقي في الصلاة والخطبة ، يعني عمي ، فكتب إليه بذلك ، فكانت المسألة عند الآخر ، أهون من أن يجيب على الكتاب ، ولو بالإبائية ، فبقي الأمر إلى أن قدم معه الشيخ الصالح الخطيب المصقع أبو الحسن بن فرحون البليقي ، فلم يجد فيه قادحا إلا كونه ليس من أهل البلد ، فبقي مرافقا له إلى حين وفاته

غريبة : قال الشيخ أخبرتني جدتي عائشه بنت يحيى بن خليل ، قالت ، كان الرجل الصالح ، أبو جعفر بن مكنون خال قاسم بن خضر هذا ، فرآه يلعب مع الصبيان في أزقة المرية ، فقال له من يكون خطيب المرية يلعب ، فبقيت في حفظه إلى أن ولى الخطابة .

وفاته : توفي في صفر من عام ثلاثة وسبعماية ، وكانت جنازته مشهودة

حرف السين

سوار بن حمدون بن عبده بن زهير بن ديسم بن قديدة بن هنيذة

وكان عالماً من أعلام العرب ، وصاحب لواء قيس بالأندلس ، ونزل
جده^(١) بقرية قربسانة^(٢) من إقليم البلاط من قرى غرناطة ، وبها أنسل
ولده ، ولم يزالوا أعلاما ، إلى أن ظهر سوار هذا منهم في الفتنة .

حاله وبعض آثاره وحروبه

قال أبو القاسم ، كان سوار هذا بعيد الصيت ، رفيع الذكر ، شجاعا ،
متعبا في الظهور ، حامي العرب وناصرهم . وكان له أربعة من الإخوة ،
مثله في الشجاعة ، حضروا معه في الحروب في الفتنة ، وهو الذي بنى
المدينة الحمراء بالليل ، والشَّمْعُ تَزْهَرُ لعرب الفحص ، وبنى مدينة وادي آش
لبنى سامى ، وبنى مدينة مُنْتَيْشَة لبني عطف ، وبنى مدينة بَسْطَة لبني
قحطبة ، وبنى مَسِيرَة ، وبنى كورة جِيَّان للعرب . ولولا أن الله منَّ على العرب
بسوار ونصره ، لما أبقى العجم والمولدون منهم أحدا . وأنسل سوار ،
عبد العزيز المقتول بِمُنْتَيْشَا فَر ، وعبد الرؤوف وعبد الملك .

مبدأ أمره وحروبه وشعره

قال أحمد بن عيسى بعد اختصار ، في صدر هذه السنة ، يعنى سنة
خمسة وسبعين ومائتين ، ثار سوار بن حمدون بناحية البراجلة من كورة
إلبيرة ، وانضوت إليه العرب ، قام على تفتة مهلك يحيى بن صقالة
أميرهم ، قتل المُسَالِمَة والمولدين ، فطلب بثأره ، وكثرت أتباعه ،

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) قربسانة وبالإسبانية Caparacena من قرى غرناطة وتقع غربها على فرع نهر شليل .

واعترت العرب به . وقصد بجمعه إلى ست شافر ، وبه من عدو : المذكورين نحو من ستة آلاف رجل نازهم حتى قهرهم . وطاف على حصونهم فافتتحها ، وقتل وغنم ، وتنادوا لقتاله في جموع عظيمة ، عليها جعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله ، وبرز إليهم فيمن برز ، وناشبههم الحرب ، فانهزموا فقتل منهم خلق حُرِّزوا بسبب ألف ، وأسر جعد ، ومن عليه وأطلقه ، وكانت وقيعته الأولى هذه تعرف بوقيعه جعد . وغلظ ، واستند إلى حصن غرناطة ، بالعرب من مدينة إلبيرة . وكانت العرب يتألبون على المولدين ، إلى أن عزل الأمير جعداً عن الكورة إرضاءً لسوار ، فأظهر عند ذلك الطاعة ، وغزا الحصون الراجعة إلى ابن حفصون فأوقع بهم ، فهاجمهم ، واجتمعت عليه كلمتهم ، فقصلوه وحصروه بغرناطة في نحو عشرين ألفاً ، وبرز إليهم في عدده القليل من عبيده ، ورجال بيوتات العرب من أهل إلبيرة ، ورجعوا من جبل الفخار على تعبئة ، يريدون الباب الشرقي من غرناطة ، وكادهم لما التحمت الحرب وشب خيراً لها ، بما دبره من اسلأله في لخمه^(١) من فرسانه ، حتى استدبرهم ، فحمل بشعاره ، فاندعروا وانفضوا ، فتوهم حماهم أن مدداً جاءهم من ورائهم ، فولوا منهزمين ، وأعمل سوار وأصحابه السيوف فيهم إلى باب إلبيرة ، فيقال إن قتلاهم في هذه الوقيعه الثانية كانوا إثني عشر ألفاً ، وهي الوقيعه المعروفة بوقيعه المدينة ، ولاذ المولدون بعد هذا بعمر بن حفصون واستدعوه ، فوافقهم في جيش عظيم ، ودخل إلبيرة ، وناهض سواراً . وعنده رجالات عرب الكور الثلاث ، إلبيرة وجيان وريه ، واشتد القتال ، وجال جيش ابن حفصون جولة ، جرح فيها جراحات صعبة ، وكاد سوار يأتي عليه . لولا رجال صدقود الكر

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، في الزيتونة (خمسة) والأول أرجح .

واستنقلوه ، وتمت عليه الهزيمة ، فانقلب على عقبه ، ونالت الحضرة
 معرته ، فأغرم أهلها الذين استجلبوه ما تشعث من عسكره ، واستعمل
 عليهم قائده حفص بن المُرّة ، وانصرف . ونجح سوار بما تهيأ له على
 أعدائه ، فاعتلت همته ، وأجلته العرب ، وعلا في الناس ذكره ، وقال
 الأشعار الجزلة ، فيما تهيأ له على المولدين ، وأكثر الافتخار بنفسه ، فشهّر
 من قوله في ذلك :

صَرَمَ الغواني يَاهُنِيدُ مودتي إذ شاب مِفرق لِمَتِي وَقَدَالِي
 وَصَدَدْنُ عَنِي يَاهُنِيدُ وَطالما علقَت جِبَالُ [وَصالها بحبالي]^(١)
 وهي طويلة ، أكثر فيها الفخر ، وألم بالمعنى :

وفاته

ولما انصرف عمر بن حفصون وترك قائده بالبيرة ، جهز معه طائفة
 من خيله ، وأقره لمُغاورَة سوار ، ودرك النيل لديه ، وأعمل حفص
 جهده ، وطلب غرته ، فأمكنه الله منه ، وأنه دنا إليه يوما ، وقد أكنن
 أكثر خيله ، وظهر له مُستغيراً بجانب من حصنه ، فخرج سوار مبادراً
 من غرناطة لأول الصبيحة في نفر قليل ، لم يحترس من الحيلة ، التي
 يحذرها أهل الحزم ، فأصحر لعدوه ، وخرجت الكماين من حوله ،
 فقتل وجى بجثته إلى البيرة ، فذكر أن الثكالي من نسايم قطع لحمه
 مرقاً ، وأكله حنقاً^(٢) لما نالهن من الثكل . وكان قتل سوار في سنة سبع
 وسبعين ومايتين ، وقتلت العرب بقتل سوار ، وكل حدها بما نزل بها .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال وفي نص آخر (وصالهن حبالي) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حقدًا) .

سليمن بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله

الخليفة بقرطبة

المكنى بأبي أيوب الملقب من الألقاب الملوكية بالمُسْتَعِين بالله .
أوليته : معروفة .

حاله

كان أديبا شاعرا ، مجموع خلال فاضلة ، أصيل الرأي ، راجح العقل ، ثبنا . ولى الخلافة غلابا ، وقَعَصا ، ومنازعة ، وأوقع بأهل قرطبة وقائع أبادتهم . وخلع ثم عادت دولته ، وجرت له وعليه الهزائم ، على قَصْر أمد خلافته ، لقيام البربر بدعوته ، وتذويخ البلاد باسمه ، في أخبار فيها عِبْرَةٌ ، دخل في بعض حركاتها وهولاتها المُبِيرَة^(١) ، إلى أن طحنته رَحَى الفِتْنَة ، وشيكا عن دنيا غير هنيئة ، وصُبابَة ليست بسنيئة

شعره

من شعره يعارض المقطوعة الشهيرة المنسوبة للرشيد^(٢) .

عجبا يهاب الليثُ حدَّ سِنَانِي	وأهاب لحظَّ فواتر الأَجْفَانِ
فأقارع الأهوال لا مُتَهَيِّبَا	مهما سوى الإعراض والهَجْرَانِ
وتملكت نفسي ثلاث كالدمي	زهر الوجوه بواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظري	من فوق غصان علي كُشَّانِ
هذي الهلال وتلك أخت ^(٣) المشتري	حُسْنًا وهذي أخت غُصْنِ البانِ
حاكمت فيهن السلو إلى الهوى	فقصى بسُلطان علي سُلطانِ

(١) وردت في الإسكوريال إلبيرة ، والتصويب أنسب للسياق .

(٢) مقطوعة الرشيد المشار إليها مطلعها : « ملك الثلاث الآنسات عناني » .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي نص آخر (بت)

فأبْحَن من قلبى الحمى وتركتنى فى عزِّ مُلْكى كالأسير العان
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ذلُّ الهوى عزُّ وملكُ ثمان

مقتله

قتله على بن حمود المتقدم الذكر ، متولى الأمر بعده ، صبراً بيده ،
بدم هشام المؤيد ، وقال لما زحف إليه ، لا يقتل الزُّلطان إلا الزُّلطان ،
يعنى السُّلطان ، إذ كان بربرى اللسان ، وذلك فى أخريات المحرم من سنة
سبع وأربع مائة .

سليمن بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
يكنى أبا أيوب .

حاله

كان شهماً جريئاً ، أنوفاً شجاعاً ، دِيناً فاضلاً . ولما توفى أبوه بقصر
قرطبة ، وهشام وأبو أيوب هذا غائبان ، وكُلُّ ابنه عبد الله ، المعروف
بالبلنسى ، وقال من سبق إليك من أخويك ، فارم إليه بالخاتم ، فإن
سبق إليك هشام ، فله فضل دينه وعفاهه واجتماع الكلمة عليه . فإن سبق
إليك سليمان ، فله فضل دينه ونجدته ، وحبُّ الشاميين له . فقدم هشام
من ماردة ، وتولى الخلافة قبل سليمان . واتصل ذلك بسليمن ، فأخذ
لنفسه البيعة بظليطة ، وما اتصل بها ، ودعا إلى نفسه (١)
وواضع أخاه الحرب غير ما مرة ، تجرى عليه فى كلها الهزائم ، إلى أن
تبرم بنفسه ، وأجاز البحر عن عهد إلى ستين ألفاً بذلت له ، واستقرَّ
بأهله وولده ببلاد البربر . ولما صار الأمر للحكم بن هشام ، عاد إلى

(١) بياض فى المخطوط .

الأندلس سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان اللقاء في شوال منها ، فانهزم سليمان ، ثم عاد للقاء فانهزم . وفي سنة أربع وثمانين حشد ، واحتل بجيان ثم بالبيرة ، والتقى بها مع الحكم ، ودام القتال أياما ، حتى هم الحكم بالهزيمة ، ثم انهزم سليمان ، وقتل في المعركة بشر كثير ، وأفلت سليمان إلى جهة ماردة . وبالتقاء الحكم وعمه سليمان بالبيرة وأحوزاها ، إستحقا الذكر هنا على الشرط المعروف .

وفاته : وبعث الحكم أضيغ بن عبد الله في طلب سليمان ، فأسره وأتاه به ، فأمر بقتله ، وبعث برأسه إلى قرطبة . قتل في سنة خمس وثمانين بعدها .

سعيد بن سليمان بن جودي^(١) السعدي

حاله

كان سعيد بن سليمان صديق سوار ، فغصبت العرب الإمارة به بعده ، وعلقت به ، فقام بأمرها وضم نشرها ، وكان شجاعا بطلا ، فارسا مجربا ، قد تصرف مع فروسيته في فنون من العلم ، وتحقق بضروب من الآداب ، فاغتنى أديبا نحريرا ، وشاعرا مُحسنا ، واتصل قيامه بأمر العرب إلى أن قُتل .

شعره

ومن شعره في وقية سوار بالمولدين قوله من قصيدة طويلة :
 قد طلبنا بثأرنا فقتلنا منكم كل مارق وعنيد

(١) وردت في الإسكوريال (جود) والصواب ما أثبتناه .

قد قتلناكم ببيحيى وما
هَجَّتُمْ يَا بَنِي الْعَبِيدِ لِيُوْثَا
فاصطلوا حرَّها وحدَّ سيوف
حاكِمٌ ماجدٌ يقود إليكم
مهذبٌ من نزار وعميدٌ
يطلب الثَّارَ بابن قوم كرام
فاستباح الحما لم يُبق منها
قد قتلنا منكم ألوفاً فما
مَثَلُوهُ لَمَّا أَضَافَ إِلَيْهِمْ
قتلته عبيدٌ سوءٍ لئامٌ
لم يصيبوا الرشاد فيما أتوه
قد غَدَرْتُمْ بِهِ بَنِي اللُّؤْمِ مِنْ
فلئن كان قتله غَدْرَةً
كان ليشأ يحمى الحروب وحصناً
كان فيه التُّقى مع الحلم
عالٍ مجدِّ الأمجاد بعدك
فجزاك الإله جنة عدن

أن كان حُكْمُ اللَّهِ بِالْمَرْدُودِ
لم يكونوا لجارهم بقعود
تلظى عليكم بالوقسود
فِئْتَةٌ سَادَةٌ كَمِثْلِ الْأَسْوَدِ
ما مثله من عميد
أخذوا بالعهود قبل المهود
غير عانٍ فقده مَصْفُودِ
يعدل قتل الكريم قتل العبيد
لم يكن قتله برأى سديد
وفعال العبيد غير حميد
لا ولا كان جدُّهم لسعود
بعد يمينٍ قد أكَدَّتْ وَعُهُودِ
ما كان بالنكس لا ولا الرُعْدِيدِ
وملاذا وعصمة المقصود
والبأس وجودٌ ما مثله جود
قديماً وقتاً كل مجيد
حيث يَجْزَى الثَّوَابُ كُلُّ شَهِيدِ

مقتله

قال الملاحى ، كان من الأعلام ، وعُدَّ في الشعراء والفرسان والخطباء
والبلغاء ، خطب بين يدي الخليفة^(١) المنذر ، وهو حدثٌ ، أول ما أفضت
الخلافة إليه ، وعليه قباء خز ، وقد تنكب قوساً عربية ، والكنانة بين
يديه . خطب خطبة بليغة ، وصلها بشعر حسن ، ولم يزل اللوا يتردد

عليه في العز والمقام ، ويخطب في أعلى المنبر في المسجد الجامع بالبيرة .
وسجل له الخليفة^(١) عبد الله على الكورة ، إلى أن هم بالقيام على
بني أمية عندما اشتدت شكيمته ، وظهر على عمر بن حفصون إلى أن قتل
بسبب امرأ ، تمت عليه الحيلة لأجلها بدار يهودية ، إذ كان منحطاً في
هوى نفسه ، فطاح في ذي قعدة سنة أربع وثمانين ومايتين ، وصار أمر
العرب بعده إلى محمد بن أضحى حسبما يتقرر في مكانه .

ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمثال والكبراء

سهل بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي

صدر هذا البيت ، ويافوتة هذا العقد ، يكنى أبا الحسن . قال
أبو جعفر بن مسعدة ، كان رأس الفقهاء وخطيب الخطباء البلغاء ،
وخاتمة رجال الأندلس . تفنن في ضروب من العلم ، وبالجملة فحاله
ووصفه في أقطار الدنيا ، لا يُجمله أحد ، فحدث عن البحر ولا حرج ،
ضمن الزمان أن يسمح برجل حاز الكمال مثله

حاله

قال ابن عبد الملك ، كان من أعيان مضره ، وأفضل أهل عصره ،
تفنن في العلوم ، وبراعة في المنثور والمنظوم ، محدثاً ضابطاً ، عدلاً ثقة
ثبتاً ، حافظاً للقرآن العظيم ، مجوداً له ، متقناً في العربية ، وافر النصيب
من الفقه وأصوله ، كاتباً مجيداً للنظم في مُعرب الكلام وهزله ، ظريف

(١) إن تعبير ابن الخطيب هنا بالخليفة إشارة إلى أمير الأندلس المنذر بن محمد بن عبدالرحمن
الذي حكم من (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) وأخيه الأمير عبد الله الذي حكم من (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) إنما هو
تجاوز في التعبير ، ولا يطابق الوضع التاريخي الصحيح . لأن الخلافة الأندلسية لم تقم إلا على يد
عبد الرحمن الناصر في سنة ٣١٦ هـ (٩٢٩ م) . وهو أول خلفاء بني أمية بالأندلس .

الدعابة ، مليح التندير . له في ذلك أخبار مُستظرفة مُتناقلة ، ذا جدّة
ويسار ، متين الدين ، تام الفضل ، واسع المعروف ، عميم الإحسان ،
تصدق عند القرب من وفاته بجملة كبيرة من ماله ورباعه ، وله
وفادةٌ على مراكش .

مشيخته

روى ببلده عن خاله أبي عبد الله بن عروس ، ونخال أمه أبي بكر
يحيى بن محمد بن عروس ، وأبي جعفر بن حَكَم ، وأبي الحسن بن كوثر ،
وأبي خالد بن رفاعة ، وأبي محمد عبد المنعم بن الفرس . وبمالقة عن
أبي زيد السُهيلي ، وأبي عبد الله بن الفخار . وبمرسية عن أبي عبد الله
ابن حُميد ، وأبي القاسم بن حُبَيْش . وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجَدِّ ،
وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبوي عبد الله العباس بن مضاء ، والجرأوى
الشاعر ، وأبي الوليد بن رشد . قرأ عليهم وسمع ، وأجازوا له . وأجاز
له من أهل الأندلس أبو محمد عبد الله نزيل سبتة ، وعبد الحق بن الخراط
نزيل بجاية . ومن أهل المشرق جماعة ، منهم إسماعيل بن علي بن إبراهيم
الجرأوى ، وبركات بن إبراهيم الخُشوعي أبو الطاهر ، وعبد الرحمن
ابن سلامة بن علي القضاعي ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

من روى عنه : روى عنه أبو جعفر بن خَلَف ، والطوسي ، وابن سعيد
القرزاز ، وأبو الحسن العنسي ، وأبو عبد الله بن أبي بكر البري ، وابن الجنان ،
وأبو محمد عبد الرحمن بن طلحية ، وأبو محمد بن هرون ، وأبو القاسم
ابن نبيل ، وأبو يعقوب بن إبراهيم بن عقاب ، وأبو جعفر الطباع ،
وأبو الحجاج بن حَكَم ، وأبو الحسن الرُعيني ، وأبو علي بن الناظر ،
وغيرهم .

ثناء الأعلام عليه : والمجال في هذا فسيح . ويكفي منه قول أبي زيد

الفزاري :

عجبا للناس تاهوا بثنيات المسالك
وصفوا بالفضل قوما وهم ليسوا هنالك
كثر النقل ولكن صح عن سهل بن مالك

شعره

وشعره كثير مما ينخرط في سلك الجيد [فمن ذلك] قوله :

نهارك في بحر السفاهة يسبح وليلك عن نوم الرفاهة يُصبح
وفي لفظك الدعوى وليس إزاءها من العمل الزاكي دليل مُصحح
إذا لم توافق قولة منك فعلة فني كل جزء من حديثك تفسح
تنح عن الغايات لست من أهلها طريق الهويناء في سلوكك أوضح
إذا كنت في سن النبي غير صالح فني أي سن بعد ذلك تصلح
إلى كم أماسيها على الرغم غاية يُصيب المزكى عندها والمُجرح
وعليها ألا تنو ولا تني فتحسن في عين الشيبان وتقبح
عسى وطر مونتق فالتمس الرضا واقرع أبواب الرشاد فتفتح
فقد ساء ظني بالذي أنا أهله وفضلك يا مولاي يعفو ويصفح

وقال في تشييع بعض الفقهاء من غرض الأمداح :

يلقاك من كل من يلقاك ترحيب ومن خليفتها عز وتقريب
وتصطفبك إلى أحوازها رتب لها على مفرق الجوزاء ترتيب
تأتي إليك بلا سعي بلا سبب كأن ترَكَكَ للأسباب تسبب
من كل مشغوفة بالحسن دام لها إلى غنائك تضعيد وتضويب
يلقاك بالبشر والإقبال خاطبها وحظها منك إعراض وتقطيب

ما زلت ترغب عنها وهي راغبة
 فانهض إليها فلو تستطيع كان لها
 يحيى وتحى فلباغى مواهبها
 سارت على العدل والإحسان سيرتها
 لم تُصِبْها لذة الدنيا وزخرفها
 إذا أهم بنى الدنيا نعيمهم
 فوق الكواكب مضروبٌ سُرَادِقُهَا
 كَرَعَتْ في ظلها الصافي بسلسلها
 في قِيَّةٍ من بنى الآمال قد قرعت
 إذا حضرنا طعاما فهي مَأْدُبَةٌ
 ومن يَلْدُ بآبِ إِسْحَاقِ كان له
 يا مَلِدُ السَّرُّ من قلبي ويا مَلِكَا
 هبَّ القَرَارِ لآمالِ مُسَافِرَةٍ
 ففي يمينك وهابا ومنتظما
 وما يُصِرُ كِتَابَا رَاقٍ مَنظَرُهُ إِنْ نَالَهُ
 لك السِّيَادَةُ لا يُلقَى لسؤددِها
 عزمٌ كحدِّ سِنَانِ الرُّمَحِ بِصَحْبِهِ
 كمالِ نَفْسِكَ لِلأرواحِ تَكَلُّمَةٌ
 وَعَرَفُ ذَاتِكَ كَافٍ في تَعَرُّفِنَا
 إذا ذَكَرْتَ فالأشعارُ مضطربُ
 سِرِّ حَيْثُ شِيتَ مَوْفَى من مكارمها
 في غُرَّةٍ تَخُوقِ الأَيَّامِ جَدَّتْهَا

كَانَ زَهْدَكَ فِيهَا عَنْكَ تَرْغِيبُ
 إِلَى لِقَائِكَ إِرجَاءُ وَتَقْرِيبُ
 عَذْبُ الزُّلالِ وَلِلبَاغِينَ تَعْذِيبُ
 حَتَّى تَلِاقَ عَلَيْهَا الشَّاةُ وَالذَّبِيبُ
 وَلَا سَبْتُهَا المَطَايَا وَالجَلَابِيبُ
 فَهَمُّهَا البَيْضُ وَالجُرْدُ السَّلَاهِيبُ
 عَلَى أَفْقِ الأَمَلِكِ تَطْنِيبُ
 كَأَنَّهَا لَكَ فِي المَشْرُوبِ شَرِيبُ
 سُهْمٌ إِلَى طَلَبِ العَلِيَا طَبَابِيبُ
 وَإِنْ سَمَعْنَا كَلَامًا فَهُوَ تَأْدِيبُ
 أَعْلَاقُ مَالٍ وَأَغْلَاقُ وَتَهْذِيبُ
 إِنْ نَابَ خَطْبُ فَمَنْ جَدَّوَاهُ تَأْنِيبُ
 وَقَدْ أَضْرَبَهَا بَعْدُ وَتَغْرِيبُ
 بَسْطُ وَتَقْبِضُ وَتَرْغِيبُ وَتَرْهِيبُ
 مِنْ تُسْرَابِ الأَرْضِ تَتْرِيبُ
 مِثْلُ وَإِنْ طَالَ تَنْقِيرُ وَتَنْقِيبُ
 عَدَلُ كَمَا اعْتَدَلَتْ فِيهِ الأَنْبَابِيبُ
 وَذَكَرَ فَضْلَكَ لِلأرواحِ تَشْبِيبُ
 بِنَفْحَةِ الطَّيِّبِ يُدْرِي أَنَّهُ طِيبُ
 رَحْبُ المَجَالِ وَاللَّأحْجَانِ تَطْرِيبُ
 يَهَابُكَ الدَّمْرُ وَالشُّبَانِ وَالشَّيْبُ
 لَهَا عَلَى أَفْقِ الأَمَلِكِ تَطْنِيبُ

ومن نمط النسب والأوصاف قوله وهو بسبته بعد وصوله من مراکش ، وهو
مما طار من شعره :

لما حطت بسبته قتب النوى^(١)
والجو مصقول^(٢) الأديم كأنما
عانيت من بلد الجزيرة مسكنا^(٣)
كالشكل في المرآة تبصره
ومن شعره قوله رحمه الله :

تبسم واستأثرت منه بقبلة
ومر فأيدى الريح ترسل شعره
فيالك ليلاً بالكثيب قطعه
تغص بنا زهر الكواكب غيرة
فشمت أقاحا وارتشفت عطارا
كما ستر الليل البهيم نهارا
كما رعت بالزجر الغراب فطارا
فتقدح في فحم الظلام شرارا
ومن ذلك قوله :

ولما رأيت الصبح هب نسيمه
رقلت أخاف الشمس تفضح سرنا
دعاني داعيه إلى البين والشئت
فقال معاذ الله تفضحني أخت

ومن الحكم وأبيات الأمثال قوله رحمه الله عليه :

منغص العيش^(٤) لا يأوى إلى دعة
والساكن النفس من أم ترض هيمته
ومن شعره :

ولا يثل يوم قد نعننا بحسنه
مذهب أثناء السروج صقيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الموى) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مقصود) .

(٣) وردت في الإسكوريال (مكنسا) . والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (القلب) .

إلى أن بدت شمس النهار ترُوعنا
 ولا توارت شمسه بحجابها
 وغابت فكان الأفق عند مغيبها
 أتانا بها صيفراً يسطع نورها
 فردت علينا شمسنا وأصيلنا
 ومن نشره قوله يخاطب بني أبي الوليد بن رشد، تعزيةً في أبيهم، واستفتحته
 بهذه الأبيات :

ألا ليت شعري هل لطالب غاية
 مضى علم العلم الذي بيّانه
 أخلائي إني من دموعي بزاخير
 وما كان ظني قبل فقد أبيكم
 ولم أدر من أشقى الثلاثة بعده
 ومن شاهد الأحوال بعد مماته
 رجوعاً إلى الصبر الجميل فحقه
 أعزيكم في البعد عنه فإنني
 فما كان فينا منه إلا مكانه
 وصولاً وأحداثُ الزمان تعوقه
 تبين خافيه وبان طريقه
 بعيد عن الشطين منه غريقه
 بأن مصابا مثل هذا أطقه
 أيناؤه أم دهره أم صديقه
 تيقن أن الموت نحن نذوقه
 علينا قضي أن لا توفى حقوقه
 أهنيه قريباً من جوار يروقه
 وفي العالم العلوي كان رفيقه

إيه عن المدامع هلاً تلا انحدار الدمة انحدارها ، والمطامع هل ثبتت
 على قطب مدارها ، والفجائع أغير دار بني رشد دارها ، فإنه حديث
 أنعاطاه مُسكراً ، وأستريح الله مفكراً ، وأبشه باعشا على الأشجان مذكراً ،
 ولا أقول كفاً وقد ذهب الواخذ الذي كنت تتلافي ، ولا أستشعر صبراً ،
 وقد حل نور العلم قبرا ، بل أغرق الأجنان بمانها ، وأستدعي الأحزان
 بالشهير من أسمائها ، واستوهب الأشجان غمرة غماتها . ثم أتمالك تهالك

المجنون ، وأستجير من الحياة برئب المنون ، وأنافر السلوة منافرة
وسواس الظنون ، ولا عتب ، فإذا خامر الوالیه جزعه ، فإلى نُصرة المدامع
مَفزَعُه ، وإذا ضَعف احتمالُه ، فإلى غَمرة الإغماء مآله ، ومن قال إنَّ
الصبر أولى ، وليتُه من ذلك ما تولى . أما أنا فأسْتَعِيدُ من هذا المُقام
وأستغفیه ، وأنزّه نفس الوفا عن الحُلُول فيه ، فإنه متى بقى للصبر
مكان ، ففي محل الحُزن لقبُول ما يقاومه إمكان ، وقد خان الإخاء وجُهل
الوفاء ، من رام قلبه السلو ، وألفت عينه الإغفاء . هو الخَطْبُ الذى
يقى الهُجود وألزم أعین الثقلین ، وبه أعظم الدهر المصاب ، وفيه
أخطأ سهم المنيّة حين أصاب . فحقنا أن نتجاوز الجيوب إلى القلوب ،
ونتغلب إذا غالبنا الحزن بصفة المغلوب ، وإذا كان الدهر السائب ،
فلا غضاضة على المسلوب ، أستغفر الله ، قفا نتذكر من مَفقُودنا رضى الله عنه
حِكْمه ، ونشاهد بعين البصيرة سيمه ، فأجدهما يكفان من واكف الدمع
ديمه ، ويقولون عندي آسة المصاب ، ومزاحمة الأوصاب ، أمران وقع ،
فقد ضرّ فوق ما نفع ، فإنه لا ألم الحزن شفاه ، ولا حق المصيبة وفاه ،
ولا الذاهب الفايث استرجعه وتلافاه ، فربما جنحت إلى الصبر لا رغبة
فيه ، بل إيثارا لمقصده وتشبعا لتصافيه ، فاستروح رايحة السلو ،
وأنحط قاب قوسين أو أدنى عن سِدرة ذلك العلو ، وأقف بمقام الدهش
بين معنى الحزن المستحکم ، ولفظ القرا المتلُو . فابكى بكا النساء ،
وأصبر صبر الرؤساء ، وأحرز رزايا الفضلاء ، بفضل رزايا الأخساء ،
موازنة بين هذا الوجود ، ونحل تتعاقب على نحل الجود . فالدهر يسترجع
ما وهب ، كان الصفرأء أو الذهب . وإذا تحقّق عدم ثباته ، وعدم استرجاعه
لجميع هباته ، كان المتعرض لكثيره ، محلا لتأبيره . فلا غرو أن دهمكم

الرُّزْمُ مورد الفلك الدَّابِرُ منه الجزء ، فطالما يتم ترضيعكم الحكمة أخلاقها ،
وتهيبكم الخلافة آلافيها ، وتؤملمكم الأيام خلافيها . وإذا صححت العقول ،
وضنَّ بما لديه المعقول ، وصارت الأذهان إلى حيث لا تتصور الألسنة ،
بـحيث لا تقول ، ورددتم معينا ، ووجدتم معينا ، واقتضضتموها كمثل اللؤلؤ
المكنون صوراً عينا . أظنتم أن عين الله تنام ، أم رُمتم أن يكون صرحاً
إلى إله موسى ذلك السنام ، لشد ما شيدتم البناء ، وألزمتم أتباع الأب
الأبناء ، حتى غرق الأول في الآخر ، وصار السلف على ضخامته أقل
المفاخر . ومن علَّت في علاها قدم ترقّيه ، ولم يُصب بكما له عينا يحفظ
من عين العلى وبقية ، فكثيراً ما يأتيه محذوره من جهة توقّيه . هذا
أبوكم رضى الله عنه حين استكمل ، فعرف الضار والشافى ، وتعذرت
صفات كماله على الحرف النافى ، فيالله لفظة أواليها ، وأتبعها زفرة تليها ،
لقد بحثت الأيام عن حثفها بظلفها ، وسعت على قدمها إلى رغم أنفها ،
فجن لبث الوصل ، ولرعى الوسائل ، وإلى من يلجأ في مشكلات المسائل ،
ومن المجيب إذا لم يكن المسئول بأعلم من السائل . اللهم صبرنا على
فقد الأئس بالعلم ، وأدلنا من خُفوف الوله بوقار الحلم ، وأخلفه في
بنيه وعامة أهليه ، بشبيه ما أوليته في جوارك المقدس وتولييه . وإليكم
أها الإخوة الأولياء ، والعلية الذين عليهم قُصرت العلياء . أعتذر من
اتبخاذ الشيء من الكلام بنقصه الأشياء . فقد خان في هذا الزمان ، حتى
اللسان ، وفقد منه حتى الحسان ، وليس لتأبين محمد صلى الله عليه وسلم
إلا حسان ، فالعذر مُنفسح السجال . وإلى التقصير في حق رُزْمكم الكبير
نصير في الروية والارتجال . ولذلك عدلت إلى الإيجاز ، واعتقدت في
إرسال القول في هذا الموضع ضرباً من المجاز . ومبلغ النفس عُذرها مع

لعجز كالصَّابِر للإعجاز. وأما حسن العزاء على تعاقب هذه الأرزاء ، فأمر لا أهبه ، بل أستجديه ، ولا أذكركم به ، ونفْسٌ مبرِّكم متوغلة فيه ، فسواكم يُلهم للإرشاد . ويذكر بطرق الرشاد ، جعل الله منكم لأبائكم خلفاً ، وأبقى منكم لأبنائكم سلفاً ، ولا لد لكم الوجود بعده تَلْفا . والسلام .

محنته

امتحن رحمه الله بالتَّغْرِيْب عن وطنه ، لبغى بعض حسدته عليه ، فأسكن بمرسية مدةً طويلة ، إلى أن هلك بالمرية الأمير أبو عبد الله محمد ابن يوسف بن هود ، آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستماية . فسرح أبو الحسن بن سهل إلى بلده في رمضان من هذه السنة .

ومن شعره في ذلك الحال مما يدل على بعد شأوه ورفعة همته ، قوله :

الدمع همى عن جوانب همتى	وتأبى هموم العارفين عن الدفع
وألتمس العُتْبَى وحيداً وغايتى	وصرفُ الليالى والحوادث في جمع
وإنى من حزمى وعزمى وهمتى وما	رُزِقْتَه النفس من كرم الطبع
لفى مَنْصِبُ تعلو السماء سِمَاتُه	فِيثَبْتُ نورا في كواكبها السبع
علا صرف دهرى إذ علا فإذا به	ترابٌ لنعلى أو غبار على سبع
تدرعت بالصبر الجميل وأجلبت	صروف الليالى كى تمزق لى درع
فما مللتُ قلبى ولا قبضتُ يدي	ولا لَحْمْتُ أَصْلَى ولا حضرت فرع
فإن عَرَضْتُ لى لا يفوه بها فسى	وإن زَحَفْتُ لى لا يَضِيقُ بها ذرع

وفى هذه الأبيات تأييد السبعة الكواكب ، وحكمها التذكير ، وذلك إما لتأويل بعد أو غفلة ، فليظره . قال أبو الحسن الرعيني ، ودخلت عليه بمرسية ، وبين يديه شمامة زهر ، فأنشدنى لنفسه :

وحامل طيبٍ لم يُطَيَّب بطيبه
تألف من أغصان زهره
تعانقت الأغصان فيه كما التقى
وإن الذى أدناه دون فراقه
مناسبةً للبين كان انتسابها
فبالأمس فى إسحاره وبقاره
ولكنه عند الحقيقة طيب
فمن صفتيه زاهرٌ ورطيب
حبيبٌ على طول النوى وحبيبٌ
إلى كبيرٍ فى الوجود عجيب
وكل غريب للغريب نسيب
وباليوم فى دار الغريب غريب

تواليافه

صنّف فى العربية كتابا مفيدا ، رتب الكلام فيه على أبواب كتاب
سيبويه . وله تعاليق جليلة على كتاب المُستصفي فى أصول الفقه ،
وديوان شعر كبير . وكلامه الهزلى ظريف شهير .

مولده : عام تسعة وخمسين وخمسمائة .

وفاته : توفى بقرناطة منتصف ذى قعدة سنة تسع وثلاثين وستماية .
وزعم ابن الأبار أن وفاته كانت سنة أربعين وستماية ، وليس بصحيح .
ودفن بمقبرة شقستر . قال ابن عبد الملك ، وكان كريم النفس ، فاضل ،
الطبع ، نزيه الهمّة ، حصيف الرأى ، شريف الطباع ، وجيها ، مبرورا ،
معظما عند الخاصة والعامة .

من رثاه

ممن كتب إلى بنيه يُعزِّبهم فى مصابهم بفقده ، ويحضهم على الصبر
من بعده ، تلميذه الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن الجنان :

دعونى وتِسكاب الدموع السّوابك
أصبرٌ جميل فى قبيح حوادث
تخلعن على الأنوار ثوب الحوالك
ومن شيمة الدنيا تنكّر فارك
فدعونى جميلُ الصبر دعوة آفك
تنكّرت الدنيا على الدين ضلّة

فَتِلْكَ وَهَلِي هَالِكٌ فِي الْمَهَالِكِ
 شَرِيكِي غِمَازٌ فِي تِلَا مُتَدَارِكِ
 وَلَا حِجَّةٌ تُهْدِي بِحِجَّةِ سَالِكِ
 بِأَمْرِ دَهَا سَيْرِ النُّجُومِ السُّوَابِكِ
 يَكْفِي فَنَا لِلْفَنَاءِ بَوَاشِكِ
 بَانَ انْقِرَاضَ الْعِلْمِ أَصْلُ الْمَهَالِكِ
 فَمَا اللَّهُ لِلدَّهْرِ الْجَهُولِ بِبَارِكِ
 وَمَا الْجِسْمِ بَعْدَ الرُّوحِ بِالْمَتَمَاسِكِ
 سَوَى حَادِثٍ فِي عَالَمِ ذِي مَدَارِكِ
 أَتَمُّ مَا أَبْقَى لِاسْمِي بَعْدَ مَالِكِ
 مَصَابِي بِالْفِيَاضِ سَهْلُ بْنُ مَالِكِ
 كَتَقْلِيدِ رَأْيِ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكِ
 بِسَاحِلِ دَارَاتِ الْعِمَادِ الْحَوَائِكِ
 مَبَانِي مَعَالٍ فِي السَّمَاءِ سَوَامِكِ
 وَعَمْرُ قَبْرِ مُفْرَدٍ بِالذَّكَادِكِ
 وَغِيضِ فَجْرٍ فِي يَدِي مُتَدَلِّجِكِ
 مِنَ الْخَطْبِ يَرْدِي بِالشُّمُوسِ الدَّوَالِكِ
 تَفَهُ بِهَلِكِ الدَّوَاهِي الدَّوَاهِكِ^(١)
 فَكَمْ مَاجِلٌ مِنْ قَبْلِ فِيهِ وَمَاحِكِ
 تَوَاتُرِ أَخْبَارٍ وَصِدْقِ مَالِكِ
 وَيَا قُبْحَهُ وَالصَّدْقِ بَادِي الْمَسَالِكِ

فصباحنا حُكْمُ الرَّدَى بِرَدَائِهِ
 عَفَا طَلُّ مِنْهَا وَمِنْهُ فَأَصْبَحْنَا
 فَلَا بِهَجَّةٍ تُبْدِي مَسْرَةَ نَاطِرِ
 وَمَا انْتِظَمَ الْأَمْرَانِ إِلَّا لِيُؤْذِنَا
 وَإِنْ لَمَنْشُورِ الْوُجُودِ انْتِظَارِهِ
 أَمَا قَدْ عَلِمْنَا وَالْعُقُولِ شَوَاهِدِ
 إِذَا أَهْلَكَ اللَّهُ الْعُلُومَ وَأَهْلَهَا
 هَلِ الْعِلْمُ إِلَّا الرُّوحُ وَالْخَلْقُ جِثَّةُ
 وَمَارَاعِي فِي عَالَمِ الْكُونِ حَادِثُ
 لِذَلِكَ مَا أَبْكِي كَأَنِّي مُتَبِّمٌ
 وَسَهْلٌ عِنْدِي أَنْ أَرَى الْحَزْنَ مَالِكِي
 إِمَامٌ هَدَى كُنَّا نَقْلُدُ رَأْيَهُ
 غَمَامٌ سُدِّي كُنَّا عَهْدُنَا سَمَاحَهُ
 أَحَقًّا قَضَى الْجَلَالَ وَقُوَّضَتْ
 وَأَقْفَرُ فِي نَجْدٍ مِنَ الْمَجْدِ رَبُّعُهُ
 وَغَبَّ طُودٌ فِي صَعِيدٍ بِمَلْحَدِ
 وَوَارَى شَمْسَ الْمَعَارِفِ غَيْهَبُ
 إِلَّا أَيُّهَا النَّاعِي لَكَ الشُّكْلُ لَا
 لَعَلَّكَ فِي نَعْيِ الْعُلَا مُتَكَذِّبُ
 يُكذِّبُهُمْ يَا لَيْتَ أَنْكَ مِثْلَهُمْ
 فَيَا حُسْنَ ذَاكَ الْقَوْلِ إِذْ بَانَ كَذِبُهُ

لِقَدَارٍ جَفَّوْا فِيهِ وَقَلْبِي رَاجِفًا
 كَأَنَّ كِمَالَ الْفَضْلِ كَانَ يَسُومُهُمْ
 كَأَنَّهُمْ يَسْتَقْبِطُونَ أَيُّسُومَةً
 كَأَنَّهُمْ مُسْتَمْطَرُونَ لِعَسَارِضٍ
 بَلَى لِيَنَّهُمْ قَدْ أَرَهَصُوا لِرِزِيَّةٍ
 فَهَدَّ كَالِ مَا قَدْ أَنْذَرُوا بِوَقُوعِهِ
 مَصَابٍ مَصِيبٍ لِلْقُلُوبِ بِسَيِّدٍ
 بَنَيْتَ حَسَنَهَا الْغَبْرَاءُ فِيهِ فَاسْتَعَدَّتْ
 عَلَى عِلْمِ الْإِسْلَامِ قَامَتِ نَوَادِبُ
 فَمَنْ سِنَّةٍ سَنَّتْ عَلَى الرَّأْسِ تُرْبَهَا
 وَمَنْ آيَةً تَبْكِي بِنُورِ صَبْحِهَا
 وَمَنْ حِكْمَةً تَبْكِي لِفَقْدِ مُفَجَّرِ لَيْسَبُوعِهَا
 لِيَا أَسْفَى مَنْ لِلْهَوَى وَرَسُومِهِ
 وَمَنْ لِلْوَاءِ الشَّرْعِ يَرْفَعُ خَفْضَهُ
 وَمَنْ لِكِتَابِ اللَّهِ يَدْرُسُ وَحْيِهِ
 وَمَنْ لِحَدِيثِ الْمُصْطَفَى وَمَاجِدِ
 وَمَنْ ذَا يُزِيلُ اللَّبْسَ فِي مُتَشَابِهِ
 وَمَنْ لِلرِّعَاقِ الْمُصْفَرِّ طَابَتْ بِكَفِّهِ
 وَمَنْ لِلرُّقَاغِ الْبَيْضِ طَابَتْ بِطَيْبِهِ
 وَمَنْ لِمَقَامِ الْحَفْلِ يَصْدَعُ بِالسُّبْحِيِّ
 وَمَنْ لِمَقَالِ كَالنُّضَارِ يَخْتَصُ

مَخَافَةَ تَصَدِّيقِ الظُّنُونِ الْأَوَافِكِ
 فَابْتَدُوا عَلَى نَغْصٍ هُوَ مُتَمَالِكِ
 كَمَا اسْتَبْطَأَ ال (١) فَاتِكِ
 كَعَارِضٍ عَادَ لِلتَّجَلُّدِ عَارِكِ
 تَضَعُّضِ رُكْنِ الصَّابِرِ الْمُتَمَالِكِ
 فَهَلْ بَعْدَهُ لِلصَّبْرِ صَوْلَةٌ فَاتِكِ
 رَمَى عَنِ قِسْيٍ لِلْيَالِي عَوَاتِكِ
 بِأَدْمَعِهَا الْخَضِرَاءِ ذَاتِ الْجَمَائِكِ
 بَهْتُنْ مَبَاكٍ أَوْ بَهْتُمْ مَضَاكِ
 وَمَكْرَمَةٌ نَاحَتْ لِأَكْرَمِ هَالِكِ
 إِذَا قَامَ فِي جَنَحٍ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ
 السَّلْسَالِ فِي الْأَرْضِ سَالِكِ
 وَمَنْ لِمُنِيخٍ عِنْدَ تِلْكَ الْمَبَارِكِ
 وَيَمْنَعُ مِنْ تَمْزِيْقِهِ كَفَّ هَاتِكِ
 وَيَقْبِسُ مِنْهُ النُّورَ غَيْرَ مُتَارِكِ
 يَبِينُ بِهَا فِي فَهْمِهِ وَمُتَسَارِكِ
 وَمَنْ ذَا يُزِيحُ الشُّكَّ عَنِ مُتَشَابِكِ
 فَصَارَتْ طَوَالَ الشَّمْسِ مِثْلَ النَّيَّازِكِ
 فَجَابَتْ إِلَى الْأَمْلَاقِ سُبُلَ الْمَسَالِكِ
 تَغْصُّ لِقَسٍّ مِنْ جَنَاحِ الْمَدَارِكِ
 لِإِبْرِيْزِهِ التَّبْرِيزِ لَا لِلْسَّبَائِكِ

فعال وإن تُنشر فيسكّة فارك
 ضربين بقدرح في عتاب الضرايك
 ففي طيه فضل الفضيل ومالك
 إذا اختلطت ساداته بالصعالك
 فما بعد سهل في العلى من مُشارك
 لعمري في الذرى والجوارك
 فلا دوران بل قُطب المدارك
 بوطىء المنايا لا بوطىء السنابك
 ثمانين حولاً كالعدو المضاحك
 وحاربه إذ جاز ضنك المعارك
 مُحرك جيش ناهب العيش ناهك
 ونم يأل عن خونٍ لحايزٍ ومالك
 وألقى البرايا بالرغم فوق البرامك
 للناس ناس لللقى أو بناسك
 لأعبي على المختار نجل العواتك
 راع نوحاً في السنين الدكادك
 خلقتنا لأرحاء المنون الرامك
 ندا عموم في غموم موالك
 أمانع صبرى لن يلين عزايك
 على ولكن عادة الرمالك
 لتجريع صابٍ من مصاب موعاك
 توابة في مرّ الرياح السواهلك

ومن لفعال إن ذكرت بنسائه
 ومن لخلال كرمّت وضراير
 ومن لشعار الزهد أخفى بالفنا
 ومن لشعاب المجد أو لشعوبه
 ألا ليس من فاكفف عويلك أو فرد
 أصبنا فيالله فيه وإنما أصبنا
 فناد بأفلاك المحامد أقصرى
 وصبح بالبناء اليوم أقوىت منزلاً
 على هذه حام الحمام محنقاً
 فسالمه في معرك الموت خادعا
 طواك الردى مهما يُساكن فإنه
 نبا سبا قُدماً وهى السكاسك
 وأفنى من أبناء البرايا مجموعها
 سواءً لديه أن يصول بقلبك من
 ولو أنه أرعى على ذى كرامة
 ولو راعه عمرٌ تكامل ألفه لما
 وما من سبيل للدوام وإنما
 فيا آل سهل أو بنيه مخصصا
 أعندكم أنى لما قد عراقكم
 فكيف أعزى والتعزى مُحرم
 فإن فرح يبدو فذلك تَكَرُّه
 وإن كان صبراً إنها لحلومكم

ورثتم سنا ذاك المقدس فارتقوا
 فلم يمض من أبقى من المجد إرثه
 أتدرون لم جدت ركاب أبيكم
 تذكّر في أفق السماء قديمه
 وكلّ سما في حضرة القدس حظه
 فيا عجبامنا نبكى مُهنّا
 يلاقيه في تلك المعاني رفيقّه
 فلا تحسبوا أن النوى غال روحه
 فلو أنكم توشفتم بمكانه
 ينعم في روض الرضا ونجوده
 كذلك وعد الله في ذى مناسب
 فيا رحمة الرحمن وافي جنابه
 ويا لوعتي سيرى إليه برّعتي

بأعلى سنام من ذرى العزّ نامك
 ولم يلق ملكا تارك مثل مالك
 كما جدّ سير بالقيلاص الرواتك
 فحنّ إلى غيظ هنالك شابك
 فلم يلب عنه بالحفظ الركايك
 تبوأ دارا في جوار الملايك
 بوجه منير بالتباشير ضاحك
 لجسم ثوى تحت الدكادك سادك
 رأيتم مقيما في أعلى الأرايك
 سحائب في كُتبان مسك عواتك
 من البرّ صحت بالتغنى ومناسك
 عويا روحه سلّم عليه وبارك
 وقصّي شجوناً من حديثي هنالك

حديث الأشجان شجون ، ووجوه القراطيس به كوجوه الأيام جُون ،
 فارعني سمعك ، أبثك بشي واكتشابي ، وأعرني نظرة في كتابي ، لتعلم ما بي ،
 فعندي ضرب الأسي جناية ، وعلى وردى أطال باغي الأسي حمايه ،
 وعبرتي أبكت من القطر سجامه ، وزفرتي أذكت من الجمر ضرامه ، ومنى
 تعلّمت ذات الهديل كيف تنوح ، وعني أخذت ذات الحسن كيف تغدو
 والهة وتروح ، فما مدعورة راعها القناص ، وعلق بواحدتها حبل الجهالة
 فأغوره الخلاص ، فهي تتلفّت إليه والمخافة خلفها وأمامها ، وتتلهف
 عليه فتكاد تواقع فيه جمامها ، بأخفق ضلوعا ، وأشفق روعا ، وأضيق
 محالا ، وأوسع وجمالا ، وأشغل بالا ، وأشعل بلبالا ، بل ما طلاها ، وقد

رآها ، ترى طلاها ، فوقف حتى كاد يشركها في الحين ، ويحصل من
 الشُّرك تحت جناحين . ثم أفلتت وهو يشكُّ في الإفلات ، ويشكو وخذته في
 الفلوات ، بأرهب نفساً ، وأجنب أنسا ، وألهب حشاً ، وأغلب توحشاً ،
 وأضيع بالمومات ، وأضرع لغير الأمات ، منى وقد وافى النبا العظيم ،
 ونثر الهدى بكف الردى شمله النظيم ، وأصبح يعقوب الأحران وهو
 كظيم . وقيل أصيبت الدنيا بحبشتها وحسناها ، والديانة بمحسنها وأبي
 حُسناها ، فحقَّ على القلوب انفطارها ، وعلى العيون أن تهْمى قطارها ،
 وعلى الصبر أن يمزق جلبابه ، وعلى الصدر أن يغلق في وجه السلوبابه .
 أنعى الجليل السعى ، ورزية الجميل السجية ، ووفاة الكريم الصفات ،
 وفقد الصميم المجد ، وذهاب السَّمح الوهَّاب ، وقبض روحاني الأرض ،
 وانعدام معنى الناس ، وانهدام مَغشى الإيناس ، وانكشاف شمس العلم ،
 وانتيساف قُدس الجلم . يا له حادثاً جمع قديما من الكروب وحادثاً ،
 ومصابا جرَّع أوصابا وأضحى كلُّه به مُصابا . لا جرَّم أنى شربت من كأسه
 مُستَمْفِضها ، وشرقت بها وبماء دمعى الذى ارفضُّ معها ، فغالت خلدى ،
 وغالبت جلدى ، حتى غبتُ عنى ، ولم إدر بآلامى التى تعنى . ثم أفقت
 من سُكرى ، ونفقت مبدد فكري ، فراجعنى التذكار والتمام ، وطاوعنى
 شجوناً يتعاطاه الحِمام ، فبكيت حتى خشيت أن يعشيني ، وغشيت إذ
 غشيني من ذلك أليم ما غشيني ، وظللت ألقى انبجاسا للترح يلقينى ،
 فتارة يُعنينى ، وتارة يبقينى ، فلو أن احتدأى والتدأى وجفنى الدأى ،
 أطلعت على بعضه الخنساء ، لقات هذه عزيمة حزن ، لا يستطيعها النساء .
 ذلك بأن قسمة المرائى كقسمة الميراث ، وللدُّكران المزية ، كان للسُّرور
 أو للرزية ، على الأنث ، هذا لو وازن مبكى مبكى ، ووارى ترابى فلكيا ،

إنا لنبكي نورِ ظلمِ ، وهي لبكى ظلمة جهل ، ونذبتى بجبل يدعى
 سهل ، كان يتفجر منه الأنهار ، وبينها جانب من خشية الله أو ينهار ،
 في مثله ولا أريد بالمثل سواه ، فما كان في أبناء الجنس من سواه .
 يحسن الجزع من كل مؤمن تقى ، ويقال للمتجلد ، لا تُنزع الرحمة
 إلا من هقى ، فكل جفن بعده جاف ، فصاحبه جلف أوصاف ، وكل
 فؤاد لم تصدع له صفاته ، ولم تتغير لفقده صفاته ، فمحقق عند
 العلماء معلوم ، أنه مطود في الحجارة أو معدوم . فيا ليت شعري يوم
 ودّع للترحال ، ودعا حاديه بشد الرحال ، كيف كان حاضرؤه في تلك
 الحلال ، هل استطاعوا معه صبرا ، وأطاعوا لقلبيته أمرا ، أو ضعف
 احتمالهم ، وقوى في مفارقة النفوس أعمالهم . ويا ليت شعري ، إذ أفادوا
 الماء طهارة زائدة بغسل جلاله ، هل حنطوه في غير ثنابه ، أو كفنوه في
 غير خلاله . ويا ليت شعري إذا استقل به نعشه لأشرف ، ترفرف عليه المليكة
 ويظللها الرُفرف ، هل رأوا قبله حَمَلَة الأطوار على الأعواد ، وسير الكواكب
 في مثل تلك المواكب ، فيأنسوا بالإلف ، ويرفعوا منكر الطرف ، ويدعو لفيض
 من أثر ذلك الظرف . ويا ليت شعري ، إذ ودّعوا درة الوجود ، صدفة
 اللحد المَجُود ، لم أثروا الثرى على نفوسهم ، ورضوا الأرض مغرباً
 لأنوار شمسهم . فهلا حفروا له بين أحناء الضلوع ، وجعلوا الصفيح
 صريح الحب والولوع . فيكونوا قد فازوا بقربه ، وجازوا فخراً خيراً
 لتربته . ويا ليت شعري إذا لم يفعلوا ذلك ولم يهتدوا هذه المسالك ،
 هل قضوا حق الحزن ، وسقوا جوانب الصريح من عبراتهم بأمثال المزن ،
 وهل اتصفوا بصفة الأسف أو قنعوا منها بأن وصفوها ، وهل تلافوا بقايا
 الأنفس ، بعد المفقود الأنفس ، وأتلفوه . فكل أسي لا تذهب النفس

عنده ، فما هو إلا من قبيل النَّصْنَع . يا قدس الله مشوى ذلك المتوفى ،
وما أظن الجزع تَمَّ حقه ووفى . ولو درى الزمن وبنوه ، قَدَّر من فقدوه ،
لوجدوا المفاجى الفاجع ، أضعاف ما وجدوه . فقد فقدوا واحدا جامعا
للعوالم ، وماجداً رافعا لأعلام المعالي والمعالم ، ومفدىً ثَقُل له فى الفدا ،
ونفوس الأوداء والأعداء ، ومُبكى ما قامت على مثله النوايح ، ولا حَسُنَتْ
إلا فيه المرائى ، كما حسنت من قبل فيه المدايح . رحمة الله عليه
ورضوانه ، وريحان الجنان يحييه به رضوانه . من لى بلسان يقضى
حق نذبتة ، وجنان يقضى بما فيه إلى جُثته وتُربته ، وقد نبهنى حزنى
عليه وبلدنى ، وتملكنى حصر الحسرة عليه وتعبدنى ، وأين يقع مُهلهل
البديه ، مما يخفيه مُهلهل الشكل ويُبديه . يمينا لو لبثت فى كهف الروية
ثلاثمائة سنين ، واستمددت سواد ألسنة الفصحاء اللسنين ، ما كنت فى
تأبين ذلك الفصل المُبين من المُحسنين ، إلا أنى أتيت بالطريف من
بيانه والتليد ، ورثيت رُشد كماله برثايه كمال ابن رشد أبى الوليد ،
فأنشدت بنيه قوله فيه :

أخلأى إني من دموعى بزآخر بعيدٌ عن الشَّطين منه غريقه
وما كان ظنى قبل فقد أبيكم بأن مصابا مثل هذا أُطيقه
ولم أدر من أشقى الثلاثة بعده أبناؤه أم دهره أم صديقه

ثم استوفيت تلك الأبيات والرسالة ، وأجريت بترجييعها من دم
الكبد ونجيعها عبراتى المُسالة ، فحينئذ كنت أوفى المصاب واجبه ،
وأشفى صدورا صديّة شجيّة ، وقلوباً واجفة واجبة . ولو أن ما رثى به
نفسه الكريمة من ثر إساءته ، حين رأى الحين مغتصباً حشاشة مكرماته .
أثار كامن وجدى بألفاظه المُبكية ، ومعانيه التى تحلُّ من مزاد العيون
الأوكية ، لاهبٌ لى رندا ، وأعقبنى صفاة تَندى ، وأطمعنى فى أن يعود

بکای زبدا . فقد بلغنی أنه لما وقف علی ثنیة المنیة ، وعرف قرب انتقال الساکن من البنیة ، جمع بنات فکره ، كما جمع شیبة الحمد بنات خدره ، وقال یا بنیاتی ، قد آن لیومی أن یأتی فهل لکن أن تریننی ، فوضعن اکبادهن علی الوشح ، ورفعن أصواتهن بالنشیج ، وأقبلن یرجعن الأناشید ، ویفجعن القریب والبعید ، حتی أوماً الیهن ، بأن قضین ما علیهن ، فیا إخواناه ، ومثلی بهذا النداء نخی وتاه ، إسهما أنحاکم فی میراث تلکم کلیم ، واحموا فؤادا بالملم المؤلم قد کلیم ، ولا تقولوا یکفیه میراث الأحزان ، فتبخسوا وحاشاکم فی المیزان ، فانی وإن تناولتها بالیدین ، وغلبت علیها ، فانی صاحب الفریضة والذین ، فانی لحظی من میراث الحکمة سائل ، ومع أن لی حقاً فی ذمم ووسایل ، فابعثوا إلی ما یطارحنی فی أشجانی ، وأقف علی رسمه فأقول شجانی ، ولا أطلب من کلام ذلکم الإمام ، العزیز فقدّه علی الإسلام ، قوله فی التصبیر ، علی الرزء الکبیر . ووصاته ، لثلاً یلزمنی ، ولست بالمستطیع إصغاءً للمطیع لأمره وإنصاته ، فإن امتثلت أصبت قتلی بما نثلت ، وإن عصیت أبعدت نفسی من رضاه وأقصیت ، ولی فی استصحاب حالی أمل ، وما لم یرد خطاب لم یلزم عمل . علی أنى وإن صاب وابل دمی وصب ، وأصبحت یذکر المصاب الکلف الصب ، فلا أقول إلا ما یرضی الرب ، فانی أبکی عالماً کبیراً ، وعالماً شهیراً ، تسعدنی فی بکایه المیلة ، وتنجدنی بوجده ، فأننا الکاتب وهی المیلة . وأما أنتم أيها الإخوة الفضلاء ، والصفوة الکرماء ، فقد تلقیتم وصلته المبارکة شفاها ، وراوی صدورکم بکلامه النافع وشفاها ، فلا یسعکم إلا الامتثال ، والصبر الذی تُضرب به الأمثال ، فعزاء عزاء ، وانتماء إلی التأسی واعتزاء ، وإن فضل رزة أرزاء ،

وكان جزءٌ منه يعدل أجزاءً ، فعلى قدرها تصاب العلياء ، وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء . ذلك لتبيين فضيلة الرضاء والتسليم ، وتعيين صفات من يأتي الله بالقلب السليم ، ويعلم كيف الكريم للكريم ، وكيف يحل الأجر العظيم ، وهب الله لكم في مصابكم صبورا على قدره ، وسكب ديم مغفرته على مئوى فتميدكم وقبره ، وطيب برّف روضات الجنات جنّبات قصره ، وزفمه بما كان أودعه من أسرار العلوم في صدره ، وخلّفه منكم بكل سرى بحلّة المجد من كل بصدره .

قلت : ذكر الشيخ ابن الخطيب في الأصل في هذه الترجمة « الأعيان والوزراء » ، ستة من أهل هذا البيت ، كلهم يسهون بهذا الإسم ، عدا واحدا ، فإنه سمي بسيد ، وذلك مما يدل على كثرة النباهة والأصالة والوجاهة ، رحمهم الله .

سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن

أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي

بانهى الأصل ، يكنى أبا الربيع ، ويعرف بابن سالم .

حاله

كان بقية الأكابر من أهل العلم بضقع الأندلس الشرقى ، حافظا للحديث ، مبرزا في نقده ، تام المعرفة بطرقه ، ضابطا لأحكام أسانيده ، ذاكرا لرجالہ ، ريان من الأدب ، كاتباً بليغاً . خطب بجامع بلنسية واستقضى ، وعرف بالعدل والجلالة ، وكان مع ذلك من أولى الحزم والبسالة ، والإقدام والجزالة والشهامة ، يحضر الغزوات ، ويباشر بنفسه القتال ، وببلى البلاء الحسن ، آخرها الغزاة التي استشهد فيها .

مشيخته

روى عن أبي القاسم بن حُبَيْش وأكثر عنه ، وأبي محمد بن عبيد الله ،
 وأبي عبد الله بن زَرْقُون ، وأبي عبد الله بن حُمَيْد ، وأبي بكر بن العجْد ،
 وأبي محمد بن سَيْدْبُونَه ، وأبي بكر بن مُغَاوِر ، وأبي محمد عبد المنعم
 ابن عبد الرحيم بن الفَرَس ، وأبي بكر بن أبي جمرة ، وأبي الحسن بن كوثر
 وأبي خالد بن رَفَاعَة ، وأبي جعفر بن حَكَم ، وأبي عبد الله بن الفخار ،
 وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي عبد الله بن نوح ، وأبي الحجاج بن أبي محمد
 ابن أيوب ، وأبي بكر عتيق بن علي العبدري ، وأبي محمد عبد الوهاب
 ابن عبد الصمد بن عَتَّاب الصُّدْفِي ، وأبي العباس بن مضاء ، وأبي القاسم
 ابن سَمْحُون ، وأبي الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري ،
 وأبي زكريا الإِصْبِهَانِي ، وأبي بكر أسامه بن سليم ، وأبي محمد عبد الحق
 الأزدي ، وأبي محمد الشاذلي ، وأبي الطاهر بن عوف ، وأبي عبد الله الحضرمي ،
 وجماعة غير هؤلاء من أهل المشرق والمغرب .

من روى عنه : روى عنه أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر ، وعبد الله
 ابن حزب الله ، وأبو جعفر بن علي ، وابن غالب ، وأبو زكريا بن العباس ،
 وأبو الحسن طاهر بن علي ، وأبو الحسين عبد الملك بن نُفُوز ، وابن الأَبَّار ،
 وابن الجنان ، وابن المواق ، وأبو العباس بن هرقل ، وابن الغمَّاز ،
 وأبو عمرو بن سالم ، وأبو محمد بن بَرْطَلَة ، وأبو الحسن الرعيني ،
 وأبو جعفر الطَّنْجَالِي ، وأبو الحجاج بن حَكَم ، وأبو علي بن الناظر .

تصانيفه

منها مصباح الظلم ، في الحديث ، والأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين
 من الصحابة ، والأربعون السُّبَاعِيَّة ، والسُّبَاعِيَّات من حديث الصُّدْفِي ،

وحلّية الأمالي في المراقبات العوالي ، وتحفة الوداد ونجمة الرواد ،
 والمسلسلات والإنشادات ، وكتاب الاكتفاء في مغازي رسول الله ، ومغازي
 الثلاثة الخلفاء ، وميدان السابقين وحلّية الصادقين المصدّقين في
 غرض كتاب الاستيعاب ، ولم يكمله ، والمعجم من وافقت كنيته زوجته
 من الصحابة ، والإعلام بأنخبار البخاري الإمام ، والمعجم في مشيخة
 أبي القاسم بن حبيش ، وبرنامج رواياته ، وجنى الرطب في سني الخطب ،
 ونكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال ، وجهد النصيح في معارضة المعري
 في خطبة الفصيح ، والامثال لمثال المنبهج في ابتداع الحكم واختراع
 الأمثال ، ومفاوضة القلب العليل ومناجزة الأمل الطويل بطريقة أبي العلاء^(١)
 المعري في هلقى السبيل ، ومجاز فتيا اللحن اللاحن المتحن يشتمل على
 مائة مسألة ملفزة ، ونتيجة الحب الصميم وزكاة المنثور والمنظوم ،
 والصحف المنشرة في القمّح المعشّرة ، وديوان رسايله ، سفر متوسط ،
 وديوان شعره ، سفر .

شعره

من شعره ما كتب به إلى أبي بحر صفوان ابن إدريس ، عقب انفصاله
 من بلنسية عام سبعة وثمانين وخمسمائة :

وماذا الذي يُغنى حنيني أو يحدى	أحنُّ إلى نجدٍ ومن حلّ في نجد
مُحبّهم رهن الصّباية والوجْد	وقد أوطنوها وادعين وخلصوا
ووجدى فساوى ما أجنّ الذي يبدي	تبين بالبين اشتياقي إليهم
وشاحٌ بخصر أو سوارٌ على زُنْد	وضاقت على الأرض حتى كأنها
وبعض الذي لاقيته من جوى يُرد	إلى الله أشكو ما ألقى من الجوى

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (أبي علي) ، والتصويب من «الذيل والتكلمة» .

فراق أخلاءٍ وصدّ أحبّية
 فيا سرحتي نجد نداءً مُتيمّ
 ظميت فهل ظلّ يبرّد لوعتي
 ويا زمننا قد مرّ (١) غير مُدّمّم
 ليالي زجني الأنس من شجر المنا
 وسُقياً لإخوان بأكفاف حایل (٢)
 وكم لي بنجد من سرّى ممجد
 آخر همة كالزهر في بُعد نيلها
 تجمعت الأضداد فيه حميدة
 أيا راحلاً أودي بصبري رحيله
 أتعلم ما يلقي الفؤاد لبعدهم
 فيا ليت شعري هل تعود لنا المنا
 عسى الله أن يُدني السرور بقربكم

ومن شعره في النسب وفقد الشباب :

توالت ليالٍ للغواية جون
 ركاب شباب أزمعت عنك رحلة
 ولا أكذب الرحمن فيما أُجنّه
 ومن لم يخل أن الرياء (٥) يشينه
 ووافي صباح للرشاد مُبين
 وجيش شيب جهزته منون
 وكيف وما يخفى عليه جنين
 فمن مذهبي أن الرياء يشين

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بان) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حاجر) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المجد) .

(٤) وردت في الإسكوريال . (غزلي) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (الوفاء) والتصويب من النسخ .

كما ربيع بالعقد^(١) الفقيد ضنين
فخطت بقلبي للشجون فنون
وآنق مهما لا حظته عيون
وأنس خلا منه صفاً وحجون
تزيد شيبى كيف بعد يكون
وكيف مع الشيب الميض سكون
فمالي عراني للمشيب جنون
ولم يعلموا أن الحديث شجون

وما أحد يا رب منك بذا أولى
فأوزعها شكرا وأوسعها طولا
أقل حلى عليائه يُخرس القولا
فيكن قوتي في مطلبى وكن الخولا
ولا لقيت نفسى على نيلها الهولا

ولى حركات بعدها وسكون
يكون الذى لا بد أن سيكون

لقد ربيع قلبى للشباب وفقده
وآلمنى وخط المشيب بلمتى
دليل شبابى كان أنضر منظرا
فناها على عيش تكدر صفوه
ويا ويح فودى أو فوادى كلما
حرام على قلبى سكون بغرة
وقالوا شباب المرء شعبة جنّة
وقالوا شجاك حدثان ما أتى
وقال فى الاستعانة والتوكل عليه :

أمولى الموالى ليس غيرك لى مولى
تبارك وجهه وجهت نحوه المنى
وما هو إلا وجهك الدايم الذى
تبرأت من حولى إليك وقوتى
وهب لى الرضا مالى [سوى ذاك مبتغى]^(٢)
وقال :

مضت لى سبع بعد عشرين حجة
فيا ليت شعرى كيف أو أين أو متى

واستجاز المترجم به من يذكر بما نصه : المشول من السادة العلماء
أئمة الدين ، وهداة المسلمين ، أن يجيزوا لمن ثبت اسمه فى هذا الاستدعاء ،
وهم المولى الوزير العالم الفاضل الأشرف بهاء الدين أبو العباس أحمد

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (العلق) .

(٢) هكذا وردت فى النسخ . وفى الإسكوريال (سواك لمبتغى) والأولى أرجح .

ابن القاضي الأجل أبي عبد الرحمن بن علي البَيْسَانِي ولولديه أبي عبد الله ،
 محمد ، وأبي عبد الله الحسين وولده عبد الرحيم ، ولأولاد ولده أبي الفتح
 حسن ، وأبوي محمد عبد الرحمن ويوسف ، ولعماليكه سنقر وأخيه الصغير
 وسنجر التركيون ، وأفيد وأقصر الروميان ، ولكمال بن يوسف بن نصر
 ابن سارح الطباخ ، وللوجيه أبي الفخر بن بركات بن ظافر بن عساكر .
 ولأبي الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ، ولأبي البقاء خالد بن يوسف
 الشاذلي ولولده محمد ، ولمحمد بن يوسف بن محمد البزالي الإشبيلي
 ولولده ، ولعبد العظيم بن عبد الله المندرى ولولده أبي بكر ، ولأبي الحسن
 ابن عبد الله العطار ، جميع ما يجوز لهم روايته من العلوم على اختلافها ،
 وما لهم من نظم ونثر ، وإن رأوا تعيين موالدهم ومشايخهم ، وإثبات
 أبيات يخف موقعا ثراه من الزلل ، ومما يخالف الحق ، فعلوا مأجورين .
 وكتب في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وستماية .

فكتب مجيزا بما نصه : قال سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ،
 وكتب بيده ، تجاوز الله عنه ، وأقام بالعفو من أوده : إني لما وقفت على
 هذا الاستدعاء ، أجاب الله في مستدعيه المسمين فيه صالح الدعاء ،
 اقتضى حق المسئول له ، الوزير الأجل ، العالم الأشرف الأفاضل بهاء الدين
 أبو العباس ابن القاضي الأجل ، الفاضل العلم الأوحده ، ندره انرمان ،
 ولسان الدهر ، وقس البيان ، أبي علي عبد الرحيم بن علي ، أعلى الله قاره
 ورفعته ، ووسم سلفه الكريم ونفعه ، تأكيدا للإسعاف ، بحكم الإنصاف
 له ، ولكل من سمي معه . فأطلقت الإذن لجميعهم ، على تباعد أفكارهم
 وتدانيتها ، وتباين أقدارهم وتساويها ، من أب سني ، وذرية عريقة في
 النسب العلي ، وماليك له تميزوا بالنسب المولوي ، وسمين بعدهم ،

اعتلقوا من الرغبة في نقل العلم ، بالحبل المتين ، والسبب القوي .
والله بالغ بجميعهم ، من تدارك الآمال أبعد الشأو القصى ، ويجريهم
من مساعدة الإمكان ، ومسالمة الزمان ، على المنهج المرضى ، والسنن
السوى ، أن يحدثوا بكل ما اشتملت عليه روايتى ، ونظمته عنايتى ،
من مشهور الدواوين ، ومنثور الأجزاء المنقولة عن ثقات الراوين ، وغير
ذلك من المجموعات فى أى علم كان من علوم الدين ، وكل ما يتعلق بها من
قرب أو بعد ، مما يقع عليه التعيين ، وبما يصح عندهم نسبته إلى من
مجموع جهته ، ومنظوم نظمته ، أو نثر صنعته . الإباحة العامة على
ذلك آتية ، ومقاصد الإسعاف لرغباتهم فيه مطاوعة وموافية ، فليروا
عنى من ذلك موفقة تمين ، ما شاءوا أن يرووه ، وليلتزموا فى تحصيله
أولا ، وأدائه ثانيا ، أوفى ما التزمه العلماء واشترطوه . ومن جلّه شيوخى
وصدورهم ، الذين سمعت منهم ، وأخذت بكل وجوه الأخذ عنهم ،
القاضى الإمام الخطيب العلامة ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الله بن يوسف بن حُبَيْش ، آخر أئمة المحدثين بالمغرب رضى الله عنهم .
والإمام الحافظ الصدر الكبير أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن
فرج بن الجِدِّ الفهرى . والفقيه المشاور القاضى المسند أبو عبد الله محمد
ابن أبى الطيب . والفقيه الحافظ أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن
عبد الرحيم الخزرجى . والقاضى الخطيب النهوى أبو عبد الله محمد بن
جعفر بن حميد . والأستاذ الحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جمهور
القيسى . والشيخ الراوية الثقة أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك بن
بونه بن سعيد بن عصام العبدرى . والشيخ الصالح أبو جعفر أحمد
ابن حكيم القيسى الحصار الخطيب بجامع غرناطة . والفقيه القاضى

الأجزل أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن بن الحاج . والقاضي الفقيه
الحسيب أبو بكر بن أبي جمرة . والقاضي أبو بكر بن مغمور . والقاضي
المسند أبو الحسين عبد الرحمن بن ربيع الأشعري . وسوى هؤلاء ممن
سمعنا منه كثيراً ، وكلهم أجازني روايته وما سمعه . وقرأت على
الخطيب أبي القاسم بن حبيش غير هذا وسمعت كثيراً ، وتوفى
رحمه الله بمرسية في الرابع عشر لصفري لسنة أربع وثمانين وخمسمائة .
ومولده سنة أربع وخمسمائة على ما أخبرني به رحمه الله ورضي عنه . وما
أخذته عن الحافظ أبي بكر بن الجعد بإشبيلية بلده ، مؤطاً مالك ، رواية
يحيى بن يحيى القرطبي ، أخبرني به عن أبي بحر سفيان بن العاصي
الأسدي الحافظ ، سماعاً بأسانيد المعلومه . وتوفى الحافظ أبو بكر سنة
ست وثمانين . وقرأت على الفقيه أبي عبد الله بن زرقون أيضاً مؤطاً مالك ،
وحدثني به عن أبي عبد الله الخولاني إجازة ، قال سمعته على أبي عمرو
عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي ؛ عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي
عيسى ، عن عمر أبيه عبيد الله بن يحيى الليثي عن أبيه عن مالك بن أنس ،
رضي الله عن جميعهم . ولا يوجد اليوم بأندلسنا ومغربنا بأعلى من هذه
الأسانيد . ومن كتب لي بالإجازة من ثغر الإسكندرية الإمام الحافظ
مفتي الديار المصرية ورئيسها أبو الطاهر بن عوف ، والفقيه الحاكم
أبو عبد الله بن الحضرمي ، والفقيه المدرس أبو القاسم بن فيره ، وغيرهم .
نفعنا الله بهم ، ووفقنا للإقتداء بصالح مذهبهم . وأما المولد الذي وقع
السؤال عنه ، فإني ولدت على ما أخبرني أبواي رحمهما الله ، بقاعدة
مرسية ، مستهل رمضان المعظم سنة خمس وستين وخمسمائة . وما يليق أن
يكتب في هذا الموضع ما أنشدني شيخا الفقيه أبو بكر عبد الرحمن بن

محمد بن مغاور رحمه الله في منزله بشاطبة سنة ست وثمانين وخمسماية ،
وهو بقیة مشیخة الكتاب بالاندلس لنفسه ، مما أعده ليكتب على قبره :
أيا الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديم
قلت لا تجزعوا عليّ فإني حسن الظن بالرؤوف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهيناً غلق الرهن عند مولى كريم
انتهى . وكتب هذا بخطه في مدينة بلنسية حماها الله ، سليمان بن
موسى بن سالم الكلاعي ، في الموفى عشرين لجمادى الآخرة سنة إحدى
وثلاثين وستماية . والحمد لله رب العالمين .

وفساته

كان أبداً يقول إن منتهى عمره سبعون سنة لرؤيا رآها في صغره ،
فكان كذلك ، واستشهد في الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة^(١) على نحو
سبعة أسياال سنها ؛ لم يزل متقدماً أمام الصفوف زحفاً إلى الكفار ، مقبلاً على
العدو ، ينادى بالمنهزمين من الجند يفرون ، حتى قُتل صابراً مُحْتَسِبا ،
غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وستماية .
ورثاه أبو عبد الله بن الأبار رحمه الله بقوله :

(١) موقعة أنيشة أو إنبيجة سميت باسم الحصن والتل الذي وقعت في ظاهره ، وهو يقع على نحو
سبعة أميال من شمالى بلنسية . وكان من أمنع حصون بلنسية الأمامية . وقد هدمه الأمير أبو جميل زيان ،
أمير بلنسية حتى لا يستعمله الأرجونيون قاعدة لمهاجمة المدينة . واكن الأرجونيين احتلوا مع ذلك
الربوة التي كان يقع عليها الحصن . وصمم الأمير زيان على إستراداد هذا الموقع ، وحشد جيشاً جراراً ،
وسار في قواته شمالاً ، ونشبت بين المسلمين والأرجونيين بقيادة ملكهم خايبي الأول في ظاهر تل
أنيشة معركة عنيفة هزم فيها المسلمون هزيمة فادحة ، وقتل منهم جماعة كبيرة ، وكان من بين القتلى
عدد كبير من علماء بلنسية ووجوهها يربي على السبعين . وكان ذلك في عشرين من ذى الحجة سنة ٦٣٤ هـ
الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٢٣٧ م .

تُقَدُّ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَالصُّوَارِمِ
 مِصَارِعُ غُصَّتْ بِالطُّلَا وَالْجِمَاجِمِ
 بِمَا لَقِيتُ حُمْرًا وَجَوْهَ الْمَلَا حِمِ
 بِحَاسِدٍ مِنْ نَسِيجٍ^(١) الظَّبَا وَاللِّهَازِمِ
 وَمَا يُكْرِمُ الرَّحْمَنُ غَيْرَ الْأَكَارِمِ
 وَمَا لَهُمْ فِي فَوْزِهِمْ مِنْ مُقَاوِمِ
 فَمَا لَتَ بِهِمْ مِيلَ الْغُصُونِ النَّوَاعِمِ
 يَطِيرُونَ مِنْ أَقْدَامِهِمْ بِقِوَادِمِ
 كَذَلِكَ جَوَارِ اللَّهِ أَسْنَى الْمَغَانِمِ
 وَلَا رَوْعَ يَشْنِيهِمْ صُدُورِ الْعِظَانِمِ
 مُتُونِ الرَّوَابِي أَوْ بَطُونِ التَّهَائِمِ
 وَإِنْ كُنَّ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرُ سَوَاهِمِ
 يَعِزُّ عَلَيْنَا وَطُؤُهَا بِالْمُنَاسِمِ
 فَتَكْسِفُ أَنْوَارِ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ
 فَمِنْ بَارِقَاتِ لُحْنٍ فِيهَا لَشَائِمِ
 بِإِجْرَائِهَا نَحْوِ الْأَجُورِ الْجَسَائِمِ
 فَجَدَّلَ مِنْهَا كُلُّ أَبْيَضٍ نَاعِمِ
 إِلَيْهِ بِإِهْدَاءِ النُّفُوسِ الْكَرَائِمِ
 حَقُوقًا عَلَيْهِمْ^(٢) كَالْفُرُوضِ اللَّوَاظِمِ
 شَبَابًا وَشَيْبًا بِالْغَوَاشِيِ الْغَوَاشِمِ

أَلْمَا بِأَشْلَاهِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
 وَعُوجًا عَلَيْهَا مَأْرِبًا وَحِفَاوَةً
 تَحِييَ وَجُوهَا فِي الْجَنَانِ وَجِيهَةً
 وَأَجْسَادِ إِيمَانٍ كَسَاهَا نَجِيعُهَا
 مُكْرَمَةً حَتَّى عَنِ الدَّفْنِ فِي الشَّرِي
 هُمُ الْقَوْمِ رَاحُوا لِلشَّهَادَةِ فَاعْتَدُوا
 تَسَاقُوا كُؤُوسِ الْمَوْتِ فِي حَوْمَةِ الْوُغْيِ
 مَضُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُدَمَا كَأَنَّمَا
 يَرُونَ جَوَارِ اللَّهِ أَكْبَرَ مَغْنَمِ
 عِظَائِمُ نَالُوهَا فَخَاضُوا لِئِيلِهَا
 وَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَكُونَ لِحُودِهِمْ
 إِلَّا بِأَبَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سَوَاهِمًا
 عَفَا حُسْنُهَا إِلَّا بِقَسَايَا مَبَاسِمِ
 وَسُورِ أَسَارِيرِ تُنِيرُ طِلَاقَةَ
 لُثْنٍ وَكَفَّتْ فِيهَا الدَّمُوعُ^(٢) سَحَابِيَا
 وَيَا بِأَبَى تِلْكَ الْجِسْمِ نَوَاجِحِ لَا
 تَغْلُغَلُ فِيهَا كُلُّ أَسْمَرٍ ذَابِلِ
 فَلَا يُبْعَدُ اللَّهُ الَّذِينَ تَقَرَّبُوا
 مَوَاقِفَ أَبْرَارٍ قَضَوْا مِنْ جِهَادِهِمْ
 أَضْيَبُوا وَكَانُوا فِي الْعِبَادَةِ أَسُوءَ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ (حَوْكٌ) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ . وَفِي الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ (الْعِيُونُ) .

(٣) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكُورِيَّالِ (عَلَيْهَا) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الذَّيْلِ وَالتَّكْلَةِ .

وقائمٌ سيفٌ قد في رأس قائم
 هنالك مَصْرُوم الحياة بصارم
 ينوء برجلي راسف في الأدهم
 [وكرهم] (۱) في المأزق المتلاحم
 سوافح تُزجيتها تُقال الغمايم
 فطيب أنفاس الرياح النواسم
 فلا غرو أن فازوا بصفو المكارم
 تحنُّ إلى الأخرى حنين الروائم
 فحيث التقي الجمعان صدق العزائم
 أراجع فيها بالدموع السواجم
 تُعبر عنها رايجات ماتم
 سوى غضُّ أجفانٍ وغضُّ أباهم
 رمي نصال أو كديغ أراقم
 وأزجر من سأم البكا غير سائم
 فيغرب عنى ساهراً غير نائم
 ولكنها شكوى إلى غير راحم
 قواصم شتى أرذفت بقواصم
 لاأثرت عن طوع سلو البيهائم
 بجاث من الأرزاء حولي جاثم
 سرى في الثنايا طيبها والمخارم

فعامل رمح دُقِّ في صدر عامل
 ويا ربُّ صوامِ الهواجر واصل
 ومنقذ عانٍ في الأدهم راسف
 أضاعهم يوم الخميس حفاظهم
 سقى الله أشلاء بسفح أنيشة
 وصلى عليها أنفسا طاب ذكرها
 لقد صبروا فيها كراما وصابروا
 وما بذلوا إلا نفوسا كريمة (۲)
 ولا فارقوا والموت يتلع جیده
 بعيشك طارحنى الحديث عن التى
 وما هى إلا غاديات فجائع
 جلائل دق الصبر فيها فلم نطق
 أبيت لها تحت الظلام كأننى
 أغازل من برح الأسى غير بارح
 وأعقد بالنجم المشرق ناظرى
 وأشكو إلى الأيام سوء صنيعها
 وهيئات هيهات العزاء ودونہ
 ولو برد السلوان حرَّ جـوانحى
 ومن لى بسُلوان يحل منفرأ
 وبين الثنايا والمخارم رمة

(۱) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الذيل والتكلمة .

(۲) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل والتكلمة (نفيسة) .

بَكَّتْهَا المعالي والمعالم جهدها
 سعيدٌ سعيدٌ لم تُرْمِه قِرارة
 كأنَّ دَمًا أَذكى أديم تُرابها
 يشقُّ على الإسلام إسلام مثلها
 كأنَّ لم تَبِتْ تغشى للسرارة قبابها
 سفحتُ عليها الدمع أحمر وارساً
 وسامرتُ فيها الباقيات نوادياً
 وقاسمت في حَمْلِ الرزية أهلها
 فوأسفا للدين أغضل داؤه
 وبأسفا للعلم أقتوت ربوعه
 قضى حامل الآثار^(١) من آل يعرب
 نجبا الكوكب الوقاد إذ متع الضحى
 ونجابت مساعي السامعين حديثه
 فأيُّ بهاءٍ غارٍ ليس بطالع
 سلامٌ على الدنيا إذا لم يُلح بها
 وهل في حياتي مِتعةٌ بعد موته
 فهأنذا في حرب^(٢) دهر مُحارب
 أخو العزة القعساء كهلا ويافعا
 تفرد بالعلياء علماً وسؤدداً
 مُعرَّسه فوق السهى^(٣) ومقيسه

فمن للمعالي بعدها والمعالم
 وأعظم بها وسط العظام الرمايم
 وقد مازجته الريح مسك اللطائم
 إلى خامعاتٍ بالفلا وقشاعم
 ويرعى حماها الصيد رعى السوايم
 كما تنثر الياقوت أيدي النواظم
 يُورقن تحت الليل وُرق الحمائم
 وليس قسيم البر غير المقاسم
 وآيس من أس مسراه حاسم
 وأصبح مهدود الذرى والدعائم
 وحامى هدى المختار من آل هاشم
 ليخبطه في ليل من الجهل فاحم
 كما شاء يوم الحادث المتفاقم
 وأى سناءٍ غاب ليس بقادم
 مُحياً سليمان بن موسى بن سالم
 وقد أسلمتني للدواهي الدواهم
 وكنت به في أمن دهر مُسالم
 وأكفاؤه ما بين راضٍ وراغم
 وحسبك من عال على الشهب عالم
 ومورده قبل النُور الجواثم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (الآداب) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (خوف) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي الذيل (السبا) .

إذا فاه فاض السُّحر ضربة لازم
إلى ناجح مَسعاه في كل ناجم
كفى صادماً منه بأكبر صادم
فإن رُمته ألفت صعب الشكايم
فبات عليه قارعاً سنّ نادم
ولا البُرد وشقه أكفّ الرواقم
تُسِيرها أقلامه في الأقالم
تمام حَوَاه قبل عقد التمايم
ويُحسن وسمّاً في وجوه الموامم
كمال مثال^(٢) أو جمال مقاوم
براق من الجلى أصيب يواقم
بها الحور واهاً للدنادى المنادم
ليحظى بإقبالٍ من الله دايم
تولى ولم تلحقه لومة لائم
فلن تعدم الحسناء ذاما بذائم
فدى لك من ساداتنا كلّ خدام
ألا إنما الأعمالُ حُسن الخواتم
لكل تقى خيمه غير خبايم
نزيل الثريا قبلها والنعمائم
ترى ما عداها في عداد المآتم

بعيدُ مداه لا يُشقُّ غباره
يُفوض منه كلُّ نادر ومنبر
متى صادم الخطب الملمّ بخطبة
له منطق سهل النواحي قريبها
وسحر بيان فات كلّ مُفوه
وما الرّوض حلاه بجوهره الندى
بأبداع حُسنًا في^(١) صحائفه التي
يمان كلاعى نماء إلى العلاء
يروق رواق الملك في كل مشهد
ويكثر أعلام البسيطة وحده
لعا لزمان عاثرٍ من خلاله
مُناد إلى دار السلام مُنّادم
أتاه رداه مقبلاً غير مُدبر
إماما لدين أو قواماً لدولة
فإن عابه حُساده شرقاً به
فيا أيها المخدم سامي^(٣) محله
ويا أيها المختوم بالفوز سعيه
هنيئاً لك الحُسنى من الله إنها
تبوّأت جنات النعيم ولم تنزل
ولم تألُ عيشاً راضياً أو شهادة

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (من) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (سمك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي الذيل (عالي) .

وقد جَرَّبَ الأبطال ذبيل الهزائم
سوى جاحدٍ نور الغزاة كاتم
فبوركتَ من جذلان في الروع باسم
ففُزْتَ بأشتات المنا فوز غانم
أداوى بها بَرَحَ الغليل المُداوم
من النوم تحدوني إلى حال حال
وسيرت على غير النواحي^(٢) الرواسم
من النصر أثناء الخطوب الصرايم^(٣)
بما عادي من عاديات هواجس
فياعزُّ معدوم وياهون عادم
وكيف بما أعبي منالا لرايم
خلاقا لسال قلبه منك سالم
طواني من حامي الجوى فوق جاحم
أليّة برّ لا أليّة آثم
سلوت ولكن لاسلؤ لهاثم
ومثلى في أمثالها غير ظالم
سموت لها حفظاً لتلك المراسم
زياد لقبر^(٥) بين بصرى وجاسم
بعلياء في تابين قيس بن عاصم

لعمرى ما يبلى بلاؤك في العدا
وتالله لا ينسى مقامك في الوغى
لقيت الردى في الروع جذلان باسمًا
وحُمت على الفردوس حتى وردته
أجيدك لا تُثنى عنانا لأوبة
ولا أنت بعد اليوم واعد^(١) هبة
لسرعان ما قوضت رحلك ظاعنًا
وخلفت من يرجو دفاعك يائسًا
كأني للأشجان فوق هواجس
عديمتك مفقودًا^(٤) يعزُّ نظيره
ورمتك مطلوبًا فأعبي مناله
وإني لمحزون الفؤاد صديعه
وعندي إلى لقبياك شوق مبرح
وفي خلدي والله ثكلك خالد
ولو أن في قلبي مكانا لسلوة
ظلمتك أن لم أقض نعماك حقها
يطالبني فيك الوفاء بغاية
فأبكي لشلو بالعراء كما بكى
وأعبد أن يمتاز دوني عبدة

(١) هكذا في الذيل ، وفي الإسكوريال (راعد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (النواحي) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (الضوالم) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الذيل (موجودا) .

(٥) هكذا وردت في الذيل . وفي الإسكوريال (لقفر) . والأولى أرجح .

وهذى المرائى قد وفيت برسمها مسهمة جهد الوفى المساهم
فمد اليها رافعا يد قابلي أكب عليها خافضاً فم لاثم

ومن القضاة فى هذا الحرف

سلمون بن على بن عبد الله بن سلمون الكنانى

من أهل غرناطة يُكنى أبا القاسم ، ويُدعى باسم جده سلمون ، وقد
مر ذكر أبيه وأخيه .

حاله

من أهل العلم والهدى الحسن ، والوقار ، قديم العدالة ، متعدد الولاية .
مضطلع بالأحكام ، عارف بالشروط ، صدر وقته فى ذلك ، وسابق حلته
إلى الرواية ، والمشاركة ، والتبجح ، فى بيت الخير والحشمة ، وفضل
الأبوة والأخوة . قل فى الأندلس مكان شذ عن ولايته ، وناب عن القضاة
بالحضرة ، فحمد نفاذه ، وحسنت سيرته . ثم ولى مستبداً فى الدولة
الباغية ، وخاض فى بعض أهوائها ، بما جر عليه عتبا ، فعقبه الإعتاب
عن كذب .

توالياه

ألف فى الوثائق المرتبطة بالأحكام كتابا مفيدا ، نسبه بعض معاصريه
إلى أنه قيده عن شيخه أبى جعفر بن فركون ، ودون مشيخته .

مشيخته

أجازة الرواية المعمر أبو محمد بن هرون الطائى ، والشيخ المسن أبو جعفر
أحمد بن عيسى بن عياش الملقى ، والشيخ الأديب أبو الحکم بن المرحل ،

والعدل أبو بكر بن إسحاق التجيبي ، والقاضي أبو العباس بن الغمّاز ،
والفرضي أبو إسحق التلمساني ، وأبو الحسن بن عبد الباقي بن الصواف ،
والمحدث أبو محمد الخلاسي ، والراوية أبو سلطان جابر بن محمد بن قاسم
ابن حيّان القيسي ، والوزير أبو محمد بن سِماك ، والشيخ المدرس
بالديار المصرية أبو محمد الدُمياطي ، والمقري الراوية أبو عبد الله بن
عِيّاش ، وأبو الحسن بن مضاء ، والمحدث أبو عبد الله بن النجار ،
وأبو زكريا بن عبد الله بن محرز ، والمقري أبو بكر بن عبد الكريم
ابن صدقة السَّفَاقُسي ، والشيخ زين الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن
القرشي العوفي ، وأبو القاسم الأيسر الجذامي ، وشهاب الدين الأبرقوسي ،
والعدل أبو فارس الهواري ، وأبو الكرم الحميري ، وأبو الفدا بن المعلم ،
والشريف أبو الحسن القرافي ، وأبو عبد الله بن رحيمة ، والشيخ
أبو عبد الله بن اللبيدي ، وأبو الحسن بن عطية البودري ، وأبو محمد
ابن سعيد المسراتي ، وأبو عبد الله بن عبد الحميد ، والخطيب أبو الحسن
ابن السفّاج الرُتدي ، وأبو محمد بن عطية ، والوزير أبو عبد الله بن أبي عامر
ابن ربيع ، والعدل أبو الحسن بن مَسْتَقُور ، والخطيب أبو عبد الله
ابن شعيب ، والشريف أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف ، والأستاذ أبو بكر
ابن عبيدة . وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ، وبرنامج رواياته نبيه .
مولد : عام خمسة وثمانين وستماية .

ومن المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء بين أصلي وغيره

سعيد بن محمد بن إبراهيم بن حاصم بن سعيد النسائي

من أهل غرناطة ، يكنى أبا عثمان .

حاله

هذا الرجل من أهل الذكاء والمعرفة والإدراك ، يقوم على الكتاب العزيز حفظاً وتدريساً ، ويشارك في فنون ، من أصول وفقه وحساب وتعديل ، ومعرفة بالإلهامات الشعاعية . يكتب خطأ حسناً ، وينظم الشعر ، ويحفظ الكثير من النُتف والأخبار ، مقتصد ، منقبض عن الناس ، مشغول بشأنه ، قيد الكثير ، يسير إلى لزمانة ، أصابت أختها ، بما يدل على نشاطه وهمته .

مشيخته

قرأ على الأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزى ، ورحل إلى الـدوة ، فلقى بفاس ونلمسان جُملة ، كالأستاذ أبي إسحق السلاوي النلمساني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن المكناسي من أهل فاس ، والحاج ابن سبيع وغيرهم . واستدعيته لتأديب ولدى أسعدهم الله ، فبلوت منه على السنين ، نضحاً وسلامة وديننا وعفة .

شعره

جرى ذكر في « الإكليل الزاهر » بما نصه : ممن يتشوق إلى المعارف والمقالات ، ويتشوق إلى الحقائق والمجالات ، ويشتمل على نفس رقيقة ، ويسير من تعليم القرآن على خير طريقة ، ويعاني من الشعر ما يشهد بنبله ، ويُسْطَرف من مثله . فمن شعره قوله :

لَمَّا نَأَوْا فِي الظَّاعِنِينَ وَسَارُوا	أَضْحَتْ قُلُوبَ العَاشِقِينَ تَحَارَ
تَرَكَوهُمْ فِي ظُلْمَةٍ وَتَوَحُّشٌ	مَا انْجَابَتْ الأَضْوَاءُ والأَنْوَارُ
ذَهَبُوا فَأَبْقَوْا كُلَّ عَقْلِ ذَاهِلًا	وَلِكُلِّ قَلْبٍ بِالنُّزُوحِ مَطَارُ
ظَنَعُوا وَقَدْ فَتَنُوا الـوَرَى بِجَمَاهِمِ	عَبَثُوا بِأَفئِدَةِ الأنَامِ وَحَارُ

ما ضرَّهم قبيل النوى لو ودَّعوا
فقلوبنا من بعدهم في فجعة
يا دار أين أحبتي ووصالنا
كنا نذيع به غير حديثنا
والطير تتلو فوقنا نغماتها
ولطالما بتنا وبات رقيبنا
هل زمن تقادم عهد
فلا تذر على الوصال وابكين
ومن المقطوعات :

وكم عدلوني في هواه وما رأوا
وقالوا نعم هذا الكمال حقيقة
وكتب إلى صحبة كتاب أعرته إياه ، عقب الفراغ من مطالعته :

هذا كتاب كلُّ مُعْجَم
أعجمه منشئه أولاً
أسقط من إجماله جملة
وغير الألفاظ عن وضعها
فليس في إصلاحه حيلة
أفحمني معناه إفحاما
وزاده الناسخ إعجاما
وزاد في التفصيل أقساما
وصير الإيجاد إعداما
ترجى ولو قوبل أعواما

نشره

كتب إلى شافعا في الولد ، وأنا واجد عليه : من حل محل السيد
نادرة الزمان ، وسابق حلبة البيان ، في رسوخ العلم ، والسمو في درجة
الحلم ، وأرضعته الحكيم درتها ، وقلدته المعارف دَرَرها ، وجلت عليه

(١) وردت في الإسكوريال على النحو الآتي : (وسلموا)

بدرها ، وجلبت إليه بذرها ، كان بالحنو والرأفة خليقا ، وأن يهب نسيمه لدنا رفيقا ، وأن يتعاهد بالعطف غرسا في زاكي تربته ظلي ، وإلى مَحْتَدِه المنجب وفضله المنجب انتمى ، فيلحفه من الرحمة جناحا ، ويطلع عليه في ليل الوحشة المؤلمة ، من نور صفحه عن هفوته مصباحا ، والذنب إذا لم يكن عقوقا ولا سوء أدب ، وكان في الممالك والقيم المالية مُغْتَفِر ، عند الأكابر مثله من ذوى الرتب ، وقد بلغ في الاعتراف غاية المدى ، واندمل الجرح الذى أصابته المدى ، والبون واضح في المقاييس ، بين المرؤوس والرئيس ، وشتان بين الزيف والجوهر النفيس . ومع أن الولد كمد ، فهو للنفس ريحانة ، وفي فص خاتم الإنسان جمانة ، وقد نال منه هذا الإمضاء ، والصارم يتخذ فيزيده منه المضاء ، وهو يرتجى كل ساعة ، أن يفد عليه البشير برضاك ، فيستأنف جهورا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، والله يبقيك ، والوزارة ترفل منك في مظهر حُلل ، ويريك في نفسك وبنيك غاية الأمل .

مولده : التاسع لذي الحجة عام تسعة وتسعين وستماية ، وهو الان على حاله الموصوفة .

ومن الكتاب والشعراء

سهل بن طاحنة

من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحسن .

حاله

كان ظريفا ، عنده مشاركة في الطلب . مدح ولى العهد أبا عبد الله

ابن الغالب بالله بشعرٍ وسط ، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها :
 أنا للغرام وللهوى مدفوع فمتى السُّلُو ووصلها ممنوع
 يقول أيضا منها بعد كثير :

يا حبذا دارٌ لزِينب باللُّوى حيث الفؤاد على الهوى مطبوع
 يا حادي العيس التفت نحو اللُّوى إنى بسكان اللُّوى مَفْجوع
 وعِج المطى بلَعْلَع وبِـرامَة فهناك قلب للشجى مروع
 أطلال آرام وبيضٌ خسرُدْ هُنَّ الأهلَّةُ بالجيوب طُلوع
 فى ظَبْيَة من بينهن تصدُننى حُسنا ولى أبدأ إليه نَزوع
 حوراءُ جائرةٌ على بحكمها ظُلما وإنى مُذعنٌ وسَمِيع
 تَفَنَّى اللبالي والزمان وأنقَضِي كَمدا ولا نَبأ لها مسموع
 فياليت هل دهر يعود بوصلها فيكون للعيش الخصب رجوع
 وتعود أيام السُّرور كمثل ما قد عاد روح حياتها والروع
 فقدم مولانا الأمير محمد خير الملوك ومن له الترفيع
 وفاته : كان حيا سنة اثنتين وخمسين وستماية .

سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني

من أهل مالقة ، يكنى أبا عمرو ويعرف بابن سالم .

حاله

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : كان أدبيا مُقَيِّدا . كتب بخطه
 كثيرا ، وانتسخ أجزاء عدة ، واجتهد وأكثر ، وكان مُتَبَدِّلا في لباسه ،
 متواضعا ، مقتصدا ، مليح المُجالسة ، حسن العشرة ، جليل الأخلاق ،
 فاضل الطبع .

مشيخته

روى عن الحافظ أبي عبد الله بن الفخار ، وأبي زيد السهيلي ،
وأبي الحجاج بن الشيخ ، وأبي جعفر بن حكيم ، وأبي بكر بن الجعد ،
وأبي عبد الله بن زرقون ، وأبي محمد بن عبيد الله . وشارك في كثير من
شيوخه أبا محمد القرطبي ، وكان يناهضه .

دخوله غرناطة

دخلها ، وأقام بها ، وأخذ عن شيوخها ، وتردد إليها .
شعره : قال في رُمح :

أنا الرُمح المُعدُّ إلى النوايب فصاحِبِني تجدني خير صاحب
لئن فخر اليراع بكتب خطِّ فلخطِّي فخرٌ بالكتايب

ومما كتب له ابن خميس قوله :

إلهي قد عصينا منك ربًّا تعلَّى أن يُقابل بالمعاصي
فكيف خلوصنا من هؤل يوم تشيب لهوله سُود النواصي

وجلب شعرا كثيرا دون شهرته ، وما ذكر به . وتوفي بمالقة ليلة
الإثنين لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المعظم سنة عشرين وستماية .

حرف الهاء من الملوك والأمراء

هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن

محمد بن عبد الله

أخو المرتضى المتقدم الذكر ^(١) ، يكنى أبا بكر ، ويلقب بالمُعْتَد بالله
الخليفة بقرطبة .

(١) وردت ترجمة الخليفة المرتضى في المجلد الثالث من الإحاطة (صفحة ٤٦٦ - ٤٦٧) .

صفته : أبيض أصهب ، إلى الأدمة ، سَبَط الشعر ، أُنْحَس ، خفيف العارض واللحية ، حسن الجسم ، إلى قصر ، أمه أم ولد تسمى عاتبا .

حاله

بويع له بالشعر ، فقرطبة أيام استقراره بحصن البنت^(١) ، عند صاحبه عبد الله بن قاسم الفهرى . قال ابن حيان ، ثالبا إياه على عادته ، قُلد الأمر في سن الشيخوخة ، وكان معروفا بالشطارة في شبابه ، وأقلع فرجى فلاحه . وقال ، دخل قرطبة في زى تفتحمه العين ، وهنا وقلة ، عديم رواء وبهجة ، وعدد وعدة ، فوق فرس دون مراكب الملوك ، بحلية مختصرة ، سادلا سمل غفارة على ما تحتها من كسوة رثة ، قدامه سبع خبايب من خيل العامريين دون علم ولا مضطرد ، يسير هوننا والناس ينظرون إليه ، ويصيحون بالدعاء في وجهه . فدخل القصر ، وقلد حكما المعروف بالقزاز الأعمال والأمر ، وأطلق يده في المال ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

هَبْكَ كَمَا تَدْعَى وَزِيرَا وَزِيرٌ مِنْ أَنْتِ يَا وَزِيرِ
وَاللَّهِ مَا لِلْأَمِيرِ مَعْنَى فَكَيْفَ مِنْ وَزِيرِ الْأَمِيرِ

وضَعف أمره ، وآثر الناس الوثوب على وزيره ، فأوقع به طائفة من الجند ، وثارَت العامة بهشام فخلع في خبر طويل ، ودخل غرناطة مع أخيه المرتضى ، ولحق يوم هزيمته بظاهاها ، بحصن البنت إلى أن بويع له بقرطبة يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

محنته

(١) البنت أو البونت وبالإسبانية « Alpuente » مدينة حصينة في شرق الأندلس ، تقع شمال غربى بلنسية على مقربة من نهر طوريه . وقد كانت أيام عصر الطوائف عاصمة لإمارة صغيرة مستقلة تحت حكم بنى قاسم الفهرى .

ثارت العامة به بقرضة كما تقدم ، ملتفةً على أمية بن عبد الرحمن ابن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، يوم الثلاثاء الثاني عشر لذي حجة من سنة اثنتين وأربعمائة ، بسوء تدبير وزيره ، وبإدار الاعتصام بعليّة القصر ، وأنزل منها إلى ساباط الجامع بالأمان ، فيمن تآلف إليه من ولده وحريمه ، فحدث بعض سدنة الجامع ، أن أول ما سأل الشيوخ ، إحضار كبيرة من خبز يسد جوع طفيلة له ، كان قد احتضنها ، ساتراً لها بكمه من قرليلته تلك ، كانت تشكو الجوع ذاهلة عما أحاط به ، فأبكى من كلمه اعتبارا بعادية الدهر . وأخرج إلى حصن ابن الشرف إلى أن هلك .

وفاته : في صفر ثمان وعشرين وأربعمائة . وسنه نحو أربعة وستين سنة . وكان آخر ملوك بني أمية بالأندلس .

ومن ترجمة الأعيان والكبرا والأماثل والوزرا

هاشم بن أبي رجاء الإلبيري

الوزير ، يكنى أبا خالد .

حاله

كان من عظماء أهل البيرة وحديثهم ، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد أبا إسحق بن مسعود الإلبيري في مرضه ، وعذله على رداة مسكنه ، وقال له لو سكنت دارا خيرا من هذه لكانت أولى لك ، فأجابه رحمه الله بقوله :

قالوا ألا تستجيد بيتاً	تعجب من حسنه البيوت
فقلت ما ذاكم صواب	حقير كثير لمن يموت
لولا شتاء ولفح قبظ	وخوف لص وحفظ قوت
ونسوة يبتغيين كناً	بُنيت بُنيان عنكبوت

وأى معنى لحسن مَعْنَى ليس لسكَّانه ثُبُوت
 ما لوعظ القبر لوعَقَلنا موعظة للناطق الصموت
 يُومِي إلى مُمتطى الحنايا مالكَ عن مضجعي عَمِيت
 سِيت يوى وطول نوى وموف تَنسى كما نَسِيت
 وسُدَّتْ ياهادى قصوراً نَعِمْت فيهنَّ كيف شِيت
 معتنقاً للحسان فيها مُسْتَنَشِقاً مِسْكَها الفَتِيت
 تسحب ذيل الصُّبا وتلهو بأنسات يَقلُن هِيت
 فاذا كر سُهادى قبل التنادى واسهَد له قبل أن يفوت
 فعن قريب يكون ظعنَى سَخِطْتُ يا صاح أم رضِيت

حرف الياء : الملوك والأمراء

يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن

نصر الأنصارى الخزرجى

أمير المسلمين بالأندلس ، أبو الحجاج .

حاله وصفته

كان أبيض أزهر ، أيدياً ، براق الثنايا ، أنجل ، رجل الشعر أسوده ،
 كث اللحية ، تقع العين منه على بدر تمام ، يفضل الناس بحسن المرأى ،
 وجمال الهيئة ، كما يفضلهم مقاماً ورتبة ، عذب اللسان ، وافر العقل ،
 عظيم الهيئة ، إلى ثقوب الذهن ، وبُعد الغور ، والتفطن للمعارىض ،
 والتبريز في كثير من الصنائع العملية ، مائلاً إلى الهدنة ، مُزجياً للأهوار ،
 كلفاً بالمباني والأثواب ، جماعة للحلّي والذخيرة ، مستمبلاً لمعاصريه من
 الملوك . تولى الملك بعد أخيه بوادى السقايين من ظاهر الخضراء ، ضحوة
 يوم الأربعاء الثالث عشر من ذى الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية ،

وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما وثمانية أشهر، واستقل بالملك ، واضطلع بالأعباء ، وتملاً الهدنة ما شاء . وعظم مرانه لمباشرة الألقاب ، ومطالعة الرسم ، فجاء نسيج وحده ، ثم عانى شدايد العدو ، فكرم يوم [الوقية العظمى بظاهر] ^(١) طريف موقعه ، وحُمد بعد في منازل الطاغية عند الجثوم على الجزيرة صبره ، وأجاز البحر في شأنها ، فأفلت من مكيدة العدو التي تخطأها أجله ، وأوهن حبلها سعده . ولما نفذ فيها القدر ، وأشفت الأندلس ، سدّد الله أمور المسلمين بها على يده ، وراخى مُخنق الشدة بسعيه ، فعرفت الملوك رجاحته ، وأثنت على قصده ، إلى حين وفاته .

أمه : أم ولد تسمى بهارا ، طرّف في الخير والصون والرجاحة .

ولده : كان له ثلاثة من الولد ، كبيرهم محمد أمير المسلمين من بعده ، وتلوه أخوه إسماعيل المستقر في كنفه ، محجورا عليه التصرف إلى أعمال التدبير ، وثالثهم إسمه قيس ، شقيق إسماعيل .

وزراء دولته

تولّى وزارته لأول أمره ، كبير الأكره ونبيه الدهاقين ^(٢) ، من مُنتجعي المدّر بحضرته ، أبو إسحق بن عبد البر ، لمحيلة طمع نشأت لمقيمي الدولة فيما بيده ، سداً لحال بها على عوز طريقه إلى حضرته ، إلى ثالث شهر المحرم من العام . وأزف الخاصة والنبهاء ، رياسته ، فطلبوا من السلطان إعاضته ، فعدل عنه إلى خاصة دولتهم الحاجب أبي النعيم [رضوان] ^(٣) ، مظنة التسديد ، ومحطّ الإنفات ، فاتصل نظره مستبداً عليه ، في تنفيذ الأمور ، وتقديم الولاة والعمال ، وجواب المخاطبات ،

(١) وردت في الإسكوريال فقط (وقية طريف) . والزيادة من اللحة البدرية .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي اللحة البدرية (المشيخة) .

(٣) وضعنا اسم الحاجب زيادة في التعريف .

وتدبير الرعايا ، وقود الجيوش . ثم نكبه ، وأحاط به مكروها ، مجهول السبب ، ليلة الأحد الثاني والعشرين لرجب عام أربعين وسبعماية . وتولى الوزارة بعده ، ابن عمه أبيه القايد أبو الحسن علي بن مؤل ابن يحيى بن مؤل الأمي ، ابن عم وزير أخيه ، رجل جهورى حازم ، مؤتمر للغلظة على الشفقة ، ولم ينشب أن كف كفاً استبداده ، فانكدر نجم سعادتهم ، والتأثت حاله . ولزمته شكاية سدكت فاستنقذته . وأقام لرسم الوزارة كاتبه شيخنا نسيج وحده أبا الحسن بن الجياب إلى أخريات شوال عام تسعة وأربعين وسبعماية ، وهلك رحمه الله فأجرى لي الرسم ، وعصّب لي تلك المثابة ، مضاعف الجراية ، معززة بولاية القيادة

كتابه

تولى كتابته كاتب أخيه وأبيه ، شيخنا المذكور إلى حين وفاته . وقلدني كتابة سره مثناة بمزيد قربه ، مظفرة برسم وزارته .

قضاياه

تولى أحكام القضاء ، قاضى أخيه الصدر البقية ، شيخنا أبو عبد الله محمد بن محيي بن بكر إلى يوم الواقعة الكبرى بطريف ، وفقدني مصافقه ، وتحت لوائه . وتولى القضاء الفقيه المفتى البقية أبو عبد الله محمد بن عياش ، من أهل مالقه أياما ، ثم طلب الإعفاء . فأسعف عن أيام تقارب أسبوعا ، وولى مكانه الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن برطال من أهل مالقة . فسدد الخطة ، وأجرى الأحكام ، إلى الرابع من شهر ربيع الآخر عام ثلاثة وأربعين وسبعماية ، وقدم عوضا عنه ، الفقيه الشريف الصدر الفاضل أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السبتي المولد والمنشأ ، الطالع على أفق حضرته في أيام أخيه ، النازع إلى إبطالهم النصرية

معدودا في مفاخر ايامها ، مشارا إليه بالبنان عند اعتبار أعلامها : ثم عزله لغير جُرمة تذكر ، إلا مالا ينكر وقوعه ، مما تجره تبعات الأحكام . وولى الخطة شيخنا نسيج وحده الرحلة البقية أبا البركات بن الحاج ، شيخ الصُّقع ، وصدرُ الجَلَّة . واستمر قاضيا إلى....^(١) وأربعين وسبعماية . ثم أعاد إليها القاضي المفوض هونه ، الشريف الفاضل ، أبا القاسم ، إلى يوم وفاته .

رئيس الغزاة ويعسوب الجند الغربي

تولى ذلك [الأول]^(٢) الأمر الشيخ أبو ثابت عامر بن عثمان بن إدريس ابن عبد الحق ، قريع دهره في النكراء والدهاء ، المسلم له في الرتبة ، عتاقة ورأيا وثباتا ، إلى أن نكبه ، وقبض عليه وعلى إخوته ، يوم السبت التاسع والعشرين من ربيع الأول ، عام أحد وأربعين وسبعماية . وأقام شيخنا ورثيسا ، دايلهم وابن عمهم ، المتلقف لكرة عزهم . يحيى بن عمر بن رحو ، ولى ذلك بنفسه وندبه^(٣) ومبرز خصاله إلى تمام مدته .

من كان على عهده من الملوك

وأولا بفاس دار الملك بالمغرب ، السلطان المتناهي الجلالة ، أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . وجاز على عهده إلى الأندلس ، إثر صلاة يوم الجمعة تاسع عشر صفر ، من عام أحد وأربعين وسبعماية . بعد أن أوقع بأسطول الروم . المُستدعى من أقطارهم . وقبعة كبيرة شهيرة ، إستولى فيها من المتاع والسلاح والأجفان ، على ما قدم^(٤)

(١) بيان بالخطوط .

(٢) هذه الكلمة واردة في اللوحة . و - اقطنة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (وقدمه) . والتصويب من اللوحة البدرية .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي اللوحة (بعد) .

به العهد ، واستقر بالخضراء في جيوش وافرة ، وكان جوازه ، في مائة وأربعين
 جفنا غزويا . وبادر إلى لقائه ، واجتمع به في وجوه الأندلسيين وأعيان
 طبقاتهم بظاهر ، الجزيرة الخضراء ، في اليوم الموفى عشرين من الشهر
 المذكور . ونازل إثر انقضاء المولد النبوي ، مدينة طريف ، ونصب عليها
 المجانيق ، وأخذ بمخنقتها ، واستحث من بها من المحصورين ، طاغية الروم ،
 فبادر يقاتد^(١) جيشا ، يجر^(٢) الشجر والمدر . وكانت المناجزة ؛ يوم
 الإثنين السابع لجمادى الأولى من العام . ومُحص المسلمون بوقية هائلة ،
 أنت على النفوس والأموال والكراع ، وهلك فيها بمضرب الملك جملة
 من العقابيل الكرام ، فعظمت الأحدثة ، وجلت المصيبة ، وأسرع اللحاق
 بالمغرب مفلولا في سبيل الله ، مُحْتَسِباً يروم^(٣) الكرة : وكان ما هو
 معلوم ، من إمعانه في حدود الشرق ، عند إحكام المهادنة بالأندلس ،
 وتوغله في بلاد إفريقية ، وجريان حكم الله عليه بالهزيمة ، [ظاهر القيروان]^(٤)
 التي لم ينتشله الدهر بعدها ، وعَلِقَتْ آمال الخلق بولده ، مستحق الملك ،
 من بين ساير إخوته^(٥) ، وهلك على تَفِيَةِ ، لحاقه بأحواز مراکش ،
 ليلة الأربعاء السادس والعشرين لربيع الأول عام اثنين وخمسين وسبعماية ،
 فاختار الله له ما عنده ، بعد أن بلغ من بُعْد الصيت ، وتعظيم الملوك له ،
 وشهرة الذكر ، ما لم يبلغه سواه .

ونحن نجلب دليلا على فضله ، والإشادة بفخره ، نسخة العقد الذي

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي اللحة (يقود) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي اللحة (يسوق) .

(٣) وردت في الإسكوريال (يوم) . والتصويب من اللحة .

(٤) هذه الزيادة من اللحة .

(٥) وردت في الإسكوريال (ولده) . والتصويب من اللحة .

تضمن هديته إلى صاحب الديار المصرية ، صحبة الرُّبعة الكريمة بخطه ،
وذلك قبة من مائة بنيقة ، وفيها أربعة أبواب؛ وقبة أخرى من ستة
وثلاثين بنيقة؛ داخلها حلة مخلوقة ووجهها حرير أبيض ، وركبها أبنوس
وعاج مرصع ، والاهار فضة مذهبة ، والشرايط حرير . وضربت القبَّتان
بالصفصيف ، وحل فيها جميع الهدية . وصُفِّت جميع الدواب بجهازاتها
أمام القبة . من الخيل ثلاثمائة ، وخمسة وثلاثون من البغل بين ذكور
وأناث ، ومن الجمال سبع مائة ، إلا إنها لم تصفف ، بل أعدت لحمل
الهدية ، ومن البُرَّاة الأحرار أربعة وثلاثون ، ومن أحجار الياقوت مائتان
 وخمسة وعشرون ، ومن قطب الزمرد مائة وثمانية وعشرون ، ومن حبوب
الجوهر الفاخر أكثره ، ثلاثة آلاف وأربعة وستون . ومن أحجار الزبرجد
ثمانية وعشرون ، ومن المهنَّدات بحلية الذهب عشرة ، ومن أزواج مهامير
الذهب عشرة ، ومن أزواج الأركب عشرة ؛ واحد كله ذهب ، وثلاثة
كلها فضة ، وستة من حبيبة مذهبة على الحديد . واثنتان من اللضمان من
ذهب . وشاشية مذهبة . وحلل ثلاث عشرة . وعشر كلل ومخاد حلة .
وتوق ذهب مائتان ، واشتراق ذهب عشرون . وقدود ستة وأربعون . وفرشة
جلَّة . وعشر علامات مُعَشَّشة . وعشر وقايات مذهَّبة . وثلاثون من وجوه
اللَّحف حرير وذهب . ومائتان من المحررات الملونة الرفيعة المختمة .
وحيظيان أحدهما حلة والآخر طرق . وثلاثة وعشرون شقة من الرهاز .
واثنان من هنابل الحلة . وعشرة براقع للخيل منها ثمانية من الحلة . ومن
أسلة الخيل ثلاثون ، وثلاثة طنابس من الحرير . وهنابل حرير اثنان .
وعشرة هنابل من الحرير والصوف . وهنابل واشريشية وزمورية مائة
وسبعة . وأربعة آلاف من الجلد التركي والأغماتي . ومن دَرَبَق اللَّمَط المثلثة

مائتان . ومن الأكسية المحررة أربعة وعشرون . ومن البرانس المحررة ثمانية . ومن الأحارم ما بين محررة وصوف عشرون . ومن أزواج المحفف خمسون . وعشر لزمات من الفضة . وستة عشر شقة من الملف . وأما أزودة الحجاج فأعطى للحرمة المكرمة أخته ، أعزها الله ، ثلاثة آلاف دينار من الذهب ، ومائتي كسوة برسم العرب . ولمن سافر معها ستماية وسبعين . ولأبي إسحق بن أبي يحيى ثلاثمائة من الذهب وكسوة رقيقة . ولعريفه يحيى السويدي ألف دينار من الذهب . إلى العدد الكثير من الذهب العين برسم الوصفان والخدام ، ولرسوم التحبيس على قراء الرابعة الكريمة ، ستة عشر ألفا وخمسمائة دينار . انتهى .

وكان هذا السلطان رحمه الله ، معن دؤخ الأقطار ، وجاهد الكفار ، ووطىء بالأساطيل خدود البحار ، والتمس ما عند الله من الثواب ، وأعلق يده من نسخ كتابه بأوثق الأسباب . إلى أن استوفى الأمر لولده ، أمير المؤمنين بالمغرب وما إليه ، فارس المكنى بأبي عنان ، الملقب بالمتوكل على الله . فقام بالأمر أحمد قيام . وجرت بين هذا السلطان وبينه المخاطبات والمراسلات ، وسفرني إليه لأول الأمر ، معزياً بأبيه ، ومهنياً بما صار إليه من ملكه ، واستصحبت إليه كتاباً من إنشائي . نجليه بحول الله ، تجسماً لمن يقف على هذه الأخبار ، وإن اقتحمتها ثبج الإكثار وهو :

المقام الذي رسخت منه في مقامى الضر والشكر قدم ، فلا يغيره وجود ولا يروعه عدم ، وصدفت منه في كتاب المجد عزمة لم يخلجها وهن ولا ندم ، حتى تصرفت بحكم معاليه أيام دهره رلياليه ، هو ولدان وهذه

مخدم . مقام محل أنحينا . الذى إن جاشت النوايب وسعها صدره . أو عظمت المواهب ، ترفع عنها قدره ، أو أظلمت الكروب جلاها بذره . أو تألبت الخطوب ، هزمها صبره . أو أظلمت سحايب النعم ، أسدرها حمد الله وشكره ، أو عرضت عقود الحمد فى أسواق المجد أغلاها فجره . أو راقى حلل الصنایع طرزها ذكره . أو طبقت سيوف الناس أغمدها صفحه ، وسلها قهره . السلطان الكذا أبقاه الله ضاحك السعد ، كلما بكت عين ، مجموع الشمل كلما أرف بين . وارى الزند إذا اقتضى دين ، محمى الذمار بانفساح الأعمار ، كلما أغار على الأحياء حين . ولا زال يقيد منه شكر الله نعم ما فى وعدنا لى ، ولا فى قولها مين . ويلبس منها حللا تقواه فى عواتقها زين . مساهمة فى كل خطب عم ، أو فضل من الله عم . ومقاسمة فى كل ما ألم . وتهنئة بالملك الذى خلص وتم ، فلان .

أما بعد حمد الله الذى جعل الصبر فى الحوادث حصنا منيعا ، والشكر يستدعى المزيد من النعم سريعا ، فمتى أعملت للصبر دعوة ، كان بها الأجر سميعا . ومتى رفعت من الشكر رقة ، كان المزيد عليها توقيعا . والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، الذى بوأنا من السعادة جنابا مريعا . وبين له حدود أواره ونواهيه فطوبى لمن كان مطيعا . وكان لنا فى الدنيا هاديا ، ونجده فى الآخرة شفيعا . والرضا عن آله وصحبه ، الذين كانوا على العداة قيظا ، وللعفاة ربيعا . فحلوا من الاقتداء به فيما ساء وسر ، وأحلى وأمر مقام ربيعا . وخفض عليهم مضاضة فقدته ، مثابرتهم على ضم شمل المسلمين من بعده . اقتداء بقوله سبحانه : واعتصموا بحبل الله جميعا . والدعاء لمقامكم الأسمى بالنصر ، الذى يشكر منه الجياد والبيض الحداة صنيعا . وتشرح منه ألسن الأقلام تهديبا وتقريرا . والصبر الذى زرافات

الأجر قطعاً . فقطعاً . فلإنا كتبنا إلیکم ، كتب الله لکم من حظوظ الخیر او فرها
 عددا . وأقطعکم من خُطَط السعد أبعدها مداً . وأتبعکم من کتاب العز
 أطولها يداً ، وحوّلکم من بسطة الملك ما لا یبید أبداً ؛ وألهمکم من الصبر
 لما تقدّمونه فتجدونه غداً . من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وعندنا من
 من الاعتداد فی الله أسبابٌ وثيقة ، وأنسابٌ صدق فی بحبوحة الخلوص
 عریقة . ومن التناء علیکم حدائق روض لا تحاکیها حدیقة . ومن المساهمة
 لکم فی شتی الأحوال ، مقاصد لا تلتبس منها طريقة . ومن السرور بما سناه
 الله لکم ، نعمٌ بِشکر الله عزّ وجلّ خلیقة .

ولإی هذا ، أیدکم الله بنصره ، وحکم لمقامکم بشدّ أزره ، وإعلاء أمره ،
 فلإنا وَرَدَ علینا الخیر الذی قبض وبسط ، وجار وأقسط ، وبخس ووفی
 وأمراض وشقی ، وأضحی وظلل ، وتجهّم وتهلّل ، وأمرٌ وأخلى ،
 وأساء ثم أحس ، وبشر بعد ما أعجزن ، خبرٌ وفاة والدکم ،
 محلٌّ أبینا ، السلطان العظیم القدر ، الکبیر الخَطَر . قدس الله طاهر تربته ،
 وكرم لخدمته ، كما أحیا بکم معالم مجده . فیاله من سهم رمی أغراض
 القلوب فأنبتتها . وطرق مجتمعات الآمال فشتتها . ونعی إلى المجد إنسان
 عینه وعین إنسانه . وإلی الملك هیولی أركانہ . وإلی الدین ترجمه
 دیوانه . وإلی الفضل عمید ایوانه . حادثٌ نبه العیون من سینه غرورها .
 وذكر النفوس بهم أمورها . وأشرق المحاجر بماء دموعها ، وأضرم الجوانح
 بنار ولوعها . وبین أن سراب الامال سراب ، وأنّ الذی فوق التراب
 تراب . فمن تأمل الدنيا وطباعها ، والأیام وإسراعها ، والحوادث
 وقیراعها ، بدا له الحق من المین . واستغنی عن الأثر بالین . فشأنها أن
 لا تفتن عن سهم نسدده إلى غرض . وصحة تعقبها بمرض ، وجوهر ترمیه

بِعَرَضٍ . وِدَاءٍ لِلْمَوْتِ قَدِيمٍ ، وَقُرْبِهِ لَا يُبْقَى عَلَيْهِ أَدِيمٌ . وَكَأْسُهُ يَشْرِبُهَا
مُوسِرٌ وَعَدِيمٌ . دَبَّتْ إِلَى كَسْرَى الْفُرْشِ عَقَارِيهِ ، فَلَمْ تَمْنَعْهُ أَسَاوِرَتُهُ
وَلَا مِرَازِبُهُ . وَقَصْرَ قَيْصَرَ عَلَى حِكْمِهِ فَكَلَّدَتْ مَشَارِيهِ . وَأَتْبَرَ سَيْفَ بَنِي ذِي يَزْنَ
عَمَلَانَهُ ، فَلَمْ تَرَعَهُ مِضَارِبَهُ . وَأَرْدَى تَبْعًا ، فَلَمْ يَكُنْ فِي أَتْبَاعِهِ مِنْ يَحَارِبِهِ .
لَمْ تَدَافِعْ عَنْهُمْ الْجُنُودَ الْمَجْنُودَةَ . وَلَا الصُّفَاحَ الْمَهْنُودَةَ . وَلَا الدُّرُوعَ الْمَحْكَمَةَ ،
وَلَا النِّيَابَ الْمَعْلَمَةَ . وَلَا الْجِيَادَ الْجُرْدَ الْمَسُومَةَ . وَلَا الرِّمَاحَ الْمَثَقَّفَةَ الْمُقَوِّمَةَ .
كُلُّ قَدَمٍ عَلَى مَا قَدَّمَ . وَجُدَّ إِلَى مَا أَعَدَّ . جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ يَسْرِ لِسْفَرِهِ زَادًا . وَقَدَّمَ
بَيْنَ يَدَيْهِ رِبَاطًا شَافِعًا لَدَيْهِ وَجِهَادًا . وَوَثَّرَ لِنَفْسِهِ بِمَنَاصِحَةِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي
أَعْلَى عَلِيَيْنَ ، مَهَادًا . وَطَوَّقَ الْمُسْلِمِينَ عَدْلًا وَفَضْلًا وَإِمْدَادًا . غَيْرَ أَنَّ هَذَا
الْفَاجِئُ الَّذِي فَجِعَ ، وَمَنَعَ الْقُلُوبَ أَنْ تَقْرَأَ وَالْعَيْنَ أَنْ تَهْجَعَ . غَمْرَتُهُ
الْبُشْرَى ، وَغَلَبَتَهُ الْمَسْرَةُ الْكَبِيرَى ، وَعَارَضَتْهُ مِنْ بَقَايِكُمْ الْآيَةُ الْمَحْكَمَةُ
الْأُخْرَى . فَاضْمَحَلَّ مِنْ بَعْدِ الرُّسُوحِ . وَصَارَ لَيْلَهُ فِي حُكْمِ الْمَنْسُوحِ . مَا
كَانَ مِنْ اسْتِخْلَاصِكُمْ الْمَلِكَ الَّذِي أَنْتُمْ أَهْلُهُ ، وَاسْتِحْيَازِكُمْ الْمَجْدَ الَّذِي
أَشْرَقَ بِكُمْ مَحَلَّهُ . وَكَيْفَ بِسَهْمِهِمْ أَخْطَأَ ذَاتَكُمْ الشَّرِيفَةَ ، أَنْ يُقَالَ فِيهِ
أَضْمَى وَأَجْهَزَ . وَالْأَمَلُ بَعْدَ بَقَايِكُمْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ تَعَدَّرَ أَوْ أَعْوَزَ . إِنَّمَا
الْأَمَالُ بِبَقَايِكُمْ لِلْمَلَأِ مَنُوطَةٌ . وَسَعَادَةُ الْإِسْلَامِ بِحَيَاتِكُمْ الْمَتَّصِلَةُ مَشْرُوطَةٌ .
وَمِنْهَا : فَأَيُّ تَرَحٍّ يَبْقَى بَعْدَ هَذَا الْفَرَحِ ، وَأَيُّ كَسَلٍ يَنْشَأُ بَعْدَ هَذَا
الْمَرَحِ . إِنَّ أَفْلَ الْبَدْرِ ، فَقَدْ تَبَلَّجَ الْفَجْرُ ، أَوْ غَاضَ النَّيْلُ فَقَدْ فَاضَ
الْبَحْرُ . وَإِنْ مَالَ فَلَكَ الْمَلِكُ ، فَقَدْ عَادَ إِلَى مَدَارِهِ . وَإِنْ أَذْنَبَ الدَّهْرُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ
مَآشَاءَ فِي اعْتِدَارِهِ . إِنَّمَا هَذَا الْخَطْبُ وَعَمَّنْ أَعْقَبَهُ نَسْوَةُ النَّهَارِ ، وَسَطَعَتْ
بِغْدِهِ أَشْعَةُ الْأَنْوَارِ . وَصِدْمَ صَامَةً أَغْمَدَتْ ، وَسَلٌُّ مِنْ بَعْدِهَا ذُو الْفَقَارِ .

ومنها : وإتينا لما (١) عن حقه ورصدنا ظالعه في أفقه . قابلنا
الواقع بالتسليم ، والمنحة الرأفة بالشكر العظيم . وأنسنا في غمام الهدنة
رباً هذا الإقليم . وقلنا استقر الحق ووضحت الطرق ، وهوى الرايد
وصدق البرق ، وتقررت القاعدة وارتفع الفرق ، واستبشر بإبلال المغرب
أخوه الشرق . وثابت آمال أولى الجهاد إلى اقحام فُرصة المجاز ، وأولى
الحج إلى مرافقه ركب الحجاز ، وآن للدنيا أن تلبس الحلّى العجيبة
بعد الابتزاز . والحمد لله الذى زين بكم أفق الملك ، وكيف بسعدكم
نظم ذلك السلك . وهنأ الله إياتكم ، العباد والبلاد ، والحج والجهاد .
وصدق الظنون الذى فى مقامكم ، الذى جاز فى المكارم الآماد . بادرنا
أيديكم الله من برّكم إلى غرضين . وقمنا من حق عزايكم وهنايكم بواجبين
مفترضين . وشرعنا ومن لدينا ، أن نباشر بالنفوس ، هذين القصدين .
إلا أننا عاقنا عن ذلك ، ما اتصل ببناء ، من العدو الذى بلينا بجواره ،
ورمينا بمصابرة تياره . وإلا فهذا الغرض قد كنا لا نرى فيه بإجراء
الاستنابة ، ولا نُحظى غيرنا بزيارة تلك المثابة . فليصل الفضل جلالكم .
ويقبل العذر كما لكم . وإذا كان الاستخلاف مما تحتمله العبادة ، ولا ينكره
عند الضرورة العرف والعادة ، فأخرى الأخوة والودادة ، والفضل والمجادة .
فتخيرنا جهدنا ، واصطفينا لباب اللباب فيمن عندنا . فعينا فلانا .
واتصلت أيامه إلى آخر مدته .

ومدينة تلمسان : عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمرايين بن
زيان ، يكنى أبا تاشفين . وقد تقدم ذكره ، وهو الذى انقضى ملك بنى
زيان على يده . تولى الملك عام ثمانية عشر كما تقدم ، وهنأه إلى أن تأكدت

الوُحْشَة بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ . فَتَحَرَّكَ لِمَنَازِلَتِهِ ، وَأَخَذَ بِكَبْظِهِ ،^(١)
 وَحَصَرَهُ مِئِينَ ثَلَاثًا ، وَاقْتَحَمَ عَلَيْهِ مَلْعَبُ الْبِلَادَةِ ، لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ
 رَمَضَانَ عَامِ سَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَفِي غَرَّةِ شَوَالٍ مِنْهَا ، دَخَلَ الْبَلَدَ
 مِنْ أَقْطَارِهِ عَنُودًا ، وَوَقَفَ هُوَ وَكَبِيرُ وَلَدِهِ^(٢) بِرَحْبَةِ قَصْرِهِ ، قَدْ نَزَعَا
 لَامَ الْحَرْبِ الْمَانِعَةَ مِنْ عَمَلِ السَّلَاحِ ، اسْتَعْجَالًا لِلْمِئِيَّةِ وَرَغْبَةً فِي الْإِجْهَازِ
 وَقَامَا مَقَامَ الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ وَالِاسْتِجْمَاعِ ، إِلَى أَنْ كُوْثِرَا وَأُثْخِنَا ، وَعَاجَلْتَهُمَا
 مِئِيَّةُ الْعَزِّ قَبْلَ شِدِّ الْوِثَاقِ ، وَإِمْكَانِ الثَّمَاتِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَلِكِ مَلِكُ الْمَغْرِبِ .
 وَفِي ذَلِكَ قَلَّتْ مِنَ الرَّجْزِ الْمَسْمُوعِ بِقَطْعِ السُّلُوكِ فِي الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ^(٣) ،
 مِمَّا يَخْصُ مَلُوكَ تَلْمَسَانَ ، ثُمَّ أَمِيرَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا :

وَحَلَّ فِيهَا عَابِدُ الرَّحْمَنِ	فَاغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَبِالزَّمَانِ
وَسَارَ فِيهَا مَطْلَقَ الْعِيسَانِ	مِنْ مَظْهَرِ سَامٍ إِلَى جِنَانِ
كَمْ زَخْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ بُنْيَانِ	آثَارِهِ تُنْبِي عَنْ الْعِيَانِ
وَصَرَفَ الْعِزْمَ إِلَى بَجَايَةِ	فَعَظَمَتْ فِي قَوْمِهَا النُّكَايَةِ
حَتَّى مَا إِذَا مَدَّةُ الْمَلِكِ انْقَضَتْ	وَأَوَّجُهُ الْأَيَّامُ عَنْهُمْ أَعْرَضَتْ
وَحَقُّ حَقِّ الدَّهْرِ فِيهَا وَوَجِبَ	وَكَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا مَا كَتَبَ
حَتَّى إِلَيْهَا السَّيْرُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ	يَا لَكَ مِنْ مِمَارَسٍ مَجْرَبٍ
فَغَلَبَ الْقَوْمَ بِغَيْرِ عَهْدِ	بَعْدَ حِصَارٍ دَائِمٍ وَجَهْدِ
زَانِقُفَرْتِ مِنْ مَلِكِهِمْ أَوْطَانَهُ	سَبِيحَانَ مِنْ لَا يَنْقُضِي سُلْطَانَهُ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي اللَّحْمَةِ (بِمُخْتَلَفٍ) .

(٢) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكُورِيَالِ (بِلَدِهِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ اللَّحْمَةِ .

(٣) يَقْصِدُ ابْنَ الْخَطِيبِ هُنَا كِتَابَهُ الْمَسْمُوعِ (رَقْمُ الْحُلَلِ فِي نِظْمِ الدُّوَلِ) . وَهُوَ الَّذِي سَبَقَ

أَنْ رُصِّنَا فِي مَقْدِمَةِ الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ .

ثم نشأت لهم بارقة ، لم تكد تقيد حتى خبت ، عندما جرت على السلطان
 أبي الحسن الخزيمة بالقيروان ؛ وانبت عن أرضه ، وصرفت البيعة في
 الأقطار إلى ولده ، وارتحل إلى طلب منصور ابن أخيه ، المنتزى^(١) بملهنة
 فاس . فدخلوا تلمسان ، وقبضوا على القايم بأمرها ، وقدموا على أنفسهم
 عثمان بن يحيى بن عبدالرحمن بن يغمرايين المتقدم الذكر في رسم عثمان
 وذلك في الثامن والعشرين لجمادى الآخرة من عام تسعة وأربعين وسبعماية ؛
 واستمرت أيامه أثناء الفتنة وارتاش ، وأقام رسم الإمرة ، وجدد ملك
 قومه . واستمرت حاله إلى أن أوقع بهم ملك المغرب ، أمير المسلمين
 أبو عنان الوقية المصطلمة^(٢) التي خضدت^(٣) الشوكة ، واستأصلت الشافة .
 وتحصل عثمان في قبضته . ثم ألحقت النكبة به أخاه ، فكانت سبيلهما في
 القتل صبرا عبرة ، وذلك في وسط ربيع الأول من عام التاريخ .

ويتونس : الأمير أبو يحيى أبو بكر بن الأمير أبي زكريا ابن الأمير
 أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا إلى أن هلك . وولى الأمر ولده عمر إثم
 ولده أحمد^(٤) ثم عاد [الأمر] إلى عمر . ثم استولى ملك المغرب السلطان
 أبو الحسن على ملكهم . ثم ضم^(٥) نشرهم بعد نكبته وخروجه عن وطنهم
 على أبي إسحق بن أبي بكر .

ومن ملوك النصارى بقشتالة : ألفنش بن هرندة بن دون جانجه بن
 ألفنش المستولى على قرطبة^(٥) ابن هرندة المستولى على إشبيلية . إلى

(١) هكذا في الإسكوريال وفي اللحة (الداعي لنفسه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي اللحة (المستأصلة) .

(٣) وردت في الإسكوريال (حصدت) . والتصويب من اللحة .

(٤) هذه الزيادة واردة في اللحة وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هذا خطأ تاريخي من ابن الخطيب ، فإن الذي استولى على قرطبة هو فرناندو الثالث ملك

قشتالة (هرانده) . وقد استولى عليها في شوال سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) . وهو الذي استولى
 كذلك على إشبيلية في رمضان سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٨ م) . وينعت في التواريخ النصرانية بسان فرناندو
 (أي القديس) .

عدد جم . وكان طاغية مرهوبا ، وملكاً مجدودا . هبَّت له الريح ، وعظمت
 به إلى المسلمين النكاية . وتلك الخضراء بعد أن أوقع بالمسلمين الوقية
 الكبرى العظمى بطريف . ثم نازل جبل الفتح ، وكاد يستولى على هذه
 الجزيرة ، لولا أن الله تداركها بجميل صنعه وخفى لطفه ، لا إله إلا هو .
 فهلك بظاهره في محلته حتف أنفه ليلة عاشوراء من عام أحد وخمسين
 وسبعماية . فتنفس المُخنَّق ، وانجلت الغُمة ، وانسدل السُّتر . كنت
 منفردا بالسلطان رحمه الله ، وقد غلب اليأس ، وتوقعت الفضيحة ،
 أونسه بعجائب الفرج بعد الشدة ، وأقوى بصيرته في التماس لطف الله ،
 وهو يرى الفرج بعيدا ، ويتوقع من الأمر عظيما . وورد الخير بمهلكه ،
 فاستحالت الحال إلى ضدها ، من السرور والاستبشار . والحمد لله على نعمه .
 وفي ذلك قلت :

وما حاضرٌ في وصفها مثل غايب	الا حدثاني ^(١) فهي أم الغرايب
سروج المذاكي أو ظهور النجايب	ولا تُخليا منها على قطر السرى
على بابك المأول . ووقف تايب	أيوسف إن الدهر أصبح واقفا
وسعدك أقضى من سُعود الكواكب	دعاؤك أمضى من مُهندة الظبا
ولكن سيف الله داي ^(٢) المضارب	سيوفك في أغمادها مطمئنة
وسلُّ فضله فالله أكرم واهب	فثق بالذي أوعاك أمر عاده
تجدُّ على مرَّ الصور الذواهب	لقد طرَّق الأذفدش سعدك خزية
وصدق أطماع الظنون الكواذب	وفيت وخان العهد في غير طابيل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي اللعة (حدثاها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي اللعة (ماضي) .

هوى في مجال العجب غير مُقَصَّر
وغالب أمر الله جلُّ جلاله
ولله في طيُّ الوجود كتابٌ
تغير على الأنفاس في كل ساعة
فمن قارع في قومه سنُّ نادم
مصائب أشجى وقعها مُهَج العدا
شواظٌ أراد الله إطفاء ناره
وإن لم يصب منه السلاح فإنما
ولله من الطافه في عباده
فمهما غرست الصبر في تربة الرضا
ولا تعدُّ الأمر البعيد وقوعه

وهل نهض العُجب المخل براكب
ولم يَدْرِ أَنَّ الله أَغْلَبُ غالب
تدقُّ وتَخْنِي عن عيون الكتاب
وتكمن حتى في مياه المِشارب
ومن لاظم في رَبْعِه خدُّ نادب
وكم نِعْمَ في طيِّ تلك المصائب
وقد نَفَج الإسلام من كل جانب
أصيب بسهم من دُعائك صائب
خزائنُ ما ضاقت لمطلب طالب
بأحكامه فلتَجُن حسن العواقب
فإن الليالي أمَّهات العجائب

وهي طويلة سهلة ، على ضعف كان ارتكابه مقصودا في أمداحه .

وببرجلونة ^(١) : السلطان بِطْرُه المتقدم ذكره في اسم أخيه

ومن الأحداث في أيامه الواقعة الكبرى بظاهر طريف ، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى ، من عام أحد وأربعين وسبعماية ، وما اتصل بذلك من منازلة الطاغية ألْهَنْشُه ، قلعة يحصب ^(٢) الماسة الجوار من حضرته ، واستيلائه عليها ، وعلى باغة . ثم منازلة الجزيرة الخضراء عشرين شهرا ، أوجف خلالها بجيوش المسلمين من أهل العدوتين إلى أرضه . ثم استقر منازل إياها إلى أن فاز بها قداحه ، والأمر لله العلي الكبير ،

(١) أي برشلونة .

(٢) قلعة يحصب أو قلعة بني سعيد ، محلة حصينة تقع شمالى غرناطة وجنوبى جيان . وقد سبق

التعريف بها (راجع المجلد الأول من الإحاطة صفحة ١١١ حاشية) . وبأغة وبالإسبانية « Priego »
أهنا سبق التعريف بها (راجع المجلد الثالث صفحة ٥٢٧ حاشية) .

فی قصص يطول ذكره ، تضمن ذلك « طرفة العصر » من تأليفنا .
ثم تهناً السلم والتحف جناح العافية والإمينة برهة . رحمه الله .

وفاته

وما استكمل أيام حياته ، وبلغ مداه ، أتم ما كان شاباً واعتدالا
وحسناً ، وفخامة وعزاً [حتى]^(۱) أتاه أمر الله من حيث لا يحتسب ،
وهجم عليه يوم عيد الفطر ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية ، في الركعة
الأخيرة ، رجل من عداد المرورين ، رمى بنفسه عليه ، وطعنه بخنجر
كان قد أعدّه ، وأغرى بعلاجه ، وصاح ، وقطعت الصلاة ، وقُبض عليه ،
واستفهم ، فتكلم بكلام مُخلط ، واحتُمِلُ إلى منزله ، على قوت لم يستقر
به ، إلا وقد قضى رحمه الله ورضى عنه ، وأُخْرِجَ ذلك الخبيث للناس ،
وقتل وأُحرق بالنار ، مبالغة في التشفي . ودفن السلطان عشية اليوم في
مقبرة قصره لصق^(۲) والده ، وولى أمره ابنه أبو عبد الله محمد ، وبولغ في
احتفال قبره ، بما أشف على من تقدمه ، وكتب عليه ما نصه :

« هذا قبر السلطان الشهيد ، الذي كَرُمَتِ أَحسابُهُ وأَعراقُهُ ، وحاز
الكمال خَلْقَهُ وَأَخلاقَهُ ، وتحدّث بفضله [وحلمه]^(۳) شام المعمور
وعراقه ، صاحب الآثار السنية ، والأيام الهنيئة ، والأخلاق الرضية ،
والسير المرضية . الإمام الأعلى ، والشهاب الأجل ، حُسام الملة ، علم الملوك
الجلّة ، الذي ظهرت عليه عناية ربّه ، وصنع الله له في سلّمه وحربته .
قطب الرجاحة والوقار ، وسلالة سيد الأنصار ، حامى حمى الإسلام برأيه
ورايته ، المستولى في ميدان الفخر على غايته ، الذي صحبته اعناية الله^(۴)
في بداية أمره وغايته ، أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن السلطان الكبير ،

(۱) أضيفت ليستقيم السياق .

(۲) هكذا وردت في اللحة . ووردت مكانها في الإسكوريال (صحيح) .

(۳) هذه الكلمة واردة في اللحة وساقطة في الإسكوريال .

(۴) هكذا وردت في اللحة . وفي الإسكوريال (العناية) .

الإمام الشهير ، أسدِ دين الله ، الذي أذعنت الأعداء لقهره ، ، ووقفت
 الليالي والأيام عند نبيه وأمره . رافع ظلال العدل في الآفاق [حامى جنى
 السنة بالسمر الطوال والبيض الرقاق]^(١) ، مخلد صحف الذكر الخالد
 والعزُّ الباق ، الشهيد السعيد المقدس أبي الوليد ، ابن الهمام الأعلى الطاهر
 النسب والذات ، ذى العز البعيد الغايات ، والفخر الواضح الآيات ،
 كبير الخلافة النصرية ، وعماد الدولة الغالبية ، المقدس المرحوم أبي سعيد
 فرج بن اسماعيل بن نصر ، تغمده الله برحمة من عنده ، وجعله في الجنة
 جاراً لسعد بن عبادة جدّه ، وجازى عن الإسلام والمسلمين ، حميد سعيه ،
 وكريم قصده . قام بأمر المسلمين أحمَدَ القيام ، ومهد لهم الأمن من ظهور
 الأيام ، وجلّى لهم وجه العناية مشرق القسام ، وبذل فيهم من تواضعه
 وفضله ، كل واضح الأحكام . إلى أن قضى الله بحضور أجله ، على خير
 عمله ، وختم له بالسعادة ، وساق إليه على حين إكمال شهر الصوم هدية
 الشهادة . وقبضه ساجدا خاشعا ، مُنيباً إلى الله ضارعا ، مستغفراً لذنبه ،
 مطمئنا في الحالة ، التى أقرب ما يكون العبد فيها من ربه . على يد شقّ
 قبضه الله لسعادته ، وجعله سببا لنفوذ سابق مشيئته وإرادته ، خفى مكانه
 لخمول قدره . وتمّ بسببه أمر الله لحقارة أمره . وتمكن له عند الاشتغال
 بعبادة الله ، ما أضمره من غدره ، وذلك في السجدة الأخيرة من صلاة العيد .
 غرة شوال ، من عام خمسة وخمسين وسبعماية . نفعه الله بالشهادة التى
 كرم منها الزمان والمكان ، ووضع منها على قبول رضوان الله البيان .
 وحشّره مع سلفه الأنصار ، الذين عزّ بهم الإيمان ، وحصل لهم من النار
 الأمان . وكانت ولايته الملك فى غرة اليوم الرابع عشر لذى الحجة من

(١) هذه الزيادة من الملحّة .

عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية . ومولده^(١) في الثامن والعشرين لربيع الآخر
عام ثمانية عشر وسبعماية . فسبحان من انفرد بالبقاء المحض ، وحثم
الفناء على أهل^(٢) الأرض ثم يجمعهم إلى يوم الجزاء والعرض ، لا إله إلا هو .
وفي الجهة الأخرى من النظم ، وكلاهما من إملأني ، ما نصه :

يحييك بالريحان والروح من قبر
إلى أن يقوم الناس تغنوا وجوههم
ولست بقبرٍ إنما أنت روضة
ولو أنني أنصفتك الحق لم أقل
وياملحّد التقوى ويامدّفن الهدى
لقد حطّ فيك الرحل أي خليفة
لقد حلّ فيك العزّ والمجد والعلی
ومن كآبي الحجاج حامى حمى الهدى
إمام الهدى غيث الندى دافع العدا
سلالة سعد الخـزرج بن عبادة
إذا ذكر الإغضاء والحلم والتقى
تخونه طرف الزمان وهل ترى
هو الدهر ذو وجهين يوم وليلة
تولى شهيداً ساجداً فى صلاته
وقد عرف الشهر المبارك حق ما

رضى الله عنّ حلّ فيك مدى الدهر
إلى باعث الأموات فى موقف الحشر
منعمة الريحان عـاطرة النّشر
سوى يا كيمام الزهر أو صدف الدر
ويا مسقط العليا ويا مغرب البدر
أصل المعالى غرة فى بنى نصر
وبدر الدجا والمستجار لى^(٣) الدهر
ومن كآبي الحجاج ما حى ذجا الكفر
بعيد المدى فى حومة المجد والفخر
وحسبك من بيت رفيع ومن قدر
وحدثت عن علياه حدث عن البحر
بقاءً لحيّ أو دواماً على أمر
ومن كان ذا وجهين يُعتب فى غدر
أصيل التقي رطب اللسان من الذكر
أفاض من النعمى ووفى من البر

(١) هكذا وردت فى اللحة . وفى الإسكوريال (ولادته) .

(٢) هكذا وردت فى اللحة . وفى الإسكوريال (الأهل) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى اللحة (من) .

وبأكرَّ عيد الفطر والحكم بمرم
أُتبع له وهو العظيم مهابة
شفى أنت^(٢) من لئدنه سعادة
وكم من عظيم قد أُصيب بخامل
فهذا على قد قضى بابن ملجم
نعدُّ الرِّمَّاح المشرفية والقننا
ومن كان بالدنيا الدُّنية واثقا
فيمالك الملك الذي ليس ينقضى
تغمَّد بستر العفو منك ذنوبنا
فما عندك اللهم خير ثوابه

ومما رثى به قولي في غرض ناءٍ عن الجزالة ، متحرِّياً اختيار ولده :

العُمر يوم والمُنَى أحلام
وإذا تحققتنا الشياء بـذاة
والنفس تجمع في مبدى آمالها
من لم يُصَبُّ في نفسه فمصابه
بعد الشبيبة كَبْرَةٌ ووراءها
ولحكمة ما أشرقت شهب الدُّجا
دنياك يا هذا محلة نُقلة
هذا أمير المسلمين ومن به
سر الإمامة والخلافة يوسف

وليس [سوى]^(١) كأس الشهادة من فطر
وقدرا حقير الذات والخلق والقدر
ومُنكر قوم جاء بالحادث النُّكر
وأَسباب حكم الله جَلَّت عن الحصر
وأوقع وخشى بحمزة ذى الفخر
ويطرق أمر الله من حيث لا تدرى
على حالة يوما فقد باء بالخسر
ويا من إليه [الحكم]^(٣) في النهى والأمر
فلسنا نُرَجِّي غير سترك من ستر
وأبقى ودنيا المرء خدعة مفتر

ماذا عسى أن يستمر منام
فله بما تقضى العقول تمام
ركضاً وتأبى ذلك الأيام
بحببيه نَفَذت بذا الأحكام
هَومٌ ومن بعد الحياة حِمام
وتعاقب الإصباح والإظلام
ومناخ ركبٍ مالمديه مقام
وُجد السَّمَّاح وأعدم الإعدام
غيث الملوك وليثها الضمرغام

(١) واردة باللحمة . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي اللحمة (أنته) .

(٣) واردة باللحمة . وساقطة في الإسكوريال .

والعزُّ سام والخميس لهام
 وشكى العراق مصابه والشام
 بدر الدُّجنة قد جلاه تمام
 غُضُّ الحديقة زهره بسام
 زهر الرياض همى عليه غمام
 طاشت لنور جماله الأفهام
 والأرض ترجف والسماء قتام
 والناس في فرش النعيم نيام
 سُرُّ الأرامل واكتسى الأيتام
 بعد انتزاح الدار أو الإمام
 حاشاك أن تنسى لديك ذمام
 خفقت بعزه نصره الأعلام
 فيك النهى والجود والإقدام
 أثنى عليك الله والإسلام
 والزاد فيه ترجُّدٌ وصيام
 فاليوم كيلٌ والضياء ظلام
 فيها من الأجل الحرى مدام
 عملٌ كريم سعيه وختام
 بين الصفايح والتراب تنام
 إن كان يمكنك الغداة كلام
 بيض كما تبكى الهديلَ حمام
 فالناس فيها سُجِّدٌ وقيام

قصدته عادية الزمان فأقصدت
 فُجعت به الدنيا وكُدِّر شر بها
 أسفاً على الخلق الجميل كأنه
 أسفاً على العمر الجديد كأنه
 أسفاً على الخلق الرضى كأنها
 أسفاً على الوجه الذى يهمنى ندى
 يا ناصر الثغر الغريب وأهله
 يا صاحب الصدمات فى جنح الدجا
 يا حافظ الحرم الذى بظلاله
 مولاي هل لك للقصور زيارة
 مولاي هل لك للعبيد تذكرة
 يا واحد الآحاد والعلم الذى
 وافاك أمر الله حين تكاملت
 ورحلتَ عنا الركب خير خليفة
 نعم الطريق سلكت كان رفيقه
 وكسفتَ يا شمس المحاسن ضحوه
 سفاك عيد الفطر كأس شهادة
 وختمتَ عُمرَكَ بالصلاة فحبذا
 مولاي كم هذا الرقاد إلى متى
 إعد التحية واحتسبها قربة
 تبكى عليك مصانع شهدتها
 تبكى عليك مساجدُ عمرتها

تبكى عليك خلائق أمنتها
 عاملت وجه الله فيما رُمته
 لو كنت تُفدي أو تُجاز من الردى
 لو كنت تمنع بالصوارم والقنا
 لكنه أمر الإله ومالنا
 والله قد كتب الفنا على انورى
 نم في جرار الله مسرورا بما
 واعلم بأن سايل ملك قد غدا
 بستر تكنف منه من خلفته
 كنت الحسامُ وصرت في غمد الثرى
 خلفت أمة أحمد لمحمد
 فهو الخليفة للورى في عهده
 أبقى رسومك كلها محفوظة
 العدل والشيم الكريمة والتقى
 حسبى بأن أخشى ضريحك لانما
 يا مدفن التقوى ويا مشوى الهدى
 أخفيت عن حزنى عليك وفى الحشا
 ولو اننى أدبت حَقَّك لم يكن لى
 وإذا الفتى أدى السدى فى وسعه

بالسلم وهى كأنها أنعام
 منها فلم يبعد عليك مرام
 بذلت نفوس من لسدنك كرام
 ما كان ركنك بالغلاب يُرام
 إلا رضى بالحكم واستسلام
 وقضاؤه جفت به الأقلام
 قدمت يوم تزلزل الأقدام
 فى مستقر علاك وهو إمام
 ظل ظليل فهو ليس يُضام
 كنت الحسامُ ولنصر ملكك سُلَّ منه حسام
 فقضت بسعد الأمة الأحكام
 عُرى العهود وتوصل الأرحام
 لم ينتثر منها عليك نظام
 والدار والألقاب والخُدَّام
 وأقول والدمع السفوح سِجَام
 منى عليك تحية وسلام
 نار لها بين الضلوع ضرام
 بعد فقدك فى الوجود مُقام
 وأتى بجهد ما عليه ملام

وكتبت فى بعض المعاهد التى
 غبت فلا عين ولا مخبر
 يا يوسف أنت لنا يوسف
 كان يأنس بها رحمة الله عليه :
 ولا انتظار منك مرقوب
 وكلنا فى الحزن يعقوب

يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن

عُقبه بن نافع الفهري

أوليته

كان عبد الرحمن أحد زعماء العرب بالأندلس . وكان ممن ثار منها من أصحاب بلج عصبيةً لقتله ، فخرج عن الأندلس إلى إفريقية . وجدّه عقبه بن نافع ، هو الذي اختط قيروانها أيام معاوية بن أبي سفيان . قال عيسى بن أحمد ، وهرب ابنه يوسف هذا من إفريقية إلى الأندلس مغاضباً له ، أيام بشر بن صفوان الكلبي ، فهوى الأندلس واستوطنها ، فساد بها ثم تأمر فيها .

حاله

كان شريفاً جليلاً ، حازماً عاقلاً . اجتمع عليه أهل الأندلس من أجل أنه قرشي ، بعد موت أميرهم ثوابة بن سلامة ، ورضى به الخيار من مضر واليمن ، فدانت له الأندلس ، تسع سنين وتسعة أشهر ، وكان آخر الأمراء بالأندلس ، وعنه انتقل سلطانها إلى بني أمية . وأشرك الصمّيل بن حاتم في أمره ، فتركت لذلك نسبة الأمر له ، وكانت الحرب التي لم يعرف بالشرق والمغرب ، أشدّ جلاداً ، ولا أصبر رجالاً منها ، واعتزلها يوسف تحرفاً ، وقام بأمرها الصمّيل ، وانهمز اليمانيون واستلحسوا ملحمة عظيمة ، واستوسق الأمر ليوسف . وغزا جليقية ، فعظم في عدوّها أثره . ولما تمّ له الأمر طرقة ما تقدم به الإلماغ ، من عبور صقر بني أمية عبد الرحمن الداخل في خبر طويل . والتقى بظاهر قرطبة سنة ثمان وثلاثين ومائة في ذي الحجة . وانهمز يوسف بن عبد الرحمن والصمّيل ، ولحقا

بالبيرة . وأتبعهما عبد الرحمن بن معاوية فنازله ، وقد تحصن بمعقل
إلبيرة حصن غرناطة ، وترددت بينهما الرُّسل في طلب المهادنة والبقاء
على الصلح . وتخلَّى يوسف عن الدعوة ، واستقر سكناه بقرطبة . وذلك
في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة ، وأقبل معه في عسكره إلى قرطبة . وذكر
أنه تمثل عند دخوله عسكر عبد الرحمن ببيت جرور بن إبنة النعمان :

فبتنا نسوس الأمر والأمرُ أمرنا إذا نحن فيهم سوقةً نتنصف
فتباً لدنيا لا يدوم نعيمها تُقلِّب ساعات بنا وتصرف

واستقر بقرطبة دهرأ ، ثم بدا له في الخلاف . ولحق بأحواز طليطلة ،
وأعاد عهد الفتنة ، فاغتاله مملوكان له ، وقتلاه رحمه الله ، في سنة
اثننتين وأربعين ومائة . وأخبار يوسف بن عبد الرحمن معروفة ، وهو
محبوب من الأمراء الأصلاء بغرناطة ، إذ كانت له قبل الإمارة بها
ضباع يتردد إليها .

ومن غير الأصليين

يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد

ابن أحمد بن أبي عزفة اللخمي

الرئيس أبو زكريا وأبو عمرو بن الرئيس أبي طالب بن الرئيس أبي
القاسم . كناه أبوه أبا عمرو ، وغلبت عليه الكنية المعروفة .

حاله

كان قيماً على طريقة أصحاب الحديث، رواية وضبطاً وتقييداً
وتخريجاً ، مع براعة خط ، وطرف ضبط ، شاعراً مجيداً مطبوعاً . ذا فكاكة

وَحُسْنُ مَجَالِسِهِ . رَأْسُ بَسْبَتَةٍ ، بَعْدَ إِجَازَتِهِ الْبَحْرَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْإِحْتِلَالَ بِفَاسٍ ، نَائِبًا عَنِ الْمَلِكِ الْمَغْرِبِ السُّلْطَانَ أَبِي سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ ، لِأَمْرٍ مَتَّ بِهِ إِلَيْهِ قَبْلَ اسْتِقْلَالِهِ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ . ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِهَا مُخَالَفًا عَلَيْهِ ، لِأَمْرٍ يَطُولُ شَرْحُهُ ، أَجْرَى فِيهِ مُوَفِّي الْجَانِبِ مِنَ الْهَلْعِ ، بِاسْلَافًا مُقْدَامًا . سَكُونُ الطَّائِرِ ، مُثَقَّفًا بِخِلَالِ رِيَاسَتِهِ ، ضَامًا لِأَطْرَافِهَا . وَنَازَلَهُ جَيْشُ الْمَغْرِبِ ، وَبِيدَ أَمِيرِهِ وَوَلَدِهِ أَبُو الْقَاسِمِ مُرْتَهِنًا ، فَاتَّيَحَ لَهُ ظَفْرٌ أَجْلَى لَيْلَةٍ غَرَبِيَّاتِ الْمَحَلَّةِ وَالْأَثَرِ فِيهَا ، وَاسْتِخْلَاصِ وَوَلَدِهِ .

مَشِيخَتُهُ

أَخَذَ عَنِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَغَيْرِهِمْ ، قِرَاءَةَ وَسَمَاعًا وَإِجَازَةً . فَمِنْ أَخَذَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ سَبْتَةٌ ، أَبُو إِسْحَاقَ الْغَافِقِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشِيدٍ ، وَأَبُو الظَّفَرِ الْمُنُورِقِيُّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْفِيْقِيُّ ، وَأَبُو عَلِيِّ الْحَسَنِ بْنِ طَاهِرِ الْحُسَيْنِيِّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ التُّلْمَسَانِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الشَّاطِطِ . وَبِغَرْنَاطَةَ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهَا ، مُغْرَبًا عَنْ وَطَنِهِ ، عِنْدَ تَصْيِيرِهِ إِلَى الْإِيَالَةِ النَّصْرِيَّةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَسَكَنَاهَا بِهَا ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ سَمَاكٍ ، وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، وَأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْمُؤَدِّنِ ، وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ مَسْتَقْمُورٍ وَغَيْرِهِمْ . وَمِنْ أَهْلِ الْمَرْيَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الصَّايِغِ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَعِيبٍ . وَمِنْ أَهْلِ مَالِقَةَ الْوَلِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّنْجَالِيِّ ، وَأَبُو مُحَمَّدِ الْبَاهِلِيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ مَنْظُورٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ مَصَامِدٍ . وَمِنْ أَهْلِ الْخَضْرَاءِ ، أَبُو جَعْفَرِ بْنِ خَمِيْسٍ . وَمِنْ أَهْلِ بَلِّشٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَادِ . وَمِنْ أَهْلِ أَرْجَبَةَ أَبُو زَكْرِيَا الْبُرْشَانِيُّ . وَمِنْ أَهْلِ

(١) أَرْجَبَةُ وَبِالْإِسْبَانِيَّةِ « Orgiva » مِنْ قَرْيِ عَرْنَاطَةَ وَقَدْ سَبَقَ التَّعْرِيفُ بِهَا (الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

یجایة أبو علی ناصر الدین المشدالی ، وأبو عبد الله بن غربوز . ومن أهل فاس أبو عبد الله المومنانی . ومن أهل تیزی أبو عبد الله محمد القیسی . وكتب له بالإجازة طایفة كبيرة من أهل المشرق ، منهم قطب الدین القسطلانی .

شعره

قال لی شیخنا أبو البركات ، سألته ، وأنا معه واقفٌ بسور قصبة سبتة ، أن یجیزنی ویكتب لی من شعره ، فكتب لی قطیعات منها فی تهنئة السلطان أبي الجیوش يوم ولايته :

الآن عاد إلى الإمامة نورها	وارتاح منبرها وهش سریرها
وبدا لنا من بعد طول قطوبها	منها التهلل واستبان سرورها
وضعت أزمته بكف خليفة	هو أصلها الأولى بها ونصیرها
من معشر عرفت بطون أكفهم	بقل الندى واللائمين ظهورها
خرصانهم ووجوههم فی ظلمة	النقع المثار نجومها وبدورها
وسع الرعايا منه عدله	لم یزل إليه قلوبهم ویصورها
حتى اغتدت بالحب فيه صدورها	ملأى وأخلص فی الولاء ضمیرها
رام العداة لمجده كیدا فلم	تنجح مساعثها وساء مصیرها
وكذاك فعل الله فیمن كاده	جهلا وغرته المنا وغرورها
مولای إنا عصبه معروفة	بالحب فيك صغیرها وكبیرها
جینا نُقضی من حقوقك واجبا	نُسدی بالمدايح تارة وتبیرها
ولقد خدمتُ مقامكم من قبلها	بفرايد حَسنا يعزُّ نظیرها
فاجذب بفضی من حضيض مزارقی	عرست وعلى بديك مسیرها
وافتكنی من أسر فرط خصاصة	عنفت فلم يقصد سواك أسیرها

دانته مما يتقى ويجيرها
حتى يحين من الرفاة نُشورها

لازلت للإسلام تحمي أمة
وبقيت في عز وسعد شامل

وفي الإلغاز بالأقلام والمحبرة :

شباب ليس يفزعهم قتيير
لمجلسهم ولم يُنصب سرير
فقد أذف الترحُّل والمسير
مُبين ليس يفهمه البصير
وعند الصُّحو يَغرّوهم فتور
فشأنهم التلُّغتم والقصور
إذا طعنوا فلدمعهم غزير
لساك نومهم أبدا كثير
أخا نعبٍ ويخترم القصير
بغير القطع عضوهم الكبير
دياجي المشكلات به تسير

وسربٌ ضمهم دَسْت ستيير
قد اختصروا فلم يُفرش ساد
لهم كأس إذا دارت عليهم
وأفشوا سرّاً سياقمهم بلافظ
وهزّت من روسهم نشاطها
فصاح إن تحللهم وإلّا
صلاب حين تعجمهم ولكن
لهم عقل يلوح على القوافي
طويلهم يطول العُمُر منه
وهم لم يُشف يسوما
فقل لي من هم لازلت فرداً

نكبته : تنظر في العبادة في امم أبيه (١) .

مولده : سنة سبع وسبعين وستماية .

وفاته : عام تسعة عشر وسبعماية ، في شعبان رحمه الله .

يحيى بن علي بن غانية الصعراوي ، الأمير أبو زكريا

حاله

(١) سبق لابن الخطيب أن ترجم لأبيه ، عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد الغزفي أمير سبتة الذي عزل عن رياسته عنوة ، وأبعد هو وولده وأهله إلى الأندلس ، فاستقر بقرنطة ، وتوفي بها في سنة ٧١٣ هـ (راجع المجلد الثالث من الإحاطة ص ٢٨٣ - ٢٨٥) .

كان بطلا شهما حازما ، كثير الدهاء والإقدام ، والمعرفة بالحروب ، مُجَمَّعاً على تقدمه . نشأ في صحبة الأمير بقرطبة محمد بن الحاج اللّمتوني وولاه مدينة إستجة ، فهي أول ولايته . وليها يحيى ، وتزوج محمد بن الحاج أمه غانية بعد أبيه وكفله ، وأقام معه بقرطبة ، إلى أن كان من محمد بن الحاج ما كان من مداخلة أشياخ مَسُوْفَة على خلع محمد بن يوسف ابن تاشفين [عن الأمر]^(۱) ، وصرف البيعة إلى يحيى الحفيد ، الوالى في ذلك العهد بمدينة فاس ، ولم يتم له الأمر ، فأجلى عن نكبته . وانفصل يحيى بن غانية عن جماعته ، وأقام متصرفاً في الحروب ، معروف الحق والغناء ، إلى أن اشتهرت بسالته وديانته ، ورغب يدبير بن ورقا صاحب بلنسية من السلطان في توجيهه إليه ، ليستين به على مدافعة العدو ، فأجيب إلى ذلك . فوصل يحيى بلنسية ، وأقام بها ذاباً عن المسلمين ، إلى أن توفي يدبير بن ورقا ، فولاه على بيع يوسف إياها وشرق الأندلس ، ظهر غناؤه وجهاده ، وهزم الله بها ابن رذمير^(۲) الطاغية منازل إفراغة على يده ، فطار ذكره ، وعظم صيته ، واشتهر سعده ، وأسل عن البيضة دفاعه .

أخبار عزمه

حكى عنه أنه تزوج في فتوته امرأة من قومه شريفة جميلة ، وقرّبها عينا ، ثم تركها وطلقها ، فسئل عن ذلك ، فقال والله ما فارقتها عن

(۱) هذه الزيادة من الزيتونة .

(۲) ابن رذمير هو الإسم الذى تطلقه الرواية العربية على ألفونسو المحارب ملك أراجون . وهو الذى استولى على عدة مدن من الثغر الأعلى . وحاول بعد ذلك الإستيلاء على مدينة إفراغة ، وهى من أمنع معاقل الثغر . ولكنه منى تحت أسوارها بهزيمة فادحة (رمضان سنة ۵۲۸ - يولييه سنة ۱۱۳۴م) ومزق جيشه شر ممزق ، وتوفى لأيام قللال من بعد هزيمته غماً وأماً .

خِلَّةٌ تُدَمِّمُ ، ولكن خِفت أن أشتغل بها عن الجهاد . ولم يزل يدافع
النصارى عن المسلمين بالأندلس ، فهزم ابن رزمير ، وأقلع محلاتهم عن
مدينة^(١) الأشبونة ، واستمسك به حال الأندلس . ووُلِّي قرطبة وما إليها
من قبل تاشفين بن علي بن يوسف ، عام ثمانية وثلاثين وخمسمائة ،
فاستقامت الأمور بحسن سيرته ، وظهور سعده ، إلى صفر من عام تسعة
وثلاثين . وكانت ثورة ابن قسي^(٢) ، باكورة الفتنة . ولما خرج إلى
لبلة ، ثار ابن حمدين بقرطبة دار مُلكه في رمضان من العام ، واستباح
قصره ، وانطلقت الأيدي على قومه ، وتم له الأمر . وبلغ يحيى الخبر ،
فرجع أدراجه إلى إشبيلية ، فثار به أهلها ، وناصبوه^(٣) الحرب وأصابوه
بجراحة ، فلجأ إلى حصن مرجانة ، فأقام به يصابر الهول ، ويرقع القنن .
ثم تحرك إليه جيش ابن حمدين ، وكانت بينهما وقية انهزم فيها ابن
حمدين ، واستولى ابن غانية على قرطبة ، في شعبان من عام أربعين ، وتحصن
ابن حمدين باندوجر^(٤) ممتنعاً بها . ونهض يحيى إلى منازلته . فاستعان
ابن حمدين بملك قشتالة ، وأطمعه في قرطبة ، فتحرك إلى نصرته . ولما
وصل أندوجر ، أعذر يحيى في الدفاع والمصابرة ، ثم انصرف بالجيش
إلى قرطبة ، وأخذ العدو في آثارهم ، صحبة مستغيثه ابن حمدين .
فنازل قرطبة ، وامتنع ابن غانية بالقصر وما يليه من المدينة . وأدخل ابن
حمدين النصارى قرطبة في عاشر ذي الحجة من عام أربعين ، فاستباحوا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بلاد) .

(٢) وردت في الزيتونة (ابن قيس) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ناشبوه) .

(٤) أندوجر وبالإسبانية « Andujar » بلدة أندلسية - حصينة تقع على ضفة نهر الوادي

الكبير شرق مدينة قرطبة ، وشمال غربي جيان .

المسجد ، وأخذوا ما كان به من النواقيس ^(١) ، ومزقوا مصاحفه ، ومنها
زعموا مصحف عثمان ، وأنزلوا المنار من الصَّومعة ، وكان كله فِضَّة ،
وَحُرِّقَت الأسواق ، وأفسدت المدينة ، وظهر من صبر ابن غانية ، وشدة
بأسه ، وصدق دفاعه ، ما أَيْأس منه . وكان من قَدَر الله ، أن بَلَغ طاغية
الروم يوم دخولهم قرطبة ، اجتياز الموحِّدين إلى الأندلس ، فأجال طاغيتهم
قِداح الرأى ، فاقتضى أن يهادن ابن غانية : وينرکه بقرطبة في نحر
عدوّه من الموحِّدين ، سدًا بينهم وبين بلاده . فعقدت الشروط ، ونزل
إليه ابن غانية فعاقده ، واستحضر له أهل قرطبة ، وقال لهم ، أنا قد
فعلت معكم من الخير ، ما لم يفعله مَنْ قبلي ، غلبتكم في بلدكم وتركتكم
رعيَّة لي ، وقد وليت عليكم يحيى بن غانية ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال
المؤرخ ، وفخر الطاغية في ذلك اليوم بقومه ^(٢) ، وقال ، ولا يُريبنكم أن
تكونوا تحت يدي ونظري ، فعندى كتابُ نبيكم إلى جدِّي . حدَّث ابن
أم العماد أبو الحسن ، قال ، حضرت ، وأحضر حقُّ من ذهب ، فُتح
وأخرج منه كتابٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى قيصر ملك
الروم ، وهو جدُّ بزعمه . والكتاب بخط علي بن أبي طالب . قال أبو
الحسن ، قرأته من أوله إلى آخره ، كما جاء في حديث البخارى .
وانصرف إلى بلاده ، وانصرف ابن حمدين ، فكان هلاكه بمالقة ، بعد اضطراب
كثير . واستقر ابن غانية بقرطبة الغادر به أهلها ، فشرع في بنيان
القصبه وسدَّ عورتها ، وسام أهلها الخسف وسوء العذاب ، ووالى إغرامهم .
واستعجل أمرهم ، واتصل سلّمه مع العدو إلى تمام أحد وأربعين وخمسمائة ،
وقد تملك الموحِّدون إشبيلية وما إليها . وضيَّق عليه النصارى في طلب

(١) يقصد بها هنا مصابيح المسجد المنطاة ، الغطية نحاسية تشبه النواقيس .

(٢) وردت في الإسكوريال (بقديمه) . والتصويب من الزبتولة .

الإتاوة^(١)، واشتطوا عليه في طلب ما بيده، ونزل طاغينهم أندوجر وبه رجل يعرف بالعربي، واستدعى ابن غانية. فلما تحصل بمحاته. طلبه بالتخلي عن بياسة وأبده، فكان ذلك. وتشاغل الموحدون بأمر ناشر نازعهم بالمغرب. فكلب العدو على^(٢) الأندلس، فنازل الأشبونة وشنترين، وألمرية وطرطوشة ولاردة وإفراغة، وطمع في استيصال بلاد الإسلام، فدخل ابن غانية سرا من بإشبيلية من الموحدين، ووصله كتاب خليفتهم بما أحب، وتحرك الطاغية في جيوش لا ترام. وطالب ابن غانية بالخروج عن جيان وتسليمها إليه، وكاده، حسبما تقدم في اسم عبد الملك بن سعيد. ونهض بعد هذه الكاينة^(٣) إلى غرناطة، وهي آخر ما تبقى للمرابطين من القواعد ليجمع بها أعيان لمتونة ومسوفة، في شأن صرف الأمر إلى الموحدين.

وفاته

ولما وصل الأمير يحيى بن غانية إلى غرناطة أقام بها شهرين، وتوفي عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة، ودفن بداخل القصبية في المسجد الصغير، المتصل بقصر باديس بن حيوس مجاورا له في مدفنه، وعليه في لوح من الرخام تاريخ وفاته. والناس يقصدوه للتبرك به.

يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن توقورت بن وريابطن بن منصور
ابن مصالة بن أمية بن واياي الصنهاجي ثم اللمتوني

(١) وردت في الإسكوريال (الإثارة) والتصويب أرجح.

(٢) وردت في الإسكوريال عن، فالتصويب.

(٣) وردت في الإسكوريال (الكاهنة) والتصويب من الزيتونة.

يكنى أبا يعقوب ويلقب بأمر المسلمين .

أوليته

ذكروا أن يحيى بن إبراهيم بن توقورت حجج ، وهو كبير قبيل الصحراويين في عشر الأربعين وأربعماية ، واجتاز على القيروان ، وهي موفورة بالعلماء ، وتعرف بالفقيه أبي عمران الفاسي ، ورغب إليه أن ينظر له في طلب من يستصحبه ، ليعلم قومه ويفقههم^(١) ، فخاطب له فقيهاً من فقهاء المغرب الأقصى اسمه واجاج ، واختار له واجاج ، عبد الله بن ياسين القايم بدولتهم ، البادي نظم نشرهم ، وتأليف كلمتهم ، فاجتمع عليه سبعون شيخاً من نبهائهم ليعلمهم ، فانقادوا له انقياداً كبيراً ، وتناسل الناس ، فضخم العدد ، وغزا معهم قبائل الصحراء . ثم التأثت حاله معهم ، فصرفوه ، وانتهبوا كتبه ، فلجأ إلى أمير لمتونة يحيى بن عمر بن تلايكان اللمتوني ، فقبله ، وأعاد حاله ، وثابت طاعته ، فأمضى القتل على من اختلف عليه . وكان يحيى بن عمر يمثل أمر عبد الله امثالاً عظيماً . ثم خرج بهم إلى سجلماسة ، فتملكوها ، وتملكوا الجبل . ثم ظهروا على المغرب ، ثم قتل الأمير يحيى بن عمر ، فقدم عبد الله أخاه أبا بكر بن عمر بدرعة ، ونهد به ، فتملك جبال المصامدة ، واحتل بأغمات وريكة واستوطنها . ولعبد الله أخبار غريبة ، وشذوذ في الأحكام الله أعلم بصحتها . وقتل عبد الله ابن ياسين برغواطة . ولم يزل الأمير أبو بكر بن عمر حتى أخذ ثاره ، وأثخن القتل فيهم ، وقدم ابن عمه يوسف بن ناشفين بن إبراهيم ، على عسكر كبير ، فيهم أشياخ لمتونة ، وقبائل البرابرة والمصامدة ، واجتاز على بلاد المغرب ، فدانت له . وطرق الأمير أبا بكر خبير من قومه من

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ويقههم) .

الصحراء انزعج له ، فولى يوسف بن تاشفين على مملكة المغرب ، وترك معه الثلث من لتونة ، إخوانه ، وأوصاه ، وطلق زوجته زينب ، وأمره بتزوجها ، لما بلاه من يُمنها . فبنى يوسف مدينة مراکش وحصنها^(١) ، ونحى إلى الناس ، واستكثر من الجنود والقوة ، وجبى الأموال ، واستبد بالامر . ورجع الأمير أبو بكر من الصحراء سنة خمس وستين وأربعمائة ، فألفى يوسف مستبداً بأمره ، فسأله ، وانخلع له عن الملك ، ورجع إلى صحرايه ، فكان بها تصله هدايا يوسف إلى أن قتله السودان . واستولى يوسف على المغرب كله ، ثم أجاز البحر إلى الأندلس ، فهزم الطاغية الهزيمة الكبرى بالزلاقة ، ونخلع أمراء الطوائف ، وتملك البلاد إلى حين وفاته .

حاله

قال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصيرفي ، كان رحمه الله خائفاً لربه كتوماً لسره ، كثير الدعاء والاستخارة ، مقبلاً على الصلاة ، مديماً للاستغفار ، أكثر عقابه لمن تجراً أو تعرض للانتقامه ، الاعتقال الطويل ، والقيد الثقيل ، والضرب المبرح ، إلا من انتزى أو شق العصا ، فالسيف أحسم لانتثار الداء . يواصل الفقهاء ، ويعظم العلماء ، ويصرف الأمور إليهم ، ويأخذ فيها بآرائهم ، ويقضى على نفسه وغيره يفتياهم ، ويحض على العدل ، ويصدع بالحق ، ويعضد الشرع ، ويحزم في المال ، ويولع بالاقتصاد في الملبس والمطعم والمسكن ، إلى أن لقي الله ، مجدداً في الأمور ، مُلقناً للصواب ، مستحياً^(٢) حال الجد ، مؤدياً إلى الرعايا

(١) وردت في الإسكوريال (تحضها) وهو تحريف .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . ووردت في الإسكوريال (مستحياً) . والأولى أرجح .

حقها ، من الذب عنها ، والغلظة على عدوها ، وإفاضة الأمن والعدل فيها . يرى صور الأشياء على حقيقتها . تسمى بأمير المسلمين لما احتل الأندلس وأوقع بالروم ، وكان قبل يدعى الأمير يوسف ، وقامت الخطبة فيها جميعا باسمه ، وبالعدوة ، بعد الخليفة العباسي . وكان درهمه فضة ، ودُنْيَرُه تِبْرٌ محض ، في إحدى صفحاته الدُّنْيَرُ « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وفي الداير ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . وفي الصفحة الأخرى ، الإمام عبد الله أمير المسلمين ، وفي الداير تاريخ ضربه وموضع سِكَتِه ، وفي جهتي الدرهم ما حملة من ذلك .

بعض أخباره

في سنة سبعين وأربعمائة وردت عليه كتب الأندلس ، يبثون حالهم ، ويحركونه إلى نصرهم . وفي سنة اثنتين بعدها ، ورد عليه عبد الرحمن ابن أسباط ، من ألمرية ، يشرح حال الأندلس . وفي سنة خمس وسبعين بعدها ، وجه إلى شراء العُدَد فيها ، واستكثر منها . وفي سنة ست بعدها فتح مدينة سَبْتَة ، ودخلها عنوة على الثَّابِرِ بها سَقُوتِ البرغواطى . وفي سنة ثمان اتصل به تملك طاغية قشتالة مدينة طليطلة ، وجاز إليه المعتمد بن عباد بنفسه ، وفاوضه واستدعا لنصرة المسلمين ، وخرج إليه عن الجزيرة الخضراء . وعلم بذلك الأذفنش ، فاخترق [بلاد المسلمين] ^(۱) معرضاً عن رؤساء ^(۲) الطوائف ، لا يرضى أخذ الجزية منهم ، حتى انتهى إلى الخضراء ، ومثل على شاطئ البحر ، وأمر أن يكتب إلى الأمير

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الأندلس) .

(۲) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ملوك) .

يوسف بن تاشفين ، والموج يضرب أرساخ فرسه ، بما نسخته :
« من أمير الملتين أذفونش بن فردلند إلى الأمير يوسف بن تاشفين .
أما بعد فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير الملة المسلمة ، كما أنا أمير
الملة النصرانية . ولم يخف عليكم ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من
التخاذل ، والتواكل ، وإهمال الرعية ، والإخلاد إلى الراحة ، وأنا
أسومهم سوء الخسف ، وأضرب الديار ، وأهتك الأستار ، وأقتل الشبان ،
وأسبى الولدان ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم ، إن أمكنتك
قدرة . هذا وأنتم تعتقدون ، أن الله تبارك وتعالى ، فرض على كل منكم ،
قتال عشرة منا ، ثم خفف عنكم فجعل على كل واحد منكم ، قتال اثنين
منا ، فإن قتلكم في الجنة ، وقتلانا في النار ، ونحن نعتقد أن الله أظهرنا
بكم ، وأعاننا عليكم ، إذ لا تقدرُونَ دفاعا ، ولا تستطيعون امتناعا .
وبلغنا عنك أنك في الاحتفال على نية الإقبال ، فلا أدري أن كان الحين
يبطئ بك أمام التكذيب لما أنزل عليك . فإن كنت لا تستطيع الجواز
فابعث إلى ما عندك من المراكب لأجوز إليك ، وأناجزك في أحب البقاع ،
فإن غلبتني ، فتلك غنيمة جاءت إليك ، ونعمة مثلت بين يديك . وإن
غلبتك ، كانت لي اليد العليا ، واستكملت الإمارة . والله يتم الإرادة » .
فأمر يوسف بن تاشفين أن يكتب في ظهر كتابه « جوابك يا أذفونش
ما تراه ، لا ما تسمعه إن شاء الله » وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمم

وعبر البحر ، وقد استجاش أهل الأندلس . وكان اللقاء يوم الجمعة
منتصف رجب من عام تسعة وسبعين وأربعمائة . ووقعت حرب مرة ،
اختلط فيها الفريقان ، بحيث اقتحم الطاغية محلة المسلمين ، وصدم

يسارة جيوش الأندلس ، واقتحم المرابطون محلته للحين . ثم برز الجميع إلى مازق ، تعارفت فيه الوجوه ، فأبلوا بلاءً عظيماً ، وأجلت عن هزيمة العدو ، واستيصال شأفته . وأفلت أذفونش في قَلِّ قليل ، قد أصابته جراحة ، وأعزَّ الله المسلمين ونصرهم نصراً لا كفاء له ، وأكثر شعراء المعتمد القول في ذلك ، فمن ذلك قول عبد المجيد^(١) بن عبدون من قصيدة :

فأين العجب يا أذفونش هلاً	تجنبت المشيخة يا غلام
شملك ^(٢) النساء ولا رجال	فحدث ما وراءك يا عصام
أقمت لدى الوغى سوقاً فخذها	مناجزة وهون لا تنام
فإن شيت اللجين فثم سام	وإن شيت النصار فثم حام
رأيت الضرب تطيباً فصلب	فأنت على صليبك لا تلام
أقام رجالك الأشقون كلاً	هل جسد بلا رأس ينام
رفعنا هاهم في كل جذع	كما ارتفعت على الأيك الحمام
سيعبد بعدها الظلماء لما	أتيح له بجانبها اكتنام
ولا ينفك كالحفّاش يُغضى	إذا ما لم يباشره الظلام
نصاً إذ راعه واجتاب ليلاً	يود لو أن طول الليل عام
سيبقى حسرةً ويبيد إن لم	أبادتنا القناة أو الحسام

وعاد إلى العُدوة . ثم أجاز البحر ثانية إلى منازل حصن لبيط^(٣) ،

(١) وردت في المخطوطين (عبد الجليل) . والصواب ما أثبتناه .

(٢) وردت في الإسكوريال (سيلك) . والتصويب من الزيتونة .

(٣) وردت في المخطوطين (أليط) وهو تحريف . وحصن أليط « Aledo » ، أو حصن

ليط كما تسميه الرواية العربية هو حصن منيع بناه ألفونسو السادس ملك قشتالة على أثر إستيلائه على طليطلة (سنة ١٠٨٥ م) في بقعة تقع بين مرسية ولورقة، وشحنه بالسلاح والمقاتلة، واتخذها قاعدة للإغارة على الأراضي الإسلامية في تلك الأنحاء .

وفسد ما بينه وبين أمراء الأندلس ، وعاد إلى العدو ، ثم أجاز البحر عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة ، عاملا على خلعهم ، فتملك مدينة غرناطة في منتصف رجب من العام المذكور ، ودخل القصر بالقصبة العليا منها ، واستحسنه ، وأمر بحفظه ، ومواصلة مرّته . وطاف بكل مكان منه ثم تملك ألمرية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ، في أخبار يطول اقتضاؤها ، والبقاء لله .

وفاته

توفي رحمه الله بمدينة مراکش يوم الإثنين مستهل محرم سنة خمسمائة .
ومن رثاه أبو بكر بن سوار من قصيدة أنشدها على قبره :

ملك الملوك وما تركت لعامل عملا من التقوى يُشارك فيه
يا يوسف ما أنت إلا يوسف والكلُّ يعقوب بما يطويه
إسمع أمير المؤمنين وناصر الدين الذي بنفوسنا نُفديه
جوزيت خيرا عن رعيتك التي لم ترض فيها غير ما يُرضيه
أما مساعيك الكرام فإنها خرجت عن التّكليف والتّشبيه
في كل عام غزوة مبرورة تُردى عديد الروم أو تُفنيه
تصل الجهاد إلى الجهاد موفقا حتم القضاء بكل ما تقضيه
ويجىء ما دبّرت كمجيشه فكان كلُّ مُغيّب تدريه
متواضعا لله مظهر دينه في كل ما تبديه أو تخفيه
ولقد ملكت بحقك الدنيا وكم ملك الملوك الأمر بالتمويه
لو رامت الأيام أن تحصى الذي فعلت سيوفك لم تكد تُحصيه
إنا لمفجوعون منك بواحد جمعت خصال الخير أجمع فيه
وإذا سمعت حمامة في أيكة تبكى الهديل فإنها ترثيه

وميضٌ قد استرعى رعيّة أمة فأقام فيهم حقّ مُستترعيه
 وإذا هزَّبَر الغاب صرى شبله في الغاب كان الشبل شبيه أبيه
 وإذا على كان وارث ملكه فالسهم يُلقى في يدى باريه

يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نهر

ولى عهد أبيه أمير المسلمين الغالب بالله^(۱) .

حاله

كان أميراً جليلاً حصيفاً فاضلاً ، ظاهر النبيل ، محباً في العلم
 من فنونه . [مال] إلى التعاليم والنجوم ، أفرط في الاستعراق في ذلك ،
 ونمى إلى أبيه ، فأنكره ، وقصد يوماً منزله لأجل ذلك ، ودخل المجلس ،
 وبه مجلّدات كثيرة ، وقال ما هذه يا يوسف ، فقال ستراً لغرضه المتوقع
 فيه نكير أبيه ، يا مولاي هي كتب أدب ، فقال السلطان ، وقد قنع
 منه بذلك ، يا ولدى ما أخذناها يعنى السلطنة ، إلا بقلّة الأدب ، تورية
 حسنة ، إشارة إلى الثورة على ملوك كانوا تحت إيالتهم ، فغرب في حسن
 النادرة ، وكان قد ولّاه عهده بعد أخيه ، لو أمهلت المنية .
 وفاته : توفى يوم الجمعة ثالث عشر صفر عام ستين وستماية .

يوسف بن عبد المؤمن بن علي

الخليفة أبو يعقوب الوالى بعد أبيه .

(۱) يقصد به هنا الأمير محمد بن يوسف بن نصر ، وهو محمد بن الأحمر الكبير مؤسس

ملكه غرناطة ، الملقب بالغالب بالله .

حاله

كان فاضلاً كاملاً ورعاً جزلاً ، حافظاً للقرآن بشرحه ، عالماً بحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خطبته وصحيحه ، آية الموحدين في الإعطاء والمواساة ، راغباً في العمارة ، مثابراً على الجهاد ، مشيعاً للعدل . أصلح العدو وأمنها ، وأنس شاردها ، وحصن جزيرة الأندلس ببعوثه لها ، فقمعوا عاصيها ، وافترعوا بالفتح أفاصيها ، وأحسن لأجنادها ، وأمدتهم من الخيل بالمبين من أعدادها ، رحمه الله .

ولده : ثمانية عشر أكبرهم يعقوب ولي عهده ، نجم بني عبد المؤمن وجوهرتهم .

حاجبه : أبو حفص شقيقه .

وزرائه : إدريس بن جامع ، ثم أبو بكر بن يوسف الكوي .

نُصاته : حجاج بن يوسف بن عمران ، وابن مضاء .

كُتبه : أبو الحسن بن عيَّاش القرطبي ، وأبو العباس بن طاهر بن محشرة .

بعض أخباره

في أيامه ، استوصلت دولة ابن مرذنيش ، بعد حروب مُبيرة ، ودوخ إفريقيا ، وردَّ أهل باجة إلى وطنهم ، بعد تملك العدو إياه ، وجبرهم جدًّا واستنقاذًا ، وفتح حصن بلج .

وفاته

في الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة ، بظاهر شنترين من سهم أصابه في خيائه ، وهو محاصر لها ، فمضى عليه ، وكُتِم موته ، حتى اشتهر بعد رحيله . ذكر ذلك أبو الحسن بن أبي محمد الشريشي ،

فكانت خلافته اثنين وعشرين عاما ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعمره سبع وأربعون سنة .

مولده : في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ودخل غرناطة لأول مرة ، ووجب ذكره فيمن حلَّ بها .

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو

أمير المسلمين بالمغرب ، يكنى أبا يعقوب .

أوليته : معروفة مذ وقع الإلماح بذلك في اسم أمير المسلمين أبيه .

حاله

كان ملكا على الهمة ، بعيد الصيت ، مرهوب الشبا ، رابط الجأش ، صعب الشكيمة ، على عهده اعتلى الملك ، وناشب القبيل ، واستوسق الأمر . جاز إلى الأندلس مع والده ، ودوخ بين يديه بلاد الروم ، ووقف بظاهر قرطبة وإشبيلية ، وحضر الوقعة بذنونه^(١) ، وجرت بينه وبين سلطان الأندلس ، على عهده ، منافرات ، أجلت أخيرا عن لحاق السلطان به مُستعتبا . واستقر آخرها محاصرا لتلمسان ، غازيا لبني زيان الأمراء بها ، وابتنى مدينة سماها تلمسان الجديدة ، وأقام محاصرا لها ، مضيقا على أهلها

(١) كان السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور ملك المغرب (ووالد المترجم له) قد عبر إلى الأندلس مليئا صريخ سلطانها محمد بن محمد بن الأحمر إلى الفوث والإنجاد ، وذلك في سنة ٦٧٣ هـ . وسار أبو يوسف في قواته شمالا حتى وصل إلى أحواز قرطبة . وهناك تقدم القشاليون إلى لقاته في جيش ضخم على رأسه الدون نونيودي لارا الذي تسميه الرواية الإسلامية (ذنونه أو ذنونه) فنشبت بين الفريقين على مقربة من إستجة معركة هائلة هزم فيها النصارى هزيمة فادحة ، وقتل قائدهم دون نونيودي لارا وعدة كبيرة من عظمائهم في شهر ربيع الأول سنة ٦٧٤ هـ (سبتمبر سنة ١٢٧٥ م) . وكانت من أعظم الوقائع الحاسمة بين المسلمين والنصارى في الأندلس منذ موقعة العقاب الشهيرة في سنة ١٢١٢ م .

نحواً من ثمانية أعوام ، وعظمته الملوك شرقاً وغرباً ، ووردت عليه الرُّسل والهدايا من كل جهة ، وهابه الأقراب والأبعاد .

وفاته

ولما أراد الله إنفاذ حكمه فيه ، قيض له عبداً خصباً حبشياً ، أسفه بقتل أخيه أو نسيب ، في باب خيانة عثر له عليها ، فاقتحم عليه دار الملك على حين غفلة ، فدجأه بسكين أعدّه لذلك ، وضجَّ القصر ، وخرج وبالسُّلطان رمق ، ثم توفي من الغد ، أو قريباً منه ، في أوائل ذي قعدة من عام ستة وسبعماية ، فكانت دولته إحدى وعشرين سنة وأشهرًا ، وانتقل إلى مدفن سلفه بسلا ، وقبره بها . وركب قاتله فرساً أزعجها ركضا ، يروم النجاة واللحاق بالبلد المحصور ، وسبقه الصّياح ، فسُدَّ بعض الأبواب التي أمل النجاة منها ، وقُتل وألحق به كثير من جنسه .

وجرى ذكره في الرّجز المتضمن دول الملوك^(١) من تأليفنا بما نصه :

حتى إذا الله إليه قيضه	قام ابنه يوسف فيها عوضه
وهو الهمام الملك الكبير	فابتهج المنبر والسّرير
وضخّم الملك وذاع الصّيت	بملكه وانتظم الشّتيت
وساعد السعد وأغضى الدهر	وخلّص السرُّ له والجهر
وأمل الجود وخيف البأس	واستشعر الخشية منه الناس
ثم تقضى معظم الزمان	مواصلا حصر بني زيّان
حتى أهلّ تلمسان الفرج	ونشقوا من جانب اللطف الفرج
لما توفي درج السعد درج	فانفرج ضيق الحصر عنها وانفرج

(١) يتصّدق: انظر الخطيب بذلك كتابه (رقم الحلل في نظم الدرر) .

ونزل بظاهر غرناطة وبيع بعض مروجها بقرية أشقطر ، في بعض غزوات أبيه إلى قرطبة ، وتقدم السلطان إليهم من البر والقرى ، ما كثر الإخبار به والتعجب منه ، ووجه إليهم ولده وولى عهده .

يعقوب بن عبد الحق بن يحيو بن بكر بن حمادة بن محمد بن

رزين بن فقوس بن كرناطة بن مرين

من قبيلة زناتة ، أمير المسلمين المكنى بأبي يوسف الملقب بالمنصور
رحمه الله .

أُولِيَّتُهُ

ظهر بالمغرب أبوه الأمير عبد الحق ، وقد اضطربت دولة الموحدين ،
والتأث أمرهم ، ومرجت عرب رباح ، لعجز الدولة عن كف عدوانهم ،
فخرج الأمير عبد الحق في بحبوحة قومه من الصحراء ، ودعا إلى نفسه ،
واستخلص الملك بسيفه ، عام عشرة وستماية ، وكان على ما يكون عليه
مثله ، ممن جعله الله جرثومة مُلك وخدم دولة ، من الصدق والدهاء
والشجاعة . ورأى في نومه كأن شِعلاً أربع من نار ، خرّجن منه ، فعَلَوْنَ
في جو المغرب ، ثم اختوين على [جميع] أقطاره ، فكان تأويلها تملك بنيه
الأربعة بعده ، والله يُؤتي مُلكه من يشاء . وكان له من الولد إدريس ،
وعثمان ، وعبد الله ، ومحمد ، وأبو يحيى ، وأبو يوسف ، ويعقوب .
هذا ولما هلك هو وابنه إدريس في وقية رباح ، ولي أمره عثمان ولده ،
ثم ولي بعده أخوه محمد ، ثم ولي بعده أبو يحيى أخوهما . وفي أيامه
اتسق الملك ، وضحّم الأمر ، وافتتحت البلاد . ولما هلك حنف أنفه

بفاس في رجب من عام ستة وخمسين وستماية ، قام بالملك أخوه يعقوب المترجم به ، وأرث الملك بنيه .

حاله

كان ديناً فاضلاً حياً ، جواداً سَمِحاً ، شجاعاً ، محباً في انصالحين ، منقاداً إلى الخير ، حريصاً على الجهاد . أجاز ولده في أوائل عام اثنين وسبعين وستماية إلى الأندلس ، ثم عبر بنفسه في سِرار صفر من العام بعده ، فاحتل بظاهر إشبيلية ، وكَسَرَ جيش الروم ، المنعقد على زعيمهم انسى ذنونه ، بظاهر إستجة في ربيع الآخر من العام . ثم عبر ثانياً ، مغتتماً ما نشأ بين الروم من الفرقة ، فغزا مدينة قرطبة ، وصار أمر العدو في أطواق الفرنتيرة ، بحيث لا يوجد في بطن القتل منها إلا العشب أزلاً ومسغبةً ، لا انتشار الغارات ، وانتساف الأقوات ، وحديث الفتنة . وسببها ما كان من تصير مالقة إليه ، من أيدي المنتزين عليها من بني إشقيلولة ، ثم عودتها إلى سلطان الأندلس ، من أيدي رجاله ، شيوخ بني مُحَلِّيٍّ ، ثم تدارك الله المسلمين بصلاح ذات البين ، واحتل بظاهر غرناطة ، في بعض هذه الغزوات ، فنزل بقربة إسقطمر من مرجها ، واحتفل السلطان رحمه الله في برّه ، وأجزل نزله ، وتوجيه ولده إليه . وذكر سيرته شاعرهم أبو فارس عزوز في أرجوزته ، فقال :

سيرة يعقوب بن عبد الحق	قد حاز فيها قصبات السبق
بُعَيْتَان ، يقرأ الكتاب	وتذكر العلوم والآداب
يقوم للكتاب ثلث الليل	وماله عن ورده من سبيل
حتى إذا الصباح لاح وارتفع	قام وصلى للاله وركع
وضج بالتسبيح والتفديس	حتى يتم الحزب في التغليس

يقرأ أولاً كتاب السير
 ثم فتوح الشام باجتهاد
 سؤاله تعجز عنه الطلبة
 يعقد الكتب إلى وقت الضحى
 ويأمر الكتاب بالأوامر
 ويدخل الأشياخ من مَرِين
 مجلسه ليس به فُجور
 كأنهم مثلُ النجوم الزهر
 قد أسبر الوقار والسكينة
 حتى إذا ما جاز وقت الظهر
 يبتى إلى وقت صلاة الغُضر
 وينصف المظلوم من ظلمه
 ثم يؤمُّ بيته الكريما
 ثم ينام تارة ، وتارة
 ما إن ينام الليل إلا ساهرا
 فهل سمعتم مثل هذه السيرة
 لملك كان من المملوك
 كذاك كان فعله قديما
 ومن الرجز المسمى بقطع السلوك^(١) من تأليفنا، في ذكره ، قولى :
 تبوأ هذا الأمر عبد الحق
 أكرم من نال العلى بحق

(١) يشير ابن الخطيب أيضاً إلى كتابه (رقم الحلل في نظم الدوز) .

واستخلص الملك بحد المرهف
 وكان سلطانا عظيم الجود
 فأعلى الأيام نور سَعده
 عثمان ثم بعده محمد
 تمهد الملك له لما هلك
 وفتحت فأس على يديه
 وكان ذا فضل وهدي وورع
 ثم أتت وفاته المشهورة
 وهو أبو يوسف غلاب العدا
 مُمهد الملك ومورى الزند
 مدت إلى نصرته الأكف
 فافتحم البحر سريعا وعبر
 ووقعت في عهده أم-سور
 وآلت الحال إلى التيام
 حتى إذا الله إليه قبضه
 لدسن مجد عظيم الشرف
 وصدقت رؤياه في الوجود
 وبالحا أبنائه من بعده
 ثم أبو يحيى الهمام الأسعد
 وسلك السعد به حيث سلك
 والملك العلي حله لديه
 قد رسم الملك فيهم واخترع
 فولى المنصور تلك الصورة
 وواحد الأملاك بأسا وندا
 وباسط العدل ومولى الرّفد
 والروم في العدوان لا تكف
 ودافع الأعداء فيها وصبر
 وفتنة ضاقت لها الصدور
 فما أضيعت حرمة الإسلام
 قام ابنه يوسف فيها عوّضه

وفاته

توفي في شهر المحرم عام خمسة وثمانين وستماية ، بالجزيرة الخضراء
 ودُفن بها . ثم احتُمل بَعْدُ إلى سَلا ، فدفن بالجبانة المعروفة هنالك لملوك
 من بني مرين . ومحلُّ هذا السلطان في الملوك المجاهدين المرابطين معروف ،
 تغمده الله برحمته .

الأعيان والوزراء والأمثال والكبراء

يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين

أقرب القبائل المرينية إلى قبيل سلطانهم من بنى حَمَامَة . خدم جدّه بتونس ، ثم بالأندلس ، يكنى أبا زكريا ، شيخ القبيل الزناتى ، ومحراب رأيهم ، وقُطِبَ رَحَى حِمَاتِهِمْ .

حاله

كان هذا الشيخ وحيداً دهره ، وفريدَ وقته ، وشامةَ أهل جلدته ، فى النبَلِ والفطانة ، والإدراك والرّجاحة ، شديد الهزل مع البأو، والممالقة مع التّيَقُورِ ، والمهاترة مع الحشمة . عارفاً بأخلاق الملوك وشروط جُلُساتها ، حسن التّوصّل إليها ، والتّأتى لأغراضها ، بعيد الغور ، كثير النّكراء ، لطيف الحيلة ، عارفاً بسياسة الوطن ، قَيُوماً الى أطلاق أهله ، عديم الرّضا بسير الملوك ، وإن أعلقوا بالعروة الوثقى يده ، ويسرّوا على عبور عقبة الصّراط عونه ، وأقَطَعُوهُ الجَنَّةَ وحده ، طَنَازاً^(١) بهم ، مُغْرِيَا ، خائنة الأعين بتصرفاتهم ، مقتحماً جَمِي اغتياهم ، قد اتخذ ذلك سَجِيَّةً ، أقطعته جانب القَطِيعة برهة ، فارتكب لها الأدهم مدّة ، جماعة للمال ، زايدا عنه بعضى التّقدير ، وربما غَمَسَ فيه إبرةً للصدقة ، وساما بينه وبين الوزير ، مُكْفِي السّماء على الأرض ، برأيه المستعين على الفتكة وما وراءها ، بمنيع موالاتهم ، وبانيه يوم مكاشفة الملا إياه بالنّفرة ، وكان قُطِبَ الرّحى للقوم فى الوجهة إلى الأمير عبد الحلّيم ، ومقيم رسمه ، وانصرف إلى جهة مرآكش عند الهزيمة عليه ، فاتّصل بعميدها

(١) أى استهزاء بهم .

عامر بن محمد بن علي الهنتائي، وجرت عليه خطوب، وعاشت في الكثير من نعمته أكف التمزيق، ديدن الدهر، في الأموال المحتججة، والنقود المكتنزة، واستقر أخيراً بسجلماسة، في مظاهرة الأمير عبد الحلیم المذكور، وبها هلك. وكان على إزرايه ولَسب لِسانه، واخز تلال حية حدثه، ناصح الرأي لمن استنصحه، قواماً فيه بالقسط، ولو على نفسه والوالدين والأقربين، فضيلة عُرف فيها شأوه، بقيما لكثير من الرسوم الحسبية.

دخوله غرناطة

قدم غرناطة في جمادى من عام تسعة وخمسين [وسبعماية]^(١) في غرض الرسالة، ووصل صحبته قاضي الجماعة بالمغرب أبو عبد الله المقرئ، وكان من امتساكه بالأندلس، ما أوجب عودة المترجم به في شأنه، فتعدد الاستمتاع بنبله.

وفاته: توفي قتيلا في الهزيمة على الأمير عبد الحلیم بظاهر سجلماسة في ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعماية.

يحيى بن طاحه بن علي البطوي، الوزير أبو زكريا

حاله

كان مجموعاً رائعاً، حُسنَ شكل وجمال رواء، ونصاعة ظرف، واستجادة مَرَكب وبرزة، قديم الجاه، مرعى الوسيلة، درياً على الخدمة، جليداً على الوقوف والملازمة، مُجدى الجاه، تلمُّ به نوبة تواضع، يتشبت به الفقراء وأولى الكُدية، فكِه المجلس، محباً في الأدب، أليفاً للظرفاء، عاملاً على حسن الذكر وطيب الأحدثة. تولَّى الوزارة

(١) ساقطة في الإسكوريال وأضفناها ليتضح السياق.

للسلطان أبي الحسن ، ونشأ في حجر أبيه ، ماتاً إليهم بالخزولة القديمة ،
 فتملاً ما شاء من قرب ومزية ، وبأشر حصار الجبل لما نازله الطاغية ،
 لقرب عهد بفتحها ، فأبلى وحسن أثره . نشأ بالأندلس ، وسكن وادي
 آس وغرناطة ، واستحق الذكر لذلك :

شعره

وكان ينظم الشعر ، فمن ذلك قوله في مُزدوجة في غرض الفخر :

أنا ابن طلحة ولا أبال	لبث السرى في الحرب والنزال
يحي حياة البيض والعوال	مبيد كل بطل مغتال
إن سمعوا باسمي في مجال	يلقوا بأيديهم إلى النكال
أستنزل القرن لدى الصيال	وأكرس النصل على النصال
ن أملى التفريق للأموال	والجمع بين الأقوال والفعال
والشعر إن سمعه من مقال	تعلم بأن السحر في أقوال
أوشج الغريب فالأمثال	وأقرن الأشباه بالأمثال
وأفضل المرجان باللال ^(١)	وأذكر الأيام والليال
فمن أبو أمية الهلال	ومن وحيد عصره الميكال
هذا ولي في غير ذا معال	بها أعالي الدهر من أعال
كما لحسب الصميم والمعال	والمختد الضخم الحفيل الحال
وكرم الأعمام والأخوال	والصون والعفاف والأفضال
فمن يساجلني فذا سجال	ومن يناضلني فذا نضال

وفاته : توفي في أواخر عام خمسة وثلاثين وسبعماية . أصابه سهم

نفط رمى به من سور تلمسان أيام الحصار ، فقضى عليه . نفعه الله .

(١) وردت في الإسكوريال (بالثال) .

يحيى بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن الحكيم اللخمي

أخو الوزير أبي عبد الله بن الحكيم وكبيره ، يكنى أبا بكر ، رُنْدِي الأَصْل . قد مرَّ شئٌ من ذكر أوليته . دخل غرناطة مرات ، وافداً وزائراً ، وساكناً ومغربياً .

حاله

كان وزيراً جليلاً ، وقوراً عفيفاً ، سرياً فاضلاً ، رُحْبُ الجانب ، كثير الأمل ، جَمُّ المعروف ، شهير المحل ، عريض الجاه ، صريح الطُعمَة ، من أقطاب أرباب النعم ، ومُنْتَجِعِي الفِلاحة بالأندلس . استبدَّ ببلده برهة ، بإسناد ذلك إليه وإلى أخيه ، من السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب ملك المغرب ، الصَّائِر إليه أمره عند نبذها مغاضباً ، ثم أصاره إلى إيالة السلطان ، ثاني الملوك من بني نصر ، على يدى أخيه كاتبه ، ووزير ولده .

محنته ووفاته

ولما تقلد أخوه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الحكيم الأمر ، سما جاهه ، وعظم قدره ، وتعدَّد أمله ، إلى أن تعدَّى إليه أمر المحنة يوم الفتك بأخيه ، فطاح في سبيله نَشْبُه ، وذهب في حادثه الشنيع مكسبُه . واستقرَّ مُغرباً بمدينة فاس ، تحت ستر وجرابة ، وبها أدركته وفاته في أوائل شوال من عام عشرة وسبعماية .

يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق

جَدُّ الملوك من بني مَرِين ، يكنى أبا زكريا ، شيخ الغزاة ، ورئيس جميع القبائل بالأندلس .

أوليته

قد تقدمت الإشارة إلى أولية هذا البيت ، ونحن نلتمع بسبب انبياذهم عن قومهم ، وهو ما كان من قتل أخى جدّهم ، يعقوب بن عبد الله ابن عبد الحق ، ابن أخى السلطان أبى يوسف ، إذ كان ثائرا مُضعبا ، مظنةً للملك ، ومحلاً للآمال ، فنافسه ولى العهد وأوقع به ، فوقع بينهم الشّتات ، وفرّ شيوخ هذا البيت وأتباعهم إلى تِلْمْسان ، ثم اجتازوا إلى الأندلس ، منهم من آثر الجهاد ، أو نبا به ذلك الوطن ، أو شرده الخوف ، أو أحطب به الاستدعاء . فمنهم موسى وعمران والعباس ، أبناء رحو بن عبد الله ، وعثمان بن إدريس وغيرهم . فبدأت فيهم الشياخة ، وصحبهم التّقديم ، وأقامت فيهم الخُطّة ، وتردّدت بينهم الولاية .

حاله

هذا الشيخ مُستحق الرتبة ، أهلٌ لهذه الرياسة ، بأسا ونجدة ، وعِتقا وأصالة ، ودهاء ومعرفة ، طِرْفٌ في الإدراك ، عامل على الحُظوة ، مستديمٌ للنعم ، طيبٌ بالخدمة ، كثير المزاولة والحنكة ، شديد التّيَقْظ ، عظيم الملاحظة ، مُستغرق الفكرة في ترتيب الأمور الدنيوية ، بحاثٌ عن الأخبار ، ملتمس للعيون ، حسن الجوار ، مبدول النّصفه ، بقیة بيته بالعدوتين ، وشيخ رجاله . له الإمامة والتّبريز في معرفة لسانهم ، وما يتعلق به من شِعْرٍ ومُثَلٍّ وحكمة ونخب ، لو عرضت عليه رِمَمٌ من عبّر منهم لأثبتها ، فضلا عن غير ذلك ، نسابة بطونهم وشعابهم ، وعلامة سيرهم ، وعوايدهم ، ألمعى ، ذكى ، حافظ للكثير من الحكم والتّرايخ ، محفوظ الشّيبة من العصمة ، طاهر الصون والعفة ، مشهور الشّهامة

والنجدة ، معتدل السخاء ، يضع الهناء مواضع النصب فلا يُخدع عن جدته ، ولا يُطمع في غفلته . ولا ينازع فيما استحبه من مزيته ، خدم الملوك ، وخبر السير ، فترك الأخبار لعلمه ، وعَظَلَ عقله بتجربته .

تولى رئاسة القبيل وسط صفر من عام سبعة وعشرين وسبعماية ، معوضاً به عن شيخ الغزاة عثمان بن أبي العلاء^(١) ، فتنعم البيت ، وخذن الشهرة ، عندما أظلم ما بينه وبين ابن المحروق مدير الدولة ، ودافعه بالجيش ، في ملقى حرانه ، من أحواز حصن أندرش^(٢) مرات ، تناصف الحرب فيها ، وربما ندر الفلج في بعضها ، واستمرت حاله إلى سابع محرم من عام تسعة وعشرين وسبعماية . وأعيد عثمان بن أبي العلاء إلى رتبته على تفيئة مهلك ابن المحروق ، وانتقل هو إلى مكانه بوادي آش في قومه ، تحت حفظٍ ومبرة . ثم دالت له الدولة ، وعادت إلى ولده الكرة ، يوم القبض على نظرائه وقرابته ، مُترَفَى حظوته ، ولد الشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء ، عند إيقاع الفتكة بهم يوم السبت التاسع والعشرين لربيع الأول عام أحد وأربعين وسبعماية . واستمرت له الولاية ، وألقت عصاها كلفة منه بالكفو الذي سلم له المنازع ، إلى أن قبض سلطانه رحمه الله ، فجرى ولده على وتيرة أبيه ، ووفى له صاع وفائه ، فجدد ولايته ، وشدا حسه ، ونوه رتبته ، وصدر له يوم بيعته منشور كريم من إنشائي نصه :

(١) في الإسكوريال . (أبي العلى)

(٢) حصن أندرش أو بلدة أندرش Andrax . بلدة أندلسية حصينة ، تقع على مغربة من ثغر أدرة بولاية ألمرية وقد اشهرت في التاريخ ، إذ كانت مدى حين مقر أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس ، بعد تسليمه لمدينة غرناطة إلى الملكين الكاثوليكين فرناندو وإيسابيلا ، ومنها عبر فيما بعد إلى المغرب . باتفاق خاص بين الملكين المذكورين .

«هذا ظهير كريم منزلته في الظهاير الكريمة منزلة المعتمد في الظهور الكرام ،
 أطلع وجه التعظيم سافر القسام ، وعقد راية العز السامى الأعلام ، وجدد كريم
 المئات وقديم الذمام ، وانتضى للدفاع عن حوزة الدين حساما يقر بمضايه
 صدر الحسام ، فأعلن تجديده بشد أزr الملك ومناصحة الإسلام ، وأعرب
 عن الاعتناء الذى لا تخلق جديده أيدي الليالى والأيام . أمر به الأمير
 عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبى الحجاج ، ابن أمير المسلمين
 أبى الوليد بن نصر ، أيد الله أمره وأعز نصره ، لوليّه الذى هو عماد سلطانه ،
 وواحد خلصائه ، وسيف جهاده ، ورأس أولى الدفاع عن بلاده ، وعقد ملكه ،
 ووُسطى سلكه ، الشيخ الجليل الكبير الشهير ، الأعزّ الأسنى ، الصدر
 الأسنى ، الأحفل ، الأسعد ، الأطهر ، الأظهر ، الكذا ، أبى زكريا
 ابن الشيخ الكذا ، أبى على ابن الشيخ الكذا ، أبى زيد رحو بن عبد الله
 ابن عبد الحق ، زاد الله قدره علواً ، ومجده سمواً ، وجهاده ثناءً متلواً .
 لما كان محله من مقامه ، المحل الذى تتقاصر عنه أبصار الأطماع
 فترتد حاسرة ، وكان للدولة يداً باطشة ، وبقاة باصرة ، فنهى ملاك أمورها
 واردةً أو صادرةً ، وسيف جهادها الذى أصبحت بمضائه ظافرة ، وعلى
 أعدائها ظاهرة ، وكان له الصيت البعيد ، والذكر الحميد ، والرأى
 الشديد ، والحسب الذى يليق به التمجيد ، والقدر الذى سما منه الجيد ،
 وعرفه القريب والبعيد ، والجهاد الذى صدق به فى قواعده الاجتهاد
 والتقليد ، فإن أقام^(١) جيشاً أبعد غارته ، وإن دبّر أمراً أحكم إدارته ،
 مستظهراً بالجلال الذى لبس شارته . فهو واحد الزمان ، والعدة الرفيعة
 من عدد الإيمان ، ومن له بذاته وسلفه علو الشأن ، وسمو المكان ،

(١) وردت فى الاسكوريال (قام) .

والحسب الوثيق البُنَيان . و ابنته الكريمة . بيت بنى رحو السابقة في ولاية هذه الأوطان . والمدافعة عن حوزة الملك وحمى السلطان . إن فوخروا صدعوا بالمكارم المعلومه ، وهتوا إلى ملك المغرب ببنة العومة ، وتزينوا من حلى الغرب بالنيجان المنظومة . فهم سيوف الدين ، وأبطال الميادين ، وأسود العرين ، ونجوم سماء بنى مَرِين . وكان سلفه الكريم رضى الله عنه يستضىء من رأيه بالشهاب الثاقب ، ويحلُّه من بساط تقريبه أعلى المراتب ، ويستوضح ببركته جميع المذاهب . ويستظهر بصدق دفاعه على جهاد العدو الكاذب ، ويرى أنه عزَّ دولته ، وسيف صولته ، وذخيرة فخره ، وسياج أمره . جدَّد له هذا الرتب تجديدًا ، صير الغاية منها ابتداءً ، واستأنف به إعلاءً ، ولم يدخر عنه حُظوة ولا اعتناء .

وحين صير الله إليه مُلك المولى أبيه بمظاهرتة ، وقلده قلادة الملك بأصيل اجتهاده ، وحميد سعيه ، بعد أن سبق الألوف إلى الأخذ بشاره ، وعاجلت البطشة الكبرى يد ابتداره ، وأردى بنفسه الشقى الذى سعى فى تبيد شمل الإسلام ، وإطفاء أنواره ، على تعدد الملك يومئذ وتوفر أنصاره . فاستقر الملك فى قراره ، وانسحب السُّر على محلِّه ، وامتد ظل الحفظ على داره . عرف وسيلة من المقام الذى قامه ، والوفاء الذى رفع أعلامه ، وألقى اليه فى أهم الأمور بالمقاليد ، وألزمه ملازمة الحضور بمجلسه السعيد ، وشديد الاغتياب على قربه ، مُستنجحًا منه بالرأى السديد ، ومُستندا من وُدِّه إلى الركن الشَّدِيد ، وأقامه هذه الجزيرة الأندلسية عماد قومه ، فهو فيهم يَعْسوب الكتيبة . ووسطى العقد الفريد ، وفَذلكة الحساب وبيت القصيد . فدواره منهم للشريد . مأوى الطَّارف والتليد ، الكفيل بالحسى والمزيد . يقف ببابه أمراؤهم ، وتنعقد فى مجلسه

آراؤهم ، ويركض خلفه كبراؤهم . مجدداً من ذلك ما عقده سلنه من تقديمه ، وأوجبده مزيّة حديثه وقديسه . فهو شيخ الغزاة على اختلاف قبائلهم ، وتشعب وسايلهم ، تنفاضل درجات القبول عليهم بتعريفه ، وتشرف أقدارهم لديه بتشريفه ، وتثبت واجباتهم بتقديره ، ويناظم المزيد بتحقيقه للغناهم منهم وتقريره ، فهو بعده ، أيده الله ، قبلة آماهم . وميزان أعمالهم ، والأفق الذي يصبوب من سحب قطره غمام نواهم ، واليد التي تستمنح عادة أطمعتهم وأموالهم . فليتول ذلك عظيم القدر ، منشرح الصدر ، حالاً من دائرة جمعهم ، محل القلب من الصدر ، متألّقا في هالتها تألّق البدر ، صادعا بينهم باللغات الزناتية ، التي تدل على الأصالة العريقة ، والنجار الحرّ . وهو إن شاء الله الحسام الذي لا ينبه على الضريبة ، ولا يزيده حسنا جلب الحليّ العجيبة ، حتى يشكر الله والمسلمون اغتباط مقامه بمثلّه ، ويزرى برّه به على من أسرّ برّه من قبله ، ويجنى الملك ثمره تقريبه من محلّه . ومن وقف على الظهير الكريم من الغزاة ، آساد الكفاح ، ومتقلدى السيوف ومعتلقى الرماح ، كمامة الهيجاء وحماة البيطاح ، حيث كانوا من مؤسّطة أو ثغر ، ون أقيم في رسم من الجهاد أو أمر ، أن يعلموا قدر هذه الغاية المشرقة ، واليد المطلقة ، والحظوة المتألّقة ، فتكون أيديهم فيما قلده ردّاً ليد ، وعزائمهم متوجهة إلى مقصده . فقصده ، فقدّره فوق الأقدار ، وأمره الذي ناب أمره مقابل الابتدار ، على توالي الأيام وتعاقب الأعصار . وكتب في كذا ...

مولده

ولد بظاهر تلمسان ، عند لحاق أبيه رحمه الله بسلطانها عام أحد وتسعين (وستماية) تلقّيته من لفظه .

ومن "المُستدرك" . وتمادت ولايته إلى الأوايل من شهر رمضان عام
اثنين وستين وسبعماية . فلما تصيرت إلى قِدار ناقتها . محمد بن إسعيل
ابن نصر ، عزله ، وهمَّ به ، فغرَّبه إلى بلد الروم ، فرارا أرقَّ به البسالة
والصبر ، وتبعه الجيش ، فأصيب بجراحة ، ورد من صامته ، وجَلَى عن
نفسه ، فتخلصه عزمه ومضاؤه ، واستقرَّ عند طاغية الروم ، فأولاه من
الجميل ما يفوت الوصف ، واجتاز العُدوة ، فعُرف بها حقُّه ، وعادت
رتبة هذا الرجل ، بعد أن ردَّ الله على سلطانها ملكه ، إلى أحسن أحوالها من
الجاه والحظوة ، وانطلاق اليد . والسلطان مع ذلك مُنطوٍ له على الضَّغن
لأُمور ، منها غَمَسُ اليد في أمر عمه ، وقعوده عنه ، وهو أحوج ما كان
لنصره ، وانزحاله عنه في الشِّدة ، عندما جمعه المنزل الخشِن ، فسحب
عليه أذيال النكبة لابنه عثمان ، مُترَفٍ مرقب الظهور في عودته ، والمستأثر
بجواره ، والمحكَّم في أمره ، فتُقَبِّضُ عليهما ، وعلى من لهما مخالفاً
للوقت فيهما ، إذ كان متوفراً على الحلم لِحدَثان العودة ، وجِدَّة الإيالة ،
صبيحة يوم الإثنين لثالث عشر لرمضان عام أربعة وستين وسبعماية .
فأحاط بهم الرجال لهذا السلطان ، والتقطوا من بين قبيلهم ، ودهمهم
الرجال ، آخذين بحجزهم وأيديهم إلى دور الثفاف . ثم أركبوا الأدهم ،
وانتقلوا إلى بعض الأطباق المتفرِّقة بقصبة المُنكَب ، واقتضى نظر
السلطان جلاء المترجم به وأولاده من مرسى المنكَب ، ونقل ولده الأكبر
إلى المريَّة حسبما مرَّ في اسمه ، فليُنظر هنالك ، واستقر إلى هذا العهد ،
بعد قفوله من الحجِّ بمدينة فاس ، فلقى بها برّاً وعناية ، ولحق ولداه
بالأندلس ، وهما بها ، تحت جراية وولاية

يوسف بن هلال

صهر الأمير أبي عبد الله بن سعد^(١) .

حاله

كان شجاعاً حازماً ، أحظاه الأمير المذكور وصاهره ، وجعل لنظره حصن مطرنيش^(٢) ومواضع كثيرة . وفسدت طاعته إياه ، فقبض عليه ونكبه وعذبه ، واستخلص ما كان لنظره وتركه . فأعمل الحيلة ، ولحق بمورتلة فثار بها ، وعاهد صاحب برجلونة على تصبير ما يملكه إليه . فأعانه بجيش من النصارى ، ولم يزل يضرب ويوالي الضرب على بلنسية ويشجى أهلها ، وتملك الصخرة والصخيرة وغيرهما . واتفق أن خيلاً جهزها ابن سعد للضرب عليه ، عثرت بجملته متوجهاً إلى شنت بيطر ، فقبض عليه ، وقيد أسيراً ، فنهض به للحين إلى مورتلة وطلبه بإخلاؤها ، فأبى [فأمر] ابن مردنیش بإخراج عينه اليمنى ، فأخرجت يعود . ثم قُرب من الحصن وطلبه بإخلاؤها ، فدعا بزوجه وطلبها بإخلاء الحصن ، وإلا فتخرج عينه الأخرى ، فحمل على التكذيب ، ولم يجبه أحد ، فأخرجت للحين عينه الأخرى ، وسبق إلى شاطبة ، فبقى إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين وستماية . ونخل غرناطة ، وباشر منازلها مع الأمير صهره ، فاستحق الذكر لذلك .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنیش عاهل بلنسية ومملكة الشرق الثائر ضد الموحدين المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) وقد سبق التعريف به . وترجم له ابن الخطيب فيما تقدم (المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٢١ - ١٢٧) .

(٢) وردت في الإسكوريال (مطريشة) والصواب ما أثبتناه . وهو من حصون بلنسية الأمامية .

ومن القضاة الأصليين وغيرهم

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن بن

سمال بن مهايا المصمودى

أوليته وحاله

دخل أبو عيسى يحيى بن كثير الأندلس مع طارق بن زياد ، وقيل له اللبثى ، لأنه أسلم على يد رجل اسمه يزيد بن عامر اللبثى ، فنسب إليه ، وقيل إنهم نزلوا بنزل اللبث ، فنسبوا إليه . يُكنى يحيى هذا . أبا عيسى . وكان جليل القدر ، على الدرجة فى القضاء . ولى قضاء البيرة وبجانة مدة ، وولى قضاء جيان وطيطة ، ثم عزل عن طليطلة ، وأضيفت إليه كورة البيرة مع جيان . ثم استعفى عن جيان وبقى يلى قضاء البيرة ، وكان لا يرى القنوت فى الصلاة ، ولا يقنّت فى مسجده البتة .

مشيخته : روى عن أبي الحسن النحاس ، وسمع الموطأ من حديث اللبث وغيره من عم أبيه عبيد الله بن يحيى .

مولده : فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين ومائتين .

وفاته : توفى ليلة الثلاثاء بعد صلاة العشاء . ودفن يوم الثلاثاء بعد العصر . لثمان خلت من رجب عام سبعة وستين وثلاثمائة .

يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري

يكنى أبا عامر .

حاله

العالم الجليل ، المحدث الحافظ ، واحد عصره ، وفريد دهره .
 كان رحمه الله علماً من أعلام الأندلس ، ناصر الأهل السنة ، رادع الأهل
 الأهواء ، متكلماً دقيق النظر ، سديد البحث ، سهل المناظرة ، شديد
 التواضع ، كثير الإنصاف ، مع هيبة ووقار وسكينة ، ولّى قضاء الجماعة
 بقرطبة ثم بقرطبة ، وأقرأ بقرطبة لأكابر علمائها ونبهاؤها ، الحديث
 والأصلين وغير ذلك ، بالمسجد الجامع منها وبغيره .

مشيخته

حدث عن والده العالم المحدث أبي الحسين عبد الرحمن بن أحمد
 ابن ربيع ، وعن الشيخ الأستاذ الخطيب أبي جعفر أحمد بن يحيى الحميرى ،
 وعن الراوية المحدث أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، وعن
 لحافظ المسن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجَدِّ الفهرى ،
 والقاضى أبي عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون ، والزاهد الورع ،
 أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوى الملقى ، عرف بابن الشيخ ،
 وأبي زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الإصبهاني الواعظ ،
 والفقير القاضى أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجى .
 وفاته : بمالقة سنة سبع وثلاثين وستماية .

يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى

أوليته

تقدمت في اسم عمه أبي إسحق ، فليُنظر هنالك .

حاله

من أهل العدالة والزكا والسلف في الخطط الشرعية ، سكون ، متفنن في العلوم الشرعية من فقه وأحكام ، وله التقدم في الوقت في علم الفرائض والحساب . حبس على الزاوية التي اتخذتها بالحضرة ، موضوعات في ذلك الغرض تبيها ، لم يقصر فيها عن الإجابة ، وتولى قضاء مواضع من الأندلس ، ثم استعمل في النيابة عن قاضي الحضرة العلية ، وهو الآن قاض بمدينة وادي آش ، وخطيب بمسجدها الأعظم ، تنتابه الطلبة للأخذ عنه ، والقراءة عليه .

مشيخته

روى مع الجملة ممن هو في نمطه ، وأخذ بالإجازة عن الشيخ الأستاذ الصالح أبي إسحق بن أبي العاصي ، والخطيب أبي علي القرشي ، وعن الفقيه الخطيب أبي عبد الله البياني ، وعن الأستاذ شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن الفخار ، وأخذ عن والده وعمه أبي إسحق . وأجازته الشيخ القاضي الخطيب أبو البركات بن الحاج ، والخطيب الصالح أبو محمد بن سلمون ، والكاتب الجليل أبو بكر بن شيرين ، ورييس الكتاب أبو الحسن ابن الجياب ، وقاضي الجماعة أبو القاسم الشريف ، والخطيب أبو عبد الله القرشي ، وهو الآن بالحال المذكورة .

يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن

أبي الأحوص القرشي الفهري

يكنى أبا المجد ، ويعرف بابن الأحوص .

حاله

كان من أهل العلم والعدالة والنزاهة . وُلِّيَ كثيراً من القواعد ، فظهر من قصده الحق ، وتحريه سبيل الصواب ، ما يُؤثر عن الجَلَّةِ .

مشيخته

قرأ على والده وروى عنه ، واستدعى له بالإجازة من أعلام زمانه ، فأجازته الراوية أبو يحيى بن الفرّس ، وأبو عمر بن حوط الله ، وأبو القاسم ابن ربيع ، وأبو جعفر أحمد بن عروس العقيلي ، وأبو الوليد العطار ، والخطيب أبو إسحق الأوسى القرطبي ، والقاضي أبو الخطاب بن خليل ، وأبو جعفر الطَّبَّاع وغيرهم .

قال القاضي أبو المجد شيخنا رحمه الله ، أنشدني أبو علي الحسن ، قال أنشدني الخطيب أبو الربيع بن سالم ، قال أنشدنا أبو عمرو السِّفَاقِي ، قال أنشدنا أبو نعيم الحافظ ، قال أنشدنا عبد الله بن جعفر الجابري ، قال أنشدنا ابن المعتز :

ألم تر أن الدهر يومٌ وليلةٌ يكران من سببت عليك إلى سببت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وبالسند المذكور إلى أبي الربيع بن سالم ، قال أنشدنا أبو محمد عبد الحق ابن عبد الملك بن بونه ، قال أنشدنا أبو بكر غالب بن عطية الحافظ لنفسه :

جفوت أناسا كنت إلف وصلهم وما بالجفا عند الضرورة من ناس
بلوت فلم أحمد فأصبحت يائسا ولا شيء أشقى للنفوس من اليأس
فلا تعذلوني في انقباضى فإنسى وجدت جميع الشرف في خلطة الناس

وفاته : في اليوم التاسع عشر من شهر رجب الفرد عام خمسة وسبعماية .

يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد بن أحمد الجذامي المنتشافي

من أهل رندة ، يكنى أبا الحجاج

حاله

هذا الرجل حسن اللقاء ، طُرِفَ في التخلق والدمائة ، وحسن العشرة ،
أديب ذاكراً للأخبار ، طُلَعَةٌ ، يكتب ويشعر ، سيال الطبع مَعِينُهُ . وُلِيَ
القضاء ببلده رندة ، ثم بمرَبَلَةَ . وورد غرناطة في جملة وفود من بلده
وعلى انفراد منهم .

وجرى ذكره في « التاج المحلّي » بما نصه : حسنة الدهر الكثير
العيوب ، وتَوْبَةُ الزمان الجَمِّ الذنوب ، ما شيت من بِشْرِ يتأَلَّق ، وأدب
تتعطَّر به النَّسَمَات وتتلخَّق ، ونفس كريمة الشمايل والضرايب ، وقريحة
يقذف [بحرهما] ^(١) بدور الغرايب ، إلى خشية لله تحول بين القلوب وقرارها ،
وتُشْنِي النفوس عن اغترارها ، ولسان يبوح بأشواقه ، وجفن يسخو بدرر
آماقه ، وحرص على لقاء كل ذي علم وأدب ، وممن يمت إلى أهل
الدِّيانة والعبادة بسبب . سبق بقطره الحَلْبَةُ ، وفرع من الأدب الهَضْبَةُ ،
ورفع الراية ، وبلغ في الإحسان الغاية ، فطارت قسايدَه كل المطار ،
وتغنى بها راكب الفُلْكَ وحادي القِطار . وتقلد خُطَّة القضاء ببلده ،
وانتهت إليه رياسة الأحكام بين أهله وولده ، فوضحت المذاهب بفضل
مذهبه ، وحسن مقصده . وله شيمة في الوفا تعلم منها الآس ، وموانسة
عذبة لا تستطيعها الأكواس . وقد أثبت من كلامه ما تتحلَّى به ترايب

(١) الزيادة من النسخ .

المهارق ، ويجعل طيبه فوق المفارق . وكنت أتشوقُ إلى لقاءه ، فلقيته
بالمحلة من ظاهر جبل الفتح ، لُقيا لم تبَل صدًا ، ولا شفت كمدًا ،
وتعذّر بعد ذلك لقاءه فخاطبته بقولي :

حمدتُ على فرط المشقة رحلة أتاحت لعيني اجتلاءً محياكا
وقد كنت في التذكار بالبعد^(١) قانعا وبالريح إن هبت بعاطر رباكا
فجَلت لي النعمى بما أنعمت به على فحياها إلاله وحياكا
أبها الصدر الذي بمخاطبته يُبأى^(٢) ويُتشرّف ، والعلم الذي بالإضافة
إليه يُتعرّف ، والروض الذي لم يزل على البعد بأزهاره الغضة يُتحف .
دُمت تتزاحم على موارد ثنائك الألسن [وتروى للرواة ما يصح من أنبايك
ويَحسن]^(٣) طالما مالت إليك النفوس منّا وجنحت ، وزجرت الطائر
الميمون من رُقاعك كلما سَنحت . فالآن اتضح البيان ، وصدق الأثر
العيان . ولقد كنا للمُقام بهذه الرّحال نرتمض ، ويجنُّ الظلام فلا
نغمض ، هذا يُقلقله إصفرار كيسه ، وذا يتوجّع لبعده أنيسه ، وهذا
تروعه الأهوال ، وتضجره بتقلباتها الأحوال . فمن أنة لا تنفع ، وشكوى
إلى الله [تعالى]^(٤) ترفع . فلما ورد بقدمك البشير ، وأشار إلى ثنية
طلوعك المشير ، تشوّفت النفوس الصّديّة إلى جلايها وصيقالها ، والعقول
إلى حلِّ عقالها ، [والألسن المعجمة]^(٥) إلى فصل مقالها . ثم إن الدهر
راجع التفاته ، واستدرك ما فاته ، فلم يسمح من لقاءك إلا بلمحة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (في البعد) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (يباهى) والمعنى واحد .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالأتي (وتروى الرواة

من انبايك ما يصح ويحسن) .

(٤) الزيادة من النسخ .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال ، وفي النسخ (والأنفس المعجمة) .

ولا بعث من نسيم روضك بغير نَفْحَة . فما زاد أن هيج الأشواق فالتهبته ،
 وشن غاراتها على الجوانح فانتهبته ، وأعلّ القلوب وأمرضها ، ورمى
 ثغرة الصبر فأصاب غرضها . فإن رأيت أن تنفس عن نفسٍ شدَّ الشوق
 مُخَنَّقَهَا ، وكدر مشارب أنسها [وأذهب]^(١) رونقها ، وتتحف من
 من آدابك بدُرر تُقتنى ، وروضة طيبة الجنى ، فليست ببدع في شيمك ،
 ولا شاذة في باب كرمك . ولولا شاغل لا يبرح ، وعوائق أكثرها
 لا يُشرح ، لناست هذه السحابة في القدوم عليك ، والمثول بين يديك ،
 فتشوقى إلى اجتلاء أنوارك شديد ، وتشيعى فيك على إبلاء الزمان جديد .
 فراجعنى بقوله :

حباك فؤادى نيل بشرى وأحياكا	وحيد بآدابٍ نفايسَ حياكا
بدايعُ أبدأها بديعُ زمانه	فطاب بها ياعاطر الروض رباكا
أمهدبها أودعت قلبى علاقةً	وإن لم يزل مغربى قديماً بعلياكا
إذا ما أشار العصر نحو فرندِه ^(٢)	فإياك أعنى بالإشارة إياكا
لا تحفى لُقبياك أسمى مؤملى	وهل تحفةٌ فى الدهر إلا بُلُقياكا
وأعقبت إتحافى فرايدك التى	وجوب ثناها يالسانى أعيكا

خصصتنى أيها الحبر المخصوص بمآثر أعياء عداها وحصرها ، ومكارم
 طيب أرواح الأزاهر عطرها ، وسارت الركبان بثنايها ، وشملت الخواطر
 محبة علائها . بفرايدك الأنيقة ، وفوايدك المزرية جمالاً على أزهار
 الحديقة ، ومعارفك التى زكت حقاً وحقيقة . وهدت الضال عن سبيل
 الأدب مهيبه وطريقه ، وسبقُ تحفتك عندى أعلى التحف^(٣) ، وهو

(١) الزيادة من النفع .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وى النفع (فریده) .

(٣) وردت في الإسكوريال (تحفتك) والتصويب من النفع .

مأمول لقائك ، والتمتع بالتماح سناك الباهر وسنائك ، على حين امتدت
لذلك^(١) اللقاء أشواقى ، وعظم من فوت استنارنى بنور محياك إشفاقى ،
وتردد لهجى بما يبلغنى من معاليك ومعانيك ، وما شاده فكرك الوقاد من
مبانيك ، وما أهلت به بلاغتك من دارسه ، وما أضفت على الزمان من
رايق ملبسه ، وما جمعت من أشتاته ، وأحيت من أمواته ، وأيقظت
من سيناته ، وما جاد به الزمان من حسناته . فلترداد هذه المحاسن من أنبايك ،
وتصرف الألسنة بشنايك ، علقت النفس من هواها بأشد علاقة ، وجنحت
إلى لقاءك جنوح والهمة مشتاقة ، والحوادث الجارية تصرفها ، والعوايق الحادثة
كلما عطفت بأملها إليه ، لاتتحفها به ولا تعطفها ، إلى أن ساعد الوقت ، واستبد
البيخت ، بلقياكم^(٢) هذه السفارة الجهادية ، وجاد إسعاف الإسعاد من أمنيته بأسنى
هدية ، فلقيتكم لقيا خجل ، ولمحت أنواركم لمحة على وجل ، ومهجتي^(٣) ، فى
محاسنكم الرائقة ، ومعاليكم الفائقة ، على ما يعلمه ربنا عز وجل . وتذكرت
عند لقاءكم المأمول ، إنشاء قائل يقول :

كانت محادثة^(٤) الركبان تخبر عن محمد بن خطيب بأطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قد رأى بصبرى
قسما لعمرى أقوله وأعتقده ، وأعتدّه ، وأعتمده ، فلقد بهرت منك
المحاسن ، وفقت من يحاسن ، وقصّر عن شأوك كل بليغ لسن ، وسبقت
فدلتك النارية النورية بلاغة كل فطن ، وشهد لك الزمن أنك وحيد ،
ورئيس عصبته^(٥) الأدبية وفريده . فبورك لك فيما أنلت من الفضائل ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (دلکم) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النسخ (بلقياكم) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى النسخ (ومهجتي) .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال ، وفى النسخ (مسألة) .

(٥) وردت فى الإسكوريال (عصيته) والتصويب من النسخ .

وأوتيت من آيات المعارف التي بها نور الغزاة هائل ، ولازلت مرقاً (١)
في مراتب المعالي ، موقىً صروف الأيام والليالي .

ودن شعره بمدح الجهة النبوية ، مُصدِّراً بالنسيب لبسط الخواطر
النفسانية :

درر الدموع اعتاضها بعقيقه	لما تناهى الصب في تشويقه
كيف البقاء مع احتدام حريقه	متلهِّفٌ وفؤاده متلهَّب
أنى خلاصٌ يرتجى لغريقه	متموج بحر الدموع بنجده (٢)
ما إن يحزنُ للإعجابات مشوقه	متجرِّع صاب النوى من هاجر
يُضبي النفوس جماله بأنيقه	يُسبي الخواطر حسنه ببديعه
لا تنشئ الأهداق عن تحديقه	قيِّدُ النواظر إذ يلوح لرامي
للمسك نَفْحته كنشر فتيقه	لنبدر لمحته كبشر ضيائه
شربوا من الصِّبا كأس رحيقه	سَكِرَت خواطر لامحيه كأنهم
إلا كلَّمحهم للنع بريقه	عطشوا لثغر لا سبيل لريقه
لورقٍ إشفاقا لحال رقيقه	ماضراً مولى عاشقوه عبيده
مثل السلوِّ ولا أنا بمطيقه	عنه اصطباري ما أنا بمطيعه
فأثار شجُو مشوقه بمشوقه	سجع (٣) الحمام يشوق ترجيع الهوى
ويحقُّ أن يبكي أخو تفريقه	وبكت هديلاً راعها تفريقه
لم أقضٍ للدولى أكيد حقوقه	وبكاء أمثالي [حقٌّ] لأننى
أقبح بنسخ بروره بعقوقه -	وغفلت في زمن الشباب المنقضى
لو كنت مزدجرا لشم بروقه	وبدا المشيب وفيه زجرٌ ذوى النهى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (ترق) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (بنجده) .

(٣) هكذا في النسخ ووردت في الإسكوريال (شدت) . والأولى أرجح .

يعصل النشيج لوزره بشهيقه
 ويروم من مولاہ رتق فتوقه
 عل الرضا يحبيه درك لحوقه
 نسخاً لحكم صبوحه بغبوقه
 وسلكت ايثاراً سواء طريقه
 عرضت تسام لرايح^(٣) في سوقه
 من حزب من نال الرضا وفريقه
 هتك الدجا بضائه وشروقه
 بشر لصدق الفضل في تحقيقه
 ولسابق فضل على مسبوقه
 يحيى الفؤاد بسيره وطروقه
 سبب انتعاش الروح طيب خلوقه
 من خوفها قلبي حليف خفوقه
 ذخراً لصدمات الزمان وضيقه
 فوز الأنام يصح في تصديقه
 من هاشم زاكي النجار عريقه
 والدين نظمه لسدى تفريقه
 مستوثق بنعوته ولعوقه^(٦)

حسبي ندامة آسف مما جنى
 ويرم^(١) ماخرم الهوى زمن الصبا
 ويردد الشكوى لديه تذلاً
 فيصح من سكر التصابي صحوه^(٢)
 لو كنت يمتت التقى وصحبته
 لأفدت منه فوائداً وفرائداً
 لله أرباب القلوب فإنهم
 قاموا وقد نام الأنام فنورهم
 وتأنسوا بحبيبهم فلم به
 قصرت عنهم عندما سبقوا المدى
 لولا رجاء تلمحي^(٤) من نورهم
 وتأرجح يستاف من أرواحهم
 لفتنت^(٥) من جرائد جرائري التي
 ومعى رجاء توصل أعددته
 حبي ومدحي أحمد الهادي الذي
 أسمى الوري في منصب وبمنسب
 الحق أظهره عقيب خفائه
 ونبي هداه ضلالة من جائر

(١) هكذا وردت في النسخ ، وفي الإسكوريال (ويروم) .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ مكررة (سكره) .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (لرايح) .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (تلمح) .

(٥) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (لعيت) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الاسكوريال ووردت في النسخ (ينوته ويعوقه) .

يَهْدِي وَيَهْدِي الْفَضْلَ مِنْ تَوْفِيقِهِ
وَحَقِيقَتُهُ بِالْمَأْثَرَاتِ خَلِيقَتُهُ
تَحْنِينُهُ وَالْبَدْرُ فِي تَشْقِيقَتِهِ
وَأَجَاجُ مَاءٍ قَدْ حَلَا مِنْ رِيقِهِ
فَكَفَى الْجِيُوشَ بَتَمْرِهِ وَسُؤْيَقِهِ
وَسَلَامُ أَحْجَارِ غَدَتِ بِطَرِيقِهِ
ذَا سُرْعَةَ [بَعْرُوقِهِ وَعَدْوُوقِهِ] ^(۱)
فَقَمْرِيْبُ مَا فِيهَا رَأَى كَسْحِيقَتِهِ
نُطِقَ اللِّسَانَ فَصِيْحُهُ وَذَلِيقَتُهُ
هَرَبًا كَمَذْعُورِ الْجَنَانِ فَرُوقِهِ
تُتْلَى بَعْدُو جَلَالِهِ ^(۲) وَبَسُوقِهِ
سَبْحَانَ سَاقِيهِ بِهَا وَمُذِيقَتِهِ
جَازَ السَّمَاءَ طِبَاقَهَا بِخُرُوقِهِ
وَرِعَايَتِهِ وَعَنَايَتِهِ بِحَقُوقِهِ
يَا مُخْرَزَ الْعَلْيَا عَلَى مَخْلُوقَتِهِ
وَالْقَصْدَ لَيْسَ يَخِيْبُ فِي تَعْلِيْقَتِهِ
لَتَمَسُّكِي بَقَسُوِيَّتِهِ وَوَثِيْقَتِهِ
أَرْجُو بِقَصْدِكَ [أَنْ أَرَى] ^(۴) كَطَلِيْقَتِهِ
يَقْضَى حَصُولَ نَفْسُوذِهِ وَنَفْمُوقَتِهِ

سَبْحَانَ مَرْسِيْلِهِ إِلَيْنَا رَحْمَةً
وَالْمَعْجَزَاتِ بَدَتْ بِصِدْقِ رَسُوْلِهِ
كَالظَّبِي فِي تَكْلِيْمِهِ وَالْجِدْعُ فِي
وَالنَّارُ إِذْ خَمَدَتْ بِنُورِ وِلَادَتِهِ
وَالزَّادُ قَلَّ بِفَزَادِ بِنِ بَرَكَاتِهِ
وَنُبُوعِ مَاءِ الْكُفِّ مِنْ آيَاتِهِ
وَالنَّخْلُ لَمَّا أَنْ دَعَا مَشِيَّ لَهُ
وَالْأَرْضُ عَايِنَهَا وَقَدْ زُوِيَتْ لَهُ
وَكَذَا ذِرَاعِ الشَّاةِ قَدْ نَطَقَتْ لَهُ
وَرَمَى عِدَاهُ بِكُفِّ حَصْبَاءٍ فَانْثَنَتْ
وَعَلَيْهِ آيَاتُ الْكِتَابِ تَنْزَلَتْ
فَأَذِيْقُ مِنْ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ صَرَفَهَا
حَازَ السَّنَاءَ وَنَالَهُ بِعُرُوجِهِ
وَلَكُمْ لَهُ مِنْ آيَةٍ مِنْ رَبِّهِ
يَا خَيْرَةَ الْأَرْسَالِ عِنْدَ إِلَهِهِ
عَلَقَتْ آمَالِي بِجَاهِكَ عِدَّةٌ
وَوَثِقَتْ ^(۳) مِنْ حَبْلِ اعْتِمَادِي عُمْدَةٌ
وَلِئِنْ غَدَوْتُ أَنْخِيذَ ذَنْبِي إِنْنِي
وَكَسَادِ سُوقِي مَذَلْجَاتٍ إِلَى بَابِكُمْ

(۱) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي النَّفْحِ (بِعُرُوقِهِ وَعَدْوُوقِهِ) .

(۲) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي النَّفْحِ (جَنَابِهِ) .

(۳) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ ، وَفِي النَّفْحِ (عَلَقَتْ) .

(۴) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبْرَةُ فِي النَّفْحِ ، وَهِيَ سَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ .

ويجنُّ قلبي وهو في تغريبه
وتزيد لوعته متى حثُّ السرى
وأرى قشيب العمر أمسى بالياً
وأخاف أن أقضى ولم أقض المني
فمتى أخطُّ على اللوى رَحلى وقد
وأمرغ الخدين في تَرْبِ غدا
وأعيد [إنشادي وإنشائي] ^(٢) الثنا
حتى أميل العاشقين تطرباً
وتحيَّةُ التسليم أبلغ شافعي ^(٣)
ولذي الفخار وذى العلي ووزيره
مني السلام عليهم ^(٤) كالزهر في

[لمزاره لربِّاك] ^(١) في تشريقه
حادِ حِداً بجماله وبنوقه
ومرور دهرى جدُّ في تمزيقه
بنفوذ سهم منيتي ومروقه
بلغت ركابي للحمى وعقيقه
كالمِسك في أراج شذا منشوقه
ببديع نظم قريحتي ورقيقه
كالغُصن مرَّ صبأً على منشوقه
وثنا المديح حديثه وعتيقه
صديقته وأخى الهدى فاروقه
تأليفها والزهر في تأليفه

قال ، وكتب بذلك إلى في جملة من شعره :

هواكم بقلبي لأحكامه ^(٥) نسخ
ومن نشائي ما إن صحت منه نشوتي
عليه حياتي مذ تَمادت وميتي
ولى خلدُّ أضحى قنيص غرامه
قتلتُ سلوى حين أحييت لوعتي
وناصح كتمى إذ زكت بيناته

ومن أجله جفني بمدمه يسخُّ
سواءً به عصر المشيب أو الشرخ
وبعني إذا بالصور يتفق النفخ
ولا شركٌ يُدني إليه ولا فسخُّ
وما اجتبح بالإقرار في حالي لَطخ
يجول عليه من دموع الأسي نَضخ

(١) هذه الزيادة من النفع ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (إنشائي وإنشادي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (شافع) .

(٤) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال

(٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (محكمه)

فعهدٌ ولا نقصٌ وعقدٌ ولا فسخ
لمبناه رصٌ في الجوانح أو رسخ
سلكتُ اعتدالاً مثل ما يسلك الرخ
فبخٌ لعقل لم يطر عندها بخ
كما تندب الورق فارقها الفرخ
فمن فكرتي نسجٌ ومن أنملي نسخ

وأرجو بتحقيق هواكم بأن أفي
وما الحب إلا ما استقل ثبوته
إذا مسلكٌ لم يستقم بطريقه
بدا لضميري من سناكم تلمح
على عود ذاك اللّمع ما زلت نادياً
يدى بأياديكم وقلبي شاغل

ومن شعره أيضاً قوله في غرض يظهر منه :

فهم وهي في أشواقهم شركاء
لأرض^(١) بها بادٍ سنى وسناء
وأنفاسهم من فوقها سعداء
وأشباه مثلي مُدَنفون بَطَاء
وما قاعد والراحلون سواء
وقد صحَّ لي حبٌ وسحَّ بكاء
وإن [تك أرضاً فالحبيب] ^(٢) سماء
ذكاء عبير والضياء ذكاء
عِناني بعد البعد عنك عناء
وسلٌ بقببَاءٍ إذ يلوح قببَاء
فهل لي علاج عنده وشفاء
ودرياقه أن لو يُباح لِقَاء

إليك تحن النُّجب والنُّجباء
تَحُبُّ بركاب تحبُّ وصولها
فأنفاسها ما أن تني صعداؤها
هموا عالجوا إذ عجل السير داءهم
فعدت ودوني للحبيب ترحلوا
له وعليه حبٌ قلبي وأدمعي
بطيبة هل أرضى وتبدو سماؤها^(٢)
شذا نفعها واللّمع منها كأنه
فيا حاديا غنّي وللركب^(٤) حاديا
بسِلْعِ فسلِّ عما أقاسى من الهوى
وفي عالج مني بقلبي لاعج
وفي الرقمتين^(٥) أرقيم الشوق لاذع

(١) هذه الكلمة واردة في النفع ، وساقطة في الإسكوريان .

(٢) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريان وكأنها

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النفع . وفي الإسكوريان (وإن تك أرضى بالحبيب)

(٤) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريان (والذكر) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في النفع ، وفي الإسكوريان (وبالرقمتين)

أما كن تمكين وأرض بها الرضى

ومن المقطوعات قوله :

أدب الفتى فى أن يرى متيقظاً
فإذا تمسك بالهوى بهوى به

ومن ذلك :

يامن بدنياه ظلُّ فى لججج
تطمع فى إرثك الفلاح وقد
كن حنوراً فى الذى طمعت به

وقال :

ترى شعروا أنى غبطت نسيمه
كما قابلت زهر الرياض وقبلت

وقال :

ورد المشيب مبيضا بوروده
يا ليته لو كان بيض بالتقى
إن المشيب غدا رداء للردى

وأنشدنى صاحبنا القاضى أبو الحسن ، قال ، مما أنشدنى الشيخ

أبو الحجاج لنفسه :

لوعة الحب فى فؤادى تعاصت
كيف يبرأ من علة وعليها
فانسكاب الدموع جارٍ فجارٍ

وأرجاء فيها للمشوق رجاء

لأوامرٍ من ربِّه ونسواه
[والحبل منه] (١) لمن تيقن واه

حقق بأن النجاة فى الشاط
أضعت ما قبله من أشرط
من حجب نقص وحجب إسقاط

ذكت بتلاقى الروض غب الغمايم
تغور أقاحيه بلا لوم لايم

ما كان من شعر الشببية حالكا
ما سورته مآثم من حالكا
فإذا علاك أجد فى ترحالكا

أن تداوى ولو أتى [الفراق] (٢)
زائد علة النوى والفراق
والتهاب الضلوع راق فراق

(١) مكانها بياض بالإسكوريال والإضافة من النفع .

(٢) وردت فى الإسكوريال (الفراق) والتصويب من النفع .

نبذة من أخباره

نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن ، قال
 حاكيا عنه ، ومن غريب ما حدثني به ، قال كنت جالسا بين أيدي
 الخطيب أبي القاسم التاكروتي صبيحة يوم بمسجد مالقة الأعظم ، فقال
 لنا في أثناء حديثه ، رأيت البارحة في عالم النوم ، كأن أبا عبد الله
 الجلياني يأتيني ببיתי شعر في يده وهما :

كل علم يكون للمرء شغلا بسوى الحق قادح في رشاده
 فإذا كان لله فيه حظ فهو مما يُعده لمعاده

قال ، فلم ينفصل المجلس ، حتى دخل علينا الفقيه الأديب
 أبو عبد الله الجلياني والبيتان عنده ، فعرضهما على الشيخ . وأخبره أنه
 صنعهما البارحة . [فقال له كل من في المجلس ، أخبرنا بهذا الشيخ
 قبل مجيئك ، فكان هذا من العجائب] (١) . وقد وقعت الإشارة لذلك
 في اسم الشيخ .

مشيخته

منقول من خطه في ثبتٍ أجاز فيه أولادى ، أسعدهم الله ، بعد خطابة
 بليغة . قال فمن شيوخى الذين رويت عنهم . واسترُفدتُ البركة منهم ،
 الشيخ الخطيب الصالح المتفنن ، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد
 الباهلى . والشيخ الإمام أبو جعفر بن الزبير ، والشيخ الوزير المشاور
 أبو عبد الله بن أنى عامر بن ربيع ، والقاضى العدل أبو عبد الله محمد
 ابن على بن محمد بن برطال . والشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله
 الطنجالى . والراوية المسن أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن الرندى الطنجى ،

(١) صفح ١٠٠ من الحاصرتين نقلا عن النصح .

والمدرس الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي بن شالة ، والخطيبان
الأمثاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى ، وأبو عثمان سعيد
ابن إبراهيم بن عيسى الحميرى ، والشيخ الصالح أبو الحسين
عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن منظور ، والخطيب الصالح
العلامة المصنف أبو جعفر بن الزيات ، والفقير القاضى أبو جعفر
ابن عبد الوهاب ، والشيخ الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن الكماد ، والخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقى ، والعدل
أبو الحسن علي بن محمد الطائى ، ابن مستقور ، والخطيب الصالح
أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيرى ، والقاضى العدل الحاج
أبو محمد عبد الله بن أبى أحمد بن زيد الغرناطى ، والشيخ الراوية الحاج
الرحال الصوفى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسى العجمى
الأفشرى ، والقاضى الحسيب أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد
ابن عياض ، والقاضى أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمى ، والأستاذ
أبو إسحق الغافقى ، والإمام أبو القاسمى بن الشَّاط ، والخطيب القاضى
أبو عبد الله القرطبى ، والراوية أبو القاسم البليفيقى ، والمحدث أبو القاسم
التجيبى ، والخطيب أبو عبد الله الغمارى ، والإمام الكبير ناصر الدين
المشدالى ، والفقير الصوفى أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلى عرف
بالمسفر من أهل بجاية ، وقاضى القضاة بتونس أبو إسحق بن عبد الرفيع ،
والعلامة أبو عبد الله بن راشد ، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون ، والعلامة
الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذائى .
قال ، وكلهم أجازنى عامة ما يرويه ، وكان ممن لقيته . وقرأت عليه ،
إلا المدرس أبا الحسن بن شالة ، فوقع لى شك فى إجازته .

تواليفه

قال ، ومما (١) يسر الله تعالى فيه من التأليف ، كتاب « ملاذ المستعبد ، وعباذ المستعين ، في بعض خصائص سيد المرسلين ، في الأحاديث الأربعين المروية على آيات من الذكر الحكيم والنور المبين » . وكتاب تخصيص (٢) القرب وتحصيل الأرب ، وقبول الرأي الرشيد ، في تخميس الوتريات النبويات لابن رشيد . وانتشاق النسمات النجدية ، واتساق النزعات الجدية . وغرر الأمانى المسفرات في نظم المكفرات . والنفحات الرندية واللمحات الزندية ، وهو مجموع شعري . وحقائق بركات المنام ، في مرأى المصطفى خير الأنام . والاستشفاء بالعدة ، والاستشعاع بالعمدة ، في تخميس القصيدة النبوية المسماة بالبردة . وتوجع الرائي في تنوع المرائي . واعتلاق المسائل بأفضل الوسائل . ولمح البهيج ، ونفح الأريج ، في ترجيز ما لولى الله أبى مدين شعيب بن الحسين الأنصارى رضى الله عنه ، من عبارات حكمة وإشارات صوفية . وتجريد رؤوس مسائل البيان والتحصيل ، لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل . وفهرسة روايتي . ورجز في ذكر مشيخة شيخنا الراوية أبى عمر الطنجي ، رحمه الله وإسناده . قال ، ومما كنت شرعت فيه ولم يتفق تمامه ، كتاب سميته « عواطف الأعتاب ، في لطايف أسباب المتاب » . ومما بيدي الآن جمعه وهو إن شاء الله على التمام ، أربعون حديثاً متصلة الإسناد ، أول حديث منها في الخوف ، والثانى في الرجاء ، بلواحق تتبعها ، وسميته « أرج الأرجاء ، في مزج الخوف والرجاء » . والله يصفح عنا ، ويغفر زلاتنا . وأن لا يجعل ما نتولاه من

(١) وردت في الإسكوريال (ومن) فاقتضى التصويب .

(٢) وردت في الإسكوريال (تحسين) ، والتصويب من النفع .

ذلك حجة علينا ، وأن نكون ممن مُنح مقولاً ، ومنع معقولاً ، ويختتم لنا
 بخواتم السُّعداء من عباده ، ومن وفقَّ وهَدَى إلى سبيل رشاده .
 وفاته : كان حياً عام أحد وستين وسبعماية .

ومن المقرين

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى

يكنى أبا زكريا ، شيخنا أبو زكريا بن هذيل رحمه الله أرجدونى^(١)
 الأصل ، ينسب إلى سلفه أملاك ومعاهد كولايج هذيل ، مما يدل على
 أصالة .

حاله

كان آخر حَمَلَة الفنون العقلية بالأندلس ، وخاتمة العلماء بها ،
 من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب ، إلى إمتاع المحاضرة ،
 وحسن المجالسة ، وعموم الفائدة ، وحسن العهد ، وسلامة الصدر ،
 وحفظ الغيب ، والبراءة من التصنع والسُّمت ، مؤثراً للخموم ، غير مبال
 بالناس ، مشغولاً بخاصة نفسه . خدم أخيراً باب السلطان بصناعة
 الطب ، وقعد بالمدرسة بقرناطة ، يقرئ الأصول والفرايض والطب .
 عمن أخذ : قرأ على جملة من شيوخ وقته ، كالأستاذ أبي بكر بن الفخار ،
 أخذ عنه العربية والأدب . وقرأ الطب على أبي عبد الله الأركشي ،
 وأبي زكريا القمصرى ، وجملة من الإسلاميين بالمدونة . وقرأ كراسة الإمام
 فخر الدين الرازى المداية بالآيات البيئات . على الأستاذ أبي القاسم بن جابر .

(١) نسبة إلى أرجدونه أو أرشدونة Archidona وقد سبق التعريف بها (المجلد

الثالث من الإحاطة ص ٤٥٩ حاشية) .

ونظر الأصول على الأستاذ النظَّار أبي القاسم بن الشَّاطِ . وأخذ الحساب عن أبي الحسن بن راشد . والحساب والهندسة والأصول وكثيراً من عمليات الحساب وجَبْرُه ومقابلته والنجوم ، على الأستاذ أبي عبد الله بن الرِّقَام ، ولازمه كثيراً .

توالياه

وله تصانيف وأوضاع منها ، ديوان شعره المسمى بالسليمانيات والعربيات^(١) وتنشيط الكسل . ومنها شرحه لكراسة الفخر ، وهو غريب المأخذ ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين . وكتابه المسمى «بالاختيار والاعتبار في الطب» . وكتابه المسمى «بالتذكرة في الطب» .

شعره

وجرى ذكره في التاج المحلَّى بما نصه : درة بين الناس مُغفلة ، وخزانة على كل فائدة مُغفلة ، وهدية من الدهر الضنين لبنيه مُحتفلة . أبدع من رتب التعاليم وعلمها ، ورَكَّض في الألواح قلمها ، وأتقن من صور الهيئة ومثلها . وأسس قواعد البراهين وأثَّلها ، وأعرف من زاول شكاية ، ودفع عن جسم نيكاية ، إلى غير ذلك من المشاركة في العلوم ، والوصول من المجهول إلى المعلوم ، والمحاضرة المستفزة للحلوم ، والدُّعابة التي ما خلع العذار فيها بالمعلوم فما شيت من نفس عذبة الشِّيم ، وأخلاق كالرهر من بعد الدِّيم ، ومحاضرة تُتُحف المجالس والمحاضر ، ومدكره يروق النواظر رهرها الناضر . وله أدب ذهب في الإجابة كل

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (والعرفيات)

مذهب ، وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب ، والأدب نقطة من حوضه ،
 وزهرة من زهرات روضه ، وسيمر له في هذا الديوان ، ما يبهر العقول ،
 ويحاسن برؤائه ورائق بهائه ، الفيرند المصقول .
 فمن ذلك ما خرّجته من ديوان شعره المسمى « بالسليمانيات والعربيات »
 من النسب :

بفاس من الدرب الطويل مطالعه	ألا أستودع الرحمن بدرأ مكملًا
وفي أفق الأكباد تُلْفَى مواقعه	وفي قلبك الأزرار يطلع سعده
فتصدّق في قطع الرجاء قواطعه	يصير (١) مرآه منجم مُقلّتي
وماء الحيا فيه ترَجَّرَج مائه	تجسّم من نور (٢) الملاحه خده
فيحمر قانيه ويبيض ناصعه	تلون كالحريراء في خجلاته
كفُضن النقا غنت عليه سواجعه	إذا اهتز غنى حليّه فوق نحبره
وتقطف من واو العذار توابعه	يذكر حتف الصبّ عامل قدره
فهذا هو الماضي وذاك يُضارعه	أعدّ للورى سيفًا كسيف لحاظه

ومن أخرى في النسب ، وتضمّنت التورية الحسنة :

وهجرُك أم ليل السلم لتائق	وصالك هذا أم تحية بارق
بصفحة خدى من دموع سوابق	أناديك (٣) والأشواق تركض حجرها
قضت مهجتي بين العذيب وبارق	أبارق ثغر من عذيب رُضابه

ومنها :

فلا تُتعبن ربيع الصبا في رسالة ولا تُخجل الطيف الذي [هو طارق] (٤)

(١) وردت في الإسكوريال يسير . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ماء) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (أباديك) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (كان طارق) .

متى طعمت عيني الكرى بعد بعدكم فإني في دعوى الهوى غير صادق
 [قوله « أبارق ثغر من عذيب رضابه » ينظر إلى قول ابن النبيه في م
 ذلك :

يلوى على زرد العذار دلاله كم فتنة بين اللوى وزرود [
 ومن قصيدة ثبتت في السليمانيات :

بدا بدر تم فوقه الليل عسعا . وجنة أنس في صباح تنفسا
 حوى النجم قِرْطًا والدرارى مُقلدا . وأسبل من مسك الذوايب (١) حنيسا
 كأن سنا الإصباح رام يزورنا . وخاف العيون الرامقات فغلسا
 أتى يحمل التوراة (٢) ظبيًا مُزَنرا . لطيف التثنى أشنب الشجر العسا
 وقابل أحبار اليهود بوجهه . فبارك ربِّي (٣) عليه وقدسا

ومنها وتماجن ما شاء غفر الله له :

رويت ولوعى من ضلوعى مُسَلِّسلا . فأصبحت في علم الغرام مُدرِّسا
 ننى النوم عنى كى [أكون مسهدا] (٤) . فأصبحت في صيد الخيال مهندسا
 غزال من الفردوس تسقيه أدمعى . ويأوى إلى قلبى مثيلا ومكنسا
 طغى ورد خديه بجنات (٥) صدغه . فأضعفه بالآس نبثا وما أسا

[قوله طغى ورد خديه ، البيت محال على معنى فلاحى ، إذ من أقوالهم
 أن الآس ، إذا اغترس بين شجر الورد ، أضعفته بالخاصية] .

وقال أيضاً من قصيدة مهيارية :

- (١) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (الذوابة) والأولى أرجح
- (٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (التورية) .
- (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مولانا) .
- (٤) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريال (منجما) .
- (٥) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريال (بجنان) .

لاَهْتَزَّازَ الطَّلُّ فِي مَهْدِ الْخَزَامِي
 فَهَوَتْ تَلْثَمُ أَفْوَاهَ النَّدَامِي
 وَغَدَا فِي وَجْنَةِ الصُّبْحِ لِشَامَا
 قَدْ سَقَّتَهُ رَاحَةَ الصَّبْحِ مُدَامَا
 مِسْكَةٌ (١) اللَّيْلِ عَلَيْهِنَّ نَحَامَا
 أَشْفَى بِالسَّقَمِ الَّذِي حَزَّتْ سِقَامَا
 هَمَّتْ فِي أَرْضِهَا حَلُّوا غَيْرَامَا
 ضَرَبُوا فِيهَا مِنَ الْمِسْكِ خِيَامَا
 لَوْ أَذِنْتُمْ لَجُفُونِي أَنْ تَنَامَا
 لَوْ أَتَيْتُ تَحْمِلُ مِنْ سَلْمِي سَلَامَا
 تَسْكُبُ الدَّمْعَ عَلَى الرَّبْعِ سِجَامَا
 يَوْمَهَا الْأَنْتَاتُ طَارَحْنَ الْعِجَامَا
 وَهُوَ لِلْعَيْنَيْنِ قَدْ أَلْقَى كَلَامَا
 ضَمَّةَ الْجُدْرَانِ (٢) لَثْمًا وَالتَّرَامَا
 فَهَمَّ الْقَلْبُ مَعَانِيهَا فَهَامَا
 حَسِبْتُ حَظِّي مِنْهُ أَنْ أَرْعَى الذَّمَامَا

نَامَ طِفْلُ النَّبْتِ فِي حَجَرِ النَّعَامِي
 وَسَقَّتِي الْوَشْمِيُّ أَغْصَانِ النَّقَا
 كَحَلِّ الْفَجْرِ لَهُمْ جَفْنُ الدُّجَى
 تَحْسِبُ الْبَدْرَ مُحْيِيًا ثَمَلِ
 حَوْلَهُ الزَّهْرُ كَوْوَسٍ قَدْ غَدَتْ
 يَا عَلِيلَ الرِّيحِ رِفْقًا عَسَلْنِي
 وَأَبْلَغْنَ شَوْقِي عَرِيبًا (٢) بِاللَّوِي
 فَرَشُوا فِيهَا مِنَ الدَّرِّ حَصِي
 كُنْتُ أَشْفَى غَلَّةً مِنْ صَدِّكُمْ
 وَاسْتَفَدْتُ الرُّوحَ مِنْ رِيحِ الصَّبَا
 نَشَاتٌ لِلصَّبِّ مِنْهَا زَفْرَةٌ
 طَرِبَ الْبَرْقُ مَعَ الْقَلْبِ بِهَا
 طَلُّ لَا تَسْتَشْفِي الْأُذُنَ بِهِ
 قَرَّكَ السَّاكِنُ لِي مِنْ وَضْلِهِ
 نَزَعَاتٍ مِنْ سَلِيمَانَ بِهَا
 شَادَنْ يَرْبَعِي حَشَاشَاتِ الْحَشَى

وقال من قصيدة أولها في غرض النسيب :

أَأَرْجُو أَمَانًا مَكَ وَاللَّحْظُ غَادِرٌ وَيَثْبُتُ عَقْلِي فِيكَ وَالطَّرْفُ سَاحِرٌ
 أَعَدُّ سَلِيمَانَ أَلِيمٍ عَدَاةً لَهْدُهُدٍ (٤) قَلْبِي فَهُوَ لِلسَّيْرِ صَانِرٌ

(١) وردت في الإسكوريال (مسكية) ، والتصويب من النفع

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النفع (عريب) .

(٣) وردت في الإسكوريال (الجدبان) ، والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النفع (الطائر) والأولى أرجح .

وناظر أفكارى بمغناه ناظر
فقلبي له عن طيب نفس مهاجر
فإني بتمويه العواذل كافر
وقلبي لما في وجنتيه مجاور
كما اهتز من قطر الغمامة طائر
ولم يدر أن الضد للضد قاهر
فمضمّر سرى فوق خدى ظاهر
فقل لي كيف حال (٣) الدمع والبين حاضر
لكثرة ما شئت عليه المرائر

قلايدُ يا قوت عليها الجواهر
يُقَطَّب فتبدو الكؤوس سراير
وقد غفرتُ فيها لدى الكبائر

أقصد بطيفك مُدْنَفًا قد غمّضا
بالسُهد من بعد الأُحبة عَوْضا
لكنّ منامى عن جُفونى أَعْرَضا
يوم النوى وتشكّكت فيما مضى

ما فهمت إلا سليمان الرضا

أشاهد منه الحُسن في كل نظرة
دَعَتْ للهوى أنصار سحر جُفونه
إذا شقَّ عن بدر الدجى أفق ذرّه
وفي حُرْم السلوان طافت (١) خواطرى
وقد ينزع القلب المُبلى لسَلْوَة
يقابل أغراضى بضدّ مرادهما
ونارُ اشتياقى [صعدت] (٢) مُزَن آدمعى
وقد كنت باكى العين والبين غايب
وليس النوى بالطبع مسرّاً وإنما
ومنها في وصف ليلة :

وزنجية فات الكؤوس بنحرها
ولا عيب فيها غير أن ذباها
تجنبت فيها نيل كل صغيرة
ومن السليمانيات من قصيدة :

يا بارقا قاد الخيال فأومضا
ذاك الذى قد كنت تعهدنايما
لا تحسبني مُعرضا عن طيفه
عجب الوشاة لمهجتي أن لم تدب
ومنها :

خفيت لهم من سرّ صبرى آية

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (طابت) .

(٢) هذه الكلمة واردة في النسخ ، وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

فلمثله أمر الهوى قد فوضا
وسللت سيفاً من جفونك منتضى

لله درك ناهجاً سبيل الهوى
أمنت نملاً فوق خدك سارحا
ومن الأمداح قوله من قصيدة :

إذا كعت الأبطال والجو عابس
لقلت لتوديع أنته الفوارس
مجالاً وهم في راحتيه فرائس (١)

حريص على جرّ الذوايب والقنا
وتعتنق الأبطال لولا سقوطها
إذا اختطفنهم كفه فسروجهم

وقال يمدح السلطان أمير المسلمين أبا الوليد، نصر عند قدومه من فتح

أشكر (٢) من قصيدة أولها :

كتائبُ سَكَّانِ السَّمَاءِ لَهَا جَنَدٌ
تَضِيقُ بِهِ الدُّنْيَا إِذَا رَاحَ أَوْ يَغْدُو
كَأَنَّ جَنَاحَ الرُّوحِ مِنْ فَوْقِهِ بَنَدٌ
وَلَوْ هُمْ لَانْتَقَدَتْ إِلَيْهِ السُّنْدُ وَالْهِنْدُ
تُنْمِنُهُ [وَهُنَا] (٤) كَمَا نَمُّ الْبَرْدِ
وَوَقَعَ الْقَنَا رَعْدٌ إِذَا بَرَقَ الْهِنْدُ

بعيث البنود الحمر والأسد الورد
وتحت لواء النصر ملك هو (٣) الوري
تأمنت الأرواح في ظل بنبده
فلو رام إدراك النجوم لناها
بعيني بحر النقع تحت أسنة
سماء عجاج والأسنة شهبها
وفي وصف آلة النقط :

[فحاق بهم من دونها] (٥) الصعق والرعد
مهندمة (٦) تأتي الجبال فتنهده

وظنوا بأن الرعد والصعق في السما
عجائب أشكال سما هرّمس بها

(١) هكذا وردت في النسخ، وفي الإسكوريال، (عرايس). والأولى أرجح بالنسبة للمعنى

(٢) هي بلدة أندلسية تقع شمال مدينة بسطة وشرق مدينة قيجاطة وبالإسبانية Huescar

(٣) هكذا وردت في النسخ، وفي الإسكوريال (هدى) والأولى أكثر تمثيلاً مع المعنى.

(٤) هذه الكلمة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال.

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال، ووردت معرفة في النسخ كالآتي (حاق به

من أيده)

(٦) هكذا في الإسكوريال، وفي النسخ (مهندمة).

إلا إنها الدنيا تريك عجائبا وما في القوى منها فلا بُدُّ أن يبدو

وكتب وهو معتقل بسبب عمل تولاه جحدرية أولها :

تباعد عني منزلٌ وحبيب
وإني على قرب الحبيب مع النوى
لقد بُعدت عني ديارٌ قريبة
ومنها :

أعاشر قوماً ما تقر نفوسهم
إذا شعروا من جارهم بتأوه
فلا ذلك يشكوهم هذا تأسفاً
كأنني في غاب الليوث مُسلماً (٢)
تحكم فينا الدهر والعقل حاضر
ولو مال بالجهال ميلته بنا
رفيق بمن لا ينثنى عن جريمة
وتطمعنا منه بوارق خُلب
إذا ما تشبثنا بأذيال بُسرده
أدار علينا صولجانا ولم يكن
ومنها :

أيا دهر إني قد سئمت تهدي
إذا خفق البرق الطروق (٥) أجابه
أجرني فإن السهم منك مصيب
فؤادي ودمع المقاتلين سكوب

(١) وردت في الإسكوريال (أجابتهم) والتصويب من النفع .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مسلم) .

(٣) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (أديب) وهو تحريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (الحلوب) .

(٥) هكذا وردت في النفع ، ووردت في الإسكوريال (الطروب) والأولى أرجح .

وإن طلع الكف الخضيب بسحره (١) فدمعى بحناء الدماء خضيب
تذكرني الأسحار داراً ألفتها فيشتد حزني والحمام طروب
إذا علفت نفسي بليت وربما تكاد تفيض أو تكاد تذوب
دعوتك ربي والدعاء ضراعة وأنت تُناجى بالدعا فتجيب
لئن كان عقي الصبر فوزاً أو غبطة فإني على الصبر الجميل دروب
وبعثت إليه هدية من البادية ، فقال يصف منها ديكا ، وكتب بذلك
رحمة الله عليه :

أيا صديقاً جعلته سندا فراح فيما أحبه وغدا
طلبت منكم صريداً كنا خنثا وجهتموني مكانه لبدا
صير مني مؤرخاً ولكم ظللت في علمه من البلدا
قلت له آدم أتعرّفه قال حفيدي بعصرنا (٢) ولدا
نوح وطوفانه رأيتهما قال علونا لفيضه أحدا
فقلت هل لي بجرهم خبر فقتل قومي وجيرقي السعدا
فقلت قحطان هل مررت به قال نفثنا ببرده العقدا
فقلت صف لي سباً وساكنها فعند هذا تنفس الصعدا
وقال كم لي بدجنهم سحرا من صرخة لي وللنوم هدا
فقلت هاروت هل سمعت به فقال ريشي لسحره نفدا
فقلت (٣) كسرى وآل شرعته فقال كنا بجيشه وفدا
ولوا وصاروا وها أنا لبد فهل رأيتم من فوقهم أحدا
ديك إذا ما انثنى لفكرته رأى الوجود (٤) طرايقاً قددا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (سحيرة) .

(٢) هكذا في النسخ ، وفي الإسكوريال (بعصره) والأولى أرجح .

(٣) وردت في الإسكوريال (فقال) والتصويب من النسخ .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، وفي النسخ (وجودا) .

يرفل في طيلسانه وإلهأ
 إذا دجا الليل غاب هيكله
 كأنما جنسار لحيته
 كأن حصنا علا بهامته
 يرنو بياقوتتى لواحظه
 كأن منجالتى ذؤابتسه (١)
 وعوسج مد من مخالبه
 فذاك ديك حلت محاسنه
 يطلبنى بالذى فعلت به
 وجهته محنة لا كلسه
 قد صير الدهر لونه كيدا
 كأن حبرا عليه قد جمدا
 برجان حازا من الهوا مدا
 أعدده للقتال فيه عدا
 كأنما اللحظ منه قد رمدا
 قوس سما من أجله بعدا
 طغى بها فى نقصاره وعدا
 له صراخ بين الديوك غدا
 فكم فللنا بلبتية مدا
 والله ما كان ذاك منى سدى

ولم نزل بعد نستعدى عليه بإقراره ، بقتله ، ونطلبه بالقود عند
 تصرفه فى العمل ، فيوجه الدية ، لنا فى ذلك رسائل .
 ومن شعره فى غرض الحسن بن هانى :

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا
 وقد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم
 فما استيقظوا إلا لصكة بابهم
 وقام بها البطريق يسعى ملبيا
 فقلنا له آمنا فإننا عصا
 وما قصدنا إلا الكؤوس وإنما
 ففتحت الأبواب بالرحب منهم
 فلما رأى زقى أماسى ومزهرى
 وقد شرفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى
 وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
 فأدهش رهبانا وروع قسيسا
 وقد ليز الناقوس رفقا وتانيسا
 أتينا لتثليث وإن شيت تسدينا
 لحننا له فى القول خبثا وتدليسا
 وعرس طلاب المدامة تهريسا
 دعانى أتانيسا لحننت وتلبيسا

(١) هكذا فى الإسكوريال ، وفى النسخ (ذوائبه) .

وقام إلى دَنْ يَفْضُ خْتامه
وطاف بها رطب البنان مُزَنَّر
سُلافا جواها القار لبسا فخلتها
إلى أن سَطَا بالقوم سُلطان نومهم
وثبتُ إليه بالعناق فقال لي
كتبت بدمع العين صفحة خدّه
فبيس الذي احتلنا وكدنا عليهم
فبتنسا يرانا الله شرَّ عصابة
وقال بديهة في غزالة من النحاس على بركة في محل طلب منه ذلك فيه :

عنت لنا من وحش وجرة ظبية
وأظنها إذا حدت آذانها
حيث بقرني رأسها إذ لم نجد
حنت على الندمان من إفلاسهم
لله درُّ غرالة أبدت لنا
جاءت لورد الماء ملىء عنانها
ريعت بنا (٢) فتوقفت بمكانها
يوم اللقاء تحية بينانها
مخرمت قضيب لجينها لحنانها
دُرَّ الحجاب تصوغه بلسانها

وفاته

فليج فالتزم المنزل عندي لمكان فضله ، ووجوب حقّه ، وقد كانت
زوجته توفيت ، وصحبه عليها وجدٌ شديد ، وحزنٌ مُلازم ، فلما ثقل ،
وقربت وفاته ، استدعاني ، وقد كان لسانه لا يُبين القول ، وأملى على
فيما وصاني به من مُهم أمره :

إذا مت فادفني حذاء حليلتي
ولا تدفني في البقيع ذائني
ورتب ضريحي كيفما شاء الهوى
يُخالط عظمي في التراب عظامها
أريد إلى يوم الحساب التزامها
تكون أمامي أو أكون أمامها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (فكيس تكييسا) .

(٢) هكذا في النسخ . وفي الإسكوريال (لنا) والأولى أرجح .

لعل إله العرش يجبر صبدعتي فيعالي مقامى عنده ومقامها
ومات في ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعماية ،
ودفنته عصره بباب البيرة حذاء حليته كما عهد ، رحمة الله عليه

يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى^(١)

من أهل الجزيرة الخضراء .

حاله

كان كاتباً ثرثاراً ، أديباً لودعياً ، كثير النظم والنثر . كتب عن
أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب ، وابنه أبي يعقوب ، واحتل معهم بظاهر
غرناطة .

كتابته

كتب عن المذكور عند نزوله غازيا ومجاهدا بظاهر شريش ما نصه :
أخونا الذى يسير بما يخلده بطون أوراق الدفاتر ، من ماثور حميد
المآثر ، ويتلقى ما يرد عليه من قبلنا من منشور حزب البشائر ، بمعاشر
القبائل والعشائر ، ويفوق ما قبسته المنن لأقلام وأفواه المحابر ، فى مراقب
مراقى المنابر ، ويجمع لا وشته سحايب الخواطر ، من روضات السجلات فى
النوادي والمحاضر ، الأمير الكذا ، أدام الله اهتزازة للأنبياء السارة وارتياحه ،
ونعم بها أرواحه ، ووصل بكل أرج من نسيم الجدل ، ومبتهج من وسيم
الأمل ، غدوه ورواحه ، وأحب به أرواحه . سلام كريم عليكم ، ورحمة الله
وبركاته . من أخيكم ، الذى لا يتيم بشره إلا بأخذكم منه بأوفى حظ ،
وأوفر نصيب ، ومصافيكم الذى لا يكمل سروره ، وبجمل حُبوره ، حتى

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (الشنوف) .

يكون لكم فيه سهم مُصِيب ، ومَرَعَى نَحْصِيب ، الأَمِير يوسُف ابن أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن عبد الحق .

أَمَّا بعد حمد الله مُحِق الحق بتَصْعِيدِه فوق النُّجُوم ومُعْلِيَه ، ومُبْطِل الباطل بتَصْرِيْبِه تحت النُّجُوم ومُدْلِيَه ، ومَطْهَر الأَرْض من نجس دنس الكفر وأوْلِيَه ، ضَرْبًا بِالْمُرْهَفَات صَبْرًا وطَعْنَا بِالْمُشْفَعَات دِرَاكًا ، وجَاعِل بِلَاد الشَّرِك الأَسَار عُبَاد الإِفْكَ ، بِمَا نَظْمَهُم من سِلْك المُلْك ، وبَدْدَهُم من هَتَك السُّتْر ، بِالْفَتَك والسَّفَك ، حِبَائِل لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَأَشْرَاكًا ، وَخَاذِل من زَلَّتْ عَن السُّور قَدْمُه ، وَخَرَجَتْ من الدُّور ذِمْمُه ، بَأَنَّ يُرَاق دَمُه ، وَيُعْدَم وجوده وَقَدْمُه ، بِلَوْغًا لِأَمَان أَمَانِي الإِيمَان وَإِدْرَاكًا ، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام عَلِي سَيِدِنَا مُحَمَّد ، نَازِم فَرَائِد الفَرَائِد ، وَمُنْضِد عَوَائِد المَوَاعِد ، بِالظَّفَر المُنْتَظَر بِكُل جَا حِد مُعَانِد ، قَلَائِد لَا تَنْتَشِر وَأَسْلَاكًا - وَسَالِك مَسَالِك الغَزَوَات ، وَنَاسِك مَنَاسِك الخَلَوَات ، وَمُدْرِك مَدَارِك قَبُول الدَّعَوَات ، إِفْنَاءً لِأَعْدَاءِ اللهِ وَإِهْلَاكًا : وَالرِّضَا عَن آلِهِ وَصَحْبِهِ ، المُرْتَدِّين بِمَنْنِهِ ، المُهْتَدِينَ بِسُنَنِهِ ، فِي إِبَاحَةِ حَرَمِ الحَرَمِ ، وَإِزَاحَةِ ظُلْمِ الظُّلْمِ ، حَنَادِس وَأَحْلَاكًا ، القَارَعِينَ بِأَسْيَافِهِم أَصْلَابِ كِلَابِ الصُّلْبَانِ تَبَاكًا ، وَالقَارَعِينَ أَبْوَابِ ثَوَابِ الرَّحْمَنِ نُسَاكًا ، وَمَوَالَاةِ الدَّعَاءِ لِسَيِدِنَا وَمَوْلَانَا الوَالِدِ ، بِتَخْلِيدِ السَّعْدِ المُسَاعِدِ ، وَإِدَارَةِ الإِرَادَةِ بِعَضْدِ مِنَ النُّصْرِ وَسَاعِدِ ، مَقَادِيرِ كَمَا يَشَاءُ وَأَفْلَاكًا ، وَمَمَالَاتِ آيَاتِهِ آيَاتِ ، هَذِهِ الرَّأْيَاتِ ، بِإِدْرَاكِ نَهَائِيَاتِ الغَايَاتِ ، فِي اشْتِبَاهِ أَشْيَاءِ ذَوِي الشَّيَاطِينِ ، فَلَا تَذُرُ فِي الأَرْضِ كُفْرًا ، وَلَا تَدْعُ فِيهَا إِشْرَاكًا . فَكْتَبْنَاهُ ، كَتَبَ اللهُ لِإِخَائِكُمُ الكَرِيمِ أَرْفَعَ الدَّرَجَاتِ عُلَاً ، وَأَتَمَّهَا تَعْظِيمًا ، وَفَضَلَكُمْ مَعَ القَعُودِ عَنِ الشُّهُودِ بِالنِّيَّةِ الَّتِي لَهَا أَكْرَمُ وَرُودِ ، وَأَصْدَقُ وَفُودِ ، أَجْرًا عَظِيمًا . مِنْ مَنزَلِنَا مَخْنُقِ شَرِيْشِ ، حَيْثُ الكِتَابِيبِ

الهايلة هائلة بذرها البادية الخسوف ، والحُماة الكماة ، أكمام زهرها الداني
القُطوف ، وسوار مِعصمها النائي عن العصمة مجردات صفوف صنوف
السيوف . فالشُّفار بالأحداق ، كالأشفار بالأحداق إدارتها ، الطّاقة بحيزومها
نِطاقا ، والفتح قد لاحت مخايِلُه ، وباحت مقاوِلُه ، والكُفر فلّت مناصِلُه
وعُرفت مَقاتِلُه ، والمُتُرف يتمنى أن يلقاه قاتلُه ، فلا يقاتله فرقا ،
لا يجدون له فِراقا فواقا ، فحمائُها العُتاة لا يرون إلا سماء نقع الكِفاح ، لَمِعا
متلاقيا وائتلافا ، وكُماها لا يشربون إلا من تحت دِهِم المُطهر بنجسه
وجه الأرض ، المعدي به هريقُه من فيح حثُّهم يوم العَرَض ، المودي بإراقته
واجب الفَرَض ، إعدادا لامتثال الأمر الإلهي واعتناقا .

ومن هذا الكتاب وهو طويل : ووَصَلنا والخيل تَمْرِح في أَعَنَّتْها تَصَلِّفا ،
وتختال في مَشِيها تَغَطُّرُفا ، وتعَضُّ على لُجْمها تحدُّقا وتحرفُفا ، كأنها لم تَرَم
قُصاري قُصور النصارى ، دون تصور عنها ، أغراضا وأهدافا ، ودون
معاهدة العيون وَصَف الواصف ، ولأقلِّ مما احتوى عليه هذا الفتح ، تهتزُّ
المعاطف ، إذ الإيمان اهتزَّ إعطافا ، وتوشح به عطافا . وهل الكَتَبُ
وإن طال ، نبذة من نُبذ الفُتوح ، وقلْدة من كِبِد النُّصر المَمْنُوح ،
وزهرة من غُصن النُّدا المَرُوح ، أدنينا لإخايكم الكريم منه اقتطافا ،
والسلام .

شعره

مالي وللصبر عني دونكم حَجَبًا وطالما هزَّني أنبيى لكم ضربا
فحين شبَّ النوى في أضلعي لَبِبا هزَّرتُ سيف اضْطِباري بعدكم فنبيا
وقلت للقلوب يسألو بعدكم فأبا

غَبْتُم فغاب لذيذ الأنس والوسن ونحائبي جَددي فيكم فأرقني

ذكرى ليالينا في غفلة الزمن فارقتوني وطيبُ العيش فارقتني
 وصرتُ من بعدكم حيران مكتئباً
 من لي بقربكم في حفظ عهدكم فكم ظفرتُ به أيام ودكم
 وكم جرى دمع أجفاني لفقدكم فلو بكيتُ دماً من بُعدكم
 لم أقض من حقِّ ذاك القرب ما وجباً
 لله أيامنا ما كان أجملها أوزعتُ بأخرها شكراً^(١) وأولها
 من حُسْنها لم أزل أضبو بها ولها يا صاح صبراً على الأيام إن لها
 على تصاريفها من أمرها عجباً
 صبراً على زمن يبديك شيمته إقبلُ مساءته واحمد مسرته
 فما عسى يبلغ الإنسان مُنيتَه ومن كرهتُ ومن أحببت صحبته
 لا بد أن يفقد الإنسان من صحبها

[قلت عجباً من الشيخ ابن الخطيب رحمه الله ، في ذكره هذا المترجم
 به في ترجمة المُقربين ، مع تحليلته له ، ووصفه إياه بما وصفه من الكتابة
 والشعر ، بل وإثباته له كتابته ، وشعره ، فكان حقه أن يكون في ترجمة
 الكتاب والشعر بعد هذه الترجمة]^(٢) .

يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم بن علي الفهري
 من أهل غرناطة ، يكنى أبا الحجاج ، ويعرف بالساحلي .

حاله

من « العايد »^(٣) : صدر في حَمَلَة القرآن ، على وتيرة الفضلاء وسُنن

(١) وردت في الإسكوريال (سكر) والتصويب من الزيتونة .

(٢) من الواضح أن هذه الفقرة التي وردت بين الخاصرتين ، هي من عند مختصر المخطوط وناسخه

(٣) أي عائد الصلة . وهو من كتب ابن الخطيب .

الصالحين ، من لين الجانب ، والعُكوف على الخير ، وبذل المعروف ،
 وحسن المشاركة ، والخُفوف إلى الشفاعة . أب الأُمراء ، وخطيبتسويدهم ،
 وناب في الخطابة بالمسجد الأعظم من حمرايهم^(١) ، وكان إماما به ،
 ذا هُدى وسكينة ووقار . وحج ، ولقى المشايخ ، واعتنق الرواية والتقييد ،
 فانتفع بلقاياه .

مُشِيخَتُهُ

قرأ على الاستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير ببلده ، وعلى الشيخ
 الخطيب الصوفي أبي الحسن بن فضيلة ، وعلى الخطيب الصالح ،
 أبي جعفر بن الزيات ، والمحدث الرّحال أبي عبد الله بن رُشيد . وأخذ في
 رحلته عن جُملة ، كالخطيب الراوية ، أبي عبد الله محمد بن محمد
 ابن فُرتون ، وناصر الدين منصور بن أحمد المشدالي ، والأستاذ أبي عبد الله
 ابن جعفر اليحصبي ، وقاضي الجماعة ببيجاية الإمام أبي عبد الله بن يحيى
 الزواوى ، والفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحسن
 الشافعي . وأجازة سوى من تقدّم ذكره ، من أهل المشرق ، عبد الغفار
 ابن محمد الكلابي ، وحسن بن عمر بن علي الكردي ، وعتيق بن عبدالرحمن
 ابن أبي الفتح العمري ، ومحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني ،
 وعمر بن أبي بكر الوادي آشي ، وصالح بن عباس بن صالح بن أبي الفوارس
 الأُسَند الصديقي ، وأحمد بن محمد بن علي الكناني ، ومحمد بن أحمد ،
 وأحمد بن إسماعيل بن علي بن محمد بن الحباب ، وأم الخير ابنة
 شرف الدين ابن الطباخ الصُوفي . وقرأ ببلده غرناطة على الأستاذ

(١) يريد تصور الحمراء دار ملك بني نصر . وتقوم اليوم فوق موقع مسجد الحمراء الأعظم
 كنيسة سانتا ماريا .

أبي جعفر الطَّبَّاع ، والشيخ أبي الحسن معن بن مؤمن ، وأبي محمد النبغدي ،
وأبي الحسن البلوطي .

أنشدنا ، قال كتب إلي شيخنا محمد بن عتيق بن رشيق في الاستدعاء
الذي أجازني ، ولمن سُمِّي فيه :

أجزتُ لهم أبقاهم الله كلما رويتُ عن الأشياخ في سالف الدهر
وما سمعت أذنأي عن كل عالم وما جاد من نظمي وما راق من نثر
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم برى من التصحيف عار من النكر
وجدى رشيق شاع في الغرب ذكره وفي الشرق أيضا فادر إن كنت لا تدر
ولي مولدٌ من بعد عشرين حجة ثمان على الست المبين ابتدا عمر
وبالله توفيقى عليه توكلى له الحمد في الحاليتين في العسر واليسر
حدثني شيخنا أبو بكر بن الحكيم ، قال ، أصابتنى حمى ، فلما
انصرفت عنى ، تركت في شفتى بُثوراً على ، فزارني الفقيه أبو الحجاج
الساحلي ، فأنشدني :

حاشاك أن تمرض حاشاكا قد اشتكى قلبي لشكواكا
إن كنت محموما ضعيف القوى فإنني أحسد حمساكا
ما رَضِيتُ حُمَّاك إذ باشرت جسمك حتى قَبَلتُ فاكَا

مولده : عام سبعة وستين وستماية .

وفاته : توفي رحمه الله بالحمراء العلية ، في السابع والعشرين لشهر

رمضان من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

ومن الكتاب والشعراء بين أصلي وغيره

يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويُعرف بابن الصَّيرفي ، من أهل غرناطة .

حاله

كان نسيج وحده في البلاغة والجزالة ، والتبريز في أسلوب التاريخ ، والتملؤ من الأدب ، والمعرفة باللغة والخبر . قال أبو القاسم ، من أهل المعرفة بالأدب والعربية والفقهاء والتاريخ ، ومن الكتاب المجيدين والشعراء المطبوعين المكثرين . كتب بغرناطة عن الأمير أبي محمد تاشفين ، وله فيه نظم حسن .

مشيخته

قرأ على شيوخ بلده ، وأخذ عن العالم الحافظ أبي بكر بن العربي ونمطه .

توابعه

ألّف في تاريخ الأندلس كتاباً سماه « الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية » ضمنه العُجاب إلى سنة ثلاثين وخمسمائة . ثم وصله إلى قرب وفاته ، وكتاباً آخر سماه « تقصى الأنبياء وسياسة الرؤساء » .

شعره

قال أنشدت الأمير تاشفين في هلاك ابن رُدْمير^(١) :

أشكو الغليل بحيث المشرب الخضر حسبي وإلا فوردُ ماله صدرُ
تجهمت لي وجوه الصبر مُنكرة ولاحظتني عيونُ حشوها حذرُ

(١) هذا الاسم يطلق في الرواية العربية على الفونسو الهارب ملك أراجون . وقد سبق التعريف به (راجع المجلد الثاني من الإحاطة ص ١٢١ حاشية) .

إني لأجزع من ذاك الوعيد وفي
فلت سلاحى الليالى أى ظالمه
مُشيِّعا كنت ما استصحبت من أمل
فها أنا وعزيز فى نَامِسَة
يا حى عذره فُتياكم بنازلة
ما الحكم عندكم إذ نحن فى حُرْم
أرعانى الشهب فى أحشاء ليلتها
يفتر عن بُرد من حوله لَهَبُ
وبين أجفانه نهيف الأمير أبى
سيف به ثل عرش الروم واطَّادَتْ
وأدرك الدين بالثار المُنِيم على
مُنَى تُنال وأيام مُفَضَّضَة
وفى الذؤابة من صنهاجة مَلِكُ
مؤيد من أمير المسلمين له هوى
أنحى على الجور بمحو رَسْمِ أَحْرَفِه
يا تاشفين أما تنفك بـ ادره
وكم ترنح فى رَوْضِ جَدَاوِلِه
هى الترايك فوق الهام لا حَبَبُ
لك الكتايب ملء البيد غازية
على ساكبها للنقع أَرْدِيَة من
تدب منها إلى الأعداء سَابِلَة
بهثتها أسدا شتى إذا مَرَجَتْ

ملقى الأسنه منا مَعَشْرُ صَبِر
ولو أعادت شبابى كنت أنتصر
كما يُشيع سهم النَّازِع الوَتِير
تسود فى عينه الأوضاح والغُرر
لم تنفصل يَمَنُ عنها ولا مُضِر
على جناية رام سَهْمُه النظر
حمل من الصُّبح أرجوه وانتظر
أو عن نبات أقاح أرضه سَقَر
محمد تاشفين أو هو القَدَر
قواعد المُلْك واستولى به الظفر
رغم وجاءت صُروف الدهر تَعْتَدِر
مُذَهَّبَاتِ العشايا ليلها سَحَر
أغرُّ أبلج يُسْتَسْقَى به المَطَر
ورأى ومن سير له سِير
حتى استجار بأحداق المَهَى الحَوْرُ
من راحتك المنايا الحُمُر تَبْتَدِر
بيضُ السيوف وملتف للقنى شجر
والسَابِغَاتِ على الأعطاف لا القَدَر
إذا أتت زمرٌ منها مضت زُمُر
تحتها جَلَّق من تحتها زُبُر
عقاربُ مالها إلا القنسا إِبْر
جنُّ الوغا انقُض منها أنجم زهر

لسيفه الهام في الهيجاء والقصر
 خيل الزبير ونار الحرب تستعر
 والأسنة في هام العدا شر
 إن الصواعق يوم الغيم تنكدر
 لكن بسعدك ما لم يعطه عمر
 تكبو وتصفعها الهندية البتر
 يسيل من كل سيف نحوه نصر
 عضت ومسك من أظفاره ظفر
 وأين من فتكات الضيغم النمر
 من الأسنة حتى جاءك القدر
 وخاض بحر الوغا مر كوبك الخطر

نفوس قومك منه الآي والسور
 ملء الأعنة منها الزهو والأسر
 سمرا ترضعه اللبات والشعر
 من خده بثغور زانها أشر
 منسوجة من عيون ما لها نظر
 على الرجال التي منها لها وزر
 فض الرجاحة عوض الدهر ينحبر
 وجوه المنايا في الوغا سفروا
 إلى ضرب كما فغرت أفواها الحمر
 فضت بما مع في أحشائك الدر

يا أيها الملك الأعلى الذي سجدت
 أعز حرار ضلوعى برّد ما نهلت
 حيث الغبار دخان والظبا لهب
 والنقع يطفو وبيض الهند راسية
 أعطى الزبير فتى العلياء صارمه
 ولته أظهرها الأبطال خاضعة
 بحر من الخلق المسرود ملتطم
 أم ابن الزبير ابن رذمير بداهية
 لقد نفحت من النيجان في محم
 لقد نجوت طليق الركض في وهن
 خلعت درعا واعتضت الظلام بها
 ومنها :

ما بال إنجيلك المتروك ما ذمرت
 أهديتها غير مشكور مضمرة
 وظل طفل من البولاد دانية
 وعابس المنايا وهي ضاحكة
 وكل حارسة في الروع لا بسها
 أعدت للحرب إنذارا سخوت بها
 قضت من حمير صيد غطارفة
 ملثمون حياة كلما سفرت لهم
 جادوا بطعن كأسماع المحاص
 وحذت عنها محباً مروحة

فرّت إلى حتفها من حتفها فمضت
قالوا نجا بذا النفس منك فما
نوزعت نفسا على حشيتها طنبا
نصر عزيز وفتح ليس يعدله
فاهنا به ابن أمير المسلمين ودم
واهنا بعيدك وافخر شائيك به
جاورت بحرك تغشاني مواهبه

والموت يطردّها والموت ينتظر
نجا وقد بقرتة الحية الذكر
للساوس يحدو جيشها السهر
فتح والله فيه الحمد والشكر
للملك ما قامت الأصال والبكر
فإنها نسك الأسياف لا الجزر
فمن بذاك ونظمي هذه الدرر (١)

وأنشد أيضا من شعره قوله رحمة الله عليه :

ركبت خيلها جيوش الضلال
ملقيات ذروعها لا لوقت
حث في إثرها الأمير بعقبان
في صقيل البريك تحدث للشمس
لاث بالريح عمّة من غبار
كلما جرّها على الصلد أبت
لبست أمرها على الروم حتى
أبدلت هامها قصار قود
والذي فر عن سيوفك أودى
كنت فيها وأنت في كل حرب
يطلع البدر منك حاجب شمس

وسرت من رماحها بذبال
فيه تنضو الجلود رقص الصلال
جياذ هوت بأسد رجبال
بعكس الشعاع حمى اشتعال
ومشى للحديد في أذبال
كخطوط الصلال فوق الرمال
فجئتها كعادة الأجسال
بطوال من الرماح الطوال
بقنا الرعب في ثنايا الجبال
مغمد النصل في طلي الأبطال
ويرى الليث في إهاب هلال

(١) وردت في المخطوط تحت هذه القصيدة الفقرة الآتية : « انتهى السفر الحادي عشر والحمد لله رب العالمين ، يتلوه اختصار السفر الأخير وهو الثاني عشر ، المفتوح بقول : ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير ، وهو الثاني عشر المفتوح بالترجمة بعد ، من ترجمة الكتاب والشعراء ، وأنشد أيضا من شعره قوله رحمة الله عليه . (لوحة 417)

يا لَصْنَهَا جةٌ وحولك منهم
 ملكٌ ليس يركب الدهر إلاً
 ما عرا الجذبُ أو علا الخطبُ
 وخفيفٌ على أمور خِفاف
 لأعب المعطفين بالحمد زهواً
 مُسترقُّ النفوس خوفاً وحسناً
 شيمٌ كالغمام ينشُر في الروض
 وسجايا تفتحت زهرات
 أنت ياتاشفين والله واق
 ليس آمال من على الأرض إلاً
 وهنياً بأن نهضت وأقبلت
 وعلى الكفر منك حرٌ مُجير
 يا فتى والزمان نُعمى وبؤس
 وبما تجزع النفوس من الأمر
 رُبُّ أشياء ليس يبلغ منها
 غير أن الكلام إن جلَّ قدرا

ومن شعره ، وقد بيت العدم محلة الأمير تاشفين ، ويذكر حسن ثباته ، وقد

أسلمه قومه ، وهى من القصائد المفيدة ، المبدية فى الإحسان المعيدة :

يا أيها الملك الذى يتقنع
 ومن الذى غدر العدو به دجى
 تمضى الفوارس والطعان بصددها
 من منكم البطل الهمام الأروع
 فانفض كلُّ وهو لا يتزعزع
 عنه ويزجرها (١) الوفاء فترجع

(١) هكذا وردت فى الزبوتة ، وفى الإسكوريال (بداخرها) والأول أرجح .

والليل من وضع الترابك والظبا
 عن أربعين فنت أعنتها دجى
 لولا رجال كالجبال تعرضت
 يتفحمون على الرماح كأنهم
 ومن الدجى لهم على قمم الربى
 نصرت ظلام الكفر ظلمة ليلة
 لولا ثبوتك تاشفين لغادرت
 فثبت والأقدام تزلق والردى
 لا تعظمن على الأبي—ر فإنها
 ولكل يوم حنكة وتمرس
 يا أشجع الشجعان ليلة أمسه
 أهديك من أدب الوغا حكما بها
 لا أننى أدرى بها لـكنها
 اختر من الخلق المضاعفة التى
 والهند وانى الرفيق فإنه
 ومن الرواجل^(١) ما إذا زعزعته
 ومن الجياد الجرد كل مضمّر
 والصمة^(٢) البطل الذى لا يلتوى
 وكذاك قدر فى العدو حزامه
 خندق عليك إذا اضطربت محلة
 واجعل ببابك^(٣) فى الثقات ومن له

صبح على هام الكماة ممنع
 ألفان ألف حاسر ومقنّع
 ما كان ذاك السيل مما يُردع
 إبل عطاش والأسنة تكرع
 وذؤابة بين الظبىا تتقطع
 لم يدر فيها الفجر أين المطلع
 أخرى الليالى وهيبة لا ترقع
 حول السرادق والأسنة تقصرع
 خدع الحروب وكل حرب تخدع
 وتجارب فى مثل نفسك تنجع
 اليوم أنت على التجارب أشجع
 كانت ملوك الحرب مثلك تولع
 عذكري تخص المؤمنين وتنفع
 وصى بها صنع السوابغ تبـع
 أمضى على حلق الدلاص وأقطع
 أعطاك هزة يعطفيه الأشجع
 تُشجى بأربعه الريساح الأربع
 منه الصليب ولا يلين الأخدع
 فالنبع بالنبع المثقف يقصرع
 سيان تتبع ظافرا أو تتبع
 قلب على هول الحروب مشيع

(١) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (النابل) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الصامت) .

(٣) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (بناتك) وهو تحريف .

وتوق من كاذب الطاليع إنه لا رأى للمكذوب فيها يصنع
 فإذا احتسرت^(١) بذاك لم يك للعدا في فرصة أو في انتهاز مطمع
 حارب بمن يخشى عقابك بالذى قبل التناوش عب جيشك مفضفا
 إياك تعبئة الجيوش مضيقا حصن حواشيها وكن في قلبها
 والبس لبوسا لا يكون مشهرا واحتل لتوقع في مضايقة الوغى
 واحذر^(٢) كمين الروم عند لقائها لا تبقيين^(٣) النهر خلفك عندما
 واجعل مناجزة العدو عشية واضدمه أول وهلة لا ترتدع
 وإذا تكاثفت الرجال بمعرك حتى إذا استعصت عليك ولم
 ورأيت نار الحرب تضرم بالظبا ومضت تؤذن بالصميل جيادها
 والرمح يثنى معظفياً كأنه والريح تنشأ سحجاً هفافة^(٥)
 لا رأى للمكذوب فيها يصنع
 فإذا احتسرت^(١) بذاك لم يك للعدا في فرصة أو في انتهاز مطمع
 يخشى ومن في جود كفك يطمع
 حيث التمكّن والمجال الأوسع
 والخيال تفحص بالرجال وتمرع
 واجعل أمامك منهم من يشجع
 فيكون نحوك للعدو تطلع
 خدعاً ترويهما وأنت مؤسع
 واقض كمينك خلفها إذ تدفع
 تلقى العدو فأمره^(٤) متوقع
 ووراء الصدف الذي هو أمتع
 بعد التقدم فالنكول يضعضع
 ضنك فاطراف الرياح توسع
 يكن الأشماس دايم وتمنع
 ودخانها فوق الأسنة يسطع
 والهام تسجد والصوارم تررع
 في الرياح لا علق الفوارس يكرع
 وهي السكينة عن يمينك توضع

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة . وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الزيتونة . وفي الإسكوريال (واقدر) والاولى أرجح

(٣) هكذا وردت في الحلل الموشية . وفي الإسكوريال والزيتونة . (تلقين) . والاولى أنسب

للمعنى والسياق .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي الحلل الموشية (فنشره) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حبابة) .

أقصر الكمين على العدو فإنه
 وإذا هزمتَ عداك فاحذر كرها
 وهي الحروب قُوى النفوس وحزبها
 ثم انتهض بجميع من أحمده
 وبذاك تعتب إن تولت عصبه
 من عشرِ إعراض وجهك عنهم
 يكبو الجواد وكل حـبـر عالم
 أنى قرعتم يابنى صنهاجة
 ما أنتم إلا أسود حفيـة
 ما بال سيدكم تورط لم يكن
 إنسان عين لم يصبه منكم
 تلك التي جرّت عليكم خـطـة
 أو ما ليوسف جدّه مننّ على
 أو ما لوالده على نعمة
 ولكم بمجلس تاشفين كرامة
 ألا رعيتم ذاك وأحسابكم
 أبطأتم عن تاشفين ولم يسزل
 ردت مكارهه لكم وتوطأت
 خاف العدى لكن عليكم مشفقا
 ومن العجايب أنه مع سنه
 ولقد عفا والعفو منه سجيّة
 يا تاشفين أقم لجيشك عُذره

يعطيك من أكتـافـه ما يمنع
 واضرب وجوه كدماتها إذ ترجع
 من قوّة الأبدان فيها أنفع
 حتى يكون لك المحلُّ الأرفع
 كانت تُرفّه الوغى وترفع
 فعلُ الجميل وسُخطك المتوقّع
 يهفو وتنبؤ المرهفات القطع
 وإليكم فى الروع كان المـفـزع
 كلُّ بكل عزيمة تُستطلع
 لكم التفات نحوه وتجمع
 جفنٌ وقلبٌ أسلمته الأضلع
 شنعاء وهى على رجال أشنع
 كلُّ وفضل سابق لا يُرفع
 وبكل جيد ربة لا تُخلع
 وشفيعكم فيما يشاء مُشفع
 وأنيقتم من قـالـة تُستشنع
 إحسانه لجديعكم يتسرّع
 أكتافه إن الكريم سُميدع
 فهجعتم وجفونونه لا تهجع
 أدري وأشهر فى الخطوب وأضلع
 ولسطوة لو شاء فيكم موضع
 فالليل والقدر الذى لا يدفع

هجم العدو دجى فروع متبـالا
لا يزدهى إلا سواك بها
لما سدّت له الثنية لم يكن
وكذاك للعبير^(١) إقدام على
ولقد تقفاها الزبير وقد نجت
وغدا يعاقب والنفوس حديّة
أعطش سلاحك ثم أوردتها الوغا
كم وقعة لك في ديارهم انثنت
النعمة العظمى سلامتك الستى
لا ضيع الرحمن سعيك إنه
نستحفظ الرحمن منك وديعة

ومضى يهيم وهو منك مسروع
ولا إلا لغيرك بالسنان يققع
إلا على ظهر المنية مهيسع
أسد العرين الورد مما يجزع
إلا فلولا وإن منه المضرع
والسمر هيم والصوارم جوع
كيما يلذ لها ويصفو المشرع
عنها أعزتها تذل وتخضع
فيها من الظفر الرضى والمقنع
سعى به الإسلام ليس يضيع
فهو الحفيظ لكل ما يستودع^(٢)

وفاته : بغرناطة في حدود السبعين وخمسمائة

ومن ترجمة الشعراء من السفر الأخير

وهو الثاني عشر المفتح بالترجمة بعد^(٣)

يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام النطيلي الهذلي

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (للعين) .

(٢) نظم ابن الصير في هذه القصيدة الرنانة في مديح الأمير تاشفين بن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي والإشادة بأعماله الخربية ووقائعه المظفرة في الأندلس ، وقد أخناره والده اولايها منذ سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) . وكانت غرناطة يومئذ هي مركز الحكم المرابطي . وكان ابن الصير في الكاتب والمؤرخ ، وهو من أهل غرناطة ، من كتاب الأمير تاشفين . وقد قام الأمير تاشفين خلال حكمه بغزوات عديدة في أراضى قشتالة ، وخاض مع القشتاليين عدة وقائع مظفرة .

(٣) ورد هذا العنوان في رأس اللوحة (418) إسكوريال في منتصف ترجمة ابن الصير في ، فرأينا إثباته هنا بعد إختتامها .

أصله من تطيلة ، ودر غرناطى ، يكنى أبا بكر .

حاله

قال أبو القاسم الملاحى ، أديبُ زمانه ، وواحدُ أقرانه ، سيال القريحة ، بارع الأدب ، رائق الشعر ، عَلم في النحو واللغة والتاريخ والعروض ، وأخبار الأمم ، لحق بالفحول المتقدمين ، وأعجزت براعته ، براعة المتأخرين ، وشعره مُدَوّن ، جرى في ذلك كله طلق الجُموح . ثم انقبض ، وعكف على قراءة القرآن ، وقيام الليل ، وسرد الصوم ، وصنع المُعَشَّرات في شرف النبى عليه الصلاة والسلام . وأشعاره كثيرة ، من الزهد والتذكير للآخرة ، والتَّجريد من الدنيا ، حتى جُمع له من ذلك ديوان كبير .

شعره

من ذلك قوله من قصيدة :

أذوب حياءً إن تذكَّرت زلتى	وحلمك حتى ما أقلّ نواظرى
وأسكت مغلوباً وأطرق خجلة	على مثل أطراف القنا والتواتر
تعود بصفحٍ إثر صفحٍ تكرماً	على الذنب بعد الذنب يا خير غافر
وتلحظنى بالعفو أثناء زلتى	وتنظر منى فى خلال جرابر
وحقُّ هواك المُستكين بأضلعى	ومالك عندى من خفى ضمائر
لما قُمتُ بالمُعشار من عشر عشرة	ولو جيتُ فيه بالنجوم الزواهر
فيا أيها المولى الصَّفوح وهن به	تنوء احتمالاتى بأعباء شاكر
أنلنى من برد اليتيمين صبايةً	ألفُ بها حدَّ الهوى والهواجر
ونحلت الدجى عذراً هابت سرى	العدا إلى تغطيتنى بسود الغدائر
وخافت على عيني من السهد والبكا	فذرت بقايا الكحل من جفن ساهر

وقال راداً عن ابن رشد حين ردّ على أبي حامد في كتابه المسمى « تهافت

« التهافت »

هو اللّيل يعثى الناظرين سواده
تضمّن برساما يعزّ اعتقاده
يفوه بما يُملى عليه اختداده
فما غير البحر الخضمّ ثماده
فأخفق مسعاه وردّ اعتقاده
وأكثر ما لا يستحيل عناده
يبين على قرب وبان انفراده
فمعظمها رأى يقلّ سداؤه

كلام ابن رشد لا يبين رشاده
ولا سيما نقض التهافت إنه
كما لطرّد المحموم في هذيانه
أتى فيه بالبّهت الصّريح مغالطا
وحاول إخفاء الغزاة بالسّها
دلایل تعطيك النقيضين بالسوى
إذا أوضح المطلوب منها وضده
وأنت بيد الفكر عن ترهاته

ومن شعره :

نداء غريق في الذنوب عريق
فكم من فريقٍ شافعٍ لفريق

إليك بسطت الكفّ في فحمة الدجى
رجاك ضميرى كى تخلّص جملتى

مشيخته

أخذ عن أبيه أبي عبد الله ، وحدث عن الأستاذ أبي الحسن جابر بن محمد
التميمي ، وعن الأستاذ المقرئ ببلنسية أبي محمد عبد الله بن سعدون
التميمي الضرير ، عن أبي داود المقرئ . وقرأ أيضاً على الخطيب
أبي عبد الله محمد بن عروس ، وعلى القاضي العالم أبي الوليد بن رشد .
مولده : فجر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين لمحرّم تسعة وخمسين
وخمسمائة .

وفاته : بفرناطة عام تسعة وعشرين رستمائة .

يحيى بن يحيى

من أدل وادى آش:

حاله

بارع الأدب ، سيال القريحة ، كثير الشعره جيده في جميع أنواعه .
وكان مع ذلك موصوفا بغفلة .

شعره

ببأي غزال غازلته مُقْسَلَتِي بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه قبلة سُفَى الجوى فأجاب عنها بوعد صادق
وأتيت دنزله وقد هجع العدا أسرى إليه كالخيال الطارق
بتنا ونحن من الدجى في لُجَّة ومن النجوم الزهرتحت سُرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله صبأ كالمسك العتيق لناشق
حتى إذا ما مالت به سنه الكرى بإعدته شيئا وكان معانق
أبعدته من أضلع تشـتاقه كى لا ينام على وساد خافق
وضممته ضم الكمى لسيفه وذؤابتاه حمايل في عاتق
لما رأيت الليل ولى عمره قد شاب في ليم له ومفسارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا أعزز على بأن أراك مفارق
وفاته : توفى بمدينة وادى آش سنة أربعين وخمسمائة .

يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى

فرنشى ، وقال صفوان إنه بلى ، يكنى أبا بكر .

حاله

قال ابن عهه الملك ، كان فى وقته شاعر المغرب ، لم يكن يجرى

أحد مجراه ، من فحول الشعراء . يعترف له بذلك أكابر الأدباء ، وتشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه ، قصائده التي صارت مثالا ، وبعُدت على قريها مثالا . وشعره كثير مدون ، ويشتمل على أكثر من سبعة آلاف بيت وأربعمائة بيت . امتدح الأمراء والرؤساء ، وكتب عن بعضهم ، وحظي عندهم حُظوة تامة ، واتصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد^(١) ، وله فيه أمداح كثيرة . وبعد موته انتقل إلى إشبيلية ، وبملازمته للأمير المذكور ، وكونه في جملته ، استحق الذكر فيمن حل بغرناطة . ومن أثرته لدى ملوك^(٢) مراکش ، أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنيّه بفتح من قصيدة :

إن خير الفتوح ما جاءت عفواً مثل ما يخطب البليغ ارتجالاً
قالوا ، وكان أبو العباس الجراوي الأعمى الشاعر حاضراً ، فقطع عليه ، لحسادة وجدها ، فقال يا سيدنا اهتمم فيه بيت ابن وضاح :
خير شراب ما جاء عفواً كأنه خطبة ارتجال

فبدر المنصور ، وهو حينئذ وزير أبيه ، وسنه في حدود العشرين من عمره ، فقال إن كان قد اهتممه ، فقد استحققه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف ، فسُرَّ أبوه لجوابه ، وعجب منه الحاضرون .

ومرَّ المنصور أيام إمرته بلوقية^(٣) من أرض شلب ، ووقف على قبر أبي محمد بن حزم ، وقال عجباً لهذا الموضع ، يخرج منه مثل هذا العالم .

(١) هو الأمير محمد بن سعد بن مردنيش . أمير بلنسية وأمير الشرق المتوفى سنة ٥٦٧ هـ (١١٧٢ م) . وقد سبق التعريف به وترجم له ابن الخطيب في المجلد الثاني (ص ١٢١ - ١٢٧) .

(٢) هذا التعبير فيه تجاوز . لأنه لم يكن بالمغرب يومئذ ملوك ، وإنما كان ثمة خلفاء الموحدين .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وهو إما تحريف ، وإما أن ابن الخطيب قد وهم في ذكر اسم الموضع الذي دفن به العلامة ابن حزم . فهذا الموضع هو قرية أسرته اسمها منت ليشم وبالإسبانية Casa Montejo من أعمال مدينة لبله بولاية الغرب ، وليس من أعمال شلب التي تبعد عنها غرباً بمسافة كبيرة .

ثم قال ، كل العلماء عيال على ابن حزم . ثم رفع رأسه ، وقال ، كما ان الشعراء عيال عليك يا أبا بكر ، يخاطب ابن مجير .

شعره

من شعره يصف الخيل [العتاق] ^(١) من قصيدة في مدح المنصور :

له خُطَّت الخيلُ العِتاقُ كأنها عرايسُ أغنتها الحبول عن الحلا
فمن يَفُق كالطرس تحسب أنه وأبلى أعطى الليل نصف إهابه
وورْدُ تغشى جلده شفقُ الدجى وأشقرُ مجِّ الراحِ صِرفاً أديمه
وأشهبُ فضى الأديم مُدْنَسِر كما خطر الزاهى بمُهْرَق كاتبِ
نشأوى تهادت تطلب العرف والقصفة ^(٢) فلم تبغ خلخالاً ولا التمسست وقفها
وإن جردوه في ملاءته التفأ وغار عليه الصبح فاحتبس النصفها
فإذا حازه حلَّى له الذيل والعرفا وأصفر لم يسمح بها جلده صيرفا
عليه خطوط غير مُفهمه حرفا يجر عليه ذيله وهو ما جرفا
تنسيف أرض الشركين بها نسفا تهب على الأعداء منها عواصف
أطيباً ترى تحت العجاجة أم طرفا وقد كان في البيداء يالف سيربه
فربته مهراً وهي تحسبه خشفا تناوله لفظ الجواد لأنه متى
ما أردت الجرى أعطاكه ضعفا

ولما اتخذ المنصور ستارة المقصورة بجامعه ، وكانت منبورة على انتصابها ، إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه ، واختفائها إذا انفصلوا عنها ، أنشد في ذلك الشعراء ، فقال من قصيدة أولها :

أعلمتني ألقى عصا التسيار في بلدة ليست بدار قرار

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالآتي : تطارحت تطلب

ذالقصف والقفا .

ومنها في وصف المقصورة :

طورا تكون بمن حوته محيطة
فكأنها سور من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوة
فكأنها سر من الأسرار
وكأنما علمت مقادير الورى
فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالإمام يزورها
في قومه قامت إلى الزوار
ويكفى من شعر ابن مجير هذا القدر العجيب رحمه الله .

من روى عنه

حدث عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جمهور ، وأبو الحسن بن الفضل ،
وأبو عبد الله بن عيَّاش ، وأبو علي الشَّلوِّين ، وأبو القاسم بن أحمد
ابن حسان ، وأبو المتوكل الهيثم ، وجماعة .

وفاته : توفي بمراكش سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وسنه ثلاث
وخمسون سنة .

يوسف بن محمد بن محمد اليحصبي اللوشي ، أبو عمر

حاله

من كتاب ابن مسعدة^(١) ، خطيب الإمامة السعيدة النصرية الغالبية ،
وصاحب قلمها الأعلى . كان شيخا جليلا ، فقيهاً ، بارع الكتابة ، ماهر
الخط ، خطيباً مضيقاً ، منقطع القرين في عصره ، منفردا عن النظير
في مضره ، عزيزاً ، أنوفاً ، فاضلاً ، صالحاً ، خيراً ، شريف النفس ،
منقبضاً ، وقوراً ، صموتا ، حسن المعاشرة ، طيب المحادثة .

(١) هو أحمد بن محمد بن سعد بن مسعدة المتوفى سنة ٦٩٩ هـ . وكتابه المشار إليه هو « تاريخ
لومه وقرابته » . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من « الإحاطة » (ص ١٦٢ - ١٦٦) .

مشيخته

حدّث عن والده الشيخ الراوية أبي عبد الله ، وعن الأستاذ ابن يربوع .
ولقى بإشبيلية الأستاذ أبا الحسن الدبّاج ، ورئيس النحاة أبا علي
الشلوبين وغيرهم .

شعره

ومن شعره ، وإن كان غير كثير ، قوله :
شردّ النوم عن جفونك وانظر كلمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئ يشاهد حكمة الله أن يلدّ المنساما
وقوله :

ليس للمرء اختيار في الذي يتمنى من حراك وسكون
إنما الأمر لربّ واحد إن يشاء قال له كن فيكون

وفاته : توفي في المحرم من عام ستين وستماية ، ودفن بمقبرة باب
إلبيرة . وحضر جنازته الخاصة والعامة ، السلطان فمن دونه ، وكلُّ
ترحم عليه ، وتفجع له . حدثني حافده شيخنا ، قال ، أخرج الغالب بالله ،
يوم وفاته ، جبة له ، لبسته مرفوعة ، من ملف أبيض اللون ، مخشوشنة ،
زعم أنها من قديم مكسبه من ثمن مغنم ناله ، قبل تصير الملك إليه ،
أمر ببيعها ، وتجهيزه من ثمنها ، ففعل ، وفي هذا ما لا ما مزيد عليه من
الصحة والسلامة ، وجميل العهد ، رحم الله جميعهم .

يوسف بن علي الطرطوشي ، يكنى أبا الحجاج

حاله

من « العايد » : كان رحمه الله من أهل الفضل والتواضع ، وحسن

العشرة ، مليح الدُّعابة ، عذب الفكاهة ، مُدلاً على الأدب جدّه وهزله ،
حسن الخط ، سلس الكتابة ، جيد الشعر ، له مشاركة في الفقه ، وقيام
على الفرائض . كتب بالدار السلطانية ، وامتدح الملوك بها ، ثم توجه
إلى العُدوة ، فصحب خُطة القضاء ، عمره : مشكور السيرة ، محفوظاً
بالمبرّة .

وجرى ذكره في « الإكليل » بما نصه : روض أدب لا تعرف الدّواة
أزهاره ، ومجموع فضل لا تخفى آثاره ، كان في فنون الأدب ، مطلق
الأعنة ، وفي معاركه ماضى الظُّبا والأسنة . فإن هزل ، وإلى تلك الطريقة
اعتزل ، أبرم في الغزال ما غزل ، وبذل من دنان راحته ما بذل . وإن
صرف إلى المُعرب غرب لسانه ، وأعاره لمحة من إحسانه ، أطاعه عاصيه ،
واستجمعت لديه أقاصيه : ورَدَ على الحضرة الأندلسية ، والدنيا شابة ،
وربح القبول هابة ، فاجتلى محاسن أوطانها ، وكتب عن سلطانها . ثم كرّ
إلى وطنه وعطف ، وأسرع اللحاق كالبارق إذا خطف ، وتوفى عن سن
عالية ، وبرود من العمر بالية .

ومن شعره أيام حلولة هذه البلاد ، قوله ، يمدح الوزير ابن الحكيم ،
ويلم بذكر السُّلم في أيامه :

وما سوى هجركم عندي بموهوب	رضاكم إن مننتم خير مرهوب
مقابل الرضا من غير تشريب	لكم كما شيتم العُتبي وعتبكم
فعمى أنال منه لدهرى طب مطبوب	منسوا بلحظ رضى لى ساعة
ثغور سعدي بتقريب فتقريب	فكم أثارت لى الأيام وابتسمت
والآن يوصفن بالسود الغرابيب	قد كن بيضاً رعابيبا بقربكم
مرتّب للاماني أى ترتيب	آها لدهر تقضى لى بيساكم

ما كان إلا كأحلام سررت بها
يا ليت شعري هل تقضين بعودته
ومنها :

يا أيها السيد الأعلى الذي ياد حازت
فلو سألنا بلاد الله عن كرم
لقُلن إن كان جودٌ لا يضاف لذي
فالعُود جنسٌ ولكن في إضافته
من سيد لا يُوفى الحمد واجبه
له المحامد لا تُحصى ولا عجب
تناول الشرف الأقصى بعزيمة ذى
وواصل المجد من آياته شرفاً
وجاء مكتسباً أعلى ذخائره
ردء الخليفة لا يرتاح من نصب
موفقُ الرأي مأمون النقيبة في
تهابه النفس إذ ترجوه من شرف
ومنها :

يا أوحد العصر في فضل وفي كرم
أعدت فديت لأمرى مُنعماً نظراً
أولا ارتكاب حسودى لأمر فى ضررى
هذا زمانى ومنك الأمن حاربنى
فامنن بتفريج كربي بالرضا
إن لم أذق من رضاكم ما ألد به

فواصلت حال تقويض بتطبيب
فأقدر الحُسن منه بعد تجريب

ندى السُحب مسكوباً بمسكوب
فيها لكفيه والأنواء منسوب
الوزارتين فجودٌ غير محسوب
للهند يختصُّ عود الهند بالطيب
ولو تواصل مكتوباً بمكتسوب
فرمل عالج شيء غير محسوب
ظن نبيل الأمانى غير مكذوب
بمجده وصل أنبوباً بأنبوب
والمجد ما بين موروث ومكسُوب
في بذل نصح لحفظ منصوب
تدبير ذى حُنكة صحت وتدريب
فشأنه بين مرهوب ومرغوب

خصال قاطع دهره فى التجاريب
ينل به هم حالى بعض تشبيب
ما كان ظهر النوى عندى بمركوب
حتى أرائى فى حالات مخروب
فاذا رَضيت لم أك من شيء بمكروب
فلا حياة بماكول ومشروب

ومن شعر :

بذكرك تُشرح أي العسلا وتسند اخباره في الصحيح
 بأفقك يشرق بذرُّ السُّنا وباسمك يحسُن نظمُ المديح
 وما يحسن العِقدُ إلا إذا تحلَّت به ذاتُ وجهه مليح
 وفاته : كان حياً عام أحد وأربعين وسبعماية .

ومن ترجمة المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء

يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن علي الأنصاري

يكنى أبا بكر ، ويعرف بالعشَّاب ، ويعرف بالبرشاني (١) .

حاله

كان هذا الشيخ من أهل الخير ، كثير التؤدة والصمت ، معرضاً عما لا يعنيه . رحل إلى الحج ، وأقام هنالك سنين ، وقفل منها فخطب بأرْجبة (٢) . وأخذ ببلاد المشرق عن قطب الدين القسطلاني ، وأبي الفضل ابن خطيب المري ، وزين الدين أبي بكر محمد بن اسماعيل الأنماطي . ولقى أبا علي بن الأخوص بالأندلس ولم يأخذ عنه . أنشدني شيخنا أبو البركات ، قال أنشدني الشيخ أبو بكر البرشاني ، وقد لقيته بأرْجبة . قال أنشدنا الإمام أبو عبد الله بن النعمان عن قطب الدين :

إذا كان أنسى في لزومي وحدتي وقلبي من كل البرية خال
 فما ضرني من كان لي الدهر قالياً وما سرني من كان في مُوال

(١) البرشاني نسبة إلى برشانة وبالإسبانية Purchena بلدة من أعمال إقليم المرية تقع على مقربة من جنوبي نهر المنصورة شمال المرية وغرب بلدة المنصورة .

(٢) أرْجبة وبالإسبانية Orjiva بلدة صغيرة من أعمال غرناطة تقع شمال ثغر متريل وجنوب شرق غرناطة .

ومن المال

يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن
يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن أسامة الأنصاري النجاري
قال القاضي المؤرخ أبو الحسن بن الحسن مملية ، والذي رفع إلى هذا
النسب للركانة ، هو صاحبنا الفقيه أبو القاسم ولده ، ورفع هذا النسب
بحاله من التكرار دليل على أصالته .

حاله

من أهل الخير والخصوصية ، وحسن الرأى والوقار ، والحياء ،
والمودة . نبه القدر ، معروف الأمانة ، صدر في أهل العقد والحل ببلده ،
بيته بيت صنون وخير واستعمال ، مولو لم يكن من بركات هذا الرجل ،
وآثار فضله ، إلا ابنه صدر الفضلاء ، وبقية الخواص أبو القاسم ،
لكفاه . تولى قيادة الديون بمالقة بلده ، أرفع الخطط الشرعية العملية ،
فحمدت سيرته .

وفاته بمالقة في وعلى قبره مكتوب من نظم ولده :

إلهي خدي في التراب تذلاً	بسطة عسي رحماك يحيي بها الروح
وجاوزت أجدات المسالك خاضعاً	وقلبي مصدوع ودمعي مسفوح
ووجهت وجهي نحو جودك ضارعاً	لعل الرضا من جنب حلمك ممنوح
أتيت فقيراً والذنوب تؤدني	وفي القلب من خوف الجرائم تبريح
ولم أعتمد إلا الرجاء وسيلة	وإخلاص إيمان به الصدر مشروح
وأنت غني عن عذابي وعالم	بفقرى وباب العفو عندك مفتوح
فهب لي عفواً من لدنك ورحمةً	يكون بها من ربقة الذنب تسريح

وصل على المختار ما هَمع الحيا وما طلعت شمس وما هبت الريح

ومن ترجمة الزهاد والصلحاء

يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى

من أهل أنفا من بيت عمال يعرفون ببني التُّرجمان أولى [شهرة] (١) وشدة على الناس وضغط . وكان من الحظوة وضدها بباب سلطانهم ، ديدن الجُباة . غُرب عنهم وانقطع إلى لقاء الصالحين ، وصحبة الفقراء المتجردين ، وقدم على الأندلس عابدا ، كثير العمل ، على حداثة سنه ، ونزل برباط السودان ، من خارج مالقة ، واشتهر ، وانثال عليه الناس . ثم راض طول ذلك الاجتهاد ، وأنس بمداخلة الناس .

حاله

هذا الرجل نسيج وحده في الكفاية ، وطلاقة اللسان ، مدل على أغراض الصوفية ، حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم ، متكلّم في مشكلات أقوالهم ، قايم على كثير من أخبارهم ، يستظهر حفظ جزأى إسماعيل الهروى المسمى «بمنازل السائرين إلى الحق» ، والقصيدة الكبيرة لابن الفارض . عديم النظير في ذلك كله ، مليح الملبس ، مترفع عن الكُدية ، عزيز النفس ، قليل الإطراء ، حسن الحديث ، عذب التّجاوز فيه ، على سنن من السّداجة والسّلامة والرجولة والحمل ، صاحب شهرة قرعت به أبواب الملوك بالمدوتين . وعلى ذلك فمغضوض منه ، محمول عليه ، لما جبل عليه من رفض الاضطّلاع ، وترك السّمت ، واضطراح التغافل ، وولوعه

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه ، مرشحاً ذلك بالجد المبرم ،
 ذاهبا أقصى مذاهب القبحه ، كثير الفلّات . نالته بسبب هذه البلية
 محن كثيرة ، أفلت منها بجريعة الذقن ، ووسم بالوهن في دينه ، مع صحة
 العقل^(١) . وكان الآن عامرا للرباط المنسوب إلى اللجام ، على رسم الشياخة ،
 وعدم التابع ، مهجور الفناء .

مشيخته

زعم أنه حج ، ولقى جلة ، منهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان
 المالقي ، ولقاؤه إياه ، وصحبته ، معروف بالأندلس ، وغير ذلك
 مما يدعيه متعدد الأسماء .

تواليفه

قيّد الكثير من الأجزاء ، منها في نسبة الذنب إلى الذاكر ، جزء نبيل
 غريب المأخذ ، وفيما أشكل من كتاب أبي محمد بن الشيخ . وصنف
 كتاباً كبير الحجم في الاعتقاد ، جلب فيه كثيراً من الأقوال والحكايات ،
 رأيت عليه بخط شيخنا عبد الله بن المقرئ ما يدل على استحسانه ،
 وطلب مني الكتب عليه بمثل ذلك ، فكتبت له ببعض ورقاته ، إثارة
 لضجره ، واستدعاءً لفكاهة انزعاجه ، ما نصه : وقفت من الكتاب المنسوب
 لأبي زكريا البرغواطى ، على برسام محموم ، واختلاط مَذْمُوم^(٢) ، وانتساب
 زنج في روم ، وكان حقه أن ينتهيب طريقاً لم يسلكها ، ويتجنب غفلة
 لم يملكها ، إذ المذكور ، لم يتلق شيئاً من علم الأصول ، ولا نظر في
 الإعراب في فصل من الفصول . إنسا هي قحة وخلاف ، وتهاون بالمعارف

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (المقد) والأوف أرجح .

(٢) وردت في الإسكوريال (موم) . والتصويب من الزيتونة .

واستخفاف . غير أنه يحفظ في طريق القوم كل نادرة ، وفيه رجولة ظاهرة ، وعنده طلاقة لسان ، وكفاية قلماً تتأتى للإنسان . فإلى الله نَسَلُ أن يعرفنا بمقادير الأشياء ، ويجعلنا بمنزلة عن الأغبياء . وقد قلت مرتجلاً عند أول نظرة ، واجتزأت بقليل من كثرة :

كل جار لغاية مرجوة فهدى لم يعد حدَّ الفتوة
وأراك اقتحمت ليلاً بهيماً^(١) مولجاً منك ناقةً في كوبة
لا أتباعاً ولا اختراعاً أرتنا إذ نظرنا عروسك المجلوة
كل ما قلته فقد قاله الناس مقالا آياته متلوة
لم تزد غير أن أبحت حمى الإعراب في كل لفظة مقسرة
نسل الله فكرة تلزم العقل إلى حِشمة تحوطها^(٢) المروءة
وعزيز على أن كب يحيى ثم لم نأخذ الكتاب بقوة

ومن البرسام الذي يجرى على لسانه بين الجدِّ والقحة ، والجهالة والمجانة ، قوله لبعض خدام باب السلطان ، وقد ضويق في شيء أضجره منقولاً من خطه ، بعد رد كثير منه إلى الإعراب :

الله نور السموات من غير نار ، ولا غيرها ، والسلطان ظلاله وسراجُه في الأرض ، ولكل منهما فراش مما يليق به ، ويُتهافت عليه . فهو تعالى مُحرقُ فراشه بذاته ، مغرقهم بصفاته ، وسراجُه وظلُّه . وهو السلطان محرق فراشه بناره ، مُغرقهم بزَيْتِه ونواله . ففراشُ الله ، ينقسم إلى حامدين^(٣) ، ومُسَبِّحين ، ومُسْتَغْفِرِينَ ، وأمناء وشاخصين . وفراشُ السلطان

(١) وردت في الإسكوريال (بهجا) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) وردت في الإسكوريال (تحوط) والتصويب من الزيتونة .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وردت محرفة في الإسكوريال (حافين) .

ينقسمون إلى أقسام ، لا ينفكُ أحدهم عنها . وهم وزَّعة ابن وزَّعة ،
وكلب ابن كلب ، وكلب مطلقا ، وعارُ ابن عار ، وملعون ابن ملعون ،
وقط [ابن قط] ^(١) ، ومُحق . فأما الوزَّعة ، فهو المحرق في زيت نواله ،
المشغول بذلك عما يليق بصاحب النُّعمة من النصح ، وبذل الجهد .
والكلب ابن الكلب ، هو الكيُّس المتحرِّز في تَهافتِه ، من إحراق وإغراق ،
يعطى بعض الحق ، ويأخذ بعضه . وأما الكلب مطلقا ، فو الواجد
والمشرد ^(٢) للسفهاء عن الباب المعظم لقليل النُّعمة . وأما العارُ ابن عار
فهو المتعاطى في تَهافتِه ما فوق الطُّوق ، ولهذا امتاز هذا الإسم بالرياسة
عند العامة ، إذا مرَّ بهم جِلْفٌ أو مُتَعَاط ، يقولون ، هذا العارُ ابن عار ،
يحسب نفسه رئيسا ، وذلك بقرب المناسبة ، فهو موضوع لبعض الرياسة ،
كما أن الكلب ابن الكلب لبعض الكياسة . وأما الملعون ابن الملعون ،
فهو الغالط المُعانَد ، المشارك لربِّه ، المنعم عليه في كبريائه وسلطانه .
وأما القُطُّ فهو الفقير مثلي ، المُستَغنى عنه ، بكونه لا تُخصُّ به رتبة ،
فتارة في حِجْر الملك ، وتارة في السُّناس ، وتارة في أعلى المراتب ،
وتارة أُسنُّ ، تارة مُسيءٌ ، تُغفر سيئاته الكثيرة بأدنى حسنة ، إذ هو
من الطوافين ، مُتطير بقتله وإهانته ، تيبَّاه في بعض الأحيان لعزَّة يجدها
في نفسه ، من حُرْمَة أبقاها الشارع له ، وكل ذلك لا يخفى . وأما الفِراش
المُحق ، فهو عند الدُّول نوعان ، تارة يكون ظاهرا وحظُّه مسح المصباح ،
وإصلاح فتيله ، وتصفية زيتِه ، وستر دخانه ، ومُسايسة ما أعوز من
المطلوب منه . ووجود هذا شديد الملازمة ظاهراً . وأما المُحقُّ الباطن ،

(١) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (المجدد) .

فهو المشار إليه في دولته بالصلاح والزهد والورع ، فتستقبله الخلق لتعظيمه ، وتركه لما هو بسبيله ، فيكون وسيلةً بينهم وبين ربهم ، وخليفته الذي هو مصباحهم . فإذا أراد الله بهلاك الدولة ، وإطفاء مصباحها تولى ذلك أهل البطالة والجهالة ، فكان الأمر كما رأيتم ، والكل يعمل على شاكلته .

وأفضى به الهوى ، وتسور حمى السياسة ، والإغياؤ في ميدان القحعة إلى مصرع السوء ، فجُلِدَ جلدًا عنيفًا بين يدي السلطان ، كان سبب وفاته في المُطَبِّق ، وذلك في شهر المحرم من عام ثمانية وستين وسبع مائة . وقانا الله المَعْرَات ، وجَنَّبنا سُبُل المَضْرَّات ، وفي كثرة تبجُّحه باصطلاح المنطق قيل :

لقد كان يحيي منطقيًا مُجادلا	تجارى في سبيل الهوى وتهورا
غدا مطلق التقوى وراح مكما	وأصبح من فوق الجدار مُسورا
فما نال من معنى اصطلاح أداره	سوى أن بدا في نفسه وتصورا
تجاوز الله عنا وعنه ...	

كل كتاب الإحاطة

بيان تكميلي عن مخطوط الإسكوريال

وعن القوائم باختصار كتاب «الإحاطة»

لقد اعتمدنا في تحقيق كتاب «الإحاطة» منذ السفر السابع على مخطوط الإسكوريال رقم 1668 الغزيري ، ورقم 1673 ديرنبور ، وذلك حسبما بينا في مقدمة المجلد الأول من الإحاطة (ص ١٣ و ١٤) ، وحسبما سجلنا ذلك في المجلد الثاني من الإحاطة (ص ٣١٥) ، وجعلناه عمدة لتحقيق حتى نهاية الموسوعة الأندلسية الكبرى .

وقد بينا في مقدمتنا كذلك أن مخطوط الإسكوريال ، قد وسم في صفحة عنوانه بأنه «السفر الثاني» من «مختصر الإحاطة» ، وأنه قد ذكر في مواضع كثيرة منه ، ما يدل على إجراء هذا الاختصار بصورة منتظمة (المقدمة ص ٨) ، كما سطر على صفحة العنوان ، بأنه كان « ملكا للسلطان مولاي زيدان ، أمير المؤمنين بن أحمد بن المنصور ، أمير المؤمنين » أو بعبارة أخرى ، كان ضمن المكتبة الزيدانية الشهيرة ، التي استولى عليها الإسبان قسرا في عرض البحر ، سنة ١٦١٢ م ، وضمت إلى مجموعة الاسكوريال الملكية ، ونقلنا خلال كثير من التراجم ، ما كان يرد بها من إضافات أو تعليقات ، سواء في صلبها أو على هامشها ، مما كنا ننسبه نحن إلى ناسخ المخطوط .

بيد أنه قد وضح لنا في نفس الوقت : ولا سيما في الأقسام الأخيرة من الكتاب ، أن هذه الإضافات والتعليقات ، التي يتسم الكثير منها بالطابع العلمي وبالمعرفة المستنيرة ، أنها من وضع مختصر كتاب «الإحاطة» حسبما نوهنا بذلك في غير موضع في تراجم الأسفار الأخيرة ، ورأينا أن ذلك ما يتفق مع ما وسم به المخطوط في صفحة عنوانه ، من أنه السفر الثاني

من مختصر « الإحاطة » وهو ما نستنتج منه أن المخطوط هو الجزء الثاني من نسخة كانت تتألف من جزئين كبيرين ، هما « مختصر كتاب الإحاطة » . وقد أشرنا في المقدمة إلى بعض ما وقع من صنوف هذا الاختصار ، حسبنا وقفنا عليها من تتبع إشارات « المختصر » خلال المخطوط ، وسعظما ينحصر في اختصار مشيخة المترجم له أو حذفها ، أو إغفال بعض القصائد أو جزء منها ، وإغفال بعض المختارات النثرية أو اختصارها ، كما أشرنا إلى أنه لم يثبت أن هذا الاختصار قد أصاب النصوص التاريخية المحضة ، حسبنا تبين ذلك من مقارنات كثيرة ، لما نقله المقرئ في « نفع الطيب » من تراجم « الإحاطة » .

وقد كانت نيتنا أن نقف عند هذا الحد في الحديث عن أوضاع كتاب « الإحاطة » ، لولا ما حدث خلال طبع المجلد الرابع والأخير منه ، من وقوفنا على حقائق جديدة ، حملتنا على وجوب استكمال هذا البحث ، ومحاولة الوقوف على اسم مختصر كتاب « الإحاطة » . وذلك أننا خلال عملنا في تحقيق كتاب « ريحانة الكتاب » ، لابن الخطيب ، قد لفت نظرنا عدة حقائق جديدة هامة نلخصها فيما يلي :

أولاً - أن مخطوط كتاب الريحانة المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم 1820 الغزيري و برقم 1825 ديرنبور ، قد كتب بنفس الخط الأندلسي المطعم بالسمة المغربية الذي كتب به مخطوط « السفر الثاني » من « مختصر الإحاطة » رقم 1763 ديرنبور .

ثانياً - أنه كتب ، حسبنا ورد في خاتمته في شوال سنة ثمانية وثمانين وثمان مائة (٨٨٨ هـ) في تاريخ مقارب لكتابة نسخة « الإحاطة » ، حيث كتبت في ربيع الآخر سنة ٨٩٥ هـ .

ثالثاً - أنه يوجد تماثل كبير بين العبارات التي اختتم بها كل من المخطوطين .
فقد اختتم مخطوط كتاب « الريحانة » بما يأتي : « إنتهى هذا الكتاب
المسمى « بريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » على يد ناسخها لنفسه ، ثم
لهن شاء من ولده من بعده ، عبد الله المقر بذنوبه ، الراجي عفوره ،
أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد
البقنى الأنصارى ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، بتاريخ أواسط شوال عام ثمانية
وثمانين وثمان مائة . والحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى .
وورد في ختام مخطوط « مختصر الإحاطة » ما يأتي : « إنتهى
السفر الأخير منه حيث عرف بنفسه ، وشيوخه ، رحمة الله على الجميع .
قلت . وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله ما أردناه واستوفيناه ،
واستلحقناه ، وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها ، وعم بالعلماء الأعلام
وصالحى الإسلام عمرانها ، وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة
وتسعين وثمان مائة . والحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .
ومن جهة أخرى ، فإنه من الواضح مما ورد في صيغة عنوان مخطوط
كتاب « الريحانة » وذكر مؤلفه من أنه « وحيد قطرنا ، وعالم مصرنا ،
وفخر أندلسنا ... ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الخطيب » أن كاتب
هذا المخطوط هو أندلسى ، ومن المرجح أيضاً ، على ضوء المقارنة والتماثل ،
أنه غرناطى كذلك .
ويترتب على ما تقدم من مطابقة خط المخطوطين ، وتقارب تاريخى
نسخهما ، ثم التماثل الواضح بين الخاتمتين ، أن مختصر كتاب « الإحاطة »
وناسخه أيضاً ، هو العلامة أحمد بن عبد الله البقنى الأنصارى ، الذى
ورد اسمه كاملاً فى مخطوط الريحانة .

بالكتب المستغيبات هذه الخلال ونسبهم والخلال ونسبهم المستغيبات
 لها العزلة عن غيرها كمال الكثران واخمان وحيوة الموان العزلة طهرت الشرب واسم الشرب
 كاجل ووافى الالتهب العلي العظم واما ما يحتمل من الالتهب والتهرب البعير
 فبوج النوة لم يثبت بعينه والاسم بالفتك يفيد ومنعها مستغيبا والله
 يعينه وما يستل على زجاءه بوج الله تاليد وتمزيب وغيره كمر ما وان صيد والله
 شير وفيه ولو كان بوج الله تاليد مظلومة واو لو تار يا تاليد والاخر بيبك الما
 بالمحبوب الممتزجة لاليل ولا يثبت بالاليل بسبب الله تاما واذا اثبت الممتزجان
 عزه ركب ليلته والاسم بيبك تاليد تاليد راء مالك وفيه بيبك سماه امر فيك
 باجبت فواجبها والرفق شريك بيبك لمانزل ريك وسلا الله بيبك والاسم
 بولت لك التسمية من زمان بيبك الالفير على امر الفير وفروحت ببال اولك وفروحت
 برك ما فلت ما هلت ويوسعت ما كت في الجمال صفت ولكت بعتل ان شريف
 بيبك الشرف قد فاق بسبب الله التلير العلاء ولا يثبت جلد بامر بيبك الفير
 واولك على الشرف الشريف صراجوا بيبك السمجد وروايتك الفلية العظم
 الاكثر الجمعية وروايتك والحمد لله تلك الغرار واز الالفير كاسا وكادوا في الا

انتم من الكفا الشرف نجاة الكتاب وجميع المقاب
 على يد اسويك لفسيد شرفنا راء واخبره بيبك الفير
 الالفير بيبك بيبك الفير بيبك الفير بيبك الفير
 الالفير بيبك بيبك الفير بيبك الفير بيبك الفير
 شرفنا بيبك بيبك الفير بيبك الفير بيبك الفير

الصفحة الختامية من مخطوط كتاب «ريحانة الكتاب» المحفوظ بمكتبة الإسكوريال برقم 825
 ديرنبور. وتراجع في صفحة (11) من المجلد الثاني من الإحاطة صورة لوحة مخطوط الإسكوريال
 المحفوظ برقم 1673 ديرنبور للمقارنة بخط هذه الصفحة الأخيرة من مخطوط «الريحانة» لمعاينة
 التماثل الواضح بين الخطين

هذا ، وقد أشار بعض كتاب التراجم اللاحقين ، أمثال العلامة أحمد بابا التنبكتي الصنهاجي المالكي المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ (١٦٢٧ م) ، وصاحب كتابي « نيل الإبتهاج » و « كفاية المحتاج » وهما ذيلان على كتاب « الديباج المذهب » لابن فرحون ، وغيره ، إلى هذا « المختصر » من كتاب « الإحاطة » ، وذكروه منسوباً بالفعل ، إلى أبي جعفر البقني ، وهو ما يؤيد صحة ما انتهينا إليه بالمقارنات المخطوطة .

الإحاطة في أخبار غرناطة

بقية السفر الثاني عشر

من كتاب الإحاطة^(١)

مشملة على ترجمة ابن الخطيب

مكتوبة بقلمه

(١) يبدأ السفر الثاني عشر باللوحة 418 إسكوريال مبتدئا بترجمة « يحيى بن محمد بن عبد السلام التتليل الهذلي » وتنتهي تراجمه في اللوحة 424 بترجمة يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرفواطي محتويا على ثمان تراجم فقط . وبه يختتم « كتاب الإحاطة » في بداية اللوحة 425 إسكوريال ، ثم تبدأ ترجمة ابن الخطيب لنفسه في نفس اللوحة ، وتنتهي في اللوحة 499 إسكوريال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
 « يقول مؤلف هذا الديوان تغمد الله خطله ، فى ساعات اضاعها ،
 وشهوة من شهوات اللسان أطاعها ، وأوقات للاشتغال بما لا يعنيه ، استبدل
 بها الله لما باعها :

أما بعد حمد الله الذى يغفر الخطيئة ، ويحث من النفس اللجوج
 المطيئة ، فيحرك ركبها البطيئة ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد ، ميسر
 سبل الخير القاصدة^(١) الوظيفية ، والرضا عن آله وصحبه ، منتهى
 القصد^(٢) ومناخ الطيبة . فإني لما فرغت من تأليف هذا الكتاب ، الذى
 حمل عليه فضل النشاط ، مع الالتزام لمراعات السياسة السلطانية والارتباط ،
 والتفت إليه ، فراقنى منه صوان دُرر ، ومطلع غُرر ، قد تخلدت مآثرهم
 بعد ذهاب أعيانهم ، وانتشرت مفاخرهم ، بعد انطواء زمانهم ، نافستهم
 فى اقتحام تلك الأبواب ، ولباس تلك الأثواب ، وقنعت باجتماع الشمل
 بهم ، ولو فى الكتاب . وحرصت على أن أنال منهم قُرْباً ، وأخذت من^(٣)
 أعقابهم أدباً وحباً ، وكمال قال ، ساقى القوم ، آخرهم شرباً . فأجريت
 نفسى مجراهم فى التعريف ، وحدثت بها حذوهم ، فى باب النسب
 والتضريف ، بقصد التشريف . والله لا يعدمنى وإيأهم واقفاً يترحم ،
 وركاب الاستغفار بمنكبيه يزحم ، عندما ارتفعت وظيف الأعمال ،

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال وفى الزيتونة (النادرة) . وهى ساقطة فى النسخ .

(٢) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النسخ (الفضل) .

(٣) واردة فى الزيتونة . وساقطة فى الإسكوريال والنسخ .

وانقطعت من التَّكْسِبَاتِ حبال الامال ، ولم يبق إلا رحمة الله ، التي تَنْتَاشُ النفوس وتخلِّصُها ، وتعينها بِمَيْسَمِ السَّعَادَةِ وتخصصها . جعلنا الله من حَسُنْ ذكره ، ووقف على التماس ما لديه فكره ، بمنه .

المؤلف : محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي ابن أحمد السلماني . قرطبي الأصل ، ثم طليطليه ، ثم لوشيه . ثم غرناطيه ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب من الألقاب المشرقية بلسان الدين .

أوليتي : يُعرف بيتنا في القديم ببني وزير ، ثم حديثنا بلوشة ، ببني الخطيب . انتقلوا مع أعلام الجالية القرطبية ، كيحيى بن يحيى الليثي وأمثاله ، عند وقعة الربض الشهيرة^(١) إلى طليطلة ، ثم تسربوا محومين على وطنهم ، قبل استيلاء الطاغية عليها ، فاستقر منهم بالموسطة الأندلسية ، جملة من النبهاء ، تضمن منهم ذكر خلف^(٢) ، كعبدالرحمن قاضي كورة باغة ، وسعيد المستوطن بلوشة ، الخطيب بها ، المقرون اسمه بالتسويد عند أهلها ، جاريا مجرى التسميه بالمركب . تضمن ذلك تاريخ الغافقي وغيره . وتنازل عقبهم بها ، وسكن بعضهم بمنتفريو^(٣) ، مملكين إياها ، مختطين قبل التحصين والمنعة ، فنسيوا إليها . وكان سعيد هذا ، من أهل العلم ، والخير والصلاح ، والدين والفضل ،

(١) وقعة الربض تطلق على الثورة التي قام بها أهل قرطبة بتحريض الفقهاء ضد الحكم ابن هشام أمير الأندلس ، بقصد خلعها ، وذلك في رمضان سنة ٢٠٢ هـ (مارس ٨١٨ م) . وقد بدأت في الربض الجنوبي لقرطبة ، في الناحية المسماة « شقندة » . ولكن الحكم استطاع سحق الثورة ومطاردة الثوار وتمزيقهم ، وصلب الكثير منهم على شاطئ النهر وهدم دورهم ، وفر الكثير من أعيان قرطبة . وتفرقوا في مختلف القواعد ، وسارت طائفة كبيرة منهم إلى المشرق .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (خلق) والأولى أرجح

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة ، وفي النسخ (منتفريو) . ونرجح أن ذلك حريف ، وان الصواب هو ما أثبتناه ، وهو يدخل في عداد الأسماء الإسبانية Montefrio ، ومعناه الجبل البارد .

[وزكاه الطعمة] ^(١) . وقفنى الشيخ المسن الوزير أبو الحكم بن محمد المنتفريدى رحمه الله، وهوبقية هذا البيت وإخباريه، على جدار برج ببعض رُبى أملاكنا بلوثة، تطأه الطريق المارة من إغرناطة إلى إشبيلية، وقال، كان جدك يُربع ^(٢) بهذا المكان فصولاً من العام ^(٣)، ويَجْهر بقراءة القرآن، فيستوقف الرفق ^(٤) المدلجة، الحنين إلى نغمته، والخشوع لصدقه، فتعرس رِحالها لصق جداره، وتُريح ظهرها موهنا، إلى أن يأتى على ورده. وتوفى، وقد أُصيب بأهله وحرمته، عندما تغلب العدو على بلده عنوة فى خبر طويل. وقفت على مكتوبات من المتوكل على الله، محمد بن يوسف ابن هود، أمير المسلمين بالأندلس، القايم بها بدعوة الأئمة من ولد العباس، رضى الله عنهم، ومن ولده أبى بكر الواثق بالله ولى عهده، فى غرض إعانتة، والشفاة إلى الملكة زوج سلطان قشتالة، بما يدل على [نباة قديم] ^(٥) ويُفيد إثارة عِبرة، واستقالة عشرة.

وتخلف ولده عبد الله، جارياً مجرأه فى التجلّة، والتّمعش من حرّ النّشب، والتزني بالانقباض، والتحلّى بالنزاهة إلى أن توفى، وتخلف ولده سعيد جدنا الأقرب، وكان صدراً خيراً، مستولياً على خلال حميدة، من خطّ وتلاوة وفقه، وحساب، وأدب، نافس جيرته من بنى الطنجالى الهاشميين، وتحوّل إلى غرناطة، عندما شعر بعملهم على الثورة، واستطاعهم إلى النّزوة، التى خضدت الشوكة، واستأصلت منهم الشّافة، وصاهر بها

(١) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (زكاه النعمة) . وفى النفع (ذكاه

الغطنه) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النفع (يذبع) . وهو تحريف .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النفع (العلم) وهو تحريف .

(٤) هكذا فى المخطوطين . وفى النفع (الرفاق) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والنفع . وفى الزيتونة (على نباة قديمة) .

الأعيان من بني أضحى بن عبد اللطيف الهمداني ، أشراف جُند حُمنص ،
الداخلين إلى الجزيرة ، في طليعة بلج بن بشر القشيري ، ولحقه من
جراً منافسيه ، لما جاهروا السلطان بالخلعان ، اعتقال أعتبه السلطان
بعده وأحظاه على تفتته ، وولاه الأعمال النبئية ، والخطط الرفيعة . حدثني
من أئمه ، قال ، عزم السلطان ، أن يُقعد جدك أستاذًا لولده ، فأنيقت
من ذلك أمُّ الولد ، إشفاقاً عليه من فظاظة كانت فيه . ثم صاهر القواد
من بني الجعدالة على أم أبي ، وتمتُّ إلى زوج السلطان ببُنوَّة الخؤولة ،
فنبه القدر ، وانفسحت الحُظوة ، [وانتاب البيت] ^(١) الرؤساء والقراية .
وكان على قوة شكيمة ، وصلابة مكسره ، مؤثرا للخمول ، محبا في الخير .
حدثني أب عن أمه ، قالت ، قلما تهنأنا نحن وأبوك طعاما [حافلا] ^(٢)
لإيثاره به من كان يكمن ^(٣) بمسجد جواره ، من أهل الحاجة ، وأحلاف
الضرورة ، يهجم علينا منهم بكل وارث ^(٤) ، يجعل يده ثني يده ،
ويشركه في أكيلته ، ملتذًا بموقعها من فؤاده . توفي في ربيع الآخر من
عام ثلاث وثمانين وستماية ، صهرته الشمس مُستسقيًا في بعض المُحول ،
وقد استغرق في ضراعته ، فدلَّت الحتف على نفسه . وتخلف والدي ،
نابتاً في الترف نبت العليق ، يكنفه رعي أيم ^(٥) ، تجرُّ ذيل النعمة ،

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (وانثال على البيت) .

(٢) الزيادة من النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتون (يكون) .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (مارش) ، وفي النسخ (وارد) وهو

تحريف . والوارش هو من يدخل لتناول الطعام دون دعوة .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ثم) وفي النسخ (أم) . والأيم هي

المرأة التي فقدت زوجها .

وتحنو منه على واحد تحذر عليه [الحولى من ولد الذر] ^(١) ، ففاته لترفه
 حظٌ كبير من الاجتهاد. وعلى ذلك فقرأ على الخطيب أبي الحسن البلوطي ،
 والمقرئ أبي عبد الله بن مستقور ^(٢) ، وأبي إسحق بن زورال ، وخاتمة
 الجلة أبي جعفر بن الزبير ، وكان يفضلهم . وشارك أهل عصره في الرواية
 المستدعاة عن أعلام المشرق ، كجار الله أبي اليمن وغيره . وانتقل إلى لوشة
 بلد سلفه ، مقياً للرسم ، مخصوصاً بلقب الوزارة ، مرتباً بعبادة الترف ،
 إلى أن قصدها السلطان أبو الوليد ، متخطياً إلى الحضرة ، هاويا إلى
 ملك البيضة ، وأجزل نزله ، وعضد أمره ، وأدخله بلده ، لدواعي يطول
 استقصاؤها . ولما تم له الأمر ، صحبه إلى دار ملكه ، مستأثراً بشقص
 عريض من دُنياه . وكان من رجال الكمال ، طلق الوجه ، أنيق المجلس ،
 حلو النادرة ، مستولياً على كثير من الحُصُل ، متجنّداً مع الظرف ، تضمن
 كتاب التاج المحلّي والإحاطة جزءاً ^(٣) رائعاً من شعره ، وفقد في الكائنة
 العظمى بطريف ، يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين
 وسبعماية ، ثابت الجأش ، غير جزوع ولا هيابة . حدث الخطيب
 بالمسجد الجامع من غرناطة ، الفقيه أبو عبد الله بن اللوشى ، قال ،
 كبا بأخيك الطرف يومئذ ، وقد غشى العدو ، وجنحت إلى إردافه ،
 فانحدر إليه والدك وصرفنى ، وقال ، أنا أوّلَى به ، فكان آخر العهد بهما .
 وخلفنى على الدرجة ، شهير الخطة ، مشمولاً بالقبول ، مكنوفاً

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (النسيم إذا سرى) .

(٢) وردت في المخطوطين (مسفور) . وفي النسخ (سمون) . ونعتقد أن التصويب أرجح .

(٣) أضفناها ليستقيم السباق . ووردت في الإسكوريال (هذه) وفي الزيتونة (هذا) .

بالعناية « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ». فقلدني السلطان كتابة سره ،
ولما يجتمع الشباب ، ويستكمل السن ، معززة بالقيادة ، ورسوم الوزارة ،
واستعملني في السفارة إلى الملوك ، واستنابني بدار ملكه ، ورمى إلى يدي
بخاتمه وسيفه ، واثمني على صوان ذخيرته^(١) وبيت ماله ، وسجوف
حرمه ، ومَعْقِل امتناعه ، ومن فصول منشوره : « وأطلقنا يده على كل
ما جعل الله لنا النظر فيه ». ولما هلك ، قدس الله روحه ، ضاعف ولده ،
مولاي رضى الله عنه ، حظوتي ، وأعلى مجلسي ، وقصر المشورة على نصحي ،
إلى أن كانت عليه الكائنة [فاقتدى في] ، أخوه المتغلب على الأمر ، فسجل
الاختصاص ، وعقد القلادة ، ثم قطع الإبقاء ، وعكس الاختصاص ،
وحل القلادة ، لما حمله أولو الشحنة ، من أعوان ثورته على القبض
على فكان ذلك^(٢) ، وقبض على ، ونكث ما أبرم من أمانى ، واعتقلت
بحال ترفيه . وبعد أن كُبِسَت المنازل والدور ، واستكثر من الحرس ،
وختم على الأغلاق ، وأبرد إلى ما نأى ، فاستوصلت نعمة لم تكن بالأندلس
من ذوات النظائر [ولاربات]^(٣) الأمثال ، في تبحر الغلة ، وفراة
الحيوان ، وغبطة العقار ، ونظافة الآلات ، ورفعة الثياب ، واستجادة
العدة ، ووفور الكتب ، إلى الآنية والخرثى ، والفرش ، والماعون ،
والزجاج ، والمُحَكَم ، والطيب ، والذخيرة ، والمضارب ، والأقبية .
واكتسحت السائمة ، وثيران الحرث ، وظهر الحُمولة ، وقوام الفلاحة ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (خزائنه) . وفي النسخ (حضرته) .

(٢) جمعنا بين الحاصرتين بين ما ورد في المخطوطين ، وفي النسخ . وذلك بعد تصويب

العبارة الأولى (فاقتدى في) وهي التي وردت محرفة في المخطوطين (فاقتدى على) .

(٣) الزيادة من النسخ .

وأذواد الخيل ، فأخذ الجميع البيع ، وتناهببتها الأسواق ، وصاحبها
 البَخْس ، ورزأتها الخونة ، وشمل الخاصة والأقارب الطُّلب ، واستخلصت^(١)
 القُرى والجنات ، وأعملت الحيل ، ودُست الإخافة ، وطُوِّقت الذنوب ،
 وأمدَّ الله بالصبر ، وأنزل السكينة ، وانصرف اللسان إلى ذكر الله
 [تعالى]^(٢) ، وتعلقت الآمال به ، وطبقت [نكبة]^(٣) مُصحفية ،
 مطلوبها الذات ، وسببُ إفاتها المال ، حسبما قلت عند إقالة العثرة ،
 والخلص من الهفوة :

تخلصت منها نكبة مُصحفية لفقداني المنصور من آل عامر

ووصلت الشفاعة في مكتبة بخط ملك المغرب ، وجعل خلاصى
 شرطاً في العقدة ، ومسالمة الدولة ، فانتقلت صُحبة سلطانى المكفور
 الحق إلى المغرب . وبالع ملكه في برى ، واغياً في حلة رعى ، منزلاً
 رخباً ، وعيشاً خفضاً ، وإقطاعاً جما ، وجراية ماوراءها مرمى ، وجعلنى
 بمجلسه صدرأ . ثم أسعف قُصدى في تهنى^(٤) الخلوة بمدينة سلا ، منوه
 الصُكوك ، مهناً القرار ، مُتفقداً باللهى والخلع ، مُخوِّل العقار ، موفور
 الحاشية ، مُخلى بينى وبين إصلاح معادى ، إلى أن ردَّ الله [تعالى] على
 السلطان أمير المسلمين أبى عبد الله بن أمير المسلمين أبى الحجاج مُلكه ،
 وصير إليه حقه ، وصرف إليه كرسية ، فطالبنى بوعدٍ ضربته ، وعهد
 فى القدوم عليه بولده أحكمته ، ولم يُوسعنى عُذراً ، ولا فسح فى التُّرك

(١) أى أضيفت إلى مستخلص السلطان أو الأملاك الملكية الخاصة .

(٢) الزيادة من النفع .

(٣) الزيادة من النفع .

(٤) هكذا وردت فى المخطوطين . وفى النسخ (تهنى) .

مجالا . فقدمت عليه بولده ، في اليوم الأغر المحجل ، وقد ساءه بإمساكه
رهينة ظنه ، ونغص مسرة الفتح بعده ، على حال من التقشف ، والرغبة
عما بيده ، وعزف عن الطمع في الكسب^(١) وزهد في الرُفد ، حسبما قلت ،
في بعض المقطوعات في مخاطبته ، شكر الله عنى فضله :

قالوا لخدمته دعساك محمد فكرهتها^(٢) وزهدت في التنويه
فأجبتهم أنا والمُهيمن كاره في خدمة المولى محب فيه

عاهدت الله على ذلك ، وشرحت صدرى إلى الوفاء به ، وجنحت إلى
الانفصال لبيت الله الحرام نسيده أُملى ، ومرمى نبيي ، فعلق بي علوق
الكرمة ، وصارفتي بدار العبرة ، وخرج لي عن الضرورة ، وأراني أن
مؤازرتي أبر القربة ، وراكني إلى عهدٍ بخطه ، فسح لعامين أمد الثوا ،
واقتردي بشعيب صلوات الله عليه ، في خطب الزيادة ، وعلى تلك النسبة ،
وأشهد من حضر من العلية . ثم رمى إلى بعد ذلك مقاليد رأيه ، وحكم
عقلي^(٣) في اختبارات عقله ، وغطى على جفائي بحلمه ، وحثا في
[وجوه]^(٤) شهواته بتراب زجرى ، ووقف القبول على وعظي ، واستنزل
هواي في التحول ، نابيا عن قصدي ، واعترف بقبول نصحي . فاستعنت
الله عليه ، وعاملت وجهه فيه ، من غير تلبسٍ بخديعة ، ولا تشبثٍ ، بولاية
مقتصرًا على الكفاية ، حذراً من النقد ، خامل المركب ، معتمدا على
المنسأة ، مُستمتعا بِخَلْق النعل ، راضيا بغير النبيه من الثوب ، مُشفقا
من موافقة الغرور ، هاجراً للزخرف ، صادعا بالحق في أسواق الباطل ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ملكه) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (فأنفتها) .

(٣) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (عقلي) .

(٤) واردة في النسخ وساقطة في المخطوطين .

كافاً عن السُّخال ، برائين السباع ، مفوّتا للأصول في سبيل الصدقة .
ثم صرفتُ الفكر إلى بناء الزاوية والمدرسة والتربة ، بكرُ الحَسَنات بهذه
الخِطَّة ، بل بالجزيرة فيما سلف من المدَّة ، فتأتى بمنة الله من صلاح
السلطان ، وعفاف الحاشية ، ونشر الأمن ، وروم الشغور ، وتثمير الجبابة ،
وإنصاف الحُماة والمقاتلة ، ومقارعة الملوك المجاورة ، في إيثار المصلحة
الدِّينية ، والصَّدع فوق المنابر ، ضمانا عن السلطان بترياق سُمِّ الثورة ،
وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ، ما الله المُجازي عليه ، والمُعوض من
سَهْرِ نخلته على أعطافه ، وكدِّ أعملته من جرّابه ، وخطر اقتحمته من
أجله ، لا للتَّريد الأَعفر ، ولا للجُرد تمرّح في الأُرسان ، ولا للبدْر تثقل
الأكتاد ، فهو الذي لا يفسيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ، سبحانه إليه
الرُّجعى ، والآخرة والأولى . ومع ذلك فقد عادت هَيْفٌ إلى أديانها ، من
الاستهداف للشُّرور ، والاستِعراض للمحدّور ، والنظر الشَّرر ، المنبعث
من خزر العيون ، شِيمة من ابتلاه الله بسياسة الدَّهماء ، ورعاية^(١) سَخَطَةِ
أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأهواء ، مَن لا يجعل لله إرادةً
نافذة ، ولا مشيئة سابعة ، ولا يقبل مَعذِرة ، ولا يُجِمل في الطلب ،
ولا يتلبَّس مع الله بأدب . ربَّنَا لا تُسلِّط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا .
والحال إلى هذا العهد | وهو أول عام أحد وسبعين وسبعمائة [^(٢) على
ما ذكرته ، أداله الله بحال السَّلامة ، وبفِيئَةِ العافية ، والتمتع بالعبادة .
وربُّك يخاق ما يشاء ويختار . وقال الشاعر :

(١) هكذا وردت في الإ- كوريال . وفي الزيتونة (ورياسة) .

(٢) هكذا ورد هذا التاريخ في الإسكوريال وورد في النسخ كالاتى (وهو منتصف عام

خمس وسبعين وسبعماية) . والظاهر أن المقرئ نقل من مخطوط للإحاطة كتب بعد أصل مخطوط
الإسكوريال بيضعة أعوام .

وعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح
 والله فينا سرٌ غَيْبٌ نحن صائرون إليه^(١) ، أَلْحَفْنَا اللهُ بِلِبَاسِ التَّقْوَى ،
 وختم لنا بالسعادة ، وجعلنا في الآخرة من الفايزين . نَفَثْتُ عَنْ بَثٍّ ،
 وتَأَوَّهْتُ عَنْ حُمَى ، لِيُعْلَمَ بَعْدَ الْمُنْقَلَبِ قِصْدِي ، وَيَدُلُّ مُكْتَتَبِي عَلَى عِقْدِي .

ذكر بعض ما صدر لي من التشريعات الملوكية

أيام تَابَشِي هذه الغرور

من ذلك ظهيرٌ من مولاي السلطان أبي عبد الله ، عندما صار له أمرٌ
 والده المقدس أبي الحجاج ، رحمة الله عليه ، وقد ثبت في المحمدين ،
 في اسم السلطان أيده الله ، فلينظره هنالك من تشوّف لاحتفاله واحتفائه ،
 وظاهر برّه واعتنايه .

وكتب إلى مُخْبِرًا بما فتح الله عليه ، قبل الوصول إليه :

« من أمير المسلمين عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج
 ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر ، أيده الله أوامرهم ، ونصر
 أجنادهم المظفّرة وعساكرهم ، وخذل مفاخرهم الكرمة ومآثرهم .

« إلى ولينا في الله تعالى ، الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا من
 حُسن المذاهب ، ونعتدُّ به اعتمادا يتكفل بنجاح المقاصد والمآرب ،
 وخلصتنا الذي نُشْنِي على مجده البعيد الغايات ، في الشاهد والغايب ،
 الفقيه ، الوزير الجليل ، الصّدر الأوحد المثيل ، العالم العلم الأوحد ،
 الرّفيع الشهير ، الحسيب الأصيل ، الماجد الأثيل الخطير ، الخطيب
 البليغ الكبير ، الأوحد ، الحافل الفاضل الكامل . إمام البلغاء ، وصدْرُ
 الخطباء ، وعلمُ العلماء ، وكبير الرؤساء . الحبيب المُخلص ، الأودُّ

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال والزيتونة (سايرون) والأولى أرجح .

الأصفي ، أبي عبد الله بن الوزير الفقيه الجليل ، الأعز الأرفع ، الماجد
 الأسمى ، الصدر الحافل . الفاضل الكامل ، الأعلى الكبير ، الخطير
 الأثير ، الأرضي ، المعظم الموقر ، المبرور المقدس ، المرحوم الشهيد ،
 أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله سعه ، وحرس مجده ، سلام عليكم ،
 ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله ، ولي الحمد وأهله ، وناصر الحق ، ومطلع أنواره ،
 من آفاق رحمته وفضله ، وقاهر كل باغ ، وخاذله ومذله . والصلاة على
 سيدنا ومولانا محمد ، صفوة أنبيائه ، وخاتم رسله ، المبتعث بالهدى
 ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، نبي الرحمة ، الذي ببركة محبته
 نلنا الأمنية ، في جمع الدين ونظم شمله ، وبفضيلة جاهه ، عدنا إلى
 أرفع رتبة ملكنا ، وأعلى محله . والرضا عن آله وصحبه ، المقتدين بهديه
 في أمرهم كله . فكتبناه إليكم ، كتب الله لكم ، عزا لا يبلى جديده ،
 وسعدا لا ينقطع مزیده . من حمراينا بغرناطة ، حرسها الله ومهدا ،
 ولا متعرف بفضل الله سبحانه ، إلا ما عود من الطافه الخفية ، وأسدى
 من صنائعه السنية ، وعنايته التي كفلت ببلوغ الأمنية . والحمد لله
 كثيراً ، كما ينبغي لجلاله ، ويليق بصفات كماله . وعندنا من إجلالكم
 ما يليق بكمالكم ، ومن المعرفة بمقداركم ما يُعرب عن حُسن اعتقادنا ،
 في كريم نجاركم ، ومن قدر أحسابكم ، ما يلزم بسببه تعظيم جنابكم .
 وإلى هذا وصل الله سعدكم ، وحفظ مجدكم ، فإننا بحسب الوُد الذي (١)

نصل لمعاليتكم ، والحب الذي نضاعفه فيكم ، خاطبناكم بهذا المكتوب ،
 بشرح ما من الله علينا ، من الفتح العظيم ، الذي أشرقت به أقطار هذه

(١) واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

البلاد ، وما من به من العودة ، إلى مُلْكنا المتوارث عن كرام الآباء والأجداد ، وما أنعم به من قهر ذوى الشقاق والعناد . وذلك أنا أعزكم الله طال علينا المقام برُندة ، ولم نزل نوجه إلى أهل الحصون ، التي بغرني مالقة وغيرهم ، نقص عليهم ، ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا ، ونحذرهم عار^(١) النكث لطاعتنا ، إلى أن آن أوان الفرج ، ونفذ قضاء الله وقدره ، بالعودة إلى ما كنا تغلبنا^(٢) عليه . فاقترضى نظرنا أن خرجنا إلى مالقة في مائى فارس ، فما وصلنا وادها ، وعلم بنا أهلها ، إلا وخرج لنا جميعهم ، ملبيين بالبيعة ، فرحين^(٣) بقدمنا . وفي الحين بادر القتال القصبية ، حتى استخلصت ، وأنزل من فيها بنواحيها . وليوم آخر ، وصلتنا بيعات أهل الجهات التي تواليها ، من أنتقيرة ، ولوشة ، وبلش وصالحة وقمارش والحمة ، وسائر الحصون الغربية . فلما وصل الخبر إلى الغادر الخاسر ، خاف وذعر ، ورأى أن لا ملجأ له ، إلا أن يفر ، فجمع شردمته ، وألف حاشيته ، وخرج عن الحمراء ليلا ، في ليلة الخميس الماضي ، قريبا من التاريخ ، هاربا إلى أرض الكفار . وفي صبيحة الليلة ، وجه إلينا أهل حضرتنا ، وتوجهت الأجناد إلى بيعتنا ، وانصرفنا إلى دار مُلْكنا ، وحللناها يوم السبت الماضي ، من غير حرب ولا قتال ، بل بفضل الله تعالى ، ذى العظمة والجلال . وعرفناكم بذلك ، لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة الكبرى^(٤) ، إذ أنتم الحبيب الذى لا يشك فيه ، والخلاصة^(٥) الذى نعلم صدق خلوصه وتصافيه ، والله يصل سعودكم ،

(١) هكذا فى الزيتونة . وفى نفاضة الجراب (مخطوط الرباط) (عاقبة) . وفى الإسكوريال (عادة) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الزيتونة ونفاضة الجراب (مخطوط الرباط) . وفى الإسكوريال (تغلب لنا) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فارحين) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى نفاضة الجراب (العظم) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى نفاضة الجراب .

ويحفظ وجودكم، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في يوم
الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الثانية، من عام ثلاثة وستين وسبعماية^(١) .
وعند استقرارى لديه ، وقُدوى عليه ، أصدر لى هذا الظهير الكريم ،
بما يظهر من فصوله :

« هذا ظهير كريم ، أقام مراسم الوفاء ، وأحيا معالم الحق الفسيحة
الأزجاء ، وقلص ظلال الجود المتكاثفة الأفياء ، وجلى بأنوار الحق ،
ظلم الظلم والاعتداء ، وأدى الأمانة إلى أهلها ، إذ كانت متعينة الأداء .
أمر بتسوية إنعامه ، وإبرام أحكامه ، أمير المسلمين ، عبد الله محمد
ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد
ابن نصر ، أعلى الله مقامه ، وشكر إنعامه . لولى مقامه ، ومحل إجلاله
وإعظامه ، كبير دولته ، وفخر مملكته ، ومُشيد سلطانه ، وعين زمانه ،
ظهيره الذى ببركاته أنجحت مقاصده ، وحامل لواء وزارته ، الذى
ببمن رأيه ، عذبت مصادره وموارده ، الفقيه الأجل ، الوزير المشيل ،
الماجد الأثيل ، الحبيب الأصيل ، العالم العلم ، الطاهر الظاهر ،
العظيم المفاخر ، الكريم المآثر ، إمام البلاغة ، وفارس البراعة والبراعة ،
فخر الرياسة ، ومُدبر فلك السياسة ، الخطيب^(٢) الحافل ، الصدر الفاضل
الشمايل ، الحبيب^(٣) الخالص^(٤) ، الأود الأصفى ، أبى عبد الله محمد

(١) أورد ابن الخطيب هذه الرسالة مرة أخرى في كتابه (نفاضة الجراب السفر الثالث .
مخطوط مكتبة الرباط العامة) وبها زيادات . ومعها ملحق طويل كتبه السلطان إلى ابن الخطيب
لتعريفه بمصير خصمه المتقلب على ملكه بعد فراره إلى مملكة قشتالة . ومصير أصحابه الذين كانوا معه
مخطوط نفاضة الجراب المذكور (لوحات ٩٩ - ١٠٣) . وقد نشرناها نحن في كتابنا لسان الدين بن
الخطيب حياته وتراثه الفكرى (ص ٣٢٥ - ٣٢٧) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحبيب) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الحبيب) . والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الاسكوريال (الخلاصة) .

ابن الوزير الجليل الأوحدا الأعلى ، الصدر الكبير الخطير الشهير الأسير ، الحافل الفاضل ، الظاهر الطاهر ، السامي الأرقى ، المعظم الموقر ، الشهيد المقدس السعيد ، أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله سعادتته ، وحرس مجادته وحفظ رتبته الرفيعة ، ومكانته ، وبلغه أمله الأرضي وإرادته . لما كان أبقاه الله مُدبّر ملك المولى أبيه ، وظهيره الذي لم يزل يُدنيه ويصطفيه ، وعماده الذي ألقى إليه مقاليد الملك ، حين علم أنه صدر الأولياء ، وواسطة السلك ، ووزيره الذي اعتمده بإدارة أمره ، وركن إلى مناصحته في سرّه وجهره ، وقلده نجاد الوزارتين ، وحلّاه بحلي الرياستين ، فاكتفى منه عن الأثر بالعين ، ونشر له لواء الولايتين ، فتلقاه بيمينه ، وقام مضطّعا بأمره ، قيام الأسد دون عرينه . وحين انعقد هذا الأمر العلي ، قام بسياسة مُلكه أحسن قيام وأوفاه ، وأداره فأصاب في إدارته ، مرّمي السداد الذي لم يوافقه إلا إياه . واستولى في هذه الميادين على غاية الكمال ، واضطّلع بالرياسة والسياسة ، اضطلاع أفذاذ^(١) الرجال . ولم يزل يدفع عن حماه ، ويدبُّ عن حوزته بما يحبه الله ويرضاه ، حتى انتظمت بالسعود أفلاكه المنيفة وأملاكه ، ودارت بالتأييد أفلاكه .

ولما كان الشقي الغادر ، الذي اغتصب الحق ، وطهر منه الطُرق ، قد جار على جانب المُعتمد به في ماله ، وتعدّى بالبغى على حاله ، ظلماً وعدواناً ، وجوراً وطغياناً ، لم يُقدّم أيده الله عملاً ، عند العودة إلى ملكه المؤيد ، وسلطانة الأسعد ، وفخره المجدد المؤيد ، وأخذ الله تعالى له ، من الظالم أعظم الشار ، وأمدّه بإعلامه ، وإظهاره بأعظم الأنصار ، على أن صرّف عليه جميع أهلاكه ، التي خلصت له بالشرع مُوجباتها ،

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونة (أفراد) وهو تحريف اقتضى التصويب .

ووضّحت في سبيل الاستحقاق بيّناتها ، مما كان الغادر قد غصّبه له واثنه ،
 وقطع بالباطل عنه سببه ، ومكّنه أيده الله منها باحتيازها ، وتولى لنفسه
 إحرازها ، وعاد بهذا التسويغ الملكي ، يوم عودتها إليه خيرا من أمسه ،
 هنا الله الانتفاع بها في العمر الطويل ، وحفظها عليه وعلى عقبه ،
 يتملكها الجيل منهم بعد الجيل . وهي كذا وكذا ، بداخل الحضرة
 وخارجها ، وكذا وكذا من البلاد . سوغ إليه أيده الله ذلك ، تسويغاً
 شرعياً ، ورفع به عنه فيه الأغراض ، رفعاً كلياً أبدياً ، وتبراً من حق
 يتعلق به ، أو شبهة تنطرق بسببه . فليتصرف أعزه الله في ذلك بما شاء
 من أنواع التصرفات ، على ما توجبه السنة الواضحة الآيات ، من غير
 حجرٍ عليه ، ولا تعقّب لما لديه . وشمل حكم هذا التسويغ الجسيم ،
 والإنعام العميم ، جميع ما يُستغل على الأرض والجنّات والكروم ، والثمرات
 من العوايد المُستقبله عليها ، والغلات ، شمولاً تاماً ، مُطلقاً عاماً ،
 وأن يكون هذا ثابتاً صحيحاً ، ومن الشكّ مُزيحاً ، وحكمه على الأيام ،
 واتصال الشهور والأعوام ، متصل الدوام . كتبنا خطاً يدنا شاهداً بإمضائه ،
 وسجلنا الحكم باستقلاله واقتضائه^(١) . فليعلم ذلك من يقف عليه ،
 ويعتبر ما لديه . وذلك في اليوم الثاني لرمضان المعظم من عام ثلاثة
 وستين وسبع مائة .. صح هذا .

ولما قضى الله بالانصراف^(٢) إلى العدو الغريبة^(٣) ، صدرت عن
 سلطانها أمير المسلمين أبي سالم منشورات رفيعة منها ، وقد تشوّفت إلى

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (واكتفاه) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بالعود) .

(٣) هكذا وردت في المخطوطين . والمقصود بها العدو المغربية .

مطالعة بلاده الغربية ، وجهاتها المراكشية ، بقصد^(١) لقاء أهل الصلاح والعبادة ، وزيارة ملاحد السادة ، ما نصه :

هذا ظهير كريم أشاد بالتنويه الفسيح المجال ، والإكرام السابغ الأذيال^(٢) ، وأعاد النعم بعد إبدائها عميمة النوال ، ووارفة الظلال ، وألقى في يد المعتمد به ، صحيفة الاعتناء حميدة المقال ، مقتضية ديوان الآمال ، ورفع له لواء الفخر العزيز المنال ، على النظراء والأمثال .
حكم بإعماله ، وإمضاء أمره الكريم وامثاله ، عبد الله المستعين بالله إبراهيم ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل الله رب العالمين ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق . أيد الله أمره ، وأعز نصره ، للشيخ الفقيه الأجل ، الأعز الأسنى ، الوزير الأئمة الأنوه المحترم ، الملحوظ ، الأثير الأكمل ، السرى الحظى الذكى الأخلص ، أبي عبد الله ابن الشيخ ، الوزير ، الفقيه الأجل ، الأعز الأسنى الأئمة ، الحسين الأصيل ، الأنوه الأنزه ، الأثير الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب .
وصل الله حظوته ، ووالى عزته . جدد له الحظوة التى يضيف لباسها ، وصحح بنظر البر والإكرام قيامها ، وشيد بمباني الحفاية التى مهد أساسها ولما وفد على بابة الكريم ، عايذا بجواره ، وملقياً فى ساحة العز المشيد عصا تسيار ، ومجرباً فى ميدان الشنا جياذ أفكاره ، ومعتمدا على نظرنا الجميل فى بلوغ آماله ، وحصول أوطاره ، فسحننا له فى ميدان البر

(١) هكذا فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (نقتصد) وهو تحريف .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الإقبان) .

والترحيب فبلغ مداه ، وأنس في حضرتنا الكريمة ، أنوار العناية ، التي كانت هُداة ، وأخلدنا من بساطنا المحل الذي اشتمل به العزُّ وارْتداه ، وكَمَل له الأمل ووفاه . وأذنا له ، تَفَنُّنا في إسداء النعم الثرة ، وتلقَى وفادته بوجوه القبول والمبرة ، في زيارة التربة المقدسة بشالة^(١) المعظمة ، حيث ضريح مولانا المقدس ، ومن معه من أسلافنا الكرام ، نور الله مشواهم ، وجعل في الجنة مأواهم : وهذا الغرض الجميل ، وإن عُدَّ من أنواع التكريم ، والإحسان العميم ، فهو السعى الذي تصرف إليه وجوه [القبول]^(٢) والرضا والاهتمام ، والرغبة التي^(٣) يُصَفَى لها موارد الإسعاف عذوبة الحمام ، والتقرب الذي تؤثره [مهاد البرُّ المُستدام]^(٤) ولفاعله مزية الاعتناء والتقديم ، وجزاء^(٥) القيام بخدمة سلفنا الكريم ، وقد أذنا له في مشاهدة تلك الجهات من حضرتنا العلية ، إلى مرآكش المحروسة ، للقاء الأعلام ، واجتلاء المعاهد الكرام ، والآثار الباقية على الأيام ، كيف أحب ، وعلى ما شاء من إراحة أو إلمام ، مُصْحَباً بمن يُنَوِّه به في طريقه من الخُدَّام ، تنويها للكرامة وتعديداً ، وتجديدا للعناية وتأكيذا . فليعلم بذلك ، ماله في بابنا الكريم من الاعتناء ، وما اعتدنا لمحبي أسلافنا الكرام من الجزاء ، ويجرى في جميع مآربه وأحواله على النهج السواء ، مراعى حال إيباه إلى مقره من حضرتنا العلية ، ومحله من بساطنا الأشرف ،

(١) شالة هي محلة أثرية رومانية تقع الآن في نهاية مدينة الرباط . وبها إلى جانب الآثار الرومانية بعد المنحدر ، في سفحها المستوي ، عدة من قبور أمراء بني مرين ، وفي وسطها قبر السلطان الكبير أبي الحسن المريني والد السلطان أبي سالم .

(٢) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (الذي) والتصويب من الزيتونة .

(٤) نقلنا هذه العبارة من الزيتونة ومكانها بياض مخروم في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حق) .

وعرضه أعمال القايين ببره ، وأكرمنا بين أيدينا ، فيجنى المبادرة إلى توفية آماله ، وثمره أعماله ، ويقابل القايين بمبرته . والله المستعان ، وكتب بالمدينة البيضاء ، مهدها الله ، في الحادى والعشرين لربيع الثانى عام أحد وستين وسبع مائة ، وليُعتمد لوزيرنا الشيخ الأجل الحظى الأكمل أبو الحسن على بن العباس ، أكرمه الله ، على أن يُدخله إلى المساكن العلية بقصبة مراكش حرسها الله ، ليشاهد الآثار السلطانية ، التى انتظمت فى سلكنا ، وعفى عليها جديد ملكنا . فليعلم ذلك . وليعمل به ، والله المستعان وكتب فى التاريخ المؤرخ به .

وجرّ هذا الإنعام دنيا عريضة ، تفتتت فيها المواهب ، ووضحت من اشتهاها المذاهب ، شكر الله نعمته ، ووالى على تربته رحمته .
 وصدورى عن المتصير إليه أمره ما نصه ، وهو بعض من جملة ،
 ونوع من أجناس مبرّة :

هذا ظهير كريم نظم العناية ووصلها ، وأجمل الرعاية وفصلها ، وأحرز مواهب السعادة وحصلها ، أمر بإبرامه ، والوقوف عند أحكامه ، عبد الله المتوكل على الله محمد ، أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، ابن مولانا الأمير عبدالرحمن ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى يوسف بن عبد الحق ، أيده الله ونصره ، وسنى له الفتح المبين ويسره ، للشيخ الفقيه الأجل ، الأسنى الأعز ، الأخطى الأرفع ، الأمجد الأسنى ، الأنوه الأرقى ، العالم العلم ، الرئيس الأعرف ، المتفنن الأبرع ، المصنّف المفيد ، الصدر الأخفّل ، الأفضّل

الأكمل ، أبي عبد الله ، ابن الشيخ الفقيه الوزير الأجل ، الأسنى الأغر ،
الأرفع الأمجّد ، الوجيه الأنوه ، الأحفل ، الأفضل ، الحسيب الأصيل
الأكمل ، المبرور المرحوم أبي محمد بن الخطيب ، أيده الله بوجه
القبول والإقبال ، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال ، ورعى له
خدمة السلف الرفيع الجلال ، وما تقرّر من مقاصده الحسنة في خدمة
أمرنا العال . وأمر في جملة ما سوّغ من الآلاء الوارفة الظلال ، الفسيحة
المجال ، بأن يُجدّد له حكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها ،
المتضمنة تمشية [خمسمائة من الفضة العشرية]^(١) في كل شهر ، عن
مرتب له ولولده الذي لنظره ، من مجبى مدينة سلا حرسها الله ، في كل
شهر ، من حيث جرت العادة أن يتمشى له ، ورفع الاعتراض بياها فيما
يُجلب من الأدم والأقوات على اختلافها ، من حيوان وسواه ، وفيما يستفيده
خدّامه بخارجها وأحوازها من عنب وقطن وكتّان ، وفاكهة وخضّر وغير
ذلك ، فلا يُطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ، ولا يتوجّه فيه إليه
بتكليف . يتصل له حكم ما ذكر في كل عام ، تجديداً تاماً ، واحتراماً
عاماً ، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها ، وإتمام النعمة وإكمالها ، من
تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ، ومن الآن إلى ما يأتي على الدوام ،
وانتصال الأيام ، وأن يُحْمَل جانبه فيمن يُشركه أو يخدمه محمّل الرعى ،
والمحاشاة من السخرة ، متى عرّضته ، والوظائف إذا افترضت ، حتى يتصل
له تالد العناية بالطّارف ، وتتضاعف أسباب المنّ والعوارف ، بفضل الله ،
وتحرّر له الأزواج التي يحرثها ، تبالغت من كل وجيبة ، ويحاش من

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونة . ووردت في النسخ كالاتي (تمشية خمماية

دينار من الفضة العشرية) (نفع الطيب ج ٣ ص ٢٧٧) . وهناك لبس أو تحريف في هذه العبارة لأن

الدينار لا يكون إعادة إلا من الذهب .

كل مَغْرَمٍ أو ضَرْبِية ، بالتحريير التام ، بحول الله وعونه . ومن وَقَفَ على هذا الظهير الكريم ، فليعمل بمقتضاه ، وليمض ما أمضاه ، إن شاء الله . وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعماية . وكتب في التاريخ .

وهذا ومثله ، لولا أنه أَحْظُوظ [ربما انتفع العقب بوضمها]^(١) وري غرض الإغفال بسهما ، لم يُعْن بها ، من يرى أن لا جدوى إلا في التقوى ، وأن يد الله من هذه الأسباب الضعيفة أقوى .

وأما ما رُفِعَ إلى من الموضوعات العلمية والوسائل^(٢) الأدبية ، والرسائل الإخوانية ، لما أقامني الملك صنماً يعبد ، وجبلاً^(٣) إليه يُستند ، صادرة عن الأعلام ، وحملة الأقلام ، ورؤساء النثر والنظام ، فجم يضيق عنه الإحصاء ، ويعجز عن ضم نشره الاستقصاء . فرما تضمن هذا الكتاب - كتاب الإحاطة - هذا منه كثيراً ، منظوماً ونثيراً ، جرى في أثناء الأسماء ، وانتمى إلى الإجابة أكبر الانتماء . غفر الله لي ولقائله ، فما كان أولاني وإيأه ، بسترٍ وزره ، وإغراء الإضراب بغروره ، فأهون بما لا ينفع ، وإن ارتفع الكلم الطيب لا يُدفع^(٤) ، اللهم تجاوز عنا بكرمك وفضلك .

المشيخة

قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب ، نسيج وحده ، في تحمُّل المنزل حق حملة ، تقوى وصلاً ، وخصوصية وإتقاناً ، ونعمة ، وعناية وحفظاً ، وتبحراً في هذا الفن ، واضطلاعاً بضرابه ، واستيعاباً لسقطات الأعلام ، الأستاذ الصالح ، أبي عبد الله بن عبد الولي العواد ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بنا انتفى رسماً) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الرسائل) .

(٣) وردت في الإسكوريال (خبالاً) . والتصويب من الزيتونة .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (يرجع) .

كَتَبًا ثُمَّ حَفِظًا ، ثُمَّ تَجْوِيدًا إِلَى مَقْرَى أَبِي عَمْرٍو ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا .
 ثُمَّ نَقَلَنِي إِلَى أَسْتَاذِ الْجَمَاعَةِ ، وَمَطِيَّةِ الْفَنُونِ ، وَمُفِيدِ الطَّلِبَةِ ، الشَّيْخِ
 الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ الْقِيَجَاطِي ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَالْعَرَبِيَّةَ ، وَهُوَ
 أَوَّلُ مَنْ انْتَفَعْتُ بِهِ . وَقَرَأْتُ عَلَى الْحَسِيبِ الصَّدْرِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ جُزَى .
 وَلاَزَمْتُ قِرَاءَةَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفِقْهِ ، وَالتَّفْسِيرِ ، عَلَى الشَّيْخِ الْأَسْتَاذِ الْخَطِيبِ
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَخَّارِ الْبِيرِي ، الْإِمَامِ الْمُجْمَعِ عَلَى إِمَامَتِهِ فِي فَنِّ الْعَرَبِيَّةِ ،
 الْمَفْتُوحِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فِيهِ ، حَفِظًا ، وَاضْطِّلَاعًا ، وَنَقْلًا وَتَوْجِيهًا ، بِمَا لَا
 مَطْمَعُ فِيهِ لِسِوَادِهِ . وَقَرَأْتُ عَلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ الصَّدْرِ الْمُتَمَنِّنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ بَكْرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَتَأَدَّبْتُ بِالشَّيْخِ الرَّئِيسِ صَاحِبِ الْقَلَمِ الْأَعْلَى ،
 الصَّالِحِ الْفَاضِلِ ، أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَّابِ . وَرَوَيْتُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ جَمَعَهُمْ
 الزَّمَانُ بِهَذَا الْقَطْرِ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ ، كَالْمَحْدِّثِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرٍ ،
 وَأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَالْقَاضِي الشَّهِيرِ بَقِيَّةِ السَّلَفِ ، شَيْخِنَا أَبِي الْبَرَكَاتِ
 ابْنِ الْحَاجِّ ، وَالشَّيْخَ الْمَحْدِّثَ الصَّالِحَ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمُونِ ، وَأَخِيهِ
 الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ سَلْمُونِ ، وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْأَسْتَاذِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
 وَلَهُ رِوَايَةٌ عَالِيَةٌ . وَالْأَسْتَاذَ اللَّغْوِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَيْبِشٍ ، وَالْمَحْدِّثَ
 الْكَاتِبَ أَبِي الْحَسَنِ التَّلْمَسَانِي ، وَالشَّيْخَ الْحَاجَّ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ الْبِنَاءِ ،
 وَالْعَدْلَ أَبِي مُحَمَّدِ الزَّرْقُونِ ، يَحْمَلُ عَنِ الْإِمَامِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، وَالْقَائِدَ
 الْكَاتِبَ ابْنَ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ ، وَالْقَاضِي الْمَحْدِّثَ
 الْأَدِيبَ ، جُمْلَةَ الظَّرْفِ ، أَبِي بَكْرَ بْنَ شَبْرِينَ ، وَالشَّيْخَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْخَطِيبَ أَبِي جَعْفَرِ الطَّنْجَالِي ، وَالْقَاضِيَّ أَبِي بَكْرَ بْنَ مَنْظُورٍ ،
 وَالرَّوَايَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَزْبِ اللَّهِ ، كُلَّهُمْ مِنْ مَالِقَةَ . وَالْقَاضِيَّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 الْمَقْرِيَّ التَّلْمَسَانِي ، وَالشَّرِيفَ أَبِي عَلِيٍّ حَسَنَ بْنَ يَوْسُفَ ، وَالْخَطِيبَ الرَّئِيسَ

أبي عبد الله بن مرزوق كلهم من تِلْمَسَانَ . والمحدث الفاضل الحسين
 أبو العباس بن يَرْبُوع السُّبْتِي ، والرئيس أبي محمد الحضرمي السُّبْتِي ،
 والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب الملقب آخر الرواة عن ابن أبي الأَخْوَص ،
 وأبي عثمان بن ليون من أَلْمَرِيَّة ، والقاضي أبي الحجاج المُنْتَشَاغِرِي من
 أهل رُنْدَةَ ، وطائفة كبيرة من المعاصرين ، ومن أهل العُدُوَّة الغربية
 والمشرق ، الكثير بالإجازة . وأخذتُ الطبَّ والتَّعاليم ، وصناعة التعديل
 عن الإمام أبي زكريا بن هُذَيْل ، ولازمته . هذا على سبيل الإلمام . ولو
 تفرَّغت لذكرهم ، لخرج هذا التَّقْيِيدُ عما وُضِعَ له .

التوالييف

من ذلك ، اللمحة البَدْرِيَّة في الدولة النَّصْرِيَّة . والحُلَلُ المَرْقُومَةُ .
 ومُثَلِي الطَّرِيْقَةُ . والسُّحْرُ والشُّعْرُ . وريحانة^(١) الكُتَّاب في أسفار ثمانية .
 وكتاب المحبَّة في سفرين . والصَّيْبُ والجِهَامُ مجموع شعري . ومِغْيَارُ
 الاختِيَار . ومُفَاضِلَةٌ [بين]^(٢) مالقة وسلا . ورسالة الطَّاعُونَ . والمسائِلُ
 الطَّبِيَّةُ سفر . والرَّجَزُ في عمل التُّرْيَاق . واليُوسُفِي في الطبِّ في سفرين .
 والتَّاجُ المَحَلِّي في سفر . ونُفَاضَةُ الجِرَابِ في أربعة أسفار . والبَيْزَرَةُ
 في سفر . والبَيْطَرَةُ في سفر ، جامعٌ لما يُرْجَع إليها من محاسن الخَيْل وغير
 ذلك . ورسالة تَكْوِينُ الجَنِين . والوُصُولُ لِحِفْظِ الصِّحَّةِ في الفُصُولِ .
 ورَجَزُ الطَّبِّ . ورَجَزُ الأَغْذِيَّة . ورَجَزُ السِّيَاسَةِ . وكتاب الوَزَارَةِ ومَقَامَةِ
 السِّيَاسَةِ . وكتاب الإِحَاظَةِ هذا في خمسة عشر سفرًا . إلى ما صدر مني في
 هذا العهد القريب ، وهي الغيرة على أهل الحيرة . وحمل الجمهور على

(١) وردت في الإسكوريال (وريحان) فاقضى التصويب .

(٢) ساقطة في المخطوطين . وأضيفت للتصويب .

السُّنن المشهور . والزُّبدة المَمخُوضَة والرَّميمة . والرَّد على [أهل الإباحة]^(١)
وسدُّ الذُّريعة في تفضيل الشُّريعة . وتقرير الشُّبه ، وتحرير المُشبه .
واستنزال اللطف الموجود في سر^(٢) الوجود .

ومن التواليف الصادرة قديماً ، بُستان الدول ، وهو موضوع غريب
ما سُمع بمثله ، قلَّ أن شدَّ عنه فنُّ من الفنون ، يشتمل على شجراتٍ عشر ،
أولها شجرة السلطان ، ثم شجرة الوزارة [ثم شجرة الكتابة ، ثم شجرة
القضاء والصلاة ، ثم شجرة السُّلطة والحِسبة]^(٣) ، ثم شجرة العمل ،
ثم شجرة الجهاد ، وهو فرعان ، أُسْطُولٌ وخِيُولٌ . ثم شجرة ما يضطر
باب الملك إليه من الأطبَّاء والمنجمين [والبيازرة والبيطرة والفلاحين]^(٤)
والندماء والشُّطرنجيين ، والشعراء والمُغنين . ثم شجرة الرعايا . وتقسيم
هذا كله غريب ، يرجع إلى شُعب وأصول ، وجرائم وعُمد ، وقشر ولحاء ،
وغصون وأوراق ، وزهرات ثمرة وغير ثمرة ، مكتوب على كل جزء
من هذه الأجزاء ، اسم الفن المراد به . وبرنامجة صورة بستان . كمال منه
نحو ثلاثين جزءاً تقارب الأسفار ، ثم قَطع عنه الحادث على الدولة .
وأبيات الأبيات . وفتات الخوان ولَقَط الصَّوان في سفر ، يتضمن
المقطوعات . وعاید الصلة في سفرين ، وصلت به « صلة » الأستاذ
أبي جعفر بن الزبير . وتخليص الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات .
وجيش التَّوشيح . وطُرْفَة العصر في دولة بني نصر ، ثلاثة أسفار . إلى غير
ذلك . حتى في الموسيقى وسواها . هذرٌ كُثِّف به الحجاب ، ولَعِبَ بالنفس

(١) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (الإباحية) .

(٢) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (أمر) وترد الكلمة في عنوان هذه

الرسالة أحياناً (أسرار) وأحياناً (سير) .

(٣) الزيادة من نفع الطيب .

الاعجاب [وضاع الزمان] ولا تسل بين الرد والقبول ، والنفي والإيجاب .
ولله در القائل :

والكون أشراك نفوس الورى طوبى لنفسٍ حرة فازت
إن لم تحز معرفة الله قد أورطها الشيء الذى حازت
وكلُّ مُيسرٍ لما خلق له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
[هذا ، وقد ذكرت مؤلفات ابن الخطيب ، التى أوردتها فى ختام ترجمته
لنفسه ، بصور مختلفة ، وفقاً لتواريخ كتابتها ، وقد أورد لنا المقرئ
منها صورة رُتبت على نمط آخر ، وبها زيادات لم ترد فى نسخة الإسكوريال
مما يدل على أن نسخة الاحاطة التى وردت بها ، قد كتبت فى وقت لاحق .
وقد رأينا أن ننقلها فيما يلى :

(التواليف) : التاج المحلى فى مساجلة القيدح المعلى . والكتيبة الكامنة
فى أدبائ المائة الثامنة . والإكليل الزاهر ، فيما فضل عند نظم التاج من
الجواهر . ثم النفاية بعد الكفاية ، هذا فى نحو القلايد والمطمحين
لأبى نصر الفتح بن محمد . وطرفة العصر فى دولة بنى نصر فى أسفار
ثلاثة . وبستان الدول موضوع غريب ما سمع بمثله ... (إلخ الأوصاف التى
وردت فى البيان السابق) . وديوان شعري فى سفرين ، سميته الصيب
والجهام والماضى والكهام . والنثر فى غرض السلطانيات كثير . والكتاب
المسمى باليوسفى فى صناعة الطب فى سفرين كبيرين ، كتاب ممتع .
وعايد الصلة ، وصلت به صلة الأستاذ أبى جعفر بن الزبير فى سفرين .
وكتاب الإحاطة بما تيسر من تاريخ غرناطة ، كتاب كبير فى أسفار تسعة ،
هذا متصل بآخرها . وتخليص الذهب فى اختيار عيون الكتب الأدبيات
الثلاثة . وجيش التوشيح فى سفرين . ومن بعد الانتقال إلى الأندلس ،

وما وقع من كساد الدولة : نفاضة الجراب في عِلالة الاغتراب ، موضوع جليل في أربعة أسفار . وكتاب عمل من طب لمن حب . ومنزلته في الصناعة الطبية ، بمنزلة كتاب أبي عمرو بن الحاجب المختصر في الطريقة الفقهية ، لا نظير له . ومن الأراجيز ، المسماة برقم الحُلل في نظم الدول . والأرجوزة المسماة بالحُلل المرقومة في اللمع المنظومة ، ألفية من ألف بيت في أصول الفقه . والأرجوزة المسماة بالمعلومة ، معارضة للمقدمة المسماة بالمجهولة ، في العلاج من الرأس إلى القدم ، إذا أضيفت إلى رجز الرئيس أبي علي ، كملت بها الصناعة كامالا لا يُشِينُهُ نقص . والأرجوزة المسماة بالمُعتمدة في الأغذية المفردة . والأرجوزة في السياسة المدنية . إلى ما يشذ عن الوصف ، كالرجز في عمل الترياق الفاروقى . والكلام على الطاعون المعاصر . والاشارة . وقطع السلوك . ومثلى الطريقة في ذم الوثيقة . حتى في الموسيقى والبيطرة والبيطرة . هذربه كُثف الحجاب ، ولعب بالنفس الإعجاب ، والله درُّ القائل : الشعر السابق ذكره [١] .

الشعر

من ذلك قولى فى الجناب الكريم النبوى ، شرفه الله ، وهو من أوليات نظمى فى ذلك الغرض :

هل كنت تعلم فى هبوب الريح	نفسا يؤجج لاعج التبريح
أهدتك من مشج الحجاز تحية	غاضت ^(٢) لها عرُض الفجاج الفيح
بالله قل لى كيف تيران الهسوى	ما بين ريح بالفلاة وشيح
وخضيبه المنقار تحسب أنها	نهلت بمورد دمعى المسفوح
باحت بما تخفى وناحت فى الدجا	فرايت فى الآفاق دعوة نسوح

(١) نفع الطيب ج ٤ ص ٢٤١ و ٢٤٢

(٢) هكذا وردت فى الاسكوريال والزيتونة . وفى النفع (فاحت) .

ولطالما صَمَمْتُ عن التَّصْرِيحِ
 عن خافت بين الضلوع جَرِيحِ
 في طُرْتِيهَا^(٢) حَلِيَّةُ التَّجْرِيحِ
 جودٌ تكلُّ به مُتُونُ الرِّيحِ
 سال ولا وَجَدِي بها بِمَرِيحِ
 زُوَارَهَا والجسم رهن نُزُوحِ
 وأحثُّ فيها من جناحِ جُنُوحِي
 لولا وميضاً بارقٍ وَصَفِيحِ
 ورقٌ تُقَلِّبُهَا بِنَانُ شَحِيحِ
 وَطَمْتُ رَمِيْتُ عُبَابَهَا بِسُوحِ
 مَسَحْتُ بوجه للصباحِ صَبِيحِ
 وزجرتُ لِلآمالِ كُلِّ سَنِيحِ
 والصُّبْحِ فِيهِ تَخْلُصُ لِمَدِيحِ
 بعِندَانِ كُلِّ مَوْلِدٍ وَصَدْرِيحِ
 وَأَمِينُهُ الأَرْضِي عَلَى مَا يُوجِي
 ضَاءَتْ أَشْعَتُهَا بِصَفْحَةِ يُوحِ
 راقَتْ بِهَا أوراقِ كُلِّ صَحِيحِ
 مثلُوا بِسَاحَةِ بَابِهِ المَفْتُوحِ

نطقت بما يخفيه قلبي أدمعي
 عجباً لأجفاني حَمَلْنِ شَهَادَةَ
 ولقُلْمًا^(١) كتبت رُؤَاةَ مَدَامَعِي
 اجاد الحِمَى بَعْدِي وَأَجْرَاعِ الحِمَى
 هُنَّ المَنَازِلُ مَا فَوَادِي بَعْدَهَا
 حَسْبِي وَلَوْعَا أَن أَزُورُ بِفِكْرَتِي
 فَابْتُ فِيهَا مِنْ حَدِيثِ صَبَابَتِي
 ودجنة كادت تَضِلُّ بِنِي^(٣) الشَّرِي
 وَعَشْتُ كَوَاكِبَ جَوْهَا فَكَأَنِّهَا
 صَابَرْتُ مِنْهَا لُجَّةً مَهْمَا ارْتَمَتْ
 حَتَّى إِذَا الكَفُّ الخَصِيْبُ بِأَفْقِهَا
 شَمْتُ المَنَى وَحَمَدْتُ إِدْلَاجَ السَّرِي
 فَكَأَنَّمَا لَيْلِي نَسِيْبُ قَصِيْدَتِي
 لَمَّا حَطَطْتُ لِخَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الثَّرَى
 رَحِمِي إِلَهَ العَرْشِ بَيْنَ عِبَادِهِ^(٤)
 وَالآيَةَ الكَبْرَى الَّتِي أَنوَارُهَا
 رَبُّ المَقَامِ الصَّدْقِ وَالْآيِ الَّتِي
 كَيْفَ الأَنَامِ إِذَا تَفَاقَمَ مُعْضَلُ

(١) وردت في الإسكوريال والزيتونه (ولقبل ما) . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والزيتونه . وفي النفع (صفحتها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بها) . وفي الزيتونة (تكل بها) .

(٤) هكذا وردت هذه الشطرة في الزيتونة وفي النفع . ووردت في الإسكوريال كالاتي

(وهما إله العرش بين حياره) .

يَرِدُونَ مِنْهُ عَلَى مِثَابَةِ رَاحِمٍ
لَهْفَى عَلَى عُمُرٍ مَضَى أَنْضَيْتَهُ
يَا زَاجِرَ الْوَجْنَاءِ يَعْتَسِفُ الْفَلَا
يَصِلُ السُّرَى سَبَقًا إِلَى خَيْرِ الْوَرَى
لِي فِي حِمَى ذَاكَ الضَّرِيحِ لُبَانَةٌ
وَمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ أَمَانَةٌ
يَا صَفْوَةَ اللَّهِ الْمَكِينِ مَكَانَهُ
أَقْرَضْتُ فَيْكَ اللَّهُ صِدْقَ مَحَبَّتِي
حَاشَا وَكَلًّا أَنْتَ تَخِيبُ وَسَائِلِي
إِنْ عَاقَ عَنْكَ قَبِيحٌ مَا كَسَبَتْ يَدِي
وَإِخْجَلْتَنَا^(٢) مِنْ جَلْبَةِ الْفِكْرِ الَّتِي
قَصَّرْتَ خُطَايَا بَعْدَ مَا ضَمَرْتَهَا
مَدَحْتِكَ آيَاتِ الْكِتَابِ فَمَا عَسَى
وَإِذَا كَتَابَ اللَّهُ أَثْنِي مُفْصِحًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا هَبَّتْ صَبَا
وَاسْتَأْثَرَ الرَّحْمَنُ جَلًّا جَلَالَهُ

جَمُّ الْهَبَاتِ عَنِ الذَّنُوبِ صَفُوحٌ
فِي مَلْعَبٍ لِلتَّرَهَاتِ فَسِيحٌ
وَاللَّيْلِ يَعْزُرُ فِي فَضُولِ مُسُوحِ
وَالرَّكْبُ بَيْنَ مَوْسَدٍ وَطَرِيحِ
إِنْ أَضْبَحْتَ لُبْنَى أَنَا ابْنُ ذَرِيحِ
الْيَمْنِ فِيهَا وَالْأَمَانُ لِرُوحِي
يَا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ وَخَيْرَ نَصِيحِ
أَيَكُونُ تَجْرِي فَيْكَ غَيْرَ رَبِيحِ^(١)
أَوْ أَنْ أَرَى مَسْعَى غَيْرَ نَجِيحِ^(٢)
يَوْمَا فَوَجَّهُ الْعَفْوُ غَيْرَ قَبِيحِ
أَغْرَيْتُهَا بَغْرَامِي الْمَشْرُوحِ
مِنْ كُلِّ مَوْفُورِ الْجِمَامِ جَمُوحِ
يُثْنِي عَلَى عَلَيْكَ نَظْمِ مَدِيحِ
كَانَ الْقُصُورُ قُصَارَ كُلِّ فَصِيحِ
فَهَفَّتْ بَغْصَنُ فِي الرِّيَاضِ مَرُوحِ
عَنْ خَلْقِهِ بِخَفَى سِرِّ الرُّوحِ^(٤)

(١) هكذا وردت في الزيتونة والنفع . وفي الإسكوريال (نجيح) .

(٢) هذا البيت ساقط في الإسكوريال والزيتونة ووارد في النفع .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة والنفع (واخجلتي) .

(٤) وردت هذه القصيدة في نفع الطيب (ج ٤ ص ١٥٨ و ١٥٩) .

هذا وتنتهي هذه القصيدة في الربع الأول من لوحة الإسكوريال رقم ٤٣٥ . ومن بعد ذلك باقيها

بياض . وكذلك لوحتا ٤٣٦ و ٤٣٧ كاتاهما بيضاء، ثم تأتي بعد ذلك لوحة ٤٣٨ وبها قصيدة

(تألق نجديا) . وهي التي اعتمدنا على نفع الطيب في نقل قسمها الأول الفاقد في لوحات الإسكوريال .

وهذه القصيدة لم ترد في الزيتونة .

وأنشدت السلطان ملك المغرب ، ليلة الميلاد الأعظم من عام ثلاثة وستين

وسبعمائة هذه القصيدة :

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأُذَكِرُنِي نَجْدَا
وَمِيضُ رَأْيِ بَرْدِ الْخِمَامَةِ مَعْقِلَا
تَبَسُّمٌ فِي مَجْرِيَّةٍ قَدْ تَجَهَّمَتْ
وَرَاوِدٌ مِنْهَا فَارِكًا قَدْ تَنَعَّمَتْ
فَخَلَّتْهَا الْحَمْرَاءُ مِنْ شَفَقِ الضُّحَى
لَكَ اللَّهُ مِنْ بَرَقِ كَأَنَّ وَمِيضَهِ
تَعْلَمُ مِنْ سَكَّانِهِ شِيَمَ النَّسْدَى
وَتَوَجُّجٌ مِنْ نُوَارِهَا قِنَنَ الرُّبَا
لِسُرْعَانِ مَا كَانَتْ مَنَاسِفَ لِلصَّبَا
بِلَادِ عَهْدِنَا فِي قَرَارَتِهَا الصُّبَا
إِذَا مَا النَّسِيمِ اعْتَلَّ فِي عَرَصَاتِهَا
فَكَمْ فِي مِجَانِي وَرْدِهَا مِنْ عِدَاةِ
إِذَا اسْتَشَعَرَتْهَا النَّفْسُ عَاهَدَتْ الْجَوَى
وَمَنْ عَاشِقٍ حُرٌّ إِذَا مَا اسْتَمَالَسَهُ
وَمَنْ ذَابِلٍ يَحْكِي الْمَحْبِبِينَ رِقَّةً
سَقَى اللَّهُ نَجْدًا مَا نَضَحَتْ بِذِكْرِهَا
وَأَنْسُ قَلْبِي فَهُوَ لِلْعَهْدِ حَافِظُ
صَبُورٌ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِبَالَةٌ
صَبُورٌ إِذَا الشُّوقُ اسْتَجَادَ كَتِيبَةً
وَقَدْ كُنْتُ جَلِيدًا قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ النَّوَى

وَهَاجَ بِي الشُّوقُ الْمُبْرِحُ وَالْوَجْدَا
فَمَدَّ يَدَا بِالتَّبْرِ أَعْلَمَتْ الْبَرْدَا
فَمَا بَدَلَتْ وَصْلًا وَلَا ضَرْبَتْ وَعَدَا
فَأَهْوَى لَهَا نَصْلًا وَهَدَّهَا رَعْدَا
نَضَاهَا وَحَلَ الْمَزْنَ مِنْ جِيدِهَا عِقْدَا
يَدِ السَّاهِرِ الْمَقْرُورِ قَدْ قَدَحَتْ زَنْدَا
فَغَادِرَ أَجْرَاعِ الْحِمَى رَوْضَةَ تَنْدَى
وَوَخْتَمَ مِنْ أَزْهَارِهَا الْقَضْبَ الْمُلْدَا
فَقَدْ ضَحِكْتَ زَهْرًا وَقَدْ خَجَلْتَ وَرْدَا
يَقُلُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ أَنْ يَأْلَفَ الْعَهْدَا
تَنَاولَ فِيهَا الْبَانَ وَالشَّيْخَ وَالرُّنْدَا
إِذَا مَا اسْتَثِيرَتْ أَرْضُهَا أَنْبَتَتْ وَجْدَا
إِذَا مَا التَّمَحَّحَتْهَا الْعَيْنُ عَافَدَتْ السُّهْدَا
حَدِيثَ الْهَوَى التُّدْرِيَّ صَبِيرَهُ عَبْدَا
فَيْثَنِي إِذَا مَا هَبَّ عَرْفُ الصَّبَا قَدَا
عَلَى كَبِدِي إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدَا
وَقَلُّ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ يَحْفَظُ الْعَهْدَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ مَسْرَى الصَّبَا اشْتَعَلَتْ وَقْدَا
تَجُوسُ خِلَالَ الصَّبِيرِ كَانَ لَهَا بِنْدَا
ذِمَاسِي وَإِنْ يَسْتَمَاصِلُ الْعِظْمُ وَالْجِلْدَا

أَجْعِدُ حَقَّ الْحَبِّ وَالدمعُ شَاهِدٌ
 تَنَاطَرُ فِي إِثْرِ الْحَمَلِ. وَلِ فَرِيدِهِ
 جَرَى يَفْقَأُ فِي مَلْعَبِ الْجَدِّ أَشْهَابًا
 وَمُرْتَحِلٍ أَجْرِيَتْ دَمْعِي خَلْفَهُ
 وَقَلْتُ لِقَلْبِي طِرْ إِلَيْهِ بَرُّقَتِي
 سَرَقْتُ صَوَاعِ الْعِزْمِ يَوْمَ فِرَاقِهِ
 وَكَحَلْتُ عَيْنِي مِنْ غُبَارِ طَرِيقِهِ
 إِلَى اللَّهِ كَمْ أَهْدَى بِنَجْدٍ وَحَاجِرٍ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الشُّوقُ نَارَ كَمِينُهُ
 وَمَا بِي إِلَّا أَنْ سَرَى الرِّكْبُ مُوهِنًا
 وَجَاشَتْ جُنُودُ الصَّبْرِ وَالْبَيْنِ وَالْأَسْبِي
 وَرُمْتُ نَهْوضًا وَاعْتَزَمْتُ مَوْدِعًا
 رَقِيقٌ بَدَتْ لِلْمَشْتَرِينَ عَيْسِيَّةُ
 تَخَلَّفَ عَنِّي رَكْبٌ طَيِّبَةٌ عَانِيًا
 مُخَلَّفَ سِرِّي قَدْ أُصِيبَ جَنَاحُهُ
 نَشِدْتُكَ يَا رَكْبَ الْحِجَازِ تَضَاعَلَتْ
 وَجَمَّ لَكَ الْمَرْعَى وَأَذَعَنْتِ الصُّوَى
 إِذَا أَنْتِ شَافِهَتِ الدِّيَارَ بِطَيِّبَةٍ
 وَأَنْسَتِ نَوْرًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ
 قَنِيبٌ عَنِ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الْجَمِي
 وَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَبْدٌ نَقَاصَتْ

وَقَدْ وَقَعَ التَّسْجِيلُ مِنْ بَعْدِ مَا أَدَّى
 فَلِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأْيِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدَا
 وَأَجْهَدَهُ رَكْضَ الْأَسْبِي فَجَرَى وَرَدَا
 لِيَرْجِعَهُ فَاسْتَنَّ فِي إِثْرِهِ قَصْدَا
 فَكَانَ حَمَاهَا فِي الْمَسِيرِ بِهَا هَدَا
 فَلَجَّ وَلَمْ يَرْقُبْ صَوَاعَا وَلَا وُدَا
 فَأَعْقَبَهَا دَمْعًا وَأَوْرَثَهَا سَهْدَا
 وَأَكْنَى بَدْعُدَ فِي غَرَامِي أَوْ سَعْدِي
 فَأَذْهَلَ نَفْسًا لَمْ تَبْنِ عِنْدَهُ قَصْدَا
 وَأَعْمَلَ فِي رَمْلِ الْجَمِي النَّصِّ وَالْوَحْدَا
 لَدِيَّ فَكَانَ الصَّبْرُ أَضْعَفَهَا جُنْدَا
 فَصَدَّقْتُ الْمَقْدُورَ عَنْ وَجْهِي صَدَا
 وَلَمْ تَلْتَفِتْ دَعْوَاهُ فَاسْتَوْجِبِ الرَّدَا
 أَمَا آنَ لِلْعَانِيِ الْمَعْنَى بِنَّانٍ يُفْدِي
 وَطِرْنَ فَلَمْ يَسْطِعْ مَرَاحًا وَلَا مَغْدِي
 لَكَ الْأَرْضُ مَهْمَا اسْتَعْرَضَ السَّهْبُ وَامْتَدَا
 وَلَمْ تَفْتَقِدْ ظِلًّا ظَلِيلًا وَلَا وَرْدَا
 وَجِئْتَ بِهَا الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ وَاللَّحْدَا
 يُجَلِّي الْقَاوِبَ الْغُلَاقَ وَالْأَعْيُنَ الرَّمْدَا
 وَاذْرِبْ بِهِ دَمْعًا وَعَفْرٌ بِهِ خَدَا
 خُطَاهُ وَأَضْحَى مِنْ أَجِبَّتِهِ فَرْدَا

سوى لوعةٍ تعتاد أو مِدْحَةٍ تُهدى
فجودك ما أجدى وكفك ما أندى
وبوأهم ظلاً من الأمن مُمتداً
وتوجك العليا وألبسك الحمداً
فجلله نورا وأوسعه رُشداً
سقاها فما يظما جلاه فما يصدأ^(١)
فقد شملت علياؤك القبل والبعدا
أعاد وأنت القصدُ فيه وما أبدا
ليمتاز في الخلق المُكبُّ من الأهدا
ملامح نور لاح للطور فانهداً
لتشفي من استشفي وتُهدى من استهدا
من الله مثل الخلق رسماً ولا حداً
يالُ فيك اللهُ^(٢) شكراً ولا حمداً
من النار قد أسكنته^(٣) بعدها الخُلداً
وأكرم هادٍ أوضح الحق والرُشداً^(٤)
ومذهبَ ليل الشُّرك^(٥) وهو قد اربداً
وعمرى قد ولى ووزرى قد عداً
فلا عزمةٌ تُمضى ولا لوعةٌ تهداً

ولم يستطع من بعد ما بعد المدى
تداركه يا غوثَ العباد برحمة
أجار بك الله العباد من الردى
حمى دينك الدنيا وأقطعتك الرضا
وطهر منك القلب لما استخصه
دعاه فما ولى هداه فما غوى
تقدمت مختاراً تأخرت مُبعثاً
وعلة هذا الكون أنت وكل ما
وهل هو إلا مظهر أنت سيره
ففى عالم الأسرار ذاتك تُجتلى
وفى عالم الحسن اغتديت مَبوياً
فما كنتَ لولا أن بُثت هدايةً
فما عسى يُثنى عليك مُقصر ولم
بماذا عسى يجزيك هاوٍ على شفاً
عليك صلاة الله يا خير مُرسَلٍ
عليك صلاة الله يا كاشف العمى
إلى كم أرانى فى البطالة كانعاً
تقضى زمانى فى لعلٍ وفى عسى

- (١) من هنا تبدأ بقية القصيدة الواردة بالإسكوريال (لوحة 438) .
(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (الذكر) .
(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (أوردته) .
(٤) هذا البيت وارد فى الإسكوريال وساقط فى النفع .
(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الروح) والأولى أربع .

حُسام جبان كلما شيم نضله
 ألا ليت شعري هل أراي ناهدا
 رضيع لبان الصُّدق فوق شمله
 فتهدى بأشواق السُّرأة إذا سرت
 إلى أن أخطَّ الرَّحْل في تُربك الذي
 وأطفئ في تلك الموارد غلتي
 بمولِّدك^(١) اهتزَّ الوجودُ فأشرقت
 ومن رُعبه الأوثان خرت مهابةً
 وغاض له الوادي وصبَّح عزه
 رعى الله منها ليلةً أطلع الهدى
 وأقرض ملكًا قام فينا بحقها
 وحيًا على شطِّ الخليج محلَّةً
 وجاد الغمام العدِّ فيها خلائفًا
 عليًا وعثمان ويعقوب لا عدا
 حموا وهموا في حومة البأس والندى
 والله ما قد خلفوا من خليفة
 إذا ما أراد الصُّعب أغرى بنيله
 فكم معتدٍ أردى وكم تائه هدا
 أبا سالم دين الإله بك اغتلى
 فدم من دفاع الله تحت وقايةٍ
 ودونكها مني نتيجة فكرة

تراجع بعد العزم والتزم الغمدا
 أقود القلاص البدن والضامر النهدا
 مضمرة وسدت من كورها مهدا
 وتُحدي بأشعار الركاب إذا تحدا
 تَضَوِّع نِدًا ما رأينا له ندا
 وأحسب قُربًا مُهجة شكَّت البُعدا
 قصورٌ ببصرى ضاءت الهضب والوهدا
 ومن هوله إيوان كسرى قد انهدا
 بيوتًا لنار الفرس أعدمها الوقدا
 على الأرض من آفاقها القمر السعدا
 لقد أحرز الفخر المؤئل والمجدا
 يحالف من ينتابها العيشة الرغدا
 مآثرهم لا تعرف الحصر والعدا
 رضى الله ذاك النجل والأب والجددا
 فكانوا الغيوث المُستَهلة والأسدا
 حوى الإرث عنهم والوصية والعهدا
 صدور العوالي والمطهمة الجردا
 وكم حكمة أخفى وكم نعمة أبدا
 أبا سالم ظلُّ الإله بك امتدا
 كفاك بها أن تسحب الحلق السردا
 إذا استرشحت للنظم كانت صفا صلدا

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النسخ (مولدك) .

ولو تركت منى الليالى صبابةً
ولكنه جهد المقل [على الثوى] (۱)
لأجهدتها ركضاً وأرهقتها شداً
وقد أوضح الأعدار من بلغ الجهداً (۲)

ومن ذلك قصيدة أنشدتها مولاي السلطان الغنى بالله بمحضرى بالمشور
الحافل ، المتخذ بعد الرجوع إلى الأندلس ، فى بعض ليالى المولد الكريم ،
المنوّه بوليمنتها ، وهى خاتمة النظم فى هذا الغرض المقتضى الإمام ، بمدح
السلطان ، صرف الله وجوهنا إليه :

ما على القاب من بعدكم من جناح
وعلى الشوق أن يشب إذا هب
جيرة الحى والحديث شجون
أترون السلو خامر قلبى
ولو أنى أعطى اقتراحى على الأيام
ضايقتنى فيكم صروف الليالى
وسقتنى كأس الفراق دهاقاً
واستباححت من جدتى وقبائى
قصفت صعدة انتصارى وفلت
لم تدع لى من السلاح سوى
عاجلتنى به وفى الوقت فضل
فكان الشباب طيف خيال
ليل أنس دجى (۴) وأقصره ليل
أن يرى طائرا بغير جناح
بأنفاسكم نسيم الصباح
والليالى تلين بعد الجماع
بعذلكم لا وفالق الإصباح
ما كان بعدكم باقتراح
واستدارت على دور الوشاح
فى اغتياق مواصل باضطباح
حرما لم أخله بالمستباح
غرب عزمى المعد يوم كفاج
مغفر شيب أهوى به من سلاح
لاهترازى إلى الهوى وارتباح
أو وميض قما (۳) عقيب التماح
جاذبت برده يمين صباح

(۱) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال . وفى النسخ (بلفته) .

(۲) اورد المقرئ هذه القصيدة فى نفع الطيب ج ۴ ص ۱۵۹ - ۱۶۱ .

(۳) واردة فى الإسكوريال وساقطة فى الزيتونة .

(۴) هكذا فى الإسكوريال وفى الزيتونة (مضى) .

صاح والوجد مشرب والورى
يا ترى والنفوس أسرى الأمانى
هل يباح الورود بعد زياد^(١)
وإذا أعوز الجسم التلاقى
جاء عهد الهوى من السحب هام
كلما أخضل الربوع بكاء
عادنى من تذكر العيد عيد
سُفحت فيه الدموع دماً
وركاب سُرُوا وقد شمل الليل
وكان الظلام عنكر زنج
حملت منهم ظهور المطايا
ستروا الوجد وهو نار وكان الستر
خلفونى من بعدهم يائس الطرف
وجدوها مثل القسي ضمورا
وطروا طوع باعث الوجد والشوق إلى الأبطحى غير البطاح
مصطفى الكون من ظهور النبيين هداة الأنام سبل الفلاح
حجة الله حكمة الله سر
حاشر الخلق عاقب الرسل
صاحب المعجزات لا يتمارى
من جماد يقرأ وقمر يشق
دعوة الأنبياء منتظر الكمان

صفان من منتشر وأخمر صاح
ما لها عن وثاقها من سراح
أو يتاح اللقاء بعد انتزاح
ناب عنه تعارف الأرواح
مستهل الوميض ضافى المناخ
ضحكت فوقها ثغور الأقاح
كان منى للعين عيد الأضاح
فهى فوق الخدود ذات انسياح
بمسح الدجى جميع الذواح
ونجوم الدجى نصول الرماح
أى جد بخت وعزم صراح
ثقل الخطا مهيض الجناح
قد برت منهم سهام قidah
إلى الأبطحى غير البطاح
المثبت بالله بعدهم والمآح
العقل فى أيا الحسان إلى الصّاح
والماء من بنان السراح
دعوى البشير باستفتاح

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ والزيتونة (ديار) .

مظهر الوحي مطلع الحق معنى الخلق فتح المهيمن الفتاح
 أى غيث من رحمة الله هام الذى يشرح امرؤ فى رسول
 شقه الروح ثم طهر منه مدحتك الرسل يا خاتم الرسل
 ولعجز النفوس عن درك الحق صلوات الإله يا نكتة الكون
 عدد القطر والرّمال وما جزاك الإله أفضل ما يجزى
 أسفى كم أرى طريد ذنوب قد غزّتى الخطوب غزو الأعدى
 سبق الحكم واستقلّ وهل يحى لا لدنيا جنحت ألغ فيها
 قاطعاً فى الغرور برهة عمري طمع الشيب باللجام المحلى
 فابت نفسى اللجوج وجدت ياطيب الذنوب تدبيرك
 يا مجلى العمى وكافى الدواهى سد باب القبول دونى وما لى
 خصك الله بالكمال وزند قبل أن يوجد الوجود وأن
 وأضاءت من بعد ميلادك الأرض

وسراج يهديه وضاح عاجل الله صدره بانشرح
 القلب من بعد بالبرود القراح فمن لى بعدها بامتداح
 وإيقافها وقوف افتضاح على مجدك اللباب القراح
 عاقب دهر غدوه برواح كرام الأيمّة النصّاح
 أوبقتنى فليس لى من براح وبرتني الهموم برى القداح
 قضا قد خطّ فى الألواح لا لدين خلصت لا لصلاح
 خسرت صفتى ونخاب قداح حين أبديت أن يردّ جمّاح
 فى سمو إلى الهوى وطماح الناجع فى علّتى ضمّين النجاج
 ومداوى المرضى وآسى الجراح يا غياثى سواك من مفتاح
 الكون لم تقترن بكف اقتداح يتحف بالنور ظلمة الأشباح
 وهزّت له اهتزاز ارتبّاح

فسرى الخصب في الجسوم الهزالي
 ولقد روعيت لديه حقوق
 معالي محمد بن أبي الحجاج
 ناصر الحق مُرسل النفع سُحبا
 ومُريد الجياد أرض الأعدى
 يتلاعبن بالظلال عرابا
 يا سراج النّادى وحتف الأعدى
 جمع الله من حلى آل عباس
 بين رأيٍ مُوفّق واعستزام
 وخفضت الجناح في الأرض حتى
 أنت مصباحها ونور دُجائها
 محص الله منك يا قوّة الملك
 بخطوب أرت حديث سليمان
 بيدي فاقد الحجا هلهل النسج
 نال منها عُقبى مُسيلمة الكذاب
 ثم ردّ الأمور ردّا جميلا
 فأجره في الورى الجميل وعامل
 واشترى الحمد بالمواهب واعقيد
 بركات السماء تبتدر الأرض
 وتهنأ بدنيا سعيدا
 وتمتع منه بهالة ملك
 منشور الرأى مجمع الحفل مثوى

وجرى الرّسل في الضروع الشّحاح
 أقطعتها العدى جناب أطراح
 ليثُ العدا وغيث السّماح
 بين سمر القنا وبيض الصّفاح
 وهى مُختالة لفرط المراح
 غُذيت في الفلا لِبان اللّقاح
 وعماد الملك الكريم المنّاح
 لعلياك في سبيل امتّسداح
 مُستعين وصارم سفّاح
 لم تدع فوق ظهرها من جناح
 دافع الله عنك من مصباح
 ويُنبوع العدل والإصلاح
 وجاءت بالحادث المُجتاح
 أخى جرأة وربّ اجترّاح
 إذ عاند الهوى وسجّاح
 لكن من بعد فرقة وانترّاح
 منه كنز الغنى ومثوى الرّياح
 عقدها في مطنة الأرياح
 إذا استودعت بدور السّماح
 جاء للمعلّوات وفق اقتراح
 أطلعت منك أى بدر لياح
 كل ذى ذمّر وسيد ججّاح

وَاغَابُ الْأَسْوَدُ يَوْمَ الْكِفَاحِ
 وَمَعْنَى السُّرُورِ وَالْأَفْرَاحِ
 لَا يُغَلِّسُ الْخَضَمُ بِالضُّحَضِاحِ
 إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهُ يَا صَاحِ
 كَزَهْرِ الرَّيَاضِ فِي الْأَدْوَاحِ
 اسْتَجَدَّتْ وَبَادَرَتْ بِافْتِتَاحِ
 وَاكْتَسَتْ حُلَّةَ اللُّغَاتِ الْفِصَاحِ
 وَضَاقَ الْخَطُّ الْعَرِيضُ السَّاحِ
 نَقْطَةً مِنْ قَلْبِهِ الْمُتَمَتِّحِ
 لَا يُبْحِنُ لِلشُّيُوخِ عَقْدَ نِكَاحِ
 وَنَجْوَى أَهْلِ التَّقَى وَالصَّلَاحِ
 وَوَضِلُّ السُّؤَالِ وَالْإِلْحَاحِ
 تَرَى بِكُلِّ خُودٍ رِدَاحِ
 طَرَّرَ الْحُسْنَ فِي الْوَجْهِ الْمِلاحِ
 بَيْنَ مَغْدَى مَوْفِقٍ وَمَـرَاحِ
 وَجَرَتْ خَلْفَهُنَّ شُهْبُ الصَّبَاحِ

وَمَقَامِ السَّلَامِ فِي مَدَةِ السَّلْمِ
 مَلْتَقَى حِكْمَةً وَمَلْعَبَ الْهَمَامِ
 أَيْنَ كَسْرَى وَأَيْنَ إِيوَانَ كَسْرَى
 أَيْنَ نُورِ الْأَلْدُنِ عُنْصُرِ النَّارِ
 بِنِيَّةٍ كَانَ فَضْلُهَا لَكَ مَذْخُورَا
 حِينَ طَابَ الزَّمَانُ وَاعْتَدَلَ الْفَضْلُ
 هَاكِنَا قَدْ تَتَوَجَّجَتْ بِالْمَعَانِي
 حِينَ غَاضَ الشَّبَابُ وَارْتَجَعَ الْفِكْرُ
 جَهْدُ قَلْبٍ لِفَقْتِهِ بَعْدَ جِهَادِ
 وَمَعَانِي الْبَيَانِ مِنْ عَذَارَى
 وَالشَّيْخِ سِوَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ
 وَلِزُومِ الْبَابِ الَّذِي يَجْبُرُ الْكَسْرَ
 وَعَلَى ذَلِكَ فَهِيَ سَاحِرَةٌ الْأَحْدَاقِ
 تَنْفُثُ السُّحْرَ فِي الْجَفُونَ وَتَهْدِي
 دُمْتَ فِي عِزَّةٍ وَرَفْعَةٍ قَدْرِ
 مَا تَوَلَّتْ دُهُمَ الدَّجْنَةِ غَدَا

وَمِنْ غَرَضِ الْأَمْدَاحِ قَوْلِي فِي امْتِدَاحِ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ أَبِي عَنَانَ ، لَمَا
 تَرَجَّهْتُ إِلَيْهِ رَسُولًا ، مُحْمَلًا مَصَالِحَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، وَاسْتَدْعَى الشَّعْرَ مِنْي
 قَلْتُ :

أَبْدَى لِدَاعِي الْفُوزِ وَجْهَ مُنِيبِ
 وَأَفَاقَ مِنْ عَذْلِ وَمِنْ تَأْنِيبِ
 كَلِفُ الْجَنَانِ إِذَا جَرَى ذَكَرَ الْجَمِي
 وَالْبَانَ حَنَّ نَهْ حَنِينِ النَّيْبِ

والنفس لا تنفك تكليف بالهوى
 وحل الصبا فطرحت في أعقابه
 أتري التغزل بعد أن ظعن الصبا
 أنى لمثلى بالهوى من بعد ما
 لبس البياض وحل ذروة منبر
 قد كان يسترنى ظلام شيبتي
 وإذا الجديدان استجداً أبلية
 سلنى عن الدهر الخؤون وأهله
 متقلب الحالات فاخبر ثقله
 فكل الأمور إذا اعترتك لربها
 قد يخبأ المحبوب في مكروها
 واصبر على مَضض الليالى إنها
 واقنع بحظ لم تنله بحيلة
 يقع الحريص على الردى ولكم غدا
 من رام نيل الشئ قبل أوانه
 فإذا جعلت الصبر مفزع معضل
 وإذا استعنت على الزمان بفارس
 بخليفة الله الذى فى كفه
 المنتقى من طينة المجد الذى

والشيب يلخطها بعين رقيب
 ما كان من غزلٍ ومن تشيب
 شأنى الغداة أو النسب نسيب^(١)
 ليلوخط فى الفودين أى ديب
 منى ووالى الوعظ فعل خطيب
 والآن يفضحنى صباح مشيب^(٢)
 من لبسته الأعمار كل قشيب
 تسل المهلب عن حروب شيب
 مهما أعدت يداً إلى تقليب
 ما ضاق لطف الرب عن مربوب
 من يخبأ المكروه فى المحبوب
 لحوامل سيلدن كل عجب
 ما كل رام سهمه بمصيب
 ترك التسبب أنفع التسبب
 رام انتقال بللم وعيب
 عاجلت علته بطب طيب
 لبي نداءك منه خير مجيب
 غيث يروض ساح كل جدب
 ما كان يوماً صرفه بمشوب

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (نسيب) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (مشيب) .

يرمى الصُّعَابُ ^(١) بِسَعْدِهِ ^(٢) فيقودها
ويبرى الحقائق من وراء حجابها
من آل عبد الحق حيث توشحت
أسد الشرى سُرُج الورى فمقامهم
أما دعا الداعى وتوب صارخا
شهب ثواقبُ والسما ^(٣) عَجاَجة
ما شئت في آفاقها من راح
عجبت سيوفهم لشدة بأسهم
نظموا بلبات العُلا واستوسقوا
تروى العوالى [في المعالى] ^(٥) عنهم
عن ^(٦) كل موثوق به إسناده
فأبو عنان عن عِلى نصه ^(٧)
جاءوا كما أتق الحساب أصالة
متجسداً من جوهر النور الذى
متألِّقا من مطلع الحق الذى
قل للزمان وقد تبسم ضاحكا

ذُللاً على حَسَب الهوى المرغوب
لا فرق بين شهادة ومغيب
شُعب العلى وربت بأى كَثيب
لله بين محارب وحُروب
ثابوا وأموا حومة التثويب
مأثورها ^(٤) قد صح بالتجريب
يبدو وكف بالنجيع نخضيب
فتبسمت والجو في تقطيب
كالرُمح أنبؤبا على أنبُوب
أثر الندى المولود والمكسوب
بالقطع أو بالوضع غير معيب
لنقل عن عثمان عن يعقوب
وغدوا فذلك ذلك المكتوب
لم ترم يوما شمسُه بغروب
هو نور أبصار وسر قلوب
من بعد طول ^(٨) تجهم وقُطوب

- (١) وردت في الإسكوريال (الصفات) . والتصويب من النفع .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (بصعبه) والأولى أرجح .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (فى سما) .
(٤) وردت في الإسكوريال (تأثيرها) . والتصويب من النفع .
(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (والمعالى) .
(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (من) .
(٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (غضة) والأولى أرجح .
(٨) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

هي دعوة الحق التي أوضاعها
هي دعوة العدل الذي شمل الوري
لو أن كِسْرَى الفرس أدرك فارساً
لما حَلَلْتُ بأرضه مُتَمَلِّباً
شَمَل الرُّضَا فَكَأَنَّ كُلَّ أَقَاحَة
وَأَتَيْتُ فِي بَحْرِ الْقُرَى أُمَّ الْقُرَى
فَرَأَيْتُ أَمْرَ اللَّهِ مِنْ ظِلِّ التُّقَى (١)
وَرَأَيْتُ سَيْفَ اللَّهِ مَطْرُورَ الشُّبَا
وَشَهِدْتُ نُورَ الْحَقِّ لَيْسَ بِأَقْلٍ
وَوَرَدَتْ بَحْرَ الْعِلْمِ يَقْدِفُ مَوْجُهُ
لِلَّهِ مِنْ شَيْمٍ كَأَزْهَارِ الرَّبِيِّ
وَجَمَالَ مَرَأَى فِي رِداءِ مَهَابَة
بِأَجْنَةِ فَارَقَتْ مِنْ غُرْفَاتِهَا
أَسْفَى عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ حَظِّي بِهَا
إِنْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ شَرَقَتْ بِعَبْرَتِي
حَتَّى لَقَدْ عَلِمْتُ سَاجِعَةَ الضُّحَى
وَشَهَادَةَ الْإِخْلَاصِ تَوْجِبَ رَجْعَتِي
يَا نَاصِرَ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ
حَقَّقْ ظُنُونِ بَنِيهِ فَيْكَ فَإِنَّهُمْ

جَمَعَتْ مِنَ الْإِثَارِ كُلِّ غَسْرِبٍ
فَالشَّاةُ لَا تَخْشَى اعْتِدَاءَ الذُّيْبِ
أَلْقَى إِلَيْهِ بِتَسَاجِهِ الْمَعْصُوبِ
مَا شِيتَ مِنْ بَرٍّ وَمِنْ تَرْحِيبِ
تُومِي بِثَغْرِ السَّلَامِ شَنِيبِ
حَتَّى حَطَّطْتُ بِمَرْفَأِ التَّقْرِيبِ
وَالْعَدْلُ تَحْتَ سُرَادِقِ مَضْرُوبِ
يَمْضِي الْقَضَاءُ بِحَدِّهِ الْمَرْهُوبِ
وَالدِّينَ وَالدُّنْيَا عَلَى تَرْتِيبِ
لِلنَّاسِ مِنْ دُرِّ الْهَدْيِ بِضُرُوبِ
غَبَّ انْثِيَالِ الْعَارِضِ الْمَسْكُوبِ
كَالسَيْفِ مَصْقُولِ الْفِرْنَدِ مَهِيبِ
دَارَ الْقَرَارِ بِمَا انْتَضَتْهُ ذُنُوبِ (٢)
لَا تَنْقُضِي تَرْحَاتِهِ وَنَجِيبِ
وَتَفِيضِ فِي وَقْتِ الْغُرُوبِ غُرُوبِ
شَجْوِي وَجَانِحَةَ الْأُصَيْلِ شُحُوبِ (٣)
لِنَعِيمِهَا مِنْ غَيْرِ مَسِّ لُغُوبِ
إِنْضَاءِ مَسْغَبَةٍ وَقَلِّ خَطُوبِ
يَتَعَلَّلُونَ بِوَعْدِكَ الْمَرْقُوبِ

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (فرأيت أمن

الله في ظل التقي) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ذنوبي) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شعوبي) .

ضاقَت ذاهبٌ نصرهم فتعلقوا
 ودجا ظلام الكفر في آفاقهم
 فانظر بعين العز من ثغر غدا
 نادتك أندلس ومجدك ضامن
 غصب العدو بلادها وحسامك الماضي الشبا مسترجع المغصوب
 أرها^(٣) السوابح في المجاز حقيقة
 يتأود الأسل^(٤) المثقف فوقها
 والنصر يضحك كل مبسم غرة
 والروم فارم بكل نجم ثاقب
 بذمايل السلب التي تركت بني
 وأضيف إلى لام الوغى ألف القنا
 إن كنت تعجم بالعزائم عودها
 ولك الكتابيب كالخمايل أطلعت
 فمرنح العطفين لامن نشوة
 يبدو سداد الرأي في راياتها
 وترى الطيور عصايا من فوقها
 هدبتها بالعرض يذكر يومه
 وهي الكتابيب إن تنوسى عرضها
 بجانب عز من ألاك رحيب
 أوليس صبحك منهم بقريب
 حذر العدا يرنو بطرف مريب
 أن لا تخيب^(١) لديك في^(٢) مطلوب
 من كل قعدة سحر وجنب
 وتجنب صاهلة رغاء نجيب
 والفتح^(٥) معقود بكل سبب
 يذكي بأربعها شواظ لهيب
 زيان بين مجدل وسليب
 تظهر لديك علامة التغليب
 عود الصليب اليوم غير صليب
 زهر الأسنه فوق كل قضيب
 ومورد الخدين غير مريب
 وأمورها تجرى على تجريب
 لحلول يوم في الضلال عصب
 عرض الورى للموعد المكتوب
 كانت مدونة بلا تهذيب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يخيب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (ذو) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أرض) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الأثل) والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (اليمن) .

حتى إذا فرَضَ الجِلاَد جِلاَدَه^(١)
 قَدِمْتَ سَالِبَةَ العَدُوِّ^(٢) وبعدها
 وإِذَا تَوَسَّطَ نَضَلَّ سَيْفَكَ عِنْدَهَا
 وَتَبَرَّأَ الشَّيْطَانُ لِمَا أَنْ عَلَا
 الأَرْضَ إِرْثٌ وَالْمَطَامِعُ جَمَّةٌ
 وَخَلَائِفُ التَّقْوَى هُمْ وَرَائِهَا
 لِكَاثِنِي بَكَ قَدْ تَرَكْتَ رُبُوعَهَا
 وَأَقَمْتَ فِيهَا مَاتَمًا لِكَنَّهُ
 وَتَرَكْتَ مُفْلِتَهَا بِقَلْبٍ وَاجِبٍ
 تَبْكِي نَوَادِئُهَا وَيُنْقِلُنَ الخُطَا
 جَعَلَ الإِلَٰهَ البَيْتَ مِنْكَ مِثَابَةً
 فَإِذَا ذَكَرْتَ كَأَنَّ هَبَاتَ الصَّبَا
 لَوْلَا ارْتِبَاطُ الكَوْنِ بِالمَعْنَى الَّذِي
 قَلْنَا لِعَالَمِكَ الَّذِي شَرَّفْتَهُ
 وَلِأَجْلِ قُطْرِكَ شَمْسُهَا وَنُجُومُهَا
 تَبْدُو بِمَطْلَعِ أَفْقِهَا فِضِيَّةً
 مَوْلَايَ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ تَهْزُنِي
 بِحُلِّي عُلَاكَ أَطْلَتُهَا وَأَطْبَتُهَا

وَرَأَيْتَ رِيحَ النَّصْرِ ذَاتَ هُبُوبٍ
 أُخْرَى بَعَزَ النَّصْرِ ذَاتَ وَجُوبٍ
 جُزْأَى قِيَّاسِكَ فُزْتُ بِالمَطْلُوبِ
 حِزْبُ المَدَى مِنْ حِزْبِهِ المَغْلُوبِ
 كُلُّ يَهْشُ إِلَى التَّمَّاسِ نَصِيبِ
 وَإِلَيْكَا بِالحِظِّ وَالتَّعْصِيبِ
 قَفْرًا بِكُرِّ الغَزْوِ وَالتَّعْقِيبِ
 عِرْسٌ لِنَسْرِ بِالفَلَاةِ وَذِيبِ
 رَهْبًا وَخَدًّا بِالأَسَى مَنْدُوبِ
 مِنْ شِلْوِ طَاغِيَةٍ لِشِلْوِ صَلِيبِ^(٣)
 لِلعَاكِفِينَ وَأَنْتَ خَيْرُ مُشِيبِ
 قَضَتْ بِمَنْدَرَجِهَا لَطِيمَةً طِيبِ
 قَصْرَ الحِجَا عَنِ سِرِّهِ المَحْجُوبِ
 حَسَدُ البَسِيطِ مَزِيَّةُ التَّرْكِيبِ
 عَدَلْتُ^(٤) عَنِ التَّشْرِيقِ لِلتَّغْرِيبِ
 وَتَغِيبُ عَنكَ وَهِيَ فِي تَذْهِيبِ
 وَالنَّارُ تَفْضِضُ عَرْفَ عُودِ الطَّيِّبِ
 وَلَكُمْ مُطِيلٌ وَهُوَ غَيْرُ^(٥) مُطِيبِ

- (١) هَكَذَا فِي الإِسْكَورِيَّالِ . وَفِي النِّفْحِ (جِدَالِهِ) .
 (٢) هَذِهِ الكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي النِّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الإِسْكَورِيَّالِ .
 (٣) هَكَذَا فِي الإِسْكَورِيَّالِ . وَفِي النِّفْحِ (سَلِيبِ) .
 (٤) وَرَدَّتْ فِي الإِسْكَورِيَّالِ (عَدَلْتُ) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النِّفْحِ .
 (٥) وَرَدَّتْ فِي الإِسْكَورِيَّالِ (خَيْرِ) وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النِّفْحِ

طالبتُ أفكارى بفرضِ بديها
 مُتَبَتِّئُ أَنَا فِي حُلَا نَلِكِ الْعَلَا
 الطبعُ فحلُّ والقريحةُ حرَّةٌ
 لكننى سهلتُها وأدلتُها
 هابتُ مقامك فاطَّبتُ صعابها
 إن كنت قد قاربتُ في تعديلها^(١)
 عُذرى لتقصيرى وعجزى ناسخُ
 من لم يُدِنِ اللهُ فيك بقُرْبَةٍ
 والله ما أخفيتُ حبك خيفةً
 فوفت بشرط الفؤر والترتيب
 لكن شِعْرى فيك شعر حبيب
 فاقبله بين نجيبه ونجيب
 من كلِّ وخبى بكلِّ ربيب
 حتى غَدَتْ دُلَّالاً عَلَى التَّدْرِيبِ
 لا بَدَّ فِي التَّعْدِيلِ مِنْ تَقْرِيْبِ
 ويجلُّ منك العفو عن تَشْرِيْبِ
 هو من جناب الله غيرُ قريب
 إِلا وَأَنْفَاسِي عَلَى تَشْيِ بِي^(٢)

وقولى فى امتداح سُلطاني لما احتفل لإِعْذارِ وَلَدِهِ ، واسترَكَبَ الفُرسانَ
 لِمُزَامَلَةِ المَدْفِ الخَشْبِي المُنْتَخِذِ فِي الجَوِ المَسْمَى بالطُّبْلَةِ ، وأرسل جوارح
 الأكلب الضخام ، المُجْتَلِبَةِ مِنْ أَرْضِ أَلانَ ، خلف فحول البقر الطاغية
 الشرس ، تمسكها من آذانها وأجنابها ، حتى تتمكن منها الرجال ، وغير ذلك
 من أوضاع الإِعْذارِ وَجُزْئِيَّاتِهِ . وهى آخر الشعر فى هذا الغرض ، لخجل
 السلطان من تنزلى إلى ذلك ، وترفيهى عنه تَجَلَّةٌ ، أَجَلَّهُ اللهُ ، وكرمه لديه :
 شحطت وفود الليل بان به الوخط
 أتاه وليد الصبح من بعد كبرة
 كأنَّ النجوم الزهر أعشار سورة
 وقد وردت نهر المجرَّة سحرة
 وقد جعلت تُفلى بأنزلهما الدجا^(٣)
 وعسكره الزنجى هم به القبط
 أبولد أجنى ناحل الجسم مُشْمَطُ
 ومن خطرات الرجم أثناءها مط
 غوائص فيه مثلما تفعل البط
 وترسل منها فى غدا ترد مشط

(١) وردت فى الإسكوريال (تعديلها) والتصويب من النفع .

(٢) هذا البيت الأخير وارد فى الإسكوريال . وساقط فى النفع .

(٣) هكذا الإسكوريال . وفى النفع (الفلا)

يحف^(١) عُبَابَ اللَّيْلِ عَنْهَا جَوَاهِرُ
 فَعَادَتْ^(٢) خِيَالًا مِثْلَهَا غَيْرَ أَنَّهُ
 سَرَتْ سَلَخَ شَهْرٍ فِي تَلْفُتٍ مَقْلَةٍ
 لِي اللَّهِ مِنْ نَفْسٍ شُعَاعٍ وَمُهْجَةٍ
 وَنُقْطَةٍ قَلْبٍ أَصْبَحَتْ مَنَشَأَ الْهَوَى
 فَأَقْسَمَ لَوْلَا زَاغِرُ الشَّيْبِ وَالنُّهَى
 لِيرِيحِهَا الْأَخْرَاسَ مَنَى بِطَارِقِ
 تَنَاقِلِهِ كَوْمَاءَ سَامِيَةِ الذَّرَى
 وَلَوْلَا النَّهْيُ لَمْ تَسْتَبِينَ^(٥) سَبِيلُ الْهُدَى
 وَلَوْلَا عَوَادِي الشَّيْبِ لَمْ يَبْرَحِ الْهَوَى
 وَلَوْلَا أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدَ
 يَنْوِبَ عَنِ الْإِضْبَاحِ إِنْ مَطَّلَ الدُّجَا
 تُقِرُّ لَهُ الْأَمْلَاقَ بِالشَّيْمِ الْعُلَا
 أَرَادُوهُ فَارْتَدُّوا وَجَارُوهُ فَانْتَنُوا
 تَشْرُ^(٧) عَلَى الْمَدَّاحِ غُرَّ خِلَالِهِ
 تَعْلَمُ مِنْهُ الدَّهْرُ حَالِيَهُ فِي الْوَرَى

فِيكَثْرِ فِيهَا النَّهْبِ لِلْحَيْنِ وَاللَّقْطِ
 مِنَ الْبَثِّ وَالشُّكْوَى يَبِينُ لَهُ لَغَطُ
 عَلَى كَتَبِ^(٣) الْأَحْلَامِ تَسُوُّو تَنْحَطُّ^(٤)
 إِذَا قَدَحَتْ لَمْ يَخْبُ مِنْ زَنْدِهَا سَقَطُ
 وَعَنْ نُقْطَةٍ مَفْرُوضَةٍ يَنْشَأُ الْخَطُ
 وَنَفْسٌ لَغَيْرِ اللَّهِ مَا خَضَعَتْ قَطُ
 مَفَارِقِهِ شَمَطُ وَأَسْيَافِهِ شَمَطُ
 وَيَقْدِفُهُ شَهْمٌ مِنَ النَّيْقِ مُنْحَطُ
 وَكَادَ وَزَانَ الْحَقُّ يُدْرِكُهُ الْغَمَطُ
 يُهَيِّجُهُ نَوْءٌ عَلَى الرَّمْلِ مُخْتَطُ
 طَالَتْ بِحَارِ الرَّوْعِ وَاخْتَجَبَ الشُّطُ
 وَيَضْمَنُ سُقْيَا السَّرْحِ إِنْ عَظُمَ الْقَحَطُ
 إِذَا بَذَلَ الْمَعْرُوفَ أَوْ نُصِبَ الْقِسْطُ
 وَسَامُوهُ فِي مَرَقِي الْجَلَالَةِ فَانْحَطُ^(٦)
 وَمَا رَسَمُوا فَوْقَ الطُّرُوسِ وَمَا خَطُ^(٨)
 فَاوْنَةٌ يَسْخُو وَآوْنَةٌ يَسْطُ^(٩)

- (١) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (يَشْف) .
 (٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (فَسَارَتْ) .
 (٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (قَتَب) .
 (٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (وَتَنْحَطُو) .
 (٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَسْتَبِينَ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .
 (٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (فَانْحَطُو) .
 (٧) هَكَذَا فِي الْإِسْكُورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَسِير) .
 (٨) فِي النَّفْحِ (خَطُوا) .
 (٩) فِي النَّفْحِ (يَسْطُو) .

بحكمة مَنْ في كَفِّهِ القَبْضُ والبَسْطُ
 كما مُزجت بالبارد العذب اسْقَطُ
 ويا فخر ملك كنت انت له سبط
 فأيُّ سِلاح ما المُجْنُ وما اللَّمَطُ
 أناخت على الإسلام تَجْنِي وتَشْتَطُ
 ونادى بأهلها التَّبار فلم يَبْطُ
 ولا يكمل البحران أو يَنْضِج الخلط
 ولما يَقَعُ منها النزول أو الهَبْطُ
 وهيهات اين الأثل سنهم^(٢) أو الخمط
 ومن راسفٍ في القيد أرهقه الضغط
 فيسمع من بعد السُّهاد لها غَطُ
 تزام مرتادٌ عليها و مُخْتَطُ
 أماناً كما يَضْفُو على الغادة المرط
 وجاء فصحَّ العَقْدُ واستوثق الرِّبْطُ
 وأذعن مُعْتاصٌ وأقصر مُشْتَطُ
 أبْت^(٤) أن توافيها الشِّفاة أو الخَطُ
 ومن دون فرخيه القتادة والخَرَطُ
 على قَدْرِ حتى الأرائك والبُسْطُ
 كما سُمِط المنظوم أو نُظِم السَّمْطُ
 فهبوا لداعيه المَهيب وإن شَطُوا
 ويحدوهم الخَضْبُ المضاعف والغَبْطُ

وتجمع بين القَبْضُ والبَسْطُ كَفُّهُ
 خلايق قد طابَتْ مذاقاً ونفحةً
 أسبَطُ الأمام الغالبي محمد
 وَقَتِكَ أواق الله من كل غائلٍ
 لقد زلزلت منك العزائم دولةً
 إِيالةً غَدِرٍ ضِعْضِع^(١) الله رُكْنَهَا
 على قَدْرِ جَلِي بك الله يؤسها
 وكانوا نعيم الجنَّتَيْن تَفِيثُوا
 فقد عُوْضُوا بالأثل والخمط بعدها
 فمن طايح فوق العراء مُجدَّلُ
 أنمت على مهد الأمان عيونها
 وصمَّ صدى الدنيا فلما رَحِمْتَهَا
 وألحف^(٣) منك الله أمة أحمد
 وأحكمت عقد السُّلم لم تَأَل بعده
 وأيقن مرتابٌ وأصبح نافرٌ
 والله مَبْنَاك الذي معجزاته
 وأنست غريب الدار مسقط رأسه
 تناسبت الأوضاع فيه^(٥) وأحكمت
 فجاء على وفق العُلا رائق الحلَى
 والله إعدارٌ دعوت له السورى
 تقودهم الزُّلفى ويدعوهم الرُّضا

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ضيق) . (٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وألحف) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (سميت) . (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فيك) .

وأغریتَ بالبهيم العلاج تحفياً
 أنت صوراً معلولة عن مزاجها
 قضيتَ بها دين الزمان ولم يزل
 وأرسلت يوم السبق كل طيرة
 رنتَ عن كحيل كالغزال إذا رنا
 وقامت على منحوتة من زبرجد
 وكلُّ عتيق من تمائيل رومسة
 وطاعته نحر السكاك أعانها
 تلقف حياتِ العصى إذا هوت
 أزرتَ بها بحر الهواء سفينة
 وطاردتَ مقدم الصوار بجارج
 وجيء بشبل الملك يُنجد عزمه
 سمحتَ به لم ترع فرط ضنانه
 فأقدم مختاراً وحكم عاذراً
 ولو غير ذات الله رامته تضننتُ
 وأسد نزال من فؤابة خزرج
 جلادهم مشنى إذا اشتجر الوغى
 كتابُ أمثال الكتاب تتالياً
 دليلهم القرآن يا حبذا الهدى
 وبيضُ كأمثال البروق غمامها

فلم يُدخر الشيء الغريب ولا السمط
 وأصل اختلاف الصورة المزج والخلط
 ألد كذوب الوعد يلوى ويشتط
 كما ترسل^(١) الملمومة النار والنفط
 وأوفت بهاد كالظلم إذا يُعط
 تخطُّ على الصم الصلاب إذا تخطو
 تائق في استخطاطه القس والقمط
 على الكون عرق واشج ولحاً سبط
 فتعبانها لا يُستتم^(٢) له سرط
 على الجود لا الجودي كان لها حط
 يُصاب به منه الصماح أو الإبط
 عليه الحفاظ الجعد والخلق السبط
 وفي مثلها من سنة يُترك الفرط
 ولم يشتمل مسك عليه ولا ضبط
 قتلى كالأفاعى الرقط أودونها الرقط
 بها ليل لاروم القديم ولا قببط
 كان رعاه بالعضاة لها خبط
 فمن بيضها شكل ومن سمرها نقط
 ورهطهم الأنصار يا حبذا الرقط
 إذا وشحت سحب القتام دم عبط

(١) مكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (قذف) . والأولى أرجح .

(٢) مكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (يستقيم) .

وأعمال برُّ لا يليق بها الحبُّط
ولا غرو فالأقلام يُصلحها القَطُّ
عزيزاً تُشيد المغلُواتِ وتختَطُّ
من الطَّيب ما تُهدى الألوَّة والقسط
ضلالاً فلله الرضا وله السُّخط
ولا يوجد المشروط إن عَدِم الشرط

ومن أغراض النسب قولى فى الأوليات والله ولى المغفرة :

قضيماً لعوبا بالرجاء وبالبيأس
طروباً بحمل المشرفية والكاس
جمال رواء فى تارج أنفاس
إذا ماسفحتُ الحبر فى صفح قرطاس
على أربع من حنين صبرى أدراسى
وأوجفتُ من شفر الدموع بأمراس^(٢)
ومن أملٍ لم أجن منه سوى يأس
فسعراً أحشائى وصعد أنفاس
أقول القلب^(٣) ضاع ما بين جلايس
على سطورة السفاح من آل عباس
تعامت فلم تدر النعيم من اليأس
ويعيث وسواس الحلى بوسواس
لمن تشكى بالداء والممرض الآس

ولكنه حُكم يُطاع وسنة
وربة نقص للكمال مآله
فهنيته صنعا ودمت مُملكا
ودون الذى يُهدى ثناؤك فى الورى
رضيت ومن لم يرض بالله حاكماً
حياتك للإسلام شرطُ حياته

تعلقته من دوحة الجود والبأس
[دروباً بتصرف] ^(١) البراعة والقنا
يذكر فيه الصبح عند انصداعه
ويبدو لعينى شعره وجبينه
أجال من الشوق المبرح غارة
فظهرت من سرد السقام ملامة
لك الله من ربى طواك على الظما
ومن قمر سعد عشوت لنوره
إذا ما شرعت اللحظ نحوى عابسا
أيا عبد شمس الحسن هل لك قدرة
سجمت على هول الغرام بمهجة
توهج نار الخد نار جوانحى
يا قلب صبراً فى الغرام وحسبة

(١) هكذا فى الإسكوريال والزيتونة . وفى النسخ (ضروباً بغير) .

(٢) هكذا وردت فى الزيتونة . وفى الإسكوريال (أفراس) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (لقلبي) .

على مِسْكَةٍ من مسكة الغاسق القاسى
وهدد من آذانه ورق الآس
إذا التبس الحق المبين بالياس
على كل غُصْنٍ فى الحديقه مياس
تضعضع من هباتها جبل راس
ومربّع آلامى ومعهد إيناس
كنقبة مُرتاح ونهبة خسلأس
فلفقت أذرانى حياء على الرأس
ورغى ذمامى ما تماسك إخصاس
وإن رفع الله الجُناح عن الناس
فى صبرى وثيقه إفلاس
يرى أن ما بالموت فى الحب من باس
كما حفّ جوال الفراش بنبراس
وأعلق كنى من حماه بأمراس
أبرّ بميثاق وأوفى بقسطاس

ومطلولة الأعطاف جرت ذبولها
يحدق من أجفانه نرجس الربى
لعمرك ما أرى^(١) وقد ثقّف النهى
أتلک شمال أم شمول مدارية
لقد ضععت حلمى ولم أر نسمة
رعى الله أجراء الحمى دار صبوتى
فما كان فيه الوصل إلا غلالة
وقالوا أبعث العيش بعد فراقنا^(٢)
ثقوا بوفائى ما استقلت جوارحى
ولا تعذرونى إن نسيت عهدكم
فؤادى غنى بالوفاء وربما تُسجل
لى الله من قلب خفوق معذب
تجول بنات الفكر حول خياله
أفوض للرحمن أمرى فى الهوى
وآمل لطف الله فيه فإنه
وقلت فى النسب كذلك :

أما وخیالٌ فى المنام يسرور
لقد ضیقت ذرعاً بالشوق بعد بعدکم
أدافع فى شوقى ووجدى کتابياً
سرایا إذا ما الليل مدّ رواقه
وإن كان عندى أن ذلك زور
على أننى للنائبات صبور
تزلزل رضى عندها وثبير
على ساحة الصبر الجميل تغير

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ترى) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (افتراقنا) .

إذا سكن الليل البهيم تُشور
خيالكم بالليل حين يزور
ولم تذر عني أحرفٌ وسطور
عليه الأسى وانجاب وهو قصير
نجومٌ تدوالي حثَّهن بدور
بليلاً وأكواس السرور تَدور
موارد في آماقنا وبُحسور
فغار عليها والزمان غُيور
ليخبرني بالظاعنين خبير
على صفح خدِّي فالنسيم سفير
لها لب لا ينقضي وسعير
وأصبحت الأيام وهي شهور
فهل هي إلا أنةٌ وزفير
فمثلي بموصول الملام جدير
وكم شرقٌ بالمساء وهو نَمير
وأصبحت مالي في هواك نصير
فكم من بُكاء كان عنه سُور
تفياتها والهجر منك هجير
فمنها أمامي روضة وغدير
وهونتُ فيك الخطب وهو عسير

برى جسدى فيكم غرامٌ ولوعةٌ
ولا أنيني ما اهتدى نحو مضجعي
ولو شيتُ في طيِّ الكتاب لزررتكم
تذكرت عهداً طال بعد انصرامه
وقد طلعتُ للراح في ظلماته
وتبنيتم الوصل في روضة الرضا
وعهداً بعين الدمع^(١) للدمع بعده
عهد مني غص الزمان بحسنها
فها أنا أستقرى الرياح إذا سرت
وإن خطٌ وجدى من دموعي رسالة
يا رحلة الصيف التي بجوانحي
أحول منك الشهر حولاً على الوري
ويا قلب لا تطرح سلاحك رهبةً
جنيت النوى لا عن ملال ولا قلى
وجردتُ عني لبسة الوصل طابعا
أحمد إن جلّ الذي بي من الجوى
فلست من اللطف الخفى بيانس
أتانى كتابٌ منك لا بل حديقة
وأرسلتُ دمع العين حين قرأته
تكلّفت فيك الصبر والصبر معوزٌ

(١) عين الدمع اسم لفضيحة بفرنطة الإسلامية ، كانت أيام المسلمين تفص بالحدائق
والمتنزهات ، وكان موقعها قريباً من جبل الفخار ، ومكانها اليوم يقع في دائرة الفضاحة الغرناطية
المسماة لاكارتوخا La cartuja .

وُلذتُ إلى الآمال وهي سفاهة
سألقي إلى أيدي الزمان مقادتي
وإن الذي بالبعد أجرى قضاءه
فتذكر آمالاً وتُقضى مآرب

وملتُ إلى الأطماع وهي غرور
فيعدل في أحكامه ويَجُور
على جَمع شملَى كيف شاء قدير
لدينا وتُشفى باللقاء صُدور

وقلت ، وهي من القصائد التي تشتمل على أغراض غريبة :

عسى خَطرة بالركب يا حادي العيس
لنظفر من ذاك الزلال بعلة
حبستُ بها ركبى فواقا وإنما
وقد^(١) رَسَخْتُ آيُ الجوى في جوانحي
بميدان جَفنى للسهاد كَتَيْبَةُ
وما بي إلا نَفحة حاجِرِيَّة
ألا نَفَسٌ ياريح من جانب اللوى^(٢)
ويا قلب لا تُلُق السُّلاح فربما
وقد نُعِيب الأيَّام بعد عِتَابِهَا
ولا تخش لُجَّ الدمع يا خَطرة الكرى
نقول سُلَيْمى ما لجسمك شاحباً
وقد كنت تعطو كلما هَبَّت الصبا
ومن رابع الأيَّام يا ابنة^(٤) عامر

على الهضبة الشَّماء من قصر باديس
وننعم في تلك الظلال بتعريس
عقدتُ على قلبى بها عَقْدَ تَحْبِيس
كما رسخ الإنجيل في قلب قيس
تغير على سرح الكرى في كرايس
سرتُ والدجى ما بين وهن وتغليس
يُنْفَسُ من نار الجوى بعض تنفيس
تعذر في الدهر اضطراد المقاييس
وقد يعقبُ الله النعيم من البؤس
على^(٣) الجفن بل قيسى على صرح بلقيس
مقالة تَأْيِيب يُشَاب بتأيس
بريان في ماء الشببية مغموس
يجوب الفلا قَلَّت^(٥) يداه بتفليس

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (لقد) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ والأزهار (الحسى) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (الى) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الأزهار (يابنت) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ والأزهار (راحت) .

فلا تحسبي والصدق خير سجية
ظهور النوى إلا بطون النواميس
ومنها :

وقفراء^(١) أما ركبها فمضلل
خبطنا^(٢) بها من هضبة لقرارة
وقد غمر الآل الرّحال كأنما
إذا ما نهضنا من قميل غز الة
أدرنا بها كأساً دهاقاً من السرى
وحانة خمارٍ هدانا لقصدها
تطلع ربانيتها من جداره
بكرنا^(٤) وقلنا إذ نزلنا بحانه^(٥)
أيا عابد الناسوت إنا عصابة^(٦)
وما قصدنا إلا المقام بحانة
فأنزلنا قوراء في جنباتها
بدرنا بها طين الختام بسجدة
وطاف^(٧) العذارى بالمُدّام كأنها
وصارفنا فيها نضاراً بمثله

ومرّبُها من آنسٍ غير مأنوس
ضلالاً ومِلنا من كِناسٍ إلى خيس
تخبّط منه في ضباب الدماميس^(٣)
نزلنا فعرّسنا بساحة عريس
أملنا بها عند الصّباح من الروس
شميم الحميا واصطكاك النواقيس
يُهينم في جنح الظلام بتقدّيس
عن الصّافنات الجرد والضمر العيس
أتينا لتثليث بلى ولتسديس
وكم ألبس الحق المبين بتلبّيس
محارِبُ شتى لاختلاف النواميس
أردنا بها تجديد حَسرة إبليس
قطاً تهادي في رياش الطواويس
كأنّا ملأنا الكأس ليلاً^(٨) من الكيس

(١) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي الإسكوريال (وخرقاء) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (سبحنا) . وفي الأزهار (سبحنا) .

(٣) هذا البيت وارد في الإسكوريال والزيتونة . وساقط في النفع والأزهار .

(٤) هكذا وردت في النفع والأزهار . ووردت في الإسكوريال والزيتونة (فكدنا) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع والأزهار (بساحة) والأولى أرجح .

(٦) هكذا في الإسكوريال والأزهار . وفي النفع (صباية) وهو تحريف .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الأزهار والنفع (ودور) .

(٨) هكذا وردت في الأزهار والنفع . وفي الإسكوريال (يوما) .

وَقُمْنَا نَشَادِي عِنْدَمَا مَتَعَ الضُّحَى
فَقَالَ لِبَيْتِ الْمَسْلُومِ ضَيُوفُنَا
وَهَلْ فِي بَنِي مَثْوَاكَ إِلَّا مُبَسَّرُ
يَحْدَقُ^(١) تَحْتَ النَّعْمِ مَقْلَةً ضَا حَكَ
إِذَا هَزُّ عَسَالِ الْبِرَاعَةِ فَاتِكَاً
سَبَبْنَا عَقَارَ الرُّومِ فِي عَقْرِ حَانِهَا^(٢)
لَسْنَا أَنْكَرَتْ شَكْلِي فَفَضَّلِي وَاضِح
رَسَبَتْ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ثَغْرَ مِظْنَةٍ^(٣)
وَأَغْرَيْتِ سَوْسِي بِالْعُدَيْبِ وَهَاجِرِ^(٤)

وَقَلْتُ فِي إِسْلُوبِ مَهْيَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

جُرُّ عَلَى جَرِّعِ الْحِمَى لَا مَحَالَهُ
وَافْضِ فِي تِلَاحِ نَجْدٍ وَقَدْ جَمَّ بِهَا
وَأَدِرْ فِي قَرَارَةِ الْمَاءِ قَدْ دَارَتْ
رَبِمَا يَعْجِزُ الْقَوِيُّ عَنِ الْأَمْرِ
فَإِذَا مَا اسْتَجَدَّتْ مِنْ خَيْرِ الْحِمَى
فَاعْقِلِ الْحَرْفَ فِي ظِلَالِ مِنَ الْبَانَ
وَادْخُلِ الْحَىَّ عِنْدَمَا رَوَّحَ الرَّاعِي
لَا تَجَاوِزْ أَطْنَابَ خِيْمَةِ ظَمِيًّا

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالزَيْتُونَةِ . وَفِي النَّعْمِ وَالْأَزْهَارِ (يَقْلِبُ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الزَيْتُونَةِ (خَانِهَا) . وَفِي النَّعْمِ (دَارِهَا) . وَفِي الْأَزْهَارِ (خَانَا) .

(٣) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ وَالْأَوْفِ بِحَلِيَّةِ .

(٤) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِينَ . وَفِي النَّعْمِ (مِظْنَةٌ) . وَفِي الْأَزْهَارِ (مِظْنَةٌ) .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّعْمِ وَالْأَزْهَارِ (وَهَاجِرِ) .

ولتقل إن أتتك تسل عن حالي
ليس إلا امتعاضة لغريب
سال الماء والمزادة ملأى
كيف لو جاء سائلا منك رسلاً
قسماً أنه أخى ضنين وهب
بكت الورق شجوه حين ناجاها
نازح زار من تبسالة نجدا
أيها السابق العنيف ترى
يرد الحوض حوله كل أشقى
فكره إذا استحم غرار
فالسكان راحة والأمانى
لا تجلوا دم الغريب المعنى
وكسا من نمارق السندس المخضر
ذهناً بالحيا ورساله
ما لقلبي يهوى أنين ماله
وبلى البحر عندها والملاله
فهو اليوم قانع بباله
آثر اللبث في حضيض الإقاله
فيا بئس ما ارتضى لولى آله
هملج في ملعب الصبا والجهاله
من حديث خبا إلى خباله
أقصر العذل جاهداً لا أباه
ختلتنى وأذبرت مختاله

بَسْمَتُ أَقْحَوَانَةٍ وَتَشْنَتُ بَانَةٍ
 وَرَمْتَنِي فَقَلَّ لِعُرَافِ نَجْدٍ
 إِخْبِرِ الْخَابِطَ الْمَدُومَ نَشْكَو
 إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنِ نَتَنِ الْغَيِّ
 ثُمَّ لَاحِظْتَنِي غَزَالَهُ
 إِنْ تَخَلَّصْتَ فِدُونِكَ مَالَهُ
 إِظْهَرِ الْعَيْسَ جُمْلَةً وَفَصَالَهُ
 وَيَا طَالَمَا انْتَحَلْتُ مُحَالَهُ

ومن الفخر والتأبين ، قلت مُتَشَبِّعًا ، علم الله بالأملك ، وإنما هي
 أغراض الشعراء يُتَفَنَّيْنَ فِيهَا ، والله وليُّ التجاوز عن التجاوز :

لَنَا فِي الْفَخْرِ سِيمَةٌ مُطَلَّةٌ
 وَشَمْسُ الْحَقِّ مَنْظُورٌ سَنَاها
 بَنِي سَلْمَانَ سَلَّ عَنْهُمْ سَتْدَرِي
 يَمَانِيَّةُ الْمُنَاسِبِ وَالْمَوَاضِي
 فَمَنْ نَارِ الْوَعْيِ فِي كُلِّ وَادٍ
 وَمَنْ وَضَلَ الْخَطَابَ بِكُلِّ نَادٍ
 تَهَيَّأْ لَنَا الْبَدُورَ بِكُلِّ خَدِيرٍ
 وَيُمْرِضْنَا الْعَفَافَ فَكَمْ عَلِيلٍ
 تَحْجُجُ بِيوتِنَا الْقُصَادَ دَابَا
 بِحَيْثُ الْبَيْضُ ضَامِنَةُ الْمَسَاعِي
 فَعِنْدَ السَّلْمِ مُحَرَّمَةٌ عَكُوفُ
 وَحَيْثُ الْجُرْدُ لِلْغَارَاتِ تَرْدِي
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَنَا فِي الدَّهْرِ قَوْمًا
 وَنَضْطَبُّنَ الصَّوَاعِقَ فِي غُمُودٍ
 فَتُقَطِّعُنَا الْمَجَانِي وَالرُّوَاسِي
 وَتَفْتَرِشُ الْبَطَاحُ لَنَا الْحَشَايَا
 تَقُومُ عَلَى دَعَاوِيهَا الْأَدْلِيَّةُ
 عَلَى الشُّبْهِ الْمَخِيلَةِ الْمُخِيلَةِ
 عَلَى الْأَجْيَالِ مِنْهُمْ كُلِّ جِلَّةٍ
 مَفَاخِرُهَا رُسُومٌ مُسْتَقِيلَةٌ
 وَمَنْ نَارِ الْقِرَى فِي كُلِّ حِلَّةٍ
 وَمَنْ فَضَلَ الثَّنَاءَ بِكُلِّ مِلَّةٍ
 وَتَهْوَانَا الشُّمُوسُ بِكُلِّ كَلَّةٍ
 وَمَا غَيْرَ الْهَوَى وَالْكَتْمِ عَلَّةٍ
 فَلَا تَنْفِكُ طَائِفَةٌ مُهَلَّةٌ
 وَحَيْثُ السُّمْرُ مَشِيرَةٌ مُغْلَّةٌ
 وَعِنْدَ الْحَرْبِ فَاتِكَةٌ مُجِلَّةٌ
 فَتَرْكُهَا جَوَاسِرٌ مُشْمَعَلَّةٌ
 رِيَاحُ الْجَوِّ تَلْحَفُ بِالْأَجَلَّةِ
 وَتَقْتَنِصُ الْبَوَارِقَ بِالْأَهْلَّةِ
 وَتُسْقِينَا الْغُيُوثَ الْمُسْتَهْلَّةِ
 وَلِلرَّيَّاتِ أَرْوَقَةٌ مُظِلَّةٌ

لعزُّ الله خاضعةً أذلةً
على ما حُزَّتَ من فضل مدله
أبَلَّتَه الليالي المُستَمِلَّة
وقد ذهب الهوى إلاَّ تَعِلَّة
له في مُهَجَّتِي وَخَزُّ الأَخِلَّة
فكم تاجٍ هناك وكم تَجَلَّة
ومقتاداً أَمِنِ الدُّنَا شَمَلَه

وتعرفُ من أغرَّتنا الدِّباجي
أبا عبد الله فَدَتَكَ نَفْسُ
دَعْوَتِكَ مُسْتَجِدًّا عَهْدِ أنسِ
وقد ظعن الصُّبا إلاَّ ادُّكَّارِ
فساعِدْنِي عليه من اغْتِرَابِ
وما حلَّنِي بفخرك في صريح
ودمت مُجْمِعًا شَمَلِ المعالي

وقلت أرثي ثلاثة من الإخوان تقاربت وفياتهم ، جمع الله الشمل بهم في
دار الرضوان والمغفرة بمنه :

ففي ليل همي ضاع أو سيل أجفاني
فقدت جميل الصبر أوجع فُقدان
هان على المرتاح ما لقي العان
كما خلق فوق الخصر معقد هيان
إذا مرَّت عن طوق الصبابة أفنان
ولكن خطوبٌ جمَّة ذات ألوان
مطوَّقة نامت على غُصن البان
كحظُّ زبور في مصاحف رُهبان
تُقرى وشكُّ البين مني بقُربان
كواكبَ يجلو نورها ليل أشجان
ولهي عليها من ثلاثة شهبان
رمانى بدرهم يا لك سَهْمَان
فلاتنلُ فقدي بأحمد بن سليمان

أسايلكم هل من خبير سلوان
وهل عندكم علم بصبري إنني
يقولون خفض بعض مابك من جوى
تضيق على الأرض وهي فسيحة
وما يفتأ الشوق المقيم بأضلعى
وليس مشيباً ماترون بمفرقى
وأرق عيني الأسى يبعث الأسى
لمن دمن يشكو العفاء رسومها
وقفتُ بها أذرى النجيع كأنما
ديارُ الألى كانوا إذا أفق دجا
هوت من سمائي بعد ماكن زينة
رمانى بيعقوب الزمان وبعده
وإن كان ما بين الخطوب تفاضلُ

كفاني أن أذرجتُ محض مسرتي
 ووالله ما أنساني الدهر أولاً
 تخونهم صرف الردى فتحرموا
 فمن سابقٍ وليٍّ على إثر سابق
 بنفسى من حبيته فاستخف بي
 وعهدى به مهما دعوتُ وبينه
 دنا منزلاً منى وشطاً مزاره
 ألا ليت عمري لم يفدني زمانه
 فلو شعرت نفسى فإننى لشاعرٌ به
 هو الموت يختار الخيار وينتقى
 فلا تُقن ما يفنى تعيش وادع الحشا
 صديق الفتى إن خفق الحق وروحه
 وما حال زन्द لم يؤيد بساعد
 وهبنى أمنتُ الحادثات ولم يرع
 أليس إلى التحليل كلُّ مرَّكب
 يُدبرُ لى الدهر المكيدة فى المنا
 وليل بقبابى محلة قلعة
 أيعقوب ما حزنى عليك بمنقض
 ولا حالى الحالى على البعد غرنى
 فمن لى بدمع فى المحاجر مهتد
 نسبتُ إلى ماء السماء مذامعى
 إذا ما جدت ربيع الزفير سحابها

وجملة أنسى بين لحدٍ وأكفان
 بشارٍ ولا أنسيت بالثالث الشان
 كما انتشرت يوماً قلادة عقيان
 كما استبقتُ غر الجياد بميدان
 ولو أنه رد التحية أحيان
 وبينى العلى والنيل والخيل لبان
 فيامن لى قلبى منه بالسأخط الدان
 مودة خل سار عنى وخيلان
 يوم أردانى لشمرت أردان
 جنى لى الدنيا كما يفعل الجان
 أبى الدهر أن يلقى على الدهر ألقان
 فكم نسبة ما بين روح وجثمان
 وما حال طرف قد أصيب بإنسان
 جنانى وخلائى الزمان وخيلان
 مقدمة لم يختلف عندها إثنان
 فإن قلت قضانى الخفوق تقاضان
 أهدرتُه فى ترص على ممان
 ولا أنس إنسان مصابك أنسان
 ولا عيشى الهانى على النأى ألمان
 عليك وقلب فى الحناجر حيران
 فأورت لى فيها شقايق نعمان
 ثقالا سقى منها المعاهد عهدان

ولكن أمهلني على الدمع إدمان
 مديدا ومذخوراً لسرى وإعلان
 فقد كنت رُوحى في الحياة وريحان
 يحييك منها كلُّ أوطف هتان
 الفضل تُؤتى أكلها كلُّ إنسان
 على كتمه إن ضاق صدرٌ بكتمان
 فحزنى جديدٌ ما استمر الجديدان
 وففى عليه من شباب وريعان
 جميعٌ وطرفُ الدهر ليس بيقظان
 وللآسة النحاتي ربيذ آذان
 ترى رُجح الدنير في كف ميزان
 كما تنقع الرمضاء غلة ظنان
 ألا كلُّ مرعى تعدد غير سَعْدان
 ونكته إخلاصى وحكمة ديوان
 هدانى إلى نهج السبيل وهادان
 كأنهم وارود ما بين أجفان
 إذا أثمرت هوجُ الخطوب بخطبان
 وحلوا جوار الله أكرم ضيفان
 إلى العالمِ الباقي والعالمِ الفان
 ويا قُرب ما بين المُعجَلِ والأوان
 وغبتم فأحضرتم لواعج أحزان
 فيا بُؤسى بس كان نعمان

وقد دان قبل اليوم دمعى خالصا
 لقد كنت لى رُكناً شديدا وساعدا
 كسالتُك الرِّيحان والروح والرحا
 وجادت على مثواك مُزنة رحمة
 وما كان إبراهيم إلا حديقة من
 أمينٌ على السرِّ المصون محافظُ
 لئن بليت تلك المحاسن فى الثرى
 قِرَاد عليها من نعيم ونُصرة
 ذكك والأيام سلمٌ وشملنا
 وللنرجس المَطْلُولِ تحديق أعين
 وللشمس ميلٌ للغروب مرَّح
 بساط طواه الدهر إلا تذكراً
 وإن ذكر الإخوان من مثل أحمد
 ذخيرة أيامى ووُسطى قِلاذنى
 وثران ضللتُ الفضل يوم استفادة
 شهيدٌ ذرت عيني عليه نجيعها
 أخلاء كانوا فى الشدائد عدة
 شلهم شوى الردى فتجملوا
 يحق لهم أن يُغبطوا إذ تنقلوا
 وما أكتب اللقا وإن بعد المدا
 سكتم فحركتم جحيم جوانحى
 ويممتم دار النعيم وإننى لأشقى

ولو أنني أعطيت نفسي حقها
ولا عاراً في وِردِ الحمام فإنه
لعمرك ما يصفو الزمان لواردٍ
وقس آتياً من أمره بالذي مضى
أما تركت كسرى كسيراً صروفه
ومد إلى سيفٍ أكفَّ اعتدابه
وهل دافعت خطباً توابعُ تبع
وكان قياد الصَّعب صعباً ممنعاً
جلت لبني العباس وجه عبوسها
وكم أخلفت شتى المنا من خليفة
وغادرت القصر المشيد بناؤه بسنداً
ولم تبق يوماً للخورنق رونقاً
وكم من أبي سامة العسر دهره
ومحتقر ماضي الذبابين في الوغى
وأى سرورٍ لم يعد بمساءة
ومن باع ما يبقى بفانٍ فإنما
خذوها على بُعد النوى من مُشهدٍ
ووالله ما وقيتُ حقَّ مودة
ومهما تساوى طنيبٌ ومُقصرٌ
ولا لوم لي في العجز عن نيل فايت

فما أنا للعهد الكريم بخوان
سبيلُ الوري ما بين شيبٍ وشبان
وإن طال ما أحمى لظى الحرب صفان
فرب قياس كان إجلاء لبرهان
ولان على صولاته ملكُ اللان
فأخرجه بالرغم من غمد غمدان
وهل درأت كريباً سياسةً ساسان
فألقي إلى الدنيا مقادة إذعان
وقبلُ أمدت سرب أبناء مروان
وأذوت رياح الدهر إذواء تيجان
قفراً بلقعا بعد عُمران
ولا شعبت بالقتل من شعب بران
فأبدي له بعد الرضا وجه غضبان
سطا منه بالأنف الحمى ذبابان
وأى كمالٍ لم يُعاقب بنقصان
تعجل في دنياه صفقة خسران
حليف أسي ما في الجوانح لطفان
ولكنه وسعى ومبلغ إمكان
بحال فحكم النطق والصمت سيات
فإن الذي أغيا البرية أعيان

ومن الاسترجاع والاعتبار، والتحزن لورطة الغفلة، وما توفيتي إلا بالله،

قلت من الشعر المتقدم عن هذا الوقت :

وشكوى جوى لكن بغير جواب
 ودهر تقضى فى نوى وعتاب
 بأن يهتدى يوما سبيل صواب
 يناهز فيها الأربعين حساب
 وأقفر من زاد النشاط جراب
 ولا ظفرت كفى ببعض طلاب
 بغير زكاة وهى مثل نصاب
 سجال على أبنائه وغلاب
 قذفن لشیطان الصبا بشهاب
 أهن نصول أم نصول خطاب
 شمایل ویمرح غضن البان بین ثياب
 حروفاً أتى منها بمحض عتاب
 وكم سنة منسوخة بكتاب
 مرابع الألفى^(٢) وعهد صحاب
 سکت^(٤) على مشواك ماء شباب
 تذکر فیها اللهو بعد ذهاب
 وصورح روضى واقشعر جناب
 يهول حداة العيس جوب يباب

جهاد هوى لكن بغير ثواب
 وعمر تولى فى لعل وفى عسى
 أما آن للمنبت فى سبل الهوى
 تأملتها خلفى مراحل جبتها
 جرى بى طرف اللهوحى شكا الوجا
 وما حصلت نفسى عليها بكامل
 نصيبى منها حسرة كونها مضت
 وما راعنى والدهر رب وقائع
 سوى شعرات لحن من فوق مفرقى
 أبحن ذمارى وانتهبن شبيبتى
 وقد كنت يهدى المروض طيب
 فمذ كتب الوخط الملم بعارضى
 نسخت بما قد خطه مسند الهوى
 سلامى على تلك المعاهد^(١) إنها
 ويا آلة^(٢) العهد انعمى فلطالما
 كائن بذات الضال^(٥) من فتى
 تقول اذكرى بعد ما بان حيرتى
 وأصبحت من بعد الأوانس كالدمى

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (المربع) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (إلفى) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (ويا بانه) .

(٤) وردت فى الإسكوريال (بكت) . والتصويب من الزيتونة .

(٥) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (الدال) .

تغار الرياح السَّاجِيَاتُ ^(١) بطارقي
 فَإِنْ سَجَعَ الرِّكْبَانُ فِي بِمْدَحَةٍ
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْوَفَاءَ سَجِيَّتِي
 سَفَاكَ كَدَمِي أَوْ لِحُودِي وَأَبْلُ
 وَلَا بَرِحْتَ مَهْوٍ لِعَهْدِكَ الصَّبَا
 سِوَايَ يَرْدَعُ الدَّهْرُ أَوْ يَسْتَفْزُهُ
 وَغَيْرِي يُثْنِي الْحَوْضُ ثَنِي عِنَانِهِ
 تَمَلَّاتُ بِالدُّنْيَا الدُّنْيَا خَبِرَةٌ ^(٢)
 وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمْنَعُ جَاهِدًا
 فَيَاذِلْ أُذُنٍ ضَمَّهَا أُذُنٌ حَاجِبٍ
 وَقَدْ كَانَ هَمِّي أَنَّ تَعَانِي مَطِيَّتِي
 وَأَضْحَى وَمِحْرَابِ الدُّجَا مُتَهَجِّدِي
 وَتَضْحَكُ مِنْ بَغْدَادِ بَيْضِ قِيَابِهَا
 وَلَكِنَّ قَضَاءَ يَغْلِبُ الْعِزْمُ حِكْمَهُ
 يَقُولُونَ لِي حَتَّى م ^(٤) تَنْدُبُ فَاسًا
 إِذَا أَنَا لَمْ آسِفْ عَلَى زَنْ مَضَى
 فَلَا نَظَمْتُ دُرَّ الْقَرِيضِ قَرِيحَتِي

فَمَا أَنْ تُدِيمَ الرُّكُضَ حَوْلَ هِضَابِ
 حَثٌّ فِي وَجْهِهِ الْمَادِحِينَ تُرَابِ
 إِذَا شَحَطَتْ ^(٢) دَارِي وَشَطُّ رُكَّابِ
 يَقْلُدُ نَحْرَ الْحَوْضِ دُرَّ حِيَابِ
 وَيَسْحَبُ فِيهِ الْمُزْنَ فَضْلَ مَحَابِ
 بِيَوْمِ فِرَاقِي أَوْ بِيَوْمِ إِيسَابِ
 إِلَى نَيْلِ رِفْدٍ وَالتَّمَّاسِ ثَوَابِ
 فَأَعْظَمُ مَا بِالنَّاسِ أَيْسَرُ مَابِ
 وَيَرْزُقُ أَقْوَامًا بِغَيْرِ حِسَابِ
 وَيَاهُونَ وَجْهٍ خَلْفَ سِدَّةِ بَابِ
 يَبْعُضُ نَبَاتِ اللَّيْلِ خَوْضَ عُجَابِ
 وَأَنْسِي وَمَاءَ الرَّافِدِينَ شَرَابِ
 إِذَا مَا تَرَاءَتْ بِالسَّوَادِ قِيَابِ
 وَيَضْرِبُ مِنْ دُونَ الْحِجَا بِحِجَابِ
 فَقُلْتُ وَحُسْنِ الْعَهْدِ لَيْسَ يُعَابِ
 وَعَهْدٍ تَقْضَى فِي صَبَاً وَتَصَابِ
 وَلَا كَانَتْ الْآدَابُ أَكْبَرَ دَابِ

وقلت أبياناً تبرز بها يد من طاقٍ خشبي، لتمام ساعة من الليل، في نهاية الإحكام وحسن الشكل، يُنصب مكانها بين يدي السلطان ليلة اتخاذ المولد

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (السافرات) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (اشتطت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (حيرة) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (علم) .

الكريم ، فكان منها عند تمام الساعة الرابعة قولي :

سَبَقَ القِضَاءُ وَأُبْرَمَ ^(١) المَحْتومُ
 حال الزمان إذا اعتبرت غريبة
 والليل سِلْكُ دُرَّةٍ سَاعَاتِهِ
 أَكْرَمَ بِرَابِعَةٍ تَوَلَّتْ بَعْدَمَا
 ولقد سهرتُ مفكراً والبدرُ في
 فَحَسِبْتُ شَكْلَ البَدْرِ أبيضَ هائِماً
 والغيبُ عَنَّا سرُّه مَكْتومُ
 والحال في التحقيق ليس تدوم
 إن حلَّ مَعْقِدُهُ هَوَى المنظوم
 ثَبَّتَتْ لَهَا فِي الصَّالِحَاتِ رِسومُ
 بحر السماء مع النجوم يعوم
 فوق يَحْلُقُ طيره وَيَحْسومُ

ومنها :

حَجْرٌ رَمَاهُ المُنْجِنِيقُ فَشَانُهُ
 ومن النجوم أَسَنَةٌ لَجِيوشِهَا
 رَجَعْتُ إِلَى حَرْبِي وَعَمْرِي مَعْقِلُ
 بَدَرْتُ لَهَا شَرَفَاتِ أَسْنَانِي تَهِي
 فَصَرَخْتُ يَا وَيْلِي أُصِيبَتْ غُرَّتِي
 وَإِذَا رَمَى فَلَكَ البُرُوجُ مَدِينَةٌ
 مَا دُونَ وَجْهِ الحَقِّ إِنْ حَقَّقْتَهُ
 متطأطيءٌ متدافعٌ ملموم
 من كل مُطَّلِعٍ عَلَى هَجْسومِ
 وَمُخَلَّصِي مِنْ نَابِهَا مَعْدومُ
 وَقُوَايَ تَفْقَدُ رَجْعَةً وَتَقومُ
 مَاذَا عَسَى هَذَا البِنَاءُ يَدومُ
 بِالمُنْجِنِيقِ فَسورُهَا المَهْدُومُ
 يَفْنَى وَيَبْقَى الوَاحِدُ القَيُومُ

المقطوعات المشتملة على الأغراض العديدة

منها في غرض التورية :

نَادَيْتُ دَمْعِي إِذْ جَدَّ الرَّحِيلُ مَرَّ
 سَقَطَتْ يَا دَمْعُ مِنْ عَيْنِي غَدَاةَ نَائِي
 وَقَلْتُ فِي التَّورِيَةِ أَيضاً :

كَتَبْتُ بِدَمْعِ عَيْنِي صَفْحَ خَدِّي
 وَرَأَيْتُ الحَاضِرِينَ فَقَلْتُ هَذَا
 وَقَدْ مَنَعَ الكَرَى هَجْرَ الخَلِيلِ
 كِتَابُ العَيْنِ يُنْسَبُ لِلخَلِيلِ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أبرز) .

وقلت في التورية أيضاً :

وقد رابها صبرى على موقف البين
فعارضت من دمعى بمُختصر العين

ولما رأت عزمي حثيثاً على السرى
أنت بصحاح^(١) الجوهري دموعها

وقلت في التورية أيضاً :

وروى عن أبي الزناد فؤادى
من دمرعى بهيم فى كلِّ واد

مضجى فيك عن قتادة بروى
ركذا النوم شاعرٌ فيك أمسى

وقلت في التورية أيضاً :

عبراتٌ قد أعربت عن وُلوع
لم أجد ناصراً فليعت^(٢) دموع

حين ساروا عنى وقد خنقتنى
صحت من فيض العذيب فلماً

وقلت في التورية أيضاً :

فى عراضٍ من الخُدود مُحول
ك المعافى من عبرتى ونُحول

قال لى والدموع تنهل سُحبا
بك ما بى فقلتُ مولاي عافا

أنا جفنى القريح يروى عن الأعمش والجفن منك عن مكحول

وقلت في التورية أيضاً :

فمدا بريدٌ فيه ألفُ بريد
أو لابس الصوف غير مُريد
فابن السلوك بها على التجريد

مِكناسة جُمِعت بها زمر العدا
من واصل الجوع لا لرياضة
فإذا سلكت طريقها متصوفاً

وقلت في التورية أيضاً ولها حكاية :

ورأى غلّة الطعام قليلة
فهى اليوم دمنةٌ وكليسة

قلت لما استقلّ مولاي زرعى
دِمنتى لانتجاعى الحرث كلت

(١) وردت فى الإسكوريال والزيتونة (بكتاب) . والتصويب من النسخ .

(٢) فلع أى شق .

وقلت في التورية أيضاً ، وقد أهدى الوزير عمر بن عبد الله فرساً [به
جراد في عرقوبه]^(١) :

أشكو إلى الله الصبر من أبناء يعقوب والوعد ما بين مرموق ومرقوب
زرعت عرقوب أرضي من شعيركم جاء الجراد فأفنى زرع عرقوب

وقلت أيضاً ، وقد جلس السلطان للسلام في يوم شديد البرد :

جلس المولى لتسليم الوري ولفضل البرد في الجو احتكام

فإذا ما سألوا عن يومنا قلت هذا اليوم برد وسلام

وقلت في التورية أيضاً في سنة قحط :

سألنا ربيع العام للعام رحمة ففزن ولم يسمح بذرة إنعام

وقلنا وقدرت الحياء وجوهنا^(٢) قليل الحياء والله أصبحت من عام

وقلت في التورية أيضاً وضمنته مثلاً :

لما رأوا كلفى به وردوا قدر الذي في فيه من حب

قالوا الفتى حلوا فقلت نعم طلعت حلاوته على القلب

وقلت في ذلك والله ولي التجاوز :

أنا كافر وسواي فيه بعاذل لا يستبين الصدق في آياته

ومصدق بصحيفة الخد الذي قد أعجب الكفار حسن نباته

وقلت في التورية أيضاً :

بأبي ظبي غزاني مستبيحا شرح صدرى

فأنا اليوم شهيد الحب من غزوة بدر

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة (به حدو في أحد

عرقوبية) . والأولى على ضوء الشعر أرجح .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة الشطرة في الزيتونة . وفي الإسكوريال (فقلت وقدرت

الوجوه ولم ييل) . والأولى أرجح .

وقلت في التورية أيضاً على طريقة المشاركة :

أشكو لمبسمه الحزين وقد حمى عنى ليماء المشتهى ورحيقه
يا ريقه حيرتني ومطلتني ما أنت إلا باردٌ ياريقه

وقلت في التورية فيمن ركب البحر وماد :

ركب السفينة واستقل بأفقها فكأنما ركب الهلال الفرقد
وشكوا إليه بميده فأجبتهم لا غرو أن ماد القضيب الأملد

وقلت في التورية أيضاً :

يا مالكي بخلالٍ نهدي إلى الفكر خيره^(١)
أضرمت قلبي ناراً يا مالك بن نويرة

وقلت في التورية على عرف العامة :

قلت وقد ألبس جسمي الضنا صبغة سقم أبدا لا تحول
يا من رآني أشفق لما حل بي ويلبس مخيوط^(٢) على ذى^(٣) النحول

وقلت في التورية ، وقد ذلك السلطان يديه بالحناء :

إن شمس الدين مخبر الملوك درة العقد ووسطى السلوك
ذلك الكف بحناء فقلنا أنت شمس الدين عند الدلوك

وقلت من التورية في رثاء رجل اسمه الحسن :

أشكو إلى الله من بشي ومن شجني لم أجن من شجني سوى محن
أصابت الحسن العين التي رشقت وعادة العين لا تضمي سوى الحسن

(١) وردت هذه الشطرة في النفع كالاتي (إلى القلب حيره) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مخيط) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ذل) .

وقلت من التورية الغربية ، عندما خرج السلطان من المدينة البيضاء
[بفاس]^(١) طالبا حقه يريد الحمراء بغرناطة :

ولما حثتُ السَّيرُ والله حاكم لملكك في الدنيا بعزُ وفي^(٢) الأخرى
حكى فرسُ الشطرنج طرْفَكَ لا يرى يَنْقِلُ من بيضاءٍ إلَّا إلى حمراء^(٣)
وقلت في قرية شِخْتُ من بادية المنكَبُ ، وتمكنت فيها التورية من وجهين :

بات رفيقى لهم شخت بشيبته عافها العيان
وقلت ما هذه البوادي فقال لى شِخْتُ يا فلان

وقلت في قريب منه :

تعجَّلت وخطُ الشَّيبِ في زمن الصُّبا لخوضى غمار الهمُّ في طلب المجد
فمهما رأيتم شيبَةً فوق مَفْرِقى فلا تنكروها إنها شيبَةُ الحَمْدِ
وقلت من التورية بالفقه ، وقد صدرت بها كتابا ، مجيباً به آخر تقدّمه :

يا من تقلد للعلاء سلوكا والفضل أضحى نهجه مَسْلوكا
كاتبَتَنى متفضلا فملكَتَنى لازلت منك مكاتبا مَمْلوكا

وقلت من أبيات في التورية :

وما كان إلا أن جنى الطُّرفَ نظرة غدا القلب رهناً في عقوبة ذنبه
وما الحق أن يأتى امرؤ بجريرة فيؤخذ في أوزارها جار جنبه
وقلت في التورية :

ما للسُّهى بادی النُّحول كأنه متسّر تبدو مخايل خسوفه
قالوا عليك قلتُ هذا ممكن والله أعلم داؤه من جوفه

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (بغزود) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الحمراء) .

وقلت في التورية أيضاً :

أجاد يراعُ الحسن خطَّ عذاره وأودعه السرُّ المصون الذي تذر
ولم يفتقر فيه لختم وطابع فمبسمه أغناه عن طابع السرِّ

وقلت في عين قرية البَدُول^(١) ، وفيه التورية :

قلت اعشقوا عين البدول التي في مثلها يُرفض قول العَدُول
فقلّ ما أبصرتم منظرًا أملح من منظر عَيْنِ البَدُول

وقلت أيضاً في التورية :

وظي لأوضاع الجمال مدرس عليم بأقسام المحاسن ماهر
أرى جيده نصّ المحلّ وقررت ثناياه ما ضمت صحاح الجواهر

وقلت في التورية أيضاً ، وفي إشارة إلى رجل يقصد الولايم من أجل بطنه ،
وشدة نهمه :

أذيم ذوى التطفيل مهما أتى وإن تكن أجملتهم فاعنه

يمشى على رجليه مع كونه من جنس من يمشى على بطنه

وقلت في التورية أيضاً ، والتورية طيبة ، وقد سهرت في طريق المنكب
برأس المزاد ، وقد صدعتني وعورتني :

عند رأس المزاد عادني السهد ولم تغن حيلتي واجتهادي

حسبي الله كيف يبرأ سريعا سهر عن صداع رأس الزاد

وقلت في التورية بكتاب مُسلم ، من كتب الحديث :

ذهب الألي كانوا نجوما للورى فالكون مُظلم

وتذاكر الناس الحديث الحقُّ وافتقد المعلم

أنا كاتب السلطان ما طالعت كتاب مُسلم

(١) قرية البدول، هي قرية أندلسية تقع على مسافة قريبة من جنوبي غرناطة، وبالإسبانية Padul

إلا سخاما قادحاً في الدين والله المُسَلِّم

وقلت في التورية النجومية في المدح :

إن أبهم الخطب جلي في دُجنته
وإن غنا الدهر أبدى من أسرته
وإن نظرت إلى لألاء غُـرته
رأياً يفرق بين القى والرُشد
وكفه هدى حيران وري صد
يوم الهياج رأيت الشمس في الأسد

وقلت من التورية في المدح :

تخونه صرفُ الزمان وهل ترى
هو الدهر ذو وجهين يومٌ وليلة
وقلت وقد جمدت رجلاى لشدة البرد بتاجرة ، مورياً بعرف العامة ،
إذ تقول لمن بولغ في نكاله ، عملت إطفاه :

لقد جمدت رجلاى تاجرة الردى
وما أرتجى من بقعة قد هجوتها
فخففت من بأى لديها وإشراف
لقد ظفرت بي فهي تعمل أطراف

وقلت في التورية لمن يدعى شمس الدين :

قل لشمس الدين وقيت الردى
رمدت عينك هذا عجيب
لم يدع سقمك عندي جلدا
أوعين الشمس تشكو الرمدا

وقلت في التورية في رجل أقسم أنه ذو مالية وأمانة ، وطلب من السلطان
خدمته :

حلقت لهم بأنك ذو يسار
ليستندوا إليك بحفظ مال
وذو ثقة وبر باليمين
فتأكل باليسار وباليمين

ومن المقطوعات أيضاً :

في غرض المدح

طوى البُعد عن شوقٍ وحثُّ ركابه وأوشك في مغناك^(١) حطُّ رحاله
 ومما شجاه البعد عنك وشَفَهه تَبَدَّى نحوه السَّقَم فوق هلاله
 وكتبتُ في جواب للسلطان ، وقد رحلتُ لتفقد الثُّغور ، وكان من
 فصوله إلى تقرير التشوق إلى اللقاء :

تخالف جنس الشوق والحكم واحد وكلُّ محبٍّ في الكمال مُشتاق
 فمعنى اشتياق الأرض للغيث حاجةٌ ومعنى اشتياق الغيث للأرض إشفاق
 وخاطبتُ سلطان المغرب ابن السلطان أبي الحسن ، ولها حكاية . وأبو
 الحسن الصغير ، رجل كبير من فقهاها :

قل للذي ذكر الهدى وعهوده فبكى وأصبح مُشفقا من فقدها
 غَصَبَتْ حقوق الله جلَّ جلاله ففضى أبا الحسن الصغير بردها
 وقلت في غرض المدح ، أشير إلى الكفتين ، والعدد المستخرج منهما للمجهول :
 لا عدل في الملك إلا وهو قد نصبه ووصير الخلق في ميراثه عُصبه
 والكفتان ترى من كفه دُرَّةٌ تستخرج العدد المجهول للطلبة
 وقلت وقد مررتُ بين يدي السلطان ، في يوم شديد الهاجرة ، وهو ينظر
 من طاق بقبة قصره ، وأنا أروم تفقد أملاكي بالفحص ، وأنكر ذلك في
 شدة الحر :

إذا كان فوقى من نَدَاك غمامةً وحولى روح من رضاك وريحان
 فإنَّ سموم القيظ عندي نسمة وإنَّ مشيم القفر عندي بُستان
 وقلت مشيرا إلى الحديث في البحر :
 رأيت بكفك اعتباراً بأساً ونداً ما أن يبارى^(٢)

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (مغناه) .

(٢) هكذا ورد هذا البيت في الإسكوريال . وورد في النسخ والزيتونة كالاتي (رأت

بكفك اعتبار بأس وندا ما أن يبارى)

فقلتُ وقد عجبتُ منه يا بحرُ متى تعود ناراً^(١)
 وقلتُ وقد جعل السلطان في رأسه بيضة السلاح مصقولة :
 يا إماما أطل رُبِّي حَمَلَاهُ وهُمَا ما بالفخر ما أولاه
 أنت كالرُمح في اعتدال وطول وانتخاب الحديد في أعلاه
 وقلت في غرض الافتخار :

ما ضرَّني أن لم أجيء^(٢) متقدما
 والسبق يُعرف آخر المضممار
 ولئن غدا رُبُّعُ البلاغة بَلَقَعَا
 فلربَّ كَنزٍ في أساس جِدار
 وقلت وفيه الإشارة إلى الكاتب ابن الكواب^(٣) :

بأوتُ على زمني همة فأعتبني الزمان العاتب
 وشرفني الله في موطني وفي بيته يشرف الكاتب

وقلت وهو من التخلُّص المخترع ، وقد جرى بعض ما مدح به الملوك من
 بني العباس :

أقول والليل أعياني تطاوله
 ما كان يجرأ ليلي أن يطاولني
 وقلت وهو من بديع التخلُّص :

أقول والصبح لا تبدو مخايله
 كأنما الليل زنجي ملابسه
 وقد تعجبت من سُهدي ومن أرق
 وكانما الليل زنجي ملابسه
 قد زينت بلاليء أنجم الأفق
 ونام سُكراً فلا شيء يُنبهه
 لما يخشى حراً كما حُمرة الشفق

وقلت من أبيات أمدح السلطان أبا الحجاج رحمه الله :

في مِصر قلبي من خزائن يوسف
 حبُّ وعيسرُ مدامعي تَمْتارُه
 حأيت شعري باسمه فكأنه
 في كل قطر جلُّه ديناره

(١) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والزيتونة . وفي النسخ (يا بحر متى تدعو نواراً)

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنسخ . وفي الزيتونة (أجز) .

(٣) هكذا وردت في الزيتونة . وفي الإسكوريال (ابن الكواكب) . وهو تحريف .

وخاطبت ولده رضى الله عنه ، معترفا بحبى فيه ، وكَرِهَ الخدمة :

قالوا لخدمته دعاك محمد فكرهتها وزهدتُ في التَّنويه

فأجبتهم أنا والمهيمن كارهٌ في خدمة المولى مُحِبٌّ فيه

وراجعته عن كتاب كتب لى بخطه ، من فصوله الإنحاء على رداة الحبر :

إذا ما تجلى النور في جَنح ظلمة جلاها كما تجلو الدجا غرة الفجر

فلا تنكرنَّ الحِبر أن حال لونه فوجهك يَجْلُو ظَلَمَتَا اللَّيْلِ والحِبر

ومن مدح البلاد وفيه بيان سبب حبها قولى في غرناطة :

أحبك يا مغنى الجلال^(١) بواجب وأقطع في أوصافك الغرَّ أوقات

تقسّم منك التراب قومي وجيرتى ففى المظهر أحياء وبالبطن أموات

وفي سبنة المحروسة :

حببت يا مُخْتَظُّ سببت بن نوح بكل مُزن يَغْتدى أو يروح

وحمل الريحان ربح الصبا أمانة فيك إلى كل رُوح

ولينظر تمام هذه المقطوعة في اسم الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق في حرف الميم^(٢).

وقلت في بنيونش^(٣) من أحواز خارج سبنة المذكورة :

لله بنيونش تحكى منازلها كواكب أشرقت في جَنح ظلماء

صحَّ النسيم فما يعتلُّ من أحد إلا النسيم وما يرتاع من داء

ومن كرامتها أن الشمال إذا رامت زيارتها تمشى على الماء

وفي مصر وقد بينت مزية مُحَبِّبها على من دونهم :

سلمت لمصر في الهوى من بلد يُهديه هواؤه لى استنشاقه

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الزيتونة (الجمال) والنفع (الكال) .

(٢) وردت هذه القصيدة في ترجمة الخطيب ابن مرزوق في المجاد الثالث من الإحاطة

(ص ١٢٨ - ١٣٠) . وأوردها المقرئ في النفع (ج ٣ ص ٢١١) .

(٣) بنيونش وترسم أحيانا بليونش ، هي ضاحية ثم سبنة المعروفة حتى اليوم ، وهي

بالإسبانية « penones » أعنى (الصخور) .

من يُنكر دعواى فقل غنىً له تكفى امرأة العزيز من عشاقه
 وفى غرناطة :
 بلدٌ تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره
 وكأنا واديه معصم فضة^(١) ومن الجسور المحكمات سواره
 وفى رياض الكُدية ، التى لولدى أسعده الله ، ولا نظير لها فى جلاله القدر :
 حدث عن الكُدية من شيته يظن إخبارك تصخيفاً
 فالعقل بالمعتاد مُستأنس إن ذكر الواصف موصوفا
 والحسق فى أوصافها أنها خرّقاء حُسن وجدت صوفا
 وفى جنة أخيه المعروفة بجنان الورد :
 إذا أهدي الإنسان وردة جنة تهلّل من بعد العُبوس مُحياه
 وأمل أن يحيا لفصل يعيدها فكيف بمن فى جنة الورد مثواه
 وفى جنة أخيهما بالزاوية :
 إن كانت الجنة موجودة فى الأرض قلنا جنة الزاوية
 يابُقةً فاز بها المشتري فأمّ من خلفها هاوية
 ومن أغراض النسيب قلت من قصيدة :
 تذكرت عهدا كان أحلى من الكرى وأقصر من إمام طيف خياله
 فياليت شعرى من أتاح لى الجوى وعذب بالى هل أمرُّ بباله
 وقلت وهو من التشبيه العقيم :
 أمعلّى بمطامع من دونها جوبُ النفوس مفاوز الأعمار
 تزداد أشواقى إذا يوم خلا كتضاعف الأعداد بالأسعار

(١) هكذا وردت هذه الكلمة فى الإسكوريال والزيتونة . ووردت فى مخطوطى دار الكتب
 وجابنجوس (غادة) . (راجع المجلد الأول من الإحاطة - الطبعة الثانية ص ١١٥) .

وقلت من أغراض المشاركة :

رموا بالسُّلُو حليف الغسرام
أعوذ بعزك ياسيدى
وقلت من أبيات :

عذبتَ قلبي بالهوى فقيامه
ولقد عهدت القلب منك هُوجِداً
وقلت في ذى ذؤابة سوداء :

ياغزالا تترك القلب المَبلى
كيف يخشى القلب منى خفقانا
وقلت فى النسيب :

من لى بذكرى كلما أوجبتُها
وسحاب دمع كلما استمطرته
وقلت فى النسيب أيضا :

أضاف إلى الجفون^(٣) السود شعرا
فقلت أمير هذا الحسن تزكُو
وقلت فى المعنى أيضا :

من لى به أسمر حلُو اللُّما
كالنحل فى رقّة خضر وفى
وقلت فى النسيب أيضا :

أنكرته لما أطلّ عارضُه
ألم تقل لى بأننى قمرٌ
فقال لى حين رابه نظرى
فانظر إلى^(٤) وبر أرنب القمر

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (النار) .

(٢) وردت فى الإسكوريال (ذفوق) . ونعتقد أن التصويب أرجح . والذفوف أى السرعة

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (العيون) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (فى)

وأدمعه كالحياء الهاطل
لذلى من دعوة الباطل

فى نار هجرك دايمًا وقعوده
فعلام يقضى فى الذباب^(١) خلوده

حين ولّى نى ذُفوف^(٢) وكآبة
ودواء المسك فى تلك الذؤابة

تمحو سلوى واشتياقى تثبت
غير القناد بمضجى لا تثبت

كجنح الليل أو صبغ المداد
الأجور له • بتكشير السواد

أهيف ماضى السحر مرهوبه
لسع متى شاء ومقلوبه

فقال لى حين رابه نظرى
فانظر إلى^(٤) وبر أرنب القمر

ومن أغراض التضمين قلت :

لا تُهَجِّجُ بِالذِّكْرِ مَنْ خَلَدَى
ويقول الناس في مثل
نار شوق شقَّ محتمله
لا تحرك مَنْ دنا أجله

وقلت من التضمين :

يا من بأكناف فؤادى رُتِّعَ
ما فيك لى جدوى ولا أروعى
قد ضاق بى فى حبِّك المتسع
شحُّ مطاعٌ وهوى متبسع

وقلت من التضمين :

قال جوادى عندما
إلى متى تهْمِزنى
هَمَزْتُ هَمَزًا أَعْجَزَدُ
ويلٌ لكل هَمَزَة

وقلت :

أصبح الخدُّ منك جنة عدن
ظَلَّلْتَنَا^(١) من الجفون سيوف
مُجْتَلَى أَعْيُنٍ وَشَمِّ أَنْسُوفٍ
جنة الخلد تحت ظل السيوف

وقلت :

محاسنك اغتدت جنات عدن
فمهما حلَّها^(٢) إنسان عيين
لمن يَرْتَادُ إِحْسَانًا وَحُسْنًا
فللإنسان فيها ما تمنى

وقلت فى طول الليل :

ساورتُ أسود من ظلام دُجَا
أنا لا أقول سَطَا الصباح به
من باته فإلى الجحيم دُفِعَ
لكن طغى^(٣) نُعبانه فَرَبِعَ

وقلت :

رفعتُ قصة اشتياقى ليحيى
فورى الوجه رافضا للفتوة

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (أص، قتنا) .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الزيتونة (جلاها) .

(٣) هكذا الإسكوريال . وفى الزيتونة (سطا) .

ورمی بالکتاب ضعف ابتسال^(۱) قلت يحيى خذ الكتاب بقوة

وقلت :

ساربی للامیر يشكو اعتراضا
قال ما تقول قلت بديها
حصحص الحق ياخوند قدعني
يوسف والشهود أبناء جنسه
لم أخف من عقابه أو حبسه
أنا راودت يوسفاً عن نفسه

وقلت :

يا كوكب الحُسن يا معناه يا قمره
أمرتنى بسلو عنك مُمتنع
وقلت في ذلك أيضاً :

أفقد عيني لزيد الوسن
عذاره المسكى في خده
من لم أزل فيه خليع الرسن
أنبته الله النبات الحسن

وقلت في العين الذي بحصن نارجه ، وهو ينفع من مرض الحصا :

أنظر إليه شبيه معجزة العصا
فإذا الطبيب سقاه أسرع نُجحه
وقلت في التضمين أيضاً :

يعاهدني دمعى على كتم سره
وذاك لأني من نجيعي خضبتة
ويجرى إذا ذكر جوى ويمين
وليس لمخضوب البنان يمين

ومن الأوصاف وما يرجع إليها

قلت في الليل :

تلوى ظلام الليل بالصبح ظالما
إلى أن تبدى الضوء وانقشع الحلك

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (انفعال) .

كما سَرَق العَبْد العَبُوسُ عِمَامَةً

وقلت في المعنى :

أقول ووعد الصُّبْحُ يُمِطُّهُ الدُّجَا
كَأَنَّ الصَّبَاحَ الطَّلُقَ طِفْلٌ مَجْرَدٌ

وقلت فيه :

عَبَسَ اللَّيْلُ فَلَا صُبْحٌ يَرَى
وَضَحِكُنَا وَحَلَيْنَا طَرَفَا

وقلت فيه :

أَيَا لَيْلٍ أَفْرَطْتَ فِي جَفَوْتِي
وَمَا لِي ذَنْبٌ وَلَكِنْ سَخَفْتِ

وقلت فيه :

أَرَقْتُ وَجَنَحَ اللَّيْلُ قَيْدَ خَطْوَةٍ
وَمَا بَلَيْتِ نَفْسٌ أَمْرَتِ تَنْظُرَ فِيهِ

وقلت فيه :

يَا لَيْلٍ طُلْتِ وَلَمْ تَجُدِي بَتَّبَسِمِ
هَلَا رَحِمْتَ تَغْرُبِي وَتَفْرُقِي

وقلت فيه :

حَارَ الظَّلَامُ عَلَيَّ دَوْرَةَ كَافِرٍ
وَلَوْ أَنَّنِي كَابَرْتُهُ لَمْ أَسْتَطِعْ

وقلت فيه :

بَلِيلٌ كَانُونَ عَرَفْتُ الْجَوِي
طَالَ بِهِ نَفْحُ نَسِيمِ الصَّبَا

فَأَخْرَجَهَا مِنْ تَحْتِهِ حَاكِمَ الْفَلَكِ

إِلَى أَنْ تَبْدَى لِلْعَيُونِ مُحْيَاهُ
تَلَقَّفَهُ الثُّعْبَانَ ثُمَّ تَبَنَّاهُ

وَهَوَى النُّجْمَ وَغَابَ الْفَرْقَدُ
أَفَلَا يَضْحَكُ هَذَا الْأَسْوَدُ

وَعَوَّدْتَنِي مِنْكَ شَرَّ الْخِلَالِ
بِقُرْطِ الثَّرِيَا وَتَاجِ الْهَلَالِ

فَلَهْفِي عَلَى الْجَفْنِ الْقَرِيحِ الْمَشْهَدِ
بِأَوْحَشِ مِنْ عَبْدِ عَبُوسٍ مُقَيَّدِ

وَأَرَيْتَنِي خُلِقَ الْعَبُوسُ النَّادِمُ
لِلَّهِ مَا أَقْسَاكَ يَا ابْنَ الْخَادِمِ

فَقَصَدْتُ قَصْدَ عِبَادَةٍ وَتَلَاوَةٍ
مَا حَالُ أَبِيضٍ فِي بِلَادِ قَهَاوَةٍ

لَوْلَا ضِيَاءُ كَفِّ مَنْ ظَلَمَهُ
فَأَشْتَعَلَ الْإِصْبَاحُ فِي فَحْمِهِ

وقلت فيه :

وكان جنح الليل أسود سارقاً
ما زال يضرب بالبوارق ظهره
سرق الصباح الطلق ثوباً أبيضاً
حتى أقرَّ به فيها هو قد أضاً

وقلت فيه :

يا ليلة ساهرت طالع أفقها
والصبح من ريح الشمال بزكمة
حتى تمايل غارباً أو غاطسا
تركته من بعد استكان عاصفا

وقلت في ليلة انتخب لها الكثير من الفواكه :

أيا ليلة بالخضب لم تأل شهره
فأمن فيها اللوز من غمة النوى
كما اشتهرت في فضلها ليلة القدر
وأصبح فيها التين منشرح الصدر

وقلت في وصف السماء :

تتعاور القطبان فيها رقعة
الزهرة الزهراء قربان بها
وكلاهما فيها لعوب حاذق
والبدر شاة والنجوم بياذق

وقلت أصف فرساً أهديته :

إذا ما سرى ليلاً فبالنجم يهتدي
يُصيح إذا أصغى بمسمع كاهن
ومهما انتمى يوماً فللبرق ينتم
ويرنو إذا أوى بطرف منجم
فبوانته من مهجتي متبواً
فيا عجباً منى وفراط تشيبي
أهيم بوجدى فيه وهو ابن ملجم

وقلت أصف سكين بشر للسلطان أبي سالم ملك المغرب :

أرى سيف إبراهيم بينى وبينه
أزيل حروف الخط عند التباسها
مناسبة عند اعتبار المناسب
وتبشر حداد حروف الكتابيب

وقلت في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج :

لى الفضل أن شاهدتني واختبرتني
على كل مصقول الغرارين مرهف

كفاني فخراً أن تراني قائماً
وقلت كذلك :

إن شهرت نضلي يدا يوسف
ولاحت مثل البرق في كفه
رفعت لكفى مهجة الليث
لا يُنكر البرق على الغيث
وقلت في برادة كان يشرب فيها السلطان :

علم الملوك أعنى يوسف المولى الهماة

الغمام لأرض سقى وأنا أسقى الغماما

وقلت في طيفور طعام أهديته :

تعلم طيفورى خلال سميّه
فجاء فقير الوقت لابس خرقه
ودرسه يامولاي قصة بلعام
وقلت في روض

كانما الروض ملك

يرضى النديم فمهما

وقلت في مروحة سلطانية :

كانى قرص الشمس عند طلوعها
وإلا كما هبت بمختم الوغى
وقلت في بحرى يلعب على الشريط ، منوع الحركات :

ويجسرى تلاعب في شريط

تدلى وارتقى وسما وأهوى

فقلنا إن يكن بشراً سويا

وقلت في بيضة سلاح مصقولة ، اتخذت للسلطان :

خصيصة الحشن وانفردت به

كاننى كوكب الصباح بدا

وقلت في الدواة والقلم :

مارأت عيني عجيباً
كبراعى في الدواة
غايصاً يستخرج الدرُّ
ببحر الظلمات

وقلت كذلك :

أقلامنا الواسطية
مصرفة لجهاد
ذوابل خطية
وحكمة وعطية

وقلت في ملزم الكتب :

يا حسنه من ملزم آثاره
وكانما الكراس طرف أشهب
مكوى وذا النفط نبط النار
وكانما قلم الكتاب بصفحه

وقلت في بيضة السلاح أيضاً :

إذا أنت لاحظت السلاح وجدتني
ويلبسني المولى الإمام محمد
أطاوله عزا وأفضله قدراً
وقلت في ذلك :

لحسن بني نصر صنعت محمدا
علوت على بحر السماء حباباً
فيهديك معنى العز فالي^(۱) والنصر
ولاغرو أن يعلوا الحباب على البحر

وقلت في مرآة اتخذت للسلطان أيضاً :

لمجدد الملك الرفيع محمد
تبدو مظاهرى لأمرور كأننى
أنشيت فاعجب من غرابة شان
وقلت في وصف قينة :

ومرضعة طفلا من العود ثديها
ولا در إلا الدر من أدب محض
إذا لمست به بالبنان تخالها
طبيباً من الحداق جس على نبض

(۱) هكذا في المخطوطين .

وقلت أيضاً في البدر ^(١) :

لصاحبي والدُّججا مُستقبل الفجر
كانها ضجة بيضاء من حجر

أقول والبدر يسمو في السماء صعدا
أنظره في كفة الميزان صاعداً
وقلت متغزلاً والله وليُّ التَّجاوز :

أو مثل حلته يُحاك بلا علم
فالله عودُه بنونٍ والقلم

قلم المحاسن خطُّ نورِ عذاره
لا تتقوا عينا تُصيب جماله
وقلت في معنى غريب :

كفَّت أكفَّهُم وقايةُ واق
جعلوا ذوابلهم ^(٢) على الأعناق

ولربَّ رزق ^(٢) غداً لقيت مواجها
جاورت والتفتوا إلى فخلتهم
وقلت في رمانة :

تريك صورتها إبداعَ بارها
خذُ ومن شحمها قطن يُوارها

رمانة راق منها منظرٌ عجيب
كانما حبُّها دُرٌّ وظاهرها

وقلت مرتجلا لمن طلب ذلك على ضفة الوادي الكبير :

إذا هبَّ عَرَف النسيم الندي
كما اندفع الدرُّع من مزود

ومنتقش المتن كالمبرد
تدافع مُسترسلا مايجأ

وقلت وقد استزاد الطلبة الحاضرون من ذلك :

حسير الروح عن حُسام صقيل
الصَّانع سبحانه بشمس الأصيل

وطمُوح العُباب ضافي المَقِيل
كسبيك اللججين ذهبه

واستزادوا من ذلك فقلت :

تعيًا مشوى ظلُّه كل مغبُسوط
فسال له ذوبُ اللججين في البُوط

ومدرُّع ينساب في منبت الخوط
أقام شعاع الشمس يشغل فوقه

(١) وردت في الإسكوريال (البدو) . والتصويب من الزيتونة .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (ورق) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (دوابهم) .

ثم قلت في ذلك :

ثعبان نهر راعنا مـدُهُ
فاهتزت الأغصان من فوقه
لما أتى ينساب من حجيره
وصاحت الاطيار في إثره

ثم قلت في ذلك :

أزظر إليه والأصيل مورس
وكانما هو زئبق مترجرج
والشمس تُرسل من عنان مسيرها
ألقت عليه الشمس من إكثيرها

ومن وصف المواضع قلت في تاجرة :

بتاجرة ريحٌ أزاحك بردها
رأت عَصْبِي غزلاً وجسمي مرمة
إلاه متى استرحمته فهو يرحم
فها هي تُسدى كل يوم وتلحم

ومن ذلك أيضاً :

يا بقعةً بالحمد معروفة
تري عيون الماء عمشاً بها
تحذرُها^(١) الشمس فلا تشرق
وأعينُ النيران لا تنطق

ومن ذلك أيضاً :

جفالك الحيا من بقعة ظلتُ عندها
فلو سامتها الشمس أرعد قرصها
وقلت أصف جبل شلير^(٢) :
بلا جلدٍ ممالقيت ولا جلد
ولثت فلم تسطع حراكا من البرد

شلير لعمرى أسا الجوار
هو الشيخ أبرد شيء يرى
وسدٌ على رحيب الفضيا
إذا لبس البرنمَس الأبيضما

وقلت أخاطب بعض أصحابنا ممن يُخضب بياض شيبه من بعد الإنقاء :

وكريمة شهد الخضاب شهادة
بفتوؤها عند الأداء هــ زورة

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتون (تزورها) .

(٢) جبل شلير أو باللاتينية Solaris ، هو الجبل العظيم الذي يشرف على غرناطة من

الشرق والجنوب ويسمى أيضاً في الجغرافية العربية بجبل الثلج ، وهو تعريب لاسمه الإسباني Sierra Nevada وقد سمى كذلك لأن الثلوج تكلل آكامه صيفا وشتا .

مرض الفؤاد وحم لأجلها فجعلت منها للعلاج مُزَوَّرَه

وقلت وقد استزاد الحاضرون من هذا المعنى :

عهدى بهاتيك الكريمة مُهْرَقُ يقن تُسر^(١) به العيون وتُغْبَط
أغریت أجزاء المداد بظللها وكذا المداد على الطروس مُسَلِّط
وقلت في ذلك :

خُضْتُهَا بعد ما لاح المشيبُ وقد جَوَزَتْ في العقل كَتَمَ الصبح بالغَبْشِ
فاض البياض على رغم السواد بها ويرشح الدمع تحت الكُحْلِ في العَمَشِ
وقلت عند الرجوع من الرُّحْلَة :

رجعنا بفضل الله بعد استدارة كما راجع البركان مفروض نقطة
وقلت في الغرض المذكور :

البصر تنأى الشهب والشمس فِتْنَةٌ تَلَأَلْنَا منا البر والبحرُ ذو الموج^(٢)
رَحَلْنَا عن الأوج الرفيع نَحْلُهَا من أجل شتى ثم عُدْنَا إلى الأوج
وقلت أخطب شيخنا أبا الحسن بن الجيَّاب :

بين السَّهَامِ وبين كَتَبِكَ نِسْبَةٌ مَهْمَا يُصَابُ من العدو المقتل
وإذا أردت لها زيادة نِسْبَةٌ هَذِي وهَذِي في الكِنَانَةِ تجعل

وقلت في البراغيث وفيها التُّجْنِيسُ :

بتنا نكابدهم القَحْطُ ليلتنا وَأَنْجَدَ السُّهْدُ والكربُ البراغيثا
وكنا نحمل ما كنا نكابده من المشقَّةِ لوأنَّ البرَّ أغِيثَا

وقلت في ذلك :

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (تسعد) .

(٢) وردت في الإسكوريال (المدح) . والتصويب من الزيتونة .

وقالوا بدت منكم على الجلد حُمرة
عدت نحونا ليلاً ومن بعد ذلك امتدت
وقلت في معنى غريب :

إن اللِّحَازَ هي السُّيُوفُ حَقِيقَةٌ
لَمْ يَدْعُ غَمْدَ السَّيْفِ جَفْنَا
وقلت، فيما يظهر منها :

هممتُ لأنَّ أُقْبِلُهَا بِشَبْنِي
وقالت لي رأيتُكَ في حَيَاتِي
ومن الدُّعَابَةِ والفكاهة، قولي أخاطب رجلاً منتفخاً بالجاه، يعطى أمره
فوق حقها :

رفقاً بنفسك سيدي رفقاً
أما مزاجك فهو معتسداً
وقلت في الغرض المذكور :

رأيت بمخدومي انتفاخاً فرابنى
فقال وقاك الله فيه فلا
وقلت على طريقة المشاركة :

همَّ أن ينتف ذقني قلت^(١) والاني بفضله
لم أكن أدخل إلا أهـ رَدَ جَنَّةً وَضَلَّه
وقلت على طريقتهم أيضاً :

قلتُ لما سألوني بامتحان واختباري
أنا من عاري كاس أنا من كاسي عاري

(١) هذه الكلمة واردة في الزيتونة وساقطة في الإسكوريال .

وقلت على طريقتهم أيضاً :

وقالت حلقت الكُسن منى بنورة
ألا فاخبرى^(۱) عنى فديتُك واصدق
فقلت لما استنصرت من ليس ينصير
بحلق ذاك الكُسن إننى مُقصر

وقلت فى بعض الأصحاب ، وقد أكثر من سرقة كتب البرق الشامى للعماد

الأصفهانى ، رحمه الله :

خلى إن يُقض اجتماع بخالد
سرتُ العماد الأصفهانى برقه
فقولا له عنى ولن تعدوا الحقاً
وكيف ترى فى شاعر يسرق البرقا

وقلت ، وقد أرْجف قوم من المرورين بظهور الخاتم :

وقالوا قد ظفنا فى الزمان بخاتم
فقلت لهم إن صح ما قد ذكرتم
وقلت ، ونستغفر الله من السفاهة :

قالت بعقلك فاحتفظ كى لا ترى
واعسل فديت حساب سحرى وارعى
تبكى بضر ليس يعرف كاشفا
فأنا الذى أخرجت على سرنا كاشفا
وقلت مطاوعا إخوان الدُّعابة :

قالت إذا استخبرتها عن زوجها
قلت ابلى عنى السلام تحية
هو يُقرن الأزواج فى الفدان
عند المجى لزوجك القران
وقلت وهى نزعة بيطارية :

وذى زوجة تشكو فقلت له اسقها
فقال أبت شرب الدواء بطبعها
دواء من الحب الملىن للبطن
فقلت اسقها إن عافت الشرب بالقرن
وقلت أخطب بعض الطلبة ، وكنية
الحشيش :

إننى ابن سليمان وفى الفكر فترة
تُخبر أن العقل جد مغيب

(۱) هكذا فى الإسكوريال . وفى النسخ (فابلى) .

فقلت أظن السيد اعتم عسمة
ولكنها في الأصل من كنية الأب
وقلت على طريقة المشاركة والله ولي المغفرة :

قال لي عندما أتى بجداول
ولساني يُبدل الدال تا
التمس مخرجا يوافق قولي
وشكوك على أصول الدين
عاجزا في الأمور عن تبين
قلت أحسنت يا حلال التين

وقلت معارضا أبياتا مثلها لبعض المعاصرين :

بعثت له إذ اتبعنا عصيرا
لعلك يا حبيب القلب تأتي
هجرنا في تفقده البيسوتا
فتأكل عندنا عنباً وتُسوتا

وقلت مخاطب من أدل عليه ، وما أولاني بذلك :

إذا قمت قلت بمقيب الكرى
تباركت أنشأهم من تراب
إلهي أنت إله الورى
وأنشأني بينهم من خرا

وقلت وهي نزعة مشرقية :

يا قايدي نحو الغرام بمقلة
ماذا جنبت علي من مفضض الهوى
نفقت حلاوتها بكل فسواد
الله ينصف منك يا قسواد

وقلت فيمن رعى محبوبه عارضه في حال السكر ، ولحية التيس دواء نافع

للبطن :

رعى عارضى ظبى شكى سقم بطنه
ألم تر أنى عسله البطن اشتكى
وقال ولم تُرشد لحذق ولا كيبس
وينفع من يشكو بها لحية التيس

وقلت :

حين لم أَرَجُ للخلاص سبيلا
قبضت بالبنان فوق خنأه
دأبه بالصُدود في عشاقه

قبضت بالبنان فوق خنأه

وقلت في ذلك :

لم أجد فيه لين بث لقلبي
ثقل الله ظهره بعِيال

وقلت في ذلك :

ناديت مبتهلاً وقد جنّ الدجى
ياربّ واجعل لوّعتى في قلبه

وفي قريب من ذلك ، والله العفو الغفور :

لم أطق بعد وصال هجره
أثقل الله بعدلى ظهره

وقلت في مجتمع فضلاء :

أقول وقد جاء الغلام بشردة
بنيت على زرد ولقمني الفتى

وقلت والله ولى التجاوز أداعب بعضهم :

بأمثالها يحيى السعيد وينعم
كذلك ماعون البناء يلقم

وقلت مشيراً إلى بعض طبقات الغناء :

ضرط الفقيه فقلت ذاك غريبة
فرنا إلى وقال قد أطرفتم

وقلت أصف رجلاً خبيثاً غفر الله لى وله :

مكايدة فى لجة الليل تسبح
ويسرق ناب الكلب والكلب ينبح

وقلت فى نزعات المشاركة :

أقول لعاذلى لما نهانى وقد
علمت بأنه مرّ التجنى

وجد الملامة إذ جفانى
وفاتك أنه حنو اللسان

ومن أغراض الإشارات الصوفية وغيرها من الوعظ والجدد والحكم .
ولعل ذلك ماحياً لما تقدمه بفضل الله

قلت . وربما ثبتت في كتاب « المحبة » من تأليفى :

تعددت الألفاظ واتحد المعنى
وعادت لعين الجمع وهي كثيرة
تعبدت الأفكار آثارك العلا
وقصرت الألفاظ عن نيل غاية
وأصبح فرداً ما مررت به مثنا
محاكلاً فرق مجتلى وجهك الأسنى
وقيدت الأبصار روضتك الغنا
ببعض الذى أبدته ذاتك من معنى

وقلت :

لا يُنكر لى إن كنت قد أحببتكم
طوعاً وكرها ما ترون فإننى
أو أنى استولى على هواكم
طفت الوجود فما وجدت سواكم

وقلت :

والكون أشراك نفوس الورى
إن لم تحز معرفة الله قد
طوبى لنفس حرة فازت
أورطها الشيء الذى حازت

وقلت أيضاً فى المشيب وما فى معناه :

أنى لمثلى بالهوى من بعد ما
لبس البياض وحل ذروة منبر
للوخط بالفودين أى ديب
منى ووالى الوعظ فعل خطيب

وقلت فى تعلل يناقض ذلك :

قلت للشيب لا يُربك جفائى
أنت بالعتب يامشيبى أولى
فى اختصارى لك البرور ومقتك
جيتنى فجأة وفى غير وقتك

وقلت :

طال حزنى لنشاط ذاهب
وشباب كان يندى نضرة
كنت أسمى دايماً من خانه
نزل الثلج على ربحانه

ونظرت يوما إلى ولدي فأعجبتنى شيبته فقلت :

سرق الدهر شبابي من يدي فسؤادي مُشعر بالكمد
وحملتُ الأمر إذ أبصرته باع ما أفقدني من ولدي
وقلت وهو الحق :

أنظر خضاب الشيب قد نصلا ورائد العيش بعده انفصلا
ومطلبي^(١) والذي كلفت به قد رُمّت تحصيله فما حصلا
لا أمل مُسيفٌ ولا عمل نحن في ذا والموت قد وصلا

وقلت :

قَحَطْنَا ثم صاب الغيث رحمي فشكرا يا حِمَام إذا الغطنا
ويا غيث الرضا عنا انسكابا فأنت على الخبير به سقطنا
وقلت لما أخذت في طريقة أبي الفرج^(٢) :

قعدت لتذكير ولو كنت مُنصفا لذكرت نفسي فهي أخوج للذكرى
إذا لم يكن مني لنفسي زاجرا فياليت شعري كيف نفعل^(٣) في أخرى^(٤)
وقلت وأنا بسلا ، وقد أخسست غفلة ، والحال كله كذلك :

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر دهيت^(٥) فدلوني لمن يُرفع الأمر
تشاغللت بالدنيا ونمت مُفرطاً وفي شغلي أو نومتي سُرق العُمر

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (وبقلي) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في الزيتونة كالاتي (وقلت على

طريقة أبي الفرج الجوني) . (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الزيتونة (أفعل) .

(٤) هنا وبهذه المقطوعة تم الجزء الثالث منه مخطوط الزيتونة . وبه كل كتاب الإحاطة وفقا

لهذا المخطوط . وقد اختتمه الناسخ بالعبارة الآتية « انتهى كتاب الإحاطة بحمد الله وعونه . وصلى الله

على سيدنا ومولانا محمد الكريم ورسوله الرحيم ، وأخصه بأفضل التسليم . ورضى الله عن العلية خير

أصحابه ، وعن الصفوة الصايبة أهل بيئته ، وبه نتوسل أن يمن علينا بشفاعته ولا حول ولا قوة

إلا بالله العلي العظيم » (لوحة ٣٠١ ، ٣٠٢) « ووافق الفراع منه يوم الثلاثاء الثامن والعشرون من

جمادى الثانية عام ١٢٧٣ » .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بليت)

وقلت في مِنكَاة الرَّمْل وهو بديع :

مِنكَاة الرَّمْل فِيهَا عِبْرَةٌ وَنُهْيٌ
لُبَابُ عُمَرِ الْفَتَى يَجْرِي بِجَرِّبَتِهَا

وشاهدٌ أن كلاً منقُضٌ كَمَدَا
كَأَنَّمَا الْعُمَرُ لَمَّا أُطْلِقَتْ فُصِيدَا

ولما ارتجلت ذلك ، استزاد الحاضرون فقلت :

تأمل الرَّمْل في المِنكَاة مُنْطَلِقَا
والله لو كان وادي الرَّمْل يُنْجِده

يَجْرِي وَقَدْرُهُ عَمْرًا مِنْكَ مُنْتَهِيَا
مَا طَالَ طَائِلُهُ إِلَّا وَقَدْ ذَهَبَا

وقلت في قريب منه :

حَمَى الْفَلَكَ الدَّوَّارَ جَفْنِي عَنِ الْكِرَى
أَرَاهُ رَحَى قَيْنٍ وَعَمْرِي صَفِيحَةٌ

لَشْتَى هُمُومٍ مِنْهُ فِكْرِي يَجْنِيهَا
يَكْرُ عَلَيْهَا بِالْمَدَارِ فَيُفْنِيهَا

وقلت في الوصايا :

إِذَا مَا النَّفْسُ مَالَتْ نَحْوَ حُسْنٍ
فَإِنْ أَحْسَتْ بِالْمَيْلِ أَدْرَكَهَا

فَقَدْ خَطَرَتْ عَلَى خَطَرِ الْوَلُوعِ
فِيمَا بَعْدَ الْمَيْلِ سِوَى الْوَقُوعِ

وقلت في المعنى :

إِذَا صَرَفْتَ نَحْوَ وَجْهِ حَسَنٍ طَرْفَكَ
فَلَا تَمِيلْ قَلْبَكَ مَا اسْتَطَعْتَ لَهُ

وَاسْتَهْدَاكَ لِلْحَيْنِ الطَّمَعِ
فَالْقَلْبُ كَالْحَائِطِ إِنْ مَالَ وَقَعَ

وقلت :

أَخِي لَا تَقُلْ كَذِبًا إِنْ نَطَقْتَ
وَنَحِيفٌ إِنْ كَذَبْتَ طُرُوفُ افْتِضَاحِ

فَلِلنَّاسِ فِي الصَّدَقِ فَضْلٌ وَضَحٌ
فَمَا كَذِبُ الْفَجْرِ إِلَّا افْتِضَاحٌ

وقلت مُنْحِيَا عَلَى عَالَمِ الْكُؤُنِ وَالْفَسَادِ :

وَاللَّهُ لَوْ كَانَتْ حَيَاتِي فِي يَدِي
فِي خَفْضِ عَيْشٍ لَا تَكْلِفُ مَنَّةً
مَا كَانَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَمُّ الْأَذْيَ

مَعَ جَهْلِ وَعْدِ اللَّهِ أَوْ لَقِيَاهُ
الْإِنْسَانَ مَطْعَمَهُ وَلَا سُقِيَاهُ
مِمَّا يَوْمَلُ عَاقِلٌ بُقِيَاهُ

وكتبت في بعض الحيطان لما اجتزت على مدينة سبته :
 أقمنا برهة ثم ارتحلنا كذلك الدهر حالٌ بعد حال
 وكل بدايةٍ فإلى انتهاءٍ وكل إقامةٍ فإلى ارتحال
 ومن سام الزمان بعامٍ أمرٍ فقد وقف الرجاء على المحال
 ولندختم غرض هذه المقطوعات بقولي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله :
 عدُّ عن كيت وكيت ما عليها غير مئيت
 كيف ترجو حالة البقاء لِـمِصْبَاحِ وزيت
 ومن الموشحات

التي انفرد باختراعها الأندلسيون ، وقد طُمس اليوم رسمها ، قولي :
 ربُّ ليل ظفرتُ بالبدر ونجوم السما لم تذر
 حفظ الله ليلنا ورعا أي شمل من الهوى جمعا غفل الدهر والرقيب معا
 ليت نهر السر لم يجر حكّم الله لي على الفجر
 علل النفس يا أخا الطرب بحديث أحلى من الضرب في هوى من وصاله أربُّ
 كلما مرّ ذكر من أدر قلتُ يابردُه على صدر
 صاحٍ لا تهتم بأمر غدٍ وأجزُ صرفها يداً بيد بين نهر وبلبل غرد
 وغصون تميل من سكر أعلنت الغمام بالشكر
 يا مرادى ومنتهى أملٍ هاتها عسجدية الحلل حلت الشمس منزل الحمل
 وردّ الربيع في نشر والصبا عنبرية النشر
 غرة الصبح هذه وضحت وقيان الغصون قد صدحت وكأن الصبا إذ انفحت
 وسما طيبها عن الحضر مدحةً في علا بني نصر
 هم ملوك الوري بلائياً مهّدوا الدين زينوا الدنيا وحمى الله منهم العليا
 فالإمام المرفع الخطر والغمام المبارك القطر
 إنما يوسف إمام هدا جاز في المغلّوات كلّ مدا قلّ لدهر بملكه سعدا

إفتخر واجباً على الدهر كافتخار الربيع بالزهر
يا عماد العُلا والمجد أطلع العيد طالع السعد ووفى الفتح فيه بالوعد
وتجلت فيه على العصر غرر من طلايع النصر
فتنهناً من حسنه البهج بحياة النفوس والمهج واستمعها ودع مقال شج
قسماً بالهوى لدى حجر ما ليليل المشوق من فجر

ومن ذلك قولي أيضاً :

زمن الأنس كلما ولى ردهً مُعوزٍ فاغتنم منك ريق العُمر وهو مُستوفز
أطرد الهمَّ بابنة العنب. وأحل غيم الثرا. عن شمس عكفن في حُجب. عن عيون الورى
هى كتر من خالص الذهب حل عند العرا
كم فقير أتى على وعدٍ فيه يُستنجز والوعيد الشديد معروفٌ للذى يكثر
أضحك الفجر مبهم الشرق. فاستراب الظلام وانتضى الأفق صارم البرق. من
قرباب الغمام

وتحلت ترابيب الورق دُر زهر الكمام
ولجيش الصباح فى الأفق راية تُركز وخيول السحاب بالبرق أبدا تنهجر
وقدود الغصون ترتاح للقاء النسيم وشميم الرياض نفاح كئنا الكريم
ومحياً الصباح يلتاح فى الجمال الوسيم
وخطيب الحمام فى الغصن مُسهبٌ موجز ينكر النوم فهو بالعتب مُفصحٌ ملغز
للهى قذوة من الناس. ذات نهج قويم لا ترى فى المدام من باس وارتشاف النديم
بحديث الغرام والكاس فى الزمان القديم
طوروا صفح كل ديوان وبه طرز ما لا تُجزى فى شريعة الظرف غير ما جوزا
قف ركاب المدايح الغر. باهل بر الهدا يوسف الملك نخبة الأمر غيث أفق النداء
من لأسلافه بنى نصر فى جهاد العدا

وكتبت عن السلطان أبى الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بن نصر،

رحمه الله ، إلى التربة المقدسة ، تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهي من أوليات ما صدر عني في هذه الأغراض :

إذا فاتني ظل الحمى ونعيمه
ويقنعني أنى به متكيف^(١)
يعود فؤادي ذكر من سكن الغضا
ولم أر يوما^(٢) كالنسيم إذا سرى
نعلل بالتذكار نفسا مشوقة
وما شفني بالغور قد مرنم^(٣)
ولا سهرت عيني لبرق ثنية
براني شوق للنبي محمد
ألا يا رسول الله ناداك ضارع
مشوق إذا ما الليل مد رواقه
إذا ما حديث عنك جاءت به الصبا
أيجهر بالنجوى وأنت سميعها
وتعوزه السقيا وأنت غياثه
بنورك تور الله قد أشرق الهدى

فحسب فؤادي أن يهب نسيمه
فزمزمه دمعي وجسمي حطيمه
فيقعه فوق الغضا ويقيمه
شفا سقم القلب المشوق سقيمه
يدير عليها كأسه ويديمه
ولاشاقني من [حش وجدة]^(٤) ريمه
من الثغر يبدو موهنا فأشيمه
يسوم فؤادي برحه^(٥) ما يسومه
على البعد^(٦) محفوظ الوداد سليمه
تحت^(٧) به تحت الظلام همومه
شجاه من الشوق الحديث قديمه
ويشرح ما يخفي وأنت عليه
وتتلفه البلوى^(٨) وأنت رحيمه
فأقماره وضاحة ونجمه

- (١) هكذا في الإسكوريال . وفي النح (متكيف) .
(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (شينا) .
(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مريح) .
(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وحش وجرة) .
(٥) وردت في الإسكوريال بجره . والتصويب من النفع .
(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (النأي) .
(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (تهم) .
(٨) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (الشكوى) .

فأنواؤه ملتفة وغيومه (١)
 خليل الذي أوطا كها (١) وكليمه
 ومجدك في الذكر الحكيم (٢) عظيمه
 فموسر دُرُّ القول فيك عديمه
 ومجدك لا يُنسى الزمام كريمه
 هي الفخر لا يخشى انتقالاً مُقيمه
 بك أفتخرت أطلاله ورسومه
 ويعوزه من بعد ذاك مرومه
 إذا ضاق عُذر العزم عمن يلومه
 جلالقة الثغر الغريب ورومه
 هي البحر يعي أمرها من يرومه
 ليربع حماه واستبيح حريمه
 فمجدك موفور النوال عميمه
 وأنت لنا الظل الذي نستديمه
 وأقلقني شوق يشبُّ جحيمه
 على مجدك الأعلى الذي جلُّ خيمه
 فساعدها (٤) هاء الروى وميمه
 فمثلك لا يُنسى لديه خديمه
 وما راق من وجه الصباح وسيمه

لك أنهل فضل الله بالأرض ساكباً
 ومن فوق أطباق السماء بك اقتدى
 لك الخلق الأرضي الذي جلُّ ذكره
 يجلُّ مدى عليك عن مدح مادح
 ولي يارسول الله فيك وراثه
 وعندى إلى أنصار دينك نسبة
 وكان بودى أن أزور ميوماً
 وقد يجهد الإنسان طرفاً اعتزاه
 وعُذرى في تسوية عزمي ظاهر
 عدتني بأقصى الغرب عن تترك العدا
 أجاهد منهم في سبيلك أمة
 فلولا اعتناء منك يا ملجأ الورى
 فلا تقطع الحبل الذي قد وصلته
 وأنت لنا الغيث الذي نستدره
 ولما نأت داري وأعوز مطمعي
 بعثت بها جهد المقلِّ معولاً
 وكلت بها همى وصدق قريحتي
 فلا تنسى يا خير من وطىء الثرى
 عليك صلاة الله ما ذرَّ شارق

(١) هذا البيت وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (أوطا كها) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (العظيم) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (فساعدي) .

إلى رسول الحق ، إلى كافة الخلق ، وغمام الرحمة الصادق البرق ،
والحائز في ميدان اضطفاء الرحمن قصب السبق ، خاتم الأنبياء ، وإمام
ملائكة السماء ، ومن وُجبت له النبوة ، وآدم بين الطين والماء ، شفيع
أرباب الذنوب ، وطبيب أدواء القلوب ، ووسيلة الخلق إلى علام الغيوب ،
نبي الهدى الذي طهر قلبه . وغفر ذنبه ، وختم به الرسالة ربّه ، وجرى
في النفوس مجرى الأنفاس حبه ، المشفع يوم العرض ، المحمود في ملائ
السموات والأرض ، صاحب اللواء المنشور ، والمؤمن على سر الكتاب
المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ، المؤيد بكفاية الله
وعصمته ، [الموفور حظّه من عنايته ونعمته] ^(١) . الظل الخفّاق على
أمتّه من لوحات الشمس بعض كماله ، ما عدت إشراقا ، أو كانت للآباء
رحمة قلبه ، ذابت [نفوسهم] ^(٢) إشفاقا ، فائدة الكون ومعناه ، وسر
الوجود الذي بهر الوجود سنّاه ، وصفيّ حضرة القدس الذي لا ينام قلبه
إذا نامت عيناه ، البشير الذي سبقت له البشري ، ورأى من آيات ربّه
الكبرى ، ونزل عليه ^(٣) سبحانه الذي أسرى . الأنوار من عنصر نوره
مستمدة . [والآثار من آثاره مستجدة] ^(٤) من طوى بساط الوحي لفقده ،
وسدّ باب النبوة والرسالة من بعده ، وأوتى جوامع الكلم ، فوقف البلغاء
حسرى دون حدّه ، الذي انتقل في الغرر الكريمة نوره ، وأضاءت لميلاده ^(٥)

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (فيه) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النفع كالاتي (والآثار

تخلق وآثاره مستجدة) .

(٥) هكذا في النفع . في الإسكوريال (لنوره) والأولى أرجح .

مصانع الشَّام وقصوره ، وطفقت الملائكة تحييه ^(۱) وفودها وتزوره .
 وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء بأسمائه وصفاته . [فجاء بتصديق
 الخبر ظهوره] ^(۲) وأخذ عهد الإيمان على من انصلت بمبعثه منهم أيام
 حياته] ^(۳) المُفزع الأَمَنع يوم الفزع الأكبر ، والسند ^(۴) المعتمد عليه
 في أهوال المَحْشَر ، ذو المعجزات ^(۵) التي أثبتتها المشاهدة والحِسُّ ،
 وأقربها الجن والإنس ، من جماد يتكلم ، وجذع لفراقه يتألم ، وقمر له
 ينشق ، وشجر ^(۶) يشهد أن ما جاء به هو الحق ، وشمس بدعائه عن
 مسيرها تُحْبِس ، وماء من أصابعه الكريمة ينبجس ، وغمام باستسقائه يَصُوب ،
 وركية ^(۷) بصق في أجاجها ، فأصبح ماؤها وهو العذب المشروب ،
 المخصوص بمناقب الكمال ؛ وكمال المناقب ، المسمى بالحاشر والعاقب ،
 ذو المجد البعيد المراق ^(۸) والمراقب ، أكرم من [رُفعت إليه] ^(۹) وسيلة
 المُعْتَرَف والمُتَغْرَب ، سيّد الرسل ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
 الذي فاز بطاعته المحسنون ، واستنقذ بشفاعته المذنبون ، وسعد باتباعه
 الذي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، صلى الله عليه وسلم ، مالمع برق ،
 وهمع وذق ، وطلعت شمس ، ونسخ اليوم أمس . من عتيق شفاعته ،
 وعبد طاعته ، المعتصم بسببه ، المؤمن بالله ثم به ، المُسْتَشْفَى بذكره كلما

(۱) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تجيئه) والأولى أرجح .

(۲) هذه العبارة ساقطة في النسخ ، وواردة في الإسكوريال .

(۳) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(۴) وردت في الإسكوريال (السيد) والتصويب . النسخ .

(۵) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (المشاهد) والأولى أرجح .

(۶) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وحجر) .

(۷) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (وطوى) .

(۸) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المرأي) .

(۹) هكذا ، ردت هذه العبارة في النسخ . ووردت مكانها في الإسكوريال (بعثت) .

تَأْلَمُ ، المفتوح بالصلاة عليه كلما تكلم . الذي ، [إن ذكر] ^(١) تنثل
 طلوعه بين أصحابه وآله . وإن هبَّ النسيم العاطر ، وجد فيه طيب
 خِلاله ، وإن سمع الأذان تُذَكَّرُ صوتُ بِلَالِهِ ، وإن ذُكِرَ القرآنُ ،
 استُشعر ^(٢) تردُّدُ جبريل بين معاهده وخِلاله . لا تُثمُّ تربيته ، ومؤمل
 قُربه ، ورهينُ طاعته وحبِّه . المتوسل ^(٣) به إلى رضى الله ربِّه ، يوسف بن
 إسماعيل بن نصر . كتبه إليك يا رسول الله . والدمع ماحٍ ، وخَيْلُ الوَجْدِ
 ذات جِماحٍ ، عن شوق يزداد كلما نقص الصبر . وانكسار لا يُتاح له
 إلا بَدَنُو مزارك الجَبْر [وكيف لا يُعْمِي مشوقك الأمر . وتوطأ على كبده
 الجَمْر] ^(٤) . وقد مِطلت الأيام بالقدوم على تُرْبَتِكَ المقدَّسة اللَّحْدِ .
 ووُعِدت الآمال . ودانت بإخلاف الوَعْدِ . وانصرفت الرِّفاق والعين
 بِإِثْمِ ^(٥) ضريحك ما اكتحلت ، والركائب إليك ما ارتحلت ، والعزائم
 قالت وما فَعَلت . والنواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تُسرح ، وظهور ^(٦)
 الآمال عن ركوب ^(٧) العجز لم تُبرح . فيالها معاهد فاز من حياها ،
 ومشاهد ما أعطر رباها . بلادٌ نيطت بها عليك التَّمائم ، وأشرقَت بنورك
 منها النُّجود والتَّهائم . ونزل في حجراتها عليك المُلْك ، وانجلى بضياء
 فُرْقَانِكَ فيها الحَلْكَ ، مدارس الآيات والسُّور . ومطالع المعجزات السَّافرة
 والغرر ، حيث قضيت الفروض وحُتِمت ، وافتتحت [سُور الوحي] ^(٨)

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع . ز في الإسكوريال (المتوصل) والأولى أرجح .

(٤) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بنور) .

(٦) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وطبور) .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وكور) .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في النفع (سورة الرحمن) .

وُخِّمَتْ ، وَابْتَدِيَتْ الْمَلَّةَ الْحَنِيفَةَ وَتُسِّمَتْ ، وَنُسِخَتْ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتْ .
 أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ هَادِيًا [وَأَطَّلَعَكَ لِلخَلْقِ نُورًا بَادِيًا] ^(١) ، لَا يُطْفِئِي
 غُلَّتِي إِلَّا شِرْبُكَ ، وَلَا يُسْكِنُ لَوْعَتِي إِلَّا قُرْبُكَ ، فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفْضَلِ مِنْ
 حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ آدَاءِ مَا فَرَضْتَ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ،
 وَعَفَّرَ الخَدَّ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أُسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ مَا بَيْنَ دَارِي بَعْثِكَ وَهِيْجَتِكَ .
 وَإِنِّي لَمَّا عَاقَتْنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَائِقَ ، وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَصَدَّتْنِي ^(٢)
 الْأَعْدَاءُ فَيْكَ عَنْ وَصْلِ سَبِي بِسَبَبِكَ ، وَأَصْبَحْتَ بَيْنَ بَحْرِ تَتْلَاطِمِ أَمْوَاجِهِ ،
 وَعُدُوِّ تَتَكَاثِفِ أَفْوَاجِهِ ، وَيَحْجُبُ الشَّمْسُ عِنْدَ الظُّهْرِ عَجَاجِهِ ، فِي طَائِفَةِ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَطَنُوا عَلَى الصَّبْرِ نَفُوسَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ
 وَعَلَيْكَ لُبُوسَهُمْ ، وَرَفَعُوا إِلَى مَصَارِحَتِكَ رُؤُوسَهُمْ ، وَاسْتَعَذَّبُوا فِي مَرَضَاتِكَ
 اللَّهُ وَمَرَضَاتِكَ ^(٣) بُوْسَهُمْ ^(٤) ، يَطِيرُونَ مِنْ هَيْعَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَيَلْتَفِتُونَ ^(٥)
 وَالْمَخَافِ عَنْ يُمْنِي وَيُسْرَى ، وَيَقَارِعُونَ وَهُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةَ ، جَمُوعًا
 كَجَمُوعِ قَيْصَرَ وَكُسْرَى ، لَا يَبْلُغُونَ مِنْ عَدُوِّ ^(٦) وَهُمْ الذَّرُّ مِنْ انْتِشَارِهِ
 عَشْرَ مِئْثَارِهِ ، قَدْ بَاعُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ
 هِيَ الْعُلْيَا ، فَيَالَهُ مِنْ سِرْبٍ مَرُوعٍ ، [وَصَرِيخٍ إِلَّا مِنْكَ مَمْنُوعٍ] ^(٧) وَدَعَاءٍ
 إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ . وَصَبِيَّةٌ حُمُرِ الْحَوَاصِلِ ، تَخْفِقُ فَوْقَ أَكَارِهَا أَجْنَحَةٌ
 الْمَنَاصِلِ ، وَالصَّلِيبُ قَدْ تَمَطَّى بِمَدِّ ذِرَاعِيهِ ، وَرَفَعَتْ الْأَطْمَاعُ بِضَبْعِيهِ ،

(١) هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال وواردة في النسخ .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وعدتني) والأولى أرجح .

(٣) ساقطة في الإسكوريال وواردة في النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (نفوسهم) . والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا وردت في النسخ وفي الإسكوريال (ينفلتون) .

(٦) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (عدد) .

(٧) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وقد حُجبت بالقتام السماء ، وتلاطمت أمواج الحديد والبأس الشديد ،
فالتقى الماء . ولم يبق إلا الذمء . وعلى ذلك فما ضَعُفت البصائر ،
ولا ساءت انظنون . وما وُعد به الشهداء تعتقده القلوب ، حتى تكاد
تشاهده العيون ، إلى أن نَلْقَاكَ غداً إن شاء الله . وقد أبلينا العُذر ، وأرغَمنا
الكفر ، وأعملنا في سبيل الله وسبيلك البيض والسمر . استنبت رُقعتي
هذه لتطير إليك [من شوقي] ^(١) بجناح خافق ، وتشعر نيتي التي تصحبها
برفيق موافق ، فتودى عن عبدك وتبَلَّغ ، وتُغفر الخد في تُربك وتمرغ ،
وتطيب برياًها معاهدك الطاهرة وبيوتك ، وتقف وقوف الخشوع والخضوع
تجاه تابوتك ، وتقول بلسان التملق عند التثبث بأسبابك والتعلق ،
منكسرة الطرف ، حذراً بهُرجها من عدم الصُرف . يا غياث الأمة ، وغمام
الرحمة ، إرحم غربتي وانقطاعي ، وتغمد بطولك قِصر باعي ، وقو على
هيبتك خور طباعي . فكم جُزّت من لُج مهول ، وجبت من حزون وسُهول ،
وقابل بالقبول نيابتي ، وعجل بالرضا إجابتي ، ومعلوم من كمال تلك
الشيم ، وسخاء تلك الديم ، أن لا يخيب قِصدُ من حط بفنايها ، ولا
يظماً وارد أكب على إنايها . اللهم يا من جعلته أول الأنبياء بالمعنى وآخرهم
بالصورة ، وأعطيته لواء الحمد ، يسير آدم فمن دونه ، تحت ظلاله
المنشورة ، ومَلَكْتَ أُمَّتَهُ ما زوى له من زوايا البسيطة المعمورة ، وجعلتني
من أُمَّتِهِ المَجْبُولَةِ على حُبِّهِ المَقْطُورَةِ ^(٢) [وشوقتي إلى معاهده المبرورة
ومشاهده المَزُورَةِ] ^(٣) ووكلت لساني بالصلاة عليه ، وقلبي بالحنين

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النفع ، ومكانها في الإسكوريال (المومة لقربه) . والأولى أرجح لارتباطها

بالعبارات المسجعة التالية .

(٣) هذه الجملة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

إليه . ورغبتنى فى التماس ما لديه ، فلا تقطع عنه أسبابى ، ولا تحرمنى
فى حبه أجر ثوابى ، وتداركنى بشفاعته يوم أخذ كتابى . هذه يارسول الله
وسيلة من بعدت داره ، وشطّ مزاره ، ولم يجعل بيده اختياره . فإن لم
تكن هذه للقبول أهلا ، فأنت للإغضاء والسمح^(١) أهل . وإن كانت
ألفاظها وعرة ، فجنابك للقاصدين سهل . وإذا كان الحبُّ يثوارث كما
أخبرت ، والعروق تدسُّ حسبما إليه أشرت ، فلى بانتسابى إلى سعد عميد
أنصارك مزية ، ووسيلة أثيرة حفية . فإن لم يكن لى عمل ترتضيه ، فلى
نية . فلا تنسنى ومن بهذه الجزيرة [التى افتتحت]^(٢) بسيف كلمتك ،
على أيدى خيار أمّتك ، فإنما نحن بها وديعة تحت بعض أفضالك ، نعوذ
بوجه ربك من إغفالك ، ونستنشق من ربح عنايتك نفحة ، وترتقب من
محبيا قبولك لمحة ، ندافعها عدوا طغى وبعى ، وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى .
فمواقف التّمحيص قد أعيت من كتب وأرخ ، والبحر قد أضمت
[بواعث لحجه]^(٣) من استصّرخ ، والطاغية فى العدوان مستبصر ، والعدو
محلّق ، والولى مقصّر^(٤) . ويجاهك نستدفع^(٥) ما لا نطبق ، وبعنايتك
نعالج سقيم الدين فيفيق ، [فلا تفرّدنا ولا تهملنا ، وناد ربك فىنا ،

(١) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (السباح) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (المفتحة) .

(٣) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى النفع .

(٤) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (تدفع) .

(٥) ووردت فى الإسكوريال (منصر) والتصويب من النفع .

ربنا ولا تحملنا ، وطوائف أمتك حيث كانوا عناية منك سكتهم]^(٢)
 وربك يقول لك ، وقوله الحق ، وما كان الله ليعذبهم ، وأنت فيهم .
 والصلاة والسلام عليك . يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ،
 وصلى الله على جميع أحزابك وآلك ، صلاة^(٣) تليق بجلالك ، وتحقّق
 لكمالك ، وعلى ضجيعيك وصديقيك وحببيك ورفيقك ، خليفتك في
 أمّتك^(٤) ، وفاروقك المُستخلف بعده على ملّتك^(٥) ، وصهرك ذى النورين ،
 المخصوص ببرّك ونِحلتك ، وابن عمك ، سيفك المسلول على حلتك^(٥) ،
 بدر سمائك ووالد أهلتك . [والسلام الكريم عليك وعليهم ، كثيراً
 أثيراً]^(٦) ورحمة الله تعالى وبركاته . وكتب بحضرة جزيرة الأندلس
 غرناطة ، صانها الله تعالى ووقاها . ودفع عنها ببركتك كَيْدَ عداها .

-
- (١) ما بيني الحاصرتين و ارد في النفع وساقط في الإسكوريال .
 (٢) هكذا وردت في النفع . ومكانها في الإسكوريال (بما) .
 (٣) هكذا وردت في النفع وفي الإسكوريال (ملتك) .
 (٤) هكذا وردت في الإسكوريال ، في النفع (جلتك) .
 (٥) هذه الكلمة واردة في النفع ، وساقطة في الإسكوريال .
 (٦) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

وكتبت عن ولده أمير المسلمين أبي عبد الله
إلى ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضمنت ذلك ما فتح الله عليه من الفتوحات

السَّنِيَّاتِ، إِلَيْهِ وَفِي أَوَائِلِ عَامِ أَحَدٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ
دَعَاكَ بِأَقْصَى الْمَغْرِبِينَ غَرِيبٌ
وَأَنْتَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ قَرِيبٌ
مَدْلٌ بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ وَطَرْفُهُ
غَضِيضٌ عَلَى حُكْمِ الْحَيَاءِ مَهِيْبٌ^(۱)
إِذَا مَا هَوَى وَالشَّمْسُ حِينَ تَغِيْبُ
يُكَلِّفُ قَرَصَ الْبَدْرِ حَمْلَ تَحِيَّةِ
وَقَدْ ذَاعَ مِنْ وَرْدِ^(۲) التَّحِيَّةِ طِيْبٌ
لِيَرْجِعَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَالِمِ غَدْوَةٌ
مِنَ الْحُبِّ لَمْ يَعْلَمْ بِهِنَّ رَقِيبٌ
وَيَسْتَوْدِعُ الرِّيحَ الشَّمَالَ شَمَائِلًا
إِذَا مَا أَطَلَّتِ وَالصَّبَاحُ مُنِيبٌ^(۳)
غَرَامًا بِحَنَاءِ النَّجِيعِ خَضِيبٌ
وَيَتَّبِعُ آثَارَ الْمَطِيِّ تَشِيْعًا وَقَدْ
زَمَزَمَ الْحَادِي وَحَنَّ نَجِيبٌ^(۴)
إِذَا مَا أَطَلَّتِ وَالصَّبَاحُ مُنِيبٌ
بِخَسْرٍ عَلَيْهَا رَاكِعًا وَيُنِيبُ
وَيَلْقَى رِكَابَ الْحَجِّ وَهِيَ قَوَافِلُ
طَلَّاحٌ وَقَدْ لَبَّى النَّدَاءَ لَبِيبٌ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا أَنَّهُ وَتَوَجُّعُ
وَلَا حَوْلَ إِلَّا زَفْرَةٌ وَنَجِيبُ
غَلِيلٌ وَلَكِنْ مِنْ قَبُولِكَ مَنْهَلٌ
وَقَدْ تُخْطِئُ الْآمَالَ ثُمَّ تُصِيبُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى وَالْأَمَّ إِنِّي ضَلَّةٌ^(۵)

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (مريب) .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (رد) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (جنيب) .

(۴) هذان البيتان واردان في الإسكوريال . وساقطان في النفع .

(۵) هكذا وردت في النفع وفي الإسكوريال (الأحباب) والأولى أرجح .

(۶) وردت في الإسكوريال (ظلمة) ، والتصويب من النفع .

أَيْنَجِدُ نَجْدَ بَعْدَ شَطِّ^(١) مَزَارِهِ
 وَهَلْ يَنْقُضِي دَيْتِي فَيَسْمَحُ طَائِعاً^(٢)
 وَيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لِحَوْمِي هَوْرِدُ
 وَلَكِنَّكَ الْمَوْلَى الْجَوَادُ وَجَارُهُ
 وَكَيْفَ يَضِيقُ الذَّرْعُ يَوْمَ مَبْقَاصِدِ^(٣)
 وَمَا هَاجَنِي إِلَّا تَأَلَّقَ بَسَارِقُ
 ذَكَرْتُ بِهِ رَكَبَ الْحِجَازِ وَجِيرَةً
 فَبِتُّ وَجَفَنِي مِنْ لَأَلِيٍّ دَمْعُهُ
 تَرِيحُنِي الذَّكْرَى وَيَهْفُو نِي الْهُوَى
 وَأَحْضُرُ تَعْلِيلًا لَشَوْقِي بِالْمُنَى
 مُنَايَ^(٥) لَوْ أُعْطِيتِ الْأَمَانِي زَوْرَةَ
 ذِقُولُ حَبِيبٍ إِذْ يَقُولُ تَشَوْقًا
 تَعَجَّبْتُ مِنْ سَيْفِي [وَقَدْ سَابَقَ الْقَضَا]^(٦)
 وَأَعْجَبُ أَنْ لَا يُورِقُ الرَّمْحُ فِي يَدِي
 فَيَا سَرَّحَ ذَاكَ الْحَيَّ لَوْ أَخْلَفَ الْحَيَا
 وَيَاهَا جَرَّ الْجَوُّ الْجَدِيدُ تَلْبُثًا
 وَيَا قَادِحَ الزَّنْدِ الشَّجَاعِ تَرْفُقًا
 وَيَكْتُبُ بَعْدَ الْبُعْدِ مِنْهُ كَتِيبُ
 وَأَدْعُو بِحِظِي مُسْمِعًا فَيَجِيبُ
 لَدَيْكَ وَهَلْ لِي فِي رِضَاكَ نَصِيبُ
 عَلَيَّ أَيُّ حَالٍ كَانَ لَيْسَ يَخِيبُ
 وَذَاكَ الْجَنَابَ الْمُسْتَجَارُ حَبِيبُ
 يَلُوحُ بِفَوْدِ الذَّيْلِ مِنْهُ مَشِيبُ
 أَهَابَ بِهَا نَحْوَ الْحَبِيبِ مُهَيِّبُ
 غَنِيٌّ وَصَبْرِي^(٤) لِلشُّجُونِ سَلِيبُ
 كَمَا مَالُ غَصْنٍ فِي الرِّيَاضِ رَطِيبُ
 وَيَطْرُقُ وَجْدٌ غَالِبٌ فَأَغِيبُ
 يُبِثُّ غَرَامَ عِنْدَهَا وَوَجِيبُ
 عَسَى وَطَنٌ يَدْنُو إِلَيَّ حَبِيبُ
 وَقَلْبِي فَلَمْ يَسْكُبْهُ مِنْهُ مَذِيبُ
 وَمَنْ فَوْقَهُ غَيْثُ الْمَشُوبِ سَكِيبُ
 لِأَغْنَاكَ مِنْ صَوْبِ الدَّمْعِ صَبِيبُ
 فَعَهْدِي رَطْبُ الْجَانِبِينَ خَصِيبُ
 عَلَيْكَ فَشَوْقِي الْخَارِجِي شَبِيبُ

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (شط) .

(٢) هكذا وردت هذه الشطر في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وتفضي

ديوني بعد ما مغل المدي) .

(٣) وردت في الإسكوريال (بعاصد) . والتصويب من النسخ .

(٤) وردت في الإسكوريال (وسيري) . والتصويب من النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مراي) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (وقد جاور الغضي) .

حديث الغريب الدار فيك غريب
 يماح عليه المدهوع قليب
 أبصرت ماءً ثار عنه هيب
 إذا شد للشوق العصاب عصيب
 ومنتسبي للصبح منك نسيب
 وللخزر جبين الكرام نسيب^(۱)
 عقارب لا يخفى هن دبيب
 فمستليب من دونه^(۲) وسليب
 فتعيق من أنفاسها وتطيب
 وهل يتساوى مشهد ومغيب
 ويبعد مرعى السهم وهو مصيب
 فعود الصليب الأعجمي صليب
 ضمنت ووعد بالظنون^(۳) تريب
 وأفصح للعضب الطرير خطيب
 كما ريع^(۴) مكحول اللحاظ ريب
 يكفتها من يجتني ويثيب^(۵)
 يروك منها لجة وقصيب

أيا خاتم الرسل المكين مكانه
 فوادی علی جمر البهاد قلوب
 فوالله ما يزداد إلا تلها
 فليلته ليل السليم ويومه
 هوای هدی فيك اهتديت بنوره
 وحسبي علی أني لصحبك منتم
 عدت عن مغانيك المشوقة للعدا
 حراض علی إطفاء نور قدحته
 تمر الرياح الغفل فوق كلومهم
 بنصرک^(۳) عنك الشغل من غير منة
 فإن صح منك الحظ طاعت^(۴) المنى
 ولولاك لم تُعجم من الروم عودها
 وقد كانت الأحوال لولا مراغب
 منابر عز أذن الفتح فوقها
 نقود إلى هيجائها كل صائل
 ونجتاب من سرد اليقين مدارعا
 إذا اضطرت^(۸) الخطى حول غدیرها

(۱) هذا البيت وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(۲) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (دونها) .

(۳) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (لنصرک) .

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (طاوعني) .

(۵) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بالظهور) .

(۶) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ريع) .

(۷) هذا البيت وارد في النفع وساقط في الإسكوريال .

(۸) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (اضطرب) .

فَعذْرًا وَإِغْضَاءً وَلَا تَنْسَ صَارِخًا بَعْزَكَ يَرْجُو أَنْ يَجِيبَ مُجِيبٌ
 وَجَاهَكَ بَعْدَ اللَّهِ نَرْجُو وَإِنَّهُ لِحِظًّا مَلِيًّا بِالْوَفَاءِ رَغِيبٌ
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا طَيَّبَ الْفَضَا عَلَيْكَ مُطِيلٌ بِالثَّنَاءِ مُطِيبٌ
 وَمَا اهْتَزَّ قَدُّ لِلْغُصُونِ مُرْنَحٌ وَمَا افْتَرَّ ثَغْرٌ لِلْبُرُوقِ شَنِيبٌ
 إِلَى حِجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى^(١) ، الْمُؤَيَّدِ بِبِرَاهِينِ أَنْوَارِهِ ، وَفَائِدَةِ النُّكُونِ وَنُكْتَةِ
 أَدْوَارِهِ ، وَصِفْوَةِ نَوْعِ الْبَشَرِ وَمَنْتَهَى أَطْوَارِهِ . إِلَى الْمُجْتَبَى وَمَوْجُودِ
 الْوَجُودِ . لَمْ يُغْنِ بِمَطْلَقِ الْوَجُودِ^(٢) عَدِيمَهُ ، وَالْمُصْطَفَى مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ ،
 فَبَلَّ أَنْ يَكْسُو الْعِظَامَ أَدِيمَهُ ، الْمَحْتَمُومَ فِي الْقِدَمِ ، وَظَلَمَاتِ الْعَدَمِ ، عِنْدَ
 صِدْقِ الْقِدَمِ تَقْدِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ ، إِلَى وَدِيعَةِ النُّورِ الْمُنْتَقِلِ فِي الْجِبَاهِ
 الْكَرِيمَةِ وَالغُرَّرِ ، وَغَمَامِ الرَّحْمَةِ الْهَامِيَةِ الدُّرْرِ . إِلَى مَخْتَارِ اللَّهِ الْمَخْصُوصِ
 بِاجْتِبَائِهِ ، وَحَبِيبِهِ الَّذِي لَهُ الْمَزِيَّةُ عَلَى أَحْبَائِهِ ، مِنْ ذُرِّيَةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
 آبَائِهِ . إِلَى الَّذِي شَرَحَ صَدْرَهُ وَغَسَلَهُ ، ثُمَّ بَعَثَهُ وَاسْطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ
 وَأَرْسَلَهُ ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِ إِنْعَامَهُ الَّذِي أَجْزَلَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ وَالْهُدَى
 مَا أَنْزَلَهُ . إِلَى بُشْرَى الْمَسِيحِ وَالذَّبِيحِ ، وَمَنْ لَهِمُ التَّجْرِ الرَّبِّيحِ ، الْمَنْصُورِ
 بِالرُّعْبِ وَالرِّيْحِ ، الْمَخْصُوصِ بِالنَّسَبِ الصَّرِيحِ . إِلَى الَّذِي جَعَلَهُ فِي
 الْمُحَوَّلِ غَمَامًا . وَلِلْأَنْبِيَاءِ إِمَامًا ، وَشَقَّ صَدْرَهُ لِتَلْقَى رُوحَ أَمْرِهِ غَلَامًا ،
 وَأَعْلَمَ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِعْلَامًا ، وَعَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَاةً عَلَيْهِ وَسَلَامًا .
 إِلَى الشَّفِيعِ الَّذِي لَا تُرَدُّ فِي الْعُصَاةِ شَفَاعَتُهُ ، وَالْوَجِيهَ الَّذِي قُرِنَتْ بِطَاعَةِ
 اللَّهِ طَاعَتُهُ ، وَالرُّؤُوفَ الرَّحِيمَ الَّذِي خَلَصْتَ إِلَى اللَّهِ فِي أَهْلِ الْجَرَائِمِ ضَرَاعَتَهُ .
 صَاحِبَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا يَسْعُ رَدُّهَا ، وَالْمَعْجَزَاتِ الَّتِي أَرْنَى عَلَى الْأَلْفِ عَدُّهَا ،

(١) زائدة في النفع .

(٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (الجود) والأولى أرجح .

من قمر شُقُّ ، وجذع حنَّ له وحقُّ . وبنانٍ يتفجر بالماء ، [فيقوم
 يرى]^(١) الظمأ [وطعام يُشبع الجَمع الكثير يسيره ، وغمام يظلل به
 مقامه ومسيره] ، خطيب المقام المحمود إذا كان العَرَض ، وأول من
 تَنَشَقُّ عنه الأرض [ووسيلة الله تعالى التي لولاها ما أقرض القرض]^(٢)
 ولا عُرْف النَّفل والفرَض ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
 ابن عبد مناف ، المحمود الخلال ، من ذى الجلال ، الشاهدة بصدقه
 صحفُ الأنبياء وكتب الإرسال ، وآياته التي أثلجت^(٣) القلوب ، ببرد
 اليقين السُّلسال . صلى الله عليه وسلم ، ما ذرَّ شارق ، وأومض بارق ،
 وفرق بين اليوم الشامس والليل الدامس فارق ، صلاةً تتأرجح عن شذا
 الدهر ، وتنبلج عن سناء^(٤) الكواكب الزُّهر ، وتتردد بين السُّر والجَهْر ،
 وتستغرق ساعات النهار^(٥) ، وأيام الشهر ، وتدوم بدوام الدهر ، من عبد
 هداه ، ومُستقرى مواقع نِداه ، ومزاجم أبناء^(٦) أنصاره في مُنتداه ،
 وبعض سهامه المُفَوَّقة إلى نحر عُداه . مؤمِّل العِتق من النار بشفاعته ،
 ومُحرز طاعة الجِبَّار بطاعته ، الآمن باتصال رَغِيه من إهمال الله وإضاعته ،
 متخذ الصلاة عليه وسایل نجاه ، وذخائر في الشدائد مُرتجاه ، ومُتاجر
 بضائعها غير مُزجاه ، الذى ملأ بحبه جوانح صدره ، وجعل فكره هالة
 لبُدْره ، وأوجب حقه^(٧) على قدر العبد لا على قدره ، محمد بن يوسف

(١) ما بين الخاصرتين ساقط في الإسكوريال ووارد في النفع .

(٢) هذه العبارات الواردة بين الخاصرتين كلها واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (انبلجت) والأولى أرجح .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (سى) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (اليوم) .

(٦) زائدة في النفع .

(٧) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (قدرة) . والأولى أرجح .

ابن نصر الأنصاري الخزرجي ، نسيب سعد بن عبادة من أصحابه ،
 وبوارق صحابه ، وسيوف نصرته ، وأقطاب دار هجرته ، ظلله الله يوم
 الفزع الأكبر ، من رضاك عنه بظلال الأمان ، كما أنار قلبه من هدايتك
 بأنوار الهدى والإيمان ، وجعله من أهل السّياحة في فضاء حُبك والهيّمان .
 كتبه إليك يا رسول الله ، واليراعُ يقتضى مقام الهيبة صُفرةً لونه ،
 والمداد يكاد أن يحول سواد جَوْنه ، ورقّة الكتاب^(١) يخفق فؤادها حرصاً
 على حفظ اسمك الكريم وضوونه ، والدمع يقطر فتنقّط به الحروف ،
 وتفصل الأسطر ، وتوهم المثلول بمشواك المقدّس ، لا يمر بالمخاطر سواه
 ولا يخطر ، عن قلبٍ بالبعد عنك قريح ، وجفنٌ بالبكاء جريح ، [وتأوه
 عن تبرّيح]^(٢) ، كلما هبت من أرضك نسيم ريح . وانكسارٌ ليس له
 إلا جبرك ، واغتراب لا يؤنس فيه إلا قُربك ، وإن لم يقض فقبرك .
 وكيف لا يُسلم في مثلها الأسي ، ويوحش الصباح والمساء ، ويرجف
 جبل الصبر بعد ما رسي ، لولا لعلّ وعسى . فقد سارت الرُكبان إليك
 ولم يُقض مسير ، وحوّمت الأَسراب عليك ، والجناح كسير ، ووعدت
 الآمال فإخلفت ، وحلفت العزائم فلم تف بما حلفت ، ولم تحصل
 النفس من تلك المعاهد ذات الشرف الأثيل ، إلا على التمثيل ، ولا من
 المعالم المتنادية^(٣) التّنوير ، الأعلى التّصوير ، ومهبط وحى الله ، ومُنزل
 أسمايه ، ومتردّد ملايكة . مائه ، ومرافق^(٤) أوليائه ، وملاحداً أصحاب^(٥) خيرة

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (الفؤاد) . والأولى أرجح .

(٢) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الملتزمة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مدافن) والأولى أرجح .

(٥) واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

أَنْبِيَاءَهُ ، رَزَقَنِي اللَّهُ الرِّضَا بِقَضَائِهِ ، وَالصَّبْرَ عَلَى جَاحِمِ البُعْدِ وَرَمَضَاتِهِ .
 مِنْ حَمْرَاءِ غرْنَاطَةَ [حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى] دَارِ مَلِكِ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ . فَاصْبِيه
 سُبُّكَ ، وَمُسَلَّحَةٌ^(١) رَجَلُكَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ وَخَيْلِكَ ، وَأَنْبَى^(٢) مَطَارِحِ دَعْوَتِكَ
 وَمَسَاحِبِ ذَيْلِكَ ، حَيْثُ مَصَافُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلِكَ ، قَدْ ظَلَّلَهَا^(٣)
 الْقِتَامُ ، وَشَهْبَانَ الْأَسِنَّةِ أَطْلَعَهَا مِنْهُ الْإِعْتَامُ ، وَأَسْوَاقِ بَيْعِ النُّفُوسِ مِنَ اللَّهِ ،
 قَدْ تَعَدَّدَ بِهَا الْأَيَّامِيُّ وَالْأَيْتَامُ . حَيْثُ الْجِرَاحُ قَدْ تَحَلَّتْ بِعَسْجِدِ نَجِيعِهَا
 النَّحُورُ ، وَالشُّهْدَاءُ تَحَفُّ بِهَا الْحُورُ ، وَالْأُمَمُ الْغَرِيبَةُ قَدْ قَطَعَتْهَا عَنِ الْمَدَدِ
 الْبَحُورِ ، حَيْثُ الْمَبَاسِمُ الْمُفْتَرَّةُ ، تَجْلُوهَا الْمَصَارِعُ الْبَرَّةُ ، فَتَحْيِيهَا بِالْعِرَاءِ
 ثُغُورَ الْأَزَاهِرِ ، وَتَنْدِيهَا صَوَادِحُ الْأَدْوَاكِ بَرْنَاتِ تِلْكَ الْمَزَاهِرِ ، حَيْثُ
 الْإِسْلَامُ مِنْ عَدُوِّهِ الْمَكَائِدُ بِمَنْزِلَةِ قَطْرَةٍ^(٤) مِنْ عَارِضِ غَمَامٍ ، وَحَصَاةٍ مِنْ
 ثَبِيرٍ^(٥) أَوْ شِمَامٍ ، وَقَدْ سُدَّتِ الطَّرِيقُ ، وَأُسْلِمَ [الْفِرَاقُ الْفَرِيقُ]^(٦) ،
 وَأُغِصَّ الرِّيقُ ، وَيَثَسُّ مِنَ السَّاحِلِ الْغَرِيقُ . إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ هَذِهِ الْجِهَةَ
 الْمَتَمَسِّكَةَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَحَبْلِكَ ، الْمَهْتَدِيَةَ بِأَدْلَةِ سُبُّكَ ، سَالِمٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ
 الْإِنْصِدَاعِ ، مُحْرُوسٌ بِفَضْلِ اللَّهِ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ ، مَقْدُودٌ مِنْ جَدِيدِ الْمَلَّةِ ،
 مَعْدُومٌ فِيهِ وَجُودُ الطَّوَائِفِ الْمُضِلَّةِ ، إِلَّا مَا يَخْصُ الْكُفْرَ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ ،
 وَالْإِسْتِظْهَارِ عَلَى جَمْعِ الْكَثْرَةِ مِنْ جَمُوعِهِ ، بِجَمْعِ الْقِلَّةِ . وَهَذِهِ الْأَيَّامُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ . أَقَامَ اللَّهُ أَوْدَهُ بَرًّا بِوَجْهِكَ الْوَجِيهَ وَرَعِيًّا ، وَإِنْجَازًا لَوَعْدِكَ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (مَسْحَبَةٌ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٢) وَارِدَةٌ فِي النَّفْحِ . وَمَكَانَهَا بِيَاضٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٣) وَرَدَّتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ (ظَلَّلَهُ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) وَارِدَةٌ فِي النَّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٥) هَكَذَا فِي النَّفْحِ وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (نَثِيرٌ) .

(٦) هَكَذَا وَرَدَّتْ فِي النَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (لِلْفَرِيقِ الْفَرِيقُ) .

وسعيًا^(١) وهو الذي لا يخلف وعدًا ، ولا يخيب سعيًا ، وفتح لنا فتوحا
أشعرتنا برضاه عن وطننا الغريب ، وبشرتنا منه تعالى بتغمده^(٢) التقصير
ورفع التثريب ، ونصرنا ، وله المِنَّة ، على عبدة الصليب ، وجعل لآلِنا
الرديني ولأمنا السردى ، حكم التغليب . وإذا كانت الموالى التى طوقت
الأعناق منها ، وقررت العوايد الحسنة^(٣) سيرها وسننها ، تبادر إليها
نوابها الصرحاء ، وخذامها النصحاء بالبشائر ، والمسرات التى تشاع فى العشائر ،
وتجلو لديها نتائج أيدىها ، وغايات مبادئها ، وتتحافها وتهاديها ، بمجانى
جناتها وأزاهر غوادىها ، وتطرف محاضرها بطرف بوادىها ، فبابك يارسول
الله أولى بذلك وأحق ، ولك الحق الحق ، والحرُّ منا عبدك المُسترق ، حسبما
سجَّله الرُّق . وفى رضاك من كل من يلتمس رضاه المُطمع ، ومشواك
المُجمع ، وملوك الإسلام فى الحقيقة عبيدُ سدِّتك^(٤) المؤمَّلة ، وخول
مثابتك المُحسنة بالحسنات المُجمَّلة ، وشهبٌ تعشو إلى بدورك المُكَّلة ،
ومحض سيفك المقلَّدة فى سبيل الله المُحمَّلة ، وحرمة مهادك ، وسلاح
جهادك ، وبروق عهادك . وإن مكفول احترامك الذى لا يُخفر ، وربى
إنعامك الذى لا يكفر ، ومُلتحف جاهك^(٥) ، الذى يُمحي ذنبه بشفاعتك
إن شاء الله ويغفر ، يُطالع روضة الجنة المفتحة أبوابها بمثواك ، ويفتح
صوان القدس الذى أجنك وحواك ، وينثر بضائع الصلاة عليك ، بين
يدى الضريح الذى يهواك^(٦) ، ويعرض جنى^(٧) ما غرست وبذرت .

(١) واردة فى الإسكوريال . وساقطة فى النفع .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال . وفى النفع (بغفر) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (الحسان) .

(٤) فى الإسكوريال (سيرتك) والتصويب من النفع .

(٥) وردت فى الإسكوريال جهادك . والتصويب من النفع .

(٦) هكذا فى الإسكوريال . وفى النفع (طواك) .

(٧) هكذا وردت فى النفع . وفى الإسكوريال (شتى) . والأولى أرجح .

ومِصْدَاقِ مَا بَشَّرْتَ بِهِ [لَمَّا بَشَّرْتَ] ^(١) وَأَنْذَرْتَ ، وَمَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ طَلِقَ
 جِهَادِكَ ، وَمَصِيبَ عَهَادِكَ ، لَتَقَرَّ عَيْنُ نَصِيحِكَ ، الَّذِي أَنْامَ الْعُيُونَ السَّاهِرَةَ
 مُجْوَعَهَا ، وَأَشْبَعَ الْبُطُونَ وَرَوَّاهَا ظَمَأَهَا مِنْ اللَّهِ وَجُوعَهَا . وَإِنْ كَانَتْ الْأُمُورُ
 بِمَرَأَى مِنْ عَيْنِ عِنَايَتِكَ ، وَغَيْبُهَا مَتَعَرَّفٌ بَيْنَ إِفْصَاحِكَ وَكِتَابَتِكَ . وَمُجْمَلُهُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ [وَبَلَّغَ وَسَيَّلَتِي إِلَيْكَ] ^(٢) هُوَ أَنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ ،
 لَمَّا عَرَّفَنِي لَطْفَهُ الْخَفِيِّ فِي التَّمْحِيصِ ، الْمُقْتَضِي عَدَمَ الْمَحِيصِ ، ثُمَّ فِي
 التَّخْصِيصِ ، الْمُغْنَى بَعْيَانَهُ عَنِ التَّنْصِيصِ ، وَوَفَّقَ بِبِرْكَتِكَ السَّارِيَةَ رَحْمَاهَا
 فِي الْقُلُوبِ ، وَوَسَائِلَ مَحَبَّتِكَ الْعَائِدَةَ بِنَيْلِ الْمَطْلُوبِ ، إِلَى اسْتِفَادَةِ عِظَةِ
 وَاعْتِبَارِ ، وَاعْتِنَامِ إِقْبَالِ بَدِ إِذْبَارِ ، وَمَزِيدِ اسْتِبْصَارِ ، وَاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى
 وَأَنْتِصَارِ . فَسَكَّنَ هُبُوبَ الْكُفْرِ بَعْدَ إِعْصَارِ ، وَحَلَّ مُخَنَّقَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ
 حِصَارِ ، وَجَرَّتْ عَلَى سُنَنِ السُّنَّةِ ، بِحَسَبِ الْإِسْتِطَاعَةِ وَالْمِنَّةِ الْيَسِيرَةِ ،
 وَجَبَّرَتْ بِجَاهِكَ الْقُلُوبَ الْكَاسِيرَةَ ، وَسَهَّلَتْ ^(٣) الْمَتَّارِبَ الْعَسِيرَةَ ، وَرَفَعَ
 بِيَدِ الْعِزَّةِ الضَّيْمِ ، وَكَشَفَ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ الْغَيْمَ ، وَظَهَرَ الْقَلِيلَ عَلَى
 الْكَثِيرِ ، وَبَاءَ الْكُفْرَ بِخُطَّةِ التَّعْثِيرِ ، وَاسْتَوَى ^(٤) الدِّينَ الْحَنِيفَ عَلَى الْمَهَادِ
 الْوَثِيرِ ، فَاهْتَبَلْنَا ^(٥) ، يَا رَسُولَ اللَّهِ غُرَّةَ الْعُدُوِّ ^(٦) وَأَنْتَهَزْنَاهَا ، وَشَمَمْنَا
 صَوَارِمَ [عَزَّ اللَّهُ] ^(٧) وَهَزَرْنَاهَا ، وَأَزَحْنَا عِلْلَ الْجِيُوشِ وَجَهَّزْنَاهَا ، فَكَانَ

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال (وسهوت) . والتصويب من النفع .

(٤) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (واستولى) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا وردت في النفع . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في النفع . ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٧) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النفع (عزة العدو) . والأولى أرجح .

مما ساعد عليه القدر ، والحفظ^(١) المبتدر . والورد الذي [حسن منه]^(٢) الصدر ، أننا عاجلنا مدينة برغة^(٣) ، وقد جرعت الأختين مالقة ورندة ، من مداين دينك ، وخزائن^(٤) ميادينك ، أكواس الفراق ، وأذكرت^(٥) مثل من بالعراق ، وسدت طرق التزاور على الطراق ، وأسالت المسيل بالنجيع المراق ، في مراصد^(٦) المراد والمراق ، ومنعت المراسلة مع هذى الحمام ، لا بل مع طيف المنام عند الإمام ، فيسر الله اقتحامها ، وألحمت بيض الشفار في رؤوس^(٧) الكفار إلحاشها ، وأزال بشر السيوف من بين تلك الحروف أقحامها ، فانطلق المسرى ، واستبشرت القواعد الحسرى ، وعدمت بطريقتها المخيف مصارع [الصرعى ، ومناقف]^(٨) الأسرى ، والحمد لله على فتحة الأسنى ، ومنحه الأسرى ، ولا إله إلا هو مُنفل قيصر وكسرى ، وفتح مُغلقاتها المنيعه قسرا ، واستولى الإسلام منها على قرار جنات ، وأمّ بنات ، وقاعدة حصون ، وشجرة غصون ، وطهرت مساجدها المغتصبة المكروهة ، وفجع فيها^(٩) الفيل الأفيل وأبرهة ، وانطلقت بذكر الله الألسنة المذرّهة ، وفاز بسبق ميدانها الجياد^(١٠) الفرّهة . هذا وطاقية الروم على توفّر^(١١) جموعه ، وهول مرثيه ومسموعه ، قريب

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الخطب) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حصل بعده) .

(٣) مدينة برغة هي بلدة أندلسية تقع شرق مدينة رندة ، ومكانها اليوم بلدة Burgo

الإسبانية . (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (مزائن) .

(٥) هكذا وردت في النسخ ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) هكذا وردت في النسخ . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٧) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (زرق) .

(٨) هذه العبارة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بحفظها) .

(١٠) وردت في الإسكوريال محرفة (الجيد) . وفي النسخ (جيادك) .

(١١) وردت في الإسكوريال (أوفر) والتصويب من النسخ .

جواره ، بحيث يتصل خواره . ثم نازل (١) المسلمون بعدها شجاً الإسلام ،
الذي أعيا النطاسي (٢) علاجه ، وكره (٣) هذا القطر الذي لا تطاول أعلامه
ولا يُصاويل أغلجه ، وركاب الغارات التي تطوى المراحل إلى مُكابدة
المسلمين طي البرود ، وجُحر الحيات التي لا تخلع على اختلاف الفصول
جلود الزرود ، ومنغص الورود في العذب المورود (٤) ، ومُقض المضاجع
وحلم الهاجع ، ومُجهز الخطب الفاجيء الفاجع ، ومُستدرك فاتكه (٥)
الراجع ، قبل هبوب الطائر الساجع ، حصن أشير (٦) حماه الله دعاء لا
خبرا ، كما جعله للمتفكرين في قُدرته مُعتبراً ، فأحاطوا به إحاطة القِلادة
بالجيد ، وأذلُّوا عزته بعزة ذي العرش المجيد ، وحفَّت به الرايات
[بسمها وسمك ، ويلوح في صفحاتها اسم الله تعالى واسمك] (٧) فلا ترى
إلا نفوساً تتزاحم على موارد الشهادة أسرابها ، وليوثاً يُصدِّق [طعانها في الله
وضرابها] (٨) ، وأرسل الله عليها رجلاً إسرائيلياً من جراد السهام ،
تشدُّ آيته عن الأفهام ، وسدَّد إلى الجبل النفوس القابلة للإلهام ، من بعد
الاستغلاق والاستبهاام ، وقد عبثت جوارح (٩) صخوره في قنايص الهام ،

(١) وردت في الإسكوريال (مازال) والتصويب من النفع .

(٢) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٣) هكذا وردت في النفع وفي الإسكوريال (وكر) .

(٤) وردت في الإسكوريال (البرود) والتصويب من النفع .

(٥) مكانها بياض في الإسكوريال .

(٦) حصن أشركان من حصون إشبيلية الأمامية في هذا العصر . وقد هاجمه وافتحه السلطان

الغني بالله سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م) .

(٧) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النفع (في الله تعالى ضرابها) .

(٩) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (جوارح) ، والأولى أرجح .

وأعيا صَعْبُهُ على الجيش اللُّهُام ، فأخذ مسائِغُه النُّقْض والنَّقْب ، ورغا
فوق أهْلَةُ الصُّقْب ، ونُصِبَت المَعَارِج والمَرَاقِ ، وفُرِعَت المَنَاكِب والتَّرَاقِ ،
واغْتَنِم الصَّادِقُونَ مِنْ (١) اللهُ الحِظُّ البَاقِ ، وقال الشَّهِيدُ (٢) المَسَابِقِ
يا فَوْزَ اسْتِيقِ ، ودُخِلَ البَلَدُ فَالتَحَمَ السَّيْفُ ، واسْتَلَبَ البَحْثُ والزَّيْفُ ،
ثم اسْتُخْلِصَت القَصْبَةُ ، فَعَلَتِ أَعْلَامُكَ فِي أَبْرَاجِهَا المُشِيدَةَ ، وظَفِرِ
نَاشِدُ دِينِكَ مِنْهَا بِالنَّشِيدَةِ ، وشَكَرَ اللهُ فِي قَصْدِهَا ، مَسَاعِي النِّصَائِحِ
الرَّشِيدَةِ ، وَعَمِلَ مَا يَرْضِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي سَدِّ ثَلَمِهَا ، وَصَوْنِ مُسْتَلَمِهَا ،
وَمَدَاوَاةِ أَلَمِهَا ، حَرَصاً عَلَى الاقْتِدَاءِ فِي مِثْلِهَا بِأَعْمَالِكَ ، وَالاهْتِدَاءِ بِمَشْكَاتِكَ
كَمَالِكَ ، وَرُتِّبَ فِيهَا الحُمَاةُ تَشْجِي العَدُوِّ ، وَتَوَاصَلَ فِي [مَرَضَاةِ اللهِ
تَعَالَى] (٣) وَمَرَضَاتِكَ الرُّوَاحِ وَالغَدُوِّ . ثم كَانَ الغَزْوُ إِلَى مَدِينَةِ أُطْرِيْرَةِ (٤)
بِنْتِ حَاضِرَةِ الكُفْرِ إِشْبِيلِيَّةِ ، الَّتِي أَظْلَمَتْهَا بِالجَنَاحِ السَّاتِرِ ، وَأَقَامَتْهَا (٥)
فِي ضِمَانِ الأَمَانِ لِلحَسَامِ البَاتِرِ ، وَقَدْ وَتَرَ الإِسْلَامَ فِي هَذِهِ المَوْمِسَةِ البَائِسَةِ
بِوَتْرِ الوَاتِرِ ، وَأَحْفَظَ مِنْهَا بِأَذَى الوَقَاحِ المُهَاتِرِ ، لَمَّا جَرَّتْهُ عَلَى أَسْرَاهِ
مِنْ عَمَلِ المَخَاتِلِ المَخَاتِرِ [حَسَبِ المَنْقُولِ لِابْلِ المَتَوَاتِرِ] (٦) ، فَطَوَى إِلَيْهَا
المَسَاحُونَ المَدَى النَازِحَ ، وَلَمْ تَشْكُ المَطَى الرُّوَاذِحَ ، وَصَدَقَ فِي الجَدِّ
جَدُّهَا المَازِحَ ، وَخَفَقَتْ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْحَنَةُ الأَعْلَامِ ، وَعَشِيهَا أَفْوَاجُ
[المَلَائِكَةِ المَوْسُومَةِ] (٧) وَظِلَالِ الغَمَامِ ، وَصَابَتِ مِنَ السَّهَامِ وَدَقَّ الهَامُ (٨)

(١) هَكَذَا فِي الإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (مَع) .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي النِّفْحِ . وَفِي الإِسْكَورِيَالِ (الشَّاهِدُ) وَالأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَا ، العِبَارَةُ زَائِدَةٌ فِي النِّفْحِ .

(٤) أُطْرِيْرَةُ وَبِالإِسْبَانِيَّةِ Utrera بَلَدَةٌ أُنْدَلُسِيَّةٌ مَتَوَسِّطَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ شَرْقِ إِشْبِيلِيَّةِ . وَقَدْ
غَزَاهَا السُّلْطَانُ الغَنِيُّ بِاللهِ سَنَةَ ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م) .

(٥) هَكَذَا فِي الإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النِّفْحِ (وَأَنَامَتِهَا) .

(٦) وَارْدَةٌ فِي النِّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الإِسْكَورِيَالِ .

(٧) هَكَذَا وَرَدَتْ هَاتَانِ الكَلِمَتَانِ فِي النِّفْحِ . وَفِي الإِسْكَورِيَالِ (المَلِكَةُ المَوْسُومَةُ) .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الإِسْكَورِيَالِ ، وَكُتِبَتْ فِي هَامِشِ المَخْطُوطِ (الرَّهَامِ) . وَوَرَدَتْ

وكاد يَكْفِي السماء^(١) على الأرض ، ارتجاج أطوادها بكلمة الإسلام ،
وقد صُمَّ خَاطِبٌ عروس الشهادة عن الملام ، وسمح بالعزير
المَصُون مَبَايع الملك العلام ، وتكلم لسان الحديد الصامت ، وصمَّت
إلَّا بذكر الله ، لسانُ الكلام^(٢) ، ووفَّت الأوتار بالأوتار ، ووصل
بالخُطى درعُ الأبيض البتار ، وسلطت النار على أربابها ، وأذن الله في تبار
تلك الأمة وتبأها ، فنزلوا على [حكم السيف]^(٣) آلافا ، بعد أن أتلفوا
بالسلاح إتلافا ، واستوعبت المقاتلة أكتافا ، وقرنوا في الجدل^(٤) أكتافا
أكتافا ، وحملت العقائل والخرايد ، والولدان والولائد، إركاباً من فوق
الظهور وإردافا ، وأقلت منها أفلاك الحمول بدوراً تُضِيء من ليالي المحاق
أسدافا ، وامتلات الأيدي من المواهب والغنائم ، بما لا يُصوره حلم النائم ،
وتركت العوافي تتداعى إلى تلك الولائم ، وتفتن من مطاعمها في الملايم ،
وشنت الغارات على حمص^(٥) ، فجلبت خارجها مغاراً ، وكست كبار
الروم بها صغاراً ، وأحجرت أبطالها إحصاراً ، واستاقت من النعم ما لا يقبل
الحصر استبحاراً ، ولم يكن إلَّا أن عدل القسم ، واستقل [بالقفول
العزير]^(٦) الرسم ، ووضح من التوفيق الوشم . فكانت الحركة إلى
جيان ، قيعه الظل الأبرد ، ونسيجة المنوال المفرد ، [وكناس
الغيد الخرد]^(٧) وكُرسى الإمارة ، وبخر العمارة ، ومهوى هوى الغيث

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (السهام) . والأولى أرجح .

(٢) وردت في الإسكوريال (الكمال) والتصويب من النفع .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النفع . ومكانها في الإسكوريال (الحكم) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (الجدل) وهو تحريف

(٥) حمص يقصد بها هنا إشبيلية . وقد أطلق عليها هذا الاسم في الأدب والشعر الأندلسي

حيث شبت في مكانها وخطتها بجمص الشام .

(٧) ما بين الحاصرتين وورد في النفع . وسقط في الإسكوريال .

المتون ، وحزب^(١) التين والزيتون ، حيث خندق الجنة المعروف ، تدنو لأهل النار مجانيه ، وتشرق بشواطئ الأنهار إشراق الأزهار زهر مبانيه ، والقلعة التي تختمت بنان شرفاتها بخواتم النجوم ، وهمت من دون سحابها البيض ، سحاب الغيث السجوم [والعقيلة التي أبدى الإسلام يوم طلاقها ، ومجوم فراقها ، سمة الوجوم ، لذلك الهجوم]^(٢) فرمتها البلاد المسلمة بأفلاذ أكبادها الواحدة ، وأجابت منادى دعوتك الصادقة الصادقة ، وحببتها بالفادحة الفادحة ، فغصت الربى والوهاد ، بالتكبير والتهليل ، وتجاوبت الخيل بالصهيل ، وانهالت الجموع المجاهدة [في الله تعالى]^(٣) انهيال الكئيب المهيل . وفهمت نفوس العباد المجاهدة في الله حتى الجهاد ، معاني التيسير من ربها والتسهيل ، وسفرت الرايات عن المرأى الجميل ، وأزبت المحلات المسلمة على التأميل . ولما صبحتها النواحي المقبلة الغرر ، والأعلام المكتتبة الطرر ، برز حاميتها مصجرين ، وللجوزة المستباحة مستنصرين^(٤) ، فكأثرهم من سرعان الأبطال ، رجل الدبا ، ونبت الوهاد والربى ، فأقحموهم من وراء السور ، وأسرعت أقلام الرماح في بسط عددهم المكسور ، وتركت صرعاهم ولايم للنسور . ثم اقتحموا ربض المدينة الأعظم فافترعوه^(٥) ، وجدلوا من دافع عن أسواره وصرعوه ، وأكواس الحتوف جرّعوه ، ولم يتصل^(٦) أولى الناس بأخراهم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حرب) .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٣) وارده في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

(٤) وردت في الإسكوريال (منتصرين) والتصويب من النسخ .

(٥) وردت في الإسكوريال (ففرعوه) . والتصويب من النسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .

ويحمدوا (۱) بمخيم النصر العزيز سُرَاهِمَ ، حتى خذل الكفار الصبر ، وأسلم
الجلد ، وأنزل على المسلمين النصر ، فدخل البلد ، وطاح في السيل
الجارف الوالد منه والولد ، وأتتهم (۲) المطرف منه والمتلد ، فكان هولاً
بعيد الشناعة ، وبعثاً (۳) كقيام الساعة ، أعجل المجانيق عن الركوع
والسجود ، والسلالم عن طاوله (۴) النجود ، والأيدي عن ردم الخنادق
والأغوار ، والأكبش عن مناطحة الأسوار ، والنفوط عن إضعاق الفجار ،
وعمد الحديد ، ومعاول (۵) البأس الشديد ، عن نقب الأبراج ونقض
الأحجار ، فهبت الكُثبان ، [وأبید الشيبُ والشبان] (۶) وكسرت الصلبان ،
وفجيع هدم (۷) الكنائس الرهبان ، وأهبطت النواقيس من مراقبها العالية ،
وصروحها المتعالية ، وخلعت ألسنتها الكاذبة ، ونقل ما استطاعته الأيدي
السجاذبة ، وعجزت عن الأسلاب ذوات الظهور ، وجلل الإسلام شعار
الغز والظهور ، بما خلّت عن مثله سوائف الدهور (۸) والأعوام والشهور ،
وأغرست الشهداء بالحور ، ومنوا (۹) النفوس المبيعة من الله بحل الصدقات
الصّادقة (۱۹) والمهور . وبن بعد ذلك هدم السور ، ومحيت من مختطه
المحكم السطور ، وكاد يسير ذلك الجبل الذي اقتعدته تلك المدينة ،

(۱) وردت في الإسكوريال (بجمد) والتصويب من النفع .

(۲) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (وألم) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (وبعثا) .

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (مطلونة) .

(۵) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (معاون) .

(۶) هذه العبارة واردة في النفع . وساقطة في الإسكوريال .

(۷) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (بهد) .

(۸) هذه الكلمة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(۹) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (ومن) .

(۱۰) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في النفع .

ويدك ذلك الطور . ومن بعد ما خرب الوجار ، وعقرت الأشجار ، عُفِر المنار ، وسلطت على بنات التراب الماء النار ، وارتحل عنها المسلمون وقد عمتها المصايب ، وأضمت لُبَّتْهَا السَّهْمُ الصَّايِب ، وظللتها (١) القشاعم العصايب . فالذئاب في الليل البهيم تعسل ، والضباع من الحذب البعيد تنسل ، وقد ضاقت الجدل عن المخانق ، وبيع العرض الثمين بالدانق ، وسبكت إسورة الأسوار ، وسويت الهضاب بالأغوار ، واكتسحت الأحواز القاصية سرايا الغوار (٢) ، وحجبت بالدخان مطامع الأنوار ، وتخلفت قاعتها عبرة للمعتبرين ، وعظة للناظرين ، وآية للمستبصرين ، ونادى لسان الحمية يا لثارات الإسكندرية ، فأسمع آذان المقيمين والمسافرين ، وأحق الله الحق بكلماته ، وقطع دابر الكافرين .

ثم كانت الحركة إلى أختها الكبرى ، ولدتها الحزينة عليها العبرى ، مدينة أبدة ، ذات العمران المُستبجر ، والرَبض الحزق المُضحر ، والمباني الشَّم الأنوف ، [وعقائل المصانع العجمة الحلي والشنوف وألعاب الأنوف] (٣) وبلد التجر ، والعسكر المجر ، وأفق الضلال الفاجر الكاذب على الله الكذب الفجر . فخذل الله حاميته (٤) التي يعي الحسبان عدُّها ، وسجر بحورها التي لا يُرام ددُّها ، وحقَّت عليها كلمة الله التي لا يُستطاع ردُّها . فدُخات لأول وهلة ، واستوعب جمعُها والمنَّة لله ، في نهلة ، [ولم يك للسيف من عطف عليها ولا مهلة] (٥) . ولما تناولها العفاء والتخريب ، واستباحها

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (وجللتها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المغوار) .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في النسخ وساقط في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (حاميتها) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (ولم يكف

السيف من عليها ولا مهلة) وظاهر أن بها تحريفا .

الفتح القريب ، وأسند عن عواليها حديث النصر الحسن الغريب ،
وأفعدت أبراجها من بعد القيام والانتصاب ، وأضرعت مسايها لهول
المصاب ، انصرف عنها المسلمون بالفتح الذي عظم صيته ، والعز الذي
سما طرفه ، واشرباً ليته ، والعزم الذي حمده مسراه ومبيته ، والحمد لله
ناظم الأمر ، وقد رأب شتيته ، وجابر الكسر وقد أفات الجبر مفيته .
ثم كان الغزو إلى أم البلاد ، ومشوى الطارف والتلاد ، قرطبة ، وما
قرطبة ، المدينة التي على عمل أهلها في القديم ، بهذا الإقليم ، كان العمل ،
والكرسى الذي بعصاه رعى الهمل ، والمضر الذي له في خطة المعمور
الناقة والجمال ، والأفق الذي هو لشمس الخلافة العبشمية الحمل ، فخيّم
الإسلام بعقرتها المستباحة ، وأجاز نهرها المعني على السباحة ، وعمّ دوحها
الأشب بوارا ، وأدار الكمامة (١) بسورها سيوارا ، وأخذوا (٢) بمخنةها
حصارا ، وأعمل النصل (٣) بسجر نصلها (٤) اجتناء ماشاء واهتصارا ،
وجدل من أبطالها من لم يرض انجحارا ، فأعمل إلى المسلمين إصحارا ، حتى
فرع بعض جهاتها غلاباً جهاراً ، ورفعت الأعلام إعلماً بعز الإسلام (٥)
وإظهارا ، فلولا استهلال الغوادي ، وإن أتى الوادي ، لأفضت إلى فتح
الفتوح تلك المبادى ، ولقضى نفثة العاكف والبادى ، فاقضى الرأى
ولذنب الزمان في اغتصاب الكفر إياها متاب ، تعمل ببشراه بفضل الله
أقتاد وأقتاب ، ولكل أجل كتاب ، أن يراض صعبها حتى يعود ذلولا ،

(١) وردت في الإسكوريال (المحلات) . والتصويب من النفع .

(٢) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (وأخذ) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (النصر) والأولى أرجح .

(٤) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (نصله) .

(٥) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (الله) .

وَتَعَفَىٰ مَعَاهِدَهَا الْآهْلَةَ فَتُتْرَكُ طُلُوعًا . فَإِذَا فَجَعَ اللَّهُ بِمَارِجِ النَّارِ طَوَائِفَهَا
 الْمَارِجَةَ ، وَأَبَادَ نَجَارِجَهَا الطَّائِرَةَ وَالذَّارِجَةَ ، خَطَبَ السَّيْفُ مِنْهَا أُمَّ خَارِجَةَ .
 فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْلَقْنَا بِهَا أَلْسِنَةَ النَّارِ ، وَمَفَارِقَ الْهَضَابِ الشَّمِّ (١) قَدْ شَابَتْ ،
 وَالغَلَاتِ الْمُسْتَغَلَّةَ (٢) قَدْ دَعَاها الْفَضْلُ فَمَا ارْتَابَتْ ، وَكَانَ صَحِيفَةَ نَهْرِهَا لَمَّا
 أَضْرَمْتَ النَّارَ حَفَافِي (٣) ظَهَرَهَا ذَابَتْ ، وَحَيْثُ فَرَّتْ أَمَامَ الْحَرِيقِ فَانْسَابَتْ ،
 وَتَخَلَّفَتْ لَغَمَائِمِ الدُّخَانِ عَمَائِمِ تَلْوِيهَا بِرُؤُوسِ الْجِبَالِ أَيْدِي الرِّيَاحِ ،
 وَتَنْشُرُهَا بَعْدَ الرُّكُودِ أَيْدِي الْاجْتِيَاكِ . وَأَغْرَيْتِ بِأَقْطَارِهَا الشَّاسِعَةَ ، وَجِهَاتِهَا
 الْوَاسِعَةَ [جُنُودَ الْجُوعِ] (٤) وَتَوَعَّدْتِ بِالرُّجُوعِ ، فَسَلَبَ أَهْلُهَا لِتَوَقُّعِ
 الْمُهْجُومِ (٥) ، مَنزُورَ الْمُهْجُوعِ . فَأَعْلَامُهَا خَاشِعَةٌ خَاضِعَةٌ ، وَوَلِدَانُهَا لَثْدَى
 الْبُؤْسِ رَاضِعَةٌ ، وَاللَّهُ ، سَبْحَانَهُ ، يُوفِّدُ بِخَبْرِ فَتْحِهَا الْقَرِيبِ رِكَابَ الْبُشْرَى ،
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ قَبْلَنَا نَشْرًا ، [وَلِهَذَا الْعَهْدِ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَبَلَغَ
 وَسَيْلَتِي إِلَيْكَ ، بَلَغَ عَنِ هَذَا الْقَطْرِ الْمُرْتَدِي بِجَاهِكَ ، الَّذِي لَا يُذَلُّ مِنْ أَدْرَعِهِ .
 وَلَا يُضِلُّ بِالسَّبِيلِ الَّذِي يَشْرَعُهُ ، إِلَى أَنْ لَا طَفْنَا مَلِكَ الرُّومِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْبِلَادِ
 كَانَ الْكُفْرَ قَدْ اغْتَضَبَهَا ، وَرَفَعَ التَّمَائِيلَ بِيُوتِ اللَّهِ وَنَصَّبَهَا ، فَانْجَابَ عَنْهَا
 بِنُورِكَ الْحَلِّكَ وَدَارَ بَادِئَتِهَا إِلَى دَعْوَتِكَ الْفَلَّكَ ، وَعَادَ إِلَى مَكَاتِبِهَا الْقُرْآنَ الَّذِي
 نَزَلَ بِهِ عَلَى قَلْبِكَ الْمَلِكِ] (٦) ثُمَّ تَنَوَّعَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْوَالُ الْعَدُوِّ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (بِالْهَشِيمِ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَفِي النَّفْحِ (الْمُسْتَغَلَاتِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (حَافِي) .

(٤) هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَارِدَةٌ فِي النَّفْحِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٥) هَكَذَا فِي النَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (الْجُوعِ) .

(٦) هَذِهِ الْفَقْرَةُ كُلُّهَا وَارِدَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَسَاقِطَةٌ هُنَا فِي النَّفْحِ . ثُمَّ تَرَدَّدَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ

فِي أَوَاخِرِ الرَّسَالَةِ حَسَبِ الْمَبِينِ بَعْدَ .

تنوعاً يوهم إفاقته من الغمرة ، وكادت فتنته تؤذن بخمود الجمرة ،
وتوقع الواقع ، وحذر ذلك السم الناقع ، وخيف الخرق الذي يحار فيه
الراقع ، فتعرفنا عوايد الله سبحانه ببركة هدايتك ، وموصول عنايتك ،
فأنزل النصر والسكينة ، ومكن العقائد المكيئة ، فثابت العزائم وهبت ،
واضطردت عوايد الإقدام واستتبت ، وما راع العدو إلا خيل الله تجوس
خلاله ، وشمس الحق تقلص (۱) ظلاله ، وهذاك الذي أهديت يدحض
ضلاله .

ونازلنا حصني قنبيل والحوابر (۲) ، وهما معقلان متجاوران ، يتناجى
منهما الساكن سراراً ، وقد اتخذنا بين النجوم قراراً ، وفصل بينهما حسام
النهر يروق غراراً ، والتف معصمه في حلة الخصب (۳) وقد جعل الجسر
سواراً ، فخذل الصليب بذلك الثغر من تولاه ، وارتفعت أعلام الإسلام
بأعلاه ، وتبرجت عروس الفتح المبين (۴) بمجلاه ، والحمد لله على
ما أولاه . ثم تحركنا على تفية (۵) تعدى ثغر الوسطة على عدوه المساور
في المضاجع ، ومُضِبحه بالفاجيء الفاجع ، فنازلنا حصن رُوطة ، الآخذ
بالكظم ، المعترض بالشجا اعتراض العظم ، وقد شحنه العدو مدداً بئيساً ،
ولم يأل اختياره رأياً ولا رئيساً (۶) ، فأعيا داؤه ، واستقلت بالمدافعة
أعداؤه . ولما أتلع إليه جيد المنجنيق ، وقد برك عليه برك (۷) الفنيق ،

(۱) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (توجب) .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (الجائر) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (المصب) .

(۴) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(۵) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نفثة) .

(۶) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (تلييساً) .

(۷) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بروك) .

وشدَّ عصاباً^(١) العزم الوثيق ، لجأً أهله إلى التماس العهود والمواثيق ،
وقد غُصُّوا بالبريق ، وكاد يذهب بأبصارهم لمعان البريق ، فسكنَّاه من
حامية المجاهدين بمن يحمى ذماره ، ويقرر اعْتِمَارَهُ ، واستولى أهل الثغور
إلى هذا الحدِّ ، على معاقل كانت مُسْتَغْلَقَةً ففتحوها ، وشرعوا أُرْشِيَّة
الرماح إلى قلب قلوبها ففتحوها . ولم تكد الجيوش المجاهدة تنفض عن
الأعراف مُتراكم الغبار ، وترخي عن [أباط خيلها]^(٢) شدَّ حَزْمَ المَغَارِ ،
حتى عاودت النفوس شوقها ، واستتَبَعَتْ ذوقها ، وخطبت التي لافوقها ، وذهبت
بها الآمال إلى الغاية القاصية ، والمدارك المُتصاعبة . على الأفكار المتعاصية .
فقصدنا الجزيرة الخضراء ، باب هذا الوطن ، الذي منه طرُق
وادعه ، ومطلع الحق الذي صدَّع الباطل صادعه ، وثنية الفتح الذي
برق منها لامعه ، ومَسْرُبُ^(٣) الهجوم الذي لم تكن لتعثر على غيره
مطامعه ، وفُرْضَةُ المِجَازِ التي لا تُنكر ، ومجمع البحرين في بعض ما يذكر ،
حيث يتقارب الشَّطَّانُ [وتتقاطر ذوات الأشطان]^(٤) ، ويتوازي الخَطَّانُ ،
ويكاد أن يلتقى حلقتنا البطان . وقد كان الكفر قدَّرَ قدر هذه الفُرْضَةِ
التي طرق منها حِمَاهُ ، ورماد الفتح الأول بما رماد ، وعلم أن لا تتصل
أيدي المسلمين بإخوانهم إلا من تِلْقَائِهَا ، وأنه لا يعدم المكروء مع بقاياها ،
فَأَجْلَبَ عليها برجله وخيله ، وسدَّ أفق البحر من أساطيله ، ومراكب
أباطيله ، بقطع ليله . وتداعى المسلمون بالعدوتين إلى استنقاذها من
لهواته ، أو إمساكها من دون مهواته . فعجز الحَوْلُ ، ووقع بملكه إياها

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (عصام) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . ومكانها في الإسكوريال (أياطلها) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (ومشراف) .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النسخ .

القول ، واجتازها قهراً ، وقد صابرت الضيق ما يناهز ثلاثين شهراً ،
وأطرق الإسلام بعدها إطراق الواجم ، واسودت الوجوه لخبرها الهاجم ،
وبكتها حتى دموع الغيث الساجم ، وانقطع المدد إلا من رحمة من يُنفس
الكروب ، ويُغري بالإدالة الشروق والغروب . ولما شككنا بشبا الله نحرها ،
وأغصصنا بجيوش الماء وجيوش الأرض ، تكاثر نجوم السماء ببرها وبحرها ،
ونازلناها نذيقها شديد النزال ، ونجحنا بصدق الوعيد في غير (۱) سبيل
الاعتزال ، رأينا بأوأ لا يُظاهر إلا بالله ولا يُطال ، ومنعة (۲) تتحاماها
الأبطال ، وجنابا روضه الغيث الهطال . أما أسوارها (۳) ، فهي التي أخذت
النجد والغور . واستعدت بجدال (۴) الجلالد عن البلاد ، فارتكبت الدور
تحوز بحرأ من الاعتمار (۵) ثانيا ، وتشكك أن يكون الإنس لها بانياً .
وأما أبراجها فصفوف و صنوف ، تزين صفحات المساييف منها أنوف ،
وآذان لها من دوافع الصخر شُوف . وأما خندقها فصخرٌ مجلوب ، وسور
مقلوب . وصدقها المسلمون القتال بحسب محلها من نفوسهم ، واقتران
اغتصابها ببؤسهم ، وأفول شمسهم . فرشقوها من النبال بظلال تحجب
الشمس فلا يُشرق سناها ، وعرجوا في المراقى البعيدة يُفرعون مَبناها ،
ونقبوها أنقابا ، وحصبوها عقاباً . ودخلوا مدينة البنية (۶) بنتها غلاباً ،

(۱) هذه الكلمة ساقطة في النسخ .

(۲) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (منعة) .

(۳) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (أسواقها) م والأولى أرجح .

(۴) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نجلاء) .

(۵) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (العمارة) .

(۶) مدينة البنية وبالإسبانية La Pena (أى الصخرة) هي ثغر أندلسي صغير ، يقع على

شاطئ المحيط الأطلنطي على مقربة من شمال غربي ثغر طريف مقابل الجزيرة الخضراء ، في الناحية الأخرى

من المثلث الإسباني .

وأَحْسَبُوا السِّيفَ اسْتِلاَلا ، والأَيْدِي اِكْتِسابا ، واستَوْعَبَ القِتْلَ مَقَانِلَتِهَا
السَّابِغَةَ الجِنْنَ ، البالِغَةَ المِئْنَ ، فَأَخَذَهُمُ الهولُ المِتْفاقِمُ ، وَجُدُّلُوا كَأَنَّهُمْ
الأَراقِمُ ، لم يَفْلَتْ مِنْهُم عَيْنُ تَطْرَفٍ ، ولا لِسَانٌ يُلَبِّيُّ مِنْ يَسْتَطِيعُ الخَبِرَ
أَوْ يَسْتَشْرِفُ . ثم سَمَتِ الهِمَمُ الأَيْمَانِيَةَ إِلى المَدِينَةِ الكَبْرَى ، فَدارُوا سوارِها
على سُورِها ، وَتَجاسَرُوا على اقْتِحامِ أَوْدِيَةِ الفِئاءِ مِنْ فَوْقِ جُسُورِها ، وَدَفُّوا
إِلَيْها بِالضَّرِوبِ مِنْ حَيْلِ الحُرُوبِ بِرُوجِ مُشِيدَةٍ ، وَمِجانِيقِ تَوَثُّقِ حِبالِها
مِنْها نَشِيدَةٍ ، وَخَفَقَتْ بِنِصْرِ اللَّهِ عَذَباتِ الأَعْلَامِ ، وَأَهْدَتِ الملائِكَةُ مَدَدَ
الاسلام (١) ، فَخَذَلَ اللَّهُ كُفَّارِها ، وَأَكْهَمَ شِفارِها ، وَقَلَّمَ بِيَدِ قَدْرَتِهِ
أَظْفارِها ، فَالْتَمَسُوا الأَمَانَ لِلخُرُوجِ ، وَنَزَلُوا عَنْ (٢) مَراقِ العُرُوجِ ، إِلى
الأَباطِحِ وَالْمِروِجِ ، مِنْ سَمائِها ذاتِ البِروِجِ ، فَكانَ بِرُوزِهِمْ إِلى العِراءِ
مِنَ الأَرْضِ ، تَذَكُّرَةً بِيَوْمِ العَرَضِ ، وَقَدْ جَلَّلَ المِقاتِلَةَ الصُّفَّارَ [وَتَعَلَّقَ
بِالأُمَّهاتِ النِّشَأُ الصُّغَارَ] (٣) . وَبودرتِ المَدِينَةُ بِالتَّطْهِيرِ ، وَنَطَقَتْ المَأْدَنُ
العَالِيَةَ بِالأَذانِ الشَّهِيرِ ، وَالذِّكْرَ الجَهِيرِ ، وَطَرَحَتْ كِبارَ (٤) التَّمائِيلِ
عَنِ المَسْجِدِ الكَبِيرِ ، وَأَزْرَى بِالأَسِنَّةِ النِّواقِيسَ لِسانُ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ،
وَأَنْزَلَتْ عَنِ الصُّرُوحِ أَجْرامُها ، يَعْبِي الهِنْدَامُ مَرامُها ، وَأَلْفَى مِنْبِرَ الاسِلامِ
بِها مَجْفُوعًا ، فَأَنْسَتِ غُرْبَتَهُ ، وَأَعِيدَ إِليه قُرْبُهُ وَقُرْبَتُهُ ، وَتَلا وَاعظَ الجَمْعَ
المَشْهُودَ ، قَوْلَ مُنْجِزِ الوَعودِ ، وَمُورِقِ العُودِ « وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ، وَلَكِنْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ » ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلهَتُهُمْ ، الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ،

(١) هَكَذا فِي الإسْكَورِيالِ . وَفِي النِّفْحِ (السِّلامِ) وَالأوْلى أَرْجَحُ .

(٢) هَكَذا فِي الإسْكَورِيالِ . وَفِي النِّفْحِ (عَلى) .

(٣) هَكَذا وَرَدَتْ هَذِهِ العِبارَةُ فِي الإسْكَورِيالِ . وَوَرَدَتْ فِي النِّفْحِ كالأَاقِ (وَتَعَلَّقَ بِالأَمَانَ

النِّساءِ وَالصُّغارِ) . وَهُوَ تَحْرِيفٌ ظاهِرٌ .

(٤) هَكَذا فِي الإسْكَورِيالِ . وَفِي النِّفْحِ (كُفارِها) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لما جاء أمرُ ربِّك ، وما زادوهم غيرَ تنبيـب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذهُ أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة . ذلك يومٌ مجموع له الناس ، وذلك يومٌ مشهود ، إلى آخرها ، فكاد (١) الدَّمع يُغرق الآماق ، والوجدُ يستأصل الأرزاق [وارتفعت الزعقات .. وَعَلَتِ الشَّهَقَاتِ] (٢) ، وجيءَ بأسرى المسلمين يرسفون في القيود الثقـال ، وينسلون من أجداث الاغتقال ، ففكَّت عن سوقهم أساور الحديد ، وعن أعناقهم فلَكَات (٣) اليأس الشديد ، وظلَّلوا بجناح اللُّطف العريض المديد ، وترتبت في المقاعد الحامية ، وأزهرت بذكر الله المآذن السَّامية ، فعادت المدينة لأحسن أحوالها ، وسكَّنت من بعد أهوالها ، وعادت الجالية إلى أموالها ، ورجع إلى القطر شبابه ، ورد على دار هجرة (٤) الإسلام بآبه ، واتَّصلت بأهل لا إله إلا الله أسبابه ، فهي اليوم في بلاد الإسلام ، قلادة النَّحر ، وحاضرة البرِّ والبحر ، أبقى الله عليها ، وعلى ما وراءها من بيوت أمَّتكَ ، ودائع الله في ذِمَّتِكَ [ظلال عنايتك الواقية ، وأمتعها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها] (٥) ، بكلمة دينك الصَّالحة الباقية ، وسَدَل عليها أستار عِصْمَتِهِ الواقية . وعُدنا والصلاة عليك شعار البروز والقُفول ، وهجيراً الشُّروق والأفول . والجهد يارسول الله الشَّأن المتمد ، ما امتد بالأجل الأمد ، والمستعان الواحد الفرد الصمد (٦) .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (فكان) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ووردت في النسخ كالاتي (وارتفعت الرغبات وعلت السبات) وهو تحريف .

(٣) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (ملكات) . والأولى أرجح .

(٤) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٥) هذه العبارات واردة في الإسكوريال وساقطة في النسخ .

(٦) هنا ترد في النسخ العبارة التي سبق أن أغفلها إزاء مقابلها من مخطوط الإسكوريال .

وأولها (ولهذا الهد يارسول الله ... الخ) (راجع ص ٥٥٣) .

فوجبت مطالعة مقرك النبوي بأحوال هذه الأمة المكفولة في حجرك ،
المفضلة بإرادة تجرك ، المهتدية بأنوار فجرك . وهل هو إلا ثمرة سعيك ،
ونتائج رعيتك ، وبركة حُبك ورضاك ، الكفيل برضا ربك ، وغمام
رعدك ، وإنجاز وعدك ، وشعاع من نور سعدك ، وبذر يُجنى ريعه من
بعدك ، ونصر رايتك ، وبرهان آيتك ، وأثر حمايتك ورعايتك .

واستنبت هذه الرسالة مائة بحر الندى^(١) الممنوح ، ومفاتيح باب
الهدى بفتح الفتوح ، وفارعة المظاهر والصروح ، ومُلقيه الرّحل بمتنزل
الملائكة والروح ، لتمدد إلى قبولك يد استمناح ، وتطير إليك من الشوق
الحثيث بجناح ، ثم تقف بموقف الانكسار ، وإن كان تجرّها آمنة من
الخسار ، وتقدم بأنس القرية ، وتحجم بوخشة الغربية ، وتتأخر بالهيبة ،
وتجهش لطول الغيبة ، وتقول أرحم بعد داري ، وضعف اقتداري ،
وانتزاح أوطاني ، وخلو أعطاني ، وقلّة زادي ، وفراغ مزادي ، وتقبل
وسيلة^(٢) اعترافي ، وتغمّد هفوة اقترافي ، وعجل بالرضا انصراف متحملي
لانصرافي ، فكم جُيب من بحر زاخر ، وقفر بالركاب ساخر ، وحائني لله
أن يخيب قاصدك ، أو تتخطاني مقاصدك . أو تطردني موائدك ، أو تضيق
عني عوايدك ، ثم تمدّ مقتضية مزيد رحمتك ، مُستدعية دُعاء من حضر
من أمتك . وأصحابتها يا رسول الله ، عرّضاً من النواقيس التي كانت بهذه
البلاد المفتتحة ، تُعين^(٣) الإقامة والأذان ، وتسمع الأسماع الضّالة والآذان ،
فما قبل الحركة وسالم المعركة ، ومكّن من نقله الأيدي المُشتركة ،
واستحقّ بالقدوم عليك ، والإسلام بين يديك ، السابقة في الأزل البركة ،

(١) هكذا وردت في النسخ . وفي الإسكوريال (الند) .

(٢) وردت في الإسكوريال (وسيرة) والتصويب من النسخ .

(٣) وردت في الإسكوريال (تغير) . والتصويب من النسخ .

وما سواها فكانت جبالا عَجَزَ عن حملها (١) الهِنْدَام ، فَنَسَخَ وجودها الإعدام . وهي يا رسول الله جِنَى من جنانك ، وَرَطْبٌ من أفنانك ، وأثرٌ ظهر عليها (٢) من مَسْحَةِ حنانك . هذه هي الحال والانتحال (٣) ، والعائق أن تشدَّ إليك الرِّحال ، ويُعْمَل التَّرْحال ، إلى أن نلقاك من غَرَصات (٤) القيامة شَفِيحاً ، ونُحِلُّ بجاهك إن شاء الله محلاً رفيعاً ، ونُقَدِّم في زُمْرة الشُّهداء الدامية كُلِّوَمهم من أَجْلِكَ ، الناهلة غُلُّهم في سِجْلِكَ ، ونبتهل إلى الله الذي أَطْلَعَكَ في سماء الهداية سِراجاً ، وأعلى لك في السَّبْع الطَّباق مِعراجاً ، وأمَّ الأنبياء منك بالنبي الخاتم ، وقفى على آثار نجومها المشرقة بقَمَرِكَ العاتم ، أن لا يَقْطع عن هذه الأمة الغريبة أسبابك ، ولا يسدَّ في وجوهها أبوابك ، ويوقفها لاتباع هُداك ، ويثبت أقدامها على جهاد عِداك . وكيف تَعْدَم تَرْفِيها ، أو تخشى بَخْساً وأنت مُوفِيها ، أو يعذبها الله وأنت فيها . وصلاة الله وسلامه تحطُّ بفنائك رِحال طيبها ، وتَهْدُر في ناديك شَقاشِقَ خطيبها ، ما أذكر الصباح الطَّلُّ هُداك ، والغمام السَّكِب نِداك ، وما حنَّ مشتاقٌ يلثم ضريحك ، وفليت (٥) نَسَمَاتِ الأَسْحار عما استرقت من ريحك .

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (نقلها) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (علينا) .

(٣) هذ الكلمة زائدة في النسخ

(٤) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي النسخ (بليت) .

وصدر عني قبل هذه الرسالة عن السلطان رضى الله عنه

رسالة بهذه الفتوح إلى صاحب تونس نصها:

الخلافة التي ارتفع في (١) عقائد فضلها الأصيل القواعد الخلاف ،
 واستنقلت مباني فخرها الشائع ، وعزها الذائع على ما أسسه الأسلاف ،
 ووجب لحقها الجازم ، وفرضها اللازم الاعتراف . ووسعت الآملين لها
 الجوانب الرحيبة والأكناف ، فامتزاجنا بعلائها المنيف . وولائها الشريف ،
 كما امتزج الماء والأسلاف ، وثناؤنا على مجدها الكريم ، وفضلها العميم ،
 كما تآرجت الرياض الأفواف ، لما زارها الغمام الوكاف ، ودعاؤنا بطول بقائها ،
 واتصال علابها ، يسمو به إلى قرع أبواب السموات العلاء (٢) الاستشرف ،
 وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضلها العميمة ، لا تحصره
 الحدود ، ولا تدركه الأوصاف ، وإن عذر في التقصير ، عن نبيل ذلك
 المرام الكبير ، الحق والإنصاف . خلافة وجهة تعظيمنا إذا توجهت
 الوجوه ، ومن نؤثره إذا همنا ما نرجوه ، ونفديه ونبديه ، إذا استمنح
 المحبوب ، واستدفع المكروه ، السلطان (٢) الخليفة ، [الجليل الكبير
 الشهير ، الإمام الهمام ، الأعلى الأوحى ، الأصعد ، الأسعد ، الأسمى ، الأعدل ،
 الأفضل ، الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأرضى . الأحفل ، الأكمل ، أمير
 المؤمنين أبى إسحق ابن الخليفة الإمام البطل الهمام ، عين الأعيان ، وواحد
 الزمان ، الكبير الشهير ، الطاهر ، الظاهر ، الأوحى الأعلى ، الحسينى ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال (في) . وفي التعريف بابن خلدون . وفي صبح الأعشى

(عن) . وقد نشرت هذه الرسالة كلها في التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (ص ١٥٥ -

٢٠٩) وفي صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٦ ص ٥٣٦ - ٥٥٨) . وقمنا بمراجعة النص المخطوط عليها .

الإحاطة - ٣٦

(٢) هذه الكلمة زائدة في الصبح .

الأصيل ، الأسمى ، العادل ، الحافل ، الفاضل ، المعظم ، الموقر ، الماجد ،
الكامل ، الأرضي ، المقدس ، أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ، ابن السلطان
الكبير ، الجليل ، الرفيع ، الماجد ، الظاهر ، الطاهر ، المعظم ، الموقر ،
الأسمى ، المقدس ، المرحوم أبي زكريا ، ابن الخليفة الإمام ، المجاهد
الهام ، الكبير ، الشهير ، الخطير ، بطل الميدان ، مفخر الزمان ،
الظاهر الظاهر ، الأمضى ، المقدس ، الأرضي ، أمير المؤمنين أبي إسحق ،
ابن الخليفة الهمام الإمام ، ذي الشهرة الجامعة ، والمفاخر الواضحة ،
علم الأعلام ، فخر السيوف والأقلام ، المعظم المجد ، المقدس ، الأرضي ،
أمير المؤمنين ، المستنصر بالله ، أبي عبد الله ، ابن أبي زكريا ، بن عبد الواحد
ابن أبي حفص (١) أبقاه الله ، ومقامه مقام إبراهيم ، رزقا وأمانا ،
لا يخص جلب الثمرات إليه وقتاً ، ولا يعين زماناً ، وكان على من
يتخطف الناس من حوله ، مؤيداً بالله معاناً ، معظماً قدره العالی على الأقدار ،
ومقابل داعي حقه بالابتدار ، المثني على معاليه المخلدة الآثار ، في
أصونة النظام والنثار ، ثناء الروضة المعطار على الأمطار ، الداعي إلى الله
بدوام (٢) بقائه في عزة (٣) منسدلة الأستار ، وعصمة (٤) ثابتة المركز ،
مستقيمة المدار ، وأن يختم له بعد بلوغ غايات الآجال ، ونهايات الأعمار ،
بالزلفى وعقبى الدار .

(١) نقلنا هذه الفقرة الطويلة عن صبح الأعشى . وقد اختصرها مختصر مخطوط الإسكوريال
فيما يأتي (الخليفة الكذا أبي يحيى أبي بكر ابن السلطان أبي زكريا ابن الخليفة الكذا أبي إسحق ابن الخليفة
المستنصر بالله عبد الله ابن أبي زكريا بن عبد الواحد ابن أبي حمص) . وإيراد نص الرسالة كاملة ،
يقدم إلينا فكرة أوضح عن أساليب الكتابة السلطانية في ذلك العصر .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي التعريف والصبح (بطول) .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي التعريف الصبح (عصمة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (وعزة) .

سلام كريم ، كما حملت نسماتُ الأسحار ، أحاديث الأزهار ، وروت
 ثغور الأقاحي والبهار ، عن مسلسلات الأنهار ، وتجلّى على منصّة الاشتهار ،
 وجهُ عروس النهار ، يخصّ خلافتكم الكريمة النجار ، العزيزة الجار ،
 ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله الذي أخفى حكته البالغة عن أذهان
 البشر ، فعجزت عن قياسها ، وجعل الأرواح كما ورد في الخبر تحن إلى
 أجناسها ، مُنجدُ هذه الملة من أوليائه الجلّة ، بمن يروض الآمال بعد
 شماسها ، وييسر الأغراض قبل التماسها ، ويُعنى بتجديد المودات في ذاته ،
 وابتغاء مرضاته ، على حين إخلاق لباسها ، الملك الحق ، واصل الأسباب
 بحوله ، بعد انتيكاث أمراسها ، ومُعنى النفوس بطوله ، بعد إفلاسها .
 حمداً يُدرُّ أخلاف النعم بعد إبساسها ، وينشر رمم الآمال من أرماسها ،
 ويقدّس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها .

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ، سراج الهداية ونبراسها ،
 عند اقتناء الأنوار واقتباسها ، مُطهر الأرض من أوضارها وأذناسها ، ومصطفى
 الله من بين ناسها ، وسيد الرسل الكرام ، ما بين شيثها وإلياسها ، الآتي
 مهيمنا على آثارها في حين فترتها ، ومن بعد نُصرتها واستيناسنها ، مُرغم
 الضراغم في أنخياسها ، بعد افترارها وافتراسها ، ومُعفر أجرام الأصنام
 ومُضيت أجراسها . والرضا عن آله وأصحابه ، وعِترته وأحزابه . حماة
 شِرْعته البيضاء وحراسها ، ومُلقحي غراسها ، ليوث الوغى عند احتدام
 مراسها ، ورهبان الدجا تتكفل مناجاة السميع العليم في وخشة الليل البهيم
 بإيناسها ، وتفاوح نواسم الأسحار عند الاستغفار بطيب أنفاسها . والدعاء
 لخلافتكم العلية المُستنصرية بالصنایع^(١) التي تُشعشع أيدي العزة القعساء

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الصبح (السعادة) .

من أكواسها ، ولا زالت العِصمة الإلهية كقيلة باحترامها واحتراسها ، وأنبياء
الفتوح المؤيدة بالملائكة والروح . ريحان جُلَّاسها . وآيات المفاخر التي
ترك الأول للآخر . مُكْتَتَبَة الأَسْطَار بِأَطْرَاسها . وميادين الوجود مجالا
لجِيَاد جُودها وبِأُسْها ، والعزُّ والعدل منسوبين لِفُسْطَاطها وقِسْطَاسها .
وصَفِيحَة النصر العزيز تُفِيضُ كَفْها المؤيدة بالله على رِيَاسها ، عند احتياج
أضدادها وشِرَّة (١) انتكاسها ، لانتهاج البلاد وانتهاسها ، وهبوب رياح
رياحها وتمرد مِرْدَاسها .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم من كتاب نصره أمداداً ، تدعن
أعناق الأنام ، لطاعة مُلْكِكُم المنصور الأعلام ، عند إحساسها ، وآتاكم
من آيات العِنايات آيةً تضرب الصخرة الصماء ممن عصاها بعصاها ،
فتبادر بانجاسها - من حمراء غرناطة ، حرسها الله ، وأيام الإسلام ، بعناية
الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام لولائمتها وأعراسها ، وطواعين
الطعان ، في عَدُوِّ الدِّين المُعَان ، تجدد عهدا بعام عَمَواسها [والحمد لله
حمدا معادا يُقْبِدُ شِوَارِد النعم] (٢) ويستدر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن
من انتكاب (٣) الجدود وانتكاسها ، ولي الآمال وميكاسها . وخلافتكم هي
المثابة التي يُزْهِمِي الوجود بمحاسن مجدها ، زهو الرياض بوردها وآسها ،
وتستمد أضواء الفضائل من مِقْبَاسها ، وتروى رواة الإفادة والإبادة [غريب
الِبِوَجَادَة] (٤) ، عن ضحَّاكها وعُبَّاسها ، وإلى هذا أعلى الله معارج قَدْرِكُم
وقد فعل ، وأنطق بحُجَج فخركم من احتفى وانتعل ، فإنه وصلنا كتابكم

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وشرة) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . ووردت في الصبح كالاتي

(والحمد لله حمدا يعيد شوارد النعم) . والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف والريحانة (انتكاث) .

(٤) هذه العبارة زائدة في الصبح والتعريف .

الذي حسبناه على صنائع الله لنا^(١) تميمه . لا تَلْقَع بعدها عين ، وجعلناه
على حُلل مواهبه ، قِلَادَةً لا يُحْتَاج معها زين ، ودعوناد من جَيْب الكِنَانَةِ^(٢)
آية بيضاء الكتابة ، لم يبق معها شك ولا مَيِّن ، وقرأنا منه وثيقة وُد ،
هُضَم فيها عن غريم الزمان دَيْن ، ورأينا منه إِنْشَاء ، خدَم اليراع بين يديه
وَشَاء ، واحتزم^(٣) بهيمان عُقْدته مَشَاء ، وسئل عن معانيه الاختراع ، فقال
إنا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ، فَأَهْلًا به من عربي أبي^(٤) يصف السانح والبانة ،
ويبين فيُحْسِن الإبانة . أدَى الأمانة ، وسئل عن حِيَّه فانتفى إلى كِنَانَةِ ،
وأفصح وهو لا يَنْبَس ، وتَهَلَّلت قَسَماته . وليل^(٥) جِبْرَد يَعْبَس ، وكانَّ
خاتمة المُقفل على صوانه ، المُتَحَف بباكر الوَرْد في غير أوانه ، رَعْف من
مِسْكٍ عُنوانه . والله من قلم دَبَّج تلك الحُلل ، ونَقَعَ بمجاج الدَّوَاة المُسْتَمْدَة
من عين الحياة الغل . فلقد تخارق في الجود ، مقتديا بالخلافة التي
خُلِّد فخرها في الوجود ، فجاد بسرَّ البيان ولُبابه ، وسَمَح في سبيل الكرم حتى
بمَاءِ شبابه ، وجمَح لفرط بشاشته وفهامته . بعد شهادة السيف بشهامته ،
فمشى من الترحيب في الطرس الرَّحيب على أمِّ هامته .

وأكرم به من حكيم أفصح بملغوز الإكسير . في اللَّفْظ اليَسِير ، وشرح
بلسان الخبير ، سرَّ صناعة التدبير ، كأنما خدَم الملكة السَّاحرة بتلك
البلاد ، قبل اشتجار الجلال ، فأثرت بالطَّارف ، من سحرها والتَّلال .
أو عثر بالمُعَلِّقة ، وتيك القديمة المطلقة ، بدفينة دار ، أو كنز تحت

(١) هذه الكلمة زائدة في الصبح .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (الكناية) والأولى أرجح .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (واخترع) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (أن)

(٥) وردت في الإسكوريال (لعل) والتصويب من الصبح والتعريف .

جدار ، أو ظفر لباني الحنايا ، قبل أن تقطع به عن أمانيه المنايا ، ببديعة ،
أو خلف جرجير الروم ، قبل منازل القُرُوم على وديعة ، أو أسهمة (١)
ابن أبي سرح في نَشْبٍ للفتح وسرح ، أو ختم له رُوح بن حاتم ببلوغ
المطلب ، أو غلب الحفظ بخدمة آل الأغلِب ، أو خصه زيادةُ الله بمزيد ،
أو شارك الشيعة في أمر أبي زيد ، أو سار على منهاج في مناصحة بني صنهاج ،
وفضح بتخليد أمداحهم ، كلِّها ج .

واعجب له ، وقد عُرِّزَ منه مَثْنِي البیان بثالث . فجلب سِحْرُ الأسماع ،
واسترقاق الطُّبَاع بين مَثَانٍ للإبداع ومثالث . كيف اقتدر على هذا المحيد .
وناصح مع التثليث مقام التوحيد . نستغفر الله ولي العون . على الصِّمْتِ
والصُّون ، فالقلم هو المُوَحَّد قبل الكون ، والمُتَّصِف من صفات السَّادَةِ ،
أولى العبادة ، بضمُّور التَّجْسِمِ وصُفْرَةِ اللُّون . إنما هي كرامة فاروقية ،
وإثارة من حديث سارية وبقية ، سَفَرٌ وجهها في الأعقاب ، بعد طول
الانتقاب ، وتداول الأحقاب ، ولسانُ مُنَابٍ عن كريم جناب . وإصابة
السهم لسواه محسوبة ، وإلى الرأى الذى يُسَدِّده (٢) منسوبة ، ولا تُنكر على
الغمام بارقة ، ولا على المُتَحَقِّقِينَ بمقام التوحيد كرامة خارقة . فما شاءه
الفضل من غرائب برٍّ وجدِّ ، ومحاريب خُلِقَ كريمٍ رَكَعَ الشكر فيها
وسجَّد ، حديقة بيان استشارت نواسم الإبداع من مَهَبِّهَا . واستزارت غمام
الطُّبَاع ، من مَهَبِّهَا ، فآتت أكلها مرتين بإذن ربِّها . لا بل كتيبة عزُّ
طاعنت بقنا الألفات سطورها ، فلا يرومها النقد ولا يُطوِّرها ، ونزعت عن
قسي النونات خطوطها ، واصطفت من بياض الطُّرس ، وسواد النفس
بُلُقٌ تحوطها . فما كأس المُدِيرِ على الغدير . بين الخورنق والسدير ،

(١) هكذا في الإسكوريال والصحيح . وفي التعريف (أسلمه)

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الصحيح والتعريف (سده) .

تقامر بنرد الحُباب . عقول ذوى الألباب ، وتفرق كِسرى في العُباب ،
وتُهدى وهى الشَّمطاء . نشاط الشباب . وقد أسرج ابن سُرَيْح وألجم ،
وأفصح التمريضُ بعد ما جَمَّجَم . وأعرب النّاي لأعجم ، وقع مُعيداً
بالقضيب ، وشرّعت في حساب العِقد بنان الكفّ الخَضيب ، وكان
الأنامل فوق مثالث العُود ومثانيه ، وعند إغراء الثَّقيل بثانيه ، وإجابة
صدى الغناء بين مغانيه . المراودُ تشرع في الوثى ، أو العناكب تُسرع
في المشى ، فما المُخبر^(١) بنيل الرّغائب . أو قدوم الحبيب الغائب ،
لا بل إشارة البشير ، بكمّ المشير على العشير ، بأجلب للسرور من زايره
المُتلقّي بالبرور ، وأدعى للحبور من سفيره المُبتهج السّفور . فلم نر مثله
من كتيبة كتاب تُجنب الجرد . تمرح في الأرسان ، وتتشوف مجالى
ظهورها إلى عرايس الفُرسان ، وتهزّ معاطف الارتياح ، من صهيلها الصّراح
بالنغمات الحسان . إذا أوجست^(٢) الصّريخ نازعتُ إثناء^(٣) الأعنة ،
وكاثرت بأسنة آذانها مُشرعة الأسنة ، فإن أدعى الظّليم إثكالها فهو ظالم ،
أو نازعها الظّبي هواديبها وأكفّالها ، فهو هاذٍ أو حالم . وإن سئل الأصمعى^(٤)
عن عُيوب الغرر والأوضاح ، قال مشيراً إلى وجوهها الصّباح ، « جلدة بين
العين والأنف سالم » من كل عبل الشّوى . سابقٌ للنجم إذا ما هوى . ساهى
التليل . عريضٌ ما تحت الشليل . مسوحةٌ أعطافه بمنديل النّسيم البليل .
من أحمر كالمُدام ، تُجلى على النّدام عقب الفِدام . أتخف لونه بالورد .

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الحبر) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وجدت) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (افتاء) .

(٤) واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في صبح الأعشى .

في زمن البرد ، وحيى أفق محياء بكوكب السعد ، وتشوف الواصفون
إلى عد محاسنه ، فأعيت على العد . بحر يساجل البحر . عند المد ،
وريح تبارى الريح عند الشد ، بالذراع الأشد ، حكم له مدبر فلك
الكفل باعتدال فصل القد ، وميزه قدره المميز يوم الاستباق ، بقصب
السباق ، عند اعتبار الجد ، وولد مختط غرته أشكال الجمال ، على
الكمال ، بين البياض والحمرة ، ونقاء الخد ، وحفظ رواية الخلق
الوجيه عن جدّه الوجيه ، ولا تنكر الرواية على الحافظ ابن الجد . وأشقر
أبي الخلق والوجه الطلق أن يحقر كأنما صيغ من العسجد ، وطرف بالدر ،
وأنعل بالزبرجد . ووسم في الحديث : بسمة اليمن والبركة ، واختص
بفلج الخصام عند اشتجار المعركة ، وانفرد بمضاعف السهام ، المنكسرة
على الهام ، في الفرائض المشتركة ، واتصفت فلك كفته بحركتي الإرادة
والطبع من أصناف الحركة . أصغى إلى السماء بأذن الملهم ، وأغرى
لسان السهيل عند التباس معاني المهمز ، والتسهيل ببيان المبهم ،
وفتنت العيون ، من ذهب جسمه ، ولجين نجمه بحب الدينير^(١) والدرهم ،
فإن انقض فرجم ، أو ربح لما هجم ، وإن اعترض فشفق لاح به للنجم
نجم . وأضفر قيد الأوابد الحرّة ، وأمسك المحاسن ، وأطلق الغرّة ،
وسئل من أنت في قواد الكتابيب ، وأولى الأخبار العجائب ، فقال أنا
المهلب بن أبي صفرة ، نرجس هذه الألوان ، في رياض الاكوان ، تحيا
به محياناً^(٢) الحرب العوان . أغار بنخوة الصائل على مضعفات الأصايل ،
فارتداها ، وعمد إلى خيوط شعاع الشمس عند جانحة الأمس . فألحم

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (الدينار) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (وجوه) .

منها حُلَّتْه وأَسْدَاها . واستَعَدت عليه مُلْكُ المحاسن فما أَعْدَاها ، فهو أَصْبِلُ
تمسك بذيل الليل عُرْفَه وذِياله ، وكوكب يطلعه من القتام ليله ، فيحسده
فرَقْد الأفق وسُهَيْله . وأشهب تغشى من لونه مَفَاضَة (١) ، وتسربل منه
لامَةٌ فِضْفَاضَة ، قد احتفل زِينُه ، لَمَّا رُقِمَ بالنُّبال لُجَيْنُه ، فهو الأَشْمَطُ
الذي حَقُّه لا يُغْمَطُ ، والدَّارِع (٢) المُسَارِع ، والأَعْرَازِلُ الذَّارِع ، ووراق
الهَضَابِ الفَارِع ، ومَكْتُوب الكَتِيبَة البارِع ، وأَكْرَم به من مُرْتاضٍ
سالك ، ومُجْتَهِد على غايات السَّابِقِينَ الأوَّلِينَ (٣) متَهالك . وأشهبُ يَرُوى
من الخليفة ، ذى الشِّيمِ المُنِيفَة ، عن مالك . وحبَّارِي كلِّما سابق وبارِي ،
استعار جناح الحُبَّارِي ، فإذا أَعْمَلت هذه (٤) الحِسْبَة ، قيل من هنا جاءت
النُّسْبَة طرد النمر لما عَظُمَ أمرُه وأمر ، فنُسِخَ وجوده بعده ، وابتزَّه
الفَرَّوَة ، مُلَطَّخَة (٥) بدمه . وكان مُضَاعَف الوَرْد ، نُثِرَ عليه من طَبِقِه ،
أو الفَلَّك ، لما ذهب الحَلَك ، مُزج فيه بياض صُبِحِه بِحُمْرَة شَفِقِه ،
وقرطاسِي حَقِه لا يُجْهَل ، متى ما ترقى (٦) العين فيه تسهَّل ، إن نزع عنه
جُلُّه ، فهو نجمٌ كُلُّه . انفرد بمادة الألوان . قبل أن تشوبها يدُ الأَكْوَانِ ،
وتمزجها أقلام المَلَكْوَانِ . يتقدم منه الكَتِيبَة لواء ناصع . أو أبيض مما صاع .
لَبِيس وقار المَشِيب ، في ريعان العُمَر القَشِيب ، وأنصتت الآذان من صَهَيْله
المطيل المُطِيب ، لما ارتدى بالبياض إلى نَعْمَة الخطيب ، وإن تَعَتَّب

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (مضافة) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الذراع) .

(٣) واردة في التعريف والصبح . وساقطة في الإسكوريال .

(٤) زائدة الصبح .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الصبح (ثم لطحه)

(٦) وردت في الإسكوريال (ترق) . والتصويب من النفع والتعريف

منه للتأخير المتعجب ، قلنا الواو لا ترتب ، ما بين فحل وحرّة . وبهرمانه
 وُرّة ، ويا لله من ابتسام غرّة ، ووضوح يُمن في طرّة ، وبهجة للعين وقرة .
 ون ولع الناس بامتداح القديم ، وخصوا الحديث بقرى الأديم ، وأوجب
 المتعصب ، وإن أبي المنصب مزية^(١) التقديم ، وطمح إلى رتبة المخدم
 طرف الخديم ، وقورن المثرى بالقديم ، وبُخس في سوق الكسد^(٢) الكيل ،
 ودجا الليل ، وظهر في فلّك الإنصاف الميل ، لما تذوكرت الخيل ، فجيء
 بالوجيه والخطار ، والزائد وذى الخمار ، وداحس والسكب ، والأبجر
 وزاد الراكب ، والجُموح واليخوم ، والكميت ومكتوم ، والأعوج
 والحلوان^(٣) ولاحق والغضبان ، وعفزر والزعفران ، والمحبر واللعب ،
 والأغر والغراب ، وشُعلة والعقاب ، والفياض واليعسوب ، والمذهب
 واليعسوب ، والصموت والقطيب ، وهيدب والصبيب ، وأهلوب وهداج ،
 والحرون وخرّاج ، وعلوى والجناح ، والأخوى ومجاج ، والعصا والنعام ،
 والبلقاء والحمامة ، وسكاب والجرادة ، وخواصاء والعرادة . فكم بين
 الشاهد والغائب ، والمفروض والرغائب ، وفرق ما بين الأثر والعيان ،
 غنى عن البيان ، وشتان ما بين الصريح والمُشْتَبِه ، والله درُّ القائل في
 مثلها « خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به » . والناسخ يختلف به الحكم ، وشر
 الدواب عند التفضيل بين هذه الدواب ، الصم البكم ، إلا ما ركبته نبي .
 وكان له يوم الافتخار برهان خبي^(٤) ، ومفضل ما سمع على ما رأى غبي ،
 فلو أنصفت محاسنها التي وصفت ، لأقضمت حبّ القلوب علفا ، وأوردت
 ماء الشبيبة^(٥) نطفًا ، واتخذت لها من عُذر الخدود الملاح عذر موشية ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (مرتبة) .

(٢) وردت في الإسكوريال والصبح (الحسد) . والتصويب من التعريف .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح والتعريف (وحلوان) .

(٤) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (خفي) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الشينة) والأولى أرجح .

وعلّنت بصفير ألحان القيان كلّ عشية . وأنعلت بالأهله ، وغطّيت
بالرياض بدل الأجلّة

إلى الرّقيق . الخليق بالحسن الحقيق . تسوقه إلى مشوى الرعاية
روقة الفتیان رعاته ، ويهدى عقيقتها من سبجه أشكالا تشهد للمخترع
سبحانه ، بإحكام مُخترعاته ، وقفت ناظر الاستحسان لا يريم ، لما بهره
منظرها الكريم . وتخامل الظّليم ، وتضائل الرّيم . وأخرس مفوه (١)
اللسان ، وهو [مملكة التّبيان] (٢) الحفيظ العليم . وناب لسان الحال
عن لسان المقال . عند الاعتقال ، فقال يخاطب المقام ، الذي أطلعت
أزهارها غمام جوده ، واقتضت اختيارها بركة وجوده ، لو علمنا أيها
الملك الأصيل . الذي كرم منه الإجمال والتّفصيل ، أن الشّناء يوازها لكيّنا
لك بكَيْلك . أو الشكر يعادها ويجازيها . لتعرضنا بالوشل إلى نيل نيلك ،
أوقلنا هي التي أشار إليها مُستصرخ سلفك المستنصر بقوله : «أدرك بخيلك» (٣)

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (مقوله) .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . ومكانها في الصبح والتعريف (بملكات

البيان) .

(٣) يشير هنا ابن الخطيب إلى واقعة استنصر أخ الأمير أبي جميل زيان بن مردنيش أمير بلنسية

عاصمة الشرق الأندلسي لما دهمه النصارى بحصارها في رمضان سنة ٦٣٥ هـ (إبريل ١٢٣٨ م ، للأمير أبي زكريا)

ابن عبد الواحد الحفصي (وقد وهم ابن الخطيب في ذكره أن الصريح كان موجهها إل ولده الخليفة

المستنصر) . أمير مملكة تونس ، وارساله لهذا الغرض كاتبه وسفيره الفقيه الشاعر ابن الأبار

القضاعي . وقد عبر عن صريح الأندلس ومحنتها بقصيدته الشهيرة التي أنشدها بيني يدي الأمير أبي زكريا

ومطلعها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقد سارع الأمير أبو زكريا إلى إغاثة مله بلنسية ، وأرسل إلى ذلك الغرض أسطولا مشحونا

بالسلاح والأطعمة والأموال ، وسار هذا الأسطول بالفعل إلى مياه بلنسية ولكنه لم يستطع الاتصال

بالمحصورين . وسقطت بلنسية بعد ذلك في يد النصارى (الأرجونيين) في صفر سنة ٦٣٦ هـ (أكتوبر

سنة ١٢٣٨ م) .

حين شرق بدمعه^(١) الشرق ، وانهمز الجمع ، واستولى الفرق ،
واتسع فيه ، والحكم لله ، الخرق ، ورأى أن مقام التوحيد
بالمظاهرة على التثليث وحزبه الخبيث ، هو الأولى والأحق . والآن قد
أغنى الله بتلك النية ، عن إنجاز الطوال الردينية ، وبالذعاء من تلك
المثابة الدينية ، إلى رب البنية ، عن الأمداد السنية ، والأجواد تخوض
بحر الماء إلى بحر المنية ، وعن الجرد العربية في مقاود الليوث الأبية .
فجدد برسم هذه الهدية ، مراسم العهود الودية ، والذمم الموحدية لتكون
علامة على الأصل ، ومكذبة لدعوى الوقف والفصل ، وإشعاراً بالألفة التي
لا تزال ألفها [بحول الله]^(٢) ألف الوصل ، ولامها حراماً على النصل .
وحضر بين يدينا رسولكم فلان ، فقرّر من فضلكم ، ما لا ينكره
من عرف علو مقداركم ، وأصالة داركم ، وفلك إبداركم ، وقطب مداركم ،
وأجبناه عنه بجهد ما كنا لنقنع من جناه المهتصر ، بالمقتضب المختصر ،
ولا لنقابل طول طوله بالقصر ، لولا طروء الحصر . وقد كان بين الأسلاف
رحمة الله عليهم ورضوانه ، ود أبرمت من أجل الله معاقده ، ووثرت
للخلوص الجلي النصوص ، مضاجعه القارة ومراقده ، وتعاهد بالجميل ،
توجع لفقده [فيما سلف]^(٣) فاقده ، أبي الله ألا أن يكون لكم الفضل في
تجديده ، والعطف بتوكيده . ونحن الآن لا ندرى أي مكارمكم نذكر ،
أو أي فواضلكم نشرح أو نشكر ، أمفاتحتكم التي هي في الحقيقة عندنا
فتح ، أم هديتكم وفي وصفها للأقلام سبّح ، ولعدو الإسلام بحكمتها كبح .
إنما نكل الشكر لمن يوفى جزاء الأعمال البرة ، ولا يُبخس مثقال الذرة ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (بدفعه) وهو تحريف .

(٢) واردة في الإسكوريال . وساقطة في الصبح والتعريف .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في الصبح والتعريف .

ولا أدنى من مثقال الذرة . ذى الرحمة الشرة . والألطف المتصلة المستمرة ،
لا إله إلا هو .

وإن تشوفتم إلى الأحوال الراهنة ، وأسباب الكفر الواهية [بقدره الله] (١)
الواهية . فنحن نُطرفكم بطرفها ، ونطلعكم على سبيل الإجمال بطرفها . وهو أننا
لما أعادنا (٢) الله من التمحيص ، إلى مثابة التخصيص ، من بعد
المرام العويص ، كحلنا بتوفيق الله بصر البصيرة ، ووقفنا على
سبيله مساعي الحياة القصيرة ، ورأينا كما نُقل إلينا ، وكُرر على من
قَبَلنا وعلينا ، أن الدنيا ، وإن غرَّ الغرور ، وأزَام على سُرر الغفلة السُرور ،
فلم ينفع الخطور على أحداث الأحياب والمرور ، جسرٌ يُعبر ، ومتاع
لا يُغبط من حُبى به ، ولا يُجبر . إنما هو خبير به يُخبر ، [وأن الحسرة
بمقدار ما على تركه تُجبر] (٣) وأن الأعمار أحلام ، وأن الناس نيام ،
وربما رحل الراحل عن الخان ، وقد جلَّه بالأذى والدخان ، أو ترك به
طيباً ، وثناءً يقوم بعده للآتى خطيباً ، فجعلنا العدل في الأمور ملاكاً ،
والتفقد للثغور مساوياً ، وضجيج المهاد ، حديث الجهاد ، وأحكامه
مناط الاجتهاد ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا أهل أدلكم على تجارة تنجيكم »
دليل (٤) الاستشهاد ، وبادرنا رَمَق (٥) الحصون المضاعة ، وجُنح التقية
دامس ، [وعوراتها لا تردُّ يدَ لامِس] (٦) ، وساكنها بائس ، والأعصم في

(١) ساقطة في الإسكوريال وواردة في الصبح والتعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (اعاد) .

(٣) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هكذا في الإسكوريال . ومكانها في الصبح والتعريف (من حجج) .

(٥) وردت في الإسكوريال والصبح (من) والتصويب من التعريف .

(٦) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والتعريف وساقطة في الصبح .

شعفاتنا من العِصمة آيس ، فزينا ببيض الشرفات ثناياها ، وأفعمنا بالعذب
 الفرات ركايها ، وغشينا بالصفيح المضاعف أبوابها . واحتسبنا عندموفى
 الأجور ثوابها ، وبيضنا بناصع الكلس أثوابها ، فهى اليوم توهم جس
 العيان ، أنها قطع من بيض العنان^(١) ، تكاد تناول قرص البدر بالبنان ،
 متكفلة للمؤمن ، من فزع الدنيا والآخرة بالأمان . وأقرضنا الله قرضا ،
 وأوسعنا مدونة الجيش عرضا ، وفرضنا أنصافه مع الأهله قرضا ، واستندنا
 من التوكل على الله الغنى الحميد إلى ظل لواء ، ونبذنا إلى الطاغية عهدة
 على سوائ ، وقلنا رب أنت العزيز ، وكل جبار لعزك ذليل ، وحزبك
 هو الكثير ، وما سواد فقليل ، أنت الكافي ، ووعدك الوعد الوافى ، فأفرض علينا
 مدارع الصابرين ، واكتبنا من الفائزين ، بحظوظ رضاك ، الظافرين ،
 وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

فتحركنا أولى الحركات ، وفاتحة مُصحف البركات ، فى خيف من
 الحشود ، واقتصار على من بحضرتنا من العساكر المظفرة والجنود، إلى
 حصن آش^(٢) البازى المطل [وركاب العدو]^(٣) الضال المُضِل ،
 ومهدى نفثات الصل ، على امتناعه وارتفاعه ، وسمو يفاعه ، وما بذل
 العدو فيه من استعداده ، وتوفير أسلحته وأزواده ، وانتخاب أنجاده .
 فصلينا بنفسنا ناره ، وزاحمنا عليه الشهداء نصابري أواره . ونلقى بالجوارح
 العزيزة سهامه المسمومة ، وجلامده الملمومة وأحجاره ، حتى فرغنا بحول من
 لا حول ولا قوة إلا به . أبراجه المنبوعة وأسواره ، وكففنا عن البلاد والعباد

(١) وردت فى الإسكوريال (القيان) . والتصويب من التعريف والصبح .

(٢) هكذا فى الإسكوريال وهو الرسم الصحيح لاسم هذا الحصن . وقد سبق التعريف به .

وفى الصبح (آش) وهو تعريف .

(٣) هذه العبارة واردة فى الصبح والتعريف وساقطة فى الإسكوريال .

أضراره ، بعد أن استَضَفْنَا إليه حصن^(١) السهلة جاره ، ورحلنا عنه بعد أن شحناه رابطةً وحاميةً ، وأزواداً ناميةً ، وعمِلنا بيدنا في رَمِّ ما نلّم القتال ، وبقر من بطون مُسابقه الرجال ، واقتدينا بنبيينا صلوات الله وسلامه عليه في الخندق ، لما حمى ذلك المجال ، ووقع الارتجاز المنقول خبره والارتجال ، وما كان ليقرَّ الإسلام مع تركه القرار ، وقد كُتب الجوار ، وتداعى الدعرة ، وتعاوى الشرار .

وقد كنا أغْرَيْنَا الجهة الغربية من المسلمين بمدينة بُرْغَة^(٢) التي سَدَّتْ بين القاعدتين رُنْدَة ومالقة الطريق ، وأبَسَتْ ذُلَّ الفراق ذلك الفريق ، ومنَعَتْهُمَا أَنْ تُسِيغَا الرِّيقَ ، فلا سبيل إلى الإمام لطيف المنام إلا في الأحلام ، ولارسالة إلا في أجنحة هدى^(٣) الحمام ، فيسرَّ الله فتحها ، وعَجَّلَ مَنْحَهَا ، بعد حرب انبثت فيها النحور ، وتزيّنت الحور ، وتبع هذه الأم بنات شهيرة ، وبُقِعَ للزرع والضرع خيرة ، فشفى الثغر من بوسه ، وتهلَّل وجه الإسلام بتلك الناحية بعد عبُوسه

ثم أَعْمَلْنَا الحركة إلى مدينة الجزيرة ، على بُعد المدا ، [وتُغْلَغُلُهَا فِي] ^(٤) بلاد العدا ، واقتحام هول الفلا وغول الردى ، مدينة تبنتها ^(٥) حمص ، فأوسعت الدار ، وأغلَّت الشوار ، وراعت الاستكثار ، وبَسَطَتِ الأَعْتِمَارَ ، رَجَّحَ إلينا قصدنا على البعد ، والطريق الجعد ، ما أشقت به المسلمين ، من استئصال طائفة من أسراهم ، مروا بها آمنين ، وبطائرها المشثوم

(١) هذه الكلمة واردة في الصبح والتعريف ، وساقطة في الإسكوريال .

(٢) سبق التعريف بهذه المدينة .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . والصبح . وفي التعريف (هذل) .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (وتعلقها على) .

والأولى أرجح .

(٥) وردت في الإسكوريال والصبح (بنتها) . والتصويب من التعريف .

مُتَيْمِنِينَ ، قد أَنهَكهم الاعتقال ، والقيود الثُّقَال ، وَأَضْرَعهم الإِسَار ،
وَجَلَّلهم الانكِسار . فجَدَّلُوهم في مَصْرَع واحد ، وتركوهم عِبْرَةً
للرَّائِي والمُشَاهِد ، وأهدوا بوقِيعَتهم إلى الإِسْلَام ، ثكل الواجد ، وِثْرَةً
المَاجِد ، فكَبَسِنَاهَا كَبَسًا ، وفجَانَاهَا^(١) بِالْهَام من لا يُفِضُ ولا يَنْسِي ، فصَبَحْنَاهَا
الْخَيْل ، ثم تلاحق الرَّجُل لما جَنَّ اللَّيْل ، وحقَّ بها الوَيْل ، فأَبِيحَ مِنْهَا
الذُّمَار وَأَخَذَهَا الدَّمَار ، ومُحِقَّتْ من مصانِعها البيض الأَهْلَةَ ، وخُسِفَتْ
الأَقْمَار ، وشُفِيَتْ من دماء أَهْلِهَا الضُّلُوع الجِرَار ، وسُلِّطَتْ على هياكلها
النَّار ، واستولى على الآلاف العديدة من سَبِيهَا الإِسَار ، وانتهى إلى إِشْبِيلِيَّة
الثُّكْلِي المَغَار ، فجَلَّلَ وجود من بها من كبار النصرانية الصُّغَار ، واستولت
الأَيْدِي على مالا يسهه الوصف ولا تَقِلُّهُ الأَوْقَار . وعُدْنَا والأَرْضُ تَمُوجُ
سَبِيًّا ، لم تترك بعِضْرَيْن سَبِيلًا ، ولا بوجرة ظبياً ، والعمائل حَسْرَى ،
والعيون يبهرها الصُّنْعُ الأَسْرَى ، وصُبح السُّرَى قد حُمِد ، من بَعْدُ بَعْدُ^(٢)
المَسْرَى ، فسبحان الذي أَسْرَى ، ولسان الحمية ينادى في تلك الكنائس
المُخْزِيَّة والنُّوَادِي ، يا لثارات الأَسْرَى .

ولم يكن إلا أن نُفِلت الأنفال ، ووُسِمَت بالأَوْضَاخ^(٣) الأَغْفَال ، وتميزت
الهُوَادِي والأَكْفَال ، وكان إلى غزو مدينة جَبَّان الاحتفال ، قدنا إليها الجُرْدُ
تلاعب الظلال نشاطا ، والأبطال تقنح الأخطار رضى بما عند الله واغتباطاً
والمهنة الدلق^(٤) تسبق إلى الرقاب استللا واختراطا ، والردينية السمر
تسטרط حياتها^(٥) النفوس استراطا . [واستكثرنا من عدد القتال احتياطاً]^(٦)

(١) وردت في الإسكوريال (وفجناها) . والتصحيح من الصح .

(٢) واردة في الصبح وساقطة في الإسكوريال .

(٣) وردت في الإسكوريال والصبح (بالإرضاخ) والتصويب من التعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال وفي التعريف . وفي الصبح (الزرق) . والأولى أرجح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (حياة) . وهو تحريف .

(٦) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

وأزحنا العلل عمَّن أراد جهادا - منجياً غباره من دخان جهنم ورباطاً .
وناديننا الجهاد الجهاد ، يا أمة [الجهاد راية] (١) النبي الهاد . الجنة الجنة تحت
ظلال السيوف الحداد ، فهزَّ النداء إلى الله تعالى كل عامر وغامر ، واثتمر
الجمُّ من دعوة الحقِّ إلى أمر أمر ، وأتى الناس من الفجوج العميقة رجلاً ،
وعلى كلِّ ضامر ، وكاثرت الرايات أزهار البطاح لونا وعدداً ، وسدت
الحشود مسالك الطرق العريضة سداً ، ومدَّ بحرهما الزاخر مداً ، فلا يجد
لها الناظر ولا المناظر حداً . وهذه المدينة هي الأم الولود ، والجنة التي في
النار لسكانها من الكفار الخلود ، وكرسی الملك ، ومُجنَّبته الوسطى ،
من ذلك السلك (٢) ، باءت بالمزايا العديدة ، ونجحت ، وعند الوزان
بغيرها من أمات البلاد رجحت ، غاب الأسود . وجحر الحيات السود ،
ومنصب التماثيل الهائلة ، ومعلق النواقيس الصائلة .

وأذنيننا إليها المراحل [وعيننا لبحار] (٣) المحلات المستقلات منها
الساحل . ولما أكتبنا جوارها ، وكدنا نلمح نارها ، تحركنا ووشاح
الأفق المرقوم بزهر النجوم ، قد دار دايره ، والليل من خوف الصباح ،
على سرحه (٤) المستباح ، قد شاببت غدايرد . والنسر يرفرف باليمن طائرده ،
والسماك الرامح يثأر بعز (٥) الإسلام ثائره ، والنعائم راعدة فرائض الجسد
من خوف الأسد ، والقوس يرسل سهم السعادة . بوتر العادة إلى أهداف

(١) هذه العبارة ساقطة في الإسكوريال . وواردة في الصبح والتعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الممالك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي التعريف وفي الصبح (وعينا لتجار) وهو تحريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (سطحه) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ثغر) والأولى أرجح .

النَّعم المُعادة ، والجَوَزاءُ عابرةُ نهرِ المجرَّة ، والزَّهرة تغار من الشعري
العبور بالضرَّة ، وعطارِد يُسدي في جبل (١) الحروب على البلد المحروب
ويُلجِم ، ويناظر على أشكالها الهندسية فيفحَم ، والأحمر يبهر ، والعلم
الأبيض يفري وينهر ، والمُشترى يُبدي في فضل الجهاد ويُعيد ، ويزاحم
في الحلقات على ما للسعادة من الصفات ويزيد ، وزُحل عن الطالع مُنزحل ،
وعن العاشر يرتحل ، وفي زلق السقوط وحل ، والبدر يطارح حَجَر
المنجنيق ، كيف يهوى إلى النيق ، ومطلع الشمس يرقب ، وجدار الأفق
يكاد بالعيون عنها يُنقب .

ولما فشا سرُّ الصباح واهتزَّت أعطاف الرّايات لتحيات مُبشّرات
الرّياح ، أَطلَلنا عليها إطلال الأَسود على الفرائس ، والفُحول على العرايس ،
فنظرنا منظرأ يروع بأُسا ومَنعة ، ويروق وضعا وصنعة ، تلفعت معاقله
الشَّمُّ للسحاب ببرود ، ووَرَدت من غدير المُزن في بُرود ، وأسرعت
لاقتطاف (٢) أزهار النجوم ، والذّراع بين النطاق (٣) معاصم رُود ، وبلداً
يُعني الماسح والذارع ، وينتظم المحاني والأجارِع . فقلنا اللهم نفله أيدي
عبادك ، وأرنا فيه آيةً من آيات جهادك ، فنزلنا بساحتها العريضة المتون ،
نزول الغيث الهتون ، وتيمنا من فحصها الأفيح بسورة التين والزيتون ،
متبرية من أمان الرحمن للبلد المفتون ، وأعجلنا الناس بحميه نفوسهم
النَّفيسة ، وسجيه شجاعتهم البئيسة ، عن أن نبوي (٤) للقتال المقاعد ،
ونذني بإسماع شهير النفير منهم الأبعاد . وقبل أن يلتقي الخديم بالمخدوم ،
ويركع المنجنيق ركعتي القدوم ، فدافعوا من أضحر إليهم من الفرسان ،

(١) وردت في الإسكوريال والصبح (جبل) . والتصويب من التعريف .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (لاختطاف) والأولى أنسب .

(٣) هكذا في الصبح وفي التعريف . وفي الإسكوريال (النطاق) .

(٤) وردت في الإسكوريال (نبوه) . والتصويب من التعريف والصبح .

وسبق إلى حومة الميدان . حتى أخرجروه في البلد . وسلبوهم لباس الجلد .
في موقف يُذهل الوالد عن الولد . صابت (١) السهام فيه غماما . وطارت
كأسراب الحمام تُهدى جماما . وأضحّت القنا قصداً ، بعد أن كانت
شهاباً رصداً . وماج بحر القتام بأمواج النصول . وأخذ الأرض الرّجفان
لززال الصباح الموصول . فلا ترى إلا شهيدا تظلّ مصرعه الحور ،
وصريعا تقذف به إلى الساحل أمواج (٢) تلك البحور . ونواشِبَ تَبَيّأ بها
الوجود الوجيهة عند الله والنحور . فالميّضب فوذه يُخصب . والأسمر
غضنه سيثمر . والمغفر حماد يخفر . وظهور القسي تُقصم ، وعصم الجند (٣)
الكوافر تفصم . وورق اليلب في المنقلب يسقط . والبتر (٤) تكتب . والسدر
تنقط . فاقتحم الرّبض الأعظم لحيته . وأظهر الله لعيون المبصرين
والمستبصرين عزّة دينه . وتبراً الشيطان من خدينه . وبهت (٥) الكفار
وخذلوا ، وبكل مرصد جدّلوا ، ثم دُخل البلد بعدد غلابا ، وجلّ قتلًا
واستلابا ، فلا تسلّ إلا الضبا والأسل . عن قيام ساعته . وهول يومها
وشناعته ، وتخريب المبايت والمباني . وغنى الأيدي من خزائن تلك المغاني ،
ونقل الوجود الأول إلى الوجود الثاني . وتَخارق السيف فجاء بغير المعتاد .
ونَهلت القنا الردينية من الدماء . حتى كادت تورق كالأغصان المغترسة
والأوتاد . وهَمّت أفلاك القسي وسَحّت ، وأرنت حتى بُحّت . ونهدت
مواردها فشحّت بما ألحّت ، وسدّت المسالك جثث القتلى فمذعت العابر .

(١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (صارت) .

(٢) هذه الكلمة وازدة في الصبح وساقطة في الإسكوريال والتعريف .

(٣) وردت في الإسكوريال (الجنن) والتصويب من الصبح والتعريف .

(٤) هكذا في الإسكوريال والصبح . وفي التعريف (البيض) .

(٥) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في الصبح (ونهب) وهو تحريف .

واستأصل الله من عدوه الشَّافة وقَطع الدَّابر ، وأزلف الشهيد وأحسب
 الصابر ، وسبقت رسل الفتح الذي لم يُسمع بمثله في الزمن الغابر ، تنقل
 البُشرى من أفواد المحابر ، إلى آذان المنابر .
 أقمنا بها أياما نَعقُر الأشجار ، ونستأصل بالتَّخريب الوجار ، ولسان
 الانتقام من عبدة الأصنام ، ينادى بالثارات الإسكندرية تشفياً من الفجار ،
 وربما لحقَّ الجار . وقفلنا وأجنحة الرايات برياح العنانات (١) خافقة ،
 وأوراق التوفيق ، الناشئة من خطوط الطريق موافقة ، وأسواق العزُّ بالله نافقة ،
 وحملاء الرفق مصاحبة ، والحمد لله ، مرافقة ، وقد ضاقت ذروع الجبال
 عن أعناق الصُّهب السِّبال ، ورفعت على الأكفال رُدْفاء كرائم الأنفال ،
 وقلقلت بن النواقيس أجرام الجبال بالهندام والاحتيال ، وهلك بمهلك
 هدد الأم ، بنات كُنَّ يَرْتَضَعن ثُدْيَها الحوافل ، ويستوثرن حجرها الكافل ،
 شمل التخريب أسوارها ، وعجلت النار بوارها .

ثم تحركنا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دلاء الأدلاء قبل المتح ،
 فبشّرت بالمنح . وقصدنا لمدينة أبدة ، وهي ثانية الجناحين ، وكُبرى
 الأختين ، ومُساهمة جيان في حين الحين ، مدينة أخذت عرض الفضاء
 الأخرق ، وتمشّت في أرباضها تمثّي الكتابة الجامحة في المهرق ، المشتملة
 على المتاجر والمكاسب ، والوضع المتناسب ، والفلح (٢) المعنى ريعه عمل
 الحاسب ، وكوارة (٣) الدير اللاسب ، [المتعددة البعاسب] (٤) فإناخ
 العفاء بربوعها العامرة ، ودارت كؤوس عُقار الحُتوف ، ببنان السيوف ،

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في التعريف والصبح (العنايات) والأولى أرجح

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الفلج) .

(٣) هكذا في التعريف والصبح . وفي الإسكوريال (كورة) . والأولى أرجح والكوارة

شيء يتخذ للنحل من القصبان .

(٤) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

على متديريها المعاقرة . وصبحتها طلائع الفاقرة ، وأغریت ببطون أسوارها ،
عُوجُ المعاول^(١) الباقرة ، ودخلت مدينتها عنوة السيف ، في أسرع من
خطرة الطيف ، ولا تسل عن الكيف . فلم يبلغ العفاء من مدينة حافلة ،
وعقيلة في حُلل المحاسن رافلة ، ما بلغ من هذه البائسة ، التي سجدت
لآلهة النيران أبراجها ، وتضائل بالرغام مغراجها ، وضفت على أعطافها
ملابس الخذلان ، وأقفر من كنائسها كناس الغزلان .

ثم تاهبنا لغزو أم القرى الكافرة ، وخزائن المزاين الوافرة ، وربة
الشهرة السافرة ، [والأنباء المسافرة]^(٢) قرطبة ، وما أدراك ما هي ،
ذات الأرجاء الحالية الكاسية ، والأطواد الرأسخة الرأسية ، والمباني المباهية
والزهراء الزاهية ، والمحاسن غير المتناهية ، حيث هالة بدر السماء ، قد
استدارت من السور المشيد البناء داراً^(٣) ، ونهر المجرة من نهرها الفياض ،
المسلول حسامه من غمود الغياض قد لصق بها جارا ، وفلك الدولاب المعتدل
الانقلاب ، قد استقام مدارا ، ورجع الحنين اشتياقاً إلى الحبيب الأول ،
وادكارا ، حيث الطود كالتاج ، يزدان بلجين العذب المُجاج ، فيزرى
بتاج كسرى ودارا ، حيث قسي الجسور المديرة ، كأنها عوج المطى
الغريرة ، تعبر النهر قطارا ، حيث آثار العامري المجاهد ، تعبق بين تلك
المعاهد شذاً معطاراً ، حيث كرائم السحاب تزور عرائس الرياض الحبايب
فتحمل لها من الدر نثاراً ، حيث شمول الشمال تُدار على الأدواح ، بالغدو
والرواح ، فترى الغصون سُكاري . وما هي بسُكاري . حيث أيدي الافتتاح ،

(١) هكذا وردت في الصبح والتعريف . وفي الإسكوريال (المعاون) .

(٢) هذه العبارة واردة في التعريف وفي « رينجانة الكتاب »

(٣) هذه الكلمة ساقطة في الصبح .

تفتَضُّ من شقائق البِطَاح أُبكاراً . حيث تُغور الأقاح الباسم ، تُقبَلُها
 بالسَّحَر زوَّار النَّواسم ، فتخفق قلوب النجوم^(١) الغيارى . حيث المصلى
 المعتيق قد رُحِبَ مجالاً ، و طال مناراً . وأزرى ببلاط الوليد احتقاراً .
 حيث الظهور المشارة بسلاح الفلاح ، تجبُّ عن مثل أسنمة المهارى ،
 والبطون كأنها لتدميث الغمام بطن العذارى . والأدواح العالية تخترق
 أعلامها الهادية بالجداول الخيارى . فما شيت من جو صقيل^(٢) ومُعَرَّس
 للحسن ومَقِيل ، ومالك للعقل وعَقِيل . وخمائل كم فيها للبلابل من قال
 وقيل ، وخفيف يُجاوب بثقيل . وسنابل تحكى من فوق سوقها . وقُضِب
 بسوقها الممزات فوق الألفات . والعصافير البديعة الصِّفات ، فوق القُضِب
 المُوتَلِفات . تميل لهبوب^(٣) الصِّبا والجنوب . مائة^(٤) الجيوب بدرر
 المحبوب ، وبطاح لا تعرف عين الدحل ، فتطلبه بالذحل ، ولا تصرف في
 خدمة بيض قباب الأزهار ، عند افتتاح السَّوسن والبهار ، غير العُبدان
 من سُودان النَّحل ، و بحر الفلاحة الذى لا يُدرك ساحله ، ولا يبلغ
 الطيَّة البعيدة راحله ، إلى الوادى ، وسمر النوادى ، وقرار دموع الغوادى
 المتجاسر على تخطيه ، عند تمطية . الجسر العادى . والوطن الذى ليس
 من عمرو ولا زيد . والفرا الذى فى جوفه كلُّ صيد ، أقلَّ كرسية خلافة
 الإسلام ، وأغار^(٥) بالرُّصافة والجسر دار السلام . وما عسى أن تُظنِّب فى
 وصفه ألسنة الأقلام . أو تعبر به عن ذلك الكمال . فنون الكلام .

(١) هكذا وردت فى الصبح . وفى الإسكوريال (النجم) .

(٢) هكذا وردت فى الإسكوريال والصبح . وفى التعريف (بقيل) .

(٣) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (هبوب) .

(٤) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (مائة) .

(٥) هكذا فى الإسكوريال والتعريف . وفى الصبح (أغار) . وهو تعريف

فَأَعْمَلْنَا إِلَيْهَا السُّرَى وَالسَّيْرَ . وَقُدْنَا إِلَيْهَا الْخَيْلَ وَقَدْ عَقَدَ اللَّهُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرَ .

ولما وقفنا بظواهرها المُبْهَتِ الْمُعْجَبِ ، واصْطَفَقْنَا بِخَارِجِهَا الْمُنْبِتِ الْمُعْجَبِ ، وَالْقُلُوبِ تَلْتَمِسِ الْإِعَانَةَ مِنْ مُنْعَمٍ مُجْزَلٍ . وَتَسْتَنْزِلُ مَدَدًا (١) الْمَلَائِكَةَ مِنْ مُنْجِدٍ مُنْزَلٍ ، وَالرَّكَائِبِ وَاقِفَةٍ مِنْ خَلْفِنَا بِمَعْزَلٍ ، تَتَنَاشَدُ فِي مَعَاهِدِ الْإِسْلَامِ ، « قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ » بَرَزَ مِنْ حَامِيَتِهَا الْمُحَامِيَةُ ، وَوَقُودِ النَّارِ الْحَامِيَةِ ، وَبَقِيَةِ السَّيْفِ الْوَافِرَةِ عَلَى الْحِصَادِ النَّامِيَةِ ، قِطْعِ الْغَمَائِمِ الْهَامِيَةِ ، وَأَمْوَاجِ الْبَحُورِ الطَّامِيَةِ . وَاسْتَجَنَّتْ بِظِلَالِ أَيْطَالِ الْمَجَالِ ، أَعْدَادِ الرِّجَالِ النَّاشِبَةِ وَالرَّامِيَةِ . وَتَصَدَّى لِلنَّزَالِ . مِنْ صِنَادِيدِهَا الصُّهْبِ السِّيَالِ ، أَمْثَالِ الْهَضَابِ الرَّاسِيَةِ . يَجْنُهَا جُنُنُ السَّوَابِغِ الْكَاسِيَةِ ، وَقَوَامِيسِهَا الْمُغَادِيَةِ لِلصُّلْبَانِ يَوْمَ بَوَسْهَا بِنَفُوسِهَا الْمُوَاسِيَةِ ، وَخِنَازِيرِهَا الَّتِي عَدَّتْهَا عَنْ قَبُولِ حُجَجِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، سَتُورِ الظُّلْمِ الْغَاشِيَةِ ، وَصَخُورِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ . فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَمَامَ جِسْرِهَا الَّذِي فَرَّقَ الْبَحْرَ ، وَحُلَّى بِدُجَيْنِهِ وَوَلَّى زَيْنَهُ مِنْهَا النَّحْرَ ، حَرْبٌ لَمْ تَنْسِجِ الْأَزْمَانَ عَلَى مَنَوَالِهَا ، وَلَا أَنْتِ الْأَيَّامِ الْحُبَالِيَّ بِمِثْلِ أَجْنَةِ أَهْوَالِهَا : مَنْ قَاسَهَا بِالْفِجَارِ أَفْكَ وَفَجَرَ ، أَوْ مِثْلِهَا بِجَفْرِ الْهَبَاءَةِ خَرِفَ وَهَجَرَ ، وَمَنْ شَبَّهَهَا بِحَرْبِ دَاحِسٍ وَالغَبْرَاءِ ، فَمَا عَرَفَ الْخَيْرَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَرَفَ وَخَيْرَ . وَمَنْ نَظَرَهَا بِيَوْمِ شِعْبِ جَبَلَةَ ، فَهُوَ ذُو نَلَّةٍ . أَوْ عَادَلَهَا بِبَطْنِ عَاقِلٍ ، فَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ . أَوْ احْتَجَّ بِبِئْرِ ذِي قَارٍ ، فَهُوَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ذُو افْتِقَارٍ . أَوْ نَاضَلَ بِبِئْرِ الْكَدِيدِ ، فَسَهْمُهُ غَيْرُ السَّيْدِ . إِنَّمَا كَانَ مَقَامًا غَيْرَ مَعْتَادٍ ، وَمَرَعَى نَفُوسٍ لَمْ يَفْ بِوَصْفِهِ

(١) هذه الكلمة واردة في الصبح والتعريف . وساقطة في الإسكوريال .

لسان مرتاد ، وزلزال جبال أوتاد ، ومُتلف مذخور لسلطان الشيطان وعتاد .
 أعلم فيه البطل الباسل ، وتورد الأبيض الباتر . وتأود الأسمر العاسل .
 ودوم الجلمد المتكاسل ، وانبعث من حدب الحنيئة إلى هدف الرمية الناشر
 الناسل ، ورؤيت لمُرسلات السهام المراسل ، ثم أفضى أمر الرماح إلى
 التّشاجر والارتباك ، ونشبت الأسنّة في الدروع نشب السمك في الشباك ،
 ثم اختلط المرعى بالهمل ، وعزل الرديني عن العمل ، وعادت السيوف
 من فوق المفارق تيجانا ، بعد أن شقت غدر السوابغ خلعجانا ، واتحدت
 جداول الدروع فعصارت بحرا ، وكان التّعاق . فلا ترى إلّا نحرأ يلازم
 نحرأ ، عناق وداع ، وموقف شمل ذي انصداع ، وإجابة مناد إلى فراق
 الأبد وداع . واستكشفت مآل الصبر الأنفس الشفافة ، وهبت بريح
 النصر الطلائع المبشرة الهفافة . ثم أمد السيل ذلك العباب ، وصقل
 الاستبصار الألباب ، واستخلص العزم صفوة اللباب ، وقال لسان النصر
 ادخلوا عليهم الباب ، فأصبحت طوائف الكفار ، حصايد مناجل الشفار ،
 فغافرهم (٢) قد رضيت حرّماتها بالإخفار (٣) ، ورؤوسهم محطوطة في غير
 مقام (٤) الاستغفار ، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج المستطرفة
 والأسوار ، ورفرف على المدينة جناح البوار ، لولا الانتهاء إلى الحد
 والمقدار ، والوقوف عند اختفاء سر الأقدار (٥) .

ثم عبرنا نهرها ، وشدّدتنا بيدي الله قهرها ، وضيقنا حصرها ،
 [وأدرنا بلآلئ القباب البيض خصرها] (٦) ، وأقمنا بها أياما تحوم

- (١) هكذا وردت في التعريف والصبح . وفي الإسكوريال (الصبر) والأولى أرجح .
- (٢) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (فغافرهم) .
- (٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (بالإعفار) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (عالم) والأولى أرجح .
- (٥) هكذا وردت في التعريف وفي الإسكوريال والصبح (المقدار) والأولى أرجح .
- (٦) هذه الجملة واردة في الإسكوريال والتعريف . وساقطة في الصبح .

عقبان البُنود على فريستها حياماً . وندمى الأُدواح^(١) ببوارها . ونسلط
النيران على أقطارها . فلولاً عائق المطر . لخصمنا من فتح ذلك الوطن
على الوطر . فرأينا أن نروضها بالاجتثاث والانتيساف . ونوالى على زروعها
وربوعها ، كرات رياح الاعتيساف . حتى يتهباً للإسلام لوك طعمتها ،
ويتهنأً بفضل الله . إرث نِعْمَتِهَا . ثم كانت عن موقفها الإفاضة بعد
نحر النحور . وقذف جِمار الدمار . على العدو المدحور . وتدافعت خلفنا
[السَّيِّقات المُتَسَيِّقات]^(٢) تدافع أمواج البحور . وبعد أن ألححنا على
جناتها المُضْحِرَة . وكرومها المُسْتَبْحِرَة^(٣) . إلحاح الغريم ، وعوضناها
المنظر الكريه [من المنظر الكريم]^(٤) . وطاف عليها طائف من ربك^(٥)
فأصبحت كالصَّريم ، وأغرينا حلاق النار بحمَم الجحيم^(٦) ، وراكمنا
في أجواف أجوائها غمايم الدُّخان ، تذكر طيبة البان بيوم الغمِيم ،
وأرسلنا رياح الغارات . لا تذر من شيء أتت عليه . إلا جعلته كالريم ،
واستقبلنا الوادى يهول مدأ . ويروع سيفه الصقيل حدأ ، فيسرهُ الله من
بعد الإعواز . وانطلقت على الفُرْضة ، بتلك الفرصة . أيدي الانتهاز ،
وسألنا من ساءله أسد بن الفرات^(٧) . فأفتى برجحان الجواز ، فعم

- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الأرواح) . والأولى أرجح .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . ووردت في الصبح (السبقات
المستقلات) .
(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (المشتجرة) .
(٤) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .
(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ربنا) .
(٦) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (الحجيم) والأولى أرجح .
(٧) هو القاضي أسد بن الفرات بن سنان فاتح صقلية ، وأحد أكابر ردهم المالكية . ومؤلف
كتاب الأسدية في الفقه المالكي (١٤٢ - ٢١٣ هـ) . وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من
الإحاطة فليراجع هنالك .

الاكتساح والاستباح جميع الأخواز ، فأدبيل المصون ، وانتهبت القرى
وهُدِّمت الحصون ، واجتُثَّت الأصول وحُطِّمت الغُصُون ، ولم نرفع عنها
إلى يوم غارة تُصافحها بالبؤس ، وتُطلع عليها غررها الضاحكة باليوم
العُبُوس . فهي الآن مَجْرَى السَّوَابِقِ ومَجْر العوَالِي ، على التَّوَالِي ، والحَسْرَات
تتجدد في أطلالها البَوَالِي ، وكان بها قد صُرعت ، وإلى الدعوة المَحْمَدِيَّة
قد أُسرعت ، بقُدرة من أنزل القرآن على الجِبَال ، فَخَشَعَتْ من خِشْيَةِ اللَّهِ
وتصدَّعت ، وعِزَّة من أذعنت الجبابرة لعزَّهُ وخنعت . وعُدنا والبُنود
لا يعرف اللف نُشْرَهَا ، والوجود المجاهدة لا يخالط التَّقْطُبُ (١) بِشْرَهَا ،
والأيدي بالعروة الوثقى مُعْتَلِقة ، والألسُن بشكر نعم الله مُنْطَلِقة ، والسيوف
في مضاجع الغُمُود قَلِقة ، وسَرَابِيل الدُّرُوع خَلِقة ، والجياد من رُدِّهَا إلى
المَرَابِط (٢) والأوَارِي رُدِّ العَوَارِي حَنِقة ، وبعَبْرَات الغِيظ المَكْظُوم مُخْتَنِقة ،
تنظر إلينا نَظْر العَاتِب ، وتعود من ميادين المَرَايح والاختِيَال تحت حُلَل
السَّلَاح عَوْد الصَّبِيَان إلى المكَاتِب ، والطَّبَل بلسان العزِّ هَادِر ، والعزم
إلى مُنَادِي العَوْد الحَمِيد مُبَادِر ، ووجود نوع الرَّمَايح من بعد ذلك الكِفَاح ،
نادر ، والقاسم ترتب بين يديه من السَّبِي النَوَادِر ، ووَارِد مَنَاهِل (٣) الأَجُور
غير المُحَلَّأ ولا المَهْجُور (٤) غير صادر ، ومُنَاطِر الفِضْلِ الآتِي عَقِب أُخِيَّة
الْمَتَانِي على المَطْلُوب المُوَاتِي مُصَادِر ، والله على تَيْسِير الصَّعَاب وتَخْوِيل
الْمِنَنِ الرَّغَاب قَادِر ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ ، فَمَا أَجْمَل لَنَا صُنْعَهُ الخَفِيَّ ، وَأَكْرَم
بِنَا لُطْفَهُ الخَفِيَّ ، اللَّهُمَّ لَا نَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، وَلَا نَلْجَأُ مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (التقطيب) .

(٢) واردة في الصبح والتعريف . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (منهل) .

(٤) وردت في الإسكوريال (المهمور) والتصويب من الصبح والتعريف .

ولا نلتبس خير الدنيا والآخرة ، إلاَّ لَدَيْكَ . فأعد علينا عوائد نصرِكَ ،
يا مُبْدِي يا مُعِيد . وأعِنَّا من وسائل شكرِكَ على ما ينشأل^(١) به المزيد يا حَيُّ
يا قَيُّوم . يا فعَّال لما يريد .

وقارنت رسالتكم الميسونة لَدَيْنَا حَذَق^(٢) فتح . بعد صيته ، مُشْرَبٌ
لَيْتُهُ . وفخر من فوق النجوم العواتم مبيته . عَجَبْنَا من تَأْتَى أَمَلِهِ الشَّارِدُ ،
وقُلْنَا البركة في قُدوم الوارد . وهو أن ملك النصارى لاطفنا بجُملة من
الحصون . كانت من مملكة^(٣) الإسلام قد غصبت . والتماثيل فيها بيوت
الله قد نصبت . أدالها الله بمحاولتنا الطيب من الخبيث . والتوحيد من
التثليث . وعاد إليها الإسلام عودة الأب الغائب . إلى البنات الحبايب ،
يسأل عن شئونها . ويمسح دموع الرقة عن جفونها . وهي للروم خُطة خَسَف ،
قلَّ ما ارتكبوها فيما نعلم من العهود . ونادرة من نوادر الوجود ، والى الله
علينا وعليكم عوارف الجود . وجعلنا في محارِب الشكر من الرُّكع السجود .
عرفناكم بمجملات أمور تحتها تفسير . ويؤمن من الله وتيسير . إذ
استيفاء الجزئيات عسير . لنسركم بما منح الله دينكم . ونتوج بعز الملة
العنيفة جبينكم . ونخطب بعده دعاءكم وتأمينكم . فإن دعاء المؤمن لأخيه
بظهر الغيب سلاح ماضٍ ، وكفيل بالمواهب^(٤) المسئولة من المنعم الوهاب
مُتَقاض^(٥) ، وأنتم أولى من ساهم في برِّ . وعامل الله بخلوص سرِّ . وأين
ينذهب الفضل عن بيتكم وهو صفة حيكم . وتراث ميثكم . ولكم مزية
القِدَم ، ورسوخ القَدَم . والخلافة مقرُّها إيوانكم . وأصحاب الإمام مالك ،

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي الصبح (تد) والأولى أرجح .

(٢) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي الصبح (حذق)

(٣) هكذا في الصبح والتعريف . وفي الإسكوريال (ملكة) .

(٤) هكذا في التعريف . وفي الإسكوريال (للمواهب) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الصبح (ميفاض) .

رضى الله عنه ، مستقرها قَيْرَوَانِكُمْ (١) وهَجِير المنابر ذكرُ إمامكم ، والتوحيد
 أعلام إعلَامكم ، والوقائع الشهيرة في الكفر ، منسوبة إلى أيامكم ، والصحابة
 الكرام فَتَحَةُ أوطانكم ، وسُلالة الفاروق عليه السلام ، وشايخ سُلطانكم ،
 ونحن نستكثر من بَرَكة خطابكم ، ووُضلة جنابكم ، ولولا الأعذار لو أَلَيْنَا
 بِالْمُتَزَيِّدَاتِ تعريف أبوابكم . والله عزَّ وجلَّ ، يتولى عنا ، من شُكركم
 المحتوم ، ما قَصَّر فيه المكتوب منه عن المكتوم ، ويُبقيكم لإقامة الرُّسوم ،
 ويحلُّ محبتكم من القلوب محلَّ الأرواح من الجُسوم ، وهو سبحانه يصل
 سعدكم ، ويحرس مجدكم ، ويوالي نِعَمه عندكم . والسلام الكريم ،
 الطَّيِّب [الزاكي المبارك] (٢) البَّر ، العميم ، يخصكم كثيرا أثيرا ، ما أطلع
 الصبح وجهاً منيراً ، بعد أن أرسل النَّسيم سفيراً ، [وكان الوميض الباسم] (٣)
 لأكواس الغمام ، على أزهار الكرائم مديراً ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

ع

وَصَدَرَ عَنِّي فِي مَخَاطَبَةِ الشَّيْخِ الْخَطِيبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

ابن مرزوق جواباً عن كتابه :

ولما أن نأت عنكم ديارى وحال البُعد بينكم وبين
 بعثت لكم سواداً في بياض لأنظركم بشيء مثل عين
 بِمَ أَفَاتَحَكَ يَا سَيْدِي ، وَأَجَلُّ عُدْدِي [كيف أهدى] (٤) سلاماً فلا
 أَحْذَرُ مَلاماً ، أو أنتخب لك كلاماً ، فلا أجد لتبعة التَّقْصِيرِ فِي حَقِّكَ

(١) أعنى مدينة القيروان ، وقد اشتهرت بنبوغ عدد من أئمة الفقه المالكي وعلى رأسهم
 سمعون بن سعيد وتلميذه أبو زيد القيرواني .

(٢) هذه العبارة واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والصبح .

(٣) هذه العبارة واردة في الصبح والتعريف وساقطة في الإسكوريال .

(٤) هذه العبارة واردة في النفع ، وساقطة في الإسكوريال .

الكبير إيلاماً . إن قلتُ تحيةً كِسرَى في الشَّناءِ وتَبَع ، فكلِّمةٌ في مرْبِع العُجْمَة ترْبِع ، ولها المصيفُ فيه والمرْبِع ، والجَمِيم والمنْبَع ، فتُروى متى شاءت وتَشَبَع . وإن قلتُ إذا العارضُ خَطَرَ ، ومهما (١) هَمَى أو قَطَرَ ، سلام الله يا مَطَر ، فهو في الشريعة بَطَر ، ومَرَكَبه (٢) خَطِر ، ولا يرعى به وطن ، ولا يقضى وَطَر . وإنما العِرْق الأَوْشَج ، ولا يستوى البان والبنفسج ، والعوسج والعرفج .

سلامٌ وتسليم وروح ورحمة عليك وممدود من الظلِّ سَجَسَج وما كان فضلكم (٣) ليمنعني الكفران أن أشكره ، ولا لينسيني الشيطان أن أذكره ، فأتَّخذ في البحر سبباً ، أو أسلك غير الوفاء مذهباً ، تأبى ذلك ، والمِنَّة لله تعالى طباعٌ ، لها في مجال الرعى باع ، وتحقيق وإشباع ، وسوايم من الإنصاف لها مرعى في رياض الاعتراف ، فلا يَطْرُقها ارتباع ، ولا تخيفها سباع . وكيف تجحد تلك الحقوق ، وهي شمسٌ ظهيرة ، وأذانٌ عقيرة جهيرة ، فوق مئذنة شهيرة . أدت الأكتادُ لها ديونٌ تستغرق الذمم ، وتسترقُّ حتى الرمم ، فإن قضيت في الحياة ، فهي الخُطَّة التي نرتضيها ، ولا نقنع من عامل الدهر المساعد ، إلا بأن يُنفذ مراسمها ويُمضيها ، وإن قطع الأجل ، فالغنى الحميد من خزائنه التي لا تبید ، يقضيها ويرضى من يقضيها . وحيًا الله أيها العلم السامى الجلال ، زمنًا بمعرفتك المبررة على الآمال أبرِّ وأتحف ، وإن أساء بفراقك وأجحف ، وأغرى بعد ما ألحف ، وأظفر باليتيمة المذخورة للشدايد والمزاين ، ثم أوحش منها أضونة هذه الخزائن ، فآب حنين الأمل بخفيه ، وأصبح

(١) هذه الكلمة واردة في النفع ، وساقطة في الاسكوريال .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (ركبته)

(٣) هكذا الإسكوريال . وفي النفع (فضلك)

المُغْرِبِ غريباً يَقلِّبُ كَفِيهِ . وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ هَذِهِ الْغَفَلَاتِ . وَنَسْتَهْدِيهِ
 دَلِيلًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْفَلَكَوَاتِ . وَأَيُّ ذَنْبٍ فِي الْفِرَاقِ لِلزَّمَنِ أَوْ لِغُرَابِ الدَّمَنِ .
 أَوْ لِلرَّوَاحِلِ الْمُدْلِجَةِ مَا بَيْنَ الشَّامِ إِلَى الْيَمَنِ . وَمَا مِنْهَا إِلَّا عَبْدٌ مَقْهُورٌ .
 وَفِي رِمَّةِ الْقَدْرِ مَبْهُورٌ . عِقْدٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَشْهُورٌ . وَحِجَّةٌ لَهَا عَلَى النَّفْسِ
 اللُّوَامَةُ ظُهُورٌ . جَعَلْنَا اللهُ مِّنْ ذِكْرِ الْمُسَبِّبِ فِي الْأَسْبَابِ . وَتَذَكَّرَ وَمَا يَذَّكَّرُ
 إِلَّا أَوْلُو الْأَلْبَابِ . قَبْلَ غَلْقِ الرَّهْنِ وَسُدِّ الْبَابِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَالْفِرَاقُ ذَاتِي
 وَوَعْدُهُ مَأْتِي . فَإِنْ لَمْ يَحْزَنْ فَكَيْفَ قَدِ ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنَ الْغَدِ . وَالْمَرْءُ فِي
 الْوَجُودِ غَرِيبٌ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ ، وَمَا مِنْ مَقَامٍ إِلَّا لِزِيَالٍ مِنْ غَيْرِ احْتِيَالٍ ،
 وَالْأَعْمَارُ مَرَاحِلُ وَالْأَيَّامُ (١) أَمْيَالٌ .

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

جَعَلَ اللهُ الْأَدَبَ مَعَ الْحَقِّ شَأْنَنَا ، وَأَبْعَدَ عَنَّا الْفِرَاقَ (٢) الَّذِي شَانَنَا ،
 وَإِنِّي لِأَسْرُ لِسَيْدِي ، بِأَنْ رَعَى اللهُ صَالِحَ سَلْفِهِ ، وَتَدَارَكَهُ بِالتَّلَاقِ فِي
 تَلْفِهِ ، وَخَلَّصَ سَعَادَتَهُ مِنْ كَلْفِهِ ، وَأَحْلَهُ مِنَ الْأَمْنِ فِي كَنْفِهِ ، وَعَلَى
 قَدْرِهَا تُصَابُ الْعَلْيَاءِ ، وَأَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءَ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءِ . هَذَا وَالْخَيْرِ
 وَالشَّرِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُؤَسَّسَةَ عَلَى الْأَكْدَارِ . ظِلَّانَ مُضْمَحَلَّانَ . فَإِذَا (٣) ارْتَفَعَ
 مَا ضُرَّ أَوْ مَا نَفَعَ ، وَفَارَقَ الْمَكَانَ ، فَكَيْفَ مَا كَانَ . وَمِنْ كَلِمَاتِ الْمَمْلُوكِ
 الْبَعِيدَةِ عَنِ الشُّكُوكِ ، إِلَى أَنْ يَشَاءُ مَلِكُ الْمَمْلُوكِ :

خُذْ مِنْ زَمَانِكَ مَا تَيْسَّرُ وَاتْرِكْ بِجَهْدِكَ مَا تَعَسَّرُ
 وَلِرَبِّ مُجْمَلِ حَالَةٍ تُرْضَى بِهِ مَا لَمْ يُفَسَّرُ
 وَالْدَهْرُ لَيْسَ بِدَائِمٍ لِأَبَدٍ أَنْ سَيِّئُوهُ إِنْ سَرَّ

(١) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي النَّفْعِ وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (الْفِرَاقِ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْعِ (فَقَدَ) .

واكتُم حديثك جاهداً شَمَتَ المُحدِّثُ أو تحسَّرَ
والناس آنية الزُّججا ج إذا عَثَرَت به تكسَّرَ
لا تُعَدَم التقوى فمن عَدِمَ التُّقى في الناس أَعْسَرَ
وإذا امرؤُ خَسِرَ الإلَه فليس خلقٌ منه أَخْسَرَ

وإنَّ لله في رَعِيكَ لسراً ، ولُطْفاً مستمرا مستقرا (١) ، إذ ألقاك، [بسر
الرَّوع] (٢) إلى الساحل ، وأخذ بيدك من ورطة الواحل ، وحرك منك
عزيمة الرَّاحل ، إلى المَلِكِ الحَلاحل ، فإذا لك من إبراهيميك سَمِيًّا ،
وعرَّفك بعد الولي وسميا ، ونقلك من عناية إلى عناية ، وهو الذي يقول
وقوله الحقُّ ، ما ننسخ من آية ، الآية . وقد وصل كتاب سيدي يَحْمَدُ
والحمد لله العواقب ، ويَصِفُ المراقى التي حلَّها والمراقب ، وينشر المفاخر
الحَفْصِيَّةَ والمناقب ، ويذكر ما هَيَّأه اللهُ لديها من إقبال ، ورخاء بال ،
وخصيصي اشتمال ونُشور (٣) آمال ، وأنه اغتبط وارتبط ، وألقى العصا
بعد ما خَبَط . ومثل تلك الخلافة العَلِيَّة من تزن الذوات ، المخصوصة
من الله بشريف (٤) الأدوات ، بميزان تَمَيِّزها ، وتفرِّق بين شبه المعادن
وإبريزها ، وشبه الشيء مثل معروف . ولقد أخطأ من قال الناس ظروف ،
إنما هم شَجَرَات مَرَبِع (٥) في بُقعة ما حِلَّة ، وإبل مائة لا تجد فيها راحلة ،
وما هو إلا اتفاق ، ونجح لِلْمَلِكِ وإخفاق (٦) ، وقلما كذب إجماع
وإصفاق ، والجلس الصالح لربِّ السِّياسة أمل مطلوب ، وحظُّ إليه

(١) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال . وساقطة في النفع .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (ونشوة) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بتشريف) .

(٥) هكذا وردت في النفع . وفي الإسكوريال (ربيع) .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفع (إحقاق) .

مجلوب . وإن سُئِلَ أَطْرَفَ ، وَعَمَرَ الْوَقْتَ بِبِضَاعَةِ أَشْرَفَ . وَسَرَقَ الطُّبَاعَ
 وَمَدَّ فِي الْحَسَنَاتِ الْبَاعَ ، وَسَأَى فِي الْخَطُوبِ ، وَأَضْحَكَ فِي الْيَوْمِ الْقَطُوبِ ،
 وَهَدَى إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَزَرَعَ لَهُ الْمَوَدَّةَ فِي
 قُلُوبِ الْخَلْقِ ، زَادَ اللَّهُ سَيْدِي لَدَيْهَا قُرْبًا أَثِيرًا ، وَجَعَلَ فِيهِ لِلْجَمِيعِ خَيْرًا
 كَثِيرًا ، بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ . وَلِعَلَّمَنِي بِأَنَّهُ أَبْقَاهُ اللَّهُ يَقْبَلُ نُصْحِي . وَلَا يَرْتَابُ
 فِي صَدَقِ صُبْحِي ، أَغْبَطَهُ بِمَثْوَاهِ ، وَأَنْشَدَهُ مَا حَضَرَ مِنَ الْبِدِيهِةِ فِي مَسَارَةِ
 هُدَاهِ وَنَجْوَاهِ :

بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عُدُّ وَاصْرَفَ لَهُ فِكْرًا تَوَرَّقَ عَنْ بَوَاعِثِ تَعْتَرِي (١)
 فَجَوَارِهِ حُرْمٌ وَأَنْتَ حِمَامَةٌ وَرِقَاءَ وَالْأَغْصَانَ عَوْدُ الْمَنْبَرِ
 فَلَقَدْ أَمِنْتَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ وَهُوَ الْمُرُوعُ لِلْمُسِيءِ وَاللِّبْرِ

وَأَنْ تَشَوَّفَ سَيْدِي لِلْحَالِ (٢) ، فَلَعَمْرُ وَلِيَّهِ ، لَوْ كَانَ الْمَطْلُوبُ دُنْيَا ،
 لَوَجِبَ وَقُوعُ الْاجْتِنَاءِ ، وَلَا غَتَبَطُ بِمَا تَحْصُلُ فِي هَذِهِ الْجُزُورِ ، الْمَبِيعَةَ فِي
 حَانُوتِ الزُّورِ ، مِنَ السُّهَامِ الْوَافِرَةِ الْأَجْزَاءِ ، فَالْسلْطَانِ رِعَاةِ اللَّهِ ، يُوْجِبُ
 مَا فَوْقَ مَزِيَّةِ التَّعْلِيمِ ، وَالْوَلَدُ هَدَاهُمْ اللَّهُ ، قَدْ أَخَذُوا بِخَطِّ قَلِّ (٣) أَنْ يَنْالُوهُ
 بِغَيْرِ هَذَا الْإِقْلِيمِ ، وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، تُعَامَلُ بِحَسَبِ مَا بَلَّتَهُ مِنْ نُصْحِ
 سَلِيمٍ ، وَتَرْكٍ لَمَّا بِالْأَيْدِي وَتَسْلِيمٍ ، وَتَدْبِيرٍ عَادَ عَلَى عَدُوِّهِمْ (٤) بِالْعَذَابِ
 الْأَلِيمِ ، إِلَّا مِنْ أَبَدِي السَّلَامَةِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْطَانِ الْحَسَدِ بِحَالِ السَّلِيمِ ،
 وَلَا يُنْكَرُ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا فِي الْقَدِيمِ . لَكِنَّ النَّفْسَ مَنْصَرِفَةً عَنْ هَذَا
 الْغَرَضِ ، وَنَافِضَةً يَدَهَا مِنَ الْعَرَضِ ، قَدْ فَوَّتَتْ الْحَاصِلَ ، وَوَصَلَتْ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (تَنْبَرِي) .

(٢) وَارْدَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَسَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ .

(٣) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (قَبْلُ) وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ (عَدَدَهَا) .

في الله القاضع ، وقطعت الواصل ، [وصدقت لما نصح الفود الناصل] (١)
وتأهبت للقاء الحمام الواصل ، وقلت :

أنظر خضاب الشباب قد نصلا وزائر الأنس بـمده انفصلا
وطلبي والذي كلفتُ به حاولتُ تحصيله فما حصلا
لا أمل مُسَعِفٌ ولا عمل نحن في ذا الموت قد وصلا

والوقت إلى الإمداد منكم بالدعاء في الأصايل والأسحار ، إلى مقيل
شديد الافتقار ، والله عز وجل يصل لسيدى رعى جوانبه ، ويتولى
تيسير آماله ، من فضله العميم ، ومآربه ، واقرا عليه من التحيات ،
المُحمَّلة من فوق رحال (٢) الأريحيات أزكاها ، ما أوجع البرق الغمام
فأبكاها ، وحسد الروض حمال النجوم الزواهر ، فقاسها بميسم (٣) لأزاهر
وحكاها ، واضطبن (٤) هرم الليل ، عند الميل ، عصا الجوزاء وتوكتها ،
ورحمة الله تعالى وبركاته ...

وخاطبت الفقيه الرئيس أبا زيد بن خلدون لما ارتحل من
بحر ألمرية ، واستقر ببسكرة عند الرئيس بها أبي العباس
ابن مُزني صحبة رسالة خطبها أخوه أبو زكريا ، وقد تقلد
كتابة الإنشاء لصاحب تلمسان ، ووصل الكتب عنه من إنشائه

بنفسي وما نفسي على بهينة فيُنزِلني عنها المكاس بأثمان
حبيبُ نأى عني وصمُّ لأنتي وراش سهام البين عمداً فأصماني

(١) هذه العبارة واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٢) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٣) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (بمياسم) .

(٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (واضطير) والأول أرجح .

وقد كان همُّ الشَّيبِ لا كان كافياً
 شرعتُ له من دمعِ عيني مورداً
 وأزَعَيْتُهُ من حسنِ عهدي حَمِيمِهِ
 حَلَفْتُ على ما عنده لي من رَضَى
 وإني على ما نالني منه من قَلِي
 سألتُ جنوني فيه تقريبَ عرشه
 إذا ما دعا داع من القوم باسمه
 وتالله (١) ما أصغيتُ فيه لعاذِلٍ
 ولا استَشَعرتُ نفسي برحمة عابِدٍ
 ولا شعرتُ من قبله بتشوقٍ
 أما الشُّوقُ فمحدثٌ عنه ولا حَرَجَ ، وأما الصبرُ فاسألُ به أيةَ دَرَجٍ ، بعد أن
 تجاوز المدي والمنعرج ، لكنَّ الشُّدةَ تعشقُ الفَرَجَ ، والمؤمنُ ينشِقُ من روحِ الله
 الأرج ، وإني بالصَّبرِ على أبرِّ الدُّبُرِ ، لا بل الضربِ الهَبْرِ ، ومطاولَةِ
 اليوم والشَّهرِ ، تحتِ حكمِ القَهْرِ ، وهل لِلعَيْنِ أن تسلو سُلُوَ المُقَصِّرِ
 عن إنسانها المُبْصِرِ ، أو تذهلُ ذهولَ الزَّاهدِ عن سرِّها الرَّاثِي والمُشاهدِ ،
 وفي الجسدِ بَضْعَةٌ يصلحُ إذا صلُحت ، فكيف حاله إذا رَحَلت عنه
 ونزَحت ، وإذا كان الفراقُ هو الحِمامِ الأولِ ، فعلامِ المَعُولِ . أَعْيَتْ
 مُراوِضَةُ الفراقِ على الرِّاقِ ، وكادت لوعةُ الاشْتِياقِ أن تُفضِي إلى السِّباقِ .

تركتموني بعد تشييعكم أوسيع أمر الصبر عصبانا

أقرع سني ندما تسارة واستميع الدمع أحياناً

وربما تعللت بغشيان المعاهد الخالية ، وجددت رسوم الأسي بمباكرة
 الرسوم البالية ، أسلُّ نون النوى ، عن أهليه ، وميم الموقد المهجور عن

(١) هكذا وردت في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (رواه) .

مُضْطَلِّيه ، وثاء الأثافي المثلثة عن منازل الموحدين ، وأحار بين تلك الأطلال حيرة المُلحدين ، لقد ضللتُ إذا وما أنا من المُهتدين . كَلِفْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ ، بسالٍ عن جفوني المورقة ، ونايم عن هُمومي المتجمعة (١) المتفرقة ، ظَنَنْ عن ملال ، لا مُتَبَرِّمًا مِنِّي بِشَرِّ خِلَال ، وكَدَّر الوصل بعد صفائه ، وضرَّج النُصل بعد عهد وفائه .

أقلُّ اشتياقا أيها القلب ربما (٢) رأيتك تصنفي الودَّ من ليس جازيا
 فها أنا أبكي عليه بدم أساله ، [وأنهل فيه أسي له ، وأعلل بذكراه
 قلباً صدعه] (٣) وأودعه من الوجد ما أودعه ، لما خدعه ، ثم قلاه وودعه ،
 وأنشيق رياه أنف ارتياح قد جدعه ، واستعديه (٤) على ظلم ابتدعه .
 خليلي هل أبصرتما أو سمعتما (٥) قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي
 فلولا عسى الرجاء ولعله ، لا بل شفاعة المحل الذي حلَّه [لمزجت الحنين
 بالعتب] (٦) ، وبثت كتابه كمناء في شعاب الكتب ، تهز من الألفات
 رماحا خزر (٧) الأسنة ، وتوثر من النونات أمثال القسي المرنة ، وتقود
 [من مجموع الطرس والنفس] (٨) بلقا تردى في الأعنة . ولكنه آوى

- (١) هكذا وردت في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (المجتمعة) .
 (٢) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (إنما) .
 (٣) هكذا ورد ما بين الخاصرتين في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف كالاتي (واندب
 في ربيع الفراق آسى له ، وأشكو إليه حال قلب صدعه) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (واستعدى به) .
 (٥) هكذا وردت هذه الشطرة في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف كالاتي (خليل فيما
 عشما هل أبصرتما) .
 (٦) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . ووردت في التعريف كالاتي
 (لنشرت ألوية العتب) .
 (٧) هكذا في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (حذر) .
 (٨) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والتعريف . وفي النفع (من بياض الطرس
 وسواد النفس) .

إلى الحرم الأمين ، وتفياً ظلال الجوار ، المؤمن من معرة الغوار ، عن
الشمال واليمين ، حرم الخلال (١) المزنية ، والظلال اليزنية ، والهمم
السنية ، والشيم التي لا ترضى بالدون ولا بالدنية ، حيث الرغد المنوح ،
والطير الميامن يُزجر لها السنوح ، والمشوى الذي إليه ، مهما تقارع الكرام
على الضيفان ، حول جواي الجفان المبل (٢) والجنوح .

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح همودا
ومن حل بتلك المثابة ، فقد اطمأن جنبه ، وتغمد بالعفو ذنبه . والله در القائل
فوحقه لقد انتدبت لوصفه بالبخل لولا أن حصاً داره
بلد متى أذكره تهتج لوعتي وإذا قدحت الزند طار شراره
اللهم غفراً [لا كُفراً] (٣) وأين قرارة النخيل من مشوى الأقف
البخيل ، ومكذبة المخيل ، وأين ثانية هجر من متبولاً من الأحد وفجر

من أنكر غيثاً منشؤه	في الأرض فليس بمخلفها (٤)
فبنان بنى مزني مزن	تنهل بلطف مُصرفها
مزق مذ حل ببسكرة	يوما نطقت بمصحفها
شكرت حتى بعبارتها	وبمعناها وبأحرفها
ضحكت بأبي العباس من	الأيام ثنايا زخرفها
وتنكرت الدنيا حتى	عرفت منه بمعرفها

بل نقول يا محل الولد ، لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد ،
لقد حل بينك عرى الجلد ، ونخلد الشوق بعدك يابن خلدون في الصميم

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي التعريف (الخلال) .

(٢) واردة في التعريف والنفح . وساقطة في الإسكوريال .

(٣) واردة في النفح وساقطة في الإسكوريال والتعريف .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي الصريف (ينوء بمخلفها) .

من الخلد . فحيا الله زمنا هُفِيَّتْ برقي قُرْبِكَ زمانعه ، واجتليت في صدف
مجدك جمانته ، [ويا مَنْ لمشوقٍ لم قُفِض من طول] (١) خُلَّتِكَ لُهانته ،
وأهلا بروض أظلت أشتات معارفك بانته ، فحمائمه بعدك تَنْدُب ،
فيساعدها الجُنْدُبُ ، ونواسمه ترق فتتغاشي ، وهشياته تتخافت وتتلاشي ،
[ومُزْنه باك] (٢) وأذواحه [في ارقباك ، وحمائمه] (٣) في مأتَم ذى
اشتباك ، كأن لم تكن قمر هالات لُبابه ، ولم يكن أنسك شارع بابيه ،
إلى صَفْوَة الظرف ولُبابه ، ولم يسبح إنسان عينك في ماء شبابه . فلهفى
عليك من دُرَّة اختلستها يدُ النوى ، ومَظَل برَدُّها الدهر ولوى ، ونَعَق
الغراب ببيئها في ربوع الجوى (٤) ، ونطق بالزجر (٥) فما نطق عن الهوى . وبأى
شيء يُعْتاض منك أيتها الرياض ، بعد أن طما نهرُك الفياض ، وفهقت
الحياض . ولا كان الشانيء المَشْنُوء ، والجرب المَهْنُوء ، من قطع ليل
أغار على الصبح فاحتمل ، وشارك في الذم الناقة والعجل ، واستأثر جنحه
ببدر النادى لما كمل . نشر الشراع فراح ، وأعمل (٦) الإسراع ، كأنما
هو تمساح النيل ، ضايق الأحباب في البرهة ، واختطف لهم من الشط نزهة
العين وعين النزهة . ولجج بها والعيون تنظر ، والغمر عن الاتباع يحظر ،
فلم يقدر إلا على الأسف ، والأتماح (٧) الأثر المنتسف ، والرجوع بملىء

(١) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفح . ومكانها في التعريف (وقضيت
في مرعى) .

(٢) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح وساقطة في التعريف .

(٣) هذه الكلمات واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والنفح .

(٤) هكذا في النفح . وفي التعريف والإسكوريال (الهدى) . والأولى أرجح ، حسبما يبدو
من الجملة التالية .

(٥) هكذا في التعريف والإسكوريال . وفي النفح (وبالترخرف) .

(٦) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي التعريف (وواصل) .

(٧) هذه الكلمة واردة في التعريف وساقطة في الإسكوريال والنفح .

العَيْبَةُ مِنَ الْخَيْبَةِ ، وَوَقَرِ الْجَسْرَةَ مِنَ الْحَسْرَةِ . إِنَّمَا نَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْبِئْسَ
وَالْحَزْنَ ، وَنَسْتَمَطِرُ مِنْ عَبْرَاتِنَا الْمُزْنَ ، وَبَسَيْفِ الرَّجَاءِ نَصُولُ ، إِذَا
أَشْرَعْتَ لِلْيَأْسِ أَسِنَّةً^(١) وَنَصُولُ :

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحَطَ مِنْ دَارِهِ الْحَزْنَ مِنْ دَارِهِ صَوْلُ
فَإِنْ كَانَ كَلِمُ الْفِرَاقِ رَغِيْبًا ، لَمَّا نَوَيْتَ مَغِيْبًا ، وَجَلَلْتَ الْوَقْتَ الْهَنِيْ
تَشْغِيْبًا ، فَلَعَلَّ الْمَلْتَقَى يَكُونُ قَرِيْبًا ، وَحَدِيثُهُ يَرُودُ صَحِيْحًا غَرِيْبًا . إِيْهِ
[شُقَّةُ النَّفْسِ] (٢) كَيْفَ حَالُ تِلْكَ الشَّمَائِلِ الْمُزْهَرَةِ الْخَمَائِلِ ، وَالشُّيْمِ
الْهَامِيَةِ الدُّيْمِ ، هَلْ يَمُرُّ بِبَالِهَا مِنْ رَاعَتْ بِالْبَعْدِ بِأَلِهَ ؟ وَأَخْمَدْتَ بِعَاصِفِ
الْبَيْنِ ذُبَالِهَ ، أَوْ تَرْتِي لَشْتُونَ شَأْنَهَا سَكْبٌ لَا يَفْتَرُ ، وَشَوْقٌ يَبْتَ حِبَالِ^(٣)
الصَّبْرِ وَيَبْتُرُ ، وَضَنْيٌ تَقْصِرُ عَنْ حُلَلِهِ الْفَاقِعَةُ صَنْعَاءُ وَتَسْتُرُ ، وَالْأَمْرُ
أَعْظَمُ وَاللَّهُ يَسْتُرُ . وَمَا الَّذِي يُضْيِرُّكَ ، صَمِينٌ مِنْ لَفْحِ السَّمُومِ نَضِيرُّكَ ،
بَعْدَ أَنْ أَضْرَمْتَ وَأَشْعَلْتَ وَأَوْقَدْتَ وَجَعَلْتَ ، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ ،
أَنْ تَتَرَفَّقَ بِذِمَائِهِ ، أَوْ تَرُدَّ بِنُغْبَةِ مَائِهِ أَرْمَاقَ ظِمَائِهِ ، وَتَتَعَاهَدَ الْمَعَاهِدَ بِتَحِيَّةِ
يُشْمٌ عَلَيْهَا شَذَا أَنْفَاسِكَ ، أَوْ تَنْظُرَ إِلَيْنَا عَلَى الْبَعْدِ بِمَقْلَةٍ حَوْرَاءٍ مِنْ بِيَاضِ
قِرْطَاسِكَ ، وَسَوَادِ أَنْفَاسِكَ ، فَرَبْمَاقِنِعَتِ الْأَنْفُسُ الْمَحْبَةَ بِخِيَالِ زُورٍ ، وَتَعَلَّلْتَ
بِنُوَالٍ مَنزُورٍ ، وَرَضِيْتِ لِمَا لَمْ تَصِدِّ الْعَنْقَاءَ بِزُرْزُورٍ .

يَا مَنْ تَرَحَّلَ وَالرِّيَّاحَ^(٤) لِأَجْلِهِ يُشْتَاقُ إِنْ هَبَّتْ شَذَا رِيَّاهَا
تَحْيِي النَّفُوسَ إِذَا بَعَثَتْ تَحِيَّةً فَإِذَا عَزَمْتَ اقْرَأْ « وَمِنْ أَحْيَاهَا »
وَلِئِنْ أَحْيَيْتَ بِهَا فِيمَا سَلَفَ نَفُوسًا تَفْدِيكَ ، وَاللَّهُ إِلَى الْخَيْرِ يُهْدِيكَ ،

(١) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَارِدَةٌ فِي التَّعْرِيفِ . وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ

(٢) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ وَالنَّفْحِ . وَفِي التَّعْرِيفِ مَكَانَهَا (أَيُّهُ سَيْدِي) .

(٣) هَذِهِ فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي النَّفْحِ (جَلَالٌ) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَّالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي النَّفْحِ (وَالنَّسِيمُ) .

فنهن نقول معشر مُوديك^(١) ، لئن ولا تجعلها بيضة الدُّيك ، وهذراً
فلئن لم أجتري؛ على خطابك بالفقر الفقيرة ، وأدلتُ لدى حُجراتك برفع
العقيرة ، عن نشاط بعثت مرسومه ، ولا اغتباط بالأدب تُغرى بسياسته^(٢)
سوسه ، وانبساط أوحى إلى على الفترة ناموسه ، وإنما هو اتفاق جرته نفثة
المصدر ، وهنائه الجرب المجدور [وخارق لا]^(٣) مُخارق ، فثمّ قياس
فارق ، أو لحن غنى به بعد البعد^(٤) مخارق . والذي [هيا هذا القدر]^(٥)
وسببه ، وسوغ^(٦) منه المكروه وحبه ، ما اقتضاه الصنو يحيى مد الله
حياته ، وحرّس من الحوادث ذاته - من خطاب ارتشف به هذه القريحة
بالآلتها ، بعد أن رضى علالتها ، ورشح إلى الصهر الحضرمي سلالتها ،
فلم يسع إلا إسعافه ، بما أعافه ، فأملت مُجيباً ، مالا يُعد في يوم الرهان
نجيباً ، وأسمعت وجيباً ، لما ساجلت هذه الترهات سحراً عجيباً ، حتى
إذا أليف القلم العريان سبّحه ، وجمع برذون الغزارة فلم أطق كنبه ،
لم أفق من غمرة غلوه ، وموقف متلود ، إلا وقد تحيز ليفثتك ، مغتراً بل
معتراً ، واستقبلها ضاحكاً مُفتراً ، وهش لها برّاً ، وإن كان لونه^(٧) من
الوجّل^(٨) مُصْفراً . وليس بأول من هجر ، في التماس الوصل ممن هجر ،
أو بعث التمر إلى هجر ، وأى نسب بينى اليوم وبين زخرف الكلام ، وإجالة

(١) هكذا في الإسكوريال والتعريف وفي النفع (مرديدك) .

(٢) هكذا في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (بياسته) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (وأن تعلل به) .

(٤) هكذا في التعريف . وفي الإسكوريال والنفع (الملمات) والأولى أرجح .

(٥) هذه العبارة زائدة في التعريف .

(٦) هكذا وردت في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (سهل) .

(٧) هكذا في التعريف والنفع . وفي الإسكوريال (كونه) .

(٨) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي التعريف (الخجل) .

جِيَادُ الْأَقْلَامِ ، فِي مَحَاوِرَةِ الْأَعْلَامِ ، بَعْدَ أَنْ حَالَ الْجَرِيضُ دُونَ الْقَرِيضِ ،
 وَشُغِلَ الْمَرِيضُ عَنِ التَّعْرِيفِ ، وَاسْتَوْلَى (١) الْكَسَلُ ، وَنَسَلَتْ (٢) الشُّعْرَاتُ
 الْبَيْضُ ، كَأَنَّهَا الْأَسَلُ ، تَرُوعُ بِرُقْطِ (٣) الْحَيَاتِ ، سَرِبَ انْحِيَاةً ، وَتَطْرُقُ
 بَدَوَاتُ الْغُرَرِ وَالشُّبَاتِ عِنْدَ الْبِيَاتِ . وَالشُّيْبُ الْمَوْتِ الْعَاجِلِ ، وَإِذَا أَبْيَضَ
 زَرْعٌ صَبَّحَتْهُ الْمَنَاجِلُ ، وَالْمُعْتَبِرُ الْآجِلُ . وَإِذَا اشْتَغَلَ الشَّيْخُ بِغَيْرِ مَعَادِهِ ،
 حُكِمَ فِي الظَّاهِرِ بِإِبْعَادِهِ ، وَأَسْرَهُ فِي مَلَكَةِ عَادِهِ ، فَأَغْضُ أَبْقَاكَ اللَّهُ وَاسْمَحْ ،
 لِمَنْ قَصَرَ عَنِ الْمَطْعِ ، وَبِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةَ فَأَمَّحْ ، وَاغْتَنِمْ لِبَاسِ ثَوْبِ الثَّوَابِ ،
 وَاشْفِ بَعْضَ الْجَوَى بِالْجَوَابِ ، تَوْلَاكَ اللَّهُ فِيهَا اسْتَضَفْتِ وَمَلَكَتِ ، وَلَا
 بُعِدَتْ وَلَا هَلَكْتَ ، وَكَانَ لَكَ آيَةٌ سَلَكَتِ ، وَوَسَمَكَ مِنَ السَّعَادَةِ بِأَوْضَحِ
 السَّمَاتِ ، وَأَتَاكَ لِقَاءُكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ . وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ يَعْتَمِدُ جَلَالَ (٤)
 وَلَدِي ، وَسَاكِنُ خَلْدِي ، بَلْ أَخِي ، وَإِنْ اتَّقَيْتَ عَثْبَهُ وَسَيْدِي ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ
 وَبَرَكَاتِهِ . [مِنْ مَعْجَمِ الْمُشْتَقِ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ ، فِي
 الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الثَّانِي ، مِنْ عَامِ سَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ] (٥) .

وَخَاطَبْتُ الْفَقِيهَ أَبَا زَكْرِيَا بْنَ خَلْدُونَ ، لَمَّا وُلِّيَ الْكِتَابَةَ عَنِ السُّلْطَانِ
 أَبِي حَمُو مَوْسَى بْنِ زِيَّانَ ، وَاقْتَرَنَ بِذَلِكَ نَصْرًا وَصُنْعًا غَبَطْتُهُ بِهِ ، وَقَصَدْتُ
 بِذَلِكَ تَنْفِيْقَهُ وَإِنْهَاصَهُ لَدِيهِ :

تَخَصُّصُ الْحَبِيبِ ، الَّذِي هُوَ فِي الْاسْتِظْهَارِ بِهِ أَخٌ ، وَفِي الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ
 وَلَدٌ ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي مَا بَعْدَ قُرْبٍ مِثْلَهُ أَمَلٌ ، وَلَا عَلَى بُعْدِهِ جَلْدٌ ، وَالْفَاضِلُ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْحِ . وَفِي التَّعْرِيفِ (وَغَلَبَ حَتَّى) .

(٢) هَكَذَا فِي التَّعْرِيفِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَوْرِيَالِ (وَنَصَلَتْ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالتَّعْرِيفِ . وَفِي النَّفْحِ (بِمِرْطِ) .

(٤) هَكَذَا فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْحِ ، وَفِي التَّعْرِيفِ (حَلَالٌ) .

(٥) الْفَقْرَةُ الَّتِي بَيْنَ الْخَاصِرَتَيْنِ وَارْدَةٌ فِي التَّعْرِيفِ ، وَسَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَوْرِيَالِ وَالنَّفْحِ .

الذى لا يخالف في فضله ما كنَّ ولا بَلَد، أبقاه الله ، وفاز فوزه ، وعصمته لها من توفيق الله سبحانه (١) عَمَد ، ومورد سعادته ، المسوخ لعادته ، [لا غُور ولا نَمَد] (٢) ومدى إمداده من خزائن إلهام الله وسداده ، ليس له أمد ، وحمى فرح قلبه ، بمواهب من ربه [أن يطرقه كمد] (٣) تحية محلّه من صميم قلبه بمحلّه ، المنشىء رواق الشفقة ، مرفوعاً بعمد المحبة والميقة ، فوق ظعنه وحلّه ، مؤثره ومجلّه ، المعتنى بدين أمره وحلّه ، ابن الخطيب . من الحضرة الجهادية غرناطة ، صان الله حلّالها ، ووفى هجير هجر الغيوم ظلّالها ، وعمّر بأسود الله أغيالها ، كما أغرى بمن كفر بالله صيالها . ولا زائد إلا ممن من الله تصوب ، وقوة يُستردُّ بها المغصوب ، ويُخفّض الصليب المنصوب . والحمد لله الذى بخمده يُنال المطلوب ، وبذكره تطمئن القلوب . ومودتكم المودة التى غدتها ثدى الخلوص بلبانها ، وأحلتها حلائل المحافظة بين أعينها وأجفانها ، ومهدت موات إخوانها الكبرى أساس بُنيانها ، واستحقت ميراثها مع استصحاب حال الحياة إن شاء الله ، واتصال أزمانها ، واقتضاء عهود الأيام بيمنها وأمانها . والله دَرُّ القائل :

فإن لم يكنها أو تكنه فإنّه أخوها غدته أمه (٤) بلبانها

وصل الله ذلك من أجله وفي ذاته ، وجعله وسيلة إلى مرضاته ، وقربة تنفع عند اعتبار ما رُوعى من سنن الجبار ومفترضاته . وقد وصل كتابكم

(١) هذه الكلمة زائدة في النسخ .

(٢) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . وفي الإسكوريال (عمر لا نمد) .

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في النسخ . وفي الإسكوريال (لا يطوره كد) .

(٤) وردت في الإسكوريال (أمها) . والتصويب من النسخ .

الذى فاتح بالريحان والروح ، وحل من مرسوم الحياة^(١) محل البسمة من اللوح ، وأذن لنوافح الشناء بالبوح ، يشهد عدله بأن البيان يا آل خلدون ، سكن من مثواكم دار خلود ، وقدح زندا غير صلود ، واستأثر من محابركم السيالة ، وقضب أقلامكم الميالة الميالة ، بأب منجب وأم ولود ، يقفو شانيه غير المشنو ، وفصيله غير الجرب ولا المهنو ، من الخطاب السلطاني ، سفينة منوح ، إن لم نقل سفينة نوح . ما شيت من آمال أزواج ، وزمر من الفضل وأفواج ، وأمواج كرم تطفو فوق أمواج ، وفنون بشائر ، وأهطاع قبائل وعشائر . وضرب للمسرات أعياء السامر . فله هو^(٢) من قلم راعي نسب القنا ، فوصل الرحم ، وأنجد الوشيح الملتحم ، وساق بعصاه من البيان الذود المزدحم . وأخاف من شد عن الطاعة مع الاستطاعة ، فقال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، ولو لم يوجب الحق برقه ورعده ، ووعيته ووعده ، لأوجبته بمنه وسعده . فلقد ظهرت مخايل نجهه ، علاوة على نصحه ، ووضحت محاسن صبحه ، في وحشة الموقف الصعب وقبحه ، وصل الله له عوايد منحه ، وجعله إقليدا كلما استقبل باب أمل وكله الله بفتحته . أما ما قرره ولاؤكم من حب زكا عن^(٣) حبة القلب حبه ، وأنبتته النبات الحسن ربه ، وساعده من الغمام سكبته ، ومن النسيم اللدن مهبه ، فرسم ثبت عند المولى نظيره ، من غير معارض يضيره ، وربما أربي بتذليل مزيد ، وشهادة ثابت ويزيد . ولم لا يكون ذلك ، وللقلب على القلب شاهد ، وكونها أجنادا مجندة ، لا

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (الولاء)

(٢) زائدة في النسخ .

(٣) هكذا في الإسكوريال وفي النسخ (عل)

يحتاج تقريره إلى ما هِد ، أو جُهْد جاهد . وموَدَّة الأخوة سبيلها لا حِب ،
 ودليلها للدَّعوى (١) الصادقة مُصاحب ، إلى ما سبق من فضل ولقاء ، ومُصاقبة (٢)
 سِقَاء ، واعتقاد لا يُراع سربُه بذيب انتقاد ، واجتلاء شهاب وقاد ،
 لا يُحوج إلى إيقاد . إنما عاق عن مواصلة ذلك نوى شطُّ منها الشطن ،
 وتشذيب لم يتَّعِن معه الوطن . فلما تَعَيَّن ، وكاد صبح الحق أن يتَّيَّن ،
 عاد الوَمِيض دَيْجُورا ، والثماد (٣) بَحْرًا مَسْجُورا ، إلى أن أعلق الله منكم
 اليد بالسَّبب الوثيق ، وأحلكم بَمَنْجى نيق ، لا يخاف من مَنْجنيق ، وجعل
 يراعكم لسعادة موسى ، معجزة تأتي على الخبر بالعيان ، فتخرُّ لُثْبَانها سَحْرَةُ
 البيان .

أيحي سقى حيث لَحَّت الحيا	فنعم الشُّعاب ونعم الرُّكون
وحبياً يراعك من آيِسَةٍ	فقد حرَّك القومَ بعد السُّكون
دعوتَ لخدمة موسى عصاه	فجاءت تَلَقَف ما يَأفكون
فأذعن من يدعى السُّخر رَغماً	وأسلم من أجْلِها المُشركون
وساعدك السُّعد فيما أردت	فكان كما ينبغي أن يكون

فأنتم أولى الأصدقاء بصلة السَّبب ، ورعى الوسائل والقُرْب . أبقاكم
 الله وأبدي الغِبْطة بكم عالية ، وأحوال تلك (٤) الجهات [بَدْر ككم المهمات] (٥)
 حالية ، وديم المسرات من [أنعامكم المُدِرَّات] (٦) على معهود المبرَّات ،
 المُتوالية . وأما ما تَشوِّفتم إليه من حال وليكم ، فأملٌ مُتقلِّص الظل

(١) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (الدعوة) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفع (نظافة)

(٣) هكذا في النفع . وفي الإسكوريال (والمراد) والأولى أنسب للمعنى

(٤) هكذا في الإسكوريال ، وفي النفع (تلکم) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في النفع . ووردت محرفة في الإسكوريال كالآتي (بديكم المات)

(٦) هكذا وردت في النفع ، وفي الإسكوريال (أنعامكم المبرَّات) وهو تحريف

وارتقابُ لهجوم جيش الأجل المُطل ، ومقام على مُساورة الصل ، وعمل
يُكذب الدعوى ، وطُمأنينة تنتظر الغارة الشَّعواء . ويدُّ بالمدنُخور تفتح ،
وأخرى تَجهد وتمنع ، ومرضٌ يزور فيثقل ، وضعفٌ عن الواجب يَعْقِل .
إلا أن اللطائف تَسْتروح ، والقلب من باب الرجاء لا يَبْرَح . وربما ظفِر
اليائس (١) ، ولم تَضْطرد المقاييس ، تداركنا الله بعفوه ، وأوردنا من منهل
الرُضا والقَبول على صَفوه ، وأذن لهذا الخرق في رَفوه . وأما ما طلبتم من
انتِساخ ديوان ، وإعمال بنان في الإتحاف ببيان ، فتلك عهدٌ لدى مهجورة ،
ومعاهدٌ لا مُتعهدة ولا مزورة ، شغل عن ذلك خوُضٌ يعلو لجبهه ، وحِرْصٌ
يقضى من لَغَط المانح عَجْبُه ، وهولُ جهاد تساوى جمادياه ورجبُه ، ولولا
التماس أجر ، وتعلُّلٌ بربح تجر ، لقلت أهلاً بذات النُحيين . فلهن
شكَّت ، وبذلت المصون بسبب ما أمسكت ، فقلد ضحككت في الباطن
ضِعْف ما بَكَّت . ونستغفر الله من سوء انِححال ، وإيثار المِزاح بكلِّ حال .
وما الذي ينتظر مثلي ممن عَرَف المآخذ والمُتارك ، وجرب لما بلي المبارك ،
وخبر مساءة الدنيا الفارك . هذا أيها الحبيب ما وَسِعه الوقت الضيق ، وقد
ذَهَب الشَّبَاب الرِيْق . فليَسْمَح (٢) فيه معهودُ كمالك ، جعل الله مُطاوعة
آمالك ، مطاوعةً يمينك لشمالك ، ووطأً لك موطأً العزِّ ، بباب كلِّ مالك ،
وقرن النُجح بأعمالك [وحَفِظْكَ في نفسك وأهلك ومالك] (٣) والسلام .
من فلان .

• •

(١) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النسخ (البائس) .

(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . ووردت في النسخ (فليسمع) والأولى أرجح .

(٣) هذه الجملة واردة في النسخ وساقطة في الإسكوريال .

وكتبت إلى الأولاد وهم بالمنكب
صُحبة السلطان ، رضى الله عنه :

يا ساكنى مرفى الشَّوانى	شوقى من بعدكم شَّوانى
ولا هج الشُّوق قد هَوانى	من بعدكم فاقْتضى هَوانى
كأنه مالكا عِنانى	أنموذج من أبى عِنان
لقد كَفانى لقد كَفانى	باقى ذَمًا ذاهب كَفانى
منوا على الخَوف بالأمانى	فأنتم جُملة الأمانى

إلى أى كاهن أتنافر ، وفى أى ملعب أتجاول وأتظافر ، وبين يَدَى
أى حاكم أتظالم فلا أتغافر ، مع هذا الجبل ، الذى هو فى الشكل جَمَل ،
حفَّ به من الثَّعب هَمَل ، سَنامه التامك أجرد ، وذَنبُه الشَّابل كأنه جملٌ
يُطرد ، وعُنقه إلى مورد البحر يتعرَّج ويتعرَّد ، وكأنما البنية بأعلاه ،
خِدرٌ فاتِنه ، أو برق غمامة هاتِنه ، استأثر غير ما مرَّة بأنسى ، وصارت
عينُه الحميَّة مغرب شَمسى ، حتى كأن هذا الشكل من خِدرٍ وبَعير ، وإن
كان مَجاز مُستعير ، يتضمن شكوى البين ، ويُفرِّق بين المُحبين .

ما فرَّق الأحباب	بعد الله إلا الإبل
والناس يلمون غراب	البين لما جهل
وما على ظَهْر غراب	البين تُنضى الرُّحل
ولا إذا صاح غرابٌ	فى الدِّيار ارتحل
وما غراب البين	إلا ناقةٌ أو جمل

فأقسم لولا أن الله ذَكَر الإبل فى الكتاب الذى أنزل ، وأعظم الغاية
بها وأجزَل ، لسَلَّتُ عليه سلاح الدُّعاء ، وأغرِيت هجره نفوس الرُّعاء .
وقلت أرائى الله إكسارك من بَعير فوق سَعير ، ولا سمحت لك عقبه إلا ندر
والسَعير بَبُر ولا شَعير :

دعوت عليك لما عيل صبري وقلبي قائل يا رب لا .. لا
 نستغفر الله ، وأى ذنب لدى ذنب شائل ، وليث مايل بازاء لج هايل ،
 يتعاوره الوعد والوعيد ، فلا يُبدي ولا يُعيد ، وتمر الجهة والعيد ، فلا
 يستدبر ولا يتعيد . إنما الذنب لدهر يرى المجتمع فيغار ، ويشن منه على
 الشمل المغار ، ونفوس على هذا الغرض تُسانده وتعينه ليطش ساعده ،
 وتقاربه فيما يُريد فلا تباعده :

ولقد علمت فلا تكن متجنبا إن الفراق هو الحسام الأول
 حسب الأجابة أن يفرق بينهم صرف الزمان فما لنا نستعجل
 لكن المحب جنيب ، ولغرض المحبوب سليب .

ويحسن قبح الفعل إن جاء منكم كما طاب عرف العود وهو دخان
 وقد قنعت برسالة تبلغ الأنة ، وتدخل بعد ذلك الصراط الجنة ،
 وتغير لسانها عن شوق من دون عقله ، وتينظر عني ، من بياض طرسها ،
 وسواد نفسها بمقلة . وإن كان الجواب ، فهو الأجر والثواب ، ولم أر
 مثل شوق من نار تخدم بطرس يلقى على أوارها ، فيأمن عادية جوارها .
 لكنها نار الخليل ، ربما تمسكت من المعجزة بأثر ، وعشرت على آثاره
 مع من عثر . جمع الله من الشمل بكم ما انتثر ، وأنسى بالعين الأثر ،
 وحرس على الكل من مسوق وسابق ، وموحش ورايق ، سر القلوب ،
 ومناخ الجوى المجلوب ، ومثار الأمل المطلوب . ولا زالت العصمة
 تنسدل فوق مشواه قبابها ، والسعود تحمل في أمره العلي منانها . فالمحجوب
 إليه حبيب وان أساء ، وأوحش الصباح والمساء

إن كان ماساني مما يسركم فعذبوا فقد استعذبت تغذيبي
 والسلام عليكم ماخن مشوق ، وتاود لليراع في رياض الرقاع قضيب

مَشُوق ، ورحمة الله وبركاته .

وأجاب عن ذلك الفقيه أبو عبد الله بن زَمْرَك ، كاتب الدولة ،
والوَلَدَان عبد الله وعلى ، بما يستحسن في غرض الرسالة وأبياتها .

فراجعت الثلاثة بما نصه :

أَكْرَمَ بِهَا مِنْ بِنَاءِ بَانَ	أَرْسَخَ فِي الْفَخْرِ مِنْ أَبَانَ
أَجَبْنَا لِدَيْهَا الرُّضَا جَنَانَ	مِنَ الْمَعَانِي جَنَى جِنَانِي
أَوْ جِنَى لِلْأَكْفُفِ دَانَ	مَا لِلْمَبَارِّ بِهِ يَدَانَ
أَقْسَمَ بِالذِّكْرِ وَالْمِثَانِ	مَالِكٍ فِيمَا سَمِعْتُ ثَانِ
مُدَامَةَ بَرَّةِ الْأَوَانِ	تَشَطُّ لِلْقَوْلِ كُلِّ وَانِ
تَقُولُ أَوْضَاعُهَا لِلْغَوَانِ	بِالْعِلْمِ عَنِ زِينَةِ الْقَوَانِ
يَارِبُّ بَارِكْ لِمَنْ بَانَ	فِي الْفِكْرِ وَالْقَلْبِ وَالْبِنَانِ

هكذا هكذا ، وبعين الحسود القذا ، تُسْتَشَارُ الدُّرُّرُ الْكَامِنَةُ ، وَتُهَاجِ
الْقَرَابِيعَ النَّائِمَةَ ، فِي حِجْرِ الْغَفْلَةِ الْآمِنَةِ ، وَتُقْتَضَى الذِّيُونُ مِنَ الطَّبَاعِ الضَّامِنَةِ .

أَعْيَدَهَا بِالْخَمْسِ مِنْ وَلَايِدِ	قَدْ قُلِدْتُ بِنُحْبِ الْقَلَايِدِ
أَعْيَدَهَا بِالْخَمْسِ مِنْ حَبَابِيبِ	يُغَذِّينَ بِالْمَرَاضِعِ الْأَطَايِبِ
أَعْيَدَهَا بِالْخَمْسِ مِنْ وَجُوهِ	يَصُونُهَا اللَّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ

وَيَا مَاتِحِ قَلْبِ الْقُلُوبِ أَرْوَيْتَ ، وَصَدَقَ مَا نَوَيْتَ ، الْبَيْرُ بَيْرُكَ ،
ذُو حَفْرَتٍ وَذُو طَوَيْتٍ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ، وَلَوْ عَلِمْنَا السَّرَايِرَ ، لِأَعْدَدْنَا
لِهَذَا الْمَكِيلِ الْغَرَايِرَ ، وَلَوْ تَحَقَّقْنَا إِجَابَةَ السُّؤَالِ ، وَالنَّسِيحَ عَلَى هَذَا الْمَنُوالِ ،
لَفَسَحْنَا الظُّرُوفَ لِهَذَا النُّوالِ . سَاجَلْنَا الْغُيُوثَ فَشَحَحْنَا ، وَبَارَزْنَا اللَّيُوثَ
فَافْتَضَحْنَا ، وَصَلِينَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى السَّلَامَةِ بِمَا قَدَحْنَا ، لَا بَلِ التَّمَسُّنَا

نغبه ، فأقطعنا تنوراً ، واقتبسنا جذوةً فأقبسنا نوراً ، وما كان عطاء ربك
محظوراً .

مَلِكُ الثَّلَاثِ الْآنِسَاتِ حِنَانِي وَحَلَلَنْ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
هَذِي الْهَلَالُ وَتَلِكُ بِنْتُ الْمُشْتَرَى حُسْنًا وَهَذِي أُخْتُ غَصَنِ الْبَانِ (١)

متى كان أفق المنكب ، مَطْلَعًا لهذا الكوكب ، وأجمّة ذلك الساحل
المائل ، مُرْتَبِعًا لهذا الذمير الحلاجل ، ومورد الجمل البادي العر ، مغاصا لمثل
هذا الدر ، إلا أن يكون كنز هذا المرام ، المُسْتَدْعَى لِلْكَلْفِ وَالْغَرَامِ ،
من مُستودعات تلك الأهواء والأهرام ، دفنه الملك الغصاب ، بعد أن
قُدِّسَتْ الْأَنْصَابُ ، وَأَخْفِيَ الْأَثْرَ فَلَا يُصَابُ ، أو تكون الأنوار هنالك
تتجسّم ، والحظوظ تُعَيَّنُ وتقسّم ، والحقائق تحدُّ وترسم ، أو تتوالد
بتلك المغارات ، يُوسَنَانِيَا ورُوسِم . أنا ما ظننت بأن تُثور من أجمِ الأقلام
أسود ، وتعيث بالسويداوات من نتائج البراع والدواة لحاظٌ سود . من قال
في الإنسان عالمًا صغيرا ، فقد ظلمه ، كيف والله بالقلم علمه ، ورفع في
العوالم علمه ، لقد درت حلّمات تلك الاقلام من رسل غزير ، وما كان
فحلُّ تلك الاقلام زير ، ولا سلطان تلك الطباع المديدة الباع ليستظهر
بوزير . إنما هي مشاكي كمال أوقدها الله وأسرجها ، وملكات في القوة
رجحها مرجح القوة فأبرزها ، إلى العقل وأخرجها . وأخر بها أن تحطّ
بندري المدارك الإلهية رحالها ، وتترك إلى الواجب الحق مُحالها : فتمتجاوز
أوحالها ، مستنيرة بما أوحى لها . إِيهِ بِنِيَّةً ، أَقْسَمُ بِرَبِّ السَّنِيَّةِ ، وَقَاسِمُ

(١) هذان البيتان مطلع قصيدة تنسب إلى الخليفة هرون الرشيد، قالها في ثلاث من جواره .
وقد علق عليها فيما بعد الخليفة الأندلسي الأموي سليمان المستعين، الذي تولى خلافة قرطبة من سنة ٤٠٣ هـ
إلى سنة ٤٠٧ هـ ، بقصيدة . طلبها ؛

الحُظوة السنيّة ، لقد فزتُ من نجاتكم ، عند الأتماح إجابتم بالأمنية ،
 فما أبالي بعدها بالمنيّة . وقاهُ الله عين الكمال من كمال ، وصدان سُروجه
 من إهمال ، واكتنّفه بالمزيد من غير يمينٍ وشمال ، كما سوّغ الفقير
 مثلي إلى فقرها زكاة جمال لا زكاة جمال . ولعمري ، وما عمري على بهين ،
 ولا الحلف في مقطع الحقّ بمتعين ، لقد أحقّب منها إلى ثلاث كتائب ،
 قادها النصر جنائب ، ألفتها العصى ، ونوناتها القسي ، وغاياتها المرام
 القصي ، ورقومها الحلق ، وجيادها قدفشا فيها البلق ، بحيث لا استظهار
 للشيخ إلا بشعب سدر ، ولا افتراس إلا لمرقة قدر ، ودريد هذا الفن
 يُحمل في خدر .

سَلَّتْ عَلَى سِيوفها أَجفانُه فلقيتهن من المشيب بمغفر
 فلولاً تقدم العهد بالسلم ، لخيف من كلمها وقوع الكلم . أما
 إحداهن ذات القتام ، والدّاج بالإعتماد ، المستمدُّ سوادها الأعظم من مسك
 الختام ، فعللت فريضة نظامها بالزيادة ، وعلت يدها بمنشور السيادة ،
 ورسم شنشنتها المعروفة لأنخزم ، وجادها من الطبع السماك والمرزم ،
 وضمير أشجاعها المصفرة لزوم ما لا يلزم .

خدم اليراع بها فدبجها وسألت مجتهدا عن الغرض
 فعلمت أن الصلح مقصده لتزول بعض عداوة الربض
 وأما أختها التالية ، ولدتها الحافلة الحالية ، فنووم مكسال ، ريقها
 برود سلسال ، ومن دونها موارد ونسال ، وذيب عسال ، وإن عللت بنقص
 في النظم ، وقد أخذت من البدايع بالكظم ، وامتكته المعاني امتيكالك العظم .
 وأمّا الثالثة فكاعبُ حسنها بالعقول متلاعب ، بنت لبون ، لا لُهمة حرب
 زبون ، حياها الله وبيّاها ، فما أعطر رباها .

تَشِيمُ أرواح نجد من ثيابهم عند القُدوم لقُرب العَهْد بالدار
ولو قَصَّرت لتُغمد تقصيرُها ، وكُثر بالحق نصيرُها ، فكيف وقد
أجادت ، وصابت غمامتها وجادت . وقد شكَّرت على الجملة والتفصيل ،
وعرَّفت منة الباذل وجُهد الفَصِيل ، وطالعت مسایل البيان والتَّحصيل ،
وقابلت مُفضَّض الضُّحَا بمُذهَّب الأَصِيل . وأثَّرت يدي وكانت إلى تلك
الفقر فقيرة ، ونُبَّهت في عيني الدنيا وكانت حَقيرة ، ورجحت أن لا تَعْدَم
هذه الأسواق مُديرا ، ولا تَفقِد هذه الآفاق روضةً وغديراً . وسألت لجملتكم
المحُوطة للشَّمْل ، الملحوظة بعين السُّتر والحَمْل . عزاً أثيرا ، وخيرا
كثيرا ، وأمناً تحمدون منه فراشاً وثيرا (١) . وعُذراً أيها الأحباب ، والصَّفوَ
اللُّباب ، عن كَدْح سِنٍّ وكَبْرَة وفَلٍّ استرجاع وعِبرة ، استرقته ولجَّ
الشَّغْبُ ذو النظام ، والخلق فراش يُكبُّون مني على حطام ، ورُسل الفرنج
قد غشى المنازل مُنْثالها ، ونَبَحْتها بالعشيِّ أمثالها ، والمراجعات تشكو
اللَّيْث ، والجُباة تستشعر المكيدة والخَبِيْث .

ولو كان هماً واحداً لبكيته ولكنه هم وثانٍ وثالث
والله عزَّ وجلَّ يمتَّع بأنسكم من عَدِم الاستمتاع بسِواه ، وقَصَّر عليه
مُتَشَعِّب هواه ، ويُبقي بَرَكة المولى الذى هو قطب مدار هذه الأَقمار ،
والأَهْلَة لا بل مركز فلَك المَلَّة ، وسِجِلُّ حقوقها المستقلَّة ، والسلام عليكم
ما حنَّ النَّيْب إلى الفِصال ، وتعلَّلت أنفُس المُحِبِّين بذكران سِنَة
الوِصال ، وكَرَّت البُكْر على الآصال ، ورحمة الله وبركاته .

* * *

وكتبت إلى بعض الفضلاء ، وقد بلغنى مرضه أيام كا اللحاق
بالمغرب :

(١) وردت في الإسكوريال (أثيرا) والتصويب أرجح .

وردت علي من فثتى التى إليها فى مَعْرِكِ الدهر أتحيز ، وبفضل
 فضلها فى الأقدار المشتركة أتميز سحابة سرت وساءت ، وبلغت من
 القصدىن ما شاءت ، أطلع بها صنيعه وُدّه من شكواه على كل عابث فى
 السويدياء ، موجب اقتحام البيدياء ، مُضرم نار الشفقة فى فؤاد ، لم يبق
 من صبره إلا القليل ، ولا من إفصاح لسانه إلا الأنين والأليل ، ونوى
 مُدّت لغير ضرورة يرضاهما الخليل ، فلا تسَلْ عن ضنين تطرقت اليدُ
 إلى رأس ماله ، أو عابدٍ موزعٌ مُتَقَبَّلُ أعماله ، وأملٍ ضويق فى فذلكة
 آماله . لكنى رجحت دليل المفهوم على دليل المنطوق ، وعارضت القواعد
 الموحشة بالفروق ، ورأيت الخطَّ يبهر والحمد لله ويروق ، واللفظ الحسن
 ومَض فى جبرده للمعنى الأصيل بُروق . فقلت ارتفع الوصب ، ورد من
 الصّحة المُغتصب ، وكلة الحس والحركة هو العصب . وإذا أشرق
 سراج الإدراك ، حمّل على سلامة سليطه ، والروح خليط البدن ، والمرء
 بخليطه ، وعلى ذلك فبليد احتياطى لا يقنعه إلا الشرح ، فيه يسكن
 الظمأ البرح . وعذراً عن التكليف ، فهو محل الاستقصاء والاستفسار ،
 والإطناب والإكثار . وزند القلق فى مثلها أوزى ، والشفيق بسوء الظن
 مغرى . والسلام .

وخاطبت بعضهم : كتبت إلى سيدى ، والخجل قد صبغ وجهه يراعى ،
 وعقم ميلاد إنشائى واختراعى ، لمكارمه التى أعيت منه ذراعى ، وعجر
 فى خوض بحرهما سفينى وشراعى ، فلو كان فضله فناً محصوراً ، لكنت
 على الشكر معاناً منصوراً ، أو على غرضٍ مقصوراً ، لزارت أسداً هصوراً ،

ولم يكن فكري عن عقايل البيان حُصُوراً ، لكنه نجدُ تَأَلَّقَ بكل ثنِيَّة ،
ومكارمُ رَمَتْ عن كلِّ حَنِيَّة ، ومجد سبق إلى كل أُمْنِيَّة ، وأيادٍ ببلوغ
غايات الكمال مَعْنِيَّة . فَحَسْبِي الإِلْقَاءُ باليد لغلبة تلك الأيادي ، وإسلام
قيادي إلى ذلك المجد السِّيادي ، وإعفاء يراعي ومِدادِي ، فإذا كانت
الغاية لا تُدْرِك ، فالأولى أن يُلقى الكَدُّ ويُترك ، ولا يُعْرَج على الأدْعَاءِ ،
ويُصرف القول من باب الخَبَرِ إلى باب الدُّعَاءِ . وقد وصل كتاب سيدي
مُختصر الحجم ، جامعاً بين النّجم والنّجم ، قريبُ عهد من يَمِينِهِ بِمجاورة
المَطَرِ السَّجْمِ ، فقلت اللهم كَلِّفْ سيدي وأجزه ، ومدَّ يده بالضرِّ فاخزه .
ولله درُّ المثل ، أشبه امرؤ بعض بره كمالاً واختصاراً ، وريحان أنوفٍ
وإثمداً أجصاراً . أعلق بالأرعى الذي لا يُقرُّ بعد الدار من شيمته ، ولا يُقدح
اختلاف العروض والأقطار في ديمته . إنما نفسه الكريمة والله يقيها ، وإلى
معارج السعادة يُرقيها ، قانون يلحق أذني الفضائل بأقصاها ، وكتابٌ
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وإني وإن عجزت عما خصني من
عُمومها ، وأحسني من جُموحها ، لمخلدٌ ذكرٍ يبقى وتذهبُ اللها ، ويُعلَى
مباني المجد ، تُجاوز ذواها السُّها ، ويذيع بمخايل المُلك فما دُونها ، ممدوحٌ
يَهْوَى المِسْكَ أن يكونها ، وَيَقْطِفُ له الروض المَجُودُ غصونها ، وتُكجِلُ به
الحُورُ العَيْنُ عُيونها ، وتؤدى منه الأيام المتَهَرِّبة دِيُونَهَا . وإن تشوّف سيدي ،
بعد حمده وشكره ، واستنفاد الوُسْعِ في إطالة حَمْدِهِ ، وإطابة ذِكْرِهِ ، إلى
الحال ، ففلانٌ حفظه الله يشرح منها المُجْمَل ، ويبين من عواملها المَلْغِي
والمُعْمَل . وإما اعتناء سيدي بالوَلَدِ المُكْفَنِ بحرمة ، فليس ببِدْعٍ في
في بُعْدِ صِيَتِهِ ، وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ ، على من تمسك بأذمته ، وفضله أكبر من أن

يُقَيِّدُ بِقِصَّةٍ ، وَبَدْرُ كَمَالِهِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُعَدَّلَ بِوَسْطِ أَوْ حِصَّةٍ . وَاللَّهُ تَعَالَى
يَحْفَظُ مِنْهُ فِي الْوَلَاءِ وَلِيَّ الْقَبِيلَةِ ، وَوَلِيَّ الْمَكَارِمِ بِالْكَسْبِ وَالْعِجْلَةِ ، وَيَجْعَلُ
جَيْشَ ثَنَائِهِ لَا يُؤْتِي مِنَ الْقِلَّةِ ، بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ ، وَالسَّلَامَ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ ،
وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ . وَكُتِبَ فِي كَذَا .

وَمَنْ تَشَوْفَ إِلَى الْإِكْتَارِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ ، فَعَلَيْهِ بِكِتَابِنَا الْمُسَمَّى « بَرِيحَانَةُ
الْكِتَابِ وَنُجُوعَةُ الْمُنْتَابِ » (١) .

(١) هذا هو أهم كتب ابن الخطيب بعد الإحاطة ، من حيث القيم الأدبية والتاريخية . وهو
يحتوى على عدد كبير من الرسائل المنوعة ، ما بين تاريخية تبودلت بين ملوك غرناطة والمغرب ،
وتناولت وصف الوقائع والمعارك الحربية ، وأدبية ذات طابع شخصي . وتعتبر « البريحانة »
معرضاً للأساليب الكتابية والبيانية ، المملوكية والدبلوماسية ، والظواهر الرسمية الدستورية والإدارية ،
والأمل منوط بعون الله ، أن يشرع في نشرها قريباً .

رسالة السياسة

[قال ابن الخطيب]^(١) ، ولنختم هذا الغرض ببعض ما صدر عنى
في السياسة [وكان إملاؤها في ليلة واحدة]^(٢) .

حدث^(٣) من امتاز باعتبار الأخبار ، وحاز درجة الاشتهار ، بنقل
حوادث الليل والنهار ، وولج بين الكايم والأزهار ، وتلطف لخبج الورد
من تبسم البهار^(٤) .

قال ، سهر الرشيد ليلة ، وقد مال في هجر النبيذ ميلاً ، وجهد
ندماؤه في جلب راحته ، وإلمام النوم بساحه ، فشحت عهادهم^(٥) ،
ولم يُغن اجتهادهم . فقال ، اذهبوا إلى طرق سماها ورسمها ، وأمها
قسمها ، فمن عثرتم عليه من طارق ليل ، أو غثاء سئل ، أو ساحب ذبل ،
فبلغوه ، والأمنة سوغوه ، واستدعوه ، ولا تدعوه . فطاروا عجالا ، وتفرقوا
رُكبانا ورجالا ، فلم يكن إلا ارتداد طرف ، أو فواق حرف ، وأتوا بالغنيمة
التي اكتسحوها ، والبضاعة التي ربحوها ، يتوسطهم الأشعث الأغبر ،
واللج^(٦) الذي لا يُعبر ، شيخ طويل القامة ، ظاهر الاستقامة ، سبلته
مشمطة ، وعلى أنفه من القُبح مطة ، وعليه ثوب مرقوع ، لطير
الخرق عليه وقوع ، يُهينم بذكر مسموع ، ويُنبي عن وقت مجموع .

(١) هذه العبارة من عندنا .

(٢) هذه العبارة واردة في « ريحانة الكتاب » ، وقد وردت به رسالة السياسة في لوحات

٢٤٢ - ٢٤٧ من مخطوط الإسكوريال رقم ١٨٢٠ الغزيري . ورقم ١٨٢٥ ديرنبور

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (حديث) .

(٤) هكذا وردت في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (النهار) .

(٥) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (عهدهم) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (اللج) .

فلما مَثَلَ سَلَمٌ ، وما نَبَسَ (١) بعدها ولا تَكَلَّمَ . فأشار إليه فقعد ، بعد أن انشمر وابتعد ، وجلس ، فما استرقَّ النظر ولا اختلس ، إنما حركة فكره ، معقودة بزمام ذِكره ، ولحظات اعتباره ، في تفاصيل أخباره . فابتدَره الرشيد سائلاً ، وانحرف إليه مائلاً ، وقال ممن الرجل ، فقال فارسي الأصل ، أعجمي الجنس ، عربي الفصل . قال بلدك ، وأهلك وولدك . قال ، أما الولدُ ، فولد الديوان ، وأما البلد ، فمدينة الإيوان . قال النحلة وما أعملت إليه الرحله ، قال [أما الرحلة فالاعتبار ، وأما النحلة فالأمور الكبار] (٢) قال ، فنك ، الذي اشتمل عليه دنك ، فقال ، الحكمة فني الذي جعلته أثيراً ، وأضجعت منه فراشا وثيراً ، وسبحان الذي يقول : ومن يؤت الحكمة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، وماسوى ذلك فتبيع (٣) ، ولي فيه مُصْطَافٍ وتربيع (٣) . قال فتعاصد جذل الرشيد وتوفر ، وكأنما غشي وجهه قطعة من الصبح إذا أسفر ، وقال ، مارأيت كالأليلة أجمع لأمل شارد ، وأنعم بمؤانسة وارد . ياهذا أني سائلك ، ولن تخيب بعدُ وسائلك ، فاخبرني بما عندك في هذا الأمر الذي بلينا بحمل أعبائه ، ومُنينا بمراوضة آبائه . فقال هذا الأمر قلادة ثقيله ، ومن خُطَّة العجز مُستقيلة ، ومفتقرة (٤) لسعة الذرع ، وربط السياسة المدنية بالشرع ، يُفسدها الحلم في غير محلّه ، [ويكون ذريعةً إلى حله] (٥) ويصلحها مقابلة الشكل بشكله :

- (١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (تنفس) .
 (٢) هكذا وردت هذه الجملة في الإسكوريال والنفح . ووردت في الريحانة كالاتي (أما النحلة فالأمر الكبار وأما الرحلة فالاعتبار) .
 (٣) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (فتبع - ومرتبع) .
 (٤) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (مفترقة) .
 (٥) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح ، وساقطة في الريحانة .

ومن لم يكن سبعا آكلا تداعت سباع إلى أكله

فقال الملك ، أَجَمَلتَ ففَصِّل ، وِبَرِيتَ ففَصِّل ، [وَكَلتَ فَأَوْصِل] (١) وانثُر الحَبَّ لِمَن يُحَوِّصِل ، واقِيمِ السِّيَاسَةَ فَنوناً ، واجعَلْ لِكُلِّ لِقَبِ قَانوناً ، وابدأ بِالرَّعِيَّةِ ، وشروطها المَرَعِيَّةُ . فقال : رَعِيَّتُكَ ودائعِ اللَّهِ قِبَلِكَ ، ومِرآةِ العَدْلِ الَّذِي عِليه جِبَلُّكَ ، ولا تَصِلْ إلى ضَبَطِهِمْ [إلا بِإِعانتِهِ] (٢) الَّتِي وهبَ لَكَ . وأفضَلُ ما اسْتَدْعَيْتَ بِهِ عَوْنُكَ فِيهِمْ ، وكفايَتَهُ الَّتِي تَكْفِيهِمْ ، تَقْوِيمُ نَفْسِكَ عِنْدَ قَصْدِ تَقْوِيمِهِمْ ، ورضاكِ بِالسَّهْرِ لِتَنوِيمِهِمْ ، [وَحِراسَةِ كَهْلِهِمْ وَرَضِيْعِهِمْ ، وَالتَّرَفُّعِ عَن تَضْيِيعِهِمْ] (٣) ، وَأخِذِ كُلَّ طَبَقَةٍ بِما عَلَيْها ، وَمالِها ، أَخِذاً يَحُوطُ مالِها ، وَيَحْفَظُ عَلَيْها كَمالِها ، وَيُقَصِّرُ عَن غيرِ الواجِبِ آمالِها ، حَتَّى تَسْتَشْعِرَ عَلَيْها رَأْفَتَكَ وَحَنانَكَ ، وتَعْرِفَ أَوْساطِها فِي [النُّصَبِ امْتِنانَكَ] (٤) وتَحذِرُ سِفلَتِها سِنانَكَ ، وَحَظَرَ عَلى كُلِّ طَبَقَةٍ مِناها ، أَن تَتَعَدَّى طَوْرَها ، أو تَخالِفَ دَوْرَها ، أو تَجاوزَ بِأَمْرِ طاعَتِكَ قَوْرَها . وَسُدِّ فِيها سُبُلُ الدَّرِيعةِ ، واقصِرْ جَميعَها عَلى خِدمةِ المَلِكِ بِموجبِ الشَّرِيعَةِ ، وامنعْ أَغْنياءَها (٥) مِنَ البَطَرِ (٦) والبِطالَةِ ، والنظَرِ فِي شُبُهاتِ الدِّينِ بِالتَّمشِيقِ والإِطالَةِ ، وَليقُلِّ فِيها شَجَرَ بَينِ السِّلفِ (٧) كَلامِها ، وتَرفضُ ما يَنبِزُ بِهِ أَعلامِها ، فَإِن ذلِكَ يُسْقِطُ الحَقوقَ ، وَيَرْتَبِّبُ العُقوقَ . وامنعَهمْ مِنَ فُحْشِ الحِرْصِ والشَّرِّهِ ، وتعاهدْهمْ بِالمواعِظِ الَّتِي

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في الإسكوريال ، ووارد في الريحانة والنفح .

(٢) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والنفح . وساقط في الريحانة .

(٣) ما بين الحاصرتين وارد في الإسكوريال والنفح . وساقط في الريحانة .

(٤) وردت في الإسكوريال (النصف امتنانك) . والتصويب من الريحانة والنفح .

(٥) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (أعيانها) .

(٦) هذه الكلمة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في الريحانة .

(٧) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي النفح والريحانة (الناس) والأولى ارجح .

تَجَلُّو البصائر من الموه ، واحملهم من الاجتهاد في العِمارة على أَحْسَن المذاهب ، وانهمُّم عن التحاسد على المواهب ، ورُضهم على الإنفاق بقَدْر الحال ، والتعزَّى عن الفائت ، فردّه من المحال . وحذّر (١) البُخل على أهل اليسار ، والسَّخاء على أولى الإغسار . وخُذهم من الشريعة بالواضح الظاهر ، وامنعهم من تأويلها مَنع القاهر . ولا تُطلق لهم التَّجمُّع على من أنكروا أمره في نواديهم ، وكُفَّ عنهم أكُفَّ تعديهم . ولا تُبِح لهم تغيير ما كرهوه بأيديهم . ولتكن غايتهم فيما توجَّهت إليه إبايتهم ، ونكصت عن الموافقة عليه رايتهم ، إنهاؤه إلى من وكَلته بمصالحهم من ثقاتك ، المحافظين على أوقاتك . وقدم منهم من أمِنت عليهم مكرهه ، وحمِدت على الإنصاف شكره ، ومن كثر حياؤه مع التائب ، وقابل الهفوة باستقالة (٢) المُنيب ، ومن لا يتخطى عندك محلّه الذي حلّه ، فربما عمَد إلى النبرم فحلّه . وحسن النية لهم بجهد الاستطاعة ، واغتفر المكاره في جنب حُسن الطاعة . وإن ثار جرادهم (٣) واختلف في طاعتك مرادهم ، فتحصن لشورتهم ، واثبت لفقورتهم [فإذا سألوا وسلوا ، وتفرقوا وانسلوا ، فاحتقر كشرتهم ، ولا تُقِل عثرتهم] (٤) واجعلهم لما بين أيديهم وما خلفهم نكالا ، ولا تترك لهم على حِلمك اتكالا .

ثم قال : والوزير الصالح أفضل عُدِّك ، وأوصل مدِّك [فهو الذي] (٥) يصونك عن الابتدال ، ومباشرة الأندال ، ويثب لك على الفرصة ، وينوب

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح : وفي الريحانة (حطر) .

(٢) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح والريحانة (باستنابة) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (جوادهم) وهو تحريف .

(٤) . بين الحاصرتين وورد في الريحانة والنفح . وساقط في الإسكوريال .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فعند الرى) وهو تحريف .

في تجرُّع الغُصَّة ، واستجلاء القِصَّة ، ويستحضر ما نَسِيته من أمورك ،
ويُغلب فيه الرأي بموافقة مأمورك ، ولا يَسَعُه ما تُمكنك المسامحة فيه ،
حتى يَسْتَوْفِيه . واحذر مُصادمة تياره ، والتجوز في اختياره ، وقدم استخارة
الله في إشاره ، وارسل عيون الملاحظة في آثاره ، وليكن معروف الإخلاص
لدولتك ، معقود الرِّضاء والغضب برضاك ووصولتك ، زاهداً عما في يديك ،
مؤثراً كل ما يُزلف ليدك ، بعيد الهمة ، راعياً للأذمة ، كامل الآلة ، محيطاً
بالإيالة ، رخب الصدر ، رفيع القدر ، معروف البيت ، نبيه الحى
والميت ، مؤثراً للعدل والإصلاح ، دَرِباً بحمل السلاح ، ذا خبرة بدخُل
المملكة وخرجها ، وظهرها وسرجها ، صحيح العقْد ، متحرزاً من النقد ،
جاداً عند هوك ، متيقظاً في حال سهوك ، يَلين عند غضبك ، ويَصِل
الإسهاب^(١) بمقتضيبك ، قلقاً من شكره دونك وحمده ، ناسباً لك الأصالة^(٢)
بعنده . وإن أعياء عليك وجود أكثر هذه الخلال ، وسبق إلى نقيضها
شيء من الاختلال ، فاطلب منه سُكون النَّفس وهدوئها ، وأن لا يرى منك
رُتبة إلا رأى قدره دونها : وتقوى الله تفضل شرف الانتساب ، وهي
للفضائل فذلّة الحساب . وساو في حفظ غيبه بين قُربه ونأيه ، واجعل
حظه من نعمتك موازياً لحظك من حُسن رأيه ، واجتنب منهم من يرى
في نفسه إلى المُلك سبيلاً ، أو يقود من عيصه للاستظهار عليك قبيلاً ،
أو من كثر مالك ماله ، أو من تقدم لعدوك^(٣) استعماله ، أو من سمّت
لسواك آماله ، أو من يعظّم^(٤) عليه إعراض وجهك ، وبهمه نادرة^(٥)

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (الأسباب) .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (الإصابة) .
(٣) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (لعدوانك) .
(٤) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (يعرض) .
(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (نادر) .

نَهَجَكَ (١) ، أو من يُدَاخِلُ غيرَ أَحْبَابِكَ ، أو من يَنَافِسُ أَحَدًا بِبَابِكَ .
(وَأَمَّا الْجِنْدُ) فَاصْرِفِ التَّقْوِيمَ (٢) مِنْهُمْ لِلْمُقَاتِلَةِ وَالْمُكَايِدَةِ الْمُخَاتَلَةِ ،
وَاسْتَوْفِ عَلَيْهِمْ شُرَاطِطَ الْخِدْمَةِ ، وَخُذْهُمْ بِالثَّبَاتِ لِلصَّدْمَةِ ، وَوَفِّ مَا أَوْجَبَتْ
لَهُمْ مِنَ الْجِرَايَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَتَعَاهِدْهُمْ عِنْدَ الْغِنَاءِ بِالْعَلْفِ وَالطُّعْمَةِ ، وَلَا تُكْرِمْ
مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ غِنَاؤُهُ ، وَطَابَ فِي الذَّبِّ عَنْ مَلَّتِكَ ثَنَاؤُهُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِمُ
النُّبَهَاءَ مِنْ خِيَارِهِمْ ، وَاجْتَهِدْ فِي صَرْفِهِمْ عَنِ الْإِفْتِنَانِ بِأَهْلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ ،
وَلَا تَوَطِّئْهُمْ الدَّعَةَ مَهَادًا ، وَقَدِّمْهُمْ عَلَى حِفْظِكَ (٣) وَبُعُوثِكَ مَتَى (٤) أَرَدْتَ
جِهَادًا ، وَلَا تُلِنْ لَهُمْ فِي الْإِعْمَالِضِ عَنْ حُسْنِ طَاعَتِكَ قِيَادًا ، وَعَوِّدْهُمْ حُسْنَ
الْمَوَاسَاةِ بِأَنْفُسِهِمْ اعْتِيَادًا ، وَلَا تَسْمَحْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي إِغْفَالِ شَيْءٍ مِنْ
سِلَاحِ اسْتِظْهَارِهِ ، أَوْ عُدَّةِ اسْتِثَارِهِ ، وَلِيَكُنْ مَا فَضَّلَ عَنْ شَبْعِهِمْ وَرِيئِهِمْ
مَصْرُوفًا إِلَى سِلَاحِهِمْ ، وَزِيئِهِمْ ، وَالتَّزْيِيدِ فِي مَرَاقِبِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ ، مِنْ غَيْرِ
اعْتِبَارِ لِأَثْمَانِهِمْ . وَامْنَعَهُمْ مِنَ الْمُسْتَغْلَاتِ (٥) وَالْمَتَاجِرِ ، وَمَا يُتَكَسَّبُ مِنْهُ
غَيْرَ الْمَشَاجِرِ ، وَلِيَكُنْ مِنَ الْغَزْوِ (٦) اِكْتِسَابُهُمْ ، وَعَلَى الْمَغَانِمِ حِسَابُهُمْ ،
كَالْجَوَارِحِ الَّتِي تُفْسَدُ بِاعْتِيَادِهَا ، أَنْ تُطْعَمَ مِنْ غَيْرِ اضْطِيَادِهَا . وَاعْلَمْ أَنَّهَا
لَا تَبْدُلُ نَفُوسَهَا مِنْ عَالِمِ الْإِنْسَانِ ، إِلَّا لِمَنْ يَمْلِكُ قَلُوبَهَا بِالْإِحْسَانِ ، وَفَضْلِ
اللِّسَانِ ، وَيَمْلِكُ حَرَكَاتَهَا بِالتَّقْوِيمِ ، وَرَتْبَهَا بِالْمِيزَانِ الْقَوِيمِ (٧) ، وَمَنْ
تَثَقَّ بِإِشْفَاقِهَا (٨) عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَتَشْتَرِي رِضَا اللَّهِ بِعُسْبِرِهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَجِلَادِهَا .

(١) هَكَذَا فِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (نَجْهَكَ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالرِّيحَانَةِ . وَفِي النَّفْحِ (التَّقْدِيمِ) .

(٣) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ (حَصْصِكَ) . وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٤) هَكَذَا فِي الرِّيحَانَةِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (مَهْمَى) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

(٥) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (الْمَشْفَلَاتِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الرِّيحَانَةِ .

(٦) وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالرِّيحَانَةِ (الْفَرَارِ) . وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ .

(٧) هَذِهِ الْكَلِمَةُ وَرَدَتْ فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ . وَسَاقَتْ فِي الرِّيحَانَةِ .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الرِّيحَانَةِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ (إِشْفَاقَهُ) وَالْأَوَّلَى أَرْجَحُ .

فإذا استشعرت لها هذه الخلال ، تقدمت إلى مواقف التلّف ، مطيعةً
دواعي الكلف ، واثقةً منك بحسن الخلف . واستبق إلى تمييزهم استباقاً ،
وطبّقهم طباقاً ، أعلاها من تأملت منه في المحاربة عنك إحظاراً ، وأبعدهم
في مرّضاتك مطاراً ، واضبطهم لما تحت يدك من رجالك خزماً ووقاراً ،
واستهانةً بالعظيم واحتقاراً ، وأحسنينهم لمن تقلّده أمرّك من الرعية جواراً ،
إذا أجدت اختياراً ، وأشدّهم على مُماطلة من مارسه من الخوارج عليك
اضطباراً . ومن بلى في الذبّ عنك إخلاءً وإمراراً ، ولحقه الضّر في معارك (١)
الدفاع عنك مراراً . وبعده من كانت محبته لك أكثر (٢) من نجدته ،
وموقع رأيه أصدق (٣) من موقع صعدته . وبعده من حسن انقياده لأمرائك
وإحماده (٤) لأرائك ، ومن جعل نفسه من الأمر حيث جعلته ، وكان صبره
على ما عراه أكثر من اعتداده (٥) بما فعله . [واحذر منهم من كان عند
نفسه أكبر من موقعه في الانتفاع ، ولم يسنح من التزيّد بأضعاف ما بذله
من الدفاع ، وشكى البخس] (٦) فيما تعذر عليه من فوائدك ، وقاس بين
عوايد (٧) عدوك وعوايدك ، وتوعّد بانتقاله عنك وارتيحاله ، وأظهر
الكراهية لحاله .

(وأما العُمال) فإنهم يبينون (٨) عن مذهبك ، وحالم في الغالب

-
- (١) هكذا وردت في الإسكوريال والريحانة . وفي النفع (معارض) .
(٢) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (أزيد) .
(٣) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (أنفع) .
(٤) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (واعتماده) .
(٥) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (صبره) .
(٦) ما بين الحاصرتين كله محو في الإسكوريال . وقد اعتمدنا في نقله إلى الريحانة والنفع .
(٧) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .
(٨) هكذا وردت في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفع (يبيّن) .

شديدة الشُّبُه بِكَ ، فعرفهم في أمانتك السَّعادة . وألزمهم في رعيتك العادة ، وأنزلهم من كرامتك بحسب منازلهم في الاتِّصاف بالعدل والإنصاف ، وأجلهم من الحِفاية ، بنسبة مراتبهم من الأمانة والكِفاية ، وقفهم عند تقليد الأرجاء ، مواقف الخوف والرجاء ، وقرر في نفوسهم أن أعظم ما به إليك تقربوا ، وفيه تدرَّبوا ، وفي سبيله أعجموا وأعربوا ، إقامة حق ، ودخض باطل ، حتى لا يشكو غريم مَطلٍ ماطل ، وهو آثرٌ لديك من كل رباب هاظل . وكفهم من الرِّزق الموافق عن (١) التصدي لدني المرافق . واضطنع منهم من تيسرت كُلفتُه ، وقويت للرعايا ألفتُه ، ومن زاد على تأميلة صبره ، وأرَبَى على خبره خبره ، وكانت رغبته في حُسن الذِّكر ، تشفُّ على غيرها من بنات الفكر . واجتنب منهم من غلب عليه التَّخرُّق (٢) في الإنفاق ، وعدم الإشفاق ، والتنافس في الاكْتِسَاب ، وسهل عليه سوء الحساب ، وكانت ذريعته المصانعة بالنِّفَاية ، دون التَّقَصِّي (٣) والكِفاية ، ومن كان منشؤه خاملاً ، ولأعباء الدَّناءة حاملاً ، وابغ (٤) من يكون الاعتذار في أعماله ، أوضح من الاعتذار في أقواله ، ولا يفتننك من قلَّدته اجتلاب الحظِّ المُطمِع (٥) ، [والتَّنْفُق بالسَّعي المُسمع (٦) ومخالفة السنن المرعية] وإتباعه رضاك بسُخط الرعية (٧) ، فإنه قد غَشَّك من حيث بلِّك ورشَّك ، وجعل مَنْ

(١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (عند) .

(٢) واردة في الإسكوريال والنفح . ومكانها بياض في الريحانة .

(٣) واردة في الريحانة والنفح . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت في النفح . وفي الريحانة (وانع) . ومكانها بياض في الإسكوريال .

(٥) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (المقنع) .

(٦) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنفح . ووردت محرفة وناقصة بالإسكوريال

كالات (التذ بالله عن المسمع) .

(٧) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في الريحانة .

يمينك في شمالك، حاضر مالك. ولا تَضْمَنُ عاملاً مال عمله، وحل بينه فيه وبين أمله، فإنك تُمِيتُ رُسومك بمحياه، وتُخْرِجُهُ من خدمتك فيه إلا أن تملكه إياه. ولا تَجْمَعُ له في الأعمال، فَيُسْقِطُ استظهارك ببلد على بلد، والاحتجاج^(١) على والد بولد، واخْرِصُ على أن تكون في الولاية غريباً، ومُتَنَقِّلُهُ^(٢) منك قريباً، ورَهِينَةً لا يزال معها مُرِيباً، ولا تقبل^(٣) مصالحتَهُ على شيءٍ اخْتَانَهُ^(٤)، ولو برغبة فتانهُ، فتقبل المصانعة في أمانتك، وتكون مشاركاً في خيانتك، ولا [تُطِلْ مَدَّةً]^(٥) العمل، وتعاهدْ كشف الأمور ممن يرعى الهمل، ويبلى الأمل.

(وأما الولد) فاحسن آدابهم، واجعل الخير دأبهم، وخِفْ عليهم من إشفائك وحنائك، أكثر من غِلْظَةِ جنانك، واكتم عنهم مَيْلَكَ، وَأَفِضْ عليهم جُودَكَ ونَيْلَكَ، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلتك، وأثبهم على حُسْنِ الجواب [وسبق إليهم]^(٦) خوف^(٧) الجزاء على رجاء الثواب، وعلمهم الصبر على الضرائر، والمُهْلَةَ عند استخفاف الجرائر، [وخذ لهم]^(٨) بحسن السرائر، وحَبِّبْ إليهم مَرَّاسِ الأمور الصعبة المراس، وحصن الاصطناع والاعتراس^(٩)، والاستكثار من

-
- (١) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (احتجاج) .
 - (٢) هكذا وردت في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وبشغله) .
 - (٣) كذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (تعمل) والأولى أنسب .
 - (٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (اختاله) والأولى أرجح .
 - (٥) هكذا وردت هذه العبارة في الريحانة والنفح . في الإسكوريال (تصل سدة) .
 - (٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وسولم) .
 - (٧) وارده في الريحانة والنفح . ومكانها بياض في الإسكوريال .
 - (٨) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وخذهم) .
 - (٩) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (والاعتراس) .

أولى المراتب والعلوم ، والسياسات^(١) والعلوم ، والمقام المعلوم ، وكره
إليهم مجالسة المُلْهين ومصاحبة السَّاهين^(٢) ، وجاهد أهواءهم عن
عقولهم ، واحذر الكذب على مَقُولهم ، ورشَّحهم إذا أنست منهم رشداً أو
هدياً ، وأرضعهم من المؤازرة^(٣) والمشاورة ثدياً ، لتمرَّتهم على الاعتياد ،
وتحملهم على الأزدِياد ، ورُضَّعهم رياضة الجِياد ، واحذر عليهم الشهوات
فهى داؤهم ، وأعداؤك فى الحقيقة وأعداؤهم . وتدارك الخُلُق الذميمة
كلما نجمت ، [واقذعها إذا هجمت]^(٤) ، قبل أن يظهر تَضْعِيفُها ،
ويقوى ضعيفها ، فإن أعجزتك فى صِغَرهم الحيل ، عَظُم الميل .

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخُشْب

وإذا قدروا على التدبير ، وتَشَوَّفوا للمحل الكبير ، فلا^(٥) تُوطِنهم
فى مكانك [جهد إمكانك]^(٦) ، وفرِّقهم [فى بُلدانك]^(٧) ، تفريق
عُبدانك . واستعملهم فى بعوث جهادك ، والنيابة عنك فى سبيل اجْتِهَادك ،
فإن حَضَرَتك تُشْغَلهم بالتَّحاسد ، والتَّبارى والتَّفاسد . وانظر إليهم بأعين
الثَّقَات ، فإن عين الثقة ، تُبْصِر ما لا تبصر عين المحبَّة والمَقَّة^(٨) .

(وأما الخدم) فإنهم^(٩) بمنزلة الجوارح التى تُفَرِّقُ بها وتجمع ،
وتُبْصِر وتسمع ، فرُضَّعهم بالصدق والأمانة ، وصُنَّهم صَوْن الجَفَانة ،

(١) هكذا فى الإسكوريال والنفح . وفى الريحانة (والسياسة) .

(٢) واردة فى الريحانة والنفح . ومكانها بياض فى الإسكوريال .

(٣) واردة فى الريحانة والنفح . وساقطة فى الإسكوريال .

(٤) هكذا وردت هذه العبارة فى الإسكوريال والنفح . وفى الريحانة (واقرعها كلما هجمت) .

(٥) هكذا فى المخطوطين . وفى النفح (إياك أن) .

(٦) هذه العبارة واردة فى الإسكوريال والنفح . وساقطة فى الريحانة .

(٧) هكذا فى الريحانة والنفح . وفى الإسكوريال (بجلد انك) وهو تحريف .

(٨) هكذا فى الإسكوريال والنفح . وفى الريحانة (المبقة) .

(٩) هكذا فى النفح . ووردت فى المخطوطين (فهم) والأولى أفصح .

وخذهم بحسن الانقياد ، إلى ما آثرته ، والتقليل مما استكثرتة . واحذر
منهم من قويت شهواته ، وضافت عن هواه لهواته ، فإن الشهوات تنازعتك
في استرقاقه ، وتشاركك في استحقاقه . وخيرهم من ستر ذلك عليك (١)
بلطف (٢) الحيلة (٣) ، وآداب للفساد مخيلة . وأشرب قلوبهم أن الحق
في كل ما حاولته واستنزلته ، وأن الباطل في كل ما جانبته واعتزلته ،
وأن من تصفح منهم أمورك فقد أذنب ، وبأين الأدب وتجنب . وأعظ من
أكلدته ، وأضقت منهم ملكه وشدته ، روحة يشتغل فيها بما يغنيه ،
على حسب (٤) صعوبة (٥) ما يعانیه ، تُغبطهم فيها بمسارحهم ، وتُجم
كليلة جوارحهم . ولتكن عطايك فيهم بالمقدار الذي لا يُبتر أعلامهم ،
ولا يُوسف (٦) [الأضاغر فيفسد] (٧) أعلامهم ، ولا ترم محسنهم
بالغاية من إحسانك ، واترك لمزيدهم فضلة من رفقك ولسانك . وحذر
عليهم مخالفتك ولو في صلاحك بحد سلاحك . وامنعهم من التواثب
والتشاجر ، ولا تحمد لهم شيم التقاطع والتهلجر ، واستخلص منهم لسرك (٨)
من قلت في الإفشاء ذنوبه ، وكان أصبرهم على ما ينوبه ، ولودائعك من
كانت رغبته في وظيفة لسانك ، أكثر من رغبته في إحسانك ، وضبطه
لما تقلده من وديعتك ، أحب إليه من حُسن صنيعتك . وللسفارة عنك
من حلا الصدق في فمه ، وآثره ولو بإخطار دمه ، واستوفى لك وعليك

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (عنك) . وفي النفع (عنه) .

(٢) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (بحسن) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنفع . وفي الريحانة (حيلة) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال وواردة في الريحانة والنفع .

(٥) ساقطة في الريحانة . وواردة في الإسكوريال والنفع .

(٦) هكذا وردت في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (يؤنب) .

(٧) واردة في النفع وساقطة في الإسكوريال .

(٨) هكذا في الريحانة والنفع . وفي الإسكوريال (لحديثك) .

فَهُمْ مَا تَحْمِلُهُ ، وَعُنَى بَلْفِظِهِ حَتَّى لَا يَهْمِلُهُ ، [وَلَمَنْ تُودِعْهُ أَعْدَاءُ] (١) دَوْلَتِكَ ، مِنْ كَانَ مَقْصُورَ الْأَمَلِ ، قَلِيلَ الْقَوْلِ صَادِقَ الْعَمَلِ ، وَمَنْ كَانَتْ قَسْوَتُهُ زَائِدَةً عَلَى رَحْمَتِهِ ، وَعَظْمُهُ فِي مَرَضَاتِكَ آثَرَ مِنْ شَحْمَتِهِ ، وَرَأْيُهُ فِي الْحَذَرِ سَدِيدٌ ، وَتَحَرُّزُهُ مِنَ الْحِيَلِ شَدِيدٌ . وَلِخِدْمَتِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ مِنْ لَأَنْتَ طِبَاعُهُ ، وَامْتَدُّ فِي حَسَنِ السَّجِيَةِ بَاعُهُ ، وَآمَنَ كَيْدُهُ وَغَدْرُهُ ، وَسَلِمَ مِنَ الْحِقْدِ صَدْرُهُ ، وَرَأَى الْمَطَامِعَ فَمَا طَمَعُ ، وَاسْتَثْقَلَ إِعَادَةَ مَاسِمِعِ ، وَكَانَ بَرِيًّا مِنَ الْمَلَالِ ، وَالْبِشْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ الْخِلَالِ . وَلَا تُؤْنِسُهُمْ مِنْكَ بِقَبِيحِ فِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ ، وَلَا تُؤْسِسُهُمْ مِنْ طَوْلٍ . وَمَكَّنْ فِي نَفُوسِهِمْ أَنَّ أَقْوَى شُفَعَائِهِمْ ، وَأَقْرَبَ إِلَى الْإِجَابَةِ مِنْ دُعَائِهِمْ ، إِصَابَةُ الْغَرَضِ فِيمَا بِهِ وَكَلُوا ، وَعَلَيْهِ شُكِّلُوا ، فَإِنَّكَ لَا تَعْدَمُ بِهِمْ انْتِفَاعًا ، وَلَا يَعْذَمُونَ لَدَيْكَ ارْتِفَاعًا .

(وَأَمَّا الْحَرَمُ) فَهَمْ مَغَارِسُ الْوَلَدِ ، وَرِيَّاحِينَ (٢) الْخَلْدُ ، وَرَاحَةُ الْقَلْبِ الَّذِي أَجْهَدْتَهُ الْأَفْكَارَ ، وَالنَّفْسَ الَّتِي تَقَسَّمَهَا الْإِحْمَادُ إِلَى الْمَسَاعِي وَالْإِنْكَارِ ، فَاطْلُبْ مِنْهُمْ مِنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَسَنِ الشِّيمِ ، الْمَتَرَفُّعَةَ عَنِ الْقِيمِ ، مَا لَا يَسُوؤُكَ فِي خَلْدِكَ ، أَنْ يَكُونَ فِي وَكَدِكَ ، وَاحْذَرِ أَنْ تَجْعَلَ لِفِكْرِ بَشَرٍ دُونَ بَصَرِ (٣) إِلَيْهِمْ سَبِيلًا ، وَانصَبْ دُونَ ذَلِكَ عَذَابًا وَبِيْلًا ، وَارْعَهْنَ مِنَ النَّسَاءِ الْعُجْزِ مَنْ فَاقَتْ (٤) فِي الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ سَبِيلَهُ ، وَقَوِيَتْ غَيْرَتُهُ وَنُبْلَهُ ، وَخُذْهُنَّ بِسَلَامَةِ النِّيَّاتِ ، وَالشِّيمِ السَّنِيَّاتِ ، وَحَسَنِ الْاسْتِرْسَالِ ، وَالْخُلُقِ

(١) هذه العبارة واردة في الريحانة والنفح ، ومكانها بياض بالإسكوريال .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وريا من) وهو تحريف .

(٣) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (نظره) .

(٤) هكذا في الريحانة ، وفي الإسكوريال (كانت) والنفح (بانت) والذولى أرجح .

السُّلْسَال . وحظُر (١) عليهن التُّغامز والتُّغايير ، والتُّنافس والتُّخاير ، وآيس
 بينهن في الأَغراض ، والتُّصامم عن الأَغراض ، والدُّحابة بالإغراض .
 وأقلد من مخالطتهن (٢) ، فهو أَبْقَى لَهْمَتِكَ ، وأسْبَلُ لِحُرْمَتِكَ ، ولتكن
 عَشْرَتِكَ لهن عند الكلال والمَلال ، وضيق الاحتمال ، بكثرة الأعمال ،
 وعند الغضب والنوم ، والفراغ من نَصَب اليوم . واجعل مَبِيَّتِكَ بينهن
 تَمُّ بِر كَاتِكَ . وتَسْتَر حر كَاتِكَ ، وأفضل من ولدت منهن إلى مسكن (٣)
 يُخْتَبَر فيه استقلالُها ، وَيُعْتَبَر بالتفرد خلالها . ولا تطلق لحرمة شفاعه
 ولا تدبيرا ، ولا تَنْطُ بها (٤) من الأمر صغيرا ولا كبيرا ، واحذر أن يظهر
 على خَدَمِهِنَّ في خروجهن عن القصور وبروزهن من أحمة الأسد الهصور
 زِي مُفَارِع (٥) ، ولا طيبٌ للأَنُوف مُسَارِع ، وأخصص بذلك من طعن (٦)
 في السِّن ، ويثس (٧) من الإنس والجِنِّ ، ومن توقَّر النزوع إلى الخيرات
 قبله ، وقَصَّر عن جمال الصورة ووَسِم بالبله .

ثم لما بَلَغ إلى هذا الحدِّ ، حَمِي وَطِيس استجفاره (٨) ، وختم حزبه
 باستجفاره ، [ثم صمت مليا] (٩) واستعاد كلاما أوليا . ثم قال :
 واعلم يا أمير المؤمنين ، سدَّد اللهُ سَهْمَكَ لأغراض خلافته ، وعَصَمَكَ من
 الزمان وآفته ، أنك في مجلس الفصل ، ومباشرة الفرع من مُلْكِكَ والأصل ،

(١) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (وحذر) .

(٢) وردت في المخطوطين (مخالطتهن) . والتصويب من النفح .

(٣) هكذا وردت في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (منزل) والمؤدى واحد .

(٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (بهم) .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة (فارغ) والنفح (بارع) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (صفر) والأولى أرجح .

(٧) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (وليس) .

(٨) وردت في المخطوطين (استجفاره) والتصويب من النفح .

(٩) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح . وساقطة في الريحانة .

في طائفة من عز الله ، تذبُّ عنك حُماتها ، وتدافع عن حوزتك كماتها ،
 فاحذر أن يعدل بك غضبك ، عن عدل تُزرى منه ببضاعة ، أو يهجم بك
 رضاك على إضاعة . ولتكن قدرتك وقفًا على الاتصاف بالعدل والإنصاف ،
 واحكم بالسوية ، واجنح بتدبيرك إلى حسن الروية . وخف أن تقعد بك
 أناتك عن حزم تعين ، أو تستفزك العجلة في أمر لم يتبين . وأطع الجحّة
 ما توجهت عليك (١) ، ولا تحفل بها إذا كانت إليك ، فانقيادك إليها
 أحسن من ظفرك ، والحق أجدى من نفرك . ولا تردن النصيحة في وجه ،
 ولا تقابل عليها بنجه ، فتمنعها إذا استدعتها ، وتُحجب عنك إذا
 استوعبتها ، ولا تستدعها من غير أهلها ، فيشغبك أولو الأغراض بجهلها .
 واحرص (٢) على أن لا ينقضى مجلس جلسته ، أو زمن اختلسته ، إلا وقد
 أحرزت فضيلة زائدة ، أو وثقت منه في معادك بفائدة ، ولا يزهدنك في
 المال كثرته ، فتقل في نفسك أثرته . وقس الشاهد بالغايب ، واذكر
 وقوع ما لا يُحتسب من النوائب ، فالمال المصون أمنع (٣) الحصون .
 ومن قل ماله قصرت آماله ، وتهاون بيمينه شماله ، والمملك إذا فقد
 خزينه ، أنحى (٤) على أهل الجدة التي تزينه ، وعاد (٥) على رعيته بالإجحاف ،
 وعلى جبايته بالإلحاف ، وساء مُعتادُ عيشه ، وصغر في عيون جيشه ، ومنوا
 عليه بنصره ، وأنفوا من الاقتصار على قصره . وفي المال قوة سماوية ،
 تصرف الناس لصاحبه ، وتربُّط آمال أهل السلاح به . والمال نعمة الله
 تعالى ، فلا تجعله ذريعةً إلى خلافه ، فتجمع بالشهوات بين إتلافك وإتلافه .

(١) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (إليك) .

(٢) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (واعمل) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والنسخ . وفي الريحانة (أعظم) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (أخى) .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في الريحانة .

واستأنس بحسن جوارها ، واضرف في حقوق الله بعض أطوارها ، فإن فضل المال عن الأجل فأجل ، ولم يضر ما تلف (١) منه بين يدي الله عز وجل . وما يُنفق في سبيل الشريعة ، وسدّ الذريعة ، مأمول خلفه ، وما سواه فمُسْتَيْقِنٌ (٢) تلفه . واستخلص لحضور (٣) نواديك الغاصّة ، ومجالسك العامة والخاصّة ، من يليق بولُوج عتبتها ، والعُرُوج لرتبها . أما العامية (٤) فمن عَظُم عند الناس قدره ، وانشرح بالعلم صدره ، أو ظهر يساره ، وكان لله إخبائه وإنكساره ، ومن كان للفتيا مُنتَصِبًا ، وبتاج المشورة مُعْتَصِبًا . وأما الخاصية (٥) فمن رَقَّت طباعه ، وامتدّ فيما يليق بتلك المجالس باعه ، ومن تَبَحَّر في سير الحكماء ، وأخلاق الكرماء ، ومن له فضلُ سافر ، وطبع (٦) للدنية مُنافِر ، ولديه من كل ما تَسْتَر به الملوك عن العوام حظٌّ وافر . وصِف ألبابهم بمحصول خيرك ، وسكُن قلوبهم بيمن طيرك ، وأغْنِهِم ما قَدِرتَ عن غيرك .

واعلم بأنّ مواقع العلماء من مُلكك ، مواقعُ المشاعل المتألّقة ، والمصابيح المتعلّقة ، وعلى قدر تعاهدِها (٧) تَبْدِل من الضياء ، وتجلو بنورها صور الأشياء ، وفرّعها (٨) لتَحْبِير ما يزين مدتك ، ويُحسّن من

(١) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (خاب) .

(٢) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (فتمين) .

(٣) واردة في المخطوطين . وساقطة في النفح .

(٤) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (العامة) .

(٥) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (الخاصة) .

(٦) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (رفيع) وهو تحريف .

(٧) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (تمهدك) .

(٨) مكانها بياض في الإسكوريال .

بَعْدَ السَّبِيلِ جَدَّتْكَ . وَبِعْنَايَةِ الْأَوَاخِرِ ، ذُكِرَتْ (١) الْأَوَائِلُ (٢) ، وَإِذَا مُحِيَّتْ (٣) الْمَفَاخِرُ
خَرِبَتْ الدُّوَلُ . وَاعْلَمْ أَنَّ بَقَاءَ الذِّكْرِ مَشْرُوطٌ بِعِمَارَةِ الْبُلْدَانِ ، وَتَخْلِيدِ
الْآثَارِ الْبَاقِيَةِ (٤) فِي الْقَاصِي مِنْهَا وَالذَّانِ . فَاحْرَصْ عَلَى مَا يُوضِّحُ فِي الدَّهْرِ
سَبْلَكَ ، وَيَحُوزُ (٥) الْمَزِيَّةَ لَكَ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ ، وَإِنَّ خَيْرَ الْمُلُوكِ مَنْ يَنْطِقُ
بِالْحِجَّةِ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْقَهْرِ ، وَيَبْذُلُ الْإِنْصَافَ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ ، مَعَ
الْتِمَاضِ مِنَ الْمَالِ وَالظُّهْرِ . وَيَسَارُ الرِّعْيَةَ جَمَالًا لِلْمَلِكِ وَشَرَفًا ، وَفَاقَتْهُمْ
مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا ، فَغَلَّبَ أَيْنَقُ (٦) الْحَالِيْنَ بِمَحَلِّكَ ، وَأَوْلَاهُمَا بَطْنُكَ
وَجِلَّتْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ كِرَامَةَ الْجَوْرِ (٧) دَائِرَةٌ ، وَكِرَامَةُ الْعَدْلِ مُكَاثِرَةٌ ،
وَالْغَلْبَةُ بِالْخَيْرِ سِيَادَةٌ ، وَبِالشَّرِّ هَوَادَةٌ (٨) .

وَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الْقِيَامِ بِالشَّرِيعَةِ ، يَحْسِمُ عَنْكَ نِكَايَةَ الْخَوَارِجِ ،
وَيَسْمُو بِكَ إِلَى الْمَعَارِجِ ، فَإِنَّهَا تَقْصِدُ أَنْوَاعَ الْخِدَعِ ، وَتُورِي بِتَغْيِيرِ
الْبِدَعِ . وَاطْلُقْ عَلَى عَدُوِّكَ أَيْدِي الْأَقْوِيَاءِ مِنَ الْأَكْفَاءِ ، وَالْأَسِنَّةَ اللَّفِيفِ
مِنَ الضُّعْفَاءِ ، وَاسْتَشْعِرْ عِنْدَ نَكْتِهِ شِعَارَ الْوَفَاءِ ، وَلِتَكُنْ ثِقَّتُكَ بِاللَّهِ أَكْثَرَ
مِنْ [ثِقَّتِكَ بِقُوَّةِ] (٩) تَجِدُّهَا ، وَكَتِيبَةُ تُنْجِدُهَا . فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ يَمْنَحُكَ
قُوَّةً لَا تُكْتَسَبُ ، وَيُهِدِيكَ (١٠) مَعَ الْأَوْقَاتِ نَصْرًا لَا يُحْتَسَبُ . وَالتَّمَسُّ

(١) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ (عَنِتْ) .

(٢) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ (الْأُولِ) . وَالْأُولَى أَرْجَحُ .

(٣) مَكَانَهَا بِيَاضٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٤) سَاقِطَةٌ فِي الْإِسْكَورِيَالِ .

(٥) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ (بِحَرَزِ) .

(٦) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ (أَلِيْسَ) وَالنَّفْحِ (أَلِيْقَ) .

(٧) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الرِّيحَانَةِ (الْحَوْفِ) .

(٨) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الرِّيحَانَةِ وَالنَّفْحِ . وَفِي الْإِسْكَورِيَالِ (رِيَادَةٌ) .

(٩) هَكَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي النَّفْحِ وَمَكَانَهَا فِي الْمَخْطُوطَيْنِ (ثِقَّةٌ) .

(١٠) هَكَذَا فِي الْإِسْكَورِيَالِ . وَفِي النَّفْحِ وَالرِّيحَانَةِ (وَمَهْلِكٌ) .

سَلَّمَ (١) من سالمك ، بِنَفْسِ ما في يدك . وفضلٌ حاصل (٢) يومك على مُنْتَظَرِ غَدِكَ ، فَإِنِ أَبِي وَضَحَتْ مَحَجَّتُكَ ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ لِلنَّاسِ حُجَّتُكَ ، فَللنَّفُوسِ على الباغين (٣) مَيْلٌ ، ولها من جانبه نَيْلٌ ، واستمد (٤) كل يوم سِيرَةَ من يُناويك ، واجتهد أن لا يُباريك (٥) في خير ولا يُساويك ، وأكْذِبْ بالخير ما يُشْنَعُه من مَساويك ، ولا تقبل من الإِطْرَاءِ إِلَّا ما كان فيك ، فَضْلٌ عن إطالته ، وَجَدُّ يُزْرَى ببطالته (٦) . ولا تَلُقْ المذنب بحميتك وسبِّك ، واذكر عند حَمِيَّة (٧) الغضب ذنوبك إلى ربِّك . ولا تنس أن ذَنْب (٨) المذنب أَجْلَسَكَ مجلس الفضل ، وجعل من (٩) قَبْضَتِكَ رِياش النُّصْل . وتشاغل في هُدْنَةِ الأيَّام بالاستعداد ، واعلم أن التُّراخِي مُنْذِرٌ بالاشتداد . ولا تُهْمَلْ عَرَضُ ديوانك ، واختبار أَعْوَانِكَ ، وتحصين مَعاقِلِكَ وقلاعك . وَعُمٌّ إِيالتك بحسن اضْطِّلاعك . ولا تُشْغَلْ زمن الهدنة بِلذاتِكَ ، فتجنى في الشُّدَّةِ على ذاتك . ولا تُطْلَقْ في دولتك أَلْسِنَةُ الكَهانة والإرجاف ، ومُطاردة الآمال العِجاف ، فإنه يبعث سوء القول ، ويفتح باب الغول . وحذِّرْ على المدرِّسين والمعلِّمين (١٠) ، والعُلَماءِ والمُتَكَلِّمين ، حمل الأَحْداث (١١) على الشُّكوك الخالِجة ، والزَلَّات (١٢) الوالِجة ، فإنه يُفْسِدُ

- (١) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (مسألة) .
- (٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فاضل) والأولى أرجح .
- (٣) هكذا في الإسكوريال والنفح . وفي الريحانة (الباغي) .
- (٤) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح (استمد) . وساقطة في الريحانة .
- (٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (يوازيك) .
- (٦) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (على بطالة) .
- (٧) هكذا في الإسكوريال . وفي الريحانة والنفح (حركة) .
- (٨) محموة في الإسكوريال .
- (٩) هكذا في الإسكوريال . وفي النفح والريحانة (في) .
- (١٠) هكذا في الإسكوريال والريحانة . وفي النفح (المتعلمين) .
- (١١) وردت في الإسكوريال (الأمداد) . والتصويب من الريحانة والنفح .
- (١٢) هكذا في الريحانة وفي النفح . وفي الإسكوريال (المزيات) .

طباعهم ، ويُغرى سباعهم ، ويمدُّ في مخالفة الملة باعهم . وسُدُّ سُبُل
الشفاعات ، فإنها تُفسد عليك حُسن الاختيار ، ونفوس الخيار . وابدل
في الأسرى (١) من حسن مُلكتك ، ما يُرضى (٢) من ملكك رِقابها ،
وقلِّدك ثوابها وعقابها . وتلقُ بدءَ نهارك بذكر الله في ترفُّعك وابتدائك ،
واختم اليوم بمثل ذلك . واعلم أنك مع كثرة حُجَّابك ، وكثافة حِجَابك ،
بمنزلة الظاهر للعيون ، المُطالب بالديون ، لشدة البحث عن أمورك ،
وتعرُّف السرِّ الخفيِّ بين أمرك ومأمورك ، فاعمل في سرِّك ما لا تستقبَّح
أن يكون ظاهراً ، ولا تأنف أن تكون به مُجاهراً ، واحكم بريك في الله
ونحَّتكَ ، وخِف من فوقك يخفُّك من تحَّتكَ .

واعلم أنَّ عدوك من أتباعك من تناسيت حُسن قرضه ، أو زادت
مؤونته على نصيبه منك وفرَّضه . فاضمَّت للحُجج ، وتوقُّ اللُّجج ،
واسترب بالأمل ، ولا يحملنك انتظام الأمور على الاستهانة بالعمل .
ولا تحقرنَّ صغير الفساد ، فيأخذ في الاستئساد . واحبس الألسنة عن
التحالي باغتيابك ، والتشبُّث بأذيال ثيابك ، فإن سوء الطاعة ، ينتقل
من الأعين الباصرة ، [إلى الألسن القاصرة] (٣) ، ثم إلى الأيدي المتناصرة .
ولا تثق بنفسك في قتال عدوِّ ناوأك ، حتى تظفر بعدوِّ غضبك وهواك .
وليكن خوفك من سوء تدبيرك ، أكثر من عدوك الساعي في تشبيرك .
وإذا استنزلت ناجماً ، أو أمنت ثائراً هاجماً ، فلا تقلِّده البلد الذي فيه

(١) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (الأسمى) وهو تحريف .

(٢) هكذا في الريحانة والنفح . وفي الإسكوريال (يونس) والأول أرجح .

(٣) هذه العبارة واردة في الإسكوريال والنفح وساقطة في الريحانة .

نَجْم ، وهَمَا عارضه فيه وانسجم ، يعظُم عليك القَدْح (١) في اختيارك ،
والغَضُّ من إيثارك ، واختَرَز من كيده في حَوَزك (٢) ومأمك ، فإنك
أكبرُ هَمِّه ، وليس بأكبر هَمِّك . وجَمَل المملكة بتأمين الفلوات ،
وتسهيل الأقوات ، وتجويد (٣) ما يُتَعامَل به من الصُّرف في البياعات (٤)
وإجراء العوائد مع الأيام والساعات ، ولا تُبَخِس عيار قِيم البضاعات ،
ولتكن يدك عن أموال الناس مخجورة ، وفي احترامها إلا عن الثلاثة
مأجورة : مالٌ من عدا طوره وطورُ أهله ، وتجاوز (٥) في الملابس
والزينة ، وفُضُول المدينة ، يروم معارضتك بحمله ، ومن باطن أعداك ،
وأمن اعتداك ، ومن أساء جوار رعيتك بإخساره ، وبذل الإذابة فيهم
بيمينه ويساره . وأضر ما مُنيت به التَّعَادى بين عبْدانك ، أوفى بلد من
بُلدانك ، فسدَّ فيه الباب ، واسأل عن الأسباب ، وانقلهم بوساطة أولى
الألباب ، إلى حالة الأَحْباب . ولا تطوِّق الأعلام أطواق المَنُون ، بهواجس
الظُّنون ، فهو أمر لا يقف عند حد ، ولا يشتهي إلى عد . واجعل ولدك في
اختِراسك ، [وصدِّق مَراسك] (٦) ، حتى لا يطمع في افتِراسك .

ثم لما رأى الليل قد كاد ينتصف ، وعموده يريد أن ينقصف ،
ومجال الوصايا أكثر مما يصف ، قال : يا أمير المؤمنين ، بحرُ السِّياسة
زاخر ، وعمر التَّمتع (٧) بناديك العزيز مُستأخر ، فإن أذنت في فنٍّ من

(١) هكذا وردت في الریحانة والنفح . وفي الإسكوريال (القوم) .

(٢) هكذا في الریحانة والنفح . وفي الإسكوريال (فوزك) .

(٣) هكذا في الإسكوريال والریحانة . وفي النفح (وتحديد) .

(٤) في لوحة الإسكوريال (٤٩٨) من هنا لعدة أسطر قد محيت من أواخر الأسطر كامات عديدة .

واعتمدنا في ضبط هذا الجزء على الریحانة والنفح .

(٥) هكذا في الإسكوريال . وفي الریحانة والنفح (وتخارق) .

(٦) هذه العبارة واردة في المخطوطين . وساقطة في النفح .

(٧) هكذا في المخطوطين . وفي النفح (المتمتع) .

فنون الأنس يجذب بالمقاد ، إلى راحة الرقاد ، ويعتق النفس بقدره
 ذى الجلال ، من ملكة الكلال . فقال ، أما والله (١) قد استبحسنا ما سردت ،
 فشأنك وما أردت . فاستدعى عوداً فأصلحه حتى أحمدته ، وأبعد في اختياره
 أمده . ثم حرك فمه (٢) ، وأطال الحُسن ثمه ، ثم تغنى بصوت يستدعى
 الإنصات ، ويصدع الحصة ، ويستفز الحليم عن وقاره ، ويستوقف
 الطير ، ورزق بنييه في منقاره ، وقال :

صاح ما أعطر القبول بنمه أتراها أطالت البث ثمه
 هي دار الهوى منى النفس فيها أبد الدهر والأمانى جمه
 إن يكن ما تارَّج الجوه: بها واستفاد الشذا وإلا فممه
 من بطرفى بنظرة ولأنفى فى رباها وفى ثراها بشمه
 ذكر العهد فانتفضت كانى طرقتنى من الملائك لمه
 وطن قد نضيت فيه شبابا (٣) لم تدنس منه البرود مذمه
 بنت عنه والنفس من أجل من خلفته فى جلاله مغتمه
 كان حلماً فويح من أمل الدهر وأعماه جهله وأصمه
 تأمل العيش بعد أن أخلق الجسم وبنياته عسير المرمه
 وغدت وفرة الشبية بالشيب على رغم أنفها مغتمه
 فلقد فاز مالك جعل الله إلى الله قصده ومأمه
 من بيت من غرور دنيا بهم يلدغ القلب أكثر الله همه
 ثم أحال اللحن إلى لون التنويم ، فأخذ كل فى النعاس والتهويم ،
 وأطال الجس (٤) فى الثقيل ، عاكفاً عكوف الضاحى فى المقييل ،

(١) زائدة فى النفع .

(٢) هكذا فى الإسكوريال . وفى الريحانة (به) . وفى النفع (به) .

(٣) هكذا وردت فى الإسكوريال والنفع . وفى الريحانة (شباي) .

(٤) هكذا فى الريحانة والنفع . وفى الإسكوريال محرقة (الجس) .

[فخاط عيون القوم^(١) بخيوط النوم ، وعمّرتهم المراقد، كأنما أدار عليهم
 المراقد^(٢)] (٣) ثم انصرف ، فما علم به أحد ولا عَرَفَ . ولما أفاق
 الرشيد جدّ في طلبه ، فلم يُعلم بمُنْقَلَبه ، فأسف للفراق ، وأمر بتخليد
 حِكْمه في بَطون الأوراق . فهي إلى اليوم تُروى^(٤) وتُنقل ، وتُجلى القلوب
 بها وتُنقل . والحمد لله رب العالمين .

* * *

هذا ما حضرني من المنشور والمنظوم ، وحظّه عندي [في الإفادة]^(٥)
 حظّ ضعيف ، وغرضه كما شاء الله سَخِيف ، لكن الله بعباده لطيف ،
 سبحانه لا إله إلا هو .

مولدى : في الخامس والعشرين لرجب عام ثلاثة عشر وسبعمئة ،
 وكم^(٦) بالحىّ مَن ذكرته ، أُلحق بالميت ، وبالقبر قد استبدل من البيت ،
 ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

قلت : هنا انتهى هذا التأليف المسمى « بالإحاطة في تاريخ غرناطة »
 بالاختصار ، وتحصل منه ما أردناه من هذا المقدار ، ووهبناه للناظر فيه
 هبةً ليست بهبة اغتصار ، بل هي لتحصيله ذات انتصار . ولما لم يمكنه
 أن يُعرّف بمُحَنِّته ووفاته ، رأيتُ أنا بَعْدَه أن أعرف بذلك في مُختصرى
 هذا على مَهَيِّعه ، وعادته ، فأقول^(٧) :

(١) هذه الكلمة ساقطة في الإسكوريال .

(٢) هكذا في النسخ وفي الإسكوريال (المراقد) مرة أخرى .

(٣) ما بين الخاصرتين ساقط في الریحانة ومكانه فقط (فخاط العيون) .

(٤) هكذا في المخطوطين . وفي النسخ (تتلى) .

(٥) هكذا وردت هذه العبارة في الإسكوريال . وفي النسخ (من الإجابة) .

(٦) وردت بالإسكوريال (وكان) والتصويب أرجح .

(٧) من الواضح أن ذلك من كلام مختصر « الإحاطة » وناسخها أبي جعفر البقي .

محنته ووفاته

رأيت تعليقا بخط بعض العدول المعاصرين ، الأذكياء المحاضرين ،
الأدباء المجيدين ، الظرفاء المقيدين ، وهو صاحبنا أبو عبد الله (١)
الواد آشي حفظه الله ، طرفة زمان ، وحفظة أوان ، وهو ما نصه من تاريخ
ابن خلدون .. قال :

(الخبر عن مقتل ابن الخطيب) (٢)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد ، دار ملكه ،
فاتح ست وسبعين ، واستقل بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد
عليه ، وسليمان بن داود [من أعراب كبير بني عسكر] (٣) رديف له .
وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الأحمر ، عندما بويح بطنجة ،
على نكبة ابن الخطيب وإسلامه إليه ، لما نُمى عنه أنه كان يُغرى
السلطان عبد العزيز لمُلك الأندلس . فلما زحف السلطان أبو العباس
من طنجة ، ولقى الوزير أبا بكر بن غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه
السلطان ، ولاذ منه بالحِصار ، آوى معه ابن الخطيب إلى البلد الجديد
خوفاً على نفسه ، فلما استولى السلطان على البلد ، أقام أياما ، ثم أغراه
سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه بالسجن ،
وطيروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر . وكان سليمان بن داود شديد
العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الأحمر على

(١) بياض بالإسكوريال . وهو أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي آشي من أواخر
أدباء غرناطة وكان ممن نزع إلى تلمسان مع رهط من العلماء الذين أيقنوا باقتراب
وقوع النكبة وسقوط غرناطة في أيدي النصارى (راجع « كتاب نهاية الأندلس » ص ٤٩١)

(٢) نقانا هذا العنوان من كتاب العبر .

(٣) هذه الزيادة واردة في الإسكوريال . وساقطة في العبر .

مشيخة الغزاة بالأندلس ، حتى أعاده الله إلى ملكه . فلما استقر له سلطانه ، أجاز إليه سليمان سفيرا ، عن عمر بن عبد الله ، ومقتضياً عهده من السلطان . فصدّه ابن الخطيب عن ذلك ، بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياص الملك من آل عبد الحق ، لأنهم يعسوب زناتة ، فرجع آيسا ، وحقد ذلك لابن الخطيب . ثم جاور الأندلس بمحل إمارته من جبل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفس كل منهما لصاحبه ، بما يحفظه لما كمن في صدورهما . وحين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان ، بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله بن زمرك ، فقدم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه ، فعظم عليه النكر فيها ، فوبّخ ونكّل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملا . ثم تل إلى محبسه ، واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه . ودس سليمان بن داود إليه لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانفة جائءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقا في محبسه ، وأخرجوا شلوه من الغد ، فدفن في مقبرة باب المحروق . ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضمت عليه ناراً ، فاحترق شعره ، واسود بشره ، وأعيد إلى حفرتة . وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته ، وعظم النكير فيها عليه ، وعلى قومه ، وأهل دولته . والله فعال لما يريد . وكان عفى الله عنه . أيام لمتحانه بالسجن ، يتوقع مصيبة الموت ، فيتجيش دواتفه بالشعر يبكي نفسه . ومما قال في ذلك :

بَعُدْنَا وَإِنْ جَاوَرْتَنَا الْبُيُوتُ وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتُ
وَأَنْفَاسُنَا سَكَنَتْ دَفْعَةً كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهِ الْقُنُوتُ
وَكَنَّا عِظَامًا فَصَصَرْنَا عِظَامًا وَكَانَا نَقُوتُ فِيهَا نَحْنُ قُوتُ
وَكَانَا شُمُوسَ سَمَاءِ الْعِزَالَا غَرُبْنَا فَنَاحَتْ عَلَيْهَا الْبُيُوتُ
فَكَمْ جَدَلْتِذَا الْحُسَامُ الطُّبَا وَذُو الْبَخْتِ كَمْ جَدَلْتَهُ الْبِخُوتُ
وَكَم سَبَقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَتَى مُلِئَتْ مِنْ كُسَاهِ التَّخُوتُ
فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتِ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْكُمْ لَهُ فَقُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مِنْ لَا يَمُوتُ (١)

* * *

انتهى من السفر الأخير منه ، حيث عرّف بنفسه وبشيوخه ،
رحمة الله على الجميع .

قلت ، وهنا انتهى ما قصدناه ، وتم بحول الله ما أردناه واستوفينا
واستلحمناه ، وذلك بغرناطة أقالها الله وصانها ، وعمّر بالعلماء الأعلام ،
وصالحي الإسلام ، عُمرانها وبتاريخ أوائل شهر ربيع الآخر من عام خمسة
وتسعين وثمان مائة . والحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى .

* * *

الحمد لله .. من كتاب « نفاضة الجراب » لابن الخطيب المذكور رحمه الله ،
الذي ألفه بالعدوة بعد صرّفه عن الأندلس ، واستقراره بالعدوة بآخرة من
عمره ، وقرب وفاته (٢) . ولذلك سماه « نفاضة الجراب » قال في أثنائه ما نصه :

(١) ورد هذا الفصل في كتاب العبرج ٧ ص ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٢) هذا القول فيما يتعلق بتأليف كتاب « نفاضة الجراب » غير صحيح . فإن الكتاب الذي
ألفه ابن الخطيب في أواخر حياته بالعدوة (المغرب) هو كتاب « إعمال الأعلام » الذي ألفه للوزير
أبي بكر بن غازي القائم بالدولة عقب وفاة السلطان عبد العزيز المريني (سنة ٧٧٤ هـ) . وإنما وضع
ابن الخطيب كتاب نفاضة الجراب أثناء إقامته اولى بالمغرب ، وقت استقراره بمدينة سلا حيث أنجز
قسمه الأول بين سنتي ٧٦١ و ٧٦٣ هـ ، ثم كتب قسمه الثاني بعد عودته إلى الأندلس ما بين سنتي ٧٦٣ ،
و ٧٦٤ هـ . وقد تحدثنا فيما تقدم في مقدمة المجلد الأول من كتاب الإحاطة عن هذا الكتاب وعمّا يوجد
من مخطوطاته . فليراجع هناك .

وإلى هذا العهد صدر عنى من النظم والنثر بحال القلعة ، ومكان
الغمره ، رسايل إخوانية ، ومقطوعات أدبية ، نُثبتها إحماساً وإراحة ، لتعيد
مطالع هذا جماما ، أو تهدي إليه أنسا . والحمد لله على البأساء والنعماء

جَزَتْنِي غَسْرِنَاظَةً بَعْدَ مَا جَلَوْتُ مُحَاسِنَهَا بِالْجَلَا
وَلَمْ تُبْقِ جَاهاً وَلَا حَرَمَةً وَلَمْ تَبْقِ مَالاً وَلَا مَنْزِلاً
كَأَنِّي انْفَرَدْتُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ وَجَرَّدْتُ سَيْفِي فِي كَرْبِلا
وَلَمْ أَجْنِ ذَنْباً سِوَى أَنَّنِي صَدَعْتُ بِأَمْدَاحِهَا فِي الْمَلَا
وَأَنِّي صَنَعْتُ فِيهَا الْغَرِيبَ فَصَرْتُ الْغَرِيبَ أَجُوبُ الْفَلَا
يَمِيناً لَقَدْ أَنْكَرْتُ مَا جَرَى نَفُوسِ الْوَرَى وَأَبْتَهُ الْعُلَا
وَمَا خَصَّنِي زَمَنِي بِالْعُقُوقِ فَسَكُم مِنْ فِاضِلِ مُبْتَلَا
إِن ظَهَرَتْ نِعْمَةُ الْإِلَهِ عَلَيَّ فَأَلْبِسْتُ مِنْهَا حُلَا
إِن قَرَّبْتَنِي الْمَلُوكَ الْكِرَامَ يُقَلِّدُ آخِرُهَا الْأَوَّلَا
وَأَن مَكَّنْتَنِي مِنْ أَمْرِهَا فَشِمْتُ السُّيُوفَ وَصُنْتُ الطَّلَا
وَقَابَلْتُ بِالشُّكْرِ مِنْهَا الصَّنِيعَ وَحَاشَى لِمَثَلِي أَنْ يَغْفَلَا
فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَوْلَا أَنْوَفَا لَجَرَّدْتُ مِنْ مِقُولِي مِنْصَلَا
يَقْدُ الدَّرُوعَ وَيُخَلِّي الدَّمُوعَ وَيُلْقِي عَلَيَّ مِنْ عَدَا اللَّهِ رَكَلَا
فَيَتْرَكَ فِي النَّاسِ أَمْثَالَهُ تَجِدُّ عَلَيَّ رَغْمَ أَنْفِ الْبِلَا
وَلَا خَلَقَ أَجْهَلُ مِمَّنْ يَظُنُّ بِمَقْدَارِ مَثَلِي أَنْ يُجَاهِلَا
مَا رَكِبَتِ الدُّجَا إِذْ سَمَا يَقْلُدُ لِلنَّجْمِ نَصْرَا كَلَا
وَكَانَ لِسَانِي سَيْفَا صَقِيلَا وَكَانَتْ يِرَاعِي قَنَا ذُبَلَا
وَلَكِنْ [لَيْتَهُ بَصِيرًا] جَمِيلَ قَضَاءِ السُّذَى لَمْ يَزَلْ مُجْمَلَا
وَحَاسِبْتُ نَفْسِي فِيمَا أَمْرُ فَالْفَيْتَهُ الْبَعْضُ فِيمَا خَلَا

وَأَسْكَنْتَ نَارِي لَمَّا دَعَا وَأَسْكَنْتَ يَا سِي لَمَّا غَلَا
 سَلامَ عَلَيْهَا وَإِنْ أَخْفَرْتَ ذِمَامِي وَوَجَزْتَ بِالْقَلَا
 وَأَلْبَسْتَهَا الْأَمْنَ سِتْرًا خَصِيفًا وَإِنْ هَتَكْتَ سِتْرِي الْمُسْبِلَا
 وَمِثْلِي يَبْقَى عَلَى عَهْدِهِ إِذَا أَعْرَضَ الْخِلُّ أَوْ أَقْبَلَا

[هذا وقد وردت القصيدة الآتية بعد القصيدة الأولى في النصف الأعلى

من اللوحة الختامية لمخطوط الإسكوريال (لوحة ٥٠١) دون تقديم ولا تعريف .
 وهي آخر ما ورد في المخطوط] (١)

مِنْ حَاكِمِ بِي عَلَى الْفِرَاقِ حُكْمَ زِيَادٍ عَلَى الْعِرَاقِ
 بِيَدِي وَقَدْ خُتِمَتْ يَسَدَاهِ بِالْجُورِ فِي أَنْفَسِ رِقَاقِ
 وَعَاجِلِ النَّظْمِ بَانْتِثَارِ وَصَيْرِ الشَّمْلِ لِافْتِرَاقِ
 فَمَنْ أَكْفٌ عَلَى خُدُودِ وَمَنْ دَمُوعٌ عَلَى تَرِاقِ
 وَأَيُّ حَالٍ إِلَى دَوَامِ وَمَا سِوَى اللَّهِ غَيْرُ بَقَا
 يَا سَابِقَ الرَّكْبِ إِنْ نَفْسِي مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ فِي سِيَاقِ
 رَفَقًا عَلَى مُهْجَتِي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ رُوحِي التَّرِاقِ

(١) راجعنا السفر الثالث والأخير من كتاب « نفاضة الجراب » وهو المحفوظ بمكتبة الرباط العامة برقم 256 ك ، فلم نجد أثراً لهاتين القصيدتين اللتين هما بلا ريب من نظم ابن الخطيب ، حسبما ورد في الفقرة التي يقول الناسخ أنه نقلهما من « نفاضة الجراب » . والواقع أن ابن الخطيب قد ذكر في خاتمة هذا السفر الثالث من كتاب « النفاضة » . أنه يقف عند هذا الحد إلى أن تم الرحلة الحجازية التي كان ينوي القيام بها منذ أعوام طويلة ، وعندئذ يضيف إلى « نفاضة الجراب » قسماً جديداً يتحدث فيه عن مشاهداته . ولكن القدر لم يسعفه بتحقيق هذه الأمنية . ونعتقد أن هذا الشعر قد نظم على الأغلب في وقت متأخر ، حينما لحا ابن الخطيب إلى المغرب للمرة الثانية ، فاراً عن وطنه ، ومغاضباً لسلطانه ، ومحتمياً إلى كنف السلطان عبد العزيز المريني . وحين تفاقمت الحوادث بعد وفاة هذا السلطان ، وشعر ابن الخطيب بدنو آخرته . وهذا ما تدل به إشارات ودلائل كثيرة ، مما ورد في هذا النظم ، من عتب على ما لقيه ابن الخطيب من نكران الصنعة والعقوق بالرغم مما أداه لوطنه من جلائل الخدمات ، وما يقاسيه من آلام البين والامداد ، وتفرق الشمل ، وهو يلتجئ في النهاية إلى رحمة الله ، التي لا يجد معولا سواها .

ويارسول النسيم بُلُغ
 وسبق إلى سَمْعِي حديثاً
 جرّعتي البين كأسَ حُزْنِ
 فلا أنس سوى ادُّكاري
 ففي غَدْوِي بهما اصطباحي
 يا شقّة القلب ليت شعري
 أو يقلع الدهر من عِتَابِ
 طال على الظلام لما
 فيكذب الليل في ارتحال
 ضايقتي الدهر فيك حتى
 فلم يَكُنْ فيه من سلام
 قد عَجَزَ النطق عن شُجونِي
 أقسمتُ حقاً بخير هاد
 لو خيّرت في الوجود نفسي
 إن بَطَشَ الدهر بي وأبدي
 فكم هلالٍ رأيت بـدراً
 يا مَنْ على فضله اعتمادي
 إن لم تجد منك لي برحمتي
 بحيرة المحي ما ألاق
 من أرضهم طيب المساق
 بَعْدَهُم مُرّة المسداق
 ولا جليس اشْتِياق
 وفي رَواحي بهما اغْتِياق
 هل يصح شملٌ في اتِّساق
 أو يُطلق الشوق من وِثاق
 ضنّ مُحِيَّاك بالتَّلاق
 ويمُطّل الفجر بانْشِيقاق
 في مَوْقف البين والفرّاق
 ولا كلام ولا اعتناق
 قد يُلغ المَاءُ للنُّطاق
 سرى إلى الله بالْبُراق
 ما اخترتُ بها سوى التَّلاق
 سجيّة الغدر والنَّفاق
 أفلت من ظلمة المحاق
 يا مَنْ بِأسبابه اعتِلاق
 مالي في الخلق من خِلاق

تم بحمد الله

فهارس المجلد الرابع

من كتاب الإحاطة

صفحة

- ١ - فهرست التراجم ٦٤٢
- ٢ - فهرست الرسائل والقطع النثرية ٦٤٨
- ٣ - فهرست الشعر والشعراء... .. ٦٥٠
- ٤ - فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب... .. ٦٥٦
- ٥ - فهرست القبائل والطوائف والدول ٦٦٠
- ٦ - فهرست البلدان والأماكن ٦٦١
- ٧ - فهرست الأعلام ٦٦٦
- ٨ - فهرست التصحيحات ٦٨٢

فهرست التراجم

صفحة

٣	مقدمة
١١	عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم بن محمد الحضرمي
١٨	عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلذوزي
٢٠	عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد الملتوزي
٢٦	عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الأسدي العراقي
٢٨	عبد القادر بن عبد الله بن عبد الملك بن سوار الحاربي
٢٩	عبد الأعلى بن معلا
٣٠	عبد المنعم بن علي بن عبد المنعم بن سدرای بن طفيل
٣١	عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين العكي
٣٨	عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن أذفونش
٤٢	عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي
٥١	عثمن بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
	علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله بن حسن بن
٥٦	علي بن أبي طالب
٥٨	علي بن يوسف بن تاشفين بن تو حرت
٦٠	عتيق بن زكريا بن مول التجيبي
٦١	عمر بن يحيى بن محلي البطوي
٦٤	عامر بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق
٦٧	علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
٧٠	علي بن مسعود بن علي بن أحمد بن مسعود الحاربي
٧٣	علي بن لب بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي
٧٤	علي بن يوسف بن محمد بن كماشة
٧٧	عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو

٨٠	عتيق بن أحمد بن محمد بن يحيى الغساني
٨٢	علي بن محمد بن توبة
٨٣	علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن محمد بن أضحى بن عبد شمس ابن الغريب الهمداني
٨٦	عثمن بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي
٨٨	علي بن أحمد بن الحسن المدحجي
٨٨	علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي النباهي المالقي
١٠٠	علي بن أحمد بن خلف بن محمد بن الباذش الأنصاري
١٠١	علي بن محمد بن دري
١٠٤	علي بن عمر بن إبراهيم بن عبد الله الكناني القبيجاطي
١٠٧	عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي
١٠٩	عثمن بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي
١١١	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب
١١٦	علي بن إبراهيم بن علي الأنصاري المالقي
١٢٠	علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي
١٢٢	علي بن محمد بن عبد الحق بن الصباغ العقيلي
١٢٥	علي بن محمد بن سليمان بن حسن الأنصاري (ابن الجياب)
١٥٢	علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن عبد الله ابن سعد بن عمار بن ياسر
١٥٨	علي بن عبد الرحمن بن موسى بن جودي القيسي
١٦٠	عمر بن خلاف بن سليمان بن سلمة
١٦١	علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر الغساني
١٦٣	علي بن محمد بن علي بن هيضم الرعيني
١٦٧	علي بن محمد بن علي بن البنا
١٦٩	علي بن محمد بن علي العبدوي

صفحة

- ١٧٣ علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري
- ١٧٤ علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم الجذامي
- ١٧٥ علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزارى
- ١٧٦ علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري
- ١٧٧ علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد الحشنى
- ١٨١ علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن مروان بن عمر الغساني
- ١٨٣ علي بن صالح بن أبي الليث الأسعد بن الفرج بن يوسف
- ١٨٤ علي بن أبي جلا المكناسى
- ١٨٥ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن سمحون الهلالى
- ١٨٦ علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلى
- ١٨٧ علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى الغافقى
- ١٩٠ علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري
- ١٩٢ عمر بن علي بن غفرون الكلبي
- ١٩٤ علي بن يحيى الفزارى
- ١٩٦ عتيق بن معاذ بن عتيق بن مقدم بن سعيد بن يوسف بن مقدم اللخوى
- ١٩٧ علي بن علي بن عتيق بن عبد العزيز الهاشمى
- ٢٠١ علي بن أحمد بن محمد بن عثمان الأشعري
- ٢٠٥ علي بن عبد الله النميرى الششتري
- ٢١٦ عامر بن محمد بن علي الهنتاقى
- ٢٢٠ عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن رجا بن حكم الأنصاري
- ٢٢١ عياض بن محمد بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبى
- ٢٢٢ عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض اليحصبى
- ٢٣٠ عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعى
- ٢٣١ عاصم بن زيد بن يحيى بن محمد التيمى ثم العبادى الجاهلى
- ٢٣٥ عيسى بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي زمنين المرى

٢٣٥ عيسى بن محمد بن عيسى بن عمر بن سعادة الأموي
٢٣٦ غالب بن أبي بكر الحضرمي
٢٣٧ ابن مكتوم المحاربي ، أبو بكر
٢٣٩ غالب بن حسن بن غالب بن سيدبونه الخزاعي
٢٤٠ غالب بن علي بن محمد اللخمي الشقوري
٢٤١ فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
٢٤٦ فرج بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر
٢٤٧ فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
٢٤٨ الفتح بن علي بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المشهور
٢٥٣ فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي
٢٥٦ فضل بن محمد بن علي بن فضيلة المعافري
٢٥٨ فلوج العلج
٢٥٩ قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط الأنصاري
٢٦٢ قاسم بن عبد الكريم بن جابر الأنصاري
٢٦٣ قاسم بن يحيى بن محمد الزروالي
٢٦٥ قرشي بن حارث بن بشير ... بن معاوية بن عبد الرحمن الهمداني
٢٦٧ قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي
٢٦٨ قاسم بن خضر بن محمد العامري
٢٧٠ سوار بن حمدون بن عبده بن زهير بن ديسم
٢٧٣ سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر
٢٧٤ سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان
٢٧٥ سعيد بن سليمان بن جودي السعدي
٢٧٧ سهل بن محمد بن سهل ... بن إبراهيم بن مالك الأزدي
 سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن أحمد بن عبد السلام الحميري
٢٩٥ الكلاعي (أبو الربيع بن سالم)

صفحة

٣٠٩	سلمون بن علي بن عبد الله بن سلمون الكنانى
٣١٠	سعيد بن محمد بن إبراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني
٣١٣	سهل بن طلحة
٣١٤	سالم بن صالح بن علي بن صالح بن محمد الهمداني
٣١٥	هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله
٣١٧	هاشم بن أبي رجاء الإلبيري
٣١٨	يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر
٣٣٩	يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع
٣٤٠	يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عرفة اللخمي
٣٤٤	يحيى بن علي بن غانية الصحرأوى ، الأمير أبو زكريا
٣٤٧	يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت الصنهاجي ثم اللمتوني
٣٥٣	يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر
٣٥٤	يوسف بن عبد المؤمن بن علي
٣٥٥	يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيو
٣٥٧	يعقوب بن عبد الحق بن يحيو بن بكر بن حمارة بن كرناطة بن مرين
٣٦١	يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى بن شريفين
٣٦٣	يحيى بن طلحة بن محلى ، الوزير أبو زكريا
٣٦٤	يحيى بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحكيم اللخمي
٣٦٥	يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق
٣٧١	يوسف بن هلال
٣٧٢	يحيى بن عبيد الله بن يحيى بن كثير بن وسلاسن المصمودى
٣٧٤	يحيى بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصارى
٣٧٥	يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشى الفهرى
٣٧٦	يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح الجذارى المنتشافرى
٣٨٩	يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبى

٤٠٠	يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى
٤٠٤	يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن محمد بن قاسم الفهرى
٤٠٦	يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى
٤١٤	يحيى بن محمد بن أحمد بن عبد السلام التطيلي الهذلى
٤١٦	يحيى بن بقرى
٤١٧	يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجير الفهرى
٤٢٠	يوسف بن محمد اليحصبي اللوشى
٤٢١	يوسف بن على الطرطوشى
٤٢٤	يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن على الأنصارى
		يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان بن محمد بن خير بن
٤٢٥	أسامة الأنصارى النجارى
٤٢٦	يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى
* * *		
٤٣١	بيان تكميلى عن مخطوط الإسكوريال
٤٣٨	ترجمة ابن الخطيب مكتوبة بقلمه
٤٣٩	أوليته ومراحل حياته الأولى
٤٤٧	ذكر بعض ما صدر له من التشريفات الملوكية
٤٥٥	ذكر مشيخته
٤٥٧	ذكر تواليفه
٤٦٢	الشعر (وتراجع أماكن قصائده ومقطوعاته فى فهرس الشعر)
٥٢٦	رسائل مختلفة بقلمه (وتراجع فى فهرس الرسائل والقطع النثرية)
٦١٤	رسالة السياسة
٦٣٥	مصرع ابن الخطيب

فهرست الرسائل والقطع النثرية

صفحة

- وصية عبد الحق بن سبعين العكي لتلاميذه وأتباعه ٣٦
 مرسوم بقلم عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي ، المتوكل بن الأفطس ، بتعيين
 ابن خيرة والياً لأشبونة ٤٥
 رسالة سلطان الأندلس يوسف أبي الحجاج في تهنئة عثمان بن عبد الرحمن
 ابن يغمراسن سلطان تلمسان وتجديد الحلف معه بقلم ابن الخطيب ٥٣
 رسالة ابن الخطيب من سلا إلى علي بن بدر الدين بن موسى بن رحو
 ابن عبد الحق ٦٨
 رسالة أبي الحسن النباهي الماتقي في وصف نخلة بإزاء باب الحمراء ... ٩٥
 رسالة تجمع بين النظم والنثر لعلی بن محمد بن هيضم الرعيني ... ١٦٣
 رسالة الشيخ الصوفي أبي علي بن تادرت إلى الشيخ أبي الحسن الششتري ٢١٢
 رسالة أبي الحسن الششتري في الرد على أبي علي بن تادرت ... ٢١٤
 خطبة للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ... ٢٢٦
 ما كتب نثراً على قبر الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ٢٤٤
 نص مرسوم للفتح بن علي بن أحمد (الفتح بن خاقان) عن بعض الأمراء
 بتعيين صاحب الشرطة ٢٥١
 رسالة لسهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي يخاطب بها بني الوليد
 ابن رشد تعزية في وفاة أبيهم ٢٨٢
 الجانب النثري من رسالة أبي عبد الله بن الجنان في تعزية بني سهل بن مالك
 الأزدي ٢٩٠
 خطاب سعيد بن محمد بن سعيد الغساني إلى ابن الخطيب يشفع في ولده
 وقد وجد عليه ٣١٢
 رسالة السلطان يوسف أبي الحجاج إلى السلطان أبي عنان في العزاء والهناء
 مكتوبة بقلم بن الخطيب ٣٢٤

- ٣٣٣ ما كتب نثراً على قبر السلطان يوسف أبي الحجاج
نص الظهير الصادر بتعيين شيخ الغزاة يحيى بن عمر بن رحو من إملاء
- ٣٦٨ ابن الخطيب
رسالة ابن الخطيب إلى يوسف بن موسى المنتشافرى يشيد به وبصفاته
- ٣٧٧ رد يوسف بن موسى المنتشافرى على ابن الخطيب
رسالة بقلم يحيى بن عبد الكريم الشتوفى عن أمير المسلمين أبي يوسف
- ٤٠١ يعقوب عند نزوله غازياً بظاهر شريش
رسالة ليحيى بن إبراهيم البرغواطى
- ٤٢٩ ظهير صادر من السلطان محمد الغنى بالله إلى وزيره ابن الخطيب يخبره
بما فتح الله عليه من استرداد ملكه
- ٤٤٧ ظهير آخر صادر منه إلى ابن الخطيب بتجديد رياسته وتلقيبه بذى
الوزارتين ورد أملاكه إليه
- ٤٤٩ ظهير من السلطان أبي سالم إلى ابن الخطيب يبيع له زيارة العمالات المغربية
ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله بن أبي الحسن إلى ابن الخطيب
- ٤٥٣ بتثبيت مرتباته وامتيازاته
- ٥٢٧ رسالة بقلم ابن الخطيب إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان أبي الحجاج
رسالة أخرى بقلمه إلى التربة النبوية المقدسة عن السلطان الغنى بالله ...
- ٥٣٧ رسالة بقلمه بفتوح السلطان الغنى بالله إلى صاحب تونس
- ٥٦١ رسالة من ابن الخطيب إلى ابن خلدون
- ٥٩٣ رسالة من ابن الخطيب إلى أبي زكريا يحيى بن خلدون
- ٦٠٠ رسالة منه إلى أولاده بالمنكب
- ٦٠٥

فهرست الشعر والشعراء (١)

صفحة	صفحة
١١٤	ابن الابرار القضاعى ابو عبد الله
١١٥	الما بأشلاء الملا والمكارم ٣٠٤
١١٥	ابن ادهى • على بن عمر بن محمد الهمداني
٢٥٠	ومستشفع عندى بخير الورى ٨٤
	أتفى أبا نصر نتيجة خاطر ٨٤
	يا علما بمضمرات القلوب ٨٥
	ابن الامام الانصارى على بن عبد العزيز
	يالىت شعرى والأمانى كلها... .. ١٧٣
	تسمو بالمعارف والمعالى ١٧٣
	ابن الباذش على بن احمد بن خلف
	أصبحت تقعد بالهوى وتقوم ١٠١
	ابن البناء على بن محمد بن على
	هو الملا جرى باليمن طائره ١٦٧
	يا معدن الفضل موروثا ومكتسبا ١٦٨
	هاكها ضمرا مطايا حسانا ١٦٩
	ابن جودى القيسى على بن عبد الرحمن
	خليلى من نعمان بالله عرجا ١٥٩
	أدر كأس المدام فقد تفى... .. ١٥٩
	سقى الله دهرا ضم شمل مودة ١٥٩
	ابن حزم على بن احمد بن سعيد
	هل الدهر إلا ما عرفنا وأدر كنا ١١٤
	الشمس في جو العلوم منيرة ١١٤
وذى عذل فيمن سباني حسنه ١١٤	
لين أصبحت مرتحلا بشخصى ١١٥	
يقول أخى شجاك رحيل جسم ١١٥	
ابن خافان الفتج بن على	
أكعبة علياء وهضبة سؤدد ٢٥٠	
ابن الخطيب السلماى لسان الدين	
يا جملة الفضل والوفىا ٦٨	
أدرنا وضوء الأفق قد صدع الفضا .. ١٣٨	
ما لليراع خواضع الأعناق ١٤٧	
يا حسنها من أربع وديار... .. ٢١٧	
وحل فيها عابد الرحمن ٣٢٩	
ألا حدثانى فهى أم الغرايب ٣٣١	
يحبيك عبالريحان والروح من قبر ... ٣٣٥	
المر يوم والمنى أحلام... .. ٣٣٦	
حتى إذا الله إليه قيضه... .. ٣٥٧	
تبوأ هذا الأمر عبد الحق ٣٦٠	
حمدت على فرط المشقة رحلة ٣٧٨	
تخلصت منها نكبة مصحفية ٤٤٣	
قالوا لخدمته دعاك محمد ٤٤٣	
والكون إثمراك نفوس الورى ٥٢٠	
هل كنت تعلم فى هبوب الريح ٤٦٠	
تألق نجديا فأذكرنى نجدا ٤٦٣	
ما على القلب من بعدكم من جناح ... ٤٦٧	
أبدى لداعى الفوز وجه منيب ٤٧١	
شحطت وفود الليل بأن به الوخط ... ٤٧٧	
تملقتة من دوحة الجود والبأس .. ٤٨٣	

(١) نورد هنا أسماء الشعراء مرتبة على حروف المعجم ، ونشير إلى شعرهم بإيراد الشطرة

الأولى من البيت الأول من كل قصيدة أو مقطوعة من المنظوم .

صفحة

- بنفسى وما نفسى على بهينة ٥٩٣
- ابن دجاج القسطل ابو عمر
لملك يا شمس عند الاصيل ٥٧
- ابن زكريا الانصارى على بن عبد الله
صعدت نار فزادى ادمى ١٧٧
- ولى همة من دونها كل همة ١٧٧
- ابن سبعين العكى عبد الحق بن ابراهيم
كم ذا تموه بالشعبين والعلم ٣٧
- ابن سوار المحاربى عبد القادر بن عبد الله
لا تياسن من رجا كهف الملوك ٢٩
- ابن الصيرفى يحيى بن محمد الانصارى
اشكو الغليل بحيث المشرب الخضر ... ٤٠٧
- ركبت خيلها جيوش الضلال ٤٠٩
- يا ايها الملك الذى يتقنع ٤١٠
- ابن عبدربه ابو عمر احمد بن محمد
وله يوم بلى وقمة لم ٤١
- ابن عبدون ابو محمد عبد المجيد
الدهر يفجع بعد العين بالأثر ٤٧
- فأين العجب يا أذقونش هلا ٣٥١
- ابن عتيق الهاشمى على بن على
كتابك ذا من هوته المفاخر ٢٠٠
- ابن غفرون الكلبى عمر بن على
حب الملوك من آل نصر دينى ١٩٣
- ابن لب التفلبى فوج بن قاسم
خنوا للهوى من قلبى اليوم ما أبقا ... ٢٥٤
- أزومت يا شهر الصيام رحىلا ٢٥٥

صفحة

- أما وخيال فى المنام يزور ٤٨٤
- عسى خطرة بالركب يا حادى العيس .. ٤٨٦
- لنا فى الفخر سيمة مطلة ٤٩٠
- أسايلكم هل من خير سلوان ٤٩١
- جهاد هوى لكن بغير ثواب ٤٩٥
- سبق القضاء وأبرم المحتوم ٤٩٧

ومن المقطوعات

- ناديت دمعى إذ جد الرحيل بهم ٤٩٧
- كتبت بدمع عيني صفح خدى ٤٩٧
- ولما رأت عزمى حثيثاً على السرى ... ٤٩٨
- مضجى فيك عن قتادة يروى ٤٩٨
- حين ساروا عنى وقد خنقتنى ٤٩٨
- قال لى والدموع تسيل سحبا ٤٩٨
- مكناصة جمعت بها زمر العدا ٤٩٨
- قلت لما استقل مولاي زرعى ٤٩٨
- أشكو إلى الله الصبر من أبناء يعقوب ٤٩٩
- جلس المولى لتسليم الورى ٤٩٩
- سألنا ربيع العام للعام رحمة ٤٩٩
- لما رأوا كلفى به ورددوا ٤٩٩
- أنا كافروسواى فيه بماذل ٤٩٩
- أشكو لمبسه الحزين وقد حمى ٥٠٠
- ركب السفينة واستقل بأفتها ٥٠٠
- يامالكى بخلال تهدى ٥٠٠
- قلت وقد ألبس جسمى الضنا ٥٠٠
- أشكو إلى الله من بئى ومن شجنى ... ٥٠٠

بقية المقطوعات

من ص ٥٠١ إلى ص ٥١٠

- إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه ٥٢٧
- دعاك بأقصى المغربين غريب ٥٣٤
- خذ من رمانك ما تيسر ٥٩٠
- أنظر خضاب الشيب قد فصلا ٥٩٣

صفحة

ابو الحسن الششتري علي بن عبد الله

لقد تهمت عجبا بالتجرد والفقير ... ٢٠٧
 من لاني او انه قد ابصر ا ... ٢٠٨
 اري طالبا منا الزيادة لا الحسنى ... ٢٠٨

ابو الحسن النباهي علي بن عبد الله

بنفسي من غزلان غزوى وغزالة .. ٩٠
 وقائلة لما رأت شيب لمي ... ٩١
 فديتك لا يهدي إليك أجل من ... ٩١
 أبدى لنا من ضروب الحسن أفنانا ... ٩١
 لك الله قلبي في هواك رهين ... ٩٣

ابو الربيع بن سالم سنيهان بن موسى

أحن إلى نجد ومن حل في نجد ... ٢٩٧
 ثوالت ليالي للفواية جون .. ٢٩٨
 أمولى الموالى ليس غيرك لي مولى ... ٢٩٩

ابو عبد الله بن ابي الخصال

عتاب وما يرمى العتاب على الزمن ... ١٠٣

ابو عبد الله بن جزى

ألم تر أن انجد أقوت معاذة ... ١٤٩

ابو عبد الله الجلياني

كل عام يكون للمرء شغلا .. ٣٨٦

ابو عبد الله بن الجنان

دعوني وتسكاب الدموع السوابك . ٢٨٦

ابو فارس عزوز . عبد العزيز الملزوزى

سرد يعقوب بن عمده لحق .. ٣٥٩

ابو محمد بن برطلة

أسلمى للبلاد وحيدا .. ١٩٨

صفحة

ابن مسعود الاليري ابواسحق

بعل بن ثوبة فاز قدحى ... ٨٢
 قالوا ألا تستجيد بيتنا ... ٣١٧

ابن مكتوم المعاربي غالب بن عبد الرحمن

كن بنى صايد مستأنساً ... ٢٣٨
 كيف السلر ولي حبيب هاجر ... ٢٣٨

ابن منظور الفيسى هثمن بن يحيى

قد جمع الحكم وفصل الخطاب ... ٨٧

ابن هيثم الرعيني علي بن محمد

وادع مشوى المقام معترما ... ١٦٤
 عجبا للزمان عق وعاقا ... ١٦٥

ابو بكر بن سواد

ملك الملوك وما تركت لعامل ... ٣٥٣

ابو الحجاج الساحل يوسف بن ابراهيم

حاشاك أن تمرض حاشاكا ... ٤٠٥

ابو الحسن بن الجباب علي بن محمد بن سليمان

جريشا على الزلات غير مفكر ... ١٢٨

هات اسقى صرفا بغير مزاج ... ١٢٨

لمن المطايا في السراب سواججا ... ١٣٠

زارت تجرر نحوه أذيالها .. ١٣٣

هو البين حتما لالعل ولاعسى ... ١٣٥

سقانى فأهلا بالسقاية والعناق ... ١٣٧

ألا حبذا ذاك العتاب الذى مضى .. ١٣٨

أهزلا وقد جدت بك اللمة الشمطاء ... ١٤٠

أقسم بالقيسين والنايفتين .. ١٤٢

ومن المقطوعات الألفاظ

ص ١٤٣ - ١٤٧

صفحة	عبد المهيم بن محمد الأشجعي البللدي
١٩	أما على ذي شرك
عبد المهيم بن محمد بن عبد المهيم الحضرمي	
١٤	تراعى سحيرا والنسيم عليل
١٧	سقى ثرى سبتة بين البلاد
عثمن بن سعيد بن عثمان الأموي	
٨١	يا راكبا بينى الجناح الأشرفا
عثمن بن سعيد بن عثمان الأموي	
١١٠	قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما
عقيل بن عطية القضاعي	
٢٣٠	ملوك دون بابكم وقوف
علي بن ابراهيم الانصاري المالقي	
١١٨	رحماك رحماك في قلب يقبله
١١٩	لمحمد البرقاء حسن باهر
١١٩	أسيانا فديتك يا حياي
علي بن احمد بن عثمان الأشعري	
٢٠٤	في كل واحدة منهن أسرار
علي بن احمد بن عمر الفسائي	
١٨٣	قل الله تستفتح من أسماه الحسنى
علي بن احمد بن محمد الحسني	
١٧٨	أرى لك في الهوى نظرا مرييا
١٧٨	الآن تطلب ودها ووصالها
علي بن احمد بن يوسف الفسائي	
١٦٢	أيا كريمًا لم تضع
علي بن عمر الكنانى القيحاوي	
١٠٥	روض الشيب تفتحت أزهاره

صفحة	ابو المغنبيء عاصم بن زيد
٢٣٣	خضمت أم بناتي للعدا
٢٣٤	ماذا نسائل عن مواقع معشر
سعيد بن سليمان بن جودي السعدي	
٢٧٥	قد طلبنا بثأرنا فقتلنا
سعيد بن محمد ابن ابراهيم الفسائي	
٣١١	لما نأوا في الطاعنين وساروا
سليمن بن الحكم بن سليمان بن الناصر	
٢٧٣	عجبا يهاب الليث حد سناني
سهل بن طلحة	
٣١٤	ياحبذا دار لزينب باللوى
سهل بن محمد بن سهل بن مالك	
٢٧٩	نهارك في بحر السفاهة تسبح
٢٧٩	يلقاك من كل من يلقاك ترحيب
٢٨١	لما حطت بسبتة قتب النوى
٢٨١	تبسم واستأثرت منه بقبلة
سوار بن حملون بن عبده	
٢٧٢	صرم الغواني ياهنيد مودتي
عبد الرحمن بن محمد بن مفاور	
٣٠٣	أيها الواقف اعتبارا بقبرى
عبد العزيز بن عبد الله الاسدي العراقي	
٢٦	صرفت لخير صدر في الزمان
عبد العزيز بن عبد الواحد اللزوزي	
٢٢	اليوم يوم نزهة وعقار
٢٢	أعلمت بعدك زفرائي وأنيبي
٢٣	ياظبية الوعساء قد برح الحفا
٢٥	صهم المنية أين منه فرار

صفحة

- قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشافعي ... ٢٦٠
فصل الجمال على الكمال بخده ... ٢٦٠
وغزال أنس سل من الحاظه ... ٢٦١
قاسم بن عبد الكريم بن جابر الانصاري ... ٢٦٢
إن أطلع الشرق شمس دنيا ... ٢٦٢
قاسم بن محمد بن الجند العمري ... ٢٦٦
أرى أوجه الأيام قد أشرقت بشرا ... ٢٦٦
من أين أقبلت يا نسيم ... ٢٦٦
قرشي بن حارث بن اسد الهمداني ... ٢٩٢
هجرت القوافي والظبا الأوانسا ... ٢٩٢
يعحي بن احمد هذيل التجيبي ... ٢٩٢
ألا استودع الرحمن بدرا مكلا ... ٢٩٢
وصالك هذا أم تحية بارق ... ٢٩٢
بدا بدر تم فوقه الليل عسما ... ٢٩٢
رويت ولوعى من ضلوعى مسلسلا ... ٢٩٢
نام طفل التبت في حجر النعما ... ٢٩٣
أأرجو أمانا منك واللحظ غادر ... ٢٩٤
بحيث البنود الحمر والأسد الورد ... ٢٩٦
وظنوا بأن الرعد والصق في السما ... ٢٩٦
أعاشر قوما تقر نفوسهم ... ٢٩٧
أيا صديقا جعلته سندا ... ٢٩٨
طرقنا ديور القوم وهنا وثغليا ... ٢٩٩
عنت لنا من وحش جرة ظبية ... ٤٠٠
يعحي بن بقي ... ٤١٨
بأبي غزال غازلته مقلتي ... ٤١٨
يعحي بن طلحة بن محل ... ٣٦٤
أنا ابن طلحة ولا أبال ... ٣٦٤
يعحي بن عبد الجليل ... بن مجير النهري ... ٤٢٠
له خطت الخيل العناق كأنها ... ٤٢٠
أعلمتني ألقى عصا التسيار ... ٤٢٠

صفحة

- حمام حمام فوق أيك الأسي تشلو ... ١٠٧
علي بن محمد بن عبد الحق العقيل ... ١٢٣
يا مهدي الدر الثمين منظما ... ١٢٣
حليث المغاني بعدهن شجون ... ١٢٣
علي بن محمد بن علي الصبدي ... ١٧١
أسافرة النقاب سحرت لما ... ١٧١
مالي إذا غيبتهم تهمني لفرقتكم ... ١٧١
ألا إن باب الله ليس بمغلق ... ١٧٢
علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ... ١٥٤
كأنما النهر صفحة كتبت ... ١٥٤
يا أيها الملك الذي هبانه ... ١٥٤
الناصر الملك الذي عزماته ... ١٥٦
من آل أيوب الذين هم هم ... ١٥٦
علي بن يحيى الغزالي ... ١٩٤
لبابك أم الآملون ويمموا ... ١٩٤
وما كنت عن ذكر الأعبة ساليا ... ١٩٥
عمر بن خلاف بن سليمان بن مسلمة ... ١٦٠
خلعها إليك أبا إسحق تذكرة ... ١٦٠
أبا جعفر وافتك في صفحة الطرس ... ١٦١
عمر بن محمد بن مسلمة التجيبي ابن الافطس ... ٤٣
فا بالهم لا أنعم الله بالهم ... ٤٣
بمشت إليك جناحا فطر ... ٤٤
أقبل أبا طالب إلينا ... ٤٤
عياض بن موسى اليحصبي ... ٢٢٥
يا من تحمل عني غير مكترث ... ٢٢٥
يا راحلين وبالفؤاد تحملوا ... ٢٢٥
انظر إلى الزرع وخاماته ... ٢٢٦
غالب بن عطية أبو بكر ... ٣٧٦
جفوت أنا ما كنت إلف وصلهم ... ٣٧٦

- يوسف بن محمد اليحصبي اللوشي
 شرد النوم عن جفونك وانظر ... ٤٢١
 ليس للمرء اختيار في الذي .. ٤٢١
- يوسف بن موسى بن سليمان المنتشاهري
 حباك فزادي نبل بشرى وأحياكا ... ٣٧٩
 لما تناهى الصب في تشويقه ... ٣٨١
 هواكم بقلبي لأحكامه نسخ ... ٣٨٤
 إليك نحن النجب والنجباء ... ٣٨٥
 يا من بدنيا ظل في لجج ... ٣٨٦
 ورد المشيب مبيضا بوروده ... ٣٨٦
 لوعة الحب في فزادي تعاصت ... ٣٨٦
- بعض اصحاب عياض
 أيا مكرأ هلى وآت بجفوة ... ٢٢٩
 ما نقش نظما على قبر السلطان أبي الحجاج ٢٤٤
- لشاعر مجهول
 هيك كما تلعى وزيرا ... ٣١٦

- يحيى عبد الله بن ابي عزفة اللخمي
 الآن عاد إلى الإمامة نورها ... ٣٤٢
 وسرب ضمهم دست ستر ... ٣٤٣
- يحيى بن عبد الكريم الشستوفى
 مالى والصبر عني دونكم حجا ... ٤٠٣
- يوسف بن ابراهيم الفهري
 أجزت لهم أبقام الله كلما ... ٤٠٦
- يحيى بن محمد بن عبد السلام التظليل
 أذوب حياه إن تذكرت زلتى ... ٤١٥
 كلام ابن رشد لا يبين رشاده ... ٤١٦
- يحيى بن محمد بن عبد العزيز البرشاني
 إذا كان أنسى في لزومى وحدتى ٤٢٦
- يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان
 إلهى خلى في التراب تذلا ... ٤٢٥
- يوسف بن علي الطرطوشى
 رضاكم أن متم خير مرهوب .. ٤٢٣

فهرست الكتب والرسائل التي ورد ذكرها خلال الكتاب

انتشاق النسمات النجدية واتساق النزعات الجدية؛

٣٨٨

أنس الجليس ؛ ٨٦ .

أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق ،

٢٦١

أنوار التحقيق والهداية ؛ ١٩٩

الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية ،

لابن الصيرفي ؛ ٤٠٦

الآيات البيئات ؛ ٢٦٢

الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لشرح الإسلام

في الواجب والحلال والحرام وسائر

الأحكام ؛ ١١٣

الإيضاح للفارسي ؛ ١٠١ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

ب - ت

بد العارف (كتاب البد) ؛ ٣٤ ، ٣٥

بستان الدول ؛ ٤٥٩

بغية الباحث في معرفة مقامات الوارث ؛ ٨٧

التاج المحلى في مساجلة القدر المحلى ؛ ١٢٢ ،

٤٥٩ ، ١٢٦

تافه من جم ونقطة من يم ؛ ١٤٧

تبين مسالك العلماء في مدارك الأسماء ؛ ١٧٦

تجريد رؤوس مسائل البيان وتيسير بلوغ

مطالعها ؛ ٣٨٨

تحرير الجواب في توفير الثواب ؛ ٢٦١

تحريم سماع اليراعة المسماة بالشبابة ؛ ٢٤٠

تحفة الوداد ونجمة الرواد ؛ ٢٩٧

تحقيق القصد السنّي في معرفة الصمد العملي ؛ ١٧٥

تذكرة الفارسي ؛ ١٢١

التذكرة في الطب ، لأبي زكريا بن هذيل ؛ ٣٨٩

الأجوبة المهيرة على الأسئلة المتخيرة ؛ ٢٢٨

الأجوبة اليمنية ؛ ٣٥

الإحاطة في أخبار غرناطة ؛ ٣ ، ٤ ، ٥ ،

٤٣١ - ٤٣٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٦٣٢

الإحكام لأصول الأحكام ؛ ١١٣

الإختبار والاعتبار في الطب ؛ ٣٨٩

الأربعون عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة،

٢٩٦

الأربعون السبعية ؛ ٢٩٦

أرج الأرجاء في مزج الخوف والرجاء ؛ ٣٨٩

الأرجوزة المعلومة ؛ ٤٦٠

الأرجوزة المعتمدة في الأغذية المفردة ؛ ٤٦٠

إرشاد لأبي المعالي ؛ ١٢١

أزهار الرياض في أخبار عياض ؛ ٤

الاستشفاء بالعدة والاستشفاع بالعمدة في تخميس

البردة ؛ ٣٨٨

إظهار تعديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ،

١١٣

اعتلاق المسائل بأفضل الوسائل ؛ ٣٨٨

الإعلام بأخبار البخاري الإمام ؛ ٢٩٧

الإعلام بمحدود قواعد الإسلام ؛ ٢٢٨

الإعلام في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام ؛ ١٧٦

اقتباس السراج في شرح مسلم بن الحجاج ؛ ١٨٢

الإكليل الزاهر ؛ ١١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،

١٩٢ ، ٢٦١ ، ٣١١ ، ٤٢٢ ، ٤٥٩

إكمال العلم في شرح مسلم ؛ ٢٢٨

الإلماع في ضبط الرواية وتقييم السماع ؛ ٢٢٨

الامتثال لمثال المنهج في ابتداء الحكم وختراع

الأمثال ؛ ٢٩٧

- الرجز في عمل الترياق ؛ ٤٦٠
رسالة أبي زيد القيرواني ؛ ١٨٧
رسالة السياسة ؛ ٥ ، ٦١٤
رسائل الأبرار ودخائر أهل الخطوة والإينار في
انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار
والآثار ؛ ١٧٦
الرسالة العلمية ؛ ٢٠٧
رقم الحلل في نظم النول ؛ ٣٥٧ ، ٣٦٠
ريحانة الكتاب ؛ ٨٤٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ،
٦١١ ، ٤٥٧
زواهر الأنوار وبواهر ذوى البصائر والاستبصار
في شمائل النبي المختار ؛ ١٧٥
ص - غ
السباعيات من حديث الصدق ؛ ٢٩٦
السحر والشعر ؛ ٤٥٧
السلك المحلى في أخبار ابن جلا ؛ ١٨٥
السليمانيات والعربيات لابن هذيل ؛ ٣٩٠ ، ٣٩١
السنن المشهور ؛ ٤٥٨
الشافى في اختصار التيسير الكافى ؛ ٢٦٨
شرح معاني التحية ؛ ١٨٤
شرف المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج ؛ ١٦٢
الشفابتعريف حقوق المصطفى ، ٢٠٠ ، ٢٢٨
صبح الأعشى ؛ ٤
الصحف المنشرة في القطع المعشرة ؛ ٢٩٧
صحيح مسلم ؛ ١٨٢
صلة الصلة ؛ ٢٥٦
الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد ، ١٥٣ ، ١٥٤
طرفة العصر في دولة بنى نصر ؛ ٤٤ ، ٢٣٣
عايد الصلة ؛ ١١ ، ١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٧٤ ،
١٧٧ ، ٢٣٦ ، ٢٦٣ ، ٤٠١ ، ٤٢٢ ،
العروة الوثقى بيان السنن وإحصاء العلوم ، ٢٠٧
عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة بمدينة
بجاية ؛ ٣٢ ، ٢٠٥
المعارف والمعارف ؛ ٢٠٦

الإحاطة - ٤٢

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام
مذهب مالك ؛ ٢٢٨
الترصيع في شرح مسائل التفريع ؛ ١٨٢
التعريف بلبن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ؛ ٤٤
تفريع ابن الجلاب ؛ ١٨٢
التقريب إلى المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة ،
١١٣
تقصي الأنباء وسياسة الرؤساء ، لابن الصيرفى ؛
٤٠٦
التكملة لكتاب الصلة ؛ ١٨٧
التلخيصات للسهروردي ؛ ١٢١
تنبيه المتعلمين على المقدمات والفصول في شرح
المهمات والأصول ؛ ١٧٦
تهافت التهافت ، لابن رشد ؛ ٤٠٥
التهذيب ؛ ١٨٧
توجع الرائي في تنوع المرائى ؛ ٣٨٨

ج - ز

- الجامع البسيط وبنية الطالب النشيط ؛ ٢٠٧
جنوة الاقتباس ؛ ٤
جنى الرطب في سنى الخطب ؛ ٢٩٧
جهد النصيح في معارضة المعرى في خطبة الفصيح ، ٢٩٧
حقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الأنام ٣٨٨
الحلل المرقومة في الملح المنظومة ؛ ٤٦٠
الحقبي في أغاليط القرطبي ؛ ١٠٩
حلية الأمانى في المراقبات العوالى ؛ ٢٩٧
الديباج المذهب ؛ ٤٣٢
الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة ؛ ٤٤ ، ٢٢١
الرايد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ؛
٢٨٨
رجز الأغذية ؛ ٤٥٧
رجز في مشيخة الراوية إبي عمر الطنجي ؛ ٣٨٨
رجز السياسة ؛ ٤٥٧
رجز الطب ؛ ٤٥٧

- كتاب الغنية ؛ ٣٢٨
 كتاب المرزومة ؛ ١٥٣
 كتاب المستصفي في أصول الفقه ؛ ٢٦٨
 كتاب المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة ،
 ٢٢٨
 كتاب المقتضب ، ١٠١
 كراسة الإمام فخر الدين الرازي ؛ ٣٩٠
 كفاية المحتاج ؛ ٤٣٢
 الكل والإحاطة ؛ ٣٥
 كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ٦

ل - م

- لمع البهيج ونفع الأريج في ترجيز ما لأبي مدين
 من حكمة وإشارات صوفية ؛ ٣٨٩
 اللمحة البدرية ؛ ٤٥٧
 اللمع الجلية في كيفية التحدث في علم العربية ؛ ٨٧
 مجاز فتيا اللحن للحن المتحن ؛ ٢٩٧
 مختصر الإحاطة ؛ ٤٣١
 مدارك الحقائق في أصول الفقه ؛ ١٧٥
 المدونة ؛ ١٨٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣
 المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية ؛ ٢٠٧
 مراتب العلوم وكيفية طلبها ؛ ١١٣
 المرقصات والمطربات ؛ ١٥٣
 مسألة الأهل المشترط فيهم التزاور ؛ ٢٢٨
 المستدرك ؛ ٣٦٩
 المسلسلات والإنشادات لأبي الربيع بن سالم ؛
 ٢٩٧
 مشارق الأنوار على صحيح الآثار ؛ ٢٢٨
 المشرق في حل المشرق ؛ ١٥٧
 مصباح الظلم ؛ ٢٩٦
 مصحف عثمان ؛ ٣٤٥
 مطمح الأنفس ؛ ٢٢٠
 المظفرى لابن الأقطس ؛ ٤٣

- مواطف الأعتاب في لطائف أسباب المتاب ؛
 ٣٨٨
 غرر الأمان المسفرات في نظم المكفرات ؛ ٣٨٨
 غنية الرابض في علم الفرائض ؛ ٢٦١
 غنية الكاتب وبنية الطالب ؛ ٢٢٨

ف - ك

- فصل المقال في الموازنة بين الأعمال ؛ ٢٣١
 الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ ١١٣
 الفنون الستة في أخبار سبعة ؛ ٢٢٨
 قبول الرأي الرشيد في تخميس الوترية المنسوبة
 لابن رشيد ؛ ٣٨٨
 القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح ، ٢٣٦
 قلايد العقيان ؛ ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٤٩ ، ٢٤٩٠ ، ٢٥٠٠ ،
 ٢٥١
 قوت النفوس ؛ ٨٥
 الكافي لابن النحاس ؛ ١٠١
 كتاب ابن الحاجب ؛ ٢٦٨
 كتاب الأربعين ، لابن الخطيب ؛ ١٢١
 كتاب الاستذكار لأبي عمر بن عبد البر ، ١٧٤
 كتاب الأصول ؛ ١٠١
 كتاب الاكتفا في مغازي رسول الله ؛ ٢٩٧
 كتاب تخصيص القرب وتحصيل الأرب ، ٣٨٨
 كتاب الجمل ؛ ١٠١ ، ١٠٨
 كتاب خطب عياض ؛ ٢٢٨
 كتاب الدرج ؛ ٣٥
 كتاب السباعيات ؛ ١٧٦
 كتاب سيويه ؛ ١٢٠ ، ١٤١ ، ٢٦٨
 كتاب الشاطبية ؛ ٢٦٨
 كتاب الصفر ؛ ٣٥
 كتاب الصلة ؛ ٢٤٩
 كتاب العزلة ؛ ١٨٤

نيل الابتهاج ؛ ٤٣٢

ن - ي

نتائج الأفكار في إيضاح ما يتعلق بمسألة الأقوال

من الغوامض والأسرار ؛ ١٧٥

نزهة الأبصار في نسب الأنصار ؛ ٨١

نزهة الأصفياء وسلوة الأولياء في فضل الصلاة

على خاتم الرسل وصفوة الأنبياء ؛ ١٧٥

نسبة الذنب إلى الذاكر ؛ ٤٢٧

نصيحة الحب الصميم وزكاة المنشور والمنظوم ؛

٢٩٧

نظم الحل في أرجوزة أبي علي ؛ ٨١

نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ؛ ٢١

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ؛ ٤ ، ٦ ،

٨

النفحة المسكية في الرحلة الملكية ؛ ١٥٨

نهج السالك للتفقه في مذهب مالك ؛ ١٨٢

النورية في ترتيب السلوك ؛ ٣٥

اليوسق في الطب ؛ ٤٥٧

المعجم في شيوخ أبي سكرة ؛ ٢٢٨

المعجم في مشيخة أبي القاسم بن حبيش ؛ ٢٩٧

المعجم ممن وافقت كنيته زوجه من الصحابة ؛

٢٩٧

معيار الاختيار ؛ ٤٥٧

مغازي الثلاثة الخلفاء ؛ ٢٩٧

مفاضلة بين مالقة وسلا ؛ ٤٥٧

مفاوضة القلب العليل ومنايذة الأمل الطويل بطريقة

أبي العلاء المعري في ملقى السبيل ، ٢٩٧

المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ؛ ٢٢٨

المقاليد الوجدية في أسرار شارات الصوفية ؛

٢٠٧

المقامات الحريرية ؛ ٢٣١

ملاذ المستعبد وعباد المستعبد ؛ ٣٨٨

منازل السابرين إلى الحق ؛ ٤٢٦

منهج السداد في شرح الإرشاد ؛ ١٧٥

الموطأ ؛ ١٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٧٢

ميداننا السابقين وعليه الصادقين والمصدقين ، ٢٩٧

فهرست القبائل والطوائف والدول

- دولة الموحدين ؛ ٣٥٨
الروم ؛ ٣٤ ، ٦٠ ، ٧٤٤ ، ٣٢٢ ، ٣٤٩ ،
٤٠٧ ، ٣٥٨
زناقة ؛ ٣٥٧
الشوذية ؛ ٣٢
الصوقية ؛ ٢١٥ ، ٢٥٦
العجم ؛ ٣٩ ، ٢٧٠
العرب ؛ ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ،
٢٧٧ ، ٣٣٩
عرب رياح ؛ ٣٥٨
الفرس ؛ ٤٨
الكنبانية ؛ ٤١
لمتونة ؛ ٣٤٧
المتونيون ؛ ٤٧
المرابطون ؛ ٣٤٧ ، ٣٥١
المسالمة ؛ ٢٧٠
المسلمون ؛ ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧٤ ،
٧٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ،
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٦
مسوفة ؛ ٣٤٤ ، ٣٧٤
المصامدة ؛ ٢١٦ ، ٣٤٨
الملثمون ؛ ٨٦
ملكة غرناطة ؛ ٥
ملكة قشتالة ؛ ٥
الموحدون ؛ ١٧٣ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧-
المولتون ؛ ٣٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
النصارى ؛ ٣٤ ، ٧٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٤ ،
٣٧١
اليمانيون ؛ ٣٣٩
- الإسلام ؛ ١١١ ، ٢٥٠ ، ٣٦٩ ، ٥٨٣ ، ٥٧٥
الأشعرية ؛ ٢٥٨
آل ذبيان ؛ ٤٨
الإيالة النصرية ؛ ٢٦ ، ٣١ ، ١٢٦ ، ١٩٢ ،
٣٢٠ ، ٣٤١ .
البرابرة ، البربر ؛ ٥٦ ، ٢٧٣ ، ٣٤٨ .
برغواطية ؛ ٣٤٨
بنو إشقيلولة ؛ ٦٢ ، ٣٥٩
بنو الأفتس ؛ ٤٧
بنو أمية ؛ ٣٩ ، ١١١ ، ٢٣١ ، ٢٧٧ ،
٣١٧ ، ٣٣٩
بنو حمامة ؛ ٣٦١
بنو رحو ؛ ٣٦٨
بنو زيان ؛ ٥٢ ، ٣٥٦
بنو ساسان ؛ ٤٨
بنو عمرو ؛ ٢١٩
بنو قحطبة ؛ ٢٧٠
بنو محلى ؛ ٣٥٩ .
بنو مرين ؛ ٦ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٨
بنو مسيرة ؛ ٢٧٠
بنو منظور ؛ ٨٦
بنو نصر ؛ ٥ ، ٦٢ ، ٣٦٥
بنو هاشم ؛ ٥٦
تبع ؛ ٣٢٧
الترك ؛ ٤٨
الجزر ؛ ٤٨
خولان ؛ ٤٨
الدولة الزيانية ؛ ٥٣
الدولة المرينية ؛ ١١

فهرست البلدان والأماكن

٣٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ ،
 ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٣ ،
 ٩٦ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ،
 ٢٠٥ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ، ٢٢٣-٢٢١ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٧ - ٣١٩ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ -
 ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ،
 ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ - ٣٦٥ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ ، ٤٠٦ ،
 ٤٢٤ ، ٤٢٦

أندو جر ؛ ٣٤٥ ، ٣٤٦

أنفا ؛ ١١٧ ، ٤٢٦

ب-ث

باب البيرة ، ٣١ ، ١٠١ ، ٢٣٧ ، ٤٠١
 باب إيلان ؛ ٢٣٠
 باب الحمراء ؛ ٩٥
 باب السادة ؛ ١٦٧
 الباب الشرق ، ٢٧١
 باب القصير ؛ ١٨٨
 باجة ؛ ٩٠ ، ٣٥٥
 باغة ؛ ٢٢١ ، ٢٢٢
 بجانة ؛ ١١٠ ، ٢٢٢
 بجاية ؛ ٣١ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢
 ٢٤٠ ، ٢٧٨ ، ٣٤٢ ، ٤٠٤
 البحر الرومي ؛ ٢١٦
 بحر سبتة ؛ ١٨٨

أبلدة ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٩١ ، ٥٤٩ ، ٥٧٨
 أرجان ؛ ١٥٧
 أرجبة ؛ ٣٤١ ، ٤٢٤
 أرجدونة (أرشدونة) ؛ ٣٩
 أرملة ؛ ٦٤
 أريبتيرة ؛ ١٦٢
 إستجة ؛ ٤١ ، ١١٠ ، ٣٥٨
 الإسكندرية ؛ ٣٠٢ ، ٥٧٨
 الإسكوريال ؛ ٦
 إشبيلية ؛ ٤٧ ، ١٠٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤
 ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٨١ ، ٣٠٤
 ٣٣٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤
 ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٤٣٨ ، ٥٤٥
 أشبونة ؛ ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٦
 أشقطر ؛ ٣٥٧ ، ٣٥٩
 أطرية ؛ ٥٤٥
 أغمات وريكة ؛ ٣٤٩
 إفراغة ؛ ٣٤٤ ، ٣٤٦
 إفريقية ؛ ٢١٩ ، ٢٣٩ ، ٢٢٢ ، ٣٥٥
 إقليم البلاط ؛ ٢٧٠
 أبنية ؛ ٥٥٤
 إلبيرة ؛ ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٧ ، ١٠٩
 ٢٣١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
 ٧٧ ، ٣ ، ٣٤٠ ، ٣٧٢
 المرية ؛ ٥٧ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٠
 ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٥ ، ٣٤١
 ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٤٥٧
 ٥٩١
 الأندلس ؛ ٦ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٨٠

الشعر ١١٠ ، ٣١٦
 ثغر أطية ٧٩
 الشعر الغربي ، ٤١

ج - خ

جامع المرية ٢٦٩
 جامع بلنسية ٢٩٥
 جامع الزيتونة ٤ ، ٨
 جامع سبتة ٢٢٣
 جامع غرناطة ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
 ١٩٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٠٠ ، ٣٧٣
 جامع قرطبة ٢٤٥
 جامع القرويين ٢٨٥
 جامع مالقة ٣٨٦
 جامع وادي آش ٣٧٤
 جبال المصامدة ٣٤٨
 جبل ببشر ٣٩ ، ٤٠
 جبل درن ٢٠٦
 جبل شكير ٥٠٤
 جبل الفتح ٣٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣
 جبل الفخار ٢٧١
 جزيرة الأندلس ٧٧ ، ٢٥٠ ، ٣٥٤
 الجزيرة الخضراء ٢١ ، ٣٩ ، ٥٢ ،
 ١٠٨ ، ٢٤٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ،
 ٣٣٢ ، ٣٥٠ ، ٤٠١
 جزيرة طريف ٦٤ ، ٦٥ ، ٣٢٢ ،
 ٥٧٣
 جليقية ٣٣٩
 جيان ١٠٧ ، ٢٧١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٢ ،
 ٥٧٤
 الحجاز ٦٩ ، ٢٦٨ ، ٣٢٨
 الحجر الأسود ٧٧
 الحرم الشريف ٣٣ ، ١٩٩

البراجلة ٢٧٠
 براجلة غرناطة ١٩٣
 بريلة قيس ٤٠
 برجلونة (برشلونة) ٣٣٢
 برغة ٥٧٣
 بسطة ٣٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٢٢ ،
 ٢٦٢ ، ٢٧٠
 بسكرة ، ٥٩١
 البصرة ١٥٧
 بطليوس ٤٢ ، ٤٧
 بغداد ١٥٧
 بلاد البربر ٢٧٤
 بلاد الروم ٣٥٦ ، ٣٧٠
 البلاد المشرقية ٣٦
 بلدوذ ١٩
 بلش ١٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٦٤ ، ٣٤١
 بلدية ١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠٣ ، ٣٤٤ ، ٣٧٢ ، ٤١٦
 بنيونش ٥٠٤
 بونة ٢٣٩
 بياسة ٣٩ ، ٢٢١
 البيت الحرام ٢٠٣
 بيت المقدس ١٥٦
 تطيلة ٤١٥
 تلمسان ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ،
 ٩٠ ، ٣١١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٥٦
 ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٤٥٧ ،
 ٥٩١
 تلمسان الجديدة ٣٥٦
 تونس ١٨ ، ٦٦ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ،
 ٣٦١ ، ٣٣٠
 تيزي ٣٤١

رابطه المقاب ؛ ٢٠٧ ، ٣٧
 الرباط ؛ ٦
 ربض البيازين ؛ ٢٥٧ ، ٢٣٩
 الرصافة ؛ ٩٦
 رندة ؛ ٣٨ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ٣٧٦ ،
 ٥٧٣ ، ٤٥٧
 رومية ؛ ٣٤
 ريه ؛ ٢٧١ ، ٣٩
 زقاق الشترى ؛ ٢٠٥
 زنيته ، قرية ، ٢٣٩

س - ط

سبته ؛ ١٢ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ،
 ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ - ٢٦٩ ،
 ٢٨١ ، ٣٤١ ، ٣٥٠ ، ٥٠٤
 سجلماسة ؛ ٣٦٣ ، ٣٤٩
 سرقسطة ؛ ٢٥٨ ، ١١٠
 سلا ؛ ٢٣ ، ٦٨ ، ١١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ،
 ٣٤١ ، ٣٥٧
 السودان ؛ ٣٤٩
 شاطبة ؛ ٢٢١ ، ٢٠٣
 شالة ؛ ٤٥٢
 الشام ؛ ٩٧
 الشرق ؛ ٣٢٢
 الشرق الأقصى ؛ ٢١٢
 شرق الأندلس ؛ ١٨٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦ ،
 ٣٧٢ ، ٣٤٤
 شريش ؛ ٤٠٠
 شتر ؛ ٢٠٥
 شقشتر ؛ ٢٨٦
 شلب ؛ ٤١٨
 شلوبانية ؛ ٦٣

حصن ابن الشرف ؛ ٣١٧
 حصن البنت ؛ ٣١٦
 حصن أشر ؛ ٥٧٤
 حصن أندرش ؛ ٣٦٦ ، ٧٩
 حصن أوطه ؛ ٣٨
 حصن بلج ؛ ٣٥٢
 حصن بلي ؛ ٤٠ ، ٣٩
 حصن بنى بشير ؛ ٢٥٨
 حصن الحواير ؛ ٥٥٢
 حصن روطه ؛ ٥٥٢
 حصن السهلة ؛ ٥٧٣
 حصن شلوبانية ؛ ٢٤٤ ، ٦٢
 حصن غرناطة ؛ ٢٧١ ، ٣٤٠
 حصن قنبيل ؛ ٥٥٢
 حصن لبيط ؛ ٣٥٢
 حصن مرجانة ؛ ٣٤٩
 حصن منتشافر ؛ ٤٠
 حصن مطرنيش ؛ ٣٧١
 حصن ملناس ؛ ٩٨
 حصن وبرة ؛ ٧٩
 حلب ؛ ١٥٥ ، ١٥٦
 حماه ؛ ١٥٦
 الحمراء ؛ ٩٩ ، ٢٧٠ ، ٤٠٦ ، ٥٦٥
 حمص ؛ ١٥٦
 خزانة الرباط العامة ؛ ٨
 خزانة الرباط الملكية ؛ ٨
 د - ز
 دار الكتب الوطنية التونسية ؛ ٤
 دانية ؛ ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٨٤
 درعة ؛ ٣٤٨
 دمشق ؛ ١٥٧
 دياط ؛ ٢١٥
 الديار المصرية ؛ ١٥٤

٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ - ٣٦٤ ،
 ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٦

ف - ك

فارس ؛ ٦ ، ٢٩ ، ٦١ ، ١٢٤ ، ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
 ٢٤١ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٤٤ ،
 ٣٦٥ ، ٣٧١

فحص البلوط ؛ ٤٢

الفرنثيرة ؛ ٣٥٩

فندق لبيب ؛ ٢٥٣

القاهرة ؛ ٦ ، ١٥٦ ، ٢٤٠

قبر النبي (صلعم) ؛ ٢٠٣

قبرة ؛ ٣٩ ، ٤١

قربسانة ؛ ٢٧٠

قرطبة ؛ ٤١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٨ ، ١١٠

١٩٦ ، ١٨٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ ،

٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،

٣٤٤ - ٣٤٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ -

٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٥٧٩

قسنطانية ، ٢٢٩

قشتالة ، ٦٥ ، ٣٣٠

قصبه غرناطة ، ٨٦ ، ٢٤٧

قصبه المنكب ؛ ٣٧١

قصر باديس ؛ ٣٤٧

قصر قرطبة ؛ ٢٧٤ ، ٢٤٥

القصر الصغير ؛ ٢٤٣

قصر قصبه غرناطة ؛ ٣٥٣

قصر مراکش ؛ ١٦٧

قلعة محصب ، ١٥٣ ، ٢٤٨ ، ٣٣٢

قنارشر ، ٣٩ ، ٨٧

شذرين ؛ ٤٢ ، ٣٤٦ ، ٣٥٥

الصخرة ؛ ٣٧٢

الصخيرة ؛ ٣٧٢

طرجيلة ؛ ٣٨

طرش ؛ ٢٦

طرطوشة ؛ ١٨٤ ، ٢٣١ ، ٣٤٦

طلبيرة ؛ ٥٨

طليطلة ؛ ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٧٨ ، ٣٤٠

٣٧٢ ، ٣٥٠

الطينة ؛ ٣١٦

ع - غ

العدوة الغربية ؛ ٤٥٠ ، ٤٥٧

العدوة ، العدوة المغربية ؛ ٢٠ ، ٢٨ ، ٣١ ،

٣٣ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ،

٧٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ،

٢٤١ ، ٣١١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،

٣٧٠ ، ٤١٨ ، ٤٣٣

العراق ؛ ٩٧

غرب الأندلس ؛ ٤٣

غرناطة ؛ ١٢ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ،

٤٦ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،

١٦٩ ، ١٧٣ - ١٧٦ ، ١٨١ ،

١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،

٢٧٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ،

المغرب : ٦٠ ، ٣٢ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٦٥ ، ٧٧ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١١٧ ،
 ١٢٧ ، ١٥٧ ، ١٨٧ ، ١٩٩ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
 ٢٦٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ،
 ٣٢٩ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٨

المغرب لأقصى : ٢١٢ ، ٣٤٧ ،

مقبرة باب البيرة : ١٠١ ، ١٠٢ ، ٤٢٣ ،

مكتبة دير الإسكوريال : ٤ ، ٨ ،

المكتبة الزيدانية : ٤٣١ ،

مكناسة الحوف : ٤٢ ،

مكة : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٤ ، ١٨١ ،

ملناس : ٨٧ ، ١٧٧ ،

منتشاجر : ٢٧٠ ،

متفريد : ١٩٣ ،

منيشة : ٢٧٠ ،

المنكب : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨١ ، ١٨٥ ،

٦٠٣

مورتلة : ٣٧١ ،

موقعة أنيشة : ٣٠٣ ،

مجد : ٢٩٧ ،

النيل : ١٥٥ ، ٣٢٧ ، ٥٩٥ ،

٤١٦ ، ٣٧٤ ، ٣٦٦

س - ح

همدان : ٨٣ ،

وادي آش : ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٩ ،

١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،

١٨١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٣٦٣ ،

٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٤١٦ ،

وادي سيو : ٧٨ ،

وادي لسته : ٢٣٩ ،

ورغة : ٧٨ ،

مشيش : ١٧٧ ،

القيروان : ١١٠ ، ٢٢٢ ، ٣٣٠ ،

٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٥٨٦ ،

كورة البيرة : ٩٦ ، ٢٧١ ، ٣٧١ ،

كورة تاكرونا : ٣٨ ،

كورة جيان : ٤٠ ،

كورة جند دمشق : ٢٣١ ،

كورة ريه : ٣٨ - ٤٠ ،

ل - م - ن

ليلة : ١١١ ، ١١٦ ، ٣٤٥ ،

لوشة : ٢٣٦ ،

ماردة : ٢٣٢ ،

مالقة : ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٧٩ ، ٧٠ ،

٨٦ - ٨٨ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧ ،

١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٩ ،

١٩٠ ، ١٩٤ - ١٩٦ ، ٢٢١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣٢٠ ، ٤٢٥ ،

٤٢٦ ، ٤٥٦ ، ٥٧٣ ،

مدرسة عرباطة (المدرسة النصرية) : ٣٥٤ ، ٣٨٩ ،

ملايد : ٦ ،

المدينة المنورة : ٣٤ ،

مراكش : ١٨ ، ١٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

١٦٦ ، ١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ،

٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ،

٣٦٢ ، ٤٢٠ ، ٤٥٢ ،

مربلة : ٣٧٦ ،

مرسى المنكب : ٣٧١ ،

مرسية : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨١ ،

مسجد الحمراء الأظم : ٤٠٤ ،

مسجد قصبه مالقة : ١٧٨ ،

المشرق : ٣٤ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ،

١٢٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣٠ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٣٣٥ ، ٤١٤ ، ٤٥٧ ،

مصر : ١٠٠ ، ١٠٠ ، ٢٣٩ ، ٥٠٤ ،

فهرست الأعلام

ابن تيمية ؛ ١٣
 ابن جابر الودى آشى ، أبو عبد قه محمد ؛
 ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٤٥٦
 ابن جبير ، محمد بن أحمد ؛ ١٨٨
 ابن جزى ، أبو بكر ؛ ١٥٢
 ابن جزى ، أبو عبد الله ، ٢٩
 ابن جزى ، أبو القاسم ؛ ٤٥٦
 ابن جمهور ، أبو بكر محمد ؛ ١٩٠ ،
 ٢٩٦ ، ٤٢٠
 ابن جميل ، ٢٦٣
 ابن الجنان ، أبو عبد الله ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ،
 ٢٩٦
 ابن الحاج ، أبو البركات ؛ ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٤٦٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٧٤ ، ٤٢٢
 ابن الحاج ، محمد بن أحمد التجيبي ؛ ٢٢٤
 ابن حبيش ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ؛
 ١٠٨ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٢١ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١
 ابن حرا ؛ ٤٩
 ابن حرم القرطبي ، أبو محمد علي بن أحمد بن
 سعيد ؛ ٤ ، ١٨ ، ١١١ ، ٢٣١ ،
 ٤١٨
 ابن حفصون ، عمر ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١
 ابن الحكيم ، أبو بكر ؛ ٩٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ١٥٨ ، ٢٠٠
 ابن الحكيم ، أبو عبد الله ، ٦٢ ، ٢٤٨ ،
 ٢٦٠ ، ٣٦٤ ، ٤٢٢ ، ٤٥٦
 ابن حماد ؛ ٥٩ ، ١٩٦

إبراهيم بن أدهم ؛ ٢٠٤
 ابن الأبار القضاى ، أبو عبد الله ، ١٩٠ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٣
 ابن ابن ، ٨٤
 ابن أبي الأصمغ ؛ ١٥٥
 ابن أبي الخصال ، أبو عبد الله ، ١٠٣ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤٩
 ابن أبي ريحانة ؛ ١٠٩
 ابن أبي زمنين ، أبو بكر ؛ ١٩١
 ابن أبي زمنين ، أبو عبد الله ؛ ١٠١ ،
 ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٩٠
 ابن أبي زمنين ، عيسى بن محمد ؛ ٢٣٥
 ابن أبي السداد الباهلى ، عبد الواحد بن محمد ؛
 ٨٦ ، ١٢٧ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
 ابن أبي عامر ، المنصور ؛ ٢٢٢
 ابن أضحى ، علي بن عمر بن مشرف ؛ ٨٣ ،
 ١٠١
 ابن الأفتس ، عبد الله بن مسامة ؛ ٤٢
 ابن الأفتس ؛ المتوكل عمر بن محمد بن مسامة ؛
 ٤٢ ، ٤٧
 ابن الباذش الانصارى ، أبو الحسن علي ؛ ٢٤ ،
 ١٠٠ ، ١٧٥ ، ٢٢٤
 ابن برطال ، أبو عبد الله ، ١٣ ، ٣٢٠ ،
 ٣٨٧
 ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الله ؛
 ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٣٧٣
 ابن بقتة ؛ ٨٤
 ابن بيش العبدري ، أبو عبد الله ؛ ١٧٩ ،
 ٤٥٦

ابن حديد ، أبو عبد الله ، ٢٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦
 ابن حوط الله ، أبو سليمان ، ١٨٨ ، ١٩٥
 ابن حوط الله ، أبو عمر ، ٢٧٥
 ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف ،
 ٤٠ ، ٤٢ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٣٥ ،
 ٣١٦
 ابن خروف ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
 ١٨٨
 ابن خضر ، ٢٦٩
 ابن الخطيب السلماني ، لسان الدين ، ٣ ، ٥ ،
 ٦ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٦٣ ، ٢٩٥ ،
 ٤٠١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٥٩٨ ، ٦١٢
 ابن خلاص الياشتي ، ١٨٩
 ابن خلدون ، ٥٩١ ، ٥٩٢
 ابن خميس ، ٣١٥
 ابن خيرة ، أبو عبد الله ، ٤٥
 ابن الدراج ، محمد بن عمر الأنصاري ،
 ١٣ ، ١٩٩
 ابن دراج القسطلي ، أبو عمر ، ٥٧
 ابن درهم ، قاسم بن يحيى الزروالي ، ٩٠ ، ٢٦٣
 ابن دقيق العيد ، تقي الدين ، ١٩٩ ، ٤٥٦
 ابن ذرّة المرادي ، ٢٢٠
 ابن رزمير ، ٣٤٤ ، ٤٠٦
 ابن رشد ، أبو الوليد ، ١٧٤ ، ٢٢٤ ،
 ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦
 ابن رشيد الفهري ، أبو عبد الله محمد ، ١٣ ،
 ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٣٤١ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤
 ابن رضوان النجاري ، أبو القاسم ، ٩٣
 ابن زرقون ، أبو عبد الله ، ١٧٤ ، ١٨٨ ،
 ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣٧٣
 ابن سبعين العكي ، عبد الحق بن إبراهيم ،
 ٣١٤ ، ٣٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٤

ابن سبيع ، ٣١١
 ابن سراقه الأنصاري الشاطبي ، ٢٠٦
 ابن سعادة الشاطبي ، ١٩٠
 ابن سعيد الغزاز ، ٢٧٨
 ابن سيد الناس اليمري ، محمد بن محمد ، ١٣
 ابن سيناء ، ٢١١ ، ٤٦٠
 ابن الشاط ، أبو القاسم ، ١٣ ، ١٢٧ ،
 ١٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠
 ابن شبرين ، أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ،
 ٢٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٦٠ ، ٣٧٤ ،
 ٤٥٦
 ابن صاف ، ١٠٨
 ابن الصفار ، ٢٢٤
 ابن الصيرفي ، يحيى بن محمد الأنصاري ، ٣٤٥
 ابن طارق ، ١٨٢
 ابن عبد الحق التلمساني ، ١٨٩
 ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، ٤١
 ابن عبد الكريم ، ١٨٨
 ابن عبد الملك المراكشي ، ٣ ، ٤٣ ، ١٩١ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨٦ ، ٤١٧
 ابن عبدون ، أبو محمد عبد المجيد ، ٤٤ ، ٤٧ ،
 ٢٥٠ ، ٣٥١
 ابن عبدون المكناسي ، ٢٨
 ابن عبيدس ، ١٨٨
 ابن عذارى المراكشي ، ٥٨ ، ٥٩
 ابن عروس ، أبو عبد الله محمد ، ١٠٨ ،
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٨ ، ٤١٦
 ابن عساكر ، ١٣
 ابن عسكر ، أبو عبد الله ، ١٠٩
 ابن علي الكنتاني ، ١٨٨
 ابن عميرة ، أبو المطرف ، ٢٦٠
 ابن عياش المالقي ، أحمد بن عيسى ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣٢٠

ابن عيسى بن البانة ، ٢٥٠
 ابن غالب ، أبو عبد الله ، ١٩٥ ، ١٩٠ ،
 ٢٩٦
 ابن غلبون بن الحصار ، ٢٢٣
 ابن الغماز ، أبو العباس ، ١٣ ، ١٢٧ ،
 ٢٦٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٠
 ابن الفارض ، ٤٢٦
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٨٦ ،
 ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٤ ،
 ٣٩٠
 ابن الفخار البيري ، أبو عبد الله ، ٤٥٦
 ابن الفياض ، ٤٠
 ابن قسي ، ٢١١ ، ٣٤٥
 ابن القصيرة الإشبيلي ، أبو عبد الله ، ٢٤٨
 ابن قطرال ، علي بن عبد الله الأنصاري ،
 ١٩٠
 ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر ، ٣٩
 ابن كوثر ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٩٠ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٦
 ابن مالك ، أبو مروان ، ٢٥٨
 ابن مجير ، ٤٠٩
 ابن المحروق ، أبو عبد الله ، ٧٨ ، ١٩٣ ،
 ٣٦٦
 ابن مراس العنق ، أبو الحسن أحمد ، ١١٠
 ابن مردنيش ، أنظر محمد بن سعد
 ابن مرزوق ، أبو عبد الله ، ٥٨٦
 ابن مسعدة ، أبو جعفر ، ١٩ ، ١٠٥ ،
 ٢٧٧ ، ٤٢٠
 ابن مكحول ، أحمد بن محمد ، ٢٢٣
 ابن المواق ، ٢٩٦
 ابن النبيه ، ٣٩٢
 ابن نجم الموصلي ، ١٥٧
 ابن وضاح ، ٤١٨
 ابن يربوع السبي ، ٤٢١ ، ٤٥٧ ،
 أبو اسحق بن أقي العاصي ، ١٩٧ ، ٢٥٤ ،
 ٣٧٤
 أبو اسحق بن دهاق ، ٣٣
 أبو اسحق بن عبد البر ، ٣١٩
 أبو اسحق بن عبد الرحيم العنمي ، ١٨٢
 أبو اسحق بن عبد الرقيق ، ٣٨٧
 أبو اسحق بن قرقول ، ١٠٨
 أبو اسحق بن مسعود الإلبيري ، ٨٣ ، ٣١٧
 أبو اسحق الأوسي القرطبي ، ٣٧٥
 أبو اسحق التلمساني ، ١٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ،
 ٣٤١
 أبو اسحق الشقرووي ، ١٨٨
 أبو اسحق الغافقي ، ١٩٩ ، ٢٦٣ ، ٣٤١ ،
 ٣٨٧
 أبو إسحق الغافقي المديوني ، ١٢
 أبو أيوب بن أمية ، ٤٤
 أبو بحر بن الأسد ، ٢٢٠
 أبو بكر ، الخليفة ، ٢٧
 أبو بكر بن أبي جعفر بن عمر ، ٢٩٦
 أبو بكر بن أبي جمرة ، ٢٩٦ ، ٣٠٢
 أبو بكر بن أبي ركب ، ١٨٨
 أبو بكر بن اسحق التجيبي ، ٣١٠
 أبو بكر بن اسماعيل ، زين الدين ، ٤٢٤
 أبو بكر بن يبيش الشلطي ، ٢٢١
 أبو بكر بن الجدة ، محمد بن عبد الله ، ١٠٨ ،
 ١٩٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣١٥ ،
 ٣٧٣ ، ٥٦٦
 أبو بكر بن الحداد ، ٢٢١
 أبو بكر بن خليل السكون ، ١٣ ، ١١٠
 أبو بكر بن سوار ، ٣٥٢

ابن عيسى بن البانة ، ٢٥٠
 ابن غالب ، أبو عبد الله ، ١٩٥ ، ١٩٠ ،
 ٢٩٦
 ابن غلبون بن الحصار ، ٢٢٣
 ابن الغماز ، أبو العباس ، ١٣ ، ١٢٧ ،
 ٢٦٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٠
 ابن الفارض ، ٤٢٦
 ابن الفخار الأركشي ، أبو عبد الله ، ٨٦ ،
 ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣٧٤ ،
 ٣٩٠
 ابن الفخار البيري ، أبو عبد الله ، ٤٥٦
 ابن الفياض ، ٤٠
 ابن قسي ، ٢١١ ، ٣٤٥
 ابن القصيرة الإشبيلي ، أبو عبد الله ، ٢٤٨
 ابن قطرال ، علي بن عبد الله الأنصاري ،
 ١٩٠
 ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر ، ٣٩
 ابن كوثر ، أبو الحسن ، ١٠٨ ، ١٩٠ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٦
 ابن مالك ، أبو مروان ، ٢٥٨
 ابن مجير ، ٤٠٩
 ابن المحروق ، أبو عبد الله ، ٧٨ ، ١٩٣ ،
 ٣٦٦
 ابن مراس العنق ، أبو الحسن أحمد ، ١١٠
 ابن مردنيش ، أنظر محمد بن سعد
 ابن مرزوق ، أبو عبد الله ، ٥٨٦
 ابن مسعدة ، أبو جعفر ، ١٩ ، ١٠٥ ،
 ٢٧٧ ، ٤٢٠
 ابن مكحول ، أحمد بن محمد ، ٢٢٣
 ابن المواق ، ٢٩٦
 ابن النبيه ، ٣٩٢
 ابن نجم الموصلي ، ١٥٧

أبو بكر بن الصايغ ، ابن باجة ؛ ١٥٩ ،
 ٢٤٩ ، ١٨٨
 أبو بكر بن عبد الكريم السفاقي ؛ ٣١٠
 أبو بكر بن عبد النور ؛ ١٨٢
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ١٢ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٦
 أبو بكر بن عمر ؛ ٣٤٨
 أبو بكر بن غالب بن عطية ؛ ٨٤
 أبو بكر بن فارس ؛ ٢٦٠
 أبو بكر بن الفخار ؛ ٣٩٠
 أبو بكر بن الفصيح ؛ ١٨٨
 أبو بكر بن محرز ؛ ١٣ ، ١٢١
 أبو بكر بن محرم ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن مثليون ؛ ٢٥٩
 أبو بكر بن مغاور ؛ ٢٩٦
 أبو بكر بن منظور ؛ ٤٥٦
 أبو بكر بن يغمور ؛ ٣٠٢
 أبو بكر الشامي ؛ ١٢١
 أبو بكر الطنجالي ؛ ٨٩ ، ٢٩٦
 أبو بكر القرشي ؛ ١٥٢
 أبو بكر القلوصي ؛ ١٢
 أبو بكر بن المرابط ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن يوسف الكومي ؛ ٣٥٥
 أبو ثابت ، الأمير ، ٦٦
 أبو جعفر بن أبي جميل ؛ ١٩٧
 أبو جعفر بن جحدر ؛ ٢٢٠
 أبو جعفر بن حسان ؛ ١٨٥
 أبو جعفر بن حكيم ؛ ١٠٨ ، ٢٧٨ ،
 ٣١٥ ، ٢٩٦
 أبو جعفر بن خلف ؛ ٢٧٨
 أبو جعفر بن خميس ؛ ٣٤١
 أبو جعفر بن الدلال ؛ ١٨٢
 أبو جعفر بن الزبير ؛ ١٢ ، ٤٩ ، ١٠٥ ،
 ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ،
 ٢٣١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٣١٠ ،
 ٣١٤ ، ٣٤١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٤
 أبو جعفر بن الزيات ؛ ١٣ ، ١٠٩ ، ١٨٩ ،
 ١٩٦ ، ٢٦٤ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧
 أبو جعفر بن سعدون ؛ ٢٥٠
 أبو جعفر بن عبد الوهاب ؛ ٣٨٧
 أبو جعفر بن عزرة ؛ ١٠٨
 أبو جعفر بن علي ؛ ٢٩٦
 أبو جعفر بن فركون ؛ ٢٦٩ ، ٣٠٩
 أبو جعفر بن مضاه ؛ ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٥٥
 أبو جعفر بن مكنون ؛ ٢٦٩
 أبو جعفر بن يحيى ؛ ١١٠
 أبو جعفر الحزيري الضرير ؛ ١٩٦
 أبو جعفر الشاطبي ؛ ١٩٧
 أبو جعفر الطباع ؛ ١٠٥ ، ٦٢٠ ، ٢٧٧ ، ٣٧٥ ،
 ٤٠٥
 أبو جعفر الطنجالي ؛ ٢٩٦ ، ٤٥٦
 أبو جميل الشيرازي ، محمد بن محمد ؛ ٢٦٨
 أبو حاتم الغزفي ؛ ١٢
 أبو حامد الغزالي ؛ ٤١٥
 أبو الحجاج بن أبي محمد بن أيوب ؛ ٢٩٦
 أبو الحجاج بن حكيم ؛ ٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو الحجاج بن خلسون ؛ ٢٣٦
 أبو الحجاج بن الشيخ ؛ ١٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣١٥
 أبو الحجاج الساحلي ؛ ٤١٥
 أبو الحجاج الكوراني ، جمال الدين ؛ ٢٠٣
 أبو الحجاج المنتشافري ، يوسف ؛ ٩٠ ،
 ٢٧٦ ، ٤٥٧
 أبو الحسن بن أبي ربيع ؛ ٢٥٩
 أبو الحسن بن أبي محمد الشريتي ؛ ٣٥٥
 أبو الحسن بن أم العماد ؛ ٣٤٦

أبو بكر بن الصايغ ، ابن باجة ؛ ١٥٩ ،
 ٢٤٩ ، ١٨٨
 أبو بكر بن عبد الكريم السفاقي ؛ ٣١٠
 أبو بكر بن عبد النور ؛ ١٨٢
 أبو بكر بن عبيدة الإشبيلي ؛ ١٢ ، ١٦٩ ،
 ٣١٠
 أبو بكر بن العربي ؛ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٦
 أبو بكر بن عمر ؛ ٣٤٨
 أبو بكر بن غالب بن عطية ؛ ٨٤
 أبو بكر بن فارس ؛ ٢٦٠
 أبو بكر بن الفخار ؛ ٣٩٠
 أبو بكر بن الفصيح ؛ ١٨٨
 أبو بكر بن محرز ؛ ١٣ ، ١٢١
 أبو بكر بن محرم ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن مثليون ؛ ٢٥٩
 أبو بكر بن مغاور ؛ ٢٩٦
 أبو بكر بن منظور ؛ ٤٥٦
 أبو بكر بن يغمور ؛ ٣٠٢
 أبو بكر الشامي ؛ ١٢١
 أبو بكر الطنجالي ؛ ٨٩ ، ٢٩٦
 أبو بكر القرشي ؛ ١٥٢
 أبو بكر القلوصي ؛ ١٢
 أبو بكر بن المرابط ؛ ٢٥٧
 أبو بكر بن يوسف الكومي ؛ ٣٥٥
 أبو ثابت ، الأمير ، ٦٦
 أبو جعفر بن أبي جميل ؛ ١٩٧
 أبو جعفر بن جحدر ؛ ٢٢٠
 أبو جعفر بن حسان ؛ ١٨٥
 أبو جعفر بن حكيم ؛ ١٠٨ ، ٢٧٨ ،
 ٣١٥ ، ٢٩٦
 أبو جعفر بن خلف ؛ ٢٧٨
 أبو جعفر بن خميس ؛ ٣٤١

أبو الحسن بن الحزار ١٥٥
 أبو الحسن بن الحباب ٤ ، ٧١ ، ١١٧ ،
 ٢٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٤٥٦ ،
 ٥١٥
 أبو الحسن بن الحسن البصرى ٤ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٤٢٥
 أبو الحسن بن راشد ٤ ، ٣٩٠
 أبو الحسن بن سراج ٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٠
 أبو الحسن بن السراج ٤ ، ١٢٠
 أبو الحسن بن سعيد ٤ ، ٧١
 أبو الحسن بن السفاح الرندى ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن سليم ٤ ، ١٨٧
 أبو الحسن بن سهل ٤ ، ٢٩٥
 أبو الحسن بن شعيب ٤ ، ١٩٧
 أبو الحسن بن الضايح ٤ ، ١٠٥ ، ١٢٠
 أبو الحسن بن عبد الباقي الصواف ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن عبد الله الحضرمي ٤ ، ٢٣٨
 أبو الحسن بن عبد الله المطار ٤ ، ٣٠٠
 أبو الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ٤ ، ٣٠٠
 أبو الحسن بن صفور ٤ ، ١٢٠ ، ١٥٣
 أبو الحسن بن عطية البودرى ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن عطية بن غازى ٤ ، ١٨٨
 أبو الحسن بن عمر ٤ ، ٢٦
 أبو الحسن بن فرحون ٤ ، ١٩٧
 أبو الحسن بن فوحون البلقيى ٤ ، ٢٦٩
 أبو الحسن بن الفضل ٤ ، ٤٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ٤ ، ١٣ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٤٠٤
 أبو الحسن بن القطان ٤ ، ١٨٩
 أبو الحسن بن مستقور ، على بن محمد الطائى ٤ ،
 ٣٤١
 أبو الحسن بن مصامد ٤ ، ٣٤١
 أبو الحسن بن مضاء ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن منظور ٤ ، ٣٤١
 أبو الحسن بن نافع ٤ ، ١٠٥
 أبو الحسن بن واجب ٤ ، ٢٢٠
 أبو الحسن الأبدى ٤ ، ١٠٥
 أبو الحسن البصرى ٤ ، ٢٥٩
 أبو الحسن البلوطى ٤ ، ٤٠٥
 أبو الحسن البلوى ٤ ، ١٩٧
 أبو الحسن التلمسانى ٤ ، ٤٥٦
 أبو الحسن الخزرجى ٤ ، ١٩٩
 أبو الحسن الدباج ٤ ، ٤٢١
 أبو الحسن الرعيني ٤ ، ١٩١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ،
 ٢٩٦
 أبو الحسن المهروردى ، ضياء الدين ٤ ، ٢٠٣
 أبو الحسن شريح ٤ ، ١٧٥
 أبو الحسن الششتري ، على بن عبد الله النميرى :
 ٣٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٤
 أبو الحسن الطرطاي ٤ ، ٢٥٩
 أبو الحسن المرايى ٤ ، ١٩٨
 أبو الحسن العنسى ٤ ، ٢٧٨
 أبو الحسن القانسى ٤ ، ١١٠
 أبو الحسن القراقى ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن القيحايطى ٤ ، ٢٥٤ ، ٤٥٦
 أبو الحسن المرىنى ، السلطان ٤ ، ١٨ ، ٢١٦ ،
 ٢١٩ ، ٢٤١ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٣٦٣ ،
 ٤٥١
 أبو الحسن النباهى ، على بن عبد الله ٤ ، ٨٨ ،
 ٩٩
 أبو الحسين بن شالة ، على بن أحمد الإشبيل ٤ ، ٣٨٨
 أبو الحسين بن الطراوة ٤ ، ١٢٠
 أبو حفص بن يوسف بن عبد المؤمن ٤ ، ٣٥٥
 أبو الحكم بن المرحل ٤ ، ٣٠٩
 أبو الحكم بن منظور ٤ ، ١٣
 أبو حمو ، موسى بن زيان ، السلطان ٤ ، ٥٩٨

أبو الحسن بن الحزار ٤ ، ١٥٥
 أبو الحسن بن الحباب ٤ ، ٧١ ، ١١٧ ،
 ٢٠٠ ، ٣٦٠ ، ٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٤٥٦ ،
 ٥١٥
 أبو الحسن بن الحسن البصرى ٤ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٤٢٥
 أبو الحسن بن راشد ٤ ، ٣٩٠
 أبو الحسن بن سراج ٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٠
 أبو الحسن بن السراج ٤ ، ١٢٠
 أبو الحسن بن سعيد ٤ ، ٧١
 أبو الحسن بن السفاح الرندى ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن سليم ٤ ، ١٨٧
 أبو الحسن بن سهل ٤ ، ٢٩٥
 أبو الحسن بن شعيب ٤ ، ١٩٧
 أبو الحسن بن الضايح ٤ ، ١٠٥ ، ١٢٠
 أبو الحسن بن عبد الباقي الصواف ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن عبد الله الحضرمي ٤ ، ٢٣٨
 أبو الحسن بن عبد الله المطار ٤ ، ٣٠٠
 أبو الحسن بن عبد الوهاب بن وردان ٤ ، ٣٠٠
 أبو الحسن بن صفور ٤ ، ١٢٠ ، ١٥٣
 أبو الحسن بن عطية البودرى ٤ ، ٣١٠
 أبو الحسن بن عطية بن غازى ٤ ، ١٨٨
 أبو الحسن بن عمر ٤ ، ٢٦
 أبو الحسن بن فرحون ٤ ، ١٩٧
 أبو الحسن بن فوحون البلقيى ٤ ، ٢٦٩
 أبو الحسن بن الفضل ٤ ، ٤٢٠
 أبو الحسن بن فضيلة ٤ ، ١٣ ، ١٩٨ ، ٢٤٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٤٠٤
 أبو الحسن بن القطان ٤ ، ١٨٩
 أبو الحسن بن مستقور ، على بن محمد الطائى ٤ ،
 ٣٤١
 أبو الحسن بن مصامد ٤ ، ٣٤١
 أبو الحسن بن مضاء ٤ ، ٣١٠

أبو الطاهر بن عوف ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 أبو الطيب الرندي ، صالح بن شريف ؛ ١٩١
 أبو الطيب بن زرقون ؛ ٢٥٠
 أبو الطيب المتنبي ؛ ٣٥١
 أبو الظفر الميورقي ؛ ٣٤١
 أبو عامر بن سرور ؛ ٢٥٠
 أبو العباس بن الرومية ؛ ١٨٨
 أبو العباس بن الطاهري ؛ ١٩٩
 أبو العباس بن العريف ؛ ٢٠٢
 أبو العباس بن علي المازري ؛ ١٨٩
 أبو العباس بن فرتون ؛ ٢٢١
 أبو العباس بن مضاه ؛ ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو العباس بن هرقد ؛ ٢٩٦
 أبو العباس بن اليتيم ؛ ١٠٨
 أبو العباس الجراوي الأعمى ؛ ٤١٨
 أبو العباس الخروبي ؛ ١٨٢
 أبو العباس الغبريني ؛ ٢٠٥
 أبو العباس القوراني ؛ ١٨٨
 أبو العباس النهاوندي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن إبراهيم البكري العباسي ؛ ١٨٩
 أبو عبد الله بن أبي بكر البري ؛ ٢٧٨
 أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن أبي الفتح الفهري ؛ ٧٠
 أبو عبد الله بن أحمد المذبحي ؛ ١٨٢
 أبو عبد الله بن بكر ؛ ٢٥٤
 أبو عبد الله بن تبر ؛ ١١٥
 أبو عبد الله بن جعفر اليحصبي ؛ ٤٠٤
 أبو عبد الله بن جوبر ؛ ١٢١
 أبو عبد الله بن حزب الله ؛ ٤٥٦
 أبو عبد الله بن حفص ؛ ١٩٠
 أبو عبد الله بن حميد ؛ ١٠٨ ، ١٥٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٧٨ ، ٢٩٦ ، ٣٠١
 أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي ؛ ٢٠٣
 أبو عبد الله بن خلصة ؛ ٢٥٠

أبو خالد بن رفاة ؛ ١٧٤ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو خالد بن مستقور ؛ ٢٥٠
 أبو خالد بن يزيد ؛ ٨٥
 أبو الخطاب بن خليل ؛ ١٢١
 أبو داود المقرئ ؛ ٤١٦
 أبو الربيع ، سلطان المغرب ؛ ١٨٧
 أبو الربيع بن سالم ، سليمان بن موسى ؛ ٤٠ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٧٥
 أبو زكريا الأصبهاني ؛ ٢٩٦
 أبو زكريا البرشاني ؛ ٣٤١
 أبو زكريا الحفصي ، الخليفة ؛ ٥٦٠
 أبو زكريا القصري ؛ ٣٥٠
 أبو زكريا بن خلدون ؛ ٥٩١ ، ٥٩٨
 أبو زكريا بن العباس ؛ ٢٩٦
 أبو زكريا بن عبد الله بن محمد ؛ ٣١٠
 أبو زكريا بن عمر ؛ ١٢٢
 أبو زيان ، الأمير ؛ ٢٨
 أبو زيد الفزازي ؛ ١٦٣ ، ٢٧٤
 أبو زيد السجيل ؛ ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٧٤ ، ٣١٠
 أبو سالم ، إبراهيم بن أبي الحسن ، السلطان ؛
 ٢١٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١
 أبو سال بن أبي يحيى ؛ ١٨٧
 أبو سعيد ، السلطان ؛ ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٤٥١
 أبو سعيد بن الأعرابي ؛ ٢٠٢
 أبو سعيد بن جامع ؛ ١٩١
 أبو سعيد الطراز ؛ ١٨٢
 أبو الشمل جماعة بن مهيب ؛ ١٣
 أبو طالب بن غانم ؛ ٤٢
 أبو الطاهر الخشوعي ، بركات بن إبراهيم ؛
 ١٠٨ ، ٢٧٨
 أبو الطاهر السلوق ، أحمد بن محمد ؛ ١٠٨ ،
 ١٧٤ ، ٢٢٣
 أبو الطاهر بن صفوان ؛ ٤٢٧

أبو عبد الله بن ربيع الأشعري ؛ ١٩٦
 أبو عبد الله بن رحمة ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن رزق ؛ ١٠٨
 أبو عبد الله بن الرقام ؛ ٣٩٠
 أبو عبد الله بن سعد ؛ ٤١٨
 أبو عبد الله بن صالح الكنانى ؛ ١٢٥ ، ١٩٨
 أبو عبد الله الأزدي ؛ ١٢١
 أبو عبد الله الأركشي ؛ ٣٩٠
 أبو عبد الله البياني ؛ ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣٧٤
 أبو عبد الله التوزري ؛ ٢٠٥
 أبو عبد الله الحلبياني ؛ ٣٨٦
 أبو عبد الله الحضرمي ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 أبو عبد الله الحميدي ؛ ١٠٩ ، ١١٢ ، ٢٣١
 أبو عبد الله الحميري الإستجبي ؛ ١٠٨
 أبو عبد الله الخولاني ؛ ٣٠٢
 أبو عبد الله الرقوطي المرسي ؛ ٢٣٦
 أبو عبد الله بن شعيب ؛ ٣١٠ ، ٣٤١
 أبو عبد الله بن الضايغ ؛ ٢٦٩ ، ٢٤١
 أبو عبد الله بن عباس ؛ ٤٥
 أبو عبد الله بن عبد الحميد ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن عبد الرحيم القاضي ؛ ١٠١ ،
 ٢٣٨
 أبو عبد الله بن عبد السلام ؛ ٩٠
 أبو عبد الله بن عبد الولي العواد ؛ ٤٥٥
 أبو عبد الله بن عبيد الأوسي ؛ ١٠٩
 أبو عبد الله بن عزمون ؛ ٣٨٧
 أبو عبد الله بن عيسى ؛ ٢٤٣
 أبو عبد الله بن الليدي ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن محمد الطرطاي ؛ ٢٥٩
 أبو عبد الله بن مدرك ؛ ١٠٨
 أبو عبد الله بن مساعد الفسافي ؛ ١٠٤ ، ١٠٥
 أبو عبد الله بن مستفور ؛ ١٠٥
 أبو عبد الله بن مسدي ؛ ٢٠٢

أبو عبد الله بن النجار ؛ ٣١٠
 أبو عبد الله بن نصر ؛ ١٦٣
 أبو عبد الله بن النعمان ؛ ٤٢٤
 أبو عبد الله بن نوح ؛ ٢٩٦
 أبو عبد الله بن هرون ؛ ٩٠
 أبو عبد الله بن يحيى الزواوي ؛ ٤٠٤
 أبو عبد الله بن يعقوب المرسي ؛ ٢٦٨
 أبو عبد الله الشامي ؛ ١١٢
 أبو عبد الله الطنجالي ؛ ١٣ ، ١٠٩ ، ١٨٩ ،
 ١٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٨٧
 أبو عبد الله الغماري ؛ ٢٨٧
 أبو عبد الله القرشي ؛ ٣٧٤
 أبو عبد الله القرطبي ؛ ٣١ ، ٣٨٧
 أبو عبد الله القطان ؛ ٩٠
 أبو عبد الله المازري ؛ ١٧٥
 أبو عبد الله المقرئ ؛ ١١٨ ، ٣٦٢ ، ٤٥٦
 أبو عبد الله المقامي ؛ ١٠٢
 أبو عبد الله المومنانى ؛ ٣٤١
 أبو عثمان بن عيسى ؛ ٨٧
 أبو عثمان بن ايون ؛ ٢٠٥ ، ٤٥٧
 أبو علي بن أبي الأحوص ؛ ٩٠ ، ١٠٥ ،
 ١٧٤
 أبو علي بن تادرت ؛ ٢١٢
 أبو علي بن الحسن ؛ ٨٦
 أبو علي بن طاهر بن أبي الشرف ؛ ٣١٠
 أبو علي بن غفرون ؛ ١٩٧
 أبو علي بن الناظر ؛ ٢٧٨ ، ٢٩٦
 أبو علي الشلوين ؛ ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٥٠ ،
 ٤٢٠
 أبو علي الشمشري ؛ ٢٠٣
 أبو علي الصدي ؛ ١٠٠
 أبو علي الفسافي ؛ ٢٣٨
 أبو علي القرشي ؛ ٣٧٤

- أبو القاسم بن الطيلسان ؛ ١٨٢
 أبو القاسم بن عمران ؛ ٩٠
 أبو القاسم بن ميسر ؛ ١١٠
 أبو القاسم بن نبيل ؛ ٢٧٨
 أبو القاسم بن النحاس ؛ ٢٢٠
 أبو القاسم بن ورد ؛ ١١٢ ، ١٧٥
 أبو القاسم بن يحيى بن ربيع ؛ ٢٥٧
 أبو القاسم الأيسر الجذامى ، زين الدين ؛
 ٣١٠
 أبو القاسم البلقيى ؛ ٣٤١
 أبو القاسم التاكرونى ؛ ٣٨٦
 أبو القاسم التجيبى ؛ ٣٨٧
 أبو القاسم الحسنى الشريف ؛ ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
 ٣٧٤ ، ٣٢١
 أبو القاسم الزجاجى ؛ ١٢٠
 أبو القاسم الزياتى ؛ ٢٨
 أبو القاسم السهلبى ؛ ١٨٩
 أبو القاسم الشراط ؛ ١٠٨
 أبو القاسم العزفى ؛ ١٩١
 أبو القاسم محمد البنا ؛ ٩٠
 أبو القاسم الملاحي ؛ ١٠٠
 أبو القاسم نعم الخلف بن يحيى الأنصارى ؛
 ١٠٠
 أبو الكرم الحميرى ؛ ٣١٠
 أبو مالك ، عبد الواحد بن يوسف ، الأمير ؛
 ٢٥٠ ، ٢١
 أبو المتوكل الهيثم ؛ ٤٢٠
 أبو محمد بن أبي الدينا ؛ ٢٥٩
 أبو محمد بن إشقيلولة ؛ ٢٤٢
 أبو محمد بن أيوب ؛ ٩٠ ، ١١٧ ، ٤٥٧
 أبو محمد بن الخطيب ؛ ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤
 أبو محمد رديم ؛ ٢٠٣
 أبو محمد بن سعد المسراتى ؛ ٣١٠

الإحاطة - ٤٣

- أبو علي المشدالى ، ناصر الدين ؛ ١٢٨ ،
 ٣٤٢ ، ٣٨٧ ، ٤٠٤
 أبو عمر بن أبي جعفر بن الزبير ؛ ٤٥٦
 أبو عمر بن عبد البر ؛ ٢٢٨
 أبو عمر الإصطخرى ؛ ٢٠٣
 أبو عمران الجورمانى ؛ ١٨٧
 أبو عمران القاسى ؛ ٣٤٧
 أبو عمرو بن الحاجب ؛ ٤٦٠
 أبو عمرو بن الرندى ؛ ١٠٥
 أبو عمرو بن سالم ؛ ٢٩٦
 أبو عمرو بن منظور ؛ ٩٠ ، ١١٧
 أبو عمرو السفاقيى ؛ ٣٧٥
 أبو عمرو الطلمنكى ؛ ٢٠٢
 أبو عنان فارس ، السلطان ؛ ٥٤ ، ٦٦ ،
 ٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٤٧١
 أبو فارس عبد العزيز الهوارى ؛ ١٢٨ ،
 ٣١٠ ، ١٩٩
 أبو فارس عزوز الملووزى ؛ ٢٠ ، ٢٣ ،
 ٣٥٩ ، ٢٦
 أبو الفخر بن بركات بن عساكر ؛ ٣٠٠
 أبو الفدا بن المعلم ؛ ٣١٠
 أبو الفضل بن خطيب المرى ؛ ٤٢٤
 أبو الفضل السلمى المرسى ، شرف الدين ؛
 ١٩٩
 أبو القاسم بن أحمد بن حسان ؛ ٤٢
 أبو القاسم بن البراء ؛ ٢٥٩
 أبو القاسم بن بقى ؛ ١٩٠ ، ٢٢٣
 أبو القاسم بن البنا ؛ ٤٥٦
 أبو القاسم بن جابر ؛ ١٩٧ ، ٣٩٠
 أبو القاسم بن الجنيد ؛ ٢٠٣
 أبو القاسم بن الحاج ؛ ٢٦٩
 أبو القاسم بن ربيع ؛ ٣٧٥
 أبو القاسم بن سلمون ؛ ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٤٥٦
 أبو القاسم بن الطيب ؛ ١٩٩

- أبو محمد بن سلمون ؛ ٤٥٦
 أبو محمد بن سمالك ؛ ١٧٥ ، ٣١٠
 أبو محمد بن سمحون ؛ ٨٤
 أبو محمد بن السيد ؛ ١٢٠
 أبو محمد بن سيدبونه ؛ ٢٩٦
 أبو محمد بن عبد الله ؛ ٢٢١ ، ٢٩٦ ، ٣١١
 أبو محمد بن عيسى التادلي ؛ ١٨٨
 أبو محمد بن المؤذن ؛ ٣٤١
 أبو محمد بن هرون القرطبي ؛ ١٠٩ ، ١٢٨ ، ٣١٥
 أبو محمد الأنباري ؛ ٦٥
 أبو محمد الحجري ؛ ١٨٨
 أبو محمد الحضرمي ؛ ١١٨
 أبو محمد الخلاسي ؛ ١٩٨
 أبو محمد الدمياطي ، شرف الدين ؛ ١٩٨ ، ٣١٠
 أبو محمد الزرقون ؛ ٤٥٦
 أبو محمد الشاذلي ؛ ٢٩٦
 أبو محمد عبد الله المرادي ؛ ١٢
 أبو محمد النبقدي ؛ ٤٥٥
 أبو الخثبي ؛ ناصر بن زيد بن يحيى التميمي ؛ ٢٣١ - ٢٣٣
 أبو مروان بن سراج ؛ ١٠٢
 أبو مروان بن مسرة ؛ ١٣٥
 أبو مسلم الضرير المقرئ ؛ ١٠٢
 أبو النعمان الحافظ ؛ ٣٧٥
 أبو النعمان رضوان ؛ ٣١٩
 أبو الوايد اسماعيل ، السلطان ؛ ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨
 أبو الوليد بن حجاج ؛ ٢٥٠
 أبو الوليد بن نصر ؛ ٢٤٥
 أبو الوليد الحضرمي القرطبي ؛ ١٢
 أبو الوليد العطار ؛ ٣٧٥
 أبو الوليد الوقشي ؛ ١١٢
- أبو يحيى أبو بكر بن أن زكريا ؛ ٢٢٠ ، ٥٦٠
 أبو يحيى بن عبد الحق ؛ ٣٦٤
 أبو يحيى بن الفرس ؛ ٣٧٥
 أبو يزيد خالد بن خالد ؛ ١٧٦
 أبو يس القرني ؛ ٢٢٤
 أبو يعقوب المحاسبي ؛ ٢٥٩
 أبو يعقوب بن إبراهيم بن عتاب ؛ ١٩٠ ، ٢٧٨
 أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة ؛ ٢٠ ، ٢١ ، ٤٥٠
 أبو يوسف بن عبد الحق ؛ السلطان ؛ ٢١ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٥ ، ٤٥٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٠
 أبو يوسف الجزولي ؛ ١٨٤
 أحمد بابا التنبكتي ؛ ٤٣٣
 أحمد بن اسمعيل بن علي بن الجياب ؛ ٤٥٥
 أحمد بن حكم بن القيسي الحصار ؛ ٣٠١
 أحمد بن حميد القرطبي ؛ ١٨٩
 أحمد بن عبد الرحمن المكناسي ؛ ٣١١
 أحمد بن عبد الله بن أحمد البقني الأنصاري ؛ ٤٣٣
 أحمد الرباعي ، أبو العباس ؛ ٩٠
 أحمد بن عروس العقيلي ؛ ٣٧٥
 أحمد بن علي الأنصاري الكحيل ؛ ١٢٧
 أحمد بن علي البياني ، أبو العباس ؛ ٣٠٠
 أحمد بن عيسى الرازي ؛ ٢٣١ ، ٢٧١
 أحمد بن فتح الدهان ؛ ١١٠
 أحمد بن محمد بن أحمد الخثبي ؛ ١٧٧
 أحمد بن محمد بن الجصور ؛ ١١٣
 أحمد بن محمد بن خميس الجزيري ؛ ٣٨٧
 أحمد بن محمد بن شهيد ؛ ٢٥٧
 أحمد بن محمد بن علي الكناني ؛ ٤٥٥

- أبو محمد بن سلمون ؛ ٤٥٦
 أبو محمد بن سمالك ؛ ١٧٥ ، ٣١٠
 أبو محمد بن سمحون ؛ ٨٤
 أبو محمد بن السيد ؛ ١٢٠
 أبو محمد بن سيدبونه ؛ ٢٩٦
 أبو محمد بن عبد الله ؛ ٢٢١ ، ٢٩٦ ، ٣١١
 أبو محمد بن عيسى التادلي ؛ ١٨٨
 أبو محمد بن المؤذن ؛ ٣٤١
 أبو محمد بن هرون القرطبي ؛ ١٠٩ ، ١٢٨ ، ٣١٥
 أبو محمد الأنباري ؛ ٦٥
 أبو محمد الحجري ؛ ١٨٨
 أبو محمد الحضرمي ؛ ١١٨
 أبو محمد الخلاسي ؛ ١٩٨
 أبو محمد الدمياطي ، شرف الدين ؛ ١٩٨ ، ٣١٠
 أبو محمد الزرقون ؛ ٤٥٦
 أبو محمد الشاذلي ؛ ٢٩٦
 أبو محمد عبد الله المرادي ؛ ١٢
 أبو محمد النبقدي ؛ ٤٥٥
 أبو الخثبي ؛ ناصر بن زيد بن يحيى التميمي ؛ ٢٣١ - ٢٣٣
 أبو مروان بن سراج ؛ ١٠٢
 أبو مروان بن مسرة ؛ ١٣٥
 أبو مسلم الضرير المقرئ ؛ ١٠٢
 أبو النعمان الحافظ ؛ ٣٧٥
 أبو النعمان رضوان ؛ ٣١٩
 أبو الوايد اسماعيل ، السلطان ؛ ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨
 أبو الوليد بن حجاج ؛ ٢٥٠
 أبو الوليد بن نصر ؛ ٢٤٥
 أبو الوليد الحضرمي القرطبي ؛ ١٢
 أبو الوليد العطار ؛ ٣٧٥
 أبو الوليد الوقشي ؛ ١١٢

- جابر بن محمد بن حيان القيسي ؛ ٣١٠
 جابر بن يحيى التغلبي ؛ ١٠١
 جرور بن بنت النعمان ؛ ٣٤٠
 جعد بن عبد الغافر ؛ ٣٩ ، ٢٧١
 جعفر بن عمر بن حفصون ؛ ٣٨ ، ٤٢
 جعفر بن يحيى ؛ ٤٩
 جمال الدين بن مطروح ؛ ١٥٥
 جمال الدين بن يغمور ؛ ١٥٥
 حاتم بن عبد الله البزاز ؛ ١١٠
 حبيب العجمي ؛ ٢٠٣
 حجاج بن يوسف بن عمران ؛ ٣٥٥
 الحسن بن طاهر بن أبي الشرف الحسني ؛ ١٢٨ ،
 ١٩٩ ، ٣٤٠
 الحسن بن علي ؛ ٤٨
 الحسن بن علي بن طريف ؛ ٢٢٤
 حسن بن عمر بن علي الكردي ؛ ٤٠٤
 الحسن بن محمد الصدق بن سكرة ؛ ٢٢٤
 الحسن بن محمود الجرجاني ؛ ٢٠٢
 الحسن بن مستقور ؛ ١٩٦
 الحسن بن هاني ؛ ٣٩٨
 حسن بن يوسف ؛ ٤٥٦
 الحسين بن عبد العزيز ؛ ٣٠
 الحسين بن عتيق ؛ ١٣
 الحسين بن محمد الفسائي ؛ ٢٢٤
 حفص بن المرة ؛ ٣٩ ، ٢٧٢
 الحكم بن هشام ؛ ٣٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
 الحكم المستنصر ؛ ٤٢
 الحلاج ؛ ٢١٠
 حو بن عبد الله ؛ ٦٦
 خالد بن يوسف الشاذلي ؛ ٣٠٠
 خلف بن إبراهيم بن خاقان ؛ ١١٠
 خلف بن إبراهيم بن النحاس ؛ ٢٢٤

- أحمد بن محمد اللورقي ؛ أبو العباس ؛ ٣٨٧
 أحمد المنصور ، السلطان ؛ ٤٣١
 أحمد بن هود ؛ ٨٦
 أحمد بن يحيى الحميري ؛ ٣٧٣
 إدريس بن جامع ؛ ٣٥٥
 أدقونش بن فردلند ؛ ٣٥٠ ، ٣٥١
 أسامة بن سليمان ؛ ٨٤ ، ٢٩٦
 إسحق بن عبيدس ؛ ١٠٥
 إسحق بن غازية ؛ ٢٥٧
 أسد بن الفرات ؛ ٥٨٣
 إسماعيل بن يوسف بن نصر ؛ ٣٧١
 إسماعيل الهروي ؛ ٤٢٦
 أصبغ بن عبد الله ؛ ٢٧٥
 الأصمعي ؛ ٥٦٥
 أفلاطون ؛ ٢١٠
 ألقنث بن هراذد ؛ ٣٣٠
 أم الخير بنت شرف الدين الصوفي ؛ ٤٠٥
 أمراء الطوائف ؛ ٣٤٩
 أمية بن عبد الرحمن بن هشام ؛ ٣١٧
 الأمين العباسي ، الخليفة ؛ ٤٩
 أنس الدين بن قطب الدين القسطلاني ؛ ١٩٩
 أيوب بن حفصون ؛ ٣٠٧
 ب — خ
 باديس بن حبوس ؛ ٨٢ ، ١١٥
 البخاري ، الإمام ؛ ٣٤٦
 بدر الدين الطوسي ؛ ٢٠٣
 بشر بن صفوان الكلبي ؛ ٣٣٩
 بكر بن سليمان بن القصيرة ؛ ٢٥٠
 التاج بن شقير ؛ ١٥٧
 تاشفين بن علي بن يوسف ؛ ٣٤٤ ، ٤٠١ ،
 ٤١٠
 تميم بن يوسف بن تاشفين ؛ ١٧٣
 ثوابة بن سلامة ؛ ٣٣٩
 جابر بن محمد التجيبي ؛ ٤١٦

سفيان بن العاصي الأسدي ؛ ٢٢٤ ، ٣٠٢
سقراط ؛ ٢١٠
سقوت البرغواطى ؛ ٣٥٠
سلمون بن علي بن سلمون الكنانى ؛ ٣٠٩
سليمن بن جعفر بن حفصون ؛ ٤٢
سليمن بن الحكم بن سليمان بن الناصر ؛ ٥٦ ،
٢٧٣

سليمن بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ؛
٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٣٢ ، ٥
سليمن بن محمد بن خلف ؛ ٨٤
سهل بن طلحة ؛ ٣٠٣
سهل بن محمد بن سهل بن مالك ؛ ١٥٤ ، ٢٧٧
سوار بن حملون بن عبده ، ٥ ، ٤٠ ،
٢٥٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

سير بن أبي بكر ؛ ٤٥
سيف بن ذى يزن ؛ ٣٢٧
سيف الدين بن سابق ؛ ١٥٥
الشرف بن سليمان الأربلى ؛ ١٥٧
شريح بن محمد الرعيى الإشبلى ؛ ٢٢٤
شفيق البلخلى ؛ ٢٠٣
شهاب الدين الأبرقوسى ؛ ٣١٠
شهاب الدين السهروردى ؛ ٢٠٣ ، ٢٠٦
شيخ الغزاة ؛ ٦٧ ، ٧٧
صالح بن عباس بن أبي الفوارس الصدقى ؛ ٤٠٥
صفوان بن إدريس ؛ ٢٩٧
الصميل بن حاتم ؛ ٣٣٩
طارق بن زياد ؛ ٣٧٢
طاهر بن عبد المنعم ؛ ١١٠
طاهر بن يوسف الأنصارى ؛ ١٦١

ع - غ

عاشر بن محمد بن عاشر الأنصارى ؛ ٢١٩
عامر بن الطفيل ؛ ٩٩
عامر بن إدريس بن عبد الحق ؛ ٦٤ ، ٣٢١

خلف بن خلف الأنصارى ؛ ٢٢٤
خلف بن يحيى ؛ ١١٠
خلف بن يوسف بن فرتون ؛ ٢٢٤
الخنساء ؛ ٢٩١
خيران العامرى ؛ ٥٧

د - ز

دارا ؛ ٤٨ ، ٥٧٩
داود الدائى ؛ ٢٠٣
داود بن علي الظاهرى ؛ ١١٢
ذنونة ، (نونيو دى لارا) ؛ ٥٢ ، ٣٥٦ ،
٣٥٨
راشد بن أبي راشد الوليدى ؛ ١٨٧
رحو بن عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٦٤ ، ٣٦٧
رسم ؛ ٤٨
الرشيد ، هرون ؛ ٢٧٢ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،
٦٣٢
رضى الدين الطبرى ؛ ١٩٨
الزبير بن العوام ؛ ٤٨
زهير الحجارى ؛ ١٥٥
زيد بن يحيى ؛ ٢٣٠
زيدان ، مولاي ، السلطان ؛ ٤٣١
زينب بنت إسحق النفزاوية ؛ ٣٤٨

س - ط

سارة بنت يحيى ؛ ١٨٧
سالم بن صالح بن محمد الهمداني ؛ ٣١٤
سالم بن محمد الخراسانى ؛ ٢٠٢
سراج بن عبد الله بن سراج ؛ ٢٢٤
سرى السقطى ؛ ٢٠٣
سعد بن إبراهيم بن عيسى الحميرى ؛ ٣٨٧
سعيد بن خلف الكنانى ؛ ٢٣٨
سعيد بن سليمان بن جودى السعدى ؛ ٢٧٥
سعيد بن محمد بن إبراهيم الفسافى ؛ ٣١٠

عبد العزيز بن محمد الهنتاق ؛ ٢١٦
 عبد العظيم بن عبد الله المنذرى ؛ ٣٠٠
 عبد الغفار بن محمد الكلاعى ؛ ٤٠٤
 عبد القادر بن عبد الله بن سوار الحاربي ؛ ٢٨
 عبد الله بن أبي قاسم الأنصاري ؛ ٣٤٠
 عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسى ؛ ٣٠١
 عبد الله بن أحمد بن زيد الغرناطي ؛ ٣٨٧
 عبد الله بن بكر الأشعري ؛ ٩٠
 عبد الله بن حزب الله ؛ ٢٩٦
 عبد الله بن طلحة بن عطية ؛ ٢٣٨
 عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
 عبد الله بن علي الغساني السعدي ؛ ١٢٧
 عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ؛ ٢٢٤
 عبد الله بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٧٧
 عبد الله بن محمد الحشني ؛ ٢٢٤
 عبد الله بن محمد بن يوسف بن منظور ؛ ٣٨٧
 عبد الله بن هود ؛ ٣٤
 عبد الله بن ياسين ؛ ٣٤٨
 عبيد الله بن يحيى ؛ ٣٧٢
 عبد الله البلنسي ؛ ٢٧٤
 عبد الله المرادي ، أبو محمد ؛ ١٢
 عبد الملك بن حبيب ؛ ٣٠
 عبد الملك بن مفوز ، أبو الحسين ؛ ٢٩٦
 عبد المنعم بن سهاك ، أبو محمد ؛ ٣٤١
 عبد المنعم بن عبد الرحيم بن الفرس ؛ ١٠٨ ،
 ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٧٨
 عبد المنعم بن علي بن سدرای ؛ ٣٠
 عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ؛
 ٣٧٣ ، ٣٠١
 عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلنودي ؛ ١٨
 عبد المهيم بن محمد الحضرمي ؛ ٣ ، ١١٦٤ ،
 ٣٨٧ ، ٤٥٧
 عبد المهيم المكناسي البلنودي ؛ ٢٠
 عبد المؤمن الدميطي ، شرف الدين ؛ ١٩٨٠ ، ٣١٠

عامر بن محمد بن علي الهنتاق ؛ ٢١٦
 عائشة بنت يحيى بن خليل ؛ ٢٦٩
 عبد الأعلى بن معلا ؛ ٢٩
 عبد الباقي بن برال ؛ ٢٠٢
 عبد الحق بن حكم ، أبو القاسم ؛ ١٨٩
 عبد الحق بن الخراط ؛ ٢٧٧
 عبد الحق بن عبد الملك بن بونه ؛ ١٠٨ ،
 ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٣٠١ ، ٣٧٥
 عبد الحق بن محمد بن بكر بن حمامة ؛ ٣٥٧ ،
 ٣٥٨
 عبد الحق بن يحيو ؛ ٧٧
 عبد الحق بن يعقوب ؛ ٧٧
 عبد الحلیم المريني ، الأمير ؛ ٣٦٢ ، ٣٦٣
 عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع ؛ ٣٧٣
 عبد الرحمن بن أسباط ؛ ٣٤٩
 عبد الرحمن بن حسن القروي ؛ ٢٨
 عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؛ ٢٩٦ ، ٣٠٢
 عبد الرحمن بن سلامة القضاعي ؛ ٢٧٨
 عبد الرحمن بن طلحة ؛ ٢٧٨
 عبد الرحمن بن عثمان القشيري ؛ ١١٠
 عبد الرحمن بن غالب ؛ ٢٣٨
 عبد الرحمن بن محمد بن بقی ؛ ٢٢٤
 عبد الرحمن بن محمد السبتي ؛ ٢٢٤
 عبد الرحمن بن محمد بن مغاور ؛ ٣٠٣
 عبد الرحمن بن معاوية الداخل ؛ ٩٦ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠
 عبد الرحمن بن موسى بن يغمراسن ؛ ٣٢٨
 عبد الرحمن بن هشام ؛ ٢٣٥
 عبد الرحمن بن يشث ؛ ١٩٧
 عبد الرحمن الناصر لدين الله ؛ ٤١
 عبد الرحمن بن الملاجوم ؛ ١٨٨
 عبد الصمد النصري ، نور الدين ؛ ٢٠٣
 عبد العزيز بن زيدان ؛ ١٨٨
 عبد العزيز بن عبد الله الأسدي العراقي ؛ ٢٦

علي بن عبد الرحمن بن جودي القيسي ؛ ١٥٨
 علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري ؛ ١٧٣
 علي بن عبد الله ؛ ١٧٦ ، ١٩٠
 علي بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري ؛
 ١٧٥

علي بن عبد الله بن يوسف الأنصاري ؛ ٣
 علي بن علي بن عتيق الهاشمي ؛ ١٩٧
 علي بن عمر بن إبراهيم القيحاوي ؛ ١٠٤
 علي بن لب بن سعيد العنسي ؛ ٧١
 علي بن محمد بن بونه ؛ ٨١
 علي بن محمد بن دري ؛ ١٠١ ، ١٠٢
 علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ؛ ١٨٦
 علي بن محمد بن عبد الحق الصباغ العقيلي ؛ ١٢٢
 علي بن محمد بن علي العبدري ؛ ١٦٩
 علي بن محمد بن مستقور الطائي ؛ ١٢٧
 علي بن محمد بن هيثم الرعيبي ؛ ١٦٣
 علي بن محمد بن يحيى الناقق ؛ ١٨٣
 علي بن مسعود المحاربي ؛ ٧٠
 علي بن يحيى الفزاري ؛ ١٩٢
 علي بن يوسف بن تاشفين ؛ ٥ ، ٥٨ ،
 ١٧٣ ، ٣٤٤
 علي بن يوسف بن كاشة ؛ ٧٤
 عمر بن أبي بكر الوادي آشي ؛ ٤٠٥
 عمر بن أبي يحيى ؛ ٣٣٠
 عمر بن حفصون ؛ ٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٧
 عمر بن الخطاب ؛ ٤٨ ، ٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧
 عمر بن خلاف بن سليمان ؛ ١٦٠
 عمر بن علي بن غفرون الكلابي ؛ ٣ ، ١٩٢
 عمر بن محمد الهاشمي القرشي ؛ ٢٠٢
 عمر بن يحيى البطوي ؛ ٦١ ، ٦٢
 عمرو بن بحر الجاحظ ؛ ٩٨
 عمرو بن العاص ؛ ٤٨

عبد المولى بن عبد المولى الخولاني ؛ ١٢٧
 عبد الواحد بن منظور الجذامي ؛ ٣٨٨
 عتيق بن أحمد بن محمد الفسافي ؛ ٨٠
 عتيق بن زكريا بن مول ؛ ٦٠
 عتيق بن عبد الرحمن بن أبي الفتح الفهري ؛ ٤٠٤
 عتيق بن معاذ بن عتيق اللخمي ؛ ١٩٥
 عثمان بن أحمد بن يوسف اللخمي ؛ ٣٠١
 عثمان بن إدريس بن عبد الحق ؛ ٧٩ ، ٣٦٥
 عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي ؛ ١٠٩
 عثمان بن عبد الرحمن ؛ ٥٥ ، ٥٦
 عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن ؛ ٥١٠
 عثمان بن يحيى ؛ ٥٢
 عثمان بن يحيى بن منظور القيسي ؛ ٨٦
 عثمان بن يحيى بن يغمراسن ؛ ٥٦ ، ٣٣٠
 عقبة بن نافع ؛ ٣٣٩
 عقيل بن عطية القضاعي ؛ ٢٣٠
 علي بن إبراهيم الأنصاري الماتقي ؛ ١١٦
 علي بن إبراهيم الجذامي ؛ ١٧٤
 علي بن إبراهيم الضحاك الفزاري ؛ ١٧٥
 علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن الهلالي ؛ ١٨٥
 علي بن أبي جلا المكناسي ؛ ١٨٤
 علي بن أبي طالب ؛ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٤٦
 علي بن أحمد بن الحسن المذحجي ؛ ٨٨
 علي بن أحمد بن عثمان الأشعري ؛ ٢٠١
 علي بن عباس ، أبو الحسن ؛ ٤٥٣
 علي بن أحمد بن عمر الفسافي ؛ ١٦١ ، ١٨١
 علي بن أحمد بن محمد الحشني ؛ ١٢٧
 علي بن بدر الدين بن موسى بن رجو ؛ ٦٧
 علي بن حمزة بن القاسم الجهني ؛ ١٩٧
 علي بن حمود الحسني ؛ ٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
 ٢٧٤
 علي بن صالح بن أبي اللبث بن عز الناس ؛ ١٨٣
 علي بن عبد الرحمن التجيبي (ابن الأخضر) ؛
 ٢٢٤

قاسم بن خضر العامري ؛ ٢٦٨
 القاسم بن دحمان ؛ ١٠٨
 قاسم بن عبد الكريم الأنصاري ؛
 قاسم بن عبد الله بن محمد الشاط ؛ ٢٥٨
 قاسم بن محمد بن الجلد العمري ؛ ٢٦٢
 قرشي بن حارث الهمداني ؛ ٢٦٥
 قطب الدين القسطلاني ؛ ٣٤٢ ، ٤٢٤
 قيس بن يوسف ؛ ٣١٩
 قيصر ؛ ٣٢٤ ، ٥٠٣
 قيصر ملك الروم ؛ ٣٤٦
 كسرى ؛ ٣٢٧ ، ٥٣٠
 كزال الدين بن العديم ؛ ١٥٥ ، ١٥٦

ل - م - ن

الليث بن سعد ؛ ٣٧٢
 مالك بن أنس ، الإمام ؛ ٢٣٢ ، ٥٨٥
 مالك بن المرحل ، أبو الحكم ، ١٣ ،
 ٢٥ ، ١٢٧ ، ١٩٩
 المتوكل بن هود ، أبو عبد الله ؛ ١٦٣
 محمد بن ابراهيم بن الحسن الشافعي ؛ ٤٠٤
 محمد بن ابراهيم بن سعد الدين بن جماعة الكناني ؛
 ٤٠٥
 محمد بن أبي بكر بن خليل ، رضى الدين ؛ ١٩٩
 محمد بن أحمد بن أمين الفارسي ٣٨٧
 محمد بن أحمد الحسنى السبتي ٣٢٠
 محمد بن أحمد الغساني ، أبو القاسم ؛ ٩٠
 محمد بن اسماعيل بن نصر ؛ ٣٧٠
 محمد بن تومرت ، المهدي ؛ ٥٨
 محمد بن الحاج اللاتوني ؛ ٣٤٤
 محمد بن الحسن القرشي البوني ؛ ٣١٠
 محمد بن خليفة ؛ ١١٠
 محمد بن سعد بن مردنيش ؛ ١٨٤ ، ٢٥١ ،
 ٣٧١ ، ٣٧٢
 محمد بن سعد بن اليمن انصيري ؛ ٤٠٦

عمرون بن موسى بن عياض ؛ ٢٢٢
 عون الدين المعجمي ؛ ١٥٦
 عياض بن محمد بن موسى انحصري ، أبو الفضل ؛
 ١٠١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ،
 ٢٤٩
 عيسى بن أحمد الرازي ؛ ٣٣٨
 عيسى بن محمد الأموي ؛ ٢٣٥
 غالب بن أبي بكر الحضرمي (ابن الأشقر) ؛
 ٢٣٦
 غالب بن حسن الجهاري ؛ ١٩٧
 غالب بن حسن الحزاعي ؛ ٢٣٩
 غالب بن حسن بن سيد بونه ؛ ٢٥٧
 غالب بن عبد الرحمن الحاربي ؛ ٢٣٧
 غالب بن عطية الحاربي ؛ ٢٢٤ ، ٣٧٥
 غالب بن علي الشقوري ؛ ٢٤٠
 غانية ؛ ٣٤٤
 الغزيري ، ميخائيل ؛ ٣

ف - ق - ك

الفتح بن علي بن أحمد (ابن خاقان) ؛ ٢٤٨
 الفخر الفارسي ؛ ٣١
 فخر الدين التودري الميكالي ؛ ١٩٩
 فرج بن اسمعيل بن نصر ؛ ٣٣٤
 فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ؛ ٢٤١
 فرج بن قاسم بن لب التغلبي ؛ ٢٥٣
 فرج بن محمد بن يوسف بن نصر ؛ ٢٤٦
 فرج بن محمد بن يوسف بن محمد بن نصر ؛
 ٢٤٦
 الفضل بن عياض ؛ ٢٠٢
 فضل بن محمد بن فضيلة الماعري ؛ ١٢٧ ،
 ٢٥٦
 الفضل بن يحيى البرمكي ؛ ٤٩
 فاجع الملح ؛ ٢٥٨
 قاسم بن أحمد بن عمران الحضرمي ؛ ٢٦٧

معاوية بن أبي سفيان ؛ ٣٣٩
 المعتمد بن عباد ؛ ٤٥
 معن بن مؤمن ؛ ٤٠٥
 المقرئ ، أبو العباس ؛ ٤٥٩
 المنذر بن محمد ، أمير الأندلس ؛ ٢٣٦
 المهلب بن أبي صفرة ؛ ٥٦٦
 المهلهل ؛ ٤٨
 موسى بن رحو ؛ ٧٨
 موسى بن زيد الراعي ؛ ٢٠٤
 موقعة طريف ؛ ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢
 موقعة العقاب ؛ ١٩١
 النجم بن اسرائيل الدمشقي ؛ ٢٠٦
 نجم الدين الأصبهاني ؛ ٢٠٣
 نجيب الدين بن مرغوش الشيرازي ؛ ٢٠٣
 هـ - و - ي
 هاتم بن عبد العزيز ؛ ٣٠
 هشام بن حسان ؛ ٢٠٢
 هشام بن الحكم ؛ ٥٦
 هشام بن محمد بن عبد الله بن الناصر ؛ ٣١٥
 وقيمة ذنونة ؛ أنظر ذنونه
 وقيمة الطاعون ؛ ١٨ ، ٢٦٧
 الوليد بن يزيد ؛ ٤٩
 يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطى ؛ ٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧
 يحيى بن أحمد بن هذيل ، أبو زكريا ؛ ٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٣٨٩ ، ٤٥٧
 يحيى بن بقى ؛ ٤١٦
 يحيى الحفيد ؛ ٣٤٤
 يحيى بن رحو بن تاشفين ؛ ٣٦١
 يحيى بن الصائغ ، أبو الحسن ؛ ١٩٠
 يحيى بن صقالة ؛ ٣٨
 يحيى بن طلحة بن محل ؛ ٣٦٣
 يحيى بن عبد الجليل بن مجير الفهرى ؛ ٤١٧
 يحيى بن عبد الرحمن الحاج ؛ ٣٠٢

محمد بن الشيخ ؛ ٤٢٧
 محمد بن الطيب أبو عبد الله ، ٣٠١
 محمد بن عبد الرحمن الرندي الطنجي ؛ ٣٨٧
 محمد بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
 محمد بن عبد الخالق (ابن الضايغ) ؛ ٢٦٨
 محمد بن عبد الرحيم الطيب ؛ ١٢
 محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ؛ ٣١٦
 محمد بن عبد الله بن مسلمة المظفر ، ابن الأفاطس ؛ ٤٣
 محمد بن عبد الله المعافري ؛ ٢٢٤
 محمد بن عتيق بن رشيق ؛ ٤٠٥
 محمد بن علي بن أبي خالد العبدي ؛ ٢٥٩
 محمد بن علي الأزدي ؛ ٢٢٤
 محمد بن علي بن حمدين ؛ ٢٢٤
 محمد بن علي بن عمر المازري ؛ ٢٢٤
 محمد بن علي بن مسرة ؛ ١٨٢
 محمد بن علي الشاطبي (ابن الصقيل) ؛ ٢٢٤
 محمد بن علي الهتائي ؛ ٢١٢
 محمد بن عمر بن رشيد ؛ ١٢٧
 محمد بن عمر بن الدراج ؛ ١٢
 محمد بن عياش الخزرجي ؛ ١٢٧
 محمد بن عياض بن محمد بن عياض ؛ ١٨٧
 محمد بن غالب بن سعيد الجبال ؛ ١٩٩
 محمد بن الوليد الطرطوشي ؛ ٢٢٤
 محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري ؛ ١٢٧
 محمد بن يحيى الصيرفي ، أبو بكر ؛ ٣٤٩
 محمد بن يوسف بن تاشفين ؛ ٣٤٤
 محمد بن يوسف بن فرج بن نصر (الغنى بالله) ، ٥٣٨ ، ٥٣٤ ، ٣٦٧ ، ٧٩٠ ، ٥
 محمد بن يوسف بن هود ؛ ٢٥٧
 يحيى الدين بن ندا بن واقد ؛ ١٥٥
 يحيى الدين بن عبد المنعم ؛ ١٩٩
 المرتضى ، الخليفة الأموي ؛ ١١٥ ، ٣١٥
 مريم بنت عمران ؛ ٩٧
 المستنصر بالله الحفصي ؛ ٥٦٠ ، ٥٦٩

- يوسف بن عبد الرحمن الإصبهاني ؛ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٣٦٤
 يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؛ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى ؛ ٤٠٠
 يحيى بن عبد الله بن زكريا الأنصاري ؛ ٣٧٤
 يحيى بن عبد الله بن عزفة اللخمي ؛ ٣٤٠
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ٣٦٥
 يحيى بن غانية الصحراوي ؛ ٢٥٨ ، ٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦
 يحيى بن محمد بن عبد السلام التطيلي ؛ ٤١٤ ، ٣
 يحيى بن محمد بن تلايكان اللمتوفى ؛ ٣٤٨
 يحيى بن محمد بن خلف البوريني ؛ ١٨٨
 يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الصيرفي ،
 ٤٠٦ ، ٣
 يحيى بن يحيى القرطبي ؛ ٣٠٢
 يدير بن ورقا ؛ ٣٤٤
 يزهد بن رفاعة ؛ ١٠٨
 يشكر بن موسى القزاقى ؛ ١٨٨
 يعقوب بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
 يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٦٥
 يعقوب المنصور ؛ الخليفة الموحدى ؛ ٣٥٥ ،
 ٤١٩ ، ٤١٨
 يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري ؛ ٤٠٤
- يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ؛
 أبو الحجاج ، السلطان ؛ ٥ ، ٣١٨ ،
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٥٢٥
 يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجى ؛ ٤ ،
 ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١
 يوسف بن الحسن بن أبي الأحوص القرشى ؛
 ١٩٧ ، ٣٧٥
 يوسف بن رضوان بن يوسف الأنصاري
 النجاري ؛ ٤٢٥
 يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؛ ٣٣٩ ، ٣٤٠
 يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، الخليفة الموحدى ؛
 ٥ ، ٣٥٤ ، ٤١٨
 يوسف بن علي الطرطوشي ؛ ٤٢١
 يوسف بن محمد العلوى المالقي (ابن الشيخ) ؛
 ٣٧٣
 يوسف بن محمد الكلبي ؛ ٣٠٢
 يوسف بن محمد اليحصبي اللوشي ؛ ٤٢٠
 يوسف بن محمد بن يوسف بن نصر ؛ ٣٥٣
 يوسف بن هلال ؛ ٣٧١
 يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن يحيى ؛
 ٥ ، ٤١٠
 يونس بن محمد بن مغيث ؛ ٢٢٤

- يحيى بن عبد الرحمن الإصبهاني ؛ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم ؛ ٣٦٤
 يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ؛ ٣٧٣
 يحيى بن عبد الكريم الشنتوفى ؛ ٤٠٠
 يحيى بن عبد الله بن زكريا الأنصاري ؛ ٣٧٤
 يحيى بن عبد الله بن عزفة اللخمي ؛ ٣٤٠
 يحيى بن عمر بن رحو ؛ ٣٦٥
 يحيى بن غانية الصحراوي ؛ ٢٥٨ ، ٥ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦
 يحيى بن محمد بن عبد السلام التطيلي ؛ ٤١٤ ، ٣
 يحيى بن محمد بن تلايكان اللمتوفى ؛ ٣٤٨
 يحيى بن محمد بن خلف البوريني ؛ ١٨٨
 يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الصيرفي ،
 ٤٠٦ ، ٣
 يحيى بن يحيى القرطبي ؛ ٣٠٢
 يدير بن ورقا ؛ ٣٤٤
 يزهد بن رفاعة ؛ ١٠٨
 يشكر بن موسى القزاقى ؛ ١٨٨
 يعقوب بن عبد الحق ؛ ٣٥٨
 يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ؛ ٣٦٥
 يعقوب المنصور ؛ الخليفة الموحدى ؛ ٣٥٥ ،
 ٤١٩ ، ٤١٨
 يوسف بن إبراهيم بن يوسف الفهري ؛ ٤٠٤

فهرست التصحيحات

رأينا ، وقد تم بحمد الله طبع كتاب « الإحاطة » بمجلداته الأربعة ، أن نقدم ثبناً بالأخطاء التي أمكن الوقوف عليها في سياق نصوصها ، ولكن ليس بطريق الحصر ، لأنه توجد بالشكل من الفتح والضم والكسر وغيرها ، أخطاء أخرى ، لم نر إثباتها لأنها ميسورة الاستدراك والضبط . وفيما يلي بيان هذه الأخطاء وتصحيحاتها :

المجلد الاول

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٣	هضبة	قلعة	٣٣٦	٤	وطرفة	وطرفة
	٤	بكر	فكر	٣٤٠	٥	الزمية	الزمية
	٤	ومصباح	وما صباح	٣٣٩	٢ س	النسب	النسب
	٥	فارق سهدا	وأورق شذا	٣٤٤	١ س	وأبرته	وأبرته
	٥	موارد	شوارد	٣٦٤	٩	وتقييدا	وتقييدا
	١٠	قائدة	بادية	٣٦٦	٨	فعادب	فعادب
	١٦	علمه مائة	أعلمه الرماية	٣٦٧	٨	النفري	النفري
٨٤	١٠	سجومه	وسجومه	٣٧٣	٦ س	ابن رشد	ابن رشد
٩٨	٤	قسصلية	قسطيلية	٣٧٥	٦	القاصي	القاصي
١٠٢	٩	فنحوه	فتحوه	٣٨٣	٨٠٧٠٦	هراندة - الهنشة	هرانده - الهنشه
١٤٣	٤	شخذه	شخذه	٣٨٤	١	الهنشة	الهنشه
١٤٧	١١	ويتملظ	ويتملظ	٣٩٩	١ س	منتقع	منتقع
١٥٣	١	وفصاجة	وفصاحة	٤٠٣	٢	ثعبان	ثعبان
١٦١	١	قليل	قليلا	٤٣٢	٧	همة	همة
١٨٤	١٠	ابن حمزة	ابن حمزة	٤٤٣	٨	الأشقر	الأشقر
١٩٣	٩	عبد الوالى	عبد الوالى	٤٧٥	٤	مالك	مالك
١٩٥	١٠	الخلاسى	الخلاسى	٥١٤	٦ س	والحزم	والحزم
٢٠١	١١	ابن العمار	ابن الغماز	٥٢١	٦ س	جنون	جنون
٢٠٧	٣ س (١)	أوليه	أوليه	٥٣١	٥	الهنشة - هراندة	الهنشه - هرانده
٣٠٤	٢	المتحبر	المتحبر	٥٣١	٥	عجم	عجم
٣٢٣	٢ س	طرقها	طوقها	٥٦٢	٦	عجم	عجم

(١) س : يقصد بها العدد من أسفل

المجلد الثاني

الصواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
أبث	أبت	١٠	٣٧٧	الفدودي	الفدوى	٧	٢١
مخبر	مخبر	٨ س	٣٨٥	الهنشه	الهنشة	٨ س	٢٢
المارشوق	وعميت	٩ س	٣٨٦	هرانده	هراندة		
وفقهه	المعشون	٣	٤٠٣	جدها	حدها	٢ س	٥٦
بكون	وفقهه	٧	٤٢٣	افتتحها	افتحها	٨	٦٠
المكتب	يكون	٨	٤٢٥	وأوحى	واوحي	٢ س	٦٢
وفواصل	المكتب	٨ س	٤٣٤	وانبثت	وانبث	٨	٧٥
العمية	وقواصل	٧ س	٤٣٨	فصل	فصل	٨	٧٧
مكدا	العمية	٣ س	٤٦٢	فقلت	فقلب	٧ س	١٢٥
لبلغ	مكمددا	٥ س	٤٧٦	رييس	رييس	٣ س	١٤٣
للبيد	لبلغ	٣	٤٩٢	شيبى	شيبى	٨ س	١٥٤
وياليت	للبيد	١١	٥٠٧	هذين البيتين	هذان البيتان	٧	١٦٣
	وياليت	٨	٥٣٤	منه	مثة	١٠	١٧٧
				تجليه	نجليه	٨ س	٢٠٩
				الزيات	الزياتي	٥ س	٢٧٤
والنفث	والنفث	٤ س	٥٣٥	نصار	نصار	٧ س	٣٠٧
تدنيه	تدنية	٩	٥٦٥	عرف	عرف	٢ س	٣٣٥
رأيت	وأيت	٨	٥٦٧	رسمت	رسمت	٤	٣٥٩

المجلد الثالث

الصواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
معروقة	معروقة	٩	١٠١	ياريح	ياريح	٤ س	١٢
أهله	أهل	٣	١٢٣	العاقو	العاقو	٧	٩٧
فأزرى	فأزرى	٢ س	١٣١	عن	من	١٠	٩٧
نظمه	نظمه	٣	١٤٧	الغرام	الغرام	٣	٩٩

تابع المجلد الثالث

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
١٥٥	٨	لفتون	لفتون	٤٥٧	٥	أصرب	أضرب
٢٢٩	٤	المجيب	المجيب	٤٦٠	٣	اختيار	اختبار
٢٥٥	٤	مدعانه	سلطانه	٥٠٠	٤	زيارته	زيارته
٢٥٥	٦	سلطانه	سلوانه	٥٠٢	٧	يساق	يساق
٢٥٢	٧	الخطايا	الخطايا	٥٢٦	٣	يعشرك	بعشرك
٣٥٥	٥	صضرا	صفرا	٥٢٧	٤	بسعار	بشار
٣٥٨	٦	المستشرقون	المستشرقون	٥٣١	٩	وجوههم	وجوههم
٣٦٨	٢	الأقدار	الأقدار	٥٥٦	٤	بسي	بسي
٤٢٤	٩	أودى	أودى				

المجلد الرابع

ص	سطر	الخطأ	الصواب	ص	سطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٥	خججا	خججا	٢١٤	٩	المنعوت	المنعوت
٣٣	٩	المحق	المحق	٢١٥	١٠	تريه	تربة
٣٦	٦	اسم	باسم	٢٢٧	٣	نسير	نسير
٥٩	٧	ترمرت	تومرت	٢٥٤	٢	الخط	الخط
٦٨	٢	سطر مكرر	سطر مكرر	٢٥٤	١	جمعت	جمعت
٧٩	٢	استولى	استولى	٢٥٥	٨	تفانوا	تفانوا
٨٤	٥	أحم	أجم	٢٧٠	٩	الفتنة	الفتنة
١١١	٥	الرجاجة	الرجاجة	٢٧٧	٤	امراة	امراة
١١٥	٥	وجه	وجه	٣٠١	١٠	موفقين	موفقين
١٣٧	٣	وكتب	وكتبت	٣٠٧	١٠	بواقم	بواقم
١٤٢	٤	در	ذر	٣٣٦	٣	شقى	شقى
١٤٩	٢	بن	من	٣٣٨	٦	من	من
١٦٠	٥	وقد ثبت	وقد ثبت	٣٤٤	١٠	السلطان	السلطان
١٦١	٥	سها والدنو	سها والدنو	٣٦١	٧	لملوك	لملوك
١٦٢	٣	وينهاهم	وينهاهم	٣٦٧	٢	استحقه	استحقه
١٧٤	٨	رواة	رواه	٣٨٧	٢	خط	خط
١٧٦	١	والفضول	والفضول	٣٨٨	١	شالة	شالة
١٧٧	٤	وانخبر	وانخبر	٣٩٧	٤	علينا	علينا
١٨٦	٣	الزويل	الزويل	٤٠١	١	ويجمل	ويجمل
١٩٢	٦	استزلم	استزلم	٤٠٩	٩	التيجان	التيجان
٢٠٥	٤	الخرقة	الخرقة	٤٢٥	١	ومن شره	ومن شره

تابع المجلد الرابع

الصواب	الخطأ	سطر	ص	الصواب	الخطأ	سطر	ص
وكان	وكان	٧ س	٥٦٩	فهو	فو	٦	٤٣٠
ومكذبة	ومكذبة	٨	٥٧٢	وكا	وكال	٤ س	٤٣٨
فرائض	فرائض	٢ س	٥٧٧	نيران	تيران	٣ س	٤٦٢
وأحسب	وأسب	١	٥٨٠	الخصيب	الخصيب	٨ س	٤٦٣
الأزاهر	لأزاهر	١٠	٥٩٣	يوسها	يوسها	٧	٤٨١
إنهاضه	إنهاضه	٣ س	٦٠٠	بحلقة	بحلقة	٣	٤٨٨
والحمد	والحمد	١٠	٦٠١	الظهر	المظهر	٩	٥٠١
بعمد	يعمد	٥	٦٠١	يا محتظ	يا محتظ	٩ س	٥٠٦
السامر	السائر	٨	٦٠٢	أكسيراها	أكثيرها	٦	٥١٦
و حوض	و حرص	٨	٦٠٤	بشيبى	بشيبى	٨	٥١٨
فلهن	فلنن	١٠	٦٠٤	ظفرنا	ظفرنا		٥١٩
كان	كا	٢ س	٦١٠	اتصلت	أنصلت	٣	٥٣٠
فلما	فما	١	٦١٥	تكفيهم	نكفهم	١	٥٣٥
يكون	تكون	٤	٦٢٢	ومسيرة	ومسير	٢	٥٤٠
وأفضل	وأفضل	٦	٦٢٦	وغشيها	وعيشها	٢	٥٤٧
بايع	تابع	١ س	٦٣٥	قيعة	قيعه	٣ س	٥٤٨
مى	حى	١	٦٣٦	المستبحر	المستجبر	٧ س	٥٥١
قضاء	قضاء	٢ س	٦٣٨				

كامل طبع المجلد الرابع والأخير من كتاب « الإحاطة في أخبار غرناطة » وبذلك
تم طبع الكتاب كله ، وذلك بمطابع « الشركة المصرية للطباعة والنشر »
بمدينة القاهرة المعزية ، وذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال المعظم
سنة ١٣٩٨ هـ ، الموافق لليوم الثامن والعشرين
من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٨ م .



الشركة المصرية للطباعة والنشر

رقم الايداع ٢٣٠١ / ١٩٧٨

HISTORY AND BIOGRAPHICAL DICTIONARY OF GRNDADA

entitled

AL - IHATA FI AKHBAR GHARNATA

BY

VIZIER LISAN - ud - DIN IBN ul - KHATIB

Edited with an Introduction and Notes

BY

MOHAMED ABDULLA ENAN

Author of : Moorish Empire in Spain. Age of the Almoravides and Almohades
End of the Moorish Empire in Spain. Monumentos Moros en Espana y PortugaI
Life and Work of Ibn Khaldun. Life and Work of Ibn - ul - Khatib ;etc

Vol. I V

Publisher : Al-Khanghi Bookshop, Cairo

Al-Tibaa Almisriyah Co. Press

Cairo - 1978